تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة
(رحمه الله)

المجلد الثامن

من سورة الصافات إلى سورة الجاثية

دار ابن كثير

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد الثامن

من سورة الصافات إلى سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ - 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0

الموضوع : تفسير - علوم القرآن

العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1

التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 7520

القياس : 17×24

التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

ص.ب : 311 - صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520230

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصافات

سورة (الصافات) مكية، وهي مئة واثنتان وثمانون آية، وثمانمئة وستون كلمة، وثلاثة آلاف وثمانمئة، وستة وعشرون حرفاً، وسميت بـ: (الصافات) كناية عن الملائكة، تذكيراً للعباد بالملأ الأعلى من الملائكة الأطهار؛ الذين لا ينفكون عن عبادة الله تعالى؛ الذين قال الله في حقهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ المراد: الملائكة، وهو قول ابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والسدي، وغيرهم. روى مسلم عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا تصُفُّونَ كَمَا تَصفُّ الملائكةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟»**. قلنا: وكيف تصُفُّ الملائكةُ عند ربهم.؟ قال ﷺ: **«يُتِمُّون الصفوفَ المتقدمةَ، ويتراصُّونَ في الصَّفِّ»**. وقيل: المراد: المجاهدون في سبيل الله؛ الذين يقفون أمام أعداء الله صفوفاً متراصِّين لا يتزحزحون، ولا يتضعضعون. وقيل: المراد المصلون؛ الذين يصطفون صفوفاً في الصلاة. وقيل: المراد الطير؛ التي تصف أجنحتها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾. والمعتمد الأول. والله أعلم.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: الزجر: الدفع بقوة، وهو قوة الصوت، وشدته، والمراد: الملائكة التي تزجر السحاب، وتسوقه إلى حيث شاء الله. من: الزجر بمعنى: السوق، والحث. وانظر الآية رقم [١٩] الآتية. ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائكة تقرأ كتاب الله، أو المراد: تقرأ آيات الله على أنبيائه، وأوليائه مع ما هم عليه من التسبيح، والتقديس، والتحميد، والتمجيد للإله المجيد الحميد.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾: هو جواب القسم، والخطاب لأهل مكة؛ الذين حكى الله عنهم قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾. ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: مالك السموات، والأرض، وما بينهما، ومتصرف فيهما تصرف الملاك، فإن وجودهما، وانتظامهما على هذا النمط البديع من أوضح الدلائل على وجود الله، ووحدانيته، واستقلاله بملكهما، وتصرفهما. هذا؛ ولم يقل: وما بينهن لأنه أراد بين الصنفين أو النوعين، أو الشيئين، ومثله قول القطامي: [الوافر]

أَلَـمْ يَـحْـزُنْـكَ أَنَّ حِـبَـالَ قَـيْـسٍ ... وتـغـلِـبَ قَـدْ تَـبَـايَـنَـت انْـقِـطَـاعَـا؟

أراد: وحبال تغلبَ، فثنَّى. والحبالُ: جمعٌ فثناهما؛ لأنه أراد الشيئين، أو النوعين، أو لأنه ثناهما على تأويلهما بالجماعة، وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين. قال الشاعر يذم عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سَعَـى عِـقَـالاً فـلـمْ يـتـركْ لَـنَـا سَـبَـداً ... فَكَـيْـفَ لَـوْ قَـدْ سَـعَـى عَـمْـرٌو عِـقَـالَـيْـنِ؟!

لأَصْـبَـحَ الـنـاسُ أَوْبَـاداً وَلَـمْ يَـجِـدُوا ... عِـنْـدَ الـتَّـفَـرُّقِ فـي الْـهَـيْـجَـا جِـمَـالَـيْـنِ

فقد ثنَّى: «جمال» الذي هو جمع: جمل، والعِقال: صدقة عام، والسبد: المال القليل، واللِّبد: المال الكثير. وأَوباداً: هلكىٰ جمع: وَبْد، فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الصدقات سنةً واحدة، فظلم، وأخذ أموال الناس بغير حق حتى لم يبقَ لنا إلا شيء قليل من المال، فكيف حالنا، أو كيف يبقى لأحد شيء لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟! ثم أقسم، فقال: والله لو صار عمرو عاملاً على الصدقات لسنتين؛ لصارت القبيلة هلكىٰ، فلا يكون لهم عند التفرق في الحرب جمالان، فيختل أمر الغزوات.

﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ أي: ورب المغارب، فاكتفى بذكر الأول عن الثاني؛ لدلالة الكلام عليه. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١١٥]: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ فالمراد بهما ناحيتا الأرض؛ إذ له سبحانه الأرض كلها، لا يختص به مكان دون مكان. وقال تعالى في سورة (الرحمٰن) رقم [١٧]: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ أي: مشرقي الشتاء، والصيف، ومغربَيْهِما. وقال تعالى في سورة (المعارج): ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ فقد جمع المشرق، والمغرب، كما ترى باعتبار مشارق الشمس، ومغاربها في السنة، وهي ثلاثمئة وخمس وستون كوة في مطلعها، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية، تطلع كل يوم في كُوَّة منها، وتغيب في كوة، لا تطلع، ولا تغرب في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل. قال أمية بن أبي الصلت؛ الذي قال الرسول ﷺ فيه: «**آمَنَ شِعْرُهُ، وكفرَ قَلْبُهُ**»: [الطويل]

زُحَـلٌ وثَـوْرٌ تَـحْـتَ رِجْـلِ يَـمِـيـنِـهِ ... والـنَّـسْـرُ لِـلأخـرى ولَـيْـثٌ مُـرْصَـدُ

والـشَّـمْـسُ تَـطْـلُـعُ كُـلَّ آخِـرِ لَـيْـلَـةٍ ... حَـمْـرَاءَ يُـصْـبِـحُ لَـوْنُـهَـا يَـتَـوَرَّدُ

لَـيْـسَـتْ بِـطَـالِـعَـةٍ لَـهُـمْ فـي رِسْـلِـهَـا ... إِلَّا مُـعَـذَّبَـةً وإلا تُـجْـلَـدُ

قال عكرمة: فقلت لابن عباس: يا مولاي أتجلد الشمس؟ فقال: إنما اضطره الرَّوي إلى الجلد، لكنها تخاف العقاب. انتهى. قرطبي. بقي أن تعرف حكم الفاء إذا جاءت عاطفةً في الصفات، كما في هذه الآيات هنا، وفي أوائل (المرسلات) وأوائل (النازعات)، وخذ قول ابن زيابة سلمة بن ذهل، وهو الشاهد رقم (٢٩٦) من كتابنا «فتح القريب المجيب»: [السريع]

يا لَهفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِث الصَّـ ـابِحِ فالْغَانِم فالآيِب

قيل: إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود كما في هذا البيت، كأنه قال: الذي صبَّح فغنم فآبَ. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك، كقول النبي ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ المحلِّقين فالْمقصِّرين**». وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل، فالأكمل، واعمل الأحسن، فالأجمل. انتهى. كشاف، وقرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ﴾: الواو: حرف قسم وجر، (الصافات): مقسم به، أقسم به وبأمثاله في أوائل السور، إظهاراً لعظم شأنها، وكبير فوائدها، وتنبيهاً للعباد على جلالة قدرها. هذا؛ وقيل: إن المقسم به محذوف، التقدير: ورب الصافات، ونحوه. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وفاعل (الصافات) مستتر، تقديره: «هو»، ومفعوله محذوف، التقدير: الصافات أجنحتها، ونحوه. ﴿صَفًّا﴾: مفعول مطلق مؤكد. ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق، مع تقدير المفعول المحذوف بـ: الزاجرات السحاب زجراً. ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: معطوف أيضاً على ما قبله، مع التصريح بالمفعول به. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿إِلَٰهَكُمْ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَوَٰحِدٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿رَّبُّ﴾: بالرفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو هو بدل من: (واحد)، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو رب. وحكى الأخفش النصب على وجهين: أحدهما: هو نعت لاسم: ﴿إِنَّ﴾، وثانيهما: هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني. و﴿رَّبُّ﴾ مضاف و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿وَرَبُّ﴾: معطوف على سابقه، و(رب) مضاف، و﴿ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ مضاف إليه... إلخ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: القربى منكم. ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾: يقرأ بتنوين (زينة) وعدم التنوين، و﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾: النجوم. قال قتادة: خلقت النجوم ثلاثاً: رجوماً للشياطين، ونوراً يهتدى بها، وزينة لسماء الدنيا. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بضوء الكواكب؛ لأن الضوء، والنور من أحسن الصفات، وأكملها، ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء، لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس. وقيل: زينتها: أشكالها المتناسبة، والمختلفة في الشكل، كشكل

الجوزاء، وبنات نعش، وغيرها. وقيل: إن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء، ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق؛ نظر غاية الزينة.

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ أي: وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات خارج عن الطاعة يُرْمى بالشهب وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة (الملك) رقم [٥]: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، وقوله تعالى في سورة الحجر رقم [١٦]: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾.

هذا ويقال: «مرد» من بابَيْ: نصر، وظرف: إذا عتا، وتجبر، فهو مارِد، ومَرِيد، وجمعه: مَرَدة، وَمُرْد، وماردون، ومُرَّاد. ومؤنثه: مرداء. ومَرَد: استمر على الشيء، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ رقم [١٠١] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿زَيَّنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِزِينَةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾: بالجر، وتنوين: (زينة)، فهو بدل منها. هذا؛ ويقرأ بالنصب على أنه مفعول به لـ: (زينة) على اعتبارها مصدراً، أو هو مفعول به بإضمار: أعني، كأنه قال: إنا زيناها بزينة؛ أعني: الكواكب. ويقرأ بالرفع على أنه فاعل ﴿بِزِينَةٍ﴾ على معنى: زينتها الكواكب، أو هي خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي الكواكب، وهذه الجملة تكون في محل جر صفة: (زينة). هذا؛ ويقرأ بالإضافة، وحذف التنوين، وفي هذه الإضافة ثلاثة أوجه: أحدها: أن تكون إضافة أعم إلى أخص، فتكون للبيان، نحو: ثوب خز، وخاتم حديد. الثاني: أن الإضافة من إضافة المصدر لفاعله. الثالث: أن الإضافة من إضافة المصدر لمفعوله. وجملة: ﴿زَيَّنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَحِفْظًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: وحفظناها حفظاً. والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة: ﴿زَيَّنَّا...﴾ إلخ، أو هو مفعول لأجله على اعتبار الواو صلة. والعامل: ﴿زَيَّنَّا﴾ أو العامل محذوف، التقدير: وفعلنا ذلك؛ لأجل الحفظ. ﴿مِّن كُلِّ﴾: متعلقان بـ: (حفظاً)، أو بمحذوف صفة له، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْطَٰنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّارِدٍ﴾: صفة: ﴿شَيْطَٰنٍ﴾.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: واو الجماعة عائدة إلى ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ وإنما جمع؛ لأنه في معنى الشياطين، أو في معنى كل شيطان. والملأ الأعلى: الملائكة الكرام، والملأ الأسفل: الإنس، والجن الذين يعيشون في الأرض، وتعدى الفعل بـ: ﴿إِلَىٰ﴾؛ لأنه ضمن

معنى: يصغون، ويدركون بخلاف ما إذا عُدي بنفسه، فإنه يفيد الإدراك فقط، والمعنى: لا يقدرون أن يستمعوا إلى الملائكة الذين هم في العالم العلوي. وقيل المعنى: لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، فحذفت: «أن» وارتفع الفعل على حد قول طرفة في معلقته رقم [٥٣]: [الطويل]

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الْوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟

واستقبحه الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي؛ لأنه يكون قد جمع فيه بين حذفين: اللام الجارة، و«أن» مع أن حذف واحد منهما على انفراده وارد، ومقبول.

﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي: ويرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء؛ إذا قصدوا صعوده، وراموا استراق السمع. ﴿دُحُورًا﴾ أي: يدحرون دحوراً، بمعنى: يطردون طرداً. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم، وموجع، وهذا العذاب يكون لهم في الآخرة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت الشياطين، لا يحجبون عن السموات، وكانوا يدخلونها، ويأتون بأخبارها، فيلقونها إلى الكهنة، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام؛ منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات كلها، فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رُمِيَ بشهاب، وهو: الشعلة من النار، فلا يخطئه أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرق وجهه، ومنهم من يخبله، فيصير غولاً يضل الناس في الفلوات، والبراري. انتهى. جمل. ﴿وَاصِبٌ﴾: دائم، ومنه قوله تعالى في سورة النحل رقم [٥٢] ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾.

وبسبب ذلك بطلت الكهانة، فإن قيل: إن هذا القذف إن كان لأجل النبوة؛ فَلِمَ دام بعد النبي ﷺ؟ والجواب: أنه دام بدوام النبوة، فإن النبي ﷺ أخبر ببطلان الكهانة، فقال: «**ليس منا من تكهن**». فلو لم تحرس بعد موته لعادت الجن إلى تسمعها، وعادت الكهانة، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل، ولأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة، فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين، ولم يُؤْمَنْ أن يظنوا: أن الكهانة إنما عادت لتناهي النبوة، فصح: أن الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النبي ﷺ، وبعد أن توفاه الله إلى دار كرامته.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يقذفون): فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿جَانِبٍ﴾ مضاف إليه. ﴿دُحُورًا﴾: مفعول مطلق من معنى: (يقذفون). أو هو مصدر في موضع الحال بمعنى: مدحورين. أو هو مفعول لأجله. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَاصِبٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء، فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يأتيه الشهاب، فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما رأيت. هذا؛ والخطف: الأخذ بسرعة، والخطف: الاختلاس. والمراد: اختلاس كلام الملائكة مسارقة، وبسرعة شديدة.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: بمعنى: تبعه. ﴿شِهَابٌ﴾: هو ما يرى كأنه كوكب ينقض. ﴿ثَاقِبٌ﴾: مضيء، كأنه يثقب الجو بضوئه. وقيل: يثقب الشيطان، أو يحرقه، أو يخبله. والأول أولى. هذا؛ ورجل ثاقب الرأي: إذا كان صحيح التفكير، نافذ البصيرة. ولا يقال: إن الشيطان من النار، فلا يحترق؛ لأنه ليس من النار الصرف، كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص، مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها.

تنبيه: فإن قلت: جعل الكواكب زينةً للسماء الدنيا يقتضي ثبوتها، وبقاءها فيها، وجعلها رجوماً للشياطين يقتضي زوالها، وانفصالها عنها؛ فكيف الجمع بين هاتين الحالتين؟ قلت: قالوا: إنه ليس المراد أنهم يُرْمَوْن بأجرام الكواكب، بل يجوز أن ينفصل من الكوكب شعلة يرمى بها الشيطان، والكوكب باقٍ بحاله، وهذا كمثل القبس الذي يؤخذ من النار، وهي بحالها.

فإن قلت: إذا كان الشيطان يعلم: أنه يصاب، ولا يصل إلى مقصوده، فكيف يعود مرة أخرى؟ أو كيف يحاول استراق السمع؛ وقد رأى غيره قد احترق؟! قلت: يعود رجاء نيل المقصود، وطمعاً في السلامة، كراكب البحر، فإنه يشاهد الغرق أحياناً، لكن يعود إلى ركوبه رجاء السلامة، ونيل المقصود. انتهى. خازن بتصرف. هذا وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨] من سورة (الحجر) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يسمعون الوحي، وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا تُرْمى، فإذا سمعوا الوحي؛ نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعاً، فلما بعث النبي ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاءه شهاب، فلم يخطئه؛ حتى يحرقه، فشكَوْا ذلك إلى إبليس لعنه الله، فقال: ما هو إلا من أمر حدث، فبعث جنوده يبحثون في الأرض، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلَيْ نخلة ـ قال وكيع: يعني: بطن نخلة ـ قال: فرجعوا إلى إبليس، فأخبروه، فقال: هذا الذي حدث! أخرجه ابن جرير. وانظر ما ذكرته في سورة (سبأ) [٢٣] فإنه جيد. وأيضاً في سورة (الجن).

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، أو أداة استثناء. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء، أو في محل رفع بدل من واو الجماعة؛ لأن الكلام تام منفي، وما كان من هذا الباب يجوز فيه الوجهان. ﴿خَطِفَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾ تقديره: «هو». ﴿الْخَطْفَةَ﴾: مفعول به، وقيل: مفعول مطلق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. وهذا الإعراب يجعل الجملة الفعلية الآتية غير مرتبطة بما قبلها إعراباً مع أنها مرتبطة به معنىً، لذا فالوجه اعتبار: ﴿مَنْ﴾ مبتدأ، والجملة الفعلية الآتية في محل رفع خبره، والفاء زائدة لتحسين اللفظ؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ...﴾ إلخ في محل نصب على الاستثناء المنقطع من مضمون الكلام السابق. وقول الجمل: «ويجوز أن تكون ﴿مَنْ﴾ شرطية» لا وجه له ألبتة. ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، أو في محل رفع خبر: ﴿مَنْ﴾ وهو المعتمد. ﴿ثَاقِبٌ﴾: صفة: ﴿شِهَابٌ﴾.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: اسأل أهل مكة، والخطاب للنبي ﷺ. ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ أي: أيهم أقوى بنية، وأشد خلقاً، هل هم، أم السموات، والأرض وما بينهما من الملائكة، والمخلوقات العظيمة العجيبة؟ فإنهم يقرون: أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم. وإذا كان الأمر كذلك؛ فلم ينكرون البعث؛ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما ينكرون؟! كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. رقم [٥٧] من سورة غافر. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ أي: ابتدأنا خلقهم. ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لاصق، لازق، ومنه قول علي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

تَعَلَّمْ فَإِنَّ اللهَ زادَكَ بَسْطَةً وَأَخْلَاقَ خَيْرٍ كُلُّها لَكَ لازِبُ

وقال النابغة الذبياني: [الطويل]

ولا تَحْسَبُونَ الخيرَ لا شرَّ بعْدَهُ ولا تحسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

فلم تحذف النون من الفعلين حملاً لـ: «لا» الناهية على النافية، وذلك لضرورة الشعر. وهذا يسمى بتقارض اللفظين. انظر مبحثه في كتابنا فتح القريب المجيب.

وقال عكرمة: ﴿لَّازِبٍ﴾: لزج. وقال سعيد بن جبير: أي: جيد، حر، يلصق باليد. وقال مجاهد: ﴿لَّازِبٍ﴾: لازم. والعرب تقول: طين لازم، ولازب، والمراد: خلق آدم عليه السلام من الطين، والبشرية نسله، فهم مخلوقون من الطين مثله بالانتساب إليه. وهذا خلق غير مباشر،

وهناك خلق مباشر من الطين؛ إذا فكرنا في أصل كل إنسان بأنه من النطفة المذرة، وهي من الدم، والدم من الطعام والشراب، وهما من الأرض بلا ريب. هذا؛ ويقال: استفتى، استفتاءً العالمَ في مسألة: سأله أن يفتيه فيها. والفَتوى والفُتوى، والفُتيا: اسم ما أفتى به العالم؛ إذا بيّن الحكم، والجمع الفتاوي، والفتاوى، مثل الصحاري، والصحارى، والعذاري، والعذارى.

الإعراب: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: الفاء: حرف استئناف، (استفتهم): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿أَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (هم): مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره. ﴿خَلْقًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان للفعل قبلها، المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿أَم﴾: حرف عطف. ﴿مَّنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّنْ﴾، والعائد محذوف، التقدير: أم الذين خلقناهم. والخبر محذوف، تقديره: أشد. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، والجملة الفعلية: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وأفاد الجمل: أن الجملة واقعة في جواب شرط مقدر، وعليه فالفاء هي الفصيحة، ويكون التقدير: وإذا كان هؤلاء لا يؤمنون بالله؛ فاسألهم أهم أشد.. .إلخ. والمعنى: إن شئت أن تقرعهم، وتؤنبهم؛ فاستفتهم.. .إلخ. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿خَلَقْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِّن طِينٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَّازِبٍ﴾: صفة: ﴿طِينٍ﴾.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث مع رؤيتهم آثار قدرة الله الباهرة، وهم يسخرون منك، ومما تقول لهم في ذلك. هذا؛ وقرئ بضم التاء على إسناد العجب إلى الله تعالى، وليس هو كالتعجب من الآدميين؛ لأن العجب من الناس محمول على إنكار الشيء، وتعظيمه، والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة، فإن كانت قبيحة؛ يترتب عليها العقاب، وإن كانت حسنة؛ يترتب عليها الثواب. وسئل الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ عن هذه الآية، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن وافق رسوله، ولما عجب رسوله ﷺ قال: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٥] من سورة (الرعد).

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾: وإذا وعظوا بالقرآن، وخوفوا به؛ لا يتعظون، ولا يتدبرون. ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾: وإذا رأوا آية باهرة، أو معجزة قاهرة، تدل على صدقك، كانشقاق القمر، وتكليم

الشجر، والحجر، يبالغون في السخرية، والاستهزاء، أو يدعون غيرهم، ويحضونهم على ذلك. هذا؛ وقيل: يسخر، ويستسخر بمعنىً: واحد، والسين والتاء ليستا للطلب على الاعتبارين.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: القرآن الذي جاء به محمد ﷺ. ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: وذلك كان منهم وقت أن عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء، أو عجزوا عن معارضة القرآن، قالوا: هذا سحر، وتخييل وخداع.

هذا؛ والسحر: كل ما لطف، ودق. يقال: سحره: إذا أبدى له أمراً يدق عليه، ويخفى. وقال الغزالي في الإحياء ما نصُّه: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الحواس هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. هذا؛ والمعتمد: إن تعلمه لدفع الضرر عن نفسه، أو عن غيره، أو اتخذه الشخص ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله؛ بقي على الإيمان، فلا كفر باعتقاد حقيقته، وجواز العمل به من غير إضرار بأحد.

هذا؛ والعجب (بفتح العين، والجيم): انفعال نفساني، يعتري الإنسان عند استعظامه، أو استطرافه، أو إنكاره ما يرد عليه. وقال الراغب: العجب: حيرة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، وليس هو شيئاً له في ذاته حالة حقيقية، بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب، ومن لا يعرفه. وحقيقة أعجبني كذا: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه. وانظره في حق الله تعالى في أول الشرح. هذا؛ والعجب (بضم العين، وسكون الجيم): رؤية النفس، وحقيقته أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره علماً، أو ورعاً، أو أدباً، أو غير ذلك، ويعتقد أن له منزلة لا يدانيه فيها سواه، وهذا هو الكِبْر الذي يدخل صاحبه جهنم، وبئس المصير!.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف انتقال تستأنف بعده الجمل. ﴿عَجِبْتَ﴾: فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يسخرون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقيل: هي في محل نصب حال، وهذا لا يصح إلا بتقدير مبتدأ، أي: وهم يسخرون، وعليه: فالجملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المقدر في المتعلق المحذوف، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿ذُكِّرُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا)

إليها، ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَذْكُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله، وأيضاً: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾: كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. ﴿وَقَالُوٓا﴾: الواو: حرف عطف، (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿سِحْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة: ﴿سِحْرٌ﴾. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوٓا...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثله.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَءِذَا﴾، ﴿أَءِنَّا﴾: يقرأ هذان اللفظان بقراءات كثيرة، جملتها تسع، وكلها سبعية، وهذه الآية قد ذكرت بحروفها كاملة في الآية رقم [٨٢] من سورة (المؤمنون)، وبمعناها في الآية رقم [٤٩] و [٩٨] من سورة (الإسراء). هذا؛ و﴿مِتْنَا﴾ يقرأ بضم الميم، وكسرها، فالأول من باب: نصر، وقتل، كـ: قُلْتُ وصُنْتُ، والثاني من باب: علم، وفهم، كـ: خِفْتُ، ونِمْتُ. وقول المفسرين: من: ماتَ، يماتُ، كخاف، يخافُ، ونام، ينامُ، وهو بعد الإعلال يعود إلى باب: علم. هذا؛ وقول المشركين في هذه الآية، وأمثالها تعجب منهم، واستبعاد للبعث بعد الموت، وفناء الجسد، وشاعرهم هو الذي يقول: [الوافر]

أَلَا مَنْ بَلَّغَ الرحمنَ عني ... بأنِّي تاركٌ شهرَ الصيامِ

أَيُوعِدُنَا ابنُ كبشةَ أنْ سَنَحْيَا ... وكيفَ حياةُ أصداءٍ وهامِ؟!

أَتُتْرِكُ أَنْ تَرُدَّ المَوْتَ عَنِّي ... وَتُحْيِينِي إذا بَلِيَتْ عِظَامِي؟

فهو يقصد بابن كبشة النبي ﷺ، وأبو كبشة هي كنية زوج حليمة السعدية، مرضعته ﷺ، فقد كانوا يطلقون عليه ذلك تحقيراً له ﷺ، ولكنهم لم يتأملوا: أنهم كانوا قبل ذلك تراباً، فخلقهم الله، وأظهرهم إلى الوجود، وهم ظنوا: أن البعث، والإعادة يكونان في الدنيا، وهم لم يروا أحداً رجع إلى الدنيا ممن تقدمهم.

الإعراب: ﴿أَءِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان... إلخ، وهذا عند سيبويه، رحمه الله تعالى. ﴿مِتْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجواب (إذا) محذوف دل عليه الجملة الآتية، التقدير: أئذا متنا... نبعث. ولا يجوز أن يعمل فيها (مبعوثون)؛ لأن ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلها، وينبغي أن تعلم: أنَّ (إذا) هنا ظرف مجرد عن الشرطية، فإن تقدير الكلام: (أنبعث إذا...) إلخ

وهذا قول غير سيبويه. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (كنا): فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه، ﴿تُرَابًا﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَعِظَامًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَءِنَّا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مبعثون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿أَءِنَّا...﴾ إلخ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة في الإنكار وبدون الاستفهام فيها حصل الإنكار بالأولى، وهذه مرتبطة فيها، فالإنكار، بالأولى إنكار فيها أيضاً، ولا تَنْسَ: أن الآية في محل نصب مقول القول لـ: (قالوا) في الآية السابقة.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: أو آباؤنا الأولون كذلك سيبعثون؟! وهذا منهم زيادة استبعاد في الحشر، والحساب، والجزاء بعد الموت. يعنون: أنهم أقدم منهم، فبعثهم أبعد، وأبطل. ﴿قُلْ﴾: أمر للنبي ﷺ. ﴿نَعَمْ﴾ أي: نعم تبعثون بلا شك وبلا ريب ورغم أنوفكم، ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون، أذلاء حقيرون. قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾. الآية رقم [٨٧] من سورة (النمل)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. الآية رقم [٦٠] من سورة (غافر). ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ﴾: المراد بها: الصيحة الثانية، وهي صيحة إسرافيل، التي رأيتها في الآية رقم [٤٩] من سورة (يسٓ) وما بعدها، وإنما سميت الصيحة: زجرة؛ لأن مقصودها الزجر، أي: يزجر بها كزجر الإبل، والخيل، وغيرهما عند السوق. قال النابغة الجعدي ـ رضي الله عنه ـ: [المنسرح]

زَجْـرُ أَبِـي عُـرْوَةَ السِّـبَـاعَ إِذَا ... أَشْـفَـقَ أَنْ يَـخْـتَـلِـطْـنَ بِـالْـغَـنَـمْ

أبو عروة: هذه كنية العباس عم النبي ﷺ، وكنيته المعروفة في الإسلام أبو الفضل، وكان ممن يضرب به المثل في شدة الصوت، وهم يزعمون: أنه كان يصيح بالسباع، فيفتق مرارة السبع في جوفه. ويروى أنَّه صاح يوم حنين: يا صباحاه! فأسقطت الحوامل لشدة صوته. انتهى. شرح شواهد الكشاف لمحب الدين الخطيب، رحمه الله تعالى.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضهم إلى بعض. أو المعنى: فإذا هم قيام بين يدي الله ينظرون إلى أهوال القيامة، وينتظرون ما يفعل بهم. هذا؛ و﴿نَعَمْ﴾ حرف جواب، كأجل، وجير، وإي، وبلى. ونقيضها: لا، و﴿نَعَمْ﴾ تكون لتصديق المخبر، أو إعلام المستخبر، أو وعد الطالب. وانظر الكلام عليها، وعلى: «لا» و«بلى» في كتابنا: «فتح القريب المجيب».

الإعراب: ﴿أَوَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الواو: حرف عطف. هذا؛ وقرئ بسكون الواو على أنها (أَوْ) العاطفة المقتضية للشك، وأكثرهم قرأ بفتحها، فمن فتح الواو أجاز في: ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ وجهين: أحدهما أن يكون معطوفاً على محل (إنَّ) واسمها، والثاني أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، واستغنى عن الفاصل المطلوب بالفصل بهمزة الاستفهام. ومن سكنها تعين فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. هذا؛ وعلى تسكين الواو يكون ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ مبتدأ خبره محذوف، ويكون فحوى الكلام عطف جملة على جملة، التقدير: أنحن نبعث، أم آباؤنا يبعثون؟ وهذه الآية مذكورة بحروفها في سورة (الواقعة) برقم [٤٨].

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿نَعَمْ﴾: حرف جواب مبني على السكون في محل نصب مقول القول. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: واو الحال، والجملة الاسمية: (أنتم داخرون) في محل نصب حال، والعامل فيها: ﴿نَعَمْ﴾ بالنظر لمعناها، ولذلك فسرها الجلال، وغيره بـ: تبعثون، فالعامل في الحقيقة هو الفعل المقدرة هي به، وصاحب الحال فاعله، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ إذ التقدير: إذا كان الأمر كذلك؛ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ﴾: (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿هِىَ﴾: مبتدأ. ﴿زَجْرَةٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب الشرط المقدر بـ: «إذا»، والكلام في محل نصب مقول القول. وقيل: الجملة الاسمية تعليل لنهي مقدر، التقدير: لا تستصعبوه لأنها زجرة واحدة، والتعليل والمعلل في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَإِذَا هُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]، من سورة (يسٓ)، وجملة: ﴿يَنظُرُونَ﴾ صفة لموصوف محذوف، التقدير: فإذا هم قيام ينظرون. بقرينة الآية رقم [٦٨] من سورة (الزمر)، أو هي في محل رفع خبر المبتدأ، وهذا هو الظاهر، والمتبادر إلى الأفهام وانظر إعراب آية الزمر، والمفعول محذوف، التقدير: ينظرون ما يفعل بهم. أو هو بمعنى: ينتظرون، وهو ضعيف معنًى.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا﴾ أي: يقول الكفرة حين يشاهدون أهوال القيامة: يا هلاكنا! والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه. ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الدينونة، والحساب، والجزاء. يقولون ذلك تحسراً، وندامةً لما فرط منهم. هذا؛ والدِّين بكسر الدال: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى، والدين أيضاً: الملة والشريعة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾. رقم [٧٦] من سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. و﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: يوم الحساب، والجزاء، وهو ما في الآية الكريمة. ومنه: كما تدين تدان؛ أي: كما تفعل

تجازى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يوم الدين يوم حساب الخلائق، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شراً؛ فشرٌّ، إلا من عفا الله عنه، والأمر أمره. ثم قال: ألا له الخلقُ والأمرُ. هذا؛ والدَّين (بفتح الدال) القرض المؤجل. وجمع الأول: أديان، وجمع الثاني: ديون، وأدْيُن. هذا؛ والدينونة: القضاء، والحساب. والدِّيانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى. هذا؛ والدين العادة، والعمل، ومنه قوله: [الوافر]

تقولُ إذا أَدَرْتُ لها وَضِيني ... فهذا دِيْنُهَا أَبَداً ودِيني

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء، والمنادى محذوف، كأنهم قالوا لبعضهم: يا هؤلاء ويلاً لنا، فلما أضاف؛ حذف اللام الثانية، وعليه فـ: (ويل) مصدر مفعول مطلق فعله محذوف، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. وهذا قاله الجلال، وأيده الجمل، وقول لمكي، وأجيز اعتبار: (ويلنا) منادى، فيكون المعنى: يقول الكافر يوم القيامة: تعال يا ويلُ هذا زمانك، وإبانك. وقال الكوفيون: إن «ويْ» كلمة برأسها، و(لنا) جار ومجرور متعلقان به. ولا معنى لهذا إلا بتأويل بعيد، وهو أن يكون: يا عجب لنا؛ لأن (ويْ) تفسر بمعنى: أعجب منا، وعليه يكون الكافر قد نادى العجب، والجملة في محل نصب مقول القول. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿يَوْمُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿يَوْمُ﴾ مضاف، و﴿الدِّينِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وقال الجلال: وتقول لهم الملائكة: هذا يوم الدين. وعليه فالوقف على قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾، والمعنى لا يؤيده.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي...﴾ إلخ: أي: هذا يوم القضاء، والفرق بين الهدى، والضلال، وبين المحسن، والمسيء، قال تعالى في سورة (المرسلات): ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿الْفَصْلِ﴾ مضاف إليه. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿يَوْمُ﴾. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُم...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ والآية الكريمة تحتمل أن تكون من قول الكفرة لبعضهم، وتحتمل أن تكون من قول الملائكة لهم، وهو الأرجح هنا، ويؤيده ما بعده. وقيل: هو من قول الله تعالى لهم.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾

الشرح: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: هذا خطاب من الله عز وجل للملائكة، وهو المعتمد، يقول: اجمعوا الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وبارتكاب المعاصي. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أي: أشباههم، ونظراءهم من العصاة: عابد الصنم مع عبدة الصنم، وعابد الكواكب مع عبدة الكواكب، كقوله تعالى في سورة (الواقعة): ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾. وقيل: المراد: قرناؤهم من الشياطين. وقيل: نساؤهم اللاتي كن على دينهم. وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: يحشر الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، وصاحب السرقة مع صاحب السرقة. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ من دون الله؛ أي: من الأصنام، والشياطين، والدالين على الشر والفساد. وفيه زيادة في تحسيرهم، وتخجيلهم، وخزيهم، وفضيحتهم.

هذا؛ و(أزواج) جمع: زوج، وهو يطلق على الرجل، والمرأة، والقرينة تبين الذكر، والأنثى. ويقال لها أيضاً: زوجة، وحذف التاء منها أفصح إلا في الفرائض؛ فإنها بالتاء أفصح؛ لتوضيح الوارث. هذا؛ والزوج: القرين، كما رأيت في هذه الآية. والزوج: الفرد، وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج، كما يقال: هما سيان، وهما سواء، وقال تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: من كل نوع ذكراً، وأنثى الآية رقم [٤٠] من سورة (هود)، وقال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ...﴾ إلخ الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأنعام) والمعنى: ثمانية أفراد، والزوج: الصنف والنوع، قال تعالى في سورة لقمان رقم [١٠]: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: صنف من النبات، وقال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

الإعراب: ﴿احْشُرُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿ظَلَمُوا﴾: فعل ماض، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: ظلموا أنفسهم، والجملة الفعلية صلة الموصول. (أزواجهم): معطوف على الموصول، أو هو مفعول معه، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْبُدُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان). والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي كانوا يعبدونه. هذا؛ والجملة الفعلية: ﴿احْشُرُوا...﴾ إلخ هي من قول الله تعالى للملائكة، وهو المعتمد، أي: إنها في محل نصب مقول القول لقول محذوف.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: فسوقوهم إلى صراط جهنم، وبئس المصير، وقيل: دُلّوهم، يقال: هديته إلى الطريق، وهديته الطريق؛ أي: دللته عليه، وفي قوله تعالى: (اهدوهم) تهكم، وسخرية. المعنى: إذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى طريق الجحيم. ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ أي: احبسوهم؛ حتى يسألوا عن أعمالهم، وأقوالهم؛ التي صدرت عنهم في الدنيا.

فعن أبي برزة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبعٍ: عَنْ عُمرِهِ فيمَ أَفناهُ؟ وَعن شبابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ، وعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْن اكتسَبَهُ، وفيمَ أنفقَهُ؟ وعَنْ عِلْمِهِ ماذا عمِل فيهِ**». رواه الترمذي، ورواه البيهقي عن معاذ، رضي الله عنه.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما مِنْ دَاعٍ إلى شيءٍ إلا كان موقوفاً يوم القيامة لازماً به، لا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً، ثم قرأ**: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾». ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أي: تقول الخزنة لهم توبيخاً، وتقريعاً: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً؟! وهذا جواب لأبي جهل الخبيث حيث قال يوم بدر ما قاله الله تعالى على لسانه: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾. ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي: أذلاء منقادون لا حيلة لهم، سواء منهم العابدون، والمعبودون.

ولا تنس الالتفات من الخطاب إلى الملائكة إلى الخطاب للكفرة المعذبين، والفجرة الفاسقين، ثم الالتفات من الخطاب إليهم إلى الغيبة. هذا؛ وذكر أن الصديق ـ رضي الله عنه ـ قام من الليل يصلي، فمر بهذه الآية: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ فجعل يكررها حتى طلع الفجر.

الإعراب: ﴿مِن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَعْبُدُونَ﴾، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اهدوهم): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. انظر تقديره في الشرح. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿صِرَٰطِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: فعل أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُم﴾: (إنَّ) حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مَّسْـُٔولُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه... إلخ، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. هذا؛ وقرئ بفتح الهمزة، وعليه فتؤول (أنَّ) واسمها وخبرها بمصدر في محل جر بلام محذوفة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَنَاصَرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية

في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط الضمير فقط، والعامل: اسم الاستفهام لما فيه من معنى الفعل. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وانتقال. ﴿هُمُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع. . . إلخ، والكلام: ﴿فَٱهْدُوهُمْ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول لقول محذوف، فإنه من قول الله تعالى للملائكة مثل سابقه.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: الرؤساء، والأتباع، أو الكفرة والقرناء. ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ، ولذلك فسر بـ: يتخاصمون. وهذه الآية مذكورة بحروفها في سورة (الطور) رقم [٢٥]، وانظرها برقم [٥٠] من هذه السورة أيضاً. هذا وقد قال تعالى في الآية رقم [١٠٢] من سورة (المؤمنون): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾. والجواب عن ذلك: أن آية (الطور) تنص على أن التساؤل إنما يكون في الجنة بلا ريب بدليل الآيات؛ التي قبلها، والتي بعدها، والآية هنا تنص على أن التساؤل إنما يكون يوم القيامة بدليل الآيات التي قبلها، وهي تعارض آية (المؤمنون) التي تنفي التساؤل فيما بينهم، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في حل هذا التعارض: إن للقيامة أحوالاً، ومواطنَ، ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل، فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون. انتهى. خازن من سورة (المؤمنون). أقول: ومخاصمة الكفار بعضهم بعضاً، ولوم بعضهم بعضاً يوم القيامة قد ذكر في كثير من آيات القرآن الكريم، انظر الآية رقم [٣١] من سورة (سبأ) وما بعدها. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَقْبَلَ﴾: الواو: حرف استئناف. (أقبل): فعل ماض. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿بَعْضُهُمْ﴾، والرابط: الضمير فقط.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: قال الأتباع للمتبوعين. ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: عن أقوى الوجوه وأيمنها، أو عن الدين، أو عن الخير، كأنكم تنفعوننا نفع السانح، فتبعناكم، وهلكنا معكم، مستعار من يمين الإنسان، الذي هو أقوى الجانبين، وأشرفهما، وأنفعهما؛ ولذلك يسمى: يميناً، ويسمى بالسانح. أو: عن القوة، والقهر، فتقسروننا على الضلال. أو: على الحلف، فإنهم كانوا يحلفون لهم: أنهم على الحق. انتهى. بيضاوي. وقال القرطبي ما يشبهه،

وزاد قوله: وقيل: اليمين بمعنى: القوة، أي: تمنعوننا بقوة، وقهر وغلبة، قال تعالى في هذه السورة: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بالقوة، وقوة الرجل في يمينه، وقال الشاعر: [الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

أي: بالقوة، والقدرة. وهذا قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انتهى. وانظر ما ذكرته في سورة (الزمر) رقم [٦٧] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَأْتُونَنَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(نا): مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، فهي حال متداخلة، وفيها معنى التفسير للتساؤل. ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: الرؤساء، والمتبوعون. ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: وهذا إضراب من المتبوعين، وإبطال لما ادعاه التابعون، أي: لم تتصفوا بالإيمان في وقت من الأوقات، بل كنتم على الكفر، فأقمتم عليه للإلف، والعادة. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍۭ﴾ أي: ما كان لنا عليكم من قوة، وقدرة نقهركم بها على متابعتنا. ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ أي: بل كان فيكم فجور، وطغيان، واستعداد للعصيان، والفساد، فلذلك استجبتم لنا، واتبعتمونا. وهذا مثل قول الشيطان لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ رقم [٢٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه أفضل الصلوات، وأتم التسليم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾: وجب وعيده، وتهديده، وهو: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ أي: للعذاب: التابع، والمتبوع، والضال، والمضل؛ أي: جميعاً في جهنم لا محالة. ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي: زينا لكم الكفر، والباطل، والضلال، والعصيان، ودعوناكم إلى ذلك؛ لأننا كنا على غي، وضلال، فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك الدعوة، لتكونوا مثلنا في الغواية، والضلال.

قال الرازي رحمه الله تعالى: أجاب الرؤساء والمتبوعون بأجوبة خمسة: الأول: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾. الثاني: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾. الثالث: ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾. الرابع: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾. الخامس: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ...﴾ إلخ. انتهى. جمل نقلاً عنه.

هذا و(الرب) يطلق، ويراد به السيد، والمالك، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: سيدك. وأيضاً قوله تعالى حكاية عن قوله أيضاً: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ أي: سيده، ومالكه. كما يقال: ربُّ الدار، وربُّ الأسرة، أي: مالكها، ومتولي شؤونها، كما يراد به المربي، والمصلح، يقال: رَبَّ فلانٌ الضيْعةَ، يربها: إذا أصلحها، والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً، فشيئاً، بجعل النطفة علقةً، ثم بجعل العلقة مضغةً، ثم بجعل المضغة عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يصوره، ويجعل فيه الروح، ثم يخرجه خلقاً آخر، وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه، وينشيه؛ حتى يجعله رجلاً، أو امرأةً كاملين. ولا يطلق الرب على غيره تعالى إلا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة، ونحو ذلك. والرب: المعبود بحق، وهو المراد منه تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى في سورة (يوسف) حكاية عن قول يوسف لِصَاحِبي السِّجْنِ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هَنِيئاً لأَرْبَابِ الْبُيُوتِ بُيُوتُهُمْ وَلِلآكِلِينَ التَّمْرَ مَخْمَسَ مَخْمَسَا

وهو اسم فاعل بجميع معانيه، أصله: رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر بعد إسكان الأول منهما، وسلب حركته. تأمل. وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (ص).

أما (قوم) فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، ونفر.. إلخ، وهو يطلق على الرجال دون النساء، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾. وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ (قوم) في القرآن، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً. وهو يذكر، ويؤنث، قال تعالى في سورة (الشعراء): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فتذكيره باعتبار اللفظ، وتأنيثه باعتبار المعنى، وهو: أنهم أمة، وطائفة، وجماعة.

هذا؛ و(سلطان) تسلط، وولاية، ويأتي بمعنى: الحجة، والبرهان، كما هنا، ويأتي بمعنى: الكتاب، قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٣٥]: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾، وقال بعض المحققين: سميت الحجة: سلطاناً؛ لأن صاحب الحجة يقهر من لا حجة

له، كالسلطان يقهر غيره بقوته. وقال الزجاج: السلطان: هو الحجة، وسُمِّيَ السلطانُ: سلطاناً؛ لأنه حجةُ اللهِ في أرضه. انتهى. ولا تنس ما قاله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: (إن الله ليزعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) أي: يكف عن المعاصي، ويردع، وجمعه بمعنى: الحاكم، والمالك: سلاطين، ولا يجمع إذا كان بمعنى: الحجة، والبرهان. هذا؛ وزعم الفراء: أن العرب تؤنث السلطان. تقول: قضتْ بِهِ عليكَ السلطانُ. أما البصريون؛ فالتذكير عندهم أفصح، وبه جاء القرآنُ الكريمُ، والتأنيث عندهم جائز؛ لأنه بمعنى: الحجة. هذا؛ والسلطان: ما يدفع به الإنسان عن نفسه أمراً يستوجب به عقوبة. كما قال تعالى في سورة (النمل) رقم [٢١] حكاية عن قول سليمان على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام في حقِّ الهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، والواو فاعله. ﴿بَل﴾: حرف إضراب. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُونُواْ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر: ﴿تَكُونُواْ﴾ منصوب... إلخ. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿عَلَيْكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من: ﴿سُلْطَٰنٍۭ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍۭ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿قَوْمًا﴾: خبره. ﴿طَٰغِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب مثله... إلخ. ﴿فَحَقَّ﴾: الفاء: حرف عطف. (حق): فعل ماض. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَوْلُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿رَبِّنَآ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَذَآئِقُونَ﴾: خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ في محل نصب مقول القول. قال ابن هشام في المغني: من الجمل المحكية ما قد يخفى، فمن ذلك بعد القول: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ والأصل: إنكم لذائقون عذابي، ثم عدل إلى التكلم؛ لأنهم تكلموا بذلك عن أنفسهم. قال الفرزدق: [الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي يَـوْمَ جَـوِّ سُـوَيْـقَـةٍ ... بَـكَـيْـتُ فَـنَـادَتْـنِـي هُـنَـيْـدَةُ مَـالِـيَـا

والأصل: مالك؟ وهذا هو الشاهد رقم (٧٦٨) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا؛ وحذف مفعول (ذائقون) كما رأيت تقديره. ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أغويناكم): فعل،

وفاعل، ومفعول به. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿غَٰوِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا غَٰوِينَ﴾ في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ تعليل لما قبلها، والكلام: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الأتباع، والمتبوعون. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يتساءلون، ويتحاورون، ويتخاصمون. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: كما كانوا مشتركين في الغواية، كما قال تعالى في سورة الزخرف رقم [٣٩]: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كما فعلنا بهؤلاء المجرمين من عبدة الأوثان، والنصارى، واليهود نفعل بالملحدين المعاندين المنكرين الحساب، والجزاء، بمعنى: نذيقهم جميعاً العذاب الأليم، والعقاب الشديد في نار الجحيم، وانظر ما ذكرته بشأن المجرمين، والظالمين... إلخ في الآية رقم [٥٩] من سورة (يسٓ). ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: التنوين ينوب فيه عن جملة محذوفة دلت عليها الغاية، أي: يوم يتساءلون... إلخ، و(إذ) مضافة لهذه الجملة في الأصل، فإن الأصل: إذ يتساءلون، ويتحاورون. فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين، كما كسرت الهاء في: صهٍ ومهٍ عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في: حينئذٍ، وساعتئذٍ، ونحوهما.

الإعراب: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: هي الفصيحة، التقدير: إن شئت أن تعرف مصائر الأتباع والمتبوعين؛ فإنهم، وأراه ضعيفاً. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾ بعده. وقيل: متعلق بمحذوف حال. ولا وجه له ألبتة. و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بما بعدهما أيضاً. ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نفعل بالمجرمين فعلاً كائناً مثل الفعل الذي فعلناه من قبلهم. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿نَفْعَلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «نحن». ﴿بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: «نفعل

بالمجرمين كذلك» في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ مستأنفة، وهي بمنزلة البدل مما قبلها.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ﴾ أي: كفرة قريش، فالضميران يعودان إليهم. ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن كلمة التوحيد. أو: على من يدعوهم إليها. يروى: أنه لما قال النبي ﷺ لأبي طالب عند موته، واجتماع قريش: قولوا: «**لا إله إلا الله؛ تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم**» أبَوا، وأَنِفُوا من ذلك.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ؛ حتى يقولُوا: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ؛ فقد عَصَمَ مِنِّي مالَه، ونفسَهُ إلا بحقِّهِ، وحسابُه على اللهِ عز وجل**». أخرجه ابن أبي حاتم. وروى ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي العلاء ـ رضي الله عنه ـ قال: يُؤتى باليهود يوم القيامة، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله، وعزيراً. فيقال لهم: خذوا ذات الشمال. ثم يؤتى بالنصارى. فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله، والمسيح، فيقال لهم: خذوا ذات الشمال. ثم يؤتى بالمشركين، فيقال لهم: لا إله إلا الله، فيستكبرون. ثم يقال لهم: لا إله إلا الله، فيستكبرون. ثم يقال لهم: لا إله إلَّا الله، فيستكبرون. فيقال لهم: خذوا ذات الشمال. قال أبو نضرة: فينطلقون أسرع من الطير. قال أبو العلاء: ثم يؤتى بالمسلمين، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله تعالى، فيقال لهم: هل تعرفونه؛ إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال لهم: فكيف تعرفونه، ولم تَرَوْه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدلَ لهُ. قال: فيتعرف لهم تبارك وتعالى، وتقدَّس، وينجي الله المؤمنين. أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي العلاء موقوفاً. انتهى. مختصر ابن كثير.

الإعراب: ﴿إِنَّهُمْ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوٓاْ﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إنَّ». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهُ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتباره بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: اعتباره بدلاً من ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: اعتباره بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف. وهو الأولى، والأقوى. والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل: ﴿قِيلَ﴾، وهذا على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول مقامه». وهذا لا غبار عليه. وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر،

تقديره: «هو»، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف، يدل عليه المقام، التقدير: قيل قول. وقيل: الجار والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾ في محل رفع نائب فاعل. والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني. وجملة: ﴿قِيلَ لَهُمْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف دل عليه ما بعده، التقدير: فهم يستكبرون. و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام معترض بين الفعل (كان) وخبره. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿إِذَا﴾ ظرفاً مجرداً عن الشرطية متعلقاً بالفعل ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فالمعنى لا يأباه. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع.. إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). وجملة: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ صلة؛ فجملة: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة مبينة لسبب استحقاقهم العذاب، والهلاك، لا محل لها من الإعراب.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش يقولون: أنحن نترك عبادة آلهتنا، وآلهة آبائنا لأجل قول شاعر مجنون؟! يعنون سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، وقد ردَّ الله عليهم بما يلي. هذا؛ وجمع (شاعر): شعراء، والأصل في فعلاء أن يكون جمع: فعيل، مثل: ظريف، وظرفاء، وشريف، وشرفاء؛ لأن «فعيلاً» إنما يقع لمن قد كمل ما هو فيه، فلما كان (شاعر) إنما يقال لمن عرف بالشعر شبه بفعيل، ودخلت جمعه ألف التأنيث الممدودة لتأنيث الجماعة، كما تدخل الهاء في: صياقلة وزنادقة. وقال الأخفش: (شاعر) مثل: لابن، وتامر، أي: صاحب شعر، وصاحب لبن، وصاحب تمر. وقد سمي الشاعر شاعراً لفطنته، وهو الفقيه أيضاً، والشاعر مأخوذ من قولهم: ما شعرت بهذا الأمر؛ أي: ما فطنت له. وقوله تعالى في كثير من الآيات في حق الكافرين، والمنافقين، والفاسقين: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يفطنون، ولا يتدبرون ما يقع بهم من الخزي، والنكال في الدنيا، والآخرة. وانظر ما ذكرته بشأن الشعر والشعراء في الآية رقم [٢٢٤] من سورة (الشعراء) تجد ما يسرك.

الإعراب: (يقولون): فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿أَئِنَّا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إنا): حرف مشبه بالفعل، ونا اسمها. ﴿لَتَارِكُوٓاْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تاركو): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و(تاركو) مضاف، و﴿ءَالِهَتِنَا﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِشَاعِرٍ﴾: متعلقان بـ: (تاركو). ﴿مَّجْنُونٍ﴾: صفة ثانية لموصوف محذوف، والصفة الأولى (شاعر)، والجملة الاسمية: ﴿أَئِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فمحلها مثلها.

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: جاء محمد ﷺ بالحق من عند ربه. ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله تعالى في شرعه، وأمره، كما أخبروا. ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ أي: بسبب شرككم، وتكذيبكم الرسول، وافترائكم عليه المفتريات، مثل قولكم: شاعر، ساحر، مجنون. قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: جمع المشركون بين إنكار الوحدانية، وإنكار الرسالة، ثم خلطوا في كلامهم بقولهم: شاعر مجنون، فإن الشاعر عنده من الفهم والحذق ما ينظم به المعاني الغريبة، ويصوغها في قالب الألفاظ البديعة، ومن كان مجنوناً لا يصل إلى شيء من ذلك، فكلامهم تخليط، وهذيان. ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لا تعاقبون إلا جزاء مثل عملكم. قال الصاوي: لأن الشر يكون جزاؤه بقدره، بخلاف الخير؛ فجزاؤه بأضعاف مضاعفة.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لكن عباد الله المخلصين الموحدين، فإنهم لا يذوقون العذاب، ولا يناقشون الحساب، بل يتجاوز الله عن سيئاتهم، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، ثم أخبر عن جزائهم بما يلي. فهو استثناء منقطع بهذا الاعتبار، فهو مثل قوله تعالى في سورة (المدثر): ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾.

هذا؛ و(الذوق) يكون محسوساً، ومعنى، وقد يوضع موضع الابتلاء والاختبار. تقول: اركب هذا الفرس، فذقه، أي: اختبره، وانظر فلاناً، فذق ما عنده. قال الشماخ يصف قوساً: [الطويل]

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانِباً ... كَفَى وَلَهاً أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس، وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به، كإحساسها بذوق المطعوم، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

فَذُقْ هَجْرَهَا إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهَا ... فَسَادٌ أَلا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

وتقول: ذقت ما عند فلان؛ أي: خبرته، وذقت القوس: إذا جذبت وترها؛ لتنظر ما شدتها؟ وأذاقه الله وبال أمره؛ أي: عقوبة كفره، ومعاصيه. قال طفيل بن سعد الغنوي: [الطويل]

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ ... مِنَ الْغَيْظِ في أكبادِنَا والتَّحَوُّبِ

وتذوقته؛ أي: ذقته شيئاً بعد شيء، وأمر مستذاق؛ أي: مجرب معلوم، قال الشاعر: [الوافر]

وَعَهْدُ الغَانِيَاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ ... وَنَتْ عَنْدَ الجَعَائِلِ مُسْتَذَاقِ

وأصله من الذوق بالفم. و(ذوقوا) في كثير من الآيات للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلية.

وذكر العذاب في بعض الآيات استعارة مكنية، حيث شبه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت للذوق تخييلاً.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب عن قولهم، وافترائهم. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى النبي ﷺ، الذي وصفوه افتراءً بشاعر ومجنون، ﴿بِالْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: جاء ملتبساً بالحق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَصَدَّقَ﴾: الواو: حرف عطف. (صدق): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الرسول أيضاً. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَذَآئِقُواْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (ذائقو): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة. و(ذائقو) مضاف، و﴿الْعَذَابِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وقرئ بنصب: ﴿الْعَذَابِ﴾ شاذاً، على تقدير النون، وحذفت النون استخفافاً لِلَّفظ، ومثل هذه الآية قول أبي الأسود الدؤلي: [المتقارب]

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ... وَلَا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلا

بنصب لفظ الجلالة، وتقدير التنوين قبله، وهذا هو الشاهد رقم (٩٦٠) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿الْأَلِيمِ﴾: صفة: ﴿الْعَذَابِ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، (ما): نافية. ﴿تُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: إلا الذي كنتم تعملونه. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، أو من الضمير المستتر في اسم الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عِبَادَ﴾: استثناء منقطعاً من الواو، و﴿عِبَادَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادَ﴾، منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: عباد الله المخلصين لهم رزق معلوم، له خصائصه من الدوام، وتمحض اللذة، وهو ما فسره بقوله: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ جمع: فاكهة، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم

﴿فَوَٰكِهُ﴾ أي: جميع أنواع الفواكه؛ لأن التنكير يعم جميع أجناس الفواكه، فإن الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي، والقوت بالعكس، وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقةٍ محكمة محفوظة عن التحلل؛ كانت أرزاقهم فواكه خالصة. انتهى. بيضاوي. وهذا فيه قصور، كيف وقد ذكر الله أن لهم ما يشتهون من لحوم الطير، وما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين. وقيل: المعنى معلوم الوقت، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ بيان لحالهم، وإن لم يكن هناك بكرة، ولا عشية، فيكون المراد منه معلوم الوقت، وهو مقدار غدوة، وعشية. هذا؛ والأحسن القول: إن الفواكه مساوية للرزق، فتشمل الخبز، واللحم؛ لأنهما يؤكلان في الجنة تلذذاً.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: في نيل رزقهم، يصل إليهم من غير تعب، وسؤال، كما في رزق الدنيا. ولهم إكرام من الله ـ عز وجل ـ برفع الدرجات، وسماع كلامه، ولقائه. ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: حدائق، وبساتين يتنعمون فيها، ليس فيها إلا النعيم المقيم. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلاً، وتحاباً، والتقابل أتم للسرور، وآنس. وقيل: الأسِرَّة تدور كيف شاؤوا، فلا يرى أحد قفا أحد. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: على سرر مكللة بالدر، والياقوت، والزبرجد.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾: قال الزجاج: أي: من خمر تجري، كما تجري العيون على وجه الأرض، ومعين: ماء جار ظاهر للعيون، يقال: معين ومُعُن، كما يقال: رغيف، ورُغُف، فهو فعيل من: مَعُن الماء: إذا جرى، أو من الماعون، وهو المنفعة؛ لأنه نفاع، أو هو مفعول من: عانه؛ إذا أدركه بعينه؛ لأنه لظهوره مدرك بالعيون. وقال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿مَّعِينٍ﴾ اسم فاعل من: معُن بضم العين، كشريف من: شرف، أي: من شراب معين، أو نهر معين، ظاهر للعيون، أو خارج من العيون، وهو صفة للماء، من: عان: إذا نبع، وصف الله به خمر الجنة؛ لأنها تجري كالماء.

هذا؛ ولم يذكر الله تعالى هنا الطائفين عليهم، وذكره بسورة (الواقعة) بقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾. هذا؛ والكأس عند أهل اللغة: اسم شامل لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس. قال الضحاك، والسدي: كل كأس في القرآن فهي الخمر، والعرب تقول للإناء إذا كان فيه خمر: كأس، فإذا لم يكن فيه خمر، قالوا: إناء، وقدح، كما يقال للخوان إذا كان عليه طعام: مائدة، فإذا لم يكن عليه طعام؛ لم يقل له مائدة. قال أبو الحسن بن كيسان: ومنه ظعينة للهودج إذا كان فيه المرأة. وأضيف أنه لا يقال: ذنوب وسجل إلا وفيه ماء، وإلا؛ فهو دلو. ولا يقال: جراب إلا؛ وهو مدبوغ، وإلا؛ فهو إهاب، ولا يقال: قلم إلا وهو مُبْرى، وإلا؛ فهو أنبوب. هذا؛ وقد تسمى الخمر كأساً، تسمية للشيء باسم محله. ﴿بَيْضَآءَ﴾: قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن. ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي:

ذات لذة، فحذف المضاف، وقيل: هو مصدر وصف به للمبالغة، أو لأنها تأنيث «لذ» بمعنى: لذيذ، مثل: نبات غض، وغضيض. قال الراعي النميري: [الطويل]

وَلَذٍّ كَطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكْتُهُ ... بَأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: غائلة، كما في خمر الدنيا تغتال العقول. قال الشاعر: [المتقارب]

فَمَا زالَتِ الكَأسُ تَغْتَالُنَا ... وَتَذْهَبُ بِالأَوَّلِ الأَوَّلِ

أي: تصرعنا واحداً واحداً. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة، فنزهها عن هذه الخصال. انتهى. فخمر الجنة طعمها طيب كلونها؛ فلا خمار يصدع الرؤوس، ولا سكر، ولا عربدة يذهب لذة الاستمتاع، كما هي الحال في خمر الدنيا. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس، أي: تذهب بها. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: لاتذهب عقولهم بشربها. يقال: نزف الرجل ينزف، فهو منزوف، ونزيف: إذا سكر، قال الشاعر: [المتقارب]

وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمَشْيِ النَّزِيـ ... ـفِ يَصْرَعُهُ بِالْكَثِيبِ الْبَهَرْ

البهر: الكلال، وانقطاع النفس. وقال جميل بن معمر - وهذا هو الشاهد رقم (١٥٩) من كتابنا: «فتح القريب المجيب» -: [الكامل]

فَلَثَمْتُ فَاهَا آخذاً بِقُرُونِهَا ... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرَجِ

هذا وقرأ حمزة، والكسائي بكسر الزاي، وتابعهما عاصم في سورة (الواقعة): ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ وذلك من: أنزف الشارب: إذا نفد عقله، أو شرابه، وأصله للنفاد، يقال: نزف المطعون: إذا خرج دمه كله. ونزحت الركية؛ حتى نزفتها، وهو يفيد أن الفعل يكون لازماً، ومتعدياً.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِزْقٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مَّعْلُومٌ﴾: صفة له، ونائب فاعله محذوف، التقدير: معلوم وقته، أو معلوم صفاتُه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَوَٰكِهُ﴾: بدل، أو عطف بيان لـ: ﴿رِزْقٌ﴾، وأجيز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هو ﴿فَوَٰكِهُ﴾، فتكون الجملة الاسمية هذه في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رِزْقٌ﴾. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال، (هم مكرمون): مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير، والعامل في الحال اسم الإشارة، وهو أولى من اعتبار الجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿فِي جَنَّٰتِ﴾: جار ومجرور فيهما ثلاثة أوجه: الأول: اعتبارهما متعلقين بمحذوف خبر ثان لـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾. والثاني: اعتبارهما متعلقين

بمحذوف حال من الضمير المستكن في: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾. والثالث: اعتبارهما متعلقين بـ: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾. و﴿جَنَّٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: يجوز فيهما ما جاز في: ﴿فِي جَنَّٰتِ﴾ من اعتبارات. ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾، أو حال من الضمير المستتر في: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾، وعليه فالجار والمجرور ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ متعلقان به، أو هما متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: يطوف عليهم طوفاناً كائناً بكأس.

﴿يُطَافُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. ﴿بِكَأْسٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (كأس). والجملة الفعلية: ﴿يُطَافُ...﴾ إلخ تحتمل أن تكون مستأنفة، وأن تكون في محل رفع خبر آخر للمبتدأ، وأن تكون في محل نصب حال من الضمير المستكن في: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾. وقيل: في محل رفع صفة لـ: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ أيضاً. ﴿بَيْضَآءَ﴾: صفة: (كأس) مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة، ووزن: فعلاء، أو منع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿لَذَّةٍ﴾: صفة ثانية لـ: (كأس). ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿لَذَّةٍ﴾، أو بمحذوف صفة له.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿غَوْلٌ﴾: مبتدأ مؤخر. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل جر صفة ثالثة لـ: (كأس)، أو هي في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يُنزَفُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على ما فيها من اعتبارات.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَعِندَهُمْ﴾: عند عباد الله المخلصين. ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: نساء قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم؛ قاله ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وغيرهم. مأخوذ من قولهم: اقتصر على كذا: إذا اقتنع به، وعدل عن غيره. قال امرؤ القيس: [الطويل]

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا

ويروى: فوق الخد، والأول أبلغ. والإِتْبِ: القميص، والمحول: الصغير من الذر. ﴿عِينٌ﴾: عظام العيون، شديدات بياضها، شديدات سوادها. ومنه قيل لبقر الوحش: عين، والثور

أعين، والبقر عيناء. ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾: مصون، قال الحسن، وابن زيد: شبهن ببيض النعام، تكنها النعامة بالريش من الريح، والغبار، فلونها أبيض في صفرة، وهو أحسن ألوان النساء. وقال ابن عباس، وابن جبير، والسدي: شبهن ببطن البيض قبل أن يقشر، وتمسه الأيدي.

وفي الحديث عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولُ الناس خروجاً إذا بُعِثُوا، وأنا خطيبُهُمْ إذا وَفَدُوا، وأنا مُبَشِّرهم إذا حَزِنُوا، وأنا شفيعهم إذا حُبِسوا، لِوَاءُ الحمْدِ يومئذٍ بيدِي، وأنا أَكْرَمُ وَلَدِ آدم على اللهِ ـ عز وجلَّ ـ ولا فخرَ، يطوفُ عليَّ أَلْفُ خادِمٍ، كَأَنَّهُنَّ البيضُ المكنونُ، أو اللؤلُؤ المكنونُ**». أخرجه ابن أبي حاتم، وروى بعضه الترمذي.

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾؟ قال: «**رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الجلْدِ الذي في داخل البيضة، ممَّا يَلي الْقِشْر**». والعرب تشبه النساء بالبيض من ثلاثة أوجه: أحدها: بالصحة، والسلامة عن الطمث، أي: الجماع، ومنه قول الفرزدق: [الوافر]

خَرجْنَ إِلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي ... وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ
فَبِتْنَ بِجَانِبَيَّ مُصَرَّعَاتٍ ... وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ

والثاني: في الصيانة والستر؛ لأن الطائر يصون بيضه، ويحضنه. والثالث: في صفاء اللون، ونقائه؛ لأن البيض يكون صافي اللون نقيه؛ إذا كان تحت الطائر. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٢٦] من سورة (الشعراء) بشأن بيتي الفرزدق، وخذ قول امرئ القيس في معلقته رقم [٣١]: [الطويل]

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُهَا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِها غَيْرَ مُعْجَلِ

وتقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن، والنظافة: كأنه بيض النعام المغطى بالريش. وقيل: المكنون: المصون عن الكسر، أي: إنهن عذارى. وقيل: المراد بالبيض: اللؤلؤ، كقوله تعالى في سورة (الواقعة): ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ أي: في أصدافه. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً. ومنه قول الشاعر: [الخفيف]

وهي بَيْضَاءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوْ ... وَاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مَكْنُونِ

وإنما أفرد المكنون، وذُكِّر في الآية الكريمة؛ والبيض جمع؛ لأنه رد النعت إلى اللفظ، لا إلى المعنى. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يتفاوضون فيما بينهم أحاديثهم في الدنيا، وهو من تمام الأنس في الجنة. والمعنى: يشربون من خمر الجنة الموصوف بما ذكر، فيتحادثون على الشراب كعادة الشُّرَّاب. قال بعضهم (ونسب للفرزدق): [الوافر]

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلَّا ... أحاديثُ الكرامِ عَلَى المُدامِ

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم في الدنيا؛ إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله تعالى في التعبير عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه، وسورة (الطور) شرحت هذا التساؤل، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] لترى تساؤل الكافرين، والظالمين فيما بينهم. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾ في الآية رقم [٥٢] من سورة (صٓ).

الإعراب: ﴿وَعِندَهُمۡ﴾: الواو: حرف عطف، (عندهم): ظرف مكان متعلق بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو صفة لموصوف محذوف، كما رأيت في الشرح. و﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ مضاف، و﴿ٱلطَّرۡفِ﴾ مضاف إليه، وهذه الإضافة تحتمل أن تكون من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، وأن تكون من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية الواقعة خبراً لـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في الآية رقم [٤١]. ﴿عِينٞ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف. ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿بَيۡضٞ﴾: خبرها، ﴿مَّكۡنُونٞ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ثالثة للموصوف المحذوف، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿فَأَقۡبَلَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أقبل): فعل ماض، ﴿بَعۡضُهُمۡ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُطَافُ ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿بَعۡضُهُمۡ﴾، وما عطف عليه، والرابط: الضمير فقط.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: من الذين يتحادثون فيما بينهم؛ وهم جلوس على السرر، والخدم بين أيديهم يسعَوْن، ويجيئون بكل خير عظيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ﴾: صديق ملازم، اختلف في هذا القرين، فقيل: هو الشيطان، وقيل: هو مشرك كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر. قال السدي: كان شريكان في بني إسرائيل: أحدهما مؤمن، والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار، لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، ثم افترقا، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا، فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ وساق قصة مشابهة لما ذكرته في سورة (الكهف) رقم [٣٢] وما بعدها. وصرح القرطبي في ذلك حيث أحال على ما ذكر في سورة (الكهف)، ومثله في الخازن. وقال محمد علي الصابوني:

القائل هو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ و(القرين): هو الرجل الذي دخل جنته، وهو ظالم لنفسه، وقد وردت قصتهما في سورة (الكهف).

ثم قال السدي: فإذا كان يوم القيامة، وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة، يمرُّ فإذا هو بأرض، ونخل، وثمار، وأنهار، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هذا لك، فيقول: يا سبحان الله، أَوَبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يمرُّ، فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هؤلاء لك، فيقول: يا سبحان الله، أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يمرُّ فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء، مجوفة فيها حوراء عيناء، فيقول: لمن هذه؟ فيقال: هذه لك، فيقول: يا سبحان الله، أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر، فيقول، ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ...﴾ إلخ انتهى. مختصر ابن كثير بتصرف كبير، كما رأيت.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أي: أأنت تصدق بالبعث، والنشور، والحساب والجزاء؟! يعني بذلك على وجه التعجب، والتكذيب، والاستبعاد، والكفر، والعناد. هذا؛ وقرئ بتشديد الصاد والدال، فيكون المعنى: أأنت تتصدق بالمال طلباً للثواب؟! ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾: انظر الآية رقم [١٦] ففيها الكفاية. ﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجزيون محاسبون بعد الموت. فهو من الدِّين بمعنى: الجزاء، وانظر الآية رقم [٢٠].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿قَائِلٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿قَائِلٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿قَرِينٌ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ قَائِلٌ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، فهي حال متداخلة، وفيها معنى التفسير للتساؤل. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿قَرِينٌ﴾. ﴿أَءِنَّكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من المصدقين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة: ﴿قَرِينٌ﴾. ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا...﴾ إلخ انظر الإعراب كاملاً في الآية رقم [١٦]، مع ملاحظة إبدال ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ بقوله: ﴿لَمَدِينُونَ﴾ وهو لا يخل في الإعراب أبداً، إفراداً وجملاً.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ...﴾ إلخ: الله تعالى لأهل الجنة، وقيل: هو من قول المؤمن لإخوانه في الجنة: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لننظر كيف حال ذلك القرين؟ وقيل: هو من قول الملائكة،

وهو ضعيف؛ لأن الفاعل مفرد. ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: إلى النار لأريكم ذلك الكافر، والاستفهام بمعنى: الأمر مثل قوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٩١]: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. هذا؛ وقرئ (مطْلِعُون) (فأُطْلِعَ) بتسكين الطاء فيهما، وضم الألف، وكسر النون، على معنى: هل أنتم مقبلون، فأقبل؟ وأنكر أبو حاتم، وغيره هذه القراءة. وقال النحاس: هذا لحنٌ لا يجوز؛ لأنه جمع بين النون والإضافة، ولو كان مضافاً؛ لكان اللفظ هل أنتم مُطْلعِيّ؛ وإن كان سيبويه، والفراء قد حكيا مثله، وأنشدا: [الطويل]

هُمُ الْقَائِلُونَ الْخَيْرَ والآمِرُونَهُ إذا ما خَشَوْا مِنْ مُحْدَثِ الأمرِ مُعْظَما

وأنشد الفراء وحده: «والفاعلونه» وأنشد سيبويه وحده: [الطويل]

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ محتَضِرُونَهُ جميعاً وأيدي المعتفينَ رَواهِقُهْ

وهذا شاذ خارج عن كلام العرب، وما كان مثل هذا لا يحتج به في كتاب الله عز وجل، ولا يدخل في الفصيح، وقد قيل في توجيهه: إنه أجرى اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه منه، فجرى: (مُطْلِعُون) مجرى يُطْلِعُونَ. ذكره أبو الفتح عثمان بن جني، وأنشد: [الرجز]

أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ بِهِ أُمْلُودَا مُرَجِّلاً ويلبسُ الْبُرُودَا

أَقَائِلُنَّ: أَحْضِرِي الشُّهُودَا

فأجرى: «أقائِلُنَّ» مجرى: أتقولون، وهذا هو الشاهد رقم (٦٣٦) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ﴾ أي: رأى قرينه. ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في وسط الجحيم، فقد ذُكِر أن بين الجنة والنار كُوَىً، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ له كان في الدنيا؛ اطَّلعَ من بعض الكوى. وعن قتادة قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل عَرَّفه إياه لَمَا عَرَفه، لقد تغير حَبْره وسَبْره؛ أي: لونه، وهيئته. هذا؛ وانظر (سواء) في الآية رقم [١٠] من سورة (يسٓ).

هذا؛ واطَّلعَ أصله: تَطَلَع، فأدغمت التاء في الطاء، بعد قلبها طاءً، وتسكينها؛ لأنهما من مخرج واحد، ثم اجتلبت همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن، ولهذه الكلمة نظائر، مثل: ادَّكَر، وادَّارَك، واطَّير، وازَّيَّنَ، وادَّارَأْتُمْ. وانظر الآية رقم [١٥٣] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله) أو إلى المؤمن، كما رأيت في الشرح، ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّطَّلِعُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَاطَّلَعَ﴾: الفاء: حرف عطف. (اطلع): فعل ماض، والفاعل يعود إلى المؤمن، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على جملة:

﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَرَءَاهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (رآه): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى المؤمن، والهاء العائدة إلى القرين مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فِى سَوَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير المنصوب، و﴿سَوَآءِ﴾ مضاف. و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: المؤمن لقرينه. ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي: أقسم بالله لقد قاربت تهلكني وتوقعني في النار بسبب إغوائك لي، وتزيينك لي الشر، والفساد، وعدم الإيمان بالحساب، والجزاء. وهذا الكلام كأنه شماتة بقرينه الضال، الذي هوى في جهنم وبئس المصير. هذا؛ و﴿تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب، والتاء بدل الباء، وهي مختصة باسم الله تعالى، وربما قالوا: تربي، وترب الكعبة، وتالرحمن، والواو تختص بكل مظهر، والباء بكل مضمر، ومظهر. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ أي: فضله، وتوفيقه، وعصمته من إغوائك، وهدايته لي بالاستمساك بعرى الإيمان؛ لكنت من المحضرين معك في النار، ولكنه رحمني، وتفضل عليَّ، فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾. هذا؛ والإحضار عام في كل شيء، لكن غلب استعماله في الإحضار للعذاب.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى المؤمن، تقديره: «هو» ﴿تَٱللَّهِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة مهملة. ﴿كِدتَّ﴾: فعل ماض ناقص من أفعال المقاربة، مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿لَتُرْدِينِ﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات، وهي لازمة هنا، قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: []

وَخُفِّفَتْ إِنَّ فَقَلَّ العَمَلُ ... وتلزمُ اللامُ إذَا مَا تُهْمَلُ

(تردين): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت» والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، المدلول عليها بكسرة النون مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كادت) وجملة: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿نِعْمَةُ﴾: مبتدأ. وهو مضاف، و﴿رَبِّى﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، وخبر المبتدأ محذوف، التقدير: موجودة، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَكُنتُ﴾:

اللام: واقعة في جواب (لولا). (كنت): فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿لَكُنتُ...﴾ إلخ جواب (لولا) لا محل لها، و(لولا) ومدخولها معطوفة على ما قبله، فهو في محل نصب مقول القول مثله.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: قيل: يقول أهل الجنة هذا للملائكة حين يُذبح الموت بين الجنة والنار، وينادي مناد: يا أهل الجنة خلود لا موت! ويا أهل النار خلود لا موت! كما رأيت في سورة (مريم) رقم [٣٩] فتقول الملائكة لهم: لا، فيقولون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: وإنما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون، ولا يعذبون، ليفرحوا بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام؛ لأنهم قد علموا: أنهم ليسوا بميتين، ولا معذبين، ولكن أعادوا الكلام؛ ليزدادوا سروراً بتكراره. انتهى. خازن.

وقيل: يقول هذا الكلام المؤمن لقرينه الضال مستهزئاً به، وساخراً منه، كما كان ذلك الضال يستهزئ به في الدنيا. والمعنى: هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتةً واحدة، وأنه لا حساب، ولا جزاء، ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساحر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الضال، والتحدث بنعمة الله عليه. انتهى. صفوة التفاسير للصابوني.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾: والمعنى: أنخلد، ولا نموت. ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي ذقنا مرارتها في الدنيا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: والمعنى: أنحن آمنون من العذاب، فلا نعذب؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: النعيم المقيم في الجنة. ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: الفلاح، والنجاح، والربح العظيم؛ الذي لا يعدِلُه شيء. ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ أي: النعيم المقيم، والربح العظيم. ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ أي: الموجودون في الدنيا، فليعملوا له، فإنه جدير بالاهتمام، وصرف الوقت في تحصيله. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَمَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسمها. ﴿بِمَيِّتِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ميتين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية معطوفة على جملة محذوفة. إذ التقدير: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بميتين. والكلام في محل نصب مقول القول. وهو يحتمل ما رأيته في الشرح من أن القائل المؤمن، أو أهل الجنة جميعاً. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَوْتَتَنَا﴾: مفعول مطلق، والعامل فيه: (ميتين). وقيل: هو استثناء

منقطع، التقدير: لكن الموتة الأولى كانت لنا في الدنيا. وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى في سورة (الدخان): ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿الْأُولَىٰ﴾: صفة (الموتة) منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما نحن بمعذبين) إعرابها مثل إعراب (ما نحن بميتين) وهي معطوفة عليها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسمها. والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَهُوَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الْفَوْزُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿الْعَظِيمُ﴾: صفة له. والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ وإن كان الضمير فصلاً، لا محل له؛ فخبر: ﴿إِنَّ﴾ هو: ﴿الْفَوْزُ﴾، ودخلت اللام على ضمير الفصل؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على الخبر؛ فدخولها على الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر. وأصلها أن تدخل على المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ تحتمل أن تكون من قول الله تعالى، وأن تكون من قول المؤمن.

﴿لِمِثْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. و(مثل) مضاف، و﴿هَٰذَا﴾ مضاف إليه، فهو اسم إشارة مبني على السكون في محل جر، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿فَلْيَعْمَلِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. اللام: لام الأمر. (يعمل): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿الْعَامِلُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب الشرط مقدر بـ: «إذا»، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً فليعمل العاملون لمثله. والكلام مثل سابقه يحتمل أن يكون من قول الله تعالى، وأن يكون من قول المؤمن.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله تعالى ما أعده للأبرار في دار النعيم؛ ذكر ما أعده للأشرار في دار الجحيم، وذلك من باب المقابلة، والمقارنة؛ ليظهر التمييز بين الفريقين.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾ إلخ: أي: أهذا الذي ذكر من نعيم الجنة، وما فيها من مآكل، ومشارب، ومناكح، وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة، وعطاء، أم شجرة الزقوم؛ التي في جهنم؟!. هذا؛ والنزل: ما يهيأ من الطعام، والشراب، والإكرام للنازل، قال أبو السعد الضبي، وقد استعار ما يعد للضيف النازل لما يفعله بالأعداء الهاجمين على قومه وعليه: [الطويل]

وَكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ بِالجَيْشِ ضَافَنَا … جَعَلْنَا القَنَا وَالمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزْلَا

و﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ مشتقة من التزقم، وهو البلع على جهدٍ لكراهتها، ونتنها، وهي تحيا بلهب النار، كما تحيا الشجرةُ في الدنيا بالماء البارد. واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا؛ التي تعرفها العرب، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا. ومن قال بهذا اختلفوا فيها، فقال قطرب: إنها شجرة مُرَّة تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: بل هو كل نبات قاتل. وفي القاموس المحيط: نبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل. القول الثاني: إنها لا تعرف في شجر الدنيا. فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقدم عليهم رجل من إفريقية، فسألوه، فقال: هو عندنا الزُّبْدُ، والتمر. فقال ابن الزِّبَعْرى: أكثر الله في بيوتنا الزقوم. فقال أبو جهل الخبيث لجاريته: هاتي زقِّمينا، فأتته بزُبْد، وتمر، ثم قال لأصحابه: تَزَقَّمُوا هذا الذي يخوفنا به محمد، يزعم: أن النار تنبت الشجر؛ والنار تحرق الشجر. انتهى. قرطبي.

هذا وفي ذلك دلالة واضحة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة إنما هو بمنزلة ما يهيأ للضيف النازل على غيره، ولهم فيما وراء ذلك ما تقصر عنه الأفهام، لهم فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وكذلك الزقوم بمنزلة ما يهيأ للضيف النازل، ولأهل النار فيما وراء ذلك من المقت والسخط و العذاب الأليم والعقاب الشديد ما ذكرته الآيات القرآنية في كل موطن من مواطن الكلام على أهل النار.

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾: وذلك: أنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة، وهي تحرق الشجر؟! والمراد: بالظالمين: المشركين هنا، والفتنة: الاختبار، والابتلاء، وكان هذا القول منهم جهلاً؛ إذ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في النار شجراً من جنسها لا تأكله النار، كما يخلق الله فيها الأغلال، والقيود، والحيات، والعقارب، وخزنة جهنم. ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾: قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع في دركاتها. ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها، والطلع أصله للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم، من حملها؛ إما استعارة معنوية، أو لفظية، وتشبيهه برؤوس الشياطين، دلالة على تناهيه في الكراهية، وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم: أنه شر محض، لا يخالطه خير، فيقولون في قبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون؛ جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدر، وأهوله، كما أنهم إذا اعتقدوا في الملك الخير المحض، ولا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة. فقد حكى الله تعالى على النسوة اللاتي قلن في وصف يوسف على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وهذا تشبيه تخييلي، روي معناه عن ابن عباس، والقرظي، ومنه قول امرئ القيس: [الطويل]

أَيَقْتُلُني والمشرفِيُّ مضاجِعِي ... وَمَسْنونَةٌ زُرقٌ كأنيابِ أَغْوالِ

وإن كانت الغول لا تعرف، ولكن لما تصوَّر من قبحها في النفوس، وذلك من باب التمثيل، والتخييل، وذلك: أن كل ما يستقبح في الطباع، والصورة يُشَبَّه بما يتخيله الوهم، وإن لم يره.

والشياطين وإن كانوا موجودين، لكنهم غير مرئيين للعرب، إلا أنه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات. هذا؛ وإن رأس الشياطين شجر بعينه بناحية يسمى الأستن، وهو شجر مر، منكر الصورة، سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القبح، ثم صار أصلاً يشبه به، فهو تشبيه حقيقي. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين، والغيلان. وقال الزجاج، والفراء: الشياطين حيات لها رؤوس، وأعراف، وهي من أقبح الحيات، وأخبثها، وأخفها جسماً، قال الراجز، وقد شبه المرأة بحية لها عرف: [الرجز]

عَنْجَرِدٌ تحلفُ حين أحلِفُ   كَمِثْلِ شيطانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ

الحماط: نوع من النبات، الواحدة: حَمَاطة، و الأعرف: الذي له عُرْف، والعنجرِد: المرأة السليطة، أو الخبيثة أو السيئة الخلق. انتهى. قاموس. وقال الشاعر يصف ناقته: [الطويل]

تُلاعِبُ مثْنى حَضْرَميٍّ كأنَّهُ   تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بذي خِرْوَعٍ قَفْرِ

التعمُّجُ: الاعوجاج في السير، وسهم عَمُوج: يتلوَّى في ذهابه، وتعمجت الحية: إذا تلوت في سيرها. وقال الزمخشري في تفسير الزقوم: هو شجر خشن، منتن، منكر الصورة يسمى ثمره: رؤوس الشياطين. انتهى. قرطبي، وكشاف، وغيرهما. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَذَٰلِكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي لأهل النار. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف، والقائل هو الله، أو الملائكة حسب ما تقدم، وقيل: التقدير قل يا محمد لهؤلاء الكافرين: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾ إلخ، والمعنى لا يؤيده. ﴿نُّزُلًا﴾: تمييز، وقيل: حال، وهو قول الزمخشري، فإنه قال: ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أثمر النخلة خير بلحاً أم رطباً؟ ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿شَجَرَةُ﴾: معطوف على اسم الإشارة، و﴿شَجَرَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلزَّقُّومِ﴾ مضاف إليه، وحذف ما بعده لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: أم شجرة الزقوم خير نزلاً. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً﴾: ماض ومفعولاه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية من جملة المقول، وهو يقوي، ويؤيد: أن القائل لأهل النار هذا الكلام إنما هو الله تعالى. ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فِتْنَةً﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿إِنَّهَا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿شَجَرَةٌ﴾: خبرها. والجملة الاسمية مستأنفة، ومبينة لحقيقة: ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾، لا محل لها. ﴿تَخْرُجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿شَجَرَةٌ﴾، أو في محل رفع خبر ثان لـ: (إنّ). ﴿فِىٓ أَصْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أو هما متعلقان بالفعل: ﴿تَخْرُجُ﴾، و﴿أَصْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه. ﴿طَلْعُهَا﴾: مبتدأ، و(ها): ضمير

متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَأَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿رُءُوسُ﴾: خبر: (كأنَّ) وهو مضاف، و﴿ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿كَأَنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: (إنَّ)، أو في محل نصب حال من فاعل ﴿تَخْرُجُ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ أي: من شجرة الزقوم. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: يأكلون منها حتى يملؤوا بطونهم. فقد ذكر الله تعالى أنهم يأكلون من شجرة الزقوم؛ التي لا أبشع منها، ولا أقبح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم، ونتن الريح، وخبث الطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها؛ لأنهم لا يجدون إلا إياها، وما هو في معناها، كما قال تعالى في سورة (الغاشية): ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾.

فقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، وقال: «**اتقوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، فَلَوْ أَنَّ قطرةً مِنَ الزقومِ قطرتْ في بحارِ الدُّنْيا لأفسدتْ على أهلِ الأرضِ مَعَايِشَهُمْ، فكيفَ بمَنْ تَكونُ طَعَامَهُ؟!**». أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: بعد ما شبعوا منها، وغلبهم العطش. ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: مزجاً من حميم. وقال غيره: يعني: يمزج لهم الحميم بصديد، وغساق مما يسيل من فروجهم، وعيونهم. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ قال: (إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارًّاً مرَّ بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوْه من أفواههم أشوى من حره لحوم وجوههم؛ التي سقطت عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم، وتتساقط جلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور). هذا حديث موقوف على تابعي، أخرجه ابن أبي حاتم. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وهو مأخوذ فحواه من قوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٢٩]: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾، وقوله تعالى في سورة الحج رقم [٢٠]: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (محمد ﷺ) رقم [١٥]: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ وينبغي أن تعلم أن كل واحد مما ذكر مميت، ومهلك، ولكن لا موت، كما قال

تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [١٧]: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

هذا و(شَوباً) بفتح الشين مصدر على أصله، وقيل: يراد به اسم المفعول، ويدل على قراءة بعضهم: (لَشُوباً) بضم الشين. قال الزجاج: المفتوح مصدر، والمضموم اسم بمعنى: المشوب، كالنقض بمعنى: المنقوض، والفعل منه: شابه، يشوبه من باب: قال: إذا خلطه، فهو الخلط.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: مصيرهم، ومرجعهم إلى دركات الجحيم. قال مقاتل: الحميم خارج الجحيم، فهم يوردون الحميم لشربه، ثم يردون إلى الجحيم. وقال أبو السعود: الزَّقوم، والحميم نزلٌ يقدَّم إليهم قبل دخولها. وقال النسفي: أي إنهم يذهب بهم عن مَقَارِّهم، ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يمتلئوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم. انتهى. وهو كلام جيد، وجدير بالاعتبار.

هذا؛ و﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم. والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في مغني اللبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق «رُبَّ» و«لَا» العاملة عمل ليس، فيقال: ثُمَّتْ، وَرُبَّتْ، ولَات، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح. هذا؛ و(ثم) هذه غير: «ثَمَّ» بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة فيقال: ثَمَّةَ.

الإعراب: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَآكِلُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (آكلون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنْهَا﴾: جار، ومجرور متعلقان بما قبلهما وهما في محل المفعول به، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَمَالِئُونَ﴾: الفاء: حرف عطف. (مالئون): معطوف على (آكلون) مرفوع مثله. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْبُطُونَ﴾: مفعول (مالئون). ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾، تقدم على اسمها. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما تعلق به ما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان. ﴿لَشَوْبًا﴾: اللام: لام الابتداء. (شوباً): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (شوباً). والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ لَهُمْ...﴾ إلخ. معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿مَرْجِعَهُمْ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله. ﴿لَإِلَى﴾: اللام: هي المزحلقة. (إلى الجحيم): متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة. ﴿أَلْفَوْا﴾: وجدوا. ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾: في الضلال فاقتدوا بهم، وساروا على نهجهم. وهو ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾. الآية رقم [١٧٠] من سورة (البقرة). ومثلها في سورة (لقمان) رقم [٢١]. هذا؛ و«ضَلَّ»: بمعنى: كفر، وأشرك. وهو المراد في هذه الآية وهو ضد: اهتدى، واستقام، ومصدره الضلال، ويأتي: «ضَلَّ» بمعنى: غاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾، ويأتي بمعنى: خفي، يخفى، وغاب يغيب أيضاً. قال تعالى في سورة (طه) حكاية عن قول موسى لفرعون: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ رقم [٥٢]. و﴿ضَلَّ﴾ الشيء: ضاع، وهلك. و«ضَلَّ» أخطأ في رأيه، ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب لقولهم في حضرته: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾. وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. و«ضَلَّ»: تحير، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لحبيبه محمد ﷺ في سورة (الضحى): ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾. هذا؛ وأضلَّ، يُضِل غيره من الرباعي، ومصدره: الإضلال، فهو متعد، والثلاثي لازم. هذا؛ والضلال: الخروج عن جادة الحق، والانحراف عن الصراط المستقيم. وينبغي أن تعلم: أن طريق الهدى واحدة، لا اعوجاج فيها، ولا التواء، وأما الضلال؛ فطرقه كثيرة، ومتشعبة، قال تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾. الآية رقم [٣٢] وقال الشاعر الحكيم: [البسيط]

الـطُّـرقُ شَـتَّـى وطـرقُ الـحـقِّ مـفـردةٌ ... وَالـسَّـالِـكُـونَ طَـرِيـقَ الـحـقِّ أفـرادُ

لا يُـعْـرَفـون ولا تُـدَرى مـقـاصِـدُهُـمْ ... فَـهَـمْ عَـلَـى مَـهَـلٍ يَـمْـشُـونَ قُـصَّـادُ

والـنـاسُ فـي غـفـلـةٍ عـمَّـا يُـرادُ بـهـمْ ... فـجـلُّـهُـمْ عَـنْ سَـبـيـلِ الـحـقِّ رُقَّـادُ

﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ أي: فهم يسرعون في اتباع خطاهم من غير دليل، ولا برهان، قال مجاهد: شبهه بالهرولة كمن يسرع إسراعاً نحو الشيء، والإهراع: الإسراع برعدة. قاله الفراء. هذا؛ وقيل: هذا الفعل ملازم للبناء للمفعول، مثل: أُولِعَ، يُولَعُ، والصواب: أنه يأتي بصيغة المبني للفاعل، وبه قرأ جماعة في الآية رقم [٧٨] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ويكون من الباب الثالث، مثل: فَتَحَ، يَفْتَحُ، ولكن الأول أكثر، وأشهر، قال مهلهل: [الوافر]

فَـجَـاؤُوا يُـهْـرَعُـونَ وَهُـمْ أُسَـارَى ... نَـقُـودُهُـمُ عَـلَـى رَغْـمِ ٱلأُنـوفِ

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: كفر، وأشرك قبل أهل مكة. ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: الأمم الماضية، لذا ما الإيمان بجانب الكفر إلا كشامة بيضاء في جلد ثور أسود. وقد بينته مراراً. هذا؛ و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمع: أول، وفيه مسائل:

الأولى: الصحيح: أنه أصله: (أَوْأَل) بوزن أَفْعَلَ، قلبت الهمزة الثانية واواً، ثم أُدغمت في الأولى، بدليل قولهم في الجمع: أوائل، وقيل: إن أصله: (وَوَّل) بوزن فوْعل، قلبت الواو الأولى همزة، وإنما لم يجمع على (أَوَاوِل) لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع.

الثانية: الصحيح: أن أول لا يستلزم ثانياً، وإنما معناه ابتداء الشيء، ثم قد يكون له ثان، وقد لا يكون، تقول: هذا أول مالٍ اكتسبته، وقد لا تكتسب بعده شيئاً، وقد تكتسب، وقيل: إنه يستلزم ثانياً، كما أن الآخر يقتضي أولاً، فلو قال: إن كان أول ولدٍ تلدينه ذكراً، فأنت طالق، فولدت ذكراً، ولم تلد غيره؛ وقع الطلاق على الأول دون الثاني.

الثالثة: لأول استعمالان: أحدهما: أن يكون صفة، أي: أفعل تفضيل بمعنى: الأسبق، فيعطى هذا حكم أفعل التفضيل من منع الصرف، وعدم تأنيثه بالتاء، ودخول مِنْ عليه، نحو هذا أَوَّلُ هذين، ولقيته عاماً أَوَّلَ، والثاني: أن يكون اسماً مصروفاً، نحو لقيته عاماً أولاً، ومنه قولهم: ما له أولٌ، ولا آخرٌ، قال أبو حيان رحمه الله تعالى: في محفوظي: أن هذا يؤنث بالتاء، ويصرف أيضاً، فيقال: أَوَّلةٌ وآخِرةٌ بالتنوين. انتهى. جمع الجوامع شرح همع الهوامع للسيوطي.

الإعراب: ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿أَلْفَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾: مفعول به أول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ضَآلِّينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يُهْرَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، وإن كانت صيغته للمفعول، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم، (قد): حرف تحقيق، يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض، ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَكْثَرُ﴾: فاعل: ﴿ضَلَّ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضاف

إليه مجرور . . .إلخ، وجملة: (لقد. . .) إلخ جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٦٢] من سورة (يسٓ).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم﴾ أي: في الأولين. ﴿مُّنذِرِينَ﴾ أي: رسلاً خوفوهم غضب الله، وعقابه الشديد، وعذابه الأليم في الآخرة، فكذبوهم. ﴿فَانظُرْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتى منه النظر نظر تبصر، واعتبار، فيعتبر العاقل، وينزجر بذلك الاعتبار عن الأعمال القبيحة، والأفعال الخبيثة. ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾: الذين كذبوا، وأعرضوا عن الإيمان بالله، ورسله، وعاقبة كل شيء: آخره ونتيجته، ولم يؤنث الفعل: ﴿كَانَ﴾ لأن ﴿عَاقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث، أو لأن: ﴿عَاقِبَةُ﴾ اكتسبت التذكير من المضاف إليه. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لكن عباد الله المخلصين الموحدين؛ الذين استخلصهم الله من الكفر. وانظر تتمة الكلام في الآية رقم [٣٨]. هذا؛ وبين (المُنْذِرين) و﴿الْمُنذَرِينَ﴾ جناس ناقص لاختلاف المعنى، واختلاف حركة الذال فيهما.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِيهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما مفعول ثان تقدم على الأول. ﴿مُّنذِرِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة: (لقد. . .) إلخ، جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَانظُرْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (انظر): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ كَانَ﴾: في ﴿كَانَ﴾ وجهان: أحدهما: أنها الناقصة، و﴿عَاقِبَةُ﴾: اسمها، و﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبرها، تقدم عليها، وعلى اسمها. والثاني: أنها تامة، و﴿عَاقِبَةُ﴾: فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾: في محل نصب حال من: ﴿عَاقِبَةُ﴾ تقدمت على عاملها، وصاحبها. و﴿عَاقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿الْمُنذَرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور. . .إلخ، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ، في محل نصب سدت مسد مفعول: (انظر)، وجملة: ﴿فَانظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت الفاء الفصيحة؛ فالجملة الفعلية تكون جواباً لشرط مقدر بـ: «إذا» التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً؛ فانظر. . . إلخ، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عِبَادَ﴾: استثناء منقطع؛ لأن ما قبله وعيد، وهم لم يدخلوا في هذا الوعيد. و﴿عِبَادَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ أي: ولقد دعانا نوح حين أيس من قومه، فقال: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾، وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾. ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ أي: دعانا فأجبناه، وأهلكنا قومه، والجمع دليل العظمة، والكبرياء، وانظر (نا) في الآية رقم [٣٤] من سورة (يس) والمعنى: إنا أجبناه أحسن الإجابة، ونصرناه على أعدائه، وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: ومن آمن به، وأولاده. ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: من الغم الذي لحق قومه، وهو الغرق. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما خرج نوح من السفينة مات مَن معه من الرجال، والنساء إلا ولده، ونساءه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾. وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: كان ولد نوح ثلاثة، والناس كلهم من ولد نوح، فسام أبو العرب، وفارس، والروم، واليهود، والنصارى. وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب: السند، والهند، والنوب، والزنج، والحبشة، والقبط، والبربر، وغيرهم. ويافث أبو الصقالبة، والترك، واللان، والخزر، ويأجوج، ومأجوج، وما هنالك. وقال قوم: كان لغير ولد نوح أيضاً نسل، بدليل قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾. رقم [٣] من سورة (الإسراء)، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...﴾ إلخ رقم [٥٨] من سورة (مريم)، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ...﴾ إلخ. رقم [٤٨] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. فعلى هذا معنى الآية: وجعلنا ذريته، وذرية من آمن معه هم الباقين، دون ذرية من كفر، فإنهم أغرقوا بسبب كفرهم.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أي: تركنا عليه ثناءً حسناً في كل أمة، فهو كناية لطيفة عن ذلك، فإنه محبب إلى الجميع، حتى إن في المجوس من يقول: إنه أفريدون، وقيل المراد في الآخرين: أمة محمد ﷺ. وقيل: في الأنبياء؛ إذ لم يبعث بعده نبي إلا أمر بالاقتداء به، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا...﴾ إلخ الآية رقم [١٣] من سورة (الشورى). هذا والذكر الحسن الجميل للإنسان بعد موته عمر ثان له، كما قال أحمد شوقي ـ رحمه الله تعالى ـ: [الكامل]

إنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَثَوانِ … دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لهُ

فالذِّكْرُ للإنسانِ عُمْرٌ ثانِ … فارْفَعْ لنفسِكَ قَبْلَ موتِكَ ذِكْرَها

هذا؛ ونوح اسمه: السكن، وقيل: عبد الغفار، وسمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، وهو ابن لَمَكَ بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس النبي، وكان نوح نجاراً، واختلفوا في سبب نوحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مر بكلب مجذوم، فقال له: إخْسَأْ يا قبيح! فأوحى الله إليه: أعبتني أم عبت الكلب؟! وقيل: أنطق الله الكلب، فقال له: أتسخر من الخالق، أم من المخلوق؟ وهو أول رسول بعث بشريعة، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف، وكان أول من عذبته أمته لردهم دعوته، وأهلك الله أهل الأرض بدعائه، وكان أبا البشر كآدم، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وكان أطول الأنبياء عمراً، عمر ألفاً وخمسين سنة. وقيل: أكثر. لم تنقص قوته، ولم يشب، ولم تسقط له سن، وصبر على أذى قومه طول عمره، وكان أبواه مؤمنين بدليل دعوته لهما بالمغفرة في الآية الآخرة من سورة (نوح). يروى: أن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال له: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدتها كدار، لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

هذا؛ والأهل: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، والأهل: العشيرة، وذوو القربى، ويطلق على الزوجة، وعلى الأتباع بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾. والجمع: أَهْلون، وأَهَال، وآهال، وأَهْلَات، وَأَهَلَات، وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ الآية رقم [٦] من سورة (التحريم).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾ انظر الآية رقم [٦٩]. ﴿نَادَىٰنَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، و(نا): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿نُوحٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية جواب القسم. والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَلَنِعْمَ﴾: الفاء: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نعم): فعل ماض جامد لإنشاء المدح. ﴿ٱلْمُجِيبُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة... إلخ، والمخصوص بالمدح محذوف، التقدير: نحن، وجملة: «لنعم المجيبون نحن» جواب القسم المحذوف، والقسم المحذوف وجوابه كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب القسم، لا محل لها مثله. ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، وجوز اعتباره مفعولاً معه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة: ﴿ٱلْكَرْبِ﴾. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿ذُرِّيَّتَهُۥ﴾: مفعول به أول. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وجملة ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ، معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَتَرَكْنَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، التقدير: تركنا ثناءً حسناً. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار

ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية للموصوف المحذوف. ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف، أو هما المفعول الثاني للفعل: (تركنا)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: سلام عاطر من الله تعالى، والخلائق على نوح باق على الدوام بدون انقطاع. قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: بلغني: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قال حين يُمسي: سلام على نوحٍ في العالمين لَمْ تلدغه عقربٌ**». ذكره أبو عمر في التمهيد. وفي الموطأ عن خولة بنت حكيم ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نَزَلَ منزلاً، فلْيقلْ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامات مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ فإنه لا يَضُرُّهُ شَيءٌ حتى يَرْتَحِلَ**». ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: هذا تعليل لما فعل بنوح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ من إكرامه بإجابة دعائه، وإبقاء ذريته، وذكره الجميل، وتسليم العالمين عليه، فعلَّل ذلك بكونه من زمرة المأمورين بالإحسان، الراسخين فيه، وإن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فهذا تعليل لإحسانه بإيمانه، إجلالاً لشأن الإيمان وشرفه، وترغيباً في تحصيله، والثبات عليه، والازدياد منه، كما قال تعالى في مدح إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى، فلا يرد: كيف مدح نوحاً، وإبراهيم، وغيرهما كموسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام بذلك مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

هذا؛ والإضافة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾ إضافة تشريف، وتعظيم، وتبجيل، وذكر العبودية مقام عظيم. والعبد: الإنسان حراً كان، أو رقيقاً، ويجمع على عبيد، وعباد، وأعبد، وعبدان، وعبدة، وغير ذلك.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ أي: أغرقنا الكافرين؛ الذين لم يؤمنوا بنوح عن بكرة أبيهم، فلم تبق منهم عين تطرف، ولا ذكر، ولا أثر. هذا؛ و﴿ٱلْآخَرِينَ﴾ جمع: آخر، ومؤنثه: أخرى، وكلاهما بمعنى: غير، وأخرى تجمع على: أُخر، وأخريات، والآخَر (بفتح الخاء) يكون ما قبله، وما بعده من جنسه. هذا؛ والآخِر (بكسر الخاء) لا يكون بعده شيء غيره، ومؤنثه: أخرى، وآخرة أيضاً، وجمع الأولى: أخريات، وجمع الثانية: أواخر. هذا؛ والأخرى: دار البقاء، وكلاهما ضد الأول. هذا؛ و﴿ثُمَّ﴾ هنا ليست للتراخي، بل هي لتعداد النعم، والمعنى: ثم إني أخبركم: أني قد أغرقت الآخرين، وهم الذين أعرضوا عن الإيمان.

الإعراب: ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَىٰ نُوحٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وساغ الابتداء بالنكرة؛ لأنه في معنى الدعاء. ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محلها أوجه: أحدها: مفَسرة لمفعول (تركنا) المحذوف. والثاني: هي في محل نصب مفعول به لـ: (تركنا). وقيل: ضمن (تركنا) معنى: «قلنا». وقيل: هي في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف. وقيل: هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده. التقدير: نجزي المحسنين جزاءً كائناً مِثْلَ الجزاء الذين جزيناه نوحاً عليه السلام، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿نَجْزِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل لإكرام نوح. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادِنَا﴾ مجرور مثله، والجملة الاسمية تعليل لإحسانه، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فعل، وفاعل، ﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (نجيناه...) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: من أهل دينه وسنته ومنهاجه، وإن اختلفت فروع شرائعهما. ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي، أو أكثري؛ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمئة وأربعون سنة، أفاده الجلال، والبيضاوي، وفي جامع الأصول: أن بينهما ألفاً ومئة، واثنتين وأربعين سنة، وكان بينهما رسولان: هود، وصالح، وكان قبل نوح ثلاثة: إدريس، وشيث، وآدم، فجملة الرسل قبل إبراهيم ستة، على نبينا، وحبيبنا وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وفي الآيتين مراعاة الفواصل وهو من المحسنات البديعية، وهو من خصائص القرآن الكريم، وفيه من الروعة، والجمال، وحسن الوقع على السمع ما يزيد الكلام روعةً وجمالاً، وهو كثير في القرآن الكريم مثل سورة (الواقعة) ونحوها، ولا يجوز أن نسمِّيه: سجعاً.

هذا؛ وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وأشياع، وأصله من التشيع، ومعنى الشيعة: الجماعة الذين يتبع بعضهم بعضاً. وقيل: الشيعة: هم الذين يتقوى بهم الإنسان. وفي القاموس المحيط: وشيعة الرجل بالكسر: أتباعه، وأنصاره، والفرقة

على حدة، وتقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث. وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علي بن أبي طالب، وأهل بيته، رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار اسماً لهم خاصة، قال الكميت ـ وهو الشاهد رقم (٤١٢) من كتابنا: «فتح ربِّ البرية» ـ: [الطويل]

وَمَـالِـيَ إِلَّا آلَ أَحْـمَـدَ شِـيـعَـةٌ ... وَمَـالِـيَ إِلَّا مَـذْهَـبَ الْـحَـقِّ مَـذْهَـبُ

وجمع شيعة: شيع، مثل: سدرة، وسِدَر، والأشياع: جمع الجمع، فهو مأخوذ من الشياع، وهو الحطب الصغار الذي يوقد فيه الكبار؛ حتى تستوقد. انتهى. قرطبي. هذا؛ والمشايعة: المناصرة، والمعاونة، أخذت من الشياع أيضاً، وهو دقاق الحطب لمعاونته النار على الإيقاد في الحطب الجزل. قال عنترة رقم [١٠١] من معلقته: [الكامل]

ذُلُـلٌ رِكـابـي حَـيْـثُ شِـئْـتُ مُـشَـايِـعـي ... قَـلْـبِـي وَأَحْـفِـزُهُ بِـأَمْـرٍ مُـبْـرَمِ

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من آفات القلوب، أو من العلائق الدنيوية، خالص لله. ومعنى المجيء به ربه: إخلاصه له، كما جاء به متحفاً إياه، وحقيقة المجيء بالشيء: نقله من مكانه. وهذا المعنى لا يتصور فيما نحن فيه، فكان الظاهر: جاء ربه سليم القلب. ففي ﴿جَآءَ﴾ استعارة تصريحية، تبعية، شبه إخلاصه قلبه بمجيئه بتحفة في أنه فاز بما يستجلب رضاه. انتهى. جمل نقلاً من الشهاب، وزاده. هذا؛ ويحتمل مجيئه إلى ربه وجهين: أحدهما: عند دعائه إلى توحيده، وطاعته. والثاني: عند إلقائه في النار. وقال عوف: فقلت لمحمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة حق، وأن الله يبعث من في القبور.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، تقدم على اسمها، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾: اللام: لام الابتداء. (إبراهيم): اسم (إنَّ) مؤخر. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها؛ لأن الواو عطفت قصة إبراهيم على قصة نوح. هذا؛ وإن اعتبرت الجملة الاسمية في محل نصب حال من نوح، أو من الضمير العائد عليه؛ فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير، فالمعنى لا يأباه. تأمل. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿شِيعَتِهِۦ﴾ لما فيه من معنى المتابعة، والمشايعة، أو هو متعلق بمحذوف، أو هو مفعول به لهذا المحذوف المقدر بـ: اذكر. وهو قول الزمخشري، وأبي البقاء، وغيرهما. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (إبراهيم). ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِقَلْبٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَلِيمٍ﴾: صفة: (قلب). وجملة: ﴿جَآءَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: في هذه الآية توبيخ لهم، وإنكار على أبيه، وقومه على عبادة من لا يستحق العبادة. والمعنى: ما هذا الذي تعبدونه من الأوثان، والحجارة، والأصنام؟! وانظر ما ذكرته في شرح (أبيه) في الآية رقم [٧٤] من سورة (الأنعام) ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: بدل مما قبلها، أو هو متعلق بالفعل ﴿جَآءَ﴾، أو بـ: ﴿سَلِيمٍ﴾. والأول أقوى. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَاذَا﴾: (ما) اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي تعبدونه. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام مركباً مبنياً على السكون في محل نصب مفعولاً مقدماً، وعليه: فالجملة فعلية، وعلى الأول فهي اسمية. وعلى الاعتبارين فهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَئِفْكًا﴾: الإفك: أسوأ الكذب، والأفاك: كثير الإفك، وهو الكذب، قال تعالى في سورة (الجاثية) الآية رقم [٧]: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. ﴿دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ أي: غير الله تعبدون من أجل الإفك، والكذب، والزور، والبهتان. ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: شيء تظنونه بربكم؛ وقد عبدتم غيره، وقد علمتم: أنه المنعم، والمتفضل على الحقيقة، فكان جديراً بالعبادة، ولكنكم عبدتم الحجارة، والأوثان من دونه.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان قومه يتعاطون علم النجوم، فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون، ويتعاملون به، لئلا ينكروا عليه، وذلك: أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم، ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد، ومجمع، فكانوا يدخلون على أصنامهم، ويقربون لها القرابين، ويضعون بين أيديها الطعام، قبل خروجهم إلى عيدهم، وزعموا التبرك عليه، فإذا انصرفوا من عيدهم؛ أكلوه، فقالوا لإبراهيم ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم ـ: ألا تخرج معنا إلى عيدنا؟ فنظر في النجوم، فقال: إني سقيم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: مطعون،

وكانوا يفرون من المطعون فراراً عظيماً. وقيل: مريض. وقيل: متساقم. وهو من معاريض الكلام. وقيل: إنه خرج معهم إلى عيدهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه، وقال: إني سقيم، أشتكي رجلي. انتهى. خازن.

هذا؛ ونقل القرطبي عن الضحاك قوله: معنى (سقيم): سأسقم سقم الموت؛ لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب، ثم يموت، وهذا تورية وتعريض. وقال الزمخشري: والذي قاله إبراهيم ـ عليه السلام ـ معراض من الكلام، ولقد نوى به: أن من في عنقه الموت سقيم، ومنه المثل: كفى بالسلامة داءً، وقول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

فَدَعَوْتُ رَبِّي بالسَّلَامَةِ جَاهِداً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ: قال: «**لَمْ يَكْذِبْ إبراهيمُ النبيُّ قطُّ إلَّا ثلاثَ كَذَباتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ في ذاتِ اللهِ قوله:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، **وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾، **وواحدة في شأنِ سارَّة**». رواه مسلم، وغيره. هذا؛ والواحدة في شأن سارَّة هي قوله للجبار في مصر حين سأله عنها، فقال له: هذه أختي. هذا؛ وقد سماها الرسول ﷺ كَذَبَاتٍ، ومعناه: أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب، وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات، ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها، أشفق إبراهيم ـ على حبيبنا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ منها بمؤاخذته بها، لذا يعتذر عليه الصلاة والسلام عن الشفاعة في الموقف العظيم، يقول: «**وإني كذبْتُ ثلاثَ كَذَبَاتٍ**». انظر حديث الشفاعة الطويل في كتاب: «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، وقد خرجه البخاري، ومسلم.

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: في هذا الحديث نكتة عظمى تقصم الظهر، وهي: أنه عليه الصلاة والسلام قال: لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاث كذَبات: اثنتين مَاحَلَ بهما عن دين الله، وهما قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ولم يعد قوله: «هَذِهِ أختي» في ذات الله تعالى، وإن كان دفع بها مكروهاً، ولكنه لما كان لإبراهيم عليه السلام فيها حظ من صيانة فراشه، وحماية أهله؛ لم يجعلها في ذات الله، وذلك؛ لأنه لا يجعل في جنب الله، وذاته إلا العمل الخالص من شوائب الدنيا، والمعاريض التي ترجع إلى النفس إذا خلصت للدين كانت لله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾. وهذا لو صدر منا لكان لله، ولكن منزلة إبراهيم اقتضت هذا، والله أعلم. انتهى. قرطبي في سورة (الأنبياء). وقال هنا: فإبراهيم صادق، لكن لما كان الأنبياء لقرب محلهم، واصطفائهم؛ عد هذا ذنباً، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾. الآية رقم [٨٢] من سورة (الشعراء).

هذا؛ وقد قال النبي ﷺ: «**إن في المعاريض لمندوحة عن الكذبِ**». أي: إن في التعريض ما يمنع المسلم عن الوقوع في الكذب المحرم. فليس إذاً في كلام إبراهيم ما يدل على تعمد

الكذب؛ الذي يخل بعصمة الأنبياء، وإنما هو من التعريض المباح، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

الإعراب: ﴿أَئِفْكًا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، (إفكاً): فيه أوجه: أحدها: أنه مفعول من أجله، أي: أتريدون آلهة دون الله إفكاً فـ: ﴿ءَالِهَةً﴾ مفعول به، و﴿دُونَ﴾ ظرف لـ: ﴿تُرِيدُونَ﴾، وقدمت معمولات الفعل اهتماماً بها، وحسنه كون العامل رأس فاصلة، وقدم المفعول لأجله على المفعول به اهتماماً به؛ لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك، وباطل، وبهذا الوجه بدأ الزمخشري. الثاني: أن يكون مفعولاً به بـ: ﴿تُرِيدُونَ﴾، ويكون ﴿ءَالِهَةً﴾ بدلاً منه جعلها نفس الإفك مبالغة، فأبدلها منه، وفسره بها، ولم يذكر ابن عطية غيره. الثالثة: أنه حال من فاعل: ﴿تُرِيدُونَ﴾ أي: أتريدون آلهة آفكين، أو ذوي إفك؟ وإليه نحا الزمخشري. قال الشيخ: وجعل المصدر حالاً يطرد إلا مع نحو: أما علماً فَعَالِمٌ. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. و﴿دُونَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة فعلية على جميع وجوه الإعراب، وهي في محل نصب مقول القول.

﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ظَنُّكُم﴾: خبر المبتدأ، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ﴿بِرَبِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر، وهما مفعوله في المعنى، و(رب) مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وعلامة الجر الياء... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة في المعنى، وهي من مقول إبراهيم، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿فَنَظَرَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (نظر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). ﴿نَظْرَةً﴾: مفعول مطلق. ﴿فِى ٱلنُّجُومِ﴾: متعلقان بـ: ﴿نَظْرَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، وتعليقهما بالفعل جيد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها من قول الله تعالى، وليست من قول إبراهيم. ﴿فَقَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿سَقِيمٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَتَوَلَّوْا﴾: الفاء: حرف عطف. (تولوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة، وهي حال مؤكدة، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ أي: مال إليهم سراً. وراغ، يروغ، روغاً، وروغاناً: إذا مال. وطريق رائغ، أي: مائل، قال صالح بن عبد القدوس: [الكامل]

لَا خَيْرَ فِي وُدِّ امرئٍ مُتَقَلِّبٍ ... حلوِ اللسانِ وقلبُهُ يَتَلَهَّبُ
يَلْقَاكَ يحلِفُ أنه بِكَ وَاثِقٌ ... وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهوَ الْعَقْرَبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسانِ حَلاوةً ... ويروغُ عَنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثعلبُ

أي: يميل عنك، كما يميل الثعلب في سيره. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: يخاطب الأصنام استهزاءً بها كما يخاطب العقلاء؛ لأنهم أنزلوها بتلك المنزلة في دعائهم لها، وعبادتهم إياها، ومثله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ وقد رأيت أنهم كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام ليأكلوه إذا رجعوا من عيدهم، وإنما تركوه لتصيبه بركة أصنامهم. ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾: خص الضرب باليمين؛ لأنها أقوى، والضرب بها أشد. قاله الضحاك، والربيع بن أنس، والفراء، وانظر الآية رقم [٢٦]. وقيل: المراد باليمين: اليمين التي حلفها حين قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ فجعل تلك الأوثان جذاذاً، كما صرحت بذلك سورة (الأنبياء). وكانت اثنين وسبعين صنماً، بعضها من حجر، وبعضها من خشب، وبعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من نحاس، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نوراً، وهذا الذي علق الفأس برقبته، وتركه سالماً، وعَزَى إليه تكسير سائر الأصنام؛ حيث قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: إلى إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ بعد أن رجعوا، ورأوْا أصنامهم مكسرة محطمة، وسألوا عن كاسرها. انظر المحاورة بينه وبينهم في سورة (الأنبياء). ﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون. قاله ابن زيد. وقال قتادة، والسدي: يمشون. وقال يحيى بن سلّام: يُرْعَدون غضباً. وقال مجاهد: يختالون، وهو مشي الخيلاء، ومنه: أخذ زفاف العروس إلى زوجها. قال الفرزدق: [الطويل]

وجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا ... يَزِفُّ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ، وهِيَ زُفَّفُ

والزفيف: عدو النعام؛ إذا أسرع، والدفيف طيران الطائر إذا أسرع في الحال؛ التي يكون فيها قريباً من الأرض، ففي الآية الكريمة استعارة الزفيف لسرعة الرجال، يقال: زف الرجل،

يزف زفيفاً: إذا أسرع، وقد استعار الحارث بن حلزة الزفيف لسرعة الناقة بقوله في معلقته رقم [٩ و١٠]: [الخفيف]

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمْـ ـمِ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هَقْلَةٌ أُمْـ ـمُ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَاءُ

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: هذا جواب لقولهم الذي حكاه الله تعالى عنهم في سورة (الأنبياء) رقم [٦٥] ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ والمعنى: أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها بأيديكم؟! والنحت: النجر، والبرْيُ. والمنحت: ما ينحت به. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: المعنى: خلقكم، وخلق الأصنام؛ التي تصنعونها بأيديكم من الخشب، ونحوه. وهذا على اعتبار (ما) موصولة، والأحسن اعتبارها مصدرية، فيكون التقدير: والله خلقكم وعملكم، وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلقٌ لله عز وجل، واكتساب للعباد، وفي هذا إبطال مذهب الْقَدرية، والجبرية، ومذهب المعتزلة أيضاً، فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله خَالِقٌ كلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**». ذكره الثعلبي. وخرجه البيهقي من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ عز وجلَّ صنعَ كلَّ صانِعٍ وصنْعَتَهُ، فهوَ الخَالِقُ، وهو الصانِعُ سُبْحَانَهُ**». انتهى. قرطبي، وللزمخشري كلام طويل في دعم مذهبه الاعتزالي. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧] من سورة (غافر) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَرَاغَ﴾: الفاء: حرف عطف. (راغ): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم) أيضاً، ﴿أَلَا﴾: حرف تحضيض، أو هو حرف توبيخ، وتأنيب. وقيل: الهمزة حرف استفهام، و(لا) نافية. ﴿تَأْكُلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَنطِقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الاستفهام، والجملة الاسمية: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ في محل نصب مقول القول، وقدر بعضهم الكلام كما يلي: فلم ينطقوا، فقال: ما لكم لا تنطقون؟ ﴿فَرَاغَ﴾: الفاء: حرف عطف. (راغ): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). تقديره: «هو». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ضَرْبًا﴾: حال من الفاعل المستتر. التقدير: فراغ عليهم ضارباً. أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف.

التقدير: يضرب ضرباً. والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من فاعل: (راغ) المستتر. هذا؛ وأجاز الزمخشري اعتباره مفعولاً مطلقاً لفعل: (راغ). قال: كأنه قال: فضربهم ضرباً؛ لأن «راغ عليهم»، بمعنى: ضربهم، وبقوله قال البيضاوي، والنسفي كعادتهما في اتباعه؛ لأن تفسيريهما مأخوذان من الكشاف بلا ريب. ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ضَرْبًا﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿فَرَاغَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، أو هي معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فلم يجيبوا، فراغ. . .إلخ. ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أقبلوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿يَزِفُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فكسرها، فبلغ قومه من رآه، فأقبلوا. . .إلخ، والجمل كلها معطوفة على جملة: (راغ. . .) إلخ لا محل لها مثلها.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، (تعبدون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أتعبدون الذي، أو شيئاً تنحتونه بأيديكم. والمصدرية ضعيفة، وأضعف منها اعتبارها استفهامية. والجملة: ﴿أَتَعْبُدُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: واو الحال، (الله): مبتدأ. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وأجيز اعتبارها مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): فيها أربعة أوجه: أحدها: أنها بمعنى: الذي، أي: خلق الذي تصنعونه، فالعمل هنا التصوير، والنحت، وعليه فـ: (ما) مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على الكاف، وعليه يصح اعتبار (ما) نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو: شيئاً تعبدونه. الثاني: اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب معطوف على الكاف. التقدير: خلقكم، وأعمالكم، وجعلها الأشعري دليلاً على خلق الله تعالى لأفعال العباد، وهو الحق. والثالث: اعتبار (ما) استفهامية للتوبيخ، وعليه فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، وهذا لا يؤيده المعنى، ولا المحل الإعرابي؛ لأن التقدير: وأي: شيء تعملون؟ والرابع: اعتبار (ما) نافية، التقدير: إن العمل في الحقيقة ليس لكم، فأنتم لا تعملون شيئاً. وهذا كالذي قبله لا يؤيده المعنى، ولا المحل الإعرابي أيضاً. والأوجُه الأربعةُ قالها السمين، وأنا توسعت في شرحها وإعرابها، وخذ ما يلي:

قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: (ما): في موضع نصب بـ: (خلق)، عطف على الكاف والميم في خلقكم، وهي مع الفعل مصدر،أي: والله خلقكم وعملكم، وهذا أليق بها؛ لأنه تعالى قال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ فأجمع القراء المشهورون وغيرهم على إضافة ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾، وذلك يدل على خلقه للشر عز وجل كما خلق الخير.

وقد فارق عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة جماعة المسلمين، فقرأ: (من شرٍّ ما خلق) بالتنوين ليثبت أن مع الله خالقاً يخلق الشر، تعالى الله عما قاله علواً كبيراً، وقوله إلحادٌ، والصحيح: أن الله جل ذكره أعلمنا: أنه خلق الشر، وأمرنا أن نتعوذ منه، وهو خالق الخير بلا اختلاف بين المسلمين، والملحدين، فدل ذلك: أن الله تعالى خلق أعمال العباد كلها، من خير وشر، فيجب أن تكون ﴿مَا﴾ والفعل مصدراً، فيكون معنى الكلام إن الله عمَّ جميع الأشياء أنها مخلوقة له، قال جل ذكره: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: وعملكم.

وقد قالت المعتزلة: إن (ما) بمعنى: الذي؛ فراراً من أن يقروا بعموم الخلق لله، فإنما أخبر على قولهم أنه خلقهم وخلق الأشياء التي نحتت منها الأصنام، وبقيت الأعمال، والحركات غير داخلة في خلق الله، تعالى الله عن ذلك، بل كل شيء خَلْقٌ للهِ وحده، لا خالِقَ لشيء إلا هو، وَخَلْقُ الله لإبليس ـ الذي هو الشر كله ـ يدل على خلق الله لجميع الأشياء كلها، وقد قال تعالى ذكره: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾. ويجوز أن تكون (ما) استفهاماً في موضع نصب بـ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ على التحقير لعملهم، والتصغير له. انتهى. بحروفه.

﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال قوم إبراهيم عليه السلام متشاورين فيما بينهم لما غلبهم بالحجة حسب ما رأيت في سورة (الأنبياء). ﴿ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: واملؤوه حطباً، واضرموا فيه النار، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بنوا حائطاً من حجارة، طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وملؤوه ناراً، ثم طرحوه فيه. قال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: فلما صار في البنيان، قال: حسبي الله، ونعم الوكيل. والألف واللام في (الجحيم) بدل من الضمير العائد إلى البنيان، التقدير: فألقوه في جحيمه؛ أي: في ناره المستعرة، فكانت عليه برداً، وسلاماً. ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ أي: شراً، وهو أن يحرقوه. والكيد: المكر. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: المقهورين المغلوبين؛ لأنه لم ينفذ فيه مكرهم، وكيدهم. وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في سورة (الأنبياء)، فإنك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱبْنُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، ويقال: لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير

متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿بُنۡيَٰنًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿بُنۡيَٰنًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، ﴿فَأَلۡقُوهُ﴾: فعل أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب؛ التقدير: ألقوه مطروحاً في الجحيم. وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَرَادُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أرادوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بما بعدهما؛ لأنه مصدر. ﴿كَيۡدًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة بالفاء العاطفة على جملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾: فعل ماض ومفعولاه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾: لما نجاه الله من النار، وخلصه من كيد الكفار؛ هجر قومه، واعتزلهم. والمعنى: إني مهاجر من بلاد قومي إلى حيث أمرني ربي، قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط ابن أخيه، وسارة زوجته إلى الأرض المقدسة، وهي أرض الشام. وقيل: المعنى: إني ذاهب بعملي، وعبادتي، وقلبي، ونيتي. فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن، والواقع يرد هذا قطعاً؛ لأنه هاجر ببدنه محافظة على دينه وعبادته. وقيل: قال هذا قبل إلقائه في النار. ولا وجه له ألبتة، وما بعده، يرده. وقوله هذا كان بعد نجاته من النار. ومعنى ﴿سَيَهۡدِينِ﴾: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني، ويوفقني لطاعته وعبادته. والأوجه: أن السين للتأكيد دون التسويف، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار. وقال ذلك ثقة بالله، وتنبيهاً لقومه على أن الهداية من الله تعالى.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: ارزقني ولداً من الصالحين يؤنسني في غربتي عن وطني الذي عشت فيه. قال ابن كثير: يعني: أولاداً مطيعين، يكونون عوضاً من قومه، وعشيرته؛ الذين فارقهم. هذا؛ ولفظ ﴿هَبۡ﴾ دليل واضح على أن الولد الصالح هبة، ومنحة من الله للوالدين، فلم يقل عليه الصلاة والسلام: اعطني، وارزقني، وإنما قال: ﴿هَبۡ لِي﴾، وقال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حين هنأه بولده علي

أبي الأملاك: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب. ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب، وموهب. وقال الشاعر الحكيم: [الكامل]

نِعَمُ الإلَهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ الأَوْلَادِ

هذا؛ فإن قيل: درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، فقد تمنى إبراهيم ذلك بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ رقم [٨٣] من سورة (الشعراء)، وتمنى ذلك سليمان بقوله: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ رقم [١٩] من سورة (النمل)، وتمنى ذلك يوسف بقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ رقم [١٠١] من السورة المسماة باسمه؟ والجواب: أن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله، ولا يفعل معصية، ولا يهم بها، وهذه درجة عالية، فإذاً كلمة الصلاح ليست بالْهيِّن.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: فاستجبنا دعاءه، وبشرناه بغلام يكون حليماً في كبره. قال أبو السعود: جمع الله له فيه بشارات ثلاث: بشارة: أنه غلام، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليماً؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك، وهذا الغلام هو إسماعيل، على نبينا، وحبيبنا وعليهم ألف صلاة، وألف سلام، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم، عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم ست وثمانون سنة، وولد إسحاق، وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة، وعندهم: أن الله تبارك وتعالى أمره أن يذبح ابنه الوحيد، وفي نسخة أخرى: بِكْرَهُ، فأقحموا هاهنا كذباً وافتراءً إسحاق، ولا يجوز هذا؛ لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا إسحاق؛ لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب.

قال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: ودليلي على أن الذبيح هو إسماعيل من التوراة نفسها؛ إذ إن الذبيح وصف بأنه ابن إبراهيم الوحيد، الذي ليس له سواه؛ إذ سخاوة نفس إبراهيم بولده الوحيد يذبحه امتثالاً لأمر ربه له في المنام أدل على امتثال الأمر ونهاية الطاعة، وهذا هو الإسلام بعينه، وإذا رجعنا إلى إسحاق لم نجده وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام؛ لأن إسحاق ولد وعُمر إسماعيل نحو (١٤) سنة، كما هو صريح التوراة، وبقي إسماعيل إلى أن مات إبراهيم، وحضر إسماعيل وفاته، ودفنه، وأيضاً فإن ذبح إسحاق يناقض الوعد الذي وعد به إبراهيم: أن إسحاق سيكون له نسل، وكذلك فإن مسألة الذبح وقعت في مكة، وإسماعيل هو الذي ذهب به أبوه إلى مكة رضيعاً، لا إسحاق، والله أعلم. انتهى. هذا؛ وذكرت لك في سورة (هود) رقم [٧١] أن إبراهيم ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام ـ. قد تزوج غير هاجر، وسارة، وولد له، أولاد غير إسماعيل، وإسحاق.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وليس ذلك في كتاب، أو سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأُخِذ ذلك مُسَلَّماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾. رقم [٥٣] من سورة (الحجر)، وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ رقم [٢٨] من سورة (الذاريات)، وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ رقم [٧١] من سورة (هود)، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، أي: يولد في حياة إبراهيم وزوجته سارَّة ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب، ونسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً؟ وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وسئل أبو سعيد الضرير عن الذبيح فأنشد: [الكامل]

إنَّ الذَّبِيحَ هُدِيتَ إِسْمَاعِيلُ ... نَطَقَ الكتابُ بذاكَ والتنزيلُ
شرفٌ به خصَّ الإلَهُ نبيَّنَا ... وأَتَى بِهِ التفسيرُ والتأويلُ
إنْ كُنْتَ أُمَّتَهُ فَلا تُنْكِرْ لَهُ ... شَرَفاً بِهِ قَدْ خَصَّهُ التَّفْضِيلُ

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: **«أنا ابْنُ الذبيحين»** فالأول جده إسماعيل، والآخر أبوه عبد الله، فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولداً؛ إن سهل الله له حفر بئر زمزم، أو بلغ بنوه عشرة من الذكور، فلما تحقق له ذلك؛ همَّ بذبح عبد الله، فقام في وجهه زعماء قريش، وكان ذلك بعد أن أقرع بين أولاده، وخرجت القرعة على عبد الله، ففداه بمئة من الإبل، ولذلك ثبتت الدية مئة من الإبل، وانظر تفصيل ذلك في كتب السيرة.

وروى الحاكم في المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان؛ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأتاه أعرابي، فقال: يا رسول الله! خلفت البلاد يابسةً، والمال عابساً، هلك المال، وضاع العيال، فعد عليَّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين! قال معاوية: فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه. وروي فيما ذكره المعافى بن زكريا: أنَّ عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود، أي ابْنَيْ إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: يا أمير المؤمنين والله إن اليهود ليعلمون: أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون: أنه إسحاق. انتهى. زيني دحلان بتصرف كبير مني.

أقول: صريح قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ رقم [١١٠]، أقوى دليل على أن الذبيح إسماعيل. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم. وانظر الكلام فيما يلي. هذا؛

و«غلام» يطلق على الصبي دون البلوغ، وجمعه: غلمان، وغلمة، وأغلمة، كما يطلق على العبد، والأجير؛ وإن كانا كبيرين. هذا؛ وقد يقال للأنثى: غلامة، خذ قول الشاعر: [الطويل]

فَلَمْ أَرَ عَاماً عَوْضُ أَكْثَرَ هَالِكاً ... وَوَجْهَ غُلَامٍ يُشْتَرى وَغُلَامَهْ

هذا؛ وانظر شرح البشارة في الآية رقم [١١] من سورة (يسٓ).

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى إبراهيم. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿ذَاهِبٌ﴾: خبرها وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وقدر الجلال قبلها جملة محذوفة كما يلي: فخرج من النار سالماً، وقال... إلخ. وعليه؛ فالكلام مستأنف لا محل له. ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ذَاهِبٌ﴾، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿سَيَهْدِينِ﴾: السين: حرف استقبال يفيد تحقق الوقوع. (يهدين): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّي﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ: (إنَّ). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، وانظر إعراب ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٠] من سورة (يسٓ)، ﴿هَبْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر وجوباً، تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً، والكلام: ﴿رَبِّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قال...) إلخ لا محل لها مثلها. وقيل: معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فاستجبنا له، فبشرناه. ﴿بِغُلَٰمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَلِيمٍ﴾: صفة (غلام).

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: فاستجبنا له دعاءه، ووهبنا له الغلام، فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى فيه مع أبيه في أمور دنياه، معيناً له على أعماله، قال المفسرون: هو سن الثالثة عشرة، قاله الفراء، وغيره.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾: رأى ذلك إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثلاث ليال متتابعات. أي: في المنام، وهذا من قبيل الوحي. قال محمد بن كعب القرظي ـ رضي الله عنه ـ:

كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى، أيقاظاً، ورقوداً، فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم. وهذا ثابت في الخبر المرفوع، قال ﷺ: «**إنَّا معاشِرَ الأنبياءِ تنامُ عيونُنَا ولا تنامُ قلوبُنَا**». ورحم الله البوصيري إذ يقول: [البسيط]

لا تنكِرِ الوحيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إنَّ لهُ قَلْباً إذَا نامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: رؤيا الأنبياء وحي، واستدل بهذه الآية، ويقال: إن إبراهيم عليه السلام، رأى في ليلة التروية كأن قائلاً يقول: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح رَوَّى في نفسه، أي: فكَّر: أهذا الحلم من الله، أم من الشيطان؟ فَسُمِّيَ يوم التروية، فلما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضاً. وقيل له: الوعد، فلما أصبح؛ عرف: أن ذلك من الله، فسمِّي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهمَّ بنحره، فسمِّي يوم النحر. وإنما ذكر بلفظ المضارع لتكرار الرؤيا.

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾: من الرأي، وإنما شاوره في ذلك، وهو حتمٌ ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله، فيثبِّتَ قدَمَهُ إن جزع، ويأمن عليه إن سلم، وليوطن نفسه عليه، فيهون عليه، ويكتسب المثوبة، بالانقياد له قبل نزوله. هذا؛ وقرئ: ﴿تَرَىٰ﴾ بقراءات كثيرة.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: ما تؤمر به، فحذف الجار، كما حذف من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي ـ رضي الله عنه ـ وينسب لغيره: [البسيط]

أَمَرْتُكَ الخيْرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

فوصل الفعل إلى الضمير، فصار: تؤمره، ثم حذفت الهاء، كقوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أي: اصطفاهم. وإنما أجاب إسماعيل عليه السلام بهذا الجواب؛ لأنه فهم من كلام أبيه: أنَّه رأى: أنه يذبحه مأموراً به. أو علم: أن رؤيا الأنبياء حق، وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بالأمر. ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: على الذبح، أو على قضاء الله تعالى. والمعنى: امض لما أمرك الله به من ذبحي فستجدني إن شاء الله صابراً على تنفيذ أوامر الله تعالى، وهو جواب من أوتيَ الحلمَ، والصبر، وامتثال الأمر، والرضا بقضاء الله تعالى. وقد وفى بذلك، كما بينت الآيات التالية، ولذا مدحه الله بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ سورة (مريم) الآية رقم [٥٤].

﴿يَٰبُنَىَّ﴾: تصغير: ابن، تصغير إشفاق، وإرفاق، لا تصغير تحقير، وإهانة، فأصل ابن: بنوٌ، فلما صغر صار: (بُنَيْوٌ) فلما اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون؛ قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، ثم ألحقت به ياء المتكلم، فاجتمع ثلاث ياءات، فحذفت الثانية منهن؛ التي هي لام الكلمة، ولم تحذف الأولى؛ لأنها ياء التصغير، وقد أتي بها لغرض خاص، ولم

تحذف الثالثة التي هي ياء المتكلم؛ لأنها كلمة برأسها. هذا؛ ويقرأ بإسكان الياء، وكسرها، وفتحها في هذه الآية، وغيرها.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿بَلَغَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الغلام، الذي بشر به. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان، فإن المتبادر تعلقه بالفعل قبله، قال الزمخشري: ولا يتعلق بـ: ﴿بَلَغَ﴾ لاقتضائه أنهما بلغا معاً حد السعي، ولا بـ: ﴿ٱلسَّعْىَ﴾؛ لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه، وإنما هي متعلقة بمحذوف على أن يكونا بياناً؛ أي: حالاً، كأنه قيل: فلما بلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي، فقيل: مع من؟ فقيل: مع أعطف الناس عليه، وهو أبوه، أي: أنه لم يستحكم قوته بحيث يسعى مع غير مشفق. انتهى. مغني اللبيب لابن هشام. ﴿ٱلسَّعْىَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً، وابتدائية لا محل لها من الإعراب، على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم). (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الإدغام، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَرَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿فِى ٱلْمَنَامِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَذْبَحُكَ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: ﴿أَرَىٰ﴾؛ لأنها منامية، وهي تنصب مفعولين، كما رأيت في سورة (يوسف) وسورة (الأنفال)، وجملة: ﴿أَرَىٰ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية والندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (انظر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ في الآية رقم [٨٣] بلا فارق، وهي هنا في محل نصب مفعول به للفعل: (انظر) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجملة: ﴿فَٱنظُرْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط محذوف التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وحاصلاً فانظر، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الغلام الذي بشر به. ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: من المعروف: أنَّ في الاسم المضاف لياء المتكلم إذا كان صحيح الآخر ومنادىً ستَّ لغات: أحدها: حذف الياء، والاستغناء عنها بالكسرة، مثل: يا عبدِ، وهذا هو الأكثر. الثاني: إثبات الياء ساكنة، نحو يا عبدِي. وهذا دون الأول في الكثرة. الثالث: قلب الياء ألفاً، وحذفها، والاستغناء عنها بالفتحة، نحو: يا عبْدَ. الرابع: قلبها ألفاً وإبقاؤها، وقلب الكسرة فتحة، نحو: يا عبْدَا. الخامس: إثبات الياء محركة بالفتحة، نحو: يا عبدِيَ. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واجعلْ منادًى صحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا كعبدِ عبدِي عَبْدَ عبْدَا عبدِيَا

السادس: ضم الاسم بعد حذفها كالمفرد، اكتفاءً بنية الإضافة، وإنما يكون ذلك فيما يكثر نداؤه مضافاً للياء كالرب والأبوين والقوم، قرئ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾ إلخ بضم الباء، وحكي: يا رَبُّ اغفر لي. هذا؛ ويضاف إلى ذلك إذا كان المنادى المضاف إلى ياء المتكلم أباً، أو أماً أربع لغات: إحداها: إبدال الياء تاءً مكسورة، وبها قرأ السبعة ما عدا ابن عامر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ من سورة (يوسف) وسورة (مريم)، الثانية: إبدالها تاءً مفتوحة، وبها قرأ ابن عامر ما تقدم. الثالثة: «يا أبتَا» بالتاء، والألف، وبها قرئ ما تقدم شاذاً، وقال رؤبة بن العجاج: [الرجز]

تقول بنتي: قد أنى أناكَا يا أبتَا علَّكَ، أو عَسَاكَا

وهذا هو الشاهد رقم (٢٧١) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». الرابعة: «يا أبتي» وعليه قول الشاعر: [الطويل]

أَيَا أَبَتي لَا زِلْتَ فِينَا فَإنَّمَا لَنَا أَمَلٌ في العيشِ ما دمْتَ عَائِشَا

قال ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في قطر الندى: وهاتان اللغتان قبيحتان، والأخيرة أقبح من التي قبلها، وينبغي ألا تجوز إلا في ضرورة الشعر. وقال الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل: ضرورة لكن الأولى أهون؛ لذهاب صورة الياء المعوض عنها. بل قيل: لا ضرورة فيه؛ لأن هذه الألف لم تنقلب عن الياء، بل هي التي تلحق المنادى البعيد، والمندوب، والمستغاث، فتكون لغة عاشرة. والله أعلم.

﴿ٱفْعَلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تُؤْمَرُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، انظر تقديره في الشرح. وجوز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية، ولا وجه له ألبتة. ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾: السين: حرف استقبال.

(تجدني): فعل مضارع، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف يدل عليه المقام، والجملة الفعلية لا محل لها، وجواب الشرط محذوف، التقدير: إن شاء الله توفيقي، ومعونتي؛ فستجدني. والجملة الشرطية معترضة بين الفعل (تجد) وبين الجار والمجرور: ﴿مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ اللذين هما متعلقان به، وهما مفعوله الثاني. هذا؛ والكلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾: استسلما لأمر الله، أو سَلْم الذبيح نفسه، وإبراهيم سلم ابنه، وهو من: سلم هذا لفلان إذا خلص له، فإنه سلم من أن ينازع فيه. هذا؛ وقرئ: (سَلَّمَا) أي: فوضا أمرهما إلى الله. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: صرعه، وأسقطه على شقه. وقال قتادة: كبه وحول وجهه إلى القبلة. وقيل: صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أضجعه على جبينه على الأرض: فلما فعل ذلك، قال له ابنه: اشدد رباطي كيلا أضطرب، واكفف عني ثيابي؛ حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي، فينقص أجري، وتراه أمي فتحزن، واستحد شفرتك، وأسرع مر السكين على حلقي، ليكون أهون عليَّ، فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي، فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي؛ فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني. فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله! ففعل إبراهيم ما طلبه منه ابنه، ثم أقبل عليه يقبله، وهو يبكي؛ وقد ربطه، والابن يبكي، ثم إنه وضع السكين على حلقه، فلم تقطع شيئاً، ثم إنه حدها مرتين، أو ثلاثاً بالحجر، كل ذلك لا يستطيع أن يقطع شيئاً.

فقال الابن عند ذلك: يا أبت كُبَّني لوجهي، فإنك إذا نظرت وجهي؛ رحمتني، وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى، وأنا لا أنظر إلى الشفرة، فأجزع منها، ففعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك، ثم وضع السكين، على قفاه، فانقلبت، ونودي: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾.

هذا؛ وروى كعب الأحبار، وابن إسحاق عن رجال قالوا: لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه؛ قال الشيطان: لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم، لا أفتن منهم أحداً أبداً، فتمثل الشيطان في صورة رجل، وأتى أم الغلام، فقال لها. هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب به ليحتطبا من هذا الشِّعب. قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه. قالت: كلا هو

أرحم به، وأشد حباً له من ذلك! قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك. قالت: إن كان ربه أمره بذلك، فقد أحسن أن يطيع ربه. فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن، وهو يمشي على أثر أبيه، فقال: يا غلام! هل تدري أين: يذهب بك أبوك؟ قال: نحتطب لأهلنا من هذا الشعب. قال: لا والله ما يريد إلا أن يذبحك! قال: ولم؟ قال: إن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به ربه، فسمعاً، وطاعةً. فلما امتنع الغلام منه أقبل على إبراهيم، فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: هذا الشِّعْب لحاجة لي فيه، قال: والله إني لأرى الشيطان في منامك، فأمرك بذبح ابنك هذا! فعرفه إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي! فرجع إبليس بغيظه، لم يصب من إبراهيم، وآله شيئاً مما أراد، وامتنعوا منه بعون الله تعالى. انتهى. خازن بحروفه.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن إبراهيم على نبينا، وحبيبنا وعليه ألف صلاة، وألف سلام، لما أراد أن يذبح ابنه؛ عرض له الشيطان بهذا المشعر، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات؛ حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات؛ حتى ذهب، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات؛ حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله عز وجل، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ انتهى. خازن، ومثله في القرطبي.

هذا؛ وفي المصباح المنير: والجبين: ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ. وهما جبينان عن يمين الجبهة، وشمالها. قاله الأزهري، وابن فارس، وغيرهما. فتكون الجبهة بين جبينين، وجمعه: جُبُن بضمتين، مثل: بريد، وبُرُد، وأَجْبِنَة، مثل: أَسْلِحَة، انتهى. جمل نقلاً عنه. هذا؛ واللام الجارة بمعنى: «على».

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ أي: نودي من الجبل، وهل النداء من الله مباشرة، كما حصل ووقع النداء من الله إلى موسى من الشجرة، أو هو نداء جبريل الأمين بأمر الحكيم الخبير العليم؟ الأظهر: أنه الثاني. ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ أي: حصل المقصود من تلك الرؤيا، حيث ظهر منه كمال الطاعة، والانقياد لأمر الله تعالى منك، ومن الولد. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا، والآخرة. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾: الاختبار، والامتحان الواضح؛ الذي لا خفاء فيه، وأي اختبار، وامتحان أعظم من اختبار الإنسان بذبح ولده، ونحر فلذة كبده، وثمرة قلبه، وفؤاده، ولهذا مدح الله إبراهيم بقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ هذا؛ وانفرد القرطبي بتفسير البلاء بالنعمة، وأورد قول زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

جَزَى اللهُ بالإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو

﴿وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ أي: بما يذبح بدله، فيتم الفعل، و﴿عَظِيمٍ﴾ بمعنى: عظيم الجثة، سمين، أو عظيم القدر. وهو أولى؛ لأنه فدى الله به نبياً ابن نبي، وما خرج من نسله، وهو سيد المرسلين صلى الله عليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وسلم تسليماً. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو الكبش الذي تقرب به هابيل، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به إسماعيل. وقال الحسن البصري: ما فدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى هبط عليه من ثبير، فذبحه إبراهيم فداءً عن ابنه. وهذا قول عليٍّ، رضي الله عنه. فلما رآه إبراهيم؛ أخذه؛ فذبحه وأعتق ابنه، وقال: يا بني اليوم وُهِبْتَ لي! وقال أبو إسحاق الزجاج: قد قيل: إنه فُديَ بوعل، والوعل التيس. والمعتمد هو الأول. وعليه فيكون قد نزعت منه صفة الحيوانية مدة وجوده في الجنة، واتصف بصفة الملائكة الذين لا يأكلون، ولا يشربون، فلما هبط به جبريل إلى الأرض؛ نزعت منه صفة الملائكة وعادت إليه صفة الحيوانية؛ التي رفع فيها.

قيل: نظر إبراهيم فإذا هو بجبريل الأمين، ومعه كبش أقرن أملح، فقال: هذا فداء ابنك، فاذبحه دونه! فكبر إبراهيم، وكبر ابنه، وكبر جبريل، وكبر الكبش، فأخذه إبراهيم، وأتى به المنحر من منى، فذبحه. هذا؛ والذِّبح: بمعنى: المذبوح، وجمعه: ذبوح، كالطحن: بمعنى: المطحون، والذَّبح بفتح الذال المصدر. هذا؛ وفي أبي السعود: روي: أنه لما ذبحه؛ قال جبريل عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، فقال: الذبيح: لا إله إلا الله، والله أكبر، فقال إبراهيم عليه السلام: الله أكبر، ولله الحمد، فبقي هذا سنة. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لما): انظر الآية السابقة. ﴿أَسْلَمَا﴾: فعل ماض، وألف الاثنين فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لما) إليها، أو لا محل لها حسب ما رأيت. ﴿وَتَلَّهُ﴾: الواو: حرف عطف. (تله): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (إبراهيم)، والهاء في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لِلْجَبِينِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب؛ إذ التقدير: ألقاه، أو طرحه مطروحاً على الجبين. ﴿وَنَدَيْنَهُ﴾: الواو: حرف عطف. (ناديناه): فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿أَنْ﴾: حرف تفسير، لسبقه بجملة فيها معنى القول دون حروفه. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (إبراهيم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا)، والجملة الندائية لا محل لها؛ لأنها مفسرة لمعنى ما قبلها، وجواب (لما) محذوف، التقدير: فلما أسلما، وتله للجبين؛ فديناه بكبش، وجملة: ﴿وَنَدَيْنَهُ...﴾ إلخ معطوفة على هذا المحذوف المقدر، وهذا عند البصريين، وقال الكوفيون: الجواب جملة (ناديناه...) إلخ، والواو زائدة مقحمة، ومثله ما رأيت بقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ...﴾ إلخ رقم [٩٧] من سورة (الأنبياء)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا...﴾ إلخ رقم [١٥]، من سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف

سلام وقال بعض الكوفيين: جواب: (لما) جملة: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ والواو زائدة فيها. هذا؛ وقال امرؤ القيس، في معلقته رقم [٣٧]: [الطويل]

فَلَمَّا أَجَزْنَا ساحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ

أي: انتحى، والواو زائدة، وقال آخر: [الكامل]

حَتَّى إِذَا حَمَلَتْ بُطُونُكُمُ ... وَرَأَيْتُمُ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا

وقَلَبْتُمُ ظَهرَ الْمِجَنِّ لَنَا ... إِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرُ الْخِبُّ

أراد: قلبتم. هذا؛ وقال النحاس: الواو من حروف المعاني، لا يجوز أن تزاد. وانظر الشاهد رقم (٦٧٨) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿صَدَّقْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلرُّءْيَآ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (إبراهيم) والرابط: الضمير. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٧٨] فهو مثله إفراداً، وجملاً. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ إعراب هذه الآية مثل إعراب الآية رقم [٥٨] بلا فارق بينهما، وهي هنا مبينة لما قبلها. (فديناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (ناديناه). ﴿بِذِبْحٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: (ذبح).

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾

شرح هذه الآيات وإعرابها تقدم في الآيات رقم [٧٨] و [٧٩] و [٨٠] و [٨١] على هذا الترتيب فلا حاجة إلى إعادة شيء مما ذكرته هناك، ولا إلى الزيادة عليه.

هذا؛ وقد عاش سيدنا إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ مئةً وخمساً وسبعين سنة على أصح الروايات، ولما انتقل إلى جوار ربه دفنه ولده في مغارة المكفيلة؛ التي دفنت فيها سارة من قبل، وهي البلدة التي تسمى الآن: الخليل، وقد ذكرت في سورة (هود) رقم [٧١] أنه تزوج غير سارة، وولد له أولاد من غيرها، وأما إسماعيل ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ فقد عاش مئة وسبعاً وثلاثين سنة، ودفن بمكة قريباً من الحجر الذي بجوار البيت العتيق قرب أمه هاجر صلوات الله عليهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين، أما إسحاق، فإنه دفن مع أبيه.

هذا؛ وولد لإسماعيل اثنا عشر ولداً ذكراً، وهم كلهم رؤساء قبائل، وقد ذكرت أسماؤهم في التوراة، فيكونون بمنزلة الأسباط من أولاد يعقوب، كما ولدت له بنت زوجها لابن أخيه

العيص بن إسحاق. ومن نسل إسماعيل كانت العرب المستعربة، ثم كانت خاتمة المطاف بولادة سيدنا، وحبيبنا محمد ﷺ خاتم النبيين من نسل إسماعيل.

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ذكرت لك أن هذه الآية دليل قاطع على أن الذبيح إنما هو إسماعيل؛ لأن هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ والعطف يقتضي المغايرة، فدل العطف على أن القصة الماضية في غير إسحاق، وأجاب القائلون بأن الذبيح هو إسحاق: بأن البشارة الأولى كانت بأصل وجوده، والثانية كانت بنبوته. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: بشر بنبوته، وذهب إلى أن البشارة كانت مرتين، فعلى هذا الذبيح هو إسحاق، بشر بنبوته جزاءً على صبره، ورضاه بأمر ربه، واستسلامه له.

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي: ثنينا عليهما النعمة. وقيل: كثرنا ولدهما؛ أي: باركنا على إبراهيم، وعلى أولاده، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بني إسرائيل من صلبه، وقد قيل: إن الكناية في: ﴿عَلَيْهِ﴾ تعود على إسماعيل، وأنه هو الذبيح. قال المفضل: الصحيح الذي يدل عليه القرآن: أنه إسماعيل، وذلك أنه قص قصة الذبيح، فلما قال في آخر القصة: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ثم قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: على إسماعيل، وعلى إسحاق، كنى عنه؛ لأنه قد تقدم ذكره، ثم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ فدل على أنها ذرية إسماعيل، وإسحاق، وليس تختلف الرواة في أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة. انتهى. قرطبي.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: لما ذكر الله البركة في الذرية، والكثرة؛ قال: منهم محسن، ومنهم مسيء، وأن المسيء لا تنفعه بنوة النبوة، فاليهود، والنصارى، وإن كانوا من ولد إسحاق، والعرب وإن كانوا من ولد إسماعيل، فلا بد من الفرق بين المحسن، والمسيء، والمؤمن، والكافر، وقد حكى الله عن اليهود، والنصارى قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ أي: أبناء رسل الله، فرأوا لأنفسهم فضلاً، انظر الآية رقم [١٨] من سورة (المائدة).

هذا؛ و(محسن) معناه لنفسه بطاعة الله، وامتثال أوامره حيث يدخلها جنات تجري من تحتها الأنهار، ومحسن للناس أيضاً، يبرهم، ويساعدهم، ويحسن إليهم بالقول أيضاً، يرفق بهم، ويتلطف بهم، وظالم لنفسه بالكفر، أو بتعديه حدود الشرع من إهمال الطاعات، أو من اجتراح السيئات. وفي الآية الكريمة تنبيه على أن الخبيث، والطيب، لا يجري أمرهما على العرق، والعنصر، فقد يلد الفاجر البر، والبر الفاجر، ورحم الله من يقول: [الطويل]

إِذَا الـمَـرْءُ لـم يُـخْـلَـقْ سَـعِـيـداً تَـخَـلَّـفَـتْ ظُـنُـونُ مُـرَبِّـيـهِ وخـابَ الْـمُـؤَمِّـلُ
فـمـوسـى الَّـذِي رَبَّـاهُ جـبـريـلُ كـافِـرٌ ومـوسـى الـذي ربَّـاهُ فـرعـونُ مُـرْسَـلُ

وهذا مما يهدم أمر الطبائع، والعناصر، وعلى أن الظلم في أعقاب إسماعيل، وإسحاق لم يعد عليهما بعيب، ولا نقيصة، وأن الإنسان إنما يعاب بسوء فعله، ويعاقب على ما اجترحتْ يداه، لا على ما وجد من أصله، وفرعه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (بشرناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ لا محل لها مثلها. ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿نَبِيًّا﴾: حال من (إسحاق)، وهي حال مقدرة. ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نَبِيًّا﴾، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه، فتكون حالاً متداخلة، أو بمحذوف حالاً ثانية من: (إسحاق). ﴿وَبَٰرَكْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (باركنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله في المعنى. ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لامحلَّ لها مثلها. ﴿وَمِن﴾: الواو: حرف استئناف. (من ذريتهما): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿مُحْسِنٌ﴾: مبتدأ مؤخر. (ظالم): معطوف على ما قبله. وفيه وفي سابقه ضمير مستتر هو فاعلهما. ﴿لِّنَفْسِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (ظالم)، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُبِينٌ﴾: صفة: (ظالم). هذا؛ و﴿مُحْسِنٌ﴾ و(ظالم) في الحقيقة صفتان لموصوفين محذوفين، التقدير: شخص محسن، وشخص ظالم لنفسه مبين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

هذا؛ والحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام: حال مقارنة: وهي الغالبة، نحو قوله تعالى حكاية عن قول امرأة إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ وحال مقدرة: وهي مستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ وما في الآية الكريمة منه، وحال محكية: وهي الماضية، نحو: جاء زيدٌ أَمْسِ رَاكِباً. وهناك الحال الموطئة لصفة بعدها؛ لأن المقصود الصفة، وهذا كثير في القرآن الكريم، خذ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

تنبيه: إعراب الجملة الاسمية السابقة المتقدم إنما هو بحسب الظاهر، والأصح أن مضمون الجار والمجرور: (من ذريتهما) مبتدأ. و﴿مُحْسِنٌ﴾ هو الخبر؛ لأن (من) الجارة دالة على التبعيض، التقدير: وبعض ذريتهما محسن، وبعض ذريتهما ظالم لنفسه، وتثنية الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ من الآية رقم [١١٠] من سورة (آل عمران)، فعطف (أكثرهم) على منهم يؤيد: أن معناه بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِـنْـهُـمْ لُـيُـوثٌ لَا تُـرَامُ وَبَـعْـضُـهُـمْ ... مِـمَّـا قَـمِـشْـتَ وضَـمَّ حـبـلُ الـحـاطِـبِ

حيث قابل لفظ: (منهم) بما هو مبتدأ، أعني لفظة: (بعضهم) وهذا مما يدل على أن مضمون (منهم) مبتدأ. هذا؛ وليوث جمع: ليث، وهو الأسد، (لا ترام): لا تقصد. (قمشت): جمعت من هنا، وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾: أنعمنا عليهما بالنبوة، وغيرها من المنافع الدينية، والدنيوية. ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: وهو قهر فرعون لقوم موسى، وما كان يفعل في حقهم من الإساءة العظيمة، من قتل الأبناء، واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء، ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم بهلاكهم، وأورثهم أرضهم، وديارهم، وأموالهم. قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾. الآية رقم [١٣٧] من سورة (عمران).

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي: التوراة. ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: الواضح الجلي، الذي فيه تبيين الحلال، والحرام، وفيه تفصيل الأحكام، كما قال تعالى في سورة (الأنبياء) [٤٨]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: دللناهما وثبتناهما على الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين التوحيد الذي ابتعث به أنبياءه، ورسله، ومنه قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله! والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَنَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وانظر الآية رقم [٦٢] من سورة (يس). ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة المقدرة على الألف للتعذر. وهذه الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. (هارون): معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف

للعلمية، والعجمة، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَقَوْمَهُمَا﴾: معطوف على الضمير المنصوب، وأجيز اعتباره مفعولاً معه، والأول أقوى. ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة: (كرب).

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَكَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿هُمُ﴾: توكيد لواو الجماعة، أو هو بدل منه، أو هو ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله الأول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: مفعول به ثان، أو هو منصوب بنزع الخافض. ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: صفة (الصراط) والجملتان الفعليتان معطوفتان على ما قبلهما، لا محل لهما أيضاً.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

شرح هذه الآيات وإعرابها تقدم في الآيات رقم [٧٨] و [٧٩] و [٨٠] و [٨١] على هذا الترتيب، فلا حاجة إلى إعادة شيءٍ مما ذكرته هناك، ولا إلى الزيادة عليه.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

الشرح: قال محمد بن إسحاق: إلياس بن بشر، بن فنحاص، بن العيزار، بن هارون، بن عمران، وكان القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع بن نون كالب بن يوقنا، ثم حزقيل. ثم لما قبض الله حزقيل النبي؛ عظمت الأحداث في بني إسرائيل، ونسوا الله، وعبدوا الأوثان من دونه، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، وتبعه اليسع، وآمن به، فلما عتا عليه بنو إسرائيل؛ دعا ربه أن يريحه منهم، فقيل له: اخرج يوم كذا، وكذا إلى موضع كذا، وكذا، فما استقبلك من شيء فاركبه، ولا تهبه، فخرج ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به؛ أقبل فرس من نار. وقيل: لونه كالنار حتى وقف بين يدي إلياس، فوثب عليه، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع:

يا إلياس ما تأمرني، فقذف إليه بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، وكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم، وقطع الله عنه لذة المطعم، والمشرب، وكساه الريش، وألبسه النور، فطار مع الملائكة، وصار إنسياً ملكياً، سماوياً أرضياً.

قال ابن قتيبة: وذلك: أن الله تعالى قال لإلياس: سلني أعطك، قال: ترفعني إليك، وتؤخر عني مذاقة الموت، فصار يطير مع الملائكة. وقال بعضهم: كان قد مرض، وأحس الموت، فبكى، فأوحى الله إليه لِمَ تبكِ؟ حرصاً على الدنيا، أو جزعاً من الموت، أو خوفاً من النار؟ قال: لا، ولا شيء من هذا؛ وعزتك، إنما جزعي، كيف يحمدك الحامدون بعدي، ولا أحمدك، ويذكرك الذاكرون بعدي، ولا أذكرك، ويصوم الصائمون بعدي، ولا أصوم، ويصلي المصلون بعدي، ولا أصلي. فقيل له: يا إلياس وعزتي لأؤخرنك إلى وقت لا يذكرني فيه ذاكر. يعني: قبل يوم القيامة.

وقال عبد العزيز بن أبي روَّاد: إن إلياس والخضر ـ عليهما السلام ـ يصومان شهر رمضان في كل عام ببيت المقدس يوافيان الموسم في كل عام. وذكر ابن أبي الدنيا: إنهما يقولان عند افتراقهما عن الموسم: ما شاء الله! ما شاء الله! لا يسوق الخير إلا الله. ما شاء الله! ما شاء الله! لا يصرف السوء إلا الله. ما شاء الله! ما شاء الله! ما يكون من نعمة فمن الله. ما شاء الله! ما شاء الله! توكلت على الله حسبنا الله، ونعم الوكيل. وقيل: إن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار. وكان الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: قد هلك إلياس، والخضر، ولا تقول كما يقول الناس: إنهما حيان. انتهى. قرطبي وخازن، ونسفي بتصرف.

هذا؛ وذكر القرطبي قصة الله أعلم بصحتها، وفحواها: أن إلياس اجتمع بالنبي بفج الناقة عند الحجر، وهو راجع من غزوة تبوك، ولم أره لغيره، ونقله الجمل من الخصائص الكبرى للسيوطي. والله أعلم. هذا؛ ولم يذكر إلياس ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في غير هذه السورة، وقد ذكر في سورة (الأنعام) رقم [٨٥] في جملة المرسلين فقط. ولم يذكره عبد الوهاب النجار في كتابه، ولم يذكر اليسع أيضاً، ولكن الثعلبي قد ذكر قصتهما بإسهاب، والمعروف: أنه ينقل عن الإسرائيليات، وكثيراً ما ينقل الخازن عنه، والله أعلم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: بني إسرائيل: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: ألا تخافون الله عز وجل، وتخشون حسابه، وعقابه. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، وبذلك سميت مدينتهم بعلبك؛ التي هي موجودة في شرقيِّ لبنان، وغربي شمالي دمشق. وهذا قاله ثعلب، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ولابن عباس قول آخر؛ قال: ربّاً. قال النحاس: والقولان صحيحان، والمعنى: أتدعون صنماً عملتموه ربّاً، ومنه سمي الزوج بعلاً،

قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا...﴾ إلخ رقم [١٢٨] من سورة (النساء) وجمعه: بعول. قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ رقم [٢٢٨] من سورة (البقرة)، وقال أبو دؤاد، ونسب في الكامل لعبد الله بن الزِّبَعْرى: [مجزوء الكامل]

ورأيْتُ بعلَكِ في الْوَغى ... مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا

وقيل: كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، فتنوا به، وعظموه حتى أخدموه أربعمئة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل، ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها، ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك، وكان موضعه يقال له: بَكٌّ، فركب فصار بعلبك، والنسبة إليها، بَعْلِيٌّ، أو بَكِيٌّ، كما بالنسبة لعبد شمس، تقول: عبديٌّ، أو شمسيٌّ.

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن من يقال له: خالق. وقيل: المعنى أحسن الصانعين؛ لأن الناس يصنعون، ولا يخلقون. فاندفع بذلك ما يتوهم من ثبوت الخلق لغيره تعالى؛ لأن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه. وأجاب الشهاب بأن خلق الله بمعنى: الإيجاد، وخلق العباد كسبهم، وهو على مذهب المعتزلة ظاهر؛ لأن المراد: أحسن من يطلق عليه ذلك بأي: معنى كان، كما قاله الآمدي. انتهى. جمل نقلاً عن الشهاب وهو السمين. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فلم يؤمنوا، بل بقوا في ضلالهم يعمهون. ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي: في العذاب. ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: من قومه، فإنهم نجوا من العذاب، وفيه دلالة على أن في قومه من لم يكذبه، فلذلك استثنوا، ولم يذكر أحد نوع العذاب الذي أخذوا به في الدنيا، قال الخازن: ونبأ الله اليسع، وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى إليه وأيده، فآمنت به بنو إسرائيل، وكانوا يعظمونه، وحكمُ اللهِ تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: قد حكى سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ: أن (تدعون بعلاً) بمعنى: أتسمون بعلاً إلهاً. وهذا يفيد: أن الفعل: «دعا» إذا كان بمعنى: سمى فهو ينصب مفعولين، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

دَعَتْنِي أَخَاهَا أُمُّ عَمْرو وَلَمْ أَكُنْ ... أَخَاهَا وَلَمْ أَرْضَعْ لَهَا بِلِبانِ

دَعَتْنِي أَخَاهَا بَعْدَ مَا كَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الْفِعْلِ ما لا يفعلُ الأَخوانِ

وأيضاً قول النمر بن تولب الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

دَعَانِي الْغَوَانِي عَمَّهُنَّ وخِلْتني ... لِيَ اسْم فَلَا أُدْعَى بِهِ وهْوَ أَوَّلُ

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف، أو هي حرف عطف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿إِلْيَاسَ﴾: اسمها. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من المرسلين): جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي معطوفة على ما قبلها؛ لأن الواو عطفت قصة إلياس على ما سبقها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف. تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف. وقال السمين: هو ظرف متعلق بـ: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وقال أبو البقاء الوجهين. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿إِلْيَاسَ﴾. ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿أَتَدْعُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (تدعون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بَعْلًا﴾: مفعول به، والمفعول الثاني محذوف. انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، و﴿أَحْسَنَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، وجوز بعضهم اعتبار الجملة الفعلية: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، ولا يصح هذا إلا على تقدير مبتدأ قبلها؛ لأن الجملة المضارعية المثبتة الواقعة حالاً، لا تقترن بالواو. ﴿ٱللَّهَ﴾: بدل من: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وحكى أبو عبيد: أنه على النعت، وليس بشيء؛ لأنه ما فيه معنى المشتق، وأجاز أبو البقاء نصبه بـ: «أعني» محذوفاً، ﴿رَبَّكُمْ﴾: بدل من لفظ الجلالة. هذا؛ ويقرأ برفعهما على أنه خبر لمبتدأ محذوف. التقدير: هو الله، وهو قول أبي حاتم، أو هو مبتدأ، خبره: ﴿رَبَّكُمْ﴾، وهو أوضح معنىً، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. (رب): معطوف على ما قبله على القراءتين، و(رب) مضاف، و﴿ءَابَآئِكُمُ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة: ﴿ءَابَآئِكُمُ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: الفصيحة. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، واللام هي المزحلقة، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط محذوف، التقدير: وإذا حصل هذا منهم فإنهم... إلخ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عِبَادَ﴾: مستثنى من واو الجماعة، فهو استثناء متصل، وقيل: مستثنى من الضمير في: (محضرون) على أنه منقطع، والأول أقوى، و﴿عِبَادَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾
إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

شرح هذه الآيات وإعرابها تقدم في الآيات رقم [٧٨] و [٧٩] و [٨٠] و [٨١] على هذا الترتيب فلا حاجة إلى إعادة شيء مما ذكرته هناك، ولا إلى الزيادة عليه. هذا؛ وأما (آل ياسين) بفتح الهمزة ومدها، فهو على الإضافة، ففيه وجهان: أحدهما: أن المراد: إلياس، ومن آمن معه فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للمهلب، وقومه: المهلبون، وعليه فهو مجموع جمع السلامة بالياء والنون. والوجه الثاني: أن المراد بآل: إلياس، وبياسين: أبوه. وأما على قراءته بكسر الهمزة، والياء والنون؛ فقد جعلوه جمعاً منسوباً إلى إلياسين، وإلياسين جمع إلياس، وهو جمع السلامة لكنَّ الياء المشدودة في النسب حذفت منه، وأصله: الياسيُّ، وتجمع فتقول: إلياسيِّين، فالسلام على من نسب إلى إلياس من أمته، والسلام في الوجه الأول على أهل ياسين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ في سورة (الشعراء) رقم [١٩٨] وأصله في النسب: الأعْجَمِيِّين بياء مشددة، ولكن حذفت لثقلها، وثقل الجمع. هذا؛ وقال ابن كثير: أي: إلياس، والعرب تلحق النون في أسماء كثيرة، وتبدلها من غيرها، كما تقول إسماعيل وإسماعين، وإسرائيل وإسرائين، وإلياس وإلياسين.

قال محمد علي الصابوني: وإنما ختم الآيات بعد ذكر كل رسول بالسلام عليه، وبهاتين الآيتين الكريمتين لبيان فضل الإحسان، والإيمان، وأن هؤلاء الرسل الكرام كانوا جميعاً من المتصفين بهذه الصفات، فلذلك استحقوا التحية والسلام، والذكر الحسن بين الأنام، صلوات الله، وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾
ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: تقدمت قصة لوط ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ مفصلة في سورة (الأعراف) وفي سورة (هود) وغيرهما. ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أنجى الله لوطاً ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ومن معه من أهله، ولم يكن معه سوى ابنتيه، فلم يؤمن به أحد لقوله في سورة (هود): ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ فلم يوجد فيهم رجل رشيد يهتدي إلى الحق والصواب، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وانظر شرح (نا) برقم [٣٤] من سورة (يسٓ).

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: وهي امرأته، فإنها كانت تسر الكفر، واسمها: واهلة كانت من الغابرين، أي: الذين بقوا في العذاب. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، مثل قوله تعالى في حق مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾. هذا؛ والغابر: اسم فاعل من: غبر الشيء: بقي، وغبر أيضاً: مضى، فهو من الأضداد، وبابه: دخل. انتهى. مختار. ولذا يمكن أن يقال: في غابر الأزمان، وحاضرها، كما يقال: في غابر الأزمان، وماضيها، وقال أبو ذؤيب الهذلي من رثاء أولاده: [الكامل]

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُو بِعَيْشٍ نَاصِبٍ ... وَإِخَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ

وانظر الأضداد في الآية رقم [٥٧] من سورة (النمل) فإنه جيد. هذا؛ وعجوز: امرأة طاعنة في السن، ويقال أيضاً: شهْلَة، وشهرُبَة، وشهْبَرَة، وشمْطَاء، وشيخَة لكل امرأة طاعنة في السنِّ. قال صاحب مختار الصحاح: ولا تقل: عجوزة، والعامَّة تقوله، والجمع عَجَائِز، وعُجُز، وفي حديث النبي ﷺ: «**إنَّ الجنةَ لا يَدخُلُها الْعُجُز**».

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أي: أهلكناهم، وكان الإهلاك بقلب قراهم، وجعل عاليها سافلها، ثم بإرسال حجارة من السماء عليهم. انظر ما ذكرته في سورة (الشعراء) رقم [١٧٠]، وما بعدها. ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: خطاب لقريش وللعرب جميعاً. ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ﴾ أي: تمرون على منازلهم، وديارهم في ذهابكم، وإيابكم إلى بلاد الشام للتجارة في الليل، والنهار، والصباح، والمساء، وكنت ذكرت لك مراراً: أن قرى قوم لوط كانت في بلاد الأردن، وهي من أرض الشام. هذا؛ وفي الآيات التفات من الغيبة إلى الخطاب، وهو ظاهر، وواضح، وللالتفات فوائد كثيرة؛ منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد. هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حث السامع، وبعثه على الاستماع؛ حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصه بالمواجهة.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أتشاهدون ديارهم الخربة، ومنازلهم المدمرة، ثم لا تعتبرون، ولا تخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم. هذا؛ والعقل: نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس الظاهرة، وكثيراً ما يتبجح بعض الناس، فيسأل: أين يوجد العقل؟. فهذا تبجح لا مبرر له، وانظر شرح النفس في الآية رقم [٢٨] من سورة (الروم). وسمي العقل: عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه، أي: يمنعه من فعل الرذائل، والقبائح، لذا فإن كل شخص لا يسير على الجادة المستقيمة لا يكون عاقلاً بالمعنى الصحيح، وخذ ما يلي: [البسيط]

لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هذي النَّاسِ بَاقِيَةٌ ... يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هذِهِ الصُّوَرُ
لا يُدْهِمَنَّكَ مِنْ دهمائِهِمْ عَدَدٌ ... فَإِنَّ جُلَّهُمُ بَلْ كُلُّهُمْ بَقَرُ

يقول: لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء، ونصرة، فإن كلهم كالأنعام، والبهائم، ولله در القائل: [المنسرح]

لَا يُدْهِمَنْكَ اللِّحَاءُ والصُّوَرُ ... تِسْعَةُ أعشارِ مَنْ تَرى بَقَرُ

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمُ شَبَهٌ ... لَهُ رِوَاءٌ، ومَا لَهُ ثَمَرُ

ورضي الله عن حسان بن ثابت إذ يقول: [البسيط]

لا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ عِظَمٍ ... جِسْمُ الجمالِ وأحلامُ الْعَصَافِيرِ

فقد ورد: أن رجلاً معتوهاً مرَّ على مجلس النبي ﷺ، فقال الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم: (هذا رَجُلٌ مجْنُونٌ)، فقال سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «**هَذَا مُصَابٌ إِنَّمَا المجنونُ مَنْ أَصَرَّ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى**». هذا؛ والعقل: الدية، سميت بذلك؛ لأن الإبل المؤداة دية تعقل بباب ولي القتيل. والعقال بكسر العين: الحبل الذي تربط به ركبة الجمل عند بروكه، ليمنعه من القيام، والمشي. والعقال أيضاً: صدقة عام، قال شاعر يهجو عاملاً على الصدقات في عهد بني أمية: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يتْرُكْ لَنَا سَبَداً ... فكيْفَ لوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ؟

لأَصْبَحَ النَاسُ أَوْبَاداً وَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

تنبيه: الهمزة في كلمة: ﴿أَفَلَا﴾ ومثلها: أَوَلَمْ، وَأَوَلَا، ونحوهما للإنكار، وهي في نية التأخير عن الفاء، والواو؛ لأنهما حرفا عطف، وكذا تقدم على «ثم» تنبيهاً على أصالتها في التصدير. نحو قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ، وقوله جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ إلخ، وقوله تعالت حكمته: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ...﴾ إلخ وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وخالف جماعة، أولهم الزمخشري، فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا...﴾ إلخ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ...﴾ إلخ، ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ...﴾ إلخ أمكثوا فلم يسيروا في الأرض؟ أنهملكم فنضرب عنكم... إلخ؟ أتؤمنون في حياته، فإن مات... إلخ؟. ويضعفه ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ﴾: انظر الآية رقم [١٢٤]، فالإعراب مثلها لا يتغير. ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. (أهله):

معطوف على الضمير المنصوب. وقيل: مفعول معه. والأول أقوى، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لـ: (أهله) منصوب مثله، أو هو توكيد للضمير وما عطف عليه، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وساغ ذلك؛ لأن: «أهل» اسم جمع، كما قد عرفت. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عَجُوزًا﴾: مستثنى من: «أهله». ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿عَجُوزًا﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿دَمَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾: مفعول به منصوب. . .إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿نَجَّيْنَٰهُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَتَمُرُّونَ﴾: اللام: لام الابتداء، وتسمى المزحلقة. (تمرون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿لَتَمُرُّونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾. والرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً بـ: (على). ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾: الواو: حرف عطف. (بالليل): جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، ومعطوفان على: ﴿مُّصْبِحِينَ﴾. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الفاء: حرف عطف. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أتشاهدون ديارهم، ولا تتدبرون، وتعتبرون بما حصل لهم؟! والكلام كله مستأنف، لا محل له.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ
فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: ﴿يُونُسَ﴾ هو ذو النون، وهو ابن مَتَّى. وقالوا: «متى» هي أمه، ولم ينسب إلى أمه من الرسل غير يونس، وعيسى، على نبينا، وحبيبنا، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام. ويتصل نسبه ببنيامين أحد أولاد يعقوب، وهو أخو يوسف الصديق، أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل في العراق، وكانوا يعبدون الأصنام، ولهم صنم ضخم يسمونه: عشتار، ثم تابوا. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٨] من السورة المسماة باسمه، وما ذكرته في الآية رقم [٨٧] من سورة (الأنبياء) ففيها فضل بيان يسر القلب، ويثلج الصدر. ﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هرب، وأصله الهرب من السيد، لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه؛ حسن إطلاقه عليه، فهو من باب المجاز المرسل من استعمال المقيد في المطْلق،

أو الاستعارة التصريحية، حيث شبه خروجه بغير إذن ربه بإباق العبد من سيده. ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: انظر الآية رقم [٤١] من سورة (يسۤ).

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ أي: المغلوبين المقهورين في القرعة. قال الفراء: يقال: دحضت حجته، وأدحضها الله، وأصله من الزلق، قال الشاعر: [الوافر]

قَتَلْنَا الْمُدْحَضِينَ بِكُلِّ فَجٍّ فَقَدْ قَرَّتْ بِقَتْلِهِمُ الْعُيُونُ

و(ساهم): فقارع أهل السفينة، والمساهمة: إلقاء السهام على جهة القرعة، وقد كنت ذكرت لك في سورة (يونس) وسورة (الأنبياء) أن يونس ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ قد بَرِم بقومه لطول ما ذَكَّرَهم، فلم يُذَّكَّرُوا، وأقاموا على كفرهم، وظن: أن خروجه بدون إذن من الله يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله تعالى وأنفةً لدينه، وبغضاً للكفر وأهله، وكان عليه أن ينتظر الإذن من الله في المهاجرة عنهم، فابتلي ببطن الحوت، فيكون المعنى: غضب على قومه من أجل كفرهم بربه، فخرج عنهم، وتركهم من غير إذن من الله، وخروجه بدون إذن من الله كان ذنباً منه.

وقال ابن عباس، ووهب: كان يونس قد وعد قومه العذاب، فتأخر عنهم، فخرج كالمستور منهم، فقصد البحر، فركب السفينة، فوقفت. وقيل: تلاعبت بها الأمواج حتى أشرفت على الغرق. هذا؛ وذكر الطبري: أن يونس ـ عليه السلام ـ لما ركب في السفينة؛ أصاب أهلها عاصف من الريح، فقالوا: هذه بخطيئة أحدكم ـ وكان من عادتهم: أن السفينة إذا كان فيها آبق، أو مذنب لم تسر. وكان ذلك بدجلة. انتهى. جمل نقلاً عن الشهاب ـ فقال يونس، وقد عرف: أنه هو صاحب الذنب: هذه خطيئتي، فألقوني في البحر، فأَبَوْا عليه؛ حتى أفاضوا بسهامهم. ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ فقال لهم: قد أخبرتكم: أن هذا الأمر بذنبي، فأَبَوْا عليه؛ حتى أفاضوا بسهامهم الثانية، فكان من المدحضين، فأَبَوْا أن يلقوه في البحر؛ حتى أعادوا سهامهم الثالثة، فكان من المدحضين، فلما رأى ذلك؛ ألقى نفسه في البحر، وذلك تحت الليل، فابتلعه الحوت. انتهى. قرطبي.

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾: ابتلعه الحوت. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آت بما يلام عليه، أو مليم نفسه، يقال: ألام فلان: إذا فعل ما يلام عليه، فأوحى الله إلى الحوت: إني لم أجعله لك رزقاً، ولكن جعلت بطنك له وعاءً. فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة. وقيل: ثلاث ليال. وقيل: سبع ليال، وقال مجاهد: التقمه ضحى، ولفظه عشية، وأعتمد الأول، وهو قول السدي، والكلبي، ومقاتل بن سليمان، فنادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

تنبيه: في شرعنا لا يجوز الاقتراع على إلقاء آدميٍّ في البحر، وإنما كان ذلك في يونس، وزمانه مقدمةً لتحقيق برهانه، وزيادةً في إيمانه، فإنه لا يجوز في شريعة محمد ﷺ لمن كان عاصياً أن يُقتَلَ، أو يُرْمى به في النار، أو في البحر، وإنما تجري عليه الحدود، والتعزير على مقدار جنايته، ومَنْ فعل ذلك بنفسه؛ فقد حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار، وخذ ما يلي:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فقتلَ نفسَه، فهو في نارِ جهنَّمَ، يَتَرَدَّى فيها خَالِداً مُخَلَّداً فيها أَبداً، وَمَنْ تَحسَّىٰ سُمَّاً، فقتل نفسه؛ فَسُمُّهُ في يدِهِ يَتحسَّاهُ في نارِ جهنَّم خَالِداً مُخَلَّداً فيها أبداً، وَمَنْ قتل نفسَهُ بحديدةٍ فحديدَتُهُ في يدِهِ يتوجَّأُ بهَا في نارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً»**. رواه البخاري ومسلم والترمذي.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: من الذاكرين الله عز وجل قبل ذلك، وكان كثير الذكر. قال الحسن البصري: ما كانت له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدم عملاً صالحاً، فشكر الله تعالى له طاعته القديمة، وفي رواية عنه: ولكنه قدم عملاً صالحاً في حال الرخاء، فذكره الله به في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه، وإذا عثر؛ وجد متكأً. قال بعضهم: اذكروا الله في الرخاء؛ يذكركم في الشدة، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله تعالى، فلما وقع في الشدة في بطن الحوت؛ شكر الله تعالى له ذلك، فقال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾. هذا؛ وقد قال النبي ﷺ لابن عباس - رضي الله عنهما -: **«تعرَّفْ إِلَى اللهِ في الرَّخَاءِ؛ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ»**.

﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: قال قتادة: أي: لكان بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة. هذا؛ وروى الطبري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«لـمَّا أَرادَ اللهُ تعالى حبْسَ يونسَ في بطنِ الحوتِ؛ أوحى اللهُ إلى الحوتِ: أَنْ خُذْهُ، ولا تخدِشْ لحماً، ولا تكسِر عظماً، فأخذه، ثم هوى به إلى مسكنه من البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حِسَّاً، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه؛ وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دوابِّ البحر. قال: فسبَّح، وهو في بطن الحوت، قال: فسمعت الملائكة تسبيحَهُ، فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة، قال: ذلك عبدي يونس، عصاني، فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح، الذي كان يصعد إليك منه في كل يومٍ وليلةٍ عملٌ صالحٌ؟! قال: نعم، فشفعوا له عند ذلك، فأمر الحوت بقذفه في الساحل، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ وكان سقمه الذي وصفه به الله تعالى: أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس، قد نُشِرَ اللحمُ والعظمُ»**. انتهى. قرطبي بتصرف.

وقال ابن العربي - رحمه الله تعالى - أخبرني غير واحد عن إمام الحرمين - رحمه الله تعالى - أنه سئل عن الباري: في جهة؟ فقال: لا، هو يتعالى عن ذلك، قيل له: ما الدليل عليه؟ قال: الدليل عليه قول النبي ﷺ: **«لا تفضِّلُوني علَى يُونسَ بنِ مَتَّى»**. فقيل له: ما وجه الدليل في هذا الخبر؟ فقال: إن يونس بن مَتَّى رمى بنفسه في البحر، فالتقمه الحوت، فصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث، ونادى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كما أخبر الله تعالى عنه، ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر، وارتقى به صعداً حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام، وناجاه ربه بما ناجاه، وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ﴾: انظر الآية رقم [١٢٤] ففيها الكفاية؛ إذ الإعراب لا يتغير. ﴿أَبَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿يُونُسَ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: صفة: ﴿ٱلْفُلْكِ﴾. ﴿فَسَاهَمَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿يُونُسَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل جر مثلها، (كان): ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿يُونُسَ﴾ أيضاً. ﴿مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان). والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَٱلْتَقَمَهُ﴾: الفاء: حرف عطف وتعقيب. (التقمه): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْحُوتُ﴾: فاعله. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها... إلخ. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مُلِيمٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَلَوْلَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿أَنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى ﴿يُونُسَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ في محل رفع خبر: (أنَّ). هذا؛ وقيل بزيادة: «كان» وعليه فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ. والخبر محذوف. التقدير: فلولا تسبيحه موجود، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿لَلَبِثَ﴾: اللام: واقعة في جواب: (لولا). (لبث): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿يُونُسَ﴾ أيضاً. ﴿فِي بَطْنِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: لبث مستقراً في بطنه. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل (لبث)، أو بمحذوف صفة لمصدر محذوف، التقدير: لبثاً كائناً إلى يوم. ﴿يُبْعَثُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمِ﴾ إليها، وجملة: ﴿لَلَبِثَ...﴾ إلخ جواب (لولا)، لا محل لها، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾: طرحناه في المكان الخالي، لا نبات فيه، ولا شجر، ولا ماء. وقال أبو عبيدة: العراء: وجه الأرض، وأنشد لرجل مِنْ خزاعة: [الكامل]

وَرفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَهَا ... ونَبَذْتُ بالبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي

روي: أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل. قال الخازن: إنما أضاف النبذ إلى نفسه، وإن كان الحوت هو النابذ؛ لأن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى. هذا؛ والنبذ: الطرح، والرمي، والقذف. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عليل مما ناله من التقام الحوت، ومكثه في بطنه المدة التي ذكرتها لك، حتى عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد، أو كالفرخ الممعَّط؛ الذي لا ريش له. هذا؛ وجمع سقيم: سَقامى، وسِقام، وسَقْمى، وسميت الأرض التي لا نبات فيها بالعراء تشبيهاً لها بالإنسان العاري، الذي لا ثياب عليه تستره. هذا؛ وقال تعالى في سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ والجواب: أن الله عز وجل أخبر هاهنا: أنه نبذه بالعراء، وهو غير مذموم، ولولا رحمة الله عز وجل؛ لنبذ بالعراء؛ وهو مذموم. قاله النحاس.

هذا؛ وأذكر: أن مكث يونس ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ المدة التي ذكرتها في بطن الحوت؛ وقد جاب به أعماق البحار، وبقي حياً حتى نبذه الحوت إلى الأرض اليابسة، وبطن الحوت مغلق محكم الإغلاق، لا يدخله الهواء إنما هو معجزة باهرة، وعظة بالغة لقوم يتعظون؛ لأن كل واحد منا يدرك: أن كل ذي روح إذا حبس عنه الهواء لحظات يموت، وما أشبه هذه المعجزة بمعجزة موسى عليه السلام الذي وضع في تابوت محكم الإغلاق، وبقي حياً حتى التقطه آل فرعون، كما هو معروف لدى كل إنسان.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾: ﴿عَلَيْهِ﴾ بمعنى: عنده. وقيل: بمعنى: له، وسئل أبو هريرة: ما اليقطينة؟ قال: شجرة الدُّبَّاء. وقيل: إنما خص اليقطين بالذكر؛ لأنه لا ينزل عليه ذباب، ولأنه يجمع كبر الورق، وبرد الظل، وجودة تغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً، ومطبوخاً لبه، وقشره أيضاً. هذا؛ والدُّبَّاء نوع من أنواع القرع معروف. وقال الثعلبي: كانت تظله، فرأى خضرتها، فأعجبته، فيبست، فجعل يتحزن عليها، فقيل له: يا يونس أنت الذي لم تخلق، ولم تسقِ، ولم تنبت تحزن على شجيرة، فأنا الذي خلقت مئة ألف من الناس أو يزيدون، تريد مني أن أستأصلهم في ساعة واحدة، وقد تابوا وتبت عليهم، فأين رحمتي يا يونس؛ وأنا أرحم الراحمين. وروي عن النبي ﷺ أنه كان يأكل الثريد باللحم، والقرع، وكان يحب القرع، ويقول: «**إنها شجرة أخي يونس**». وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ: قُدِّم للنبي ﷺ مَرَقٌ فيه دباء، وقديد، فجعل يتبع الدُّبَّاء حوالي القصعة، قال أنس: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. أخرجه الأئمة. ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾: قال سعيد بن جبير، ووهب، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ: إن قوم يونس عليه السلام كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل شرك وكفر، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم يونس ـ عليه السلام ـ يدعوهم إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبَوا عليه، فقيل له: أخبرهم: أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً قَطُّ، فانظروا فإن بات فيكم الليلة، فليس بشيء، وإن لم يبت؛ فاعلموا: أن العذاب مصبحكم، فلما كان جوف

الليل؛ خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم، فلما أصبحوا؛ تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن العذاب كان قد أهبط على قوم يونس عليه السلام، حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثَيْ ميلٍ، فلما دعوْا؛ كشف الله عنهم ذلك.

وقال مقاتل: قدر ميل، وقال سعيد بن جبير: غشي قوم يونس العذاب، كما يغشى الثوب القبر، وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود، هائلاً يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى غشي مدينتهم، واسودت أسطحتهم، فلما رأوْا ذلك؛ أيقنوا بالهلاك، فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام، فلم يجدوه، فقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم، ونسائهم، وصبيانهم، ودوابِّهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا التوبة، والتوحيد، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس، والدوابِّ، فحنَّ البعض إلى البعض، فحن الأولاد إلى الأمهات، والأمهات إلى الأولاد، وعلت الأصوات، وعجُّوا إلى الله، وتضرعوا إليه، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله، وأخلصوا النية، فرحمهم ربهم، فاستجاب دعاءهم، وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلهم، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، وكان يوم الجمعة. وهذا فحوى قوله تعالى في السورة المسماة باسمه رقم [٩٨] ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

هذا؛ وقال الخازن في سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فإن قلت: كيف كشف الله العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم، وقبل توبتهم، ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن به، ولم يقبل توبته، قلت: أجاب العلماء عن هذا بأجوبة: أحدها أن ذلك كان خاصّاً بقوم يونس، والله يفعل ما يشاء. الجواب الثاني: أن فرعون ما آمن إلا بعد مباشرة العذاب، وهو وقت اليأس من الحياة، وقوم يونس دنا منهم العذاب، ولم ينزل بهم، ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت، ويرجو العافية. والجواب الثالث: أن الله عز وجل علم صدق نيتهم في التوبة، فقبل توبتهم، بخلاف فرعون، فإنه ما صدق في إيمانه، ولا أخلص في توبته، فلم يقبل الله منه إيمانه. انتهى.

تنبيه: لقد اختلف في معنى «أو» فقال الفراء: هي بمعنى: «بل» وعليه قول جرير من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك، وهذا هو الشاهد رقم (١٠١) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بَرِمْتُ بِهِمْ؟ لَمْ أُحْصِ عِدَّتَهُمْ إِلَّا بِعَدَّادِ
كَانُوا ثَمَانِينَ أو زادوا ثَمَانِيَةً لَولا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلَادِي

وقال غير الفراء: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى: الواو لمطلق الجمع، وعليه قول جرير من قصيدة يمدح فيها الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو الشاهد رقم [٩٦] من كتابنا المذكور: [البسيط]

جَـاءَ الْـخِـلَافَـةَ أَوْ كَـانَـتْ لَـهُ قَـدَراً   كـمـا أَتَـى رَبَّـهُ مُـوسـى عـلَـى قَـدَرِ

وهذا على قول الكوفيين، ولا يصح هذان القولان عند البصريين، وأنكروا كون: «أَوْ» بمعنى: «بلْ»، وبمعنى: الواو؛ لأن «بل» للإضراب عن الأول، والإيجاب لما بعده، وتعالى الله عن ذلك، أو خروج من شيء إلى شيء، وليس هذا موضع ذلك، والواو معناه خلاف معنى (أوْ) فلو كان أحدهما بمعنى الآخر؛ لبطلت المعاني، ولو جاز ذلك؛ لكان: وأرسلناه إلى أكثر منْ مِئَتَيْ ألفٍ أخصر. وقال المبرد: المعنى: وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم؛ لقلتم: هم مئة ألف، أو أكثر، وإنما خوطب العباد على ما يعرفون. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وللبصريين فيها أقوال: قيل: هي للإبهام. وقيل: هي للتخيير، بمعنى: إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول: هم مئة ألف، أو يقول: هم أكثر. وقيل: هي للشك مصروفاً إلى الرائي. وقيل: هي للإباحة، أي: فَأَنت مخير بأن تحزرهم، وتقدر عددهم كيف تشاء. وقيل: هي للشك بمعنى: أن الرائي يشك في عددهم، هل هم مئة أو يزيدون؟ والمبرد بصري المذهب، وانظر مبحث (أَوْ) وشواهدها في كتابنا: «فتح القريب المجيب»؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ وقد نقل الجمل عن العلماء في (أو) المذكورة هنا، وفي قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ رقم [١٩] من سورة (البقرة) جواز إطلاق جميع المعاني؛ التي ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب على (أو) في هاتين الآيتين.

هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: زادوا على مئة ألف عشرين ألفاً. قال مقاتل بن حيان: زادوا سبعين ألفاً على مئة ألف.

هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولعله إنما لم يختم قصة يونس وقصة لوط بما ختم سائر القصص، تفرقة بينهما، وبين أصحاب الشرائع الكبراء، وأولي العزم من الرسل، أو اكتفاءً بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة.

هذا؛ والتمتع: التلذذ بالشيء، والانتفاع به، ومثله: الاستمتاع، والاسم: المتعة، فهنيئاً لمن تمتع، واستمتع بالمباح الحلال، وويل، ثم ويل لمن تمتع، واستمتع بالحرام. هذا؛ والمتعة بكسر الميم وضمها: اسم للتمتيع، والزاد القليل، وما يتمتع به من الصيد، والطعام. ومتعة المرأة: ما وصلت به بعد الطلاق من نحو قميص، وزاد وملحفةٍ، قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. هذا؛ وأمره سبحانه وتعالى للكفار في كثير من الآيات بأن يتمتعوا بدنياهم قليلاً، أوبعبادتهم الأوثان، أو باتباعهم الأهواء، فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها، وفي التهديد لهم بصيغة الأمر إيذان بأنَّ المهدَّد عليه كالمطلوب؛ لإفضائه إلى المهدَّد به. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤] من سورة (يسٓ).

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى منتهى آجالهم، وانظر شرح (الحين) في الآية رقم [٨٨] من سورة (صۤ).

الإعراب: ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (نبذناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة (التقمه الحوت) فهي في محل جر مثلها، وعليه ف: (لولا) ومدخولها كلام معترض بين الجملتين المتعاطفتين. وقيل: الجملة معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أمرنا الحوت بنبذه فنبذه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. (أنبتنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان به. ﴿شَجَرَةً﴾: مفعول به. ﴿مِّن يَقْطِينٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شَجَرَةً﴾. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿إِلَىٰ مِائَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. و﴿مِائَةِ﴾ مضاف، و﴿أَلْفٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَزِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، وهو لازم هنا لم ينصب مفعولاً، والمعنى يفيد أن له مفعولاً مطلقاً محذوفاً، التقدير: يزيدون شيئاً قليلاً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف. التقدير: أوهم يزيدون، والجملة الاسمية هذه معطوفة على الجملة الفعلية قبلها. ﴿فَآمَنُوا﴾: الفاء: حرف استئناف. (آمنوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف لدلالة المقام عليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وهي بمنزلة جواب لسؤال مقدر، فكأن سائلاً سأل ماذا فعلوا؟ فقيل: آمنوا بالله وصدقوا يونس، وجملة ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾
أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: أي: اسأل أهل مكة، والخطاب للنبي ﷺ. ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾: قال الزمخشري - رحمه الله تعالى -: الكلام معطوف على مثله في أول السورة، وإن تباعدت بينهما المسافة، أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً، ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى؛ التي قسموها؛ حيث جعلوا لله الإناث، ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهنَّ، ووأدهنَّ واستنكافهم من ذكرهنَّ.

ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر: أحدها: التجسيم؛ لأن الولادة مختصة بالأجسام. والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا، أوضع الجنسين له، وأرفعهما لهم،

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الزخرف [١٧] و [١٨] والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه، وأقربهم إليه؛ حيث أنثوهم، ولو قيل لأقلهم، وأدناهم: فيك أنوثة، أو شكلك شكل النساء؛ للبس لقائله جلد النمر، ولانقلبت حماليقه، وذلك في أهاجيهم بيِّن مكشوف، فكرر الله سبحانه الأنواع كلها في كتابه مرات، ودل على فظاعتها في آيات كثيرة، انتهى. هذا؛ والذين زعموا: أن الملائكة بنات الله هم قبيلة جهينة، وخزاعة، وبنو مُليْح، وبنو سلمة، وبنو عبد الدار.

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ أي: حاضرون لخلقنا إياهم إناثاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ سورة الزخرف رقم [١٩] ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: من كذبهم، وافترائهم. وانظر الآية رقم [٨٤]. ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ أي: صدر منه الولد بزعمهم. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: فيما يقولون ويفترون على الله. ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ أي: أي شيء يحمله على أن له البنات دون البنين، فهو كقوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٤٠]: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

هذا؛ والهمزة في قوله: ﴿أَصْطَفَى﴾ هي همزة الاستفهام؛ التي هي للتوبيخ، دخلت على ألف الوصل، وأصله: (أَإِصْطَفَى) فحذفت الألف الثانية؛ لأنها ألف وصل. فإن قيل: فهلا أَتَوْا بمدة بعد الألف، فقالوا: آصْطَفَى؟ كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ...﴾ إلخ قيل له: كان الأصل: (أَأَللهُ) (أَأَلذَّكَرَيْنِ)، فأبدلوا من الألف الثانية مدة؛ ليفرقوا بين الاستفهام والخبر، وذلك لو أنهم قالوا: اللهُ خَيْرٌ بلا مدٍّ، لالتبس الاستفهام بالخبر، ولم يحتاجوا إلى هذه المدة في قوله: (آصْطَفَى) لأن ألف الاستفهام مفتوحة، وألف الخبر مكسورة، وذلك: أنك تقول في الاستفهام: (أَطَّلَعَ، أَفْتَرَى، أَصْطَفَى، أَسْتَغْفَرْتَ) بفتح الألف، وتقول في الخبر: (اِطَّلَعَ، اِفْتَرَى، اِصْطَفَى، اِسْتَغْفَرْتَ لهم) بالكسر، فجعلوا الفرق بالفتح، والكسر، ولم يحتاجوا إلى فرق آخر. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (استفتهم): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿أَلِرَبِّكَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (لربك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْبَنَاتُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان للفعل قبلهما المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مفعول به مثلها،

والجملة الفعلية: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ...﴾ إلخ معطوفة على مثلها في الآية رقم [٩] وهذا قول الزمخشري، وغيره، واستبعده ابن هشام، فإنه يرى الاستئناف أقوى. والفاء هنا عاطفة تعقيبية بخلافها في المعطوف عليه فإنها الفصيحة، كما رأيت. (أم): حرف عطف. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: مفعول به أول. ﴿إِنَٰثًا﴾: مفعول به ثان، وهذا على تضمين: ﴿خَلَقْنَا﴾ معنى: جعلنا. وقيل: هو حال. ولا وجه له؛ لأنه اسم جامد، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، والجملة الاسمية: (هم شاهدون) في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّهُم﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿لَيَقُولُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يقولون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَدَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف يدل عليه المقام. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنهم): (إنّ): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كاذبون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَصْطَفَى﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (اصطفى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلْبَنَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿أَصْطَفَى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: لكاذبون في قولهم: اصطفى... إلخ، وقيل: الجملة بدل من قوله: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ والأول أقوى، والجملة: ﴿وَلَدَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هذا تسفيه لهم، وتجهيل، أي: أي شيء حصل لكم حتى حكمتم بهذا الحكم الجائر؟! كيف يختار لنفسه أخس الجنسين على زعمكم؟! أي: ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون؟! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أفلا تتذكرون بطلان ادعائكم ببديهة العقل، فإن كل عاقل يدرك ذلك بداهة، سواء كان ذكياً، أم غبياً. ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: أم لكم برهان بين، وحجة

واضحة على أن الله تعالى اتخذ الملائكة بنات له. ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: فائْتوا بهذا الكتاب الذي يشهد بصحة دعواكم فيما تزعمون! ولا كتاب لهم، والغرض تعجيزهم، وبيان: أنهم لا يستندون في أقوالهم الباطلة على دليل شرعي، ولا منطق عقلي، وإنما هو هراء؛ لا قيمة له، ولا اعتبار. وفيه سخرية بهم، واستهزاء؛ لأن الله يعلم بأنهم لا كتاب لهم. هذا؛ ولا تَنْسَ: الالتفات من الغيبة في الآيات السابقة إلى الخطاب في هذه الآيات.

أما: (ائتوا)، فهو أمر من: أتى، يأتي، والأمر بهمزتين: همزة الوصل؛ التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن، والثانية هي فاء الفعل، ولا يجتمع همزتان، فإذا ابتدأت الكلام قلت: إيتُوا بإبدال الثانية ياءً لكسر ما قبلها، فإذا وصلت الكلام زالت العلة في الجمع بين همزتين، فتحذف همزة الوصل، وتعود الهمزة الأصلية، فتقول ائْتِ، ومثل ذلك قل في إعلال: أَذِنَ يأذنُ، إِءْذَنْ.

الإعراب: ﴿مَا﴾: اسم استفهام إنكاري توبيخي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام وتعجب مبني على الفتح في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿تَحْكُمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، لدلالة المقام عليه. هذا؛ وقال الجمل نقلاً عن السمين: الجملتان استفهاميتان، ليس لإحداهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب، استفهم أولاً عما استقر لهم، وثبت، استفهام إنكار، وثانياً استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر، وهو أنهم نسبوا أخس الجنسين، وما يتطيرون به، ويتوارى أحدهم من قومه عند بشارته به إلى ربهم، وأحسن الجنسين إليهم. انتهى. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في الآية رقم [١٣٨].

﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سُلْطَانٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. وجملة: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. ﴿فَأْتُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة فيما أرى، ومن يجيز عطف الإنشاء على الخبر يعتبرها عاطفة، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، (ائتوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِكِتَابِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَادِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الشرطية مرتبطة بما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار قريش، والعرب. ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: بين الله. ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ أي: الملائكة، سُمُّوا جنة لاجتنانهم، أي: لاختفائهم عن الأبصار. ﴿نَسَبًا﴾ أي: مصاهرة، وقرابة؛ حيث قالوا: إنه نكح من الجن، فولدت له الملائكة! ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ أي: الملائكة. ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: المشركين. ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ أي: في العذاب يوم القيامة، لا يمنعهم مانع من عذاب الله. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: تنزه الله، وتقدس، وتعالى عما يصفه به المشركون من اتخاذ الولد من الملائكة، أو غيرهم، فهو أجل، وأعظم. هذا؛ ولا تَنْسَ الالتفات من الخطاب في الآية السابقة إلى الغيبة في هذه الآيات.

هذا؛ والجنة بكسر الجيم: الملائكة، وهي أيضاً الْجِنُّ، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ من سورة (هود) رقم [١١٩]، ومن سورة (السجدة) رقم [١٣] وعلى هذا فهما جنس واحد، ولكن من خبُث من الجن، وَمَرَدَ، وكان شرّاً كله؛ فهو شيطان، ومن طهر منهم، ونسك، وكان خيراً كله، فهو ملك، فذكرهم الله في هذا الموضع باسم جنسهم، وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعاً منهم، وتقصيراً بهم، وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة؛ التي أضافوها إليهم، انتهى. كشاف. وهذا مردود قطعاً؛ لأن الملائكة مخلوقون من نور، والجن مخلوقون من نار، وشتان ما بين المادتين، وما قاله الزمخشري يقال في مؤمني الجن وكافريهم، فمن طهر منهم؛ فهو مؤمن، وكان خيراً كله، ومن خبث منهم؛ فهو شيطان، وكان شرّاً كله، ولكن تبقى التسمية جائزة على الملائكة، والجن؛ لعدم رؤيتنا لهم بسبب اجتنانهم، أي: اختفائهم عن الأبصار. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٣] من سورة (الأحزاب)؛ إن أردت الزيادة، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وجنة بكسر الجيم أيضاً: الجنون، أي: ذهاب العقل، قال تعالى في سورة (الأعراف)، رقم [١٨٤]: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾، وقال في سورة (المؤمنون) رقم [٧٠]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ...﴾ إلخ. والجنة بفتح الجيم: البستان والحديقة، وأيضاً: جنة عدن التي وعد الله عباده المؤمنين، وسميت بذلك لكثرة أشجارها التي تجن، أي: تستر، وتخفي من يدخل فيها. وجُنَّة بضم الجيم: وقاية وحفظ من الشر، قال الرسول ﷺ من وصيته لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: «**والصيام جُنَّةٌ**». وقال تعالى في الآية رقم [١٦] من سورة (المجادلة)، والآية رقم [٢] من سورة (المنافقون): ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ومن

ذلك: الجنين الذي يكون في بطن المرأة أيام حملها، وجمعه: أجنة، قال تعالى في سورة النجم رقم [٣٢]: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾.

هذا؛ و(بَيْنَ) ظرف مكان بمعنى: وسط بسكون السين، لا يدخل إلا على متعدد لفظاً، أو حكماً، تقول: جلست بين القوم، كما تقول: جلست وسْط القوم. هذا؛ والبين: الفراق، والبعاد، وهو أيضاً الوصل، فهو من الأضداد، كالجوْن يطلق على الأسود، والأبيض، ومن استعماله بمعنى: الوصل ما قرئ به في سورة (الأنعام) رقم [٩٤]: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ حيث قرئ برفعه. ومن استعماله بمعنى: الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ من قصيدته؛ التي مدح بها النبي ﷺ، وهو الشاهد رقم [٨٠٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

وَمَا سُعَادُ غداةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

وانظر الأضداد في الآية رقم [٥٧] من سورة (النمل) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَجَعَلُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (جعلوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بَيْنَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل: متعلق بمحذوف مفعول ثان تقدم على الأول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَ﴾: معطوف على ما قبله، و(بين) مضاف، و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿نَسَبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَقَدْ﴾ انظر الآية رقم [١١٤] تجد الإعراب وافياً كافياً. ﴿عَلِمَتِ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱلْجِنَّةُ﴾: فاعله، وهو معلَّق عن العمل لفظاً بسبب لام الابتداء، ولذا كسرت همزة (إن) قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلِّقَا ... بِاللّام كَاعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو تُقَى

﴿إِنَّهُمْ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، الهاء اسمها. ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (محضرون): خبر (إنَّ) مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد المفعول به، وجملة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول به محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿سُبْحَٰنَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عن الذي، أو عن شيء يصفونه به، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: سبحان الله، أي: تنزه الله عن وصفهم له بما ذكر، وهذا الكلام مستأنف، لا محل له. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء،

بمعنى: لكن. ﴿عِبَادَ﴾: استثناء منقطع؛ لأنَّ ما قبله وعيد، وهم لم يدخلوا في هذا الوعيد، و﴿عِبَادَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادَ﴾ منصوب مثله. هذا؛ وقال أبو السعود: هذا الكلام من هنا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ من كلام الملائكة، وعلى هذا فالاستثناء من واو الجماعة بقوله: ﴿يَصِفُونَ﴾ والمعنى يصفه هؤلاء بذلك، ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به. أو هو استثناء منقطع من المحضرين معناه: ولكن المخلصين ناجون من النار، و﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ اعتراض بين الاستثناء، وبين ما وقع منه. انتهى. نسفي بتصرف. وما قاله أبو السعود، أولى بالاعتبار؛ ليبقى الكلام من قوله: ﴿سُبْحَٰنَ...﴾ إلخ من كلام الملائكة كما رأيت، وقول النسفي مأخوذ من قول الزمخشري، والبيضاوي جاراه في ذلك.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ خطاب لأهل مكة. ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: من الأصنام، والآلهة الباطلة. ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على الله. ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: بمضلين أحداً. ومعنى هذه الآية: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم، وهم جميعاً بفاتنين على الله إلا أصحاب النار؛ الذين سبق في علمه: أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها. ومعنى: يفتنونهم على الله: يفسدونهم عليه بإغوائهم، واستهزائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه، وخببها عليه. «إلا مَنْ هو صالي الجحيم» أي: إلا من سبق له في علم الله تعالى الأزلي الشقاوة، وأنه سيدخل النار. هذا؛ وقرأ الحسن شاذاً برفع صالُ، وأنا أثبت الياء في الرسم على الأصل. ولا تنسَ الالتفات من الغيبة في الآيات السابقة إلى الخطاب في هذه الآيات، وانظر الالتفات في الآية رقم [١٣٥].

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذه الآية ردٌّ على القدرية. قال عمرو بن ذر: قدمنا على عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ، فذُكِرَ عنده القدر، فقال عمر: لو أراد الله أَلَّا يُعصى؛ ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعِلْماً في كتاب الله عز وجل، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ إلا من كتب الله عليه أن يصلى الجحيم. وقال: فصَلَتْ هذه الآية بين الناس، وفيها من المعاني: أن الشياطين لا يصلون إلى إضلال أحد إلا من كتب الله عليه أنه لا يهتدي؛ ولو علم الله أنه يهتدي لحال بينه وبينهم، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ رقم [٦٤] من سورة (الإسراء) أي: لستَ تصل منهم إلى شيء إلا إلى ما في علمي، وقال لبيد ـ رضي الله عنه ـ في تثبيت القدر، فأحسن: [الرمل]

إنَّ تقوى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ ... وبإذنِ اللهِ رَيْثِي وعَجَلْ

أحمدُ الله فلا نِدَّ لَهُ ... بيدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شاءَ فَعَلْ

مَــنْ هَــدَاهُ سُــبُــلَ الْــخَــيْــرِ اهْــتَــدَى نَــاعِــمَ الــبَــالِ ومَــنْ شَــاءَ أَضَــلّْ

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: فتنت الرجل. وأهل نجد، يقولون: أفتنته. انتهى. قرطبي. هذا؛ والقرآن جاء بلغة أهل الحجاز، وهو كثير لا يعد، ولا يحصى، قال تعالى في سورة (البروج): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. و(فاتنين): اسم فاعل من الثلاثي، و(صالي): اسم فاعل من: صَلِي فلان النارَ بالكسر يَصْلَى صِلِيًّا، أي: احترق. وقال الجوهري: يقال: صليْتُ الرجل ناراً: إذا أدخلته النارَ، وجعلْتَهُ يصلاها، فإن ألقيتَهُ فيها إلقاءً، كأنك تريد الاحتراق؛ قلت: أصليْتُهُ بالألف، وصلَّيْتُهُ تصْلِيَةً. ويقال أيضاً: صَلِيَ بالأمر: إذا قاسى حره، وشدته. واصطلَيْتُ بالنار، وتصليْتُ بها؛ إذا استَدْفَأْتُ بها، وفلان لا يُصْطَلَى بنارِهِ: إذا كان شجاعاً لا يطاق.

الإعراب: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنكم): (إنّ): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو المعية. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول معه، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: إنكم مع الذي، أو: الذين تعبدونهم، وإن اعتبرت (ما) مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول معه، التقدير: فإنكم مع معبوديكم، وخبر (إنَّ) محذوف لسد المفعول معه مسده، التقدير: فإنكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها، وعلى هذا يحسن السكوت على ﴿تَعْبُدُونَ﴾، كما يحسن في قولك: كل رجل وضيعته، أي: مقترنان. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) معطوفة على اسم (إنَّ)، وعليه فلا يحسن الوقف على ﴿تَعْبُدُونَ﴾، وعلى هذا فيكون من أسلوب قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الفاسق بن الفاسق يحض معاوية على حرب عليٍّ كرم الله وجهه: [الوافر]

فَــإِنَّــكَ وَالــكِــتَــابَ إِلَــى عَــلِــيٍّ كَــدَابِــغَــةٍ وقَــدْ حَــلِــمَ الأَدِيــمُ

أي: فإنك مع كتابتك إليه كدابغة حال حلم الأديم، فلا يمكن الانتفاع به، والحلم بالتحريك: أن يفسد الإهاب في العمل، ويقع فيه دود فيتنقب، تقول منه: حلم الأديم بالكسر. ﴿مَآ﴾: نافية حجازية تعمل عمل: «ليس»، أو هي مهملة تميمية. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿مَآ﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة، (فاتنين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، أو هو خبر المبتدأ على إهمال ﴿مَآ﴾ مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها على الوجه الأول في ﴿مَآ﴾، وفي محل رفع خبر (إنَّ) وما عطف عليه على الوجه الثاني فيها، وهو عطفها على اسم (إنَّ). ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به لـ: (فاتنين)، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وإن اعتبرت المفعول محذوفاً، فالموصول في محل نصب على الاستثناء، التقدير: ما أنتم عليه بفاتنين أحداً، إلا من. . . إلخ. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿صَالِ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، و﴿صَالِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: ذكرت لك فيما سبق: أن هذا الكلام من قول الملائكة تعظيماً لله عز وجل، وإنكاراً منهم عبادة من عبدهم. قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الثلاث الآيات نزلت؛ ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى، فتأخر جبريل عليه السلام، فقال النبي ﷺ: «**أَهُنَا تُفَارِقُني؟**». فقال: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني. وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ...﴾ إلخ الآيات.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ: «**ما في السماءِ موْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أو قائم**». وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وأَسمعُ ما لا تسمعون، أَطَّتِ السَّمَاءُ وحقَّ لَهَا أن تَئِطَّ، ما فيها موضع أَرْبعِ أصابعَ، إِلَّا وملكٌ واضِع جبهتَهُ ساجداً للهِ! واللهِ لوْ تعلمون ما أعْلَمُ؛ لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذْتُمْ بالنساء على الْفُرُشِ، ولخرجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تجأرونَ إلى اللهِ! لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شجرةً تُعْضَدُ**». أخرجه أبو عيسى الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ، والجملة الأخيرة مدرجة من كلام الراوي فيما يظهر. هذا؛ والأطيط: أصوات الإبل، وحنينها من ثقل أحمالها. وقيل: أصوات الأقتاب؛ التي على الإبل من ثقل الأحمال. ومعنى الحديث: ما في السماء من الملائكة قد أثقلها، حتى أطت، وهذا مؤذن بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثَمَّ أطيط. انتهى. خازن. والحديث موجود في القرطبي بكامله.

وقال قتادة: كان يصلي الرجال، والنساء جميعاً حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ قال: فتقدم الرجال، وتأخر النساء، وهذا يعني: أن الآيات مدنية، وليس بشيء يعتد به.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾: قال الكلبي: صفوفهم كصفوف أهل الدنيا في الأرض. وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن في المسجد، فقال: «**أَلَّا تَصُفُّونَ كمَا تَصُفُّ الملائكةُ عندَ رَبِّهَا**». فقلنا: يا رسول الله! كيف تصفُّ الملائكة عند ربها؟ قال: «**يُتِمُّونَ الصفوفَ الأُوَلَ، ويتراصُّون في الصف**». وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول إذا قام للصلاة: أقيموا صفوفكم، واستووا، إنما يريد الله بكم هَدْيَ الملائكة عند ربها، ويقرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ تأخر يا فلان، تقدم يا فلان، ثم يتقدم فيكبر.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ أي: المصلون. قاله قتادة. وقيل: أي: المنزهون الله عما أضافه إليه المشركون. والمراد: أنهم يخبرون: أنهم يعبدون الله بالتسبيح، والصلاة، وليسوا معبودين، ولا بنات الله. انتهى. قرطبي. هذا؛ ولا تَنْسَ الالتفات من الخطاب في الآيات السابقة إلى التكلم في هذه الآيات.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مِنَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والمبتدأ المؤخر محذوف؛ إذ التقدير: وما مِنَّا أحد. أو: وما مِنَّا ملك. فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه. هذا هو المتبادر والمفهوم من أقوال المفسرين الإجمالي، وعند التأمل يتبين لك: أن الجار والمجرور ﴿مِنَّآ﴾ متعلقان بمحذوف صفة المبتدأ المحذوف، التقدير: وما أحد منا، والخبر الجملة الاسمية الواقعة بعد ﴿إِلَّا﴾ ومثل هذا منقول عن السمين. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٦]: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وقوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٧١]: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾ إلخ، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٦٧]: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الجن): ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ إذ التقدير في الآيتين: ومنا ناس دون ذلك، ومن الأبيات الشعرية قول سحيم بن وثيل الرياحي: [الوافر]

أَنَــا ابْــنُ جَــلَا وَطَــلَّاعُ الــثَّــنَــايَــا ... مَــتَــى أَضَــعِ الــعِــمَــامَــةَ تَــعْــرِفُــونــي

وهذا هو الشاهد رقم [٢٨٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»؛ إذ التقدير: أنا ابن رجل جلا... إلخ، وانظر أيضاً الشاهد رقم [٢٩٠] منه، ومثلهما قول تميم بن عقيل: [الطويل]

وَمَــا الــدَّهْــرُ إِلَّا تَــارَتَــانِ فَــمِــنْــهُــمَــا ... أَمُــوتُ وَأُخْــرى أَبْــتَــغِــي الْــعَــيْــشَ أَكْــدَحُ

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَقَامٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مَّعْلُومٌ﴾: صفة له. والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وهذا عند البصريين، وقال الكوفيون التقدير: وما منا إلا من له مقام، ثم حذف الموصول، وأقيمت الصلة مقامه. وهو ضعيف لا يعتد به، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا مِنَّآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (نحن): ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً، لا محل له، فخبر (إنَّ) هو: ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾، ودخلت اللام على ضمير الفصل؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على الخبر، فدخولها على الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من (نا) فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير. والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ معطوفة عليها، والإعراب بحاله لا يتغير.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾: واو الجماعة عائدة على كفار قريش، وعاد الالتفات من التكلم إلى الغيبة، فقد كانوا إذا عُيِّرُوا بالجهل قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. أي: لو بُعث إلينا نبي ببيان الشرائع، وأُنْزِل عليه كتاب مثل موسى، وعيسى؛ لآمنا به، واتبعناه. ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لكنا أعظم إيماناً منهم، وأكثر عبادةً، وأشدَّ إخلاصاً لله منهم. هذا؛ وقد حكى الله عنهم في سورة (فاطر) رقم [٤٢] حلفهم الكاذب حيث قال جل ذكره: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، ومثله قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٠٩]: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا...﴾ إلخ.

﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: جاءهم محمد ﷺ بكتاب، فكفروا به. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: فسوف يَرَوْن عاقبة كفرهم بالله، وآياته. فهو وعيد، وتهديد. وهذه الجملة تُكَرَّر وتُرَدَّد كثيراً في الآيات القرآنية، كما أن (سوف) تصدرت جملاً كثيراً مفادها الوعد بفضل الله الكثير مثل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة مهمل، لا عمل له. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَيَقُولُونَ﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي، والإثبات. (يقولون): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، وهذا الإعراب إنما هو على مذهب البصريين، وأما الكوفيون؛ فيعتبرون: (إن) نافية، واللام بمعنى: إلّا. واستدل الكوفيون على ذلك بقول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٤٢٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

أَمْسَىٰ أَبَانُ ذليلاً بعد عِزَّتِهِ ... وَمَا أَبَانُ لَمِنْ أَعْلَاجِ سُودَانِ

وصفوة القول: إن البصريين، والكوفيين متفقون على إهمال إنَّ إذا خففت، ولزوم اللام بعدها، وإن اختلفوا في معناها، ومعنى اللام الواقعة بعدها، وتفسيرهما. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَخُفِّفَتْ إنَّ فَقَلَّ الْعَمَلُ ... وَتَلْزَمُ اللَّامُ إذَا مَا تُهْمَلُ

﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عِندَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿ذِكْرًا﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾ المؤخر. ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذِكْرًا﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛

لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، تقديره: ولو حصل، أو نزل كون ذلك. وهذا الفعل شرط (لو) عند المبرد. وقال سيبويه: هو في محلٍّ رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو كون ذكرٍ حاصلٍ من الأولين عندنا، وقول المبرد هو المرجح في هذه المسألة؛ لأن ﴿لَوْ﴾ لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر، وفاعله المؤول على قول المبرد جملة فعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَكُنَّا﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (كنا): فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿عِبَادَ﴾: خبر (كان)، و﴿عِبَادَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منصوب مثله، وجملة: ﴿لَكُنَّا...﴾ إلخ جواب ﴿لَوْ﴾، لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها من الإعراب.

﴿فَكَفَرُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (كفروا): فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، انظر تقديرها في الشرح، والكلام كله مستأنف، وقدر الجمل تبعاً للخازن الكلام كما يلي: فلما أتاهم الكتاب كفروا به، وهو جيد معنىً. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها أيضاً. هذا؛ وعاد الجمل فاعتبر الفاء تبعاً لأبي السعود الفصيحة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ الآية رقم [٦٣] من سورة (الشعراء) ولكن بينت لك هناك: أن جملة: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فضرب البحر، فانفلق، ومثل آية (الشعراء) قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦٠]: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾، وقوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٦٠]: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ إذ التقدير: فضرب، فانفجرت، فضرب، فانبجست. وهذا مشهور ومتعارف عليه، فلم يبق لما نقله الجمل عن أبي السعود اعتبار صحيح. تأمل، وتدبر.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين في قديم الأزل بعلو شأنهم، ونصرهم على عدوهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ كما قال تعالى في

الآية رقم [٢١] من سورة (المجادلة): ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾، وقال في الآية رقم [٥١] من سورة (غافر): ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾. ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي: لهم النصرة في العاقبة. كيف لا؛ وقد أوجبها على نفسه جلت قدرته، وتعالت حكمته حيث قال في سورة (الروم): ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا يفيد حتماً: أن الله لا ينصر الفاسقين، الذين يحاربونه، ويحاربون تعاليمه، ويعادون هدي نبيه ﷺ. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٧] من سورة (الروم)، وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**يا معشَرَ المهاجِرينَ! خمْسُ خِصَالٍ إذا ابْتُلِيْتُمْ بهنَّ ـ وأعوذُ بالله أَنْ تُدركوهُن ـ: لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنُوا بها؛ إِلَّا فشا فيهمُ الطَّاعُونُ، والأَوْجَاعُ التي لَمْ تكنْ مَضَتْ في أَسْلافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا المكيالَ والميزانَ إِلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ، وشِدَّةِ المَؤونَةِ، وجَوْرِ السُّلطانِ عليهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زكاة أموالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطرَ منَ السماءِ، ولولا البهائمُ لَمْ يُمْطَرُوا. ولمْ يَنْقُضُوا عهدَ اللهِ، وعهدَ رسولِهِ، إِلَّا سلَّط اللهُ عليهِمْ عَدُوّاً من غَيْرِهِمْ، فأخذوا بعْضَ مَا في أيدِيهِمْ. ومَا لَمْ تحْكُمْ أئمتهُمْ بكِتَابِ اللهِ تعالى، وَيَتَخَيَّرُوا فِيمَا أنزلَ اللهُ إِلَّا جعلَ اللهُ بأسَهُمْ بيْنَهُمْ**». رواه ابن ماجه، والبيهقي، والبزار.

هذا؛ وقد عبر الله بقوله: ﴿كَلِمَتُنَا﴾ وهي كلمات في الحقيقة؛ لأنها لما انتظمت في معنى واحد، كانت في حكم كلمة مفردة، والمراد: الوعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحِجَاج، وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢١١]: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن لم ينصروا في الدنيا؛ نصروا في العقبى. والحاصل: أن قاعدة أمرهم، وأساسه، والغالب منه الظفر، والنصرة، وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء، والمحنة، كالذي وقع للمسلمين في غزوة أحد، وفي غزوة الخندق، والعبرة للغالب، وقد حقق الله وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده بعد غزوة الأحزاب، وقبل وفاة النبي ﷺ، وما تحقق من انتصارات في عهد الخلفاء الراشدين، أكبر شاهد على ذلك.

تنبيه: في (كلمة) ثلاث لغات: الأولى: كَلِمَةَ على وزن نَبِقَةَ، وهي الفصحى ولغة أهل الحجاز، وبها نطق القرآن الكريم في آيات كثيرة، وجمعها: كَلِم، كَنَبِق. والثانية: كِلْمَة على وزن: سِدْرَة. والثالثة: كَلْمَة على وزن: تمرة، وهما لغتا تميم، وجمع الأولى: كِلْم، كسِدْر، وجمع الثانية: كَلْم، كتَمْر، وكذلك كل ما كان على وزن: فَعِل، نحو: كبِد، وكتِف، فإنه يجوز فيه اللغات الثلاث، فإن كان الوسط حرف حلق جاز فيه لغة رابعة، وهي إتباع الأول للثاني في الكسر، نحو فَخِذ، وشَهِد، وهي في الأصل: قول مفرد، مثل: محمد، ومحمود، وقام، وقعد،

وفي، ولن، وقد تطلق على الجمل المفيدة، كما في هذه الآية؛ التي نحن بصدد شرحها، وقال النبي ﷺ: «**أصْدَقُ كَلِمَةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ**»: [الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ - مَا خَلَا اللهَ - بَاطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ - لَا مَحَالَةَ - زَائِلُ

المراد بـ: «كلمة» الشطر الأول بكامله، وتقول: قال فلان كلمة. والمراد: بها كلام كثير، وهو شائع، ومستعمل عربية في القديم، والحديث.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر إعراب هذه الكلمة في الآية رقم [١١٤]. ﴿سَبَقَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَتُنَا﴾: فاعل، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِعِبَادِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: صفة لما قبله مجرور مثله، وجملة: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الآية برقم [١٦٥] فهو مثله بلا فارق، والجملة الاسمية بدل من: ﴿كَلِمَتُنَا﴾، أو هي مفسرة لها. وأجيز اعتبارها مستأنفة، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ معطوفة عليها، والإعراب واحد لا يتغير.

هذا؛ والجند: الأنصار والأعوان، والجمع: أجناد، وجنود، والواحد: جندي، فالياء للوحدة، مثل: روم، ورومي. وجمع ﴿الْغَالِبُونَ﴾ على المعنى، ولو كان على اللفظ؛ لكان: هو الغالب، مثل قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ الآية رقم [١١] من سورة (صۤ) وقال الشيباني: جاء هاهنا على الجمع من أجل: أنه رأس آية.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أعرض عنهم، والخطاب للنبي ﷺ، أمره بالإعراض عن كفار قريش، والمعنى: اصبر على أذاهم لك، وانتظر إلى وقت مؤجل، فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر. ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي: انظرهم، وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك، ولذا قال تعالى على وجه التهديد و الوعيد: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أي: سيرون وينظرون ما يحل بهم من العذاب والمقت والنكال. قال قتادة: سوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار. هذا؛ وسوف من الله للوجوب، وهي هنا للوعيد، وليس للتبعيد؛ إذ ليس المقام مقامه، كما تقول: سوف أنتقم منك وأنت متهيئ للانتقام.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: استفهام إنكاري للتهديد، والوعيد، والمعنى: أيستعجلون بعذاب الله؟! فكانوا كلما نزلت آيات تخوفهم العقاب الشديد، والعذاب الأليم، قالوا: «متى هذا الوعد، إن كنتم صادقين؟» بل قد حكى الله قولهم في سورة (الأنفال) رقم [٣٣]: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. هذا؛ ويكثر النهي

في القرآن الكريم عن العجلة، واستعجال الشيء قبل أوانه، وهذا النهي أكثر ما يوجه للكافرين، الذين طلبوا استعجال العذاب، وقد يوجه إلى بني آدم جميعاً، وقد توجه إلى النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ رقم [١١٤] من سورة (طه) بينما حث الله على المسارعة إلى فعل الطاعات، فقال في (آل عمران): ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ رقم [١٣٣]، وقال في سورة (الحديد): ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلخ رقم [٢١] كما وصف أنبياءه، ورسله بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، وهذا لا يناقض ما روي: «**الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالتَّأَنِّي مِنَ الرَّحْمنِ**». لأن المسارعة إلى الطاعات مستثناة من ذلك، كما أن هنالك أموراً تسن المبادرة إلى فعلها، كأداء الصلاة المكتوبة إذا دخل وقتها، وقضاء الدين بحق الموسر، وتزويج البكر البالغ إذا أتى الكفؤ لها، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل. وخذ ما يلي: فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ له: «**يا عَلِيُّ! ثَلاثٌ لا تُؤَخِّرْهَا: الصلاةُ إذا أَتَتْ، والجنازةُ إِذَا حَضَرتْ، والأَيِّمُ إذا وَجَدَتْ كُفْؤاً**». رواه الترمذي.

الإعراب: ﴿فَتَوَلَّ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة، (تول): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها، سواء أكانت مستأنفة، أو جواباً لشرط مقدر بـ: «إذا». ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور بـ: (عَنْ) و﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى: «إلى» هنا. ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف تعليل. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿يُبْصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها تعليل للأمر قبلها. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف استئناف. (بعذابنا): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف. ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: فعل مضارع وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها مع ما يقدر قبلها.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ أي: العذاب. ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بدارهم. والساحة: الفناء الخالي من الأبنية، وجمعها: سوح، فألفها منقلبة عن واو فتصغر على سويحة. قال أبو ذؤيب الهذلي، وهو الشاهد رقم [٩٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

وكـانَ سِيَّـانِ أَنْ لا يَسْـرَحُـوا نَـعَـمـاً أَو يَـسْـرَحُـوهُ بِـهـا واغْـبَـرَّتِ الـسُّـوحُ

ويقال: احمرَّ اللُّوحُ، واغبرت السوح: إذا وقع الجدب. ويقال في معرض الدعاء: عمر الله تعالى بك ساحتك. ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب. وخص الصباح بالذكر؛ لأن العذاب كان يأتيهم فيه، ومنه الحديث الذي رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما أتى رسول الله ﷺ خيبر؛ وكانوا خارجين إلى مزارعهم، ومعهم المساحي، فقالوا: محمدٌ والخميسُ، ورجعوا إلى حصنهم، فقال ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ خرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بساحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**». أخرجه البخاري، ومسلم، والمراد: بقولهم: الخميس: الجيش.

هذا؛ وفي الآية الكريمة استعارة تمثيلية: مُثِّل للعذاب النازل بهم بجيش هجم عليهم، فأناخ بفنائهم بغتة، ونصحهم بعض النصائح، فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم؛ حتى اجتاحهم الجيش، فشنَّ عليهم الغارة، وقطع دابرهم. وما فصحت هذه الآية، ولا كانت لها الروعة؛ التي تحس بها، ويروقك موردها، إلا لمجيئها على طريقة التمثيل، انتهى. كشاف، وغيره. وقال البيضاوي: والصباح مستعار من صباح الجيش المبيَّت لوقت نزول العذاب. ولما كثر فيهم الهجوم، والغارات في الصباح؛ سموا الغارة: صباحاً؛ وإن وقعت في وقت آخر.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ...﴾ إلخ: أعاد هاتين الآيتين ليكون تسليةً على تسلية، وأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد، وفيه فائدة زائدة، وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول، وأنه يبصر، وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة، وأنواع المساءة. وقيل: أريد بالأول عذاب الدنيا، وبالآخر عذاب الآخرة. انتهى. كشاف.

هذا ﴿وَتَوَلَّ﴾: أعرض. والتولي، والإعراض، والإدبار عن الشيء يكون بالجسم، ويستعمل في الإعراض عن الأمور، والاعتقادات اتساعاً، ومجازاً. هذا؛ ويجوز في الآية الأولى أن يكون (ساء) على بابه من التصرف، والتعدي، ومفعوله محذوف، أي: ساءهم صباح المنذرين، وأن يكون جارياً مجرى بئس، فيحول إلى «فَعُل» بالضم، ويمتنع تصرفه، ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً، كما تقرر غير مرة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [١٣]. ﴿نَزَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى العذاب المفهوم من الفعل السابق. ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَسَآءَ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (ساء): فعل ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿صَبَاحُ﴾: فاعله، و﴿صَبَاحُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: فساء صباح المنذرين صباحهم هذا. وقدر الجلال الكلام كما يلي: فبئس صباحاً صباح المنذرين. قال سليمان الجمل ـ رحمه الله

تعالى ـ: أشار بهذا إلى أن ضمير بئس يعود إلى المخصوص، وأن التمييز محذوف، وأن المذكور مخصوص، لا فاعل. انتهى. وانظر اعتباره تاماً متصرفاً في الشرح، وجملة: ﴿فَسَآءَ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ لا حاجة إلى إعادة إعراب هاتين الجملتين.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ...﴾ إلخ: ينزه الله تبارك وتعالى نفسه الكريمة، ويقدسها، ويبرئها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون، تعالى، وتنزه، وتقدس عن قولهم علواً كبيراً. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: من الصاحبة، والولد، وعن كل سوء، وعيب، ونقص. وسئل محمد بن سُحنون عن معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: لِمَ جاز ذلك، والعزة من صفات الذات، ولا يقال: رب القدرة، ونحوها من صفات ذاته جل وعز؟ فقال: العزة تكون صفة ذات، وصفة فعل، فصفة الذات، نحو قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ الآية رقم [١٠] من سورة (فاطر)، وصفة الفعل نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ والمعنى رب العزة التي يَتَعَازُّ بها الخلق فيما بينهم، فهي من خلق الله عز وجل. وقال الماورديُّ: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: مالك العزة، والثاني: رب كل شيء متعزِّز من ملك، أو مُتَجَبِّرٍ. انتهى. قرطبي.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الذين بلغوا الرسالة، والتوحيد عن الله تعالى. وقيل: المعنى: لهم أَمْنٌ من الله عز وجل يوم الفزع الأكبر. وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ؛ فَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا رسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»**. أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم مسنداً عن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: له الحمد في الأولى، والآخرة على كل حال، والحمد لله على جميع ما أنعم الله به على الخلق أجمعين. وقيل: على هلاك المشركين. دليله قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية رقم [٤٥] من سورة (الأنعام). وقيل: الحمد لله على إرسال المرسلين مبشرين ومنذرين. والكل مراد، والحمد يعم. انتهى. قرطبي.

تنبيه: روى الثعلبي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ كان يقول قبل أن يسلم: **«سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ... إلخ»**. وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين يقول في آخر صلاته، أو حين ينصرف: «سُبْحَانَ رَبِّكَ... إلخ». وروى ابن أبي حاتم والماوردي عن الشعبي، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بالمِكْيَالِ الأَوْفَى مِنَ الأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَقُلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ حينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ:** ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ...﴾ **إلخ»**. رواه الثعلبي من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ وقد وردت أحاديث كثيرة في كفارة المجلس مذكورة في كتاب: «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، أكتفي بما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ جَلَسَ مجلساً كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**». رواه أبو داود والترمذي، والنسائي، والحاكم، وابن حبان.

هذا؛ و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع: عالم بفتح اللام، وجمع لاختلاف أنواعه، وهو جواب عما يقال: إنه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله، والجمع لا بد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر، وجمع بالياء والنون تغليباً للعقلاء على غيرهم، وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدل له قول موسى ـ على نبينا، وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. هذا؛ والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف، في البر، والبحر؛ إذ كل جنس من المخلوقات يقال له: عالم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

هذا؛ و(سلام) اسم مصدر، لا مصدر؛ لأن المصدر: تسليم؛ لأنه من سلَّم، يسلِّم بتشديد اللام فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، ومثله: عطاء، وعذاب، ونبات؛ لأعطى؛ وعذَّب، وأنبت.

أما ﴿سُبْحَٰنَ﴾ فهو اسم مصدر، وقيل: هو مصدر، مثل: غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل سبَّح بتشديد الباء، والمصدر تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، مثل معاذ الله، وقد أُجْرِيَ علماً على التسبيح، بمعنى: التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا جاءَني فَخْرُهُ: سُبْحَانَ مَنْ عَلْقَمَةُ الْفَاخِرُ؟

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً لائقاً بجلاله، وعظمته، وجملة القول فيه: هو اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، من رفع، وجر، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجئ من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء. ولم ينصرف؛ لأن في آخره زائدتين: الألف، والنون، ومعناه: التنزيه والبراءة لله ـ عز وجل ـ من كل نقص، فهو ذكر عظيم لله تعالى، لا يصلح لغيره. وقد روي عن طلحة الخير بن عبيد الله ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم أجمعين ـ أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: «**تَنْزِيهُ اللهِ مِنْ كلِّ سُوءٍ**». والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه، لا من لفظه؛ إذ لم يجر له من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء. فالتقدير عنده: أُنَزِّهُ اللهُ تنزيهاً. فوقع (سبحان الله) مكان قولك: تنزيهاً لله.

الإعراب: ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، كما رأيت في الشرح، و﴿سُبْحَٰنَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر، والمصدر جملة فعلية مستأنفة، لا محل لها، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿رَبِّ﴾: بدل مما قبله، ويجوز في العربية نصبه على المدح بفعل محذوف، ورفعه على إضمار مبتدأ محذوف. و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعِزَّةِ﴾ مضاف إليه... إلخ. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ انظر الإعراب مفصلاً في الآية رقم [١٥٩].

﴿وَسَلَٰمٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (سلام): مبتدأ. ﴿عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْحَمْدُ﴾: الواو: حرف عطف. (الحمد): مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿رَبِّ﴾: بدل من لفظ الجلالة، أو صفة له، ويجوز في العربية نصبه ورفعه مثل سابقه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه... إلخ. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

انتهت سورة الصافات، بحمدِ الله وتوفيقه

شرحاً وإعراباً، والحمد لله رب العالمين.

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

ويقال لها: سورة داود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وهي مكية في قول الجميع، وهي ست. وقيل: ثمان وثمانون آية، وسبعمئة واثنتان وثلاثون كلمة، وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفاً. انتهى. خازن.

﴿صٓ . . .﴾

﴿صٓ﴾: قراءة العامة (صَادْ) بجزم الدال على الوقف؛ لأنه حرف من حروف الهجاء مثل: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾. وقرأ أُبَيُّ بن كعب، وغيره: (صَادِ) بكسر الدال بغير تنوين، ولقراءته مذهبان: أحدهما: أنه من: صَادَى، يصادي: إذا عارض. والمصاداة: المعارضة، ومنه: الصَّدَى، وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية، فالمعنى صادِ القرآن بعملك، أي: عارضه بعملك، وقابله به، فاعمل بأوامره، وانتهِ عن نواهيه، والمذهب الثاني: أن تكون الدال مكسورة لالتقاء الساكنين.

وقرأ عيسى بن عمر (صَادَ) بفتح الدال، ومثله (قَافَ) و(نونَ) بفتح آخرها، وله في ذلك ثلاثة مذاهب: أحدها: أن يكون بمعنى: أُتْلُ صادَ. والثاني: أن يكون فتح لالتقاء الساكنين. واختار الفتح للإتباع، ولأنه أخف الحركات. والثالث: أن يكون منصوباً على القسم بغير حرف جر، كقولك: اللهَ لأفعلَنَّ، وقرأ ابن أبي إسحاق (صادٍ) بكسر الدال، والتنوين، على أن يكون مخفوضاً على حذف حرف القسم، وهذا بعيد؛ وإن كان سيبويه قد أجاز مثله. وقرأ هارون الأعور، ومحمد بن السَّمَيْقَع: (صادُ) و (قافُ) و (نونُ) بضم آخرهن؛ لأنه المعروف بالبناء في غالب الأحوال، نحو منْذُ وقطُّ وبعْدُ. انتهى. قرطبي بتصرف.

وقال الخازن: قيل: هو قسم. وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو مفتاح اسمه: الصمد، وصادق الوعد، والصبور. وقيل: معناه: صدق الله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: صدق محمد ﷺ.

﴿. . . وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾

قال الضحاك: ذي الشرف؛ أي: من آمن به كان شرفاً له في الدارين، كما قال تعالى في الآية رقم [١٠] من سورة (الأنبياء): ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم. وأيضاً:

القرآن شريف في نفسه لإعجازه، واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره. وقيل: أي: ذي الموعظة، والذكرى، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها، كأقاصيص الأنبياء، والوعد، والوعيد.

هذا؛ والقرآن مشتق من: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم، والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طرق الرشاد. هذا؛ وهو في اللغة مصدر بمعنى: الجمع، يقال: قرأت الشيء قرآناً، أي: جمعته، وبمعنى: القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءةً، وقرآناً، ثم نقل إلى هذا المجموع، المقروء المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر فيما بين الدفتين، وهو المراد. ويحرم على المحدث حدثاً أكبر قراءته، وحمله، ومسه، وعلى المحدث حدثاً أصغر حمله، ومسه، ولا يمنع من قراءته عن ظهر قلب، قال تعالى في تقديسه وتعظيمه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

الإعراب: ﴿صٓ﴾: فيه أوجه: أحدها أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه ﴿صٓ﴾. الثاني: أنه مفعول به لفعل محذوف. التقدير: أُتْلُ ﴿صٓ﴾. الثالث: أنه مقسم به، التقدير: أقسم بـ: ﴿صٓ﴾. ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم بـ: (القرآن). ﴿ذِى﴾: صفة: (القرآن) مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِى﴾ مضاف، و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ مضاف إليه، وجواب القسم محذوف، تقديره: إنه لمعجز، بدليل الثناء عليه بقوله: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، أو ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾، أو: تقديره: ما الأمر كما زعموا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾. وقيل: مذكور، فقال الأخفش: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ وقال الفراء، وثعلب: هو ﴿صٓ﴾ لأن معناها صدق الله، ويرده: أن الجواب لا يتقدم، فإن أريد: أنه دليل الجواب؛ فقريب. وقيل: هو قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وحذفت اللام للطول. انتهى. مغني اللبيب بحروفه. والمعتمد: الأول، والثاني من هذه الاعتبارات، والتقديرات.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ﴾ أي: في تكبر، وامتناع من قبول الحق، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ والعزة عند العرب: الغلبة، والقهر. يقال: مَنْ عزَّ بزَّ، يعني: من غلب سَلَب، قالت الخنساء ـ رضي الله عنها ـ: [المتقارب]

كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا حِمىً يُتَّقى ... إذ النَّاسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

وهذا هو الشاهد رقم (١٣٤) من كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد مغني اللبيب، والاسم: العزة، وهي: القوة، والغلبة، قال الشاعر: [الوافر]

قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبَـاتَـتْ تُـجَـاذِبُـهُ وَقَـدْ عَـلِـقَ الْـجَـنَـاحُ

وانظر الآية رقم [٢٣] الآتية.

﴿وَشِقَاقٍ﴾: أي: في إظهار خلاف، ومباينة. هذا؛ وللشقاق ثلاثة معان: أحدها: العداوة، كما في قوله تعالى حكاية عن قول شعيب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ...﴾ رقم [٨٩] من سورة (هود). والثاني: الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ رقم [٥٣] من سورة (الحج). والثالث: الخلاف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا...﴾ إلخ رقم [٣٥] من سورة (النساء). وأرى: أن المعاني الثلاثة صحيحة في هذه الآية.

هذا؛ والكفر: ستر الحق بالجحود، والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها كفراً، وكفوراً، وكفْراناً: إذا جحدها، وسترها، وأخفاها. وكفر الشيء: ستره، وغطاه. وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره. وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب. قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾. وسمي الليل كافراً؛ لأنه يغطي، ويستر كل شيء بظلمته، قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته رقم [٦٥]: [الكامل]

حَـتَّـى إِذَا أَلْـقَـتْ يَـداً فـي كـافِـرٍ وأَجَـنَّ عَـوْرَاتِ الـثُّـغُـورِ ظَـلَامُـهَـا

هذا؛ وأطلق لفظ الكافر على النهر، قال المتلمس حين ألقى الصحيفة في النهر: [الطويل]

وأَلْـقَـيْـتُـهَـا بِـالـثِّـنْـيِ مِـنْ جنـبِ كـافِـرٍ كَـذَلِـكَ أُلْـقِـي كـلَّ رأيٍ مـضَـلِّـلِ

رضِـيـتُ لـهَـا بـالـمـاءِ لـمَّـا رأيـتـهَـا يـجـولُ بـهَـا الـتَّـيَّـارُ فـي كـلِّ جـدْوَلِ

الإعراب: ﴿بَلِ﴾: حرف عطف وإضراب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ ﴿وَشِقَاقٍ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه؛ بل الذين... إلخ، والكلام كله مستأنف لا محل له.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة أمم قبلهم كانوا مثلهم، أو أشد قوة، وأكثر أموالاً، وأولاداً، فأهلكهم الله بسبب إعراضهم عن الحق، ومعاداتهم لرسلهم. ﴿فَنَادَواْ﴾ أي: فاستغاثوا، واستجاروا عند نزول العذاب بهم طلباً للنجاة. هذا؛ والنداء رفع الصوت، قال الشاعر أبو تمام: [الوافر]

لَقَدْ أَسْمَعْتَ مَنْ نَادَيْتَ حَيّاً ... وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

ومنه قول النبي ﷺ لمن رأى رؤيا الأذان: «**أَلْقِهِ عَلَى بِلَالٍ فَإِنَّهُ أَنْدى مِنْكَ صَوْتاً**». أي: أرفع صوتاً منك.

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: وليس الوقت وقت فرار، وهرب من العذاب؛ الذي حل بهم، أي: فلم ينفعهم نداؤهم، واستغاثتهم حين نزل العذاب بهم، قال الفراء: [الطويل]

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... فَتُقْصِرُ عَنْهَا خُطْوَةً وتَبُوصُ

تنوص: تتأخر، وتهرب، وتبوص: تتقدم، يقال: ناص عن قرنه، ينوص نَوْصاً، ومَنَاصاً، أي: فر، وزاغ. وقال النحاس: ويقال: ناص ينوص: إذا تقدم. فعلى هذا يكون من الأضداد.

هذا؛ و﴿وَلَاتَ﴾ هي لا النافية زيدت عليها تاء التأنيث الساكنة لتقوي شبهها بـ: «ليس» لأنها بتلك التاء تصير على وزنها، وهذه التاء لتأنيث اللفظ عند الجمهور، كتاء: رُبَّتْ وثُمَّتْ، وإنما حركت بالفتح للتخلص من التقاء الساكنين، وفرقاً بينها وبين الداخلة على الفعل. وأما الوقف عليها ففيه مذهبان: المشهور عند العرب، وجماهير القراء السبعة بالتاء، والكسائي وحده بالهاء، والأول مذهب الخليل، وسيبويه، والزجاج، والفراء، وابن كيسان. والثاني مذهب المبرد، وأغرب أبو عبيد، فقال: الوقف على «لا» والتاء متصلة بـ: ﴿حِينَ﴾. هذا؛ وخصت بلزوم دخولها على الأحيان، وحذف أحد المعمولين. وقال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَمَا لِلَاتَ فِي سِوَى حِينٍ عَمَلْ ... وَحَذْفُ ذِي الرَّفْعِ فَشَا وَالْعَكْسُ قَلْ

هذا؛ وقرئ بجر (حين) ومثله قول أبي زبيد الطائي، وهو الشاهد رقم (٤٥٧) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الخفيف]

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لَاتَ حِينَ بَقَاءِ

وهو على أحد توجيهين: إما؛ لأن «لات» تجر الأحيان، كما أن «لولا» تجر الضمائر، كقول عمر بن أبي ربيعة: [السريع]

أَوْمَتْ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهَوْدَجِ ... لَوْلَاكَ فِي ذَا الْعَامِ لَمْ أَحْجُجِ

أو لأن «أوانٍ» شبه بـ: «إذٍ» لأنه مقطوع عن الإضافة؛ إذ أصله: أوان صلح، ثم حمل عليه (مناص) تنزيلاً لمَّا أضيف إليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد؛ إذ أصله حين مناصهم، ثم بني الحين لإضافته إلى غير متمكن. انتهى. بيضاوي، ويمكن التمثيل أيضاً بقول المتنبي ـ وهو الشاهد رقم (٢٦٣) من كتابنا: «فتح رب البرية» إعراب شواهد جامع الدروس العربية ـ: [البسيط]

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ ... وَالآنَ أَقْحُمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ

وما أحراك أن تنظر بحثها وشواهدها في كِتَابيَّ: «فتح القريب المجيب» و«فتح رب البرية» وانظر شرح «قرن» في الآية رقم [٣١] من سورة (يسٓ).

أما (نادَوْا) فقل في إعلاله: أصله قبل دخول واو الجماعة: ناديَ، فتحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فلما اتصلت به واو الجماعة صار: «نَادَاوْا» فالتقى ساكنان: ألف العلة وواو الجماعة، وحرف العلة أولى بالحذف من الضمير، فحذف حرف العلة، وبقيت الفتحة على الدال، دليلاً على الألف المحذوفة. ويقال في إعلاله أيضاً: رُدَّتِ الألف لأصلها، عند اتصاله بواو الجماعة، فصار: «نَادَيُوا» فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت ألفاً، فالتقى ساكنان: ألف العلة، وواو الجماعة، كما يقال أيضاً: رُدَّتِ الألف لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار: (نَادَيُوا) فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان: ياء العلة، وواو الجماعة، فحذفت ياء العلة. . .إلخ. وما ذكرته يجري في إعلال كل فعل ناقص، اتصل به واو الجماعة، مثل: نَجَا، ورمَى، وسعَى، ودعَا، وغزَا. . . إلخ، تنبه لذلك واحفظه.

هذا؛ وتحرك واو الجماعة بالضمة إذا التقى ساكنان، مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وإنما حركت بالضمة دون غيرها؛ ليفرق بين واو الجماعة، والواو الأصلية في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ...﴾ إلخ. وقيل: ضمت؛ لأن الضمة أخف من الكسرة؛ لأنها من جنس الواو. وقيل: حركت بحركة الياء المحذوفة، وقيل: غير ذلك.

الإعراب: ﴿كَمۡ﴾: خبرية بمعنى: «كثير» مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَبۡلِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرۡنٖ﴾: تمييز لـ: ﴿كَمۡ﴾، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الصلة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَنَادَواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (نادوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَّلَاتَ﴾: الواو: واو الحال. (لات): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس»، واسمها محذوف. ﴿حِينَ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿مَنَاصٖ﴾ مضاف إليه. هذا؛ وعلى قراءة: ﴿حِينَ﴾ بالرفع فهو اسمها، والخبر محذوف، والتقدير على الأول: ولات الحِينُ حينَ مناصٍ لهم. وعلى الثاني: ولات حِينُ مناصٍ حَاصِلاً لهم، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير؛ الذي ظهر في التقديرين.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾

الشرح: ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ أي: تعجب كفار قريش. ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾: تعجبوا من مجيء رسول من البشر مثلهم، أو أمي من أمثالهم. ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ أي: محمد. ﴿سَٰحِرٞ﴾: فيما يظهره معجزة. ﴿كَذَّابٌ﴾: فيما يقوله على الله تعالى. وقد وضع الظاهر، وهو ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ موضع الضمير غضباً عليهم، وذماً لهم، ودلالةً على أن هذا القول لا يقوله، ولا يجرؤ عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر، المنهمكون في الغي والضلال؛ إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا مَنْ صدقه الله كاذباً ساحراً، ويتعجبوا من التوحيد؛ وهو الحق الأبلج، ولا يتعجبوا من الشرك؛ وهو باطل لجلج، وانظر العجب في الآية رقم [١١] من سورة (الصافات). هذا؛ ويريدون بـ: ﴿سَٰحِرٞ﴾: يجيء بالكلام المموه الذي يخدع به الناس.

الإعراب: ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (عجبوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعوله. ﴿مُّنذِرٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنۡهُمۡۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُّنذِرٌ﴾، و﴿أَن﴾ والفعل (جاء) في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. انظر الشرح. هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: ﴿أَن﴾ بمعنى: إذ، أي: هي للتعليل، وأورد قول الفرزدق: [الطويل]

أَتَغْضَبُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جِهَاراً، وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ؟

وهذا هو الشاهد رقم (٤٧) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وجملة ﴿وَعَجِبُوٓاْ...﴾ إلخ، لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿سَٰحِرٞ﴾: خبر أول. ﴿كَذَّابٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾

الشرح: روي: أنه لما أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ شق على قريش إسلامه، فاجتمعوا إلى أبي طالب، وقالوا: اقض بيننا وبين ابن أخيك! فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ، فقال: يا بن أخي! إن قومك هؤلاء يسألونك السواء (أي: الحق، والإنصاف)، فلا تمل كل الميل على قومك! قال: **وما يسألونني؟** قالوا: ارفضنا، وارفض ذكر آلهتنا، وندعُكَ، وإلهكَ! فقال

النبي ﷺ: «**أتعطونني كلمة واحدة، تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم؟**». فقال أبو جهل: لله أبوك! لنعطينكها، وعشر أمثالها! فقال النبي ﷺ: «**قُولُوا: لا إله إِلّا اللهُ**». فنفروا من ذلك، وقاموا، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ فكيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟. هذا؛ وكان لهم ثلاثمئة وستون صنماً منصوبة حول الكعبة المعظمة، فأنزل الله فيهم هذه الآيات إلى قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾. و﴿عُجَابٌ﴾ أي: بليغ في العجب، وقد فرق الخليل بين عُجَاب، وعجيب، فقال: العجيب: العَجَب، والعُجَاب: الذي قد تجاوز حدَّ العجب، والطويل: الذي فيه طول، والطُّوال: الذي قد تجاوز حد الطول.

الإعراب: ﴿أَجَعَلَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (جعل): فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى النبي؛ الذي عبروا عنه بـ: ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، والفعل من أفعال التحويل، وقد نصب مفعولين: ﴿ٱلْأَلِهَةَ﴾: مفعول به أول. ﴿إِلَهًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَاحِدًا﴾: صفة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَشَيْءٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾. واللام هي المزحلقة. ﴿عُجَابٌ﴾: صفة (شيء). والآية بكاملها في محل نصب مقول القول.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ أي: خرجوا من عند أبي طالب بعد أن طلب منهم الرسول ﷺ كلمة التوحيد. هذا؛ و﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، والسادة، ولا يقال لغيرهم؛ لأنهم يملؤون العيون بكبريائهم، وعظمتهم وزينتهم، وبما يحاطون به من هيبة وعظمة، وهو اسم جمع، لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ونحوه. هذا؛ وكان الملأ الذين أتوا إلى أبي طالب خمسة وعشرين رجلاً، أعظمهم الوليد بن المغيرة.

﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ أي: انْطَلَقُوا. يقول بعضهم لبعض: اثبتوا على عبادة آلهتكم، واصبروا عليها، لا تحيدوا عنها. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ أي: إن الذي جاء به محمد، ويدعونا إليه إنما يريد به الانقياد له؛ ليعلو علينا، ونكون له أتباعاً، فيتحكم بما يريد فينا، فهذا قصده، ومراده منا. فهو تحذير لبعضهم بعضاً. وقال الزمخشري: أي: يريده الله تعالى، ويحكم بإمضائه، وما أراد الله كونه؛ فلا مرد له، ولا ينفع فيه إلا الصبر. أو: إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر، يراد بنا، فلا انفكاك لنا منه. أو: إن دينكم لشيء يراد، أي: يطلب ليؤخذ منكم، وتغلبوا عليه. والأول أقوى، وأولى بالاعتبار؛ لأنه الموافق للمقام.

الإعراب: ﴿وَٱنطَلَقَ﴾: الواو: حرف عطف. (انطلق الملأ): ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من:

﴿ٱلۡمَلَأُ﴾. ﴿أَنِ﴾: فيها اعتبارات: الأول: أنها صلة، والجملة بعدها مقولة الحال محذوفة؛ أي: قائلين: ﴿ٱمۡشُواْ﴾. والثاني: أنها مفسرة لجملة محذوفة في محل نصب حال، تقديره: وانطلقوا يتحاورون أن امشوا. والثالث: أنها مصدرية معمولة لهذا المقدر. وقيل: الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام، نحو: انطلق لسانه، فـ: ﴿أَنِ﴾ مفسرة له من غير تضمين، ولا حذف. انتهى. جمل، وسمين بتصرف. واعتبار الصلة مني، ودليله: أنه قرئ بإسقاطها، وجملة: ﴿ٱمۡشُواْ﴾ في محل نصب مقول القول على الاعتبار الأول، ومفسرة لا محل لها على الاعتبار الثاني، وتسبك بمصدر مع ﴿أَنِ﴾ على الاعتبار الثالث فيها.

﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، ويقال: لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق بين واو الجماعة، وواو العلة، هذا هو الإعراب المشهور في مثل هذا الفعل، والأصل أن تقول في مثله: فعل أمر مبني على سكون مقدر على آخره، منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضمة لمناسبة واو الجماعة. وما أجدرك أن تلاحظ هذا في كل فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، أو إلى ألف الاثنين، مثل: اصبرا، وقد حرك بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين، أو إلى ياء المؤنثة المخاطبة، مثل: اصبري، وقد حرك بالكسرة لمناسبة ياء المخاطبة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها. ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب سابقتها بلا فارق. ﴿يُرَادُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى: (شيء)، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: (شيء). تأمل وتدبر، وربك أعلم، وأجل وأكرم. .

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾

الشرح: ﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ أي: الذي يقوله محمد ﷺ. ﴿فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: يريدون الملة النصرانية التي هي آخر الملل، فإن النصارى يقولون بالتثليث، لا بالتوحيد. وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقال مجاهد، وقتادة: يعنون: دين قريش، أي: ليس هذا في الدين الذي أدركنا عليه آباءنا. ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ أي: الذي يقوله محمد ما هو إلا كذب، وافتراء. هذا؛ والملة: الطريقة، والديانة، والشريعة، قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٧٨]: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾. وهي بفتح الميم: الرماد الحار. هذا؛ وخلق الشيء، واختلقه: ابتدعه، وافتراه.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿سَمِعۡنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ: (نا)، و(نا): ضمير متصل في محل رفع فاعل. وهذا هو المتعارف عليه في إعراب مثل هذا الفعل، والإعراب

الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض، كراهة توالي أربع متحركات، فيما هو كالكلمة الواحدة. وهكذا قل في إعراب كل فعل ماض، اتصل به ضمير رفع متحرك، مثل: سمعت، وسمعن، وسمعنا... إلخ. ﴿بِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء المقحمة حرف تنبيه، لا محل له. ﴿فِي ٱلْمِلَّةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من اسم الإشارة؛ أي: موجوداً في الملة. ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: صفة: ﴿ٱلْمِلَّةِ﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هَٰذَآ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱخْتِلَٰقٌ﴾: خبر المبتدأ، والآية كلها في محل نصب مقول القول؛ لأنها من مقول الكافرين.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ. ﴿ٱلذِّكْرُ﴾: الوحي، أو القرآن؛ الذي يتلوه. ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾: فهم ينكرون اختصاص النبي ﷺ بالوحي من بينهم، وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف، والسيادة، والرياسة. وقد صرح الله بقولهم هذا في سورة (الزخرف) رقم [٣١]: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ وهذا هو صريح الحسد، والحقد، الذي يغلي في صدورهم. وقولهم هذا شبيه بقول قوم صالح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ سورة القمر [٢٥] و[٢٦].

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: من وحيي، وقرآني؛ الذي أنزلته عليك يا محمد. وهذا يعني: أنهم قد علموا: أنك لم تزل صدوقاً فيما بينهم، أميناً عندهم، وإنما شكُّوا فيما أنزلته عليك، هل هو من عندي أم لا؟ ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ أي: لم يذوقوا عذابي بعد، وذوقهم له متوقع، فإذا ذاقوه؛ زال عنهم الشك، وصدقوا، وتصديقهم لا ينفعهم حيئذ؛ لأنهم صدقوا مضطرين، وإنما المضطر تصديقه لا ينفعه، كما لم ينفع فرعون حين أدركه الغرق، فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. هذا؛ وانظر استعارة ذوق العذاب في الآية رقم [٣٨] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿أَءُنزِلَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (أنزل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلذِّكْرُ﴾: نائب فاعل. ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلذِّكْرُ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿أَءُنزِلَ...﴾ إلخ من مقول الكافرين أيضاً. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى شَكٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّن ذِكْرِى﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿شَكٍّ﴾، أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال

المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿بَل﴾: حرف عطف، وانتقال. ﴿لَّمَّا﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَذُوقُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمَّا﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَذَابِ﴾: مفعول به منصوب. وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة. والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾

الشرح: المعنى: بل أعندهم خزائن رحمة الله، وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا، ويصرفوها عمن شاؤوا، فيتخيروا للنبوة من شاؤوا من صناديدهم، وزعمائهم؟! لا شيء لهم من ذلك، فالله هو المتصرف في ملكه، الفعال لما يشاء، ينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده، لا مانع لما شاء، ولما يشاء، فهو الغالب على أمره، لا يُغلَب، وهو الوهاب الذي له أن يهب ما يشاء لمن يشاء، وهو العلي القدير، الفعال لما يريده. ثم رشح ذلك بقوله الآتي.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿عِندَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿خَزَآئِنُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿رَحْمَةِ﴾ مضاف إليه، و﴿رَحْمَةِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: بدل من: ﴿رَبِّكَ﴾، أو صفة له. ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾: بدل ثان، أو صفة ثانية، والجملة الاسمية: ﴿عِندَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ...﴾ إلخ: قال البيضاوي: كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأن ليس عندهم خزائن رحمته؛ التي لا نهاية لها؛ أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني، الذي هو جزء يسير من خزائنه، فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها؟ انتهى. ومن أين لهم حتى يتكلموا في الأمور الربانية، والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء؟ انتهى. كشاف، وانظر شرح: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (السجدة).

﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ أي: إن كان لهم شيء من ذلك؛ فليصعدوا في المراقي؛ التي توصلهم إلى السماء، وليدبروا شؤون هذا الكون! وهو تهكم بهم، واستهزاء. قال الزمخشري: تهكم بهم غاية التهكم، فقال: إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق، والتصرف في قسمة الرحمة،

وكان عندهم من الحكمة ما يميزون بها بين من هو حقيق بالنبوة من غيره، فليصعدوا في المعارج؛ التي يتوصلون بها إلى العرش؛ حتى يستووا عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون!! وهو غاية التهكم بهم. انتهى. صفوة التفاسير. منقولاً من الكشاف بتصرف. ولا تنسَ: أن الأمر للتوبيخ، والتقريع، والتعجيز.

هذا؛ ويقال: رقَى، يرقى، وارتقى: إذا صَعِد، ورقَى، يَرْقِي رَقْياً، مثل: رمى، يرمي رَمْياً من الرقية. قال الربيع بن أنس: الأسباب أرق من الشَّعر، وأشد من الحديد، ولكن لا ترى، والسبب في اللغة: كل ما يتوصل به إلى المطلوب من حبل، أو غيره. وقيل: الأسباب: أبواب السموات؛ التي تنزل الملائكة منها. قاله مجاهد، وقتادة. وقال زهير بن أبي سلمى المزني في معلقته رقم [٥٠]: [الطويل]

ومَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. وهي هنا بمعنى: همزة الإنكار، وقدرها البيضاوي هنا، وفي الآية السابقة بـ: بل، والهمزة. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُّلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مُّلْكُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، و(الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على السموات والأرض. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿فَلْيَرْتَقُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. اللام: لام الأمر. (يرتقوا): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب شرط محذوف. التقدير: إن كان لهم ملك السموات... إلخ؛ ﴿فَلْيَرْتَقُواْ...﴾ إلخ، وهذا الكلام مرتبط بما قبله، لا محل له مثله.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿جُندٌ...﴾ إلخ: أي: هؤلاء جند، والمعنى: ما أهل مكة المعاندون لك المعرضون عن الحق الذي جئت به يا محمد إلا جند من الكفار المتحزبين على الرسل، وهم مهزومون عما قريب، فلا تبال بما يقولون، ولا تكترث لما به يهذون، فقد أخبر الله نبيه ﷺ، وهو بمكة قبل الهجرة، أنه سيهزم جند المشركين، وهو كقوله تعالى في سورة (القمر): ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ وكلتا الآيتين من المغيبات التي أخبر بها الله قبل وقوعها، وفيهما بشارة للنبي ﷺ، ولأصحابه ـ ولا سيما المستضعفون منهم ـ بعزهم، ونصرهم، وقوة شوكتهم، وذل

الكافرين، ودحرهم، وقد حقق الله وعده، ونصر المسلمين على الكافرين في غزوة بدر الكبرى؛ لذا يروى: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أخذ يقرأ في أدبار المنهزمين يوم بدر من المشركين: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فيا لها من بشارة، ويا لها من تسلية للنبي ﷺ!

هذا؛ وأفرد ﴿مَهْزُومٌ﴾ تبعاً للفظ ﴿جُندٌ﴾ ولو كان على المعنى لجمعه، وقال: جند مهزومون. انظر الآية رقم [١٧٣] من سورة (الصافات) ففيها فضل بيان. هذا؛ والأحزاب، جمع: حزب، وهو في اللغة: أصحاب الرجل؛ الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون لأمرٍ حَزَبَهم (يعني: أهمهم) وكل قوم تشاكلت قلوبهم، وأعمالهم أحزاب، وإن لم يلق بعضهم بعضاً، وحزب الشيطان: هم المتبعون وساوسه، وزخارفه، ودعوته إلى الشر، والفساد. وحزب الله: هم المتبعون أوامره، المنتهون عن مناهيه. قال تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [٥٣] وفي سورة (الروم) رقم [٣٢]: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

الإعراب: في إعراب هذه الآية أوجه، واختلافات كثيرة، وهاأنذا أنقل لك من الجمل ما نقله عن السمين، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿جُندٌ﴾: يجوز فيه وجهان: أحدهما وهو الظاهر: أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم جند. والثاني: أنه مبتدأ، خبره ما بعده، و﴿مَّا﴾: فيها وجهان: أحدهما: أنها مزيدة. والثاني: أنها صفة لـ: ﴿جُندٌ﴾ على سبيل التعظيم للهزء بهم، أو للتحقير، فإن «ما» إذا كانت صفة، تستعمل لهذين المعنيين. ﴿هُنَالِكَ﴾: يجوز فيه ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون خبراً لـ: ﴿جُندٌ﴾، و﴿مَّا﴾: مزيدة، و﴿مَهْزُومٌ﴾: نعت لـ: ﴿جُندٌ﴾ ذكره مكي. الثاني: أن تكون صفة لـ: ﴿جُندٌ﴾. الثالث: أن يكون منصوباً بـ: ﴿مَهْزُومٌ﴾. و﴿مَهْزُومٌ﴾ يجوز فيه وجهان أيضاً: أحدهما أنه خبر ثان لذلك المبتدأ المقدر. والثاني: أنه صفة لـ: ﴿جُندٌ﴾، إلا أن الأحسن على هذا الوجه ألا يجعل: ﴿هُنَالِكَ﴾ صفة بل متعلقاً به؛ لئلا يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح. انتهى. بتصرف.

هذا؛ ولم يوضح إعراب: ﴿هُنَالِكَ﴾ وأنا أوضحه، فخذه، وبالله التوفيق: (هنا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف على جميع الوجوه المعتبرة فيه، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. والجملة الاسمية: ﴿جُندٌ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ذكر الله هؤلاء الأقوام، الذين كذبوا رسلهم، فأهلكهم الله تعزية للنبي ﷺ، وتسلية له، والمعنى: إن قومك يا محمد جند من هؤلاء الأحزاب المتقدمين؛ الذين تحزبوا على

رسلهم، وقد كانوا أقوى من قومك، وأكثر أموالاً، وأولاداً. وانظر ما ذكرته في شرح قوم في الآية رقم [٣٠] من سورة (الصافات)، وما أحراك أن تنظر شرح أحوال تلك الأقوام في سورة (الشعراء) بالتفصيل، وكذلك في سورة (الأعراف) وسورة (هود). وأصحاب الأيكة: هم قوم شعيب المذكورون في آخر سورة (الشعراء)، وثمود: هم قوم صالح، وعاد: هم قوم هود.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: الذين تحزبوا على رسلهم. ﴿إِن كُلٌّ﴾ أي: ما كل أمة. ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: كل أمة كذبت رسولها. وجمع ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ لأن في تكذيب الواحد منهم تكذيب للجميع، لاتحاد دعوتهم، وهي: طلب التوحيد، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، على اختلاف أنواعها، وانظر شرح الرسل مفصلاً في الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب). ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: فاستحقوا عقابي، أو: وجب عليهم عقابي لسوء أعمالهم، وخبث نياتهم.

هذا؛ وقال الزمخشري في كشافه: وفي تكرير التكذيب، وإيضاحه بعد إبهامه، والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً، وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد، والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب، وأبلغه.

هذا؛ و﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ذو البناء المحكم. وقيل: ذو الملك الشديد الثابت. والعرب تقول: هو في عز ثابت الأوتاد. يريدون بذلك: أنه دائم شديد. قال الأسود بن يعفر: [الكامل]

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

وأصله من ثبات البيت المطنَّب بأوتاده. قال الراقدة الأودي: [البسيط]

والْبَيْتُ لا يُبتَنى إلَّا على عمدٍ ... ولا عمادَ إذَا لم تُرْسَ أَوتَادُ

فاستعير لثبات العز، والملك، واستقامة الأمر، وهي استعارة بليغة، فقد شبه الملك بخيمة عظيمة شدت أطنابها بالأوتاد؛ لتثبت، وترسخ، ولا تقتلعها الرياح. ففيه استعارة مكنية. وذكر الأوتاد تخييل. وقيل: ذو الأوتاد: ذو القوة، والبطش. وقال الكلبي، ومقاتل: كان فرعون يعذب الناس بالأوتاد، وكان إذا غضب على أحد؛ مده مستلقياً بين أربعة أوتاد في الأرض، ويرسل عليه العقارب، والحيات؛ حتى يموت. وقيل: كان يشبح المعذب بين أربع سوار، كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيها وتد من حديد، ويتركه حتى يموت. وقيل: ذو الأوتاد، أي: ذو الجنود الكثيرة، فسميت الجنود أوتاداً؛ لأنهم يقوون أمره، كما يقوي الوتد البيت. هذا؛ وذكر هذا اللفظ في سورة (الفجر) فقط. هذا؛ ومفرده: وتد، وهو ما رُزَّ في الأرض، أو في الحائط من خشب، وغيره، وهو بكسر التاء، وفتحها لغة قال الشاعر: [البسيط]

ولَا يُقِيمُ على ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا الأَذَلَّانِ عَيْرُ الحَيِّ والوتِدُ

هذا عَلَى الخَسْفِ مربوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه، والمفعول محذوف يدل عليه المقام، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿ذُو﴾: صفة (فرعون) مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَوْتَادِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾: هذه الأسماء معطوفة على: ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾، ولا تنس الإضافة لـ: ﴿لُوطٍ﴾ و﴿لْـَٔيْكَةِ﴾. والجملة الفعلية: ﴿كَذَّبَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع، وفيه أوجه: أحدها: أنه بدل من الطوائف المذكورة. والثاني: أنه مبتدأ خبره: ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾، أو الجملة الاسمية: ﴿إِن كُلٌّ...﴾ إلخ. والثالث: أنه خبر، والمبتدأ من قوله: ﴿وَعَادٌ﴾، أو من قوله: ﴿وَثَمُودُ﴾، أو من قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ انتهى. عكبري. والأول والثاني منقولان عن السمين. ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو خبر عنه، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل رفع خبر، كما رأيت. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ. والمضاف إليه محذوف. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿كُلٌّ﴾. ﴿ٱلرُّسُلَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿إِن كُلٌّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ على اعتبار: ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ بدلاً من اسم الإشارة، أو هي مستأنفة على اعتبار: ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ خبراً عنه. ﴿فَحَقَّ﴾: الفاء: حرف عطف. (حق): فعل ماض. ﴿عِقَابِ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، ولأنه رأس آية، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. والرابط محذوف، التقدير: فحق عقابي عليهم.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ أي: ما ينتظر. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كفار قريش. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: هي صيحة إسرافيل، عليه السلام، وهي النفخة الأولى في الصور، فيصعقون، كما قال تعالى في سورة (يسٓ) رقم [٤٩]: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: ما لها من رجوع، ومالها توقف، ومالها من تأخر مقدار فواق ناقة، وهو ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأنها تحلب، ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر، ثم تحلب. يقال: ما أقام عنده إلا فواقاً، وفي الحديث: «العيادة قدر فواق الناقة» أي: ينبغي أن تكون عيادة المريض قصيرة بمقدار ما بين الحلبتين من الوقت. هذا؛ و﴿فَوَاقٍ﴾ يقرأ بفتح الفاء، وضمها، فقيل معناه بالفتح: الإفاقة، والاستراحة، كالجواب من: أجاب، قاله من المؤرخين: السدوسي، والفراء،

ومن المفسرين: ابن زيد والسدي، وأما المضموم فاسم لا مصدر، والمشهور: أنها بمعنى: واحد كقصاص الشعر وقُصاصة. انتهى. جمل نقلاً من السمين. هذا؛ والفيقة بالكسر: اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين، صارت الواو ياءً لكسر ما قبلها، قال الأعشى يصف بقرة: [البسيط]

حتى إذا فِيقَةٌ في ضَرْعِها اجْتَمَعَتْ جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا

والجمع: فيق، ثم: أفواق، مثل: شبر وأشبار، ثم: أفاويق، قال ابن همام السلولي: [الطويل]

وَذمُّوا لَنَا الدُّنيَا وهمْ يَرْضعُونَهَا أَفاويقَ حتى ما يدِرُّ لهَا ثُعْلُ

البيت في ذم علماء الدنيا، والثعل زيادة في أطباء الناقة والبقرة والشاة، وهو لا يدر، وإنما ذكره للمبالغة، والأفاويق أيضاً: ما اجتمع في السحاب من ماء، فهو يمطر ساعة بعد ساعة. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَنظُرُ﴾: فعل مضارع. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿صَيْحَةً﴾: مفعول به. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة لها. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿فَوَاقٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿فَوَاقٍ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور قبله، وهذا يعني إضمار فعل: التقدير: ما يثبت لها من ﴿فَوَاقٍ﴾، وهذا يعني: أن الجملة فعلية، وسواء أكانت الجملة اسمية، أم فعلية، فهي في محل نصب صفة ثانية لصيحة، ولا يجوز اعتبارها في محل نصب حال منها بعد وصفها بـ: ﴿وَٰحِدَةً﴾؛ لأن المعنى على الاستقبال، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَنظُرُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كفار قريش. ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: نصيبنا، وحظنا من العذاب، قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: سألوا تعجيل العذاب، كما قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. رقم [٣٢] من سورة (الأنفال). وقيل: سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة، إن كانت موجودة، ليلقوا ذلك في الدنيا. وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد، والتكذيب. وهذا كثير مثله في آيات القرآن الكريم، قال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير، أو الشر في الدنيا، وهذا الذي قاله جيد، ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء، والاستبعاد، قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم، ومبشراً على صبره بالعاقبة، والنصر، والظفر. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وقال القرطبي: ومعروف في اللغة أن يقال للنصيب: قِطٌّ، وللكتاب المكتوب بالجائزة: قطٌّ، والجمع: القُطوط، قال الأعشى: [الطويل]

ولا المَلِكُ النعمانُ يومَ لَقِيتُهُ بِغِبْطَتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ وَيَأْفِقُ

يعني: كتب الجوائز. ويروى: بأمته بدل بغبطته، أي: بنعمته، وحاله الجليلة، ويأفق: يصلح. هذا؛ وأصل القِط: القَط وهو القطع، ومنه: قَطُّ القلم، فالْقِط اسم للقطعة من الشيء، كالْقِسْم، والْقَسْم، فأطلق على النصيب، والكتاب، والرزق لقطعه عن غيره، إلا أنه في الكتاب أكثر استعمالاً، وأقوى حقيقة، قال أمية بن أبي الصلت: [المنسرح]

قَوْمٌ لَهُمْ ساحةُ العراقِ وما يُجْبى إليهِ والقِطُّ والقَلَمُ

تنبيه: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: ونداء الرب قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن الكريم، وعلة ذلك: أن في حذفها من نداء الرب، فيه معنى التعظيم له والتنزيه، وذلك: أن النداء فيه ضرب من الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيدُ. فمعناه: تعالَ يا زيدُ، أدعوك يا زيدُ، فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر، وينقص؛ لأن (يا) تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم، والإجلال، والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام العربي في نداء الرب لذلك المعنى. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (الصافات) ففيها كبير فائدة.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم؛ لاتصاله بواو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو. ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَجِّل﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿لَّنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قِطَّنَا﴾: مفعول به. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. و﴿قَبْلَ﴾: مضاف، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف إليه، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿الْحِسَابِ﴾ مضاف إليه، والجملتان: الندائية، والفعلية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: لما ذكر الله من أخبار الكفار، وشقاقهم، وتقريعهم، بإهلاك القرون من قبلهم؛ أمر نبيه ﷺ بالصبر على أذاهم، وسلاه بكل ما تقدم، ثم

أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء؛ ليتسلى بصبر من صبر منهم، وليعلم: أن له في الآخرة أضعاف ما أعطيه داود، وغيره من الأنبياء. انتهى. وانظر ما ذكرته بشأنه في الآية رقم [١٠] من سورة (سبأ)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾: انظر ﴿عِبَادِنَا﴾ برقم [٨١] من سورة (الصافات). ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾: ذا القوة في العبادة، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقرأ ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ في سورة (الذاريات): ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ وقد كان عليه الصلاة والسلام يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وأفضله، وكان يصلي نصف الليل، وكان لا يفر إذا لاقى العدو، وكان قوياً في الدعاء إلى الله تعالى، وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ الصلاةِ إلى اللهِ تعالى صلاةُ داودَ، وأَحبُّ الصيام إلى الله عز وجل صيامُ داودَ، كان ينامُ نصف الليل، ويقومُ ثُلُثَهُ، وينامُ سُدُسَهُ، وكان يَصُومُ يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفرُّ إذَا لاقَى العَدُوَّ**». أخرجه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ ومنه: رجل أيد، أي: قوي، وتأيَّد الشيء: تقوَّى. قال الشاعر: [المتقارب]

إِذَا الْـقَـوْسُ وتَّـرَهَـا أَيِّـدٌ رَمَـى فـأصـابَ الْـكُـلَـى والـذُّرَا

يقول: إذا وتر الله القوس التي في السحاب رمى كلى الإبل، وأسمنها بالشحم. يعني: من النبات الذي يكون من المطر. هذا؛ واليد تستعمل في الأصل للجارحة، وتطلق، ويراد بها: القوة، والقدرة، كما رأيت في هذه الآية، وكما في الآية رقم [٧٥] الآتية. وخذ قول عروة بن حزام العذري، وهو الشاهد رقم [١١٦] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وحُـمِّـلْـتُ زَفْـرَاتِ الـضُّـحَـى فَـأَطَـقْـتُـهَـا ومَـا لِـي بِـزَفْـرَاتِ الْـعَـشِـيِّ يَـدَانِ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧١] من سورة (يسٓ)، كما تطلق على النعمة، والمعروف، يقال: لفلان يد عندي، أي: نعمة، ومعروف، وإحسان، وتُطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يد لي في هذا الأمر، أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير. وينبغي أن تعلم: أن الأيد في هذه الآية مفرد، وليس بجمع يد.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى الله عز وجل في جميع أموره، وشؤونه، قال الضحاك: أي: تواب. وعن غيره: أنه كان كلما ذكر ذنبه، أو خطر على باله؛ استغفر منه. ويقال: آب، يؤوب: إذا رجع، كما قال عُبيدُ بن الأبرص من معلقته رقم [١٦]: [مخلع البسيط]

وَكُـلُّ ذِي غَـيْـبَـةٍ يَـؤُوبُ وَغَـائِـبُ الْـمَـوْتِ لَا يَـؤُوبُ

تنبيه: قال الزمخشري في كشافه: فإن قلت: كيف تطابق قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ حتى عطف أحدهما على صاحبه؟ قلت: كأنه قال لنبيه ﷺ:

اصبر على ما يقولون، وعظم معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود عليه السلام، وهو أنَّه نبي من أنبياء الله تعالى، قد أولاه الله ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه، وزلفته لديه، ثم زل زلة، فبعث الله إليه الملائكة، ووبخه عليها على طريق التمثيل، والتعريض؛ حتى فطن لما وقع فيه، فاستغفر، وأناب، ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم، وغمه الواصب، ونقش جنايته في بطن كفه، حتى لا يزال يجدد النظر إليها، والندم عليها، فما الظن بكم مع كفركم، ومعاصيكم؟! انتهى.

الإعراب: ﴿ٱصۡبِرۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: اصبر على الذي، أو على شيء يقولونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾ التقدير: اصبر على قولهم: هو شاعر، هو ساحر... إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، أو مبتدأة لا محل لها من الإعراب، وجملة: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا...﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿دَاوُۥدَ﴾: بدل، أو عطف بيان على ما قبله. ﴿ذَا﴾: صفة: ﴿دَاوُۥدَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذَا﴾ مضاف، و﴿ٱلۡأَيۡدِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾: قال مقاتل: كان داود ـ عليه السلام ـ إذا ذكر الله تعالى؛ ذكرت الجبال معه، وكان يفقه تسبيح الجبال. وانظر ما ذكرته في سورة (سبأ) رقم [١٠]. ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ أي: إن الله سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس، وآخر النهار، كما قال تعالى في سورة (سبأ) رقم [١٠]: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾. كذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه، وترجع بترجيعه، فكان إذا مر به الطير، وهو سابح في الهواء، فسمعه، وهو يترنم بقراءة الزبور؛ لايستطيع الذهاب بل يقف في الهواء، ويسبح معه، وتجيبه الجبال الشامخات، ترجع معه، وتسبح تبعاً له. هذا؛ ولا تَنْسَ: الطباق بين: العشي، والإشراق.

هذا؛ والعشي: من قبيل العصر إلى المغرب، وقد قوبل بالإشراق هنا، وهو بياض الشمس بعد طلوعها، ويقال: شَرَقت الشمس: إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨] من سورة (الروم) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾: مجموعة إليه من كل جانب تسبح معه. ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ﴾: لداود ﴿أَوَّابٞ﴾ أي: رجاع إلى طاعته، مطيع له، بالتسبيح معه، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان إذا سبح؛ جاوبته الجبال بالتسبيح،

واجتمعت إليه الطير، فسبحت؛ فذلك حشرها. وقيل: الضمير في: ﴿لَّهُۥٓ﴾ لله، فيكون المعنى: كلٌّ من داود، والجبال والطير لله أواب، أي: مسبح مرجع للتسبيح.

تنبيه: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: لِمَ اختار ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ على: مسبحات، وأيهما وقع كان حالاً؟ فأجاب بأن اختيارها لمعنى، وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيئاً بعد شيء؛ وكأن السامع محاضر لها، فيسمعها تسبح، ومنه قول الأعشى: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نارٍ في يَفاعٍ تُحَرَّقُ

ولو قال: محرقة لم يكن شيئاً، وقوله: ﴿مَحْشُورَةً﴾ في مقابلة: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء؛ جيء به اسماً، لا فعلاً، وذلك: أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرون على أن الحشر يوجد من حاشرها شيْئاً بعد شيء، والحاشر هو الله عز وجل؛ لكان خلفاً؛ لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة. انتهى.

هذا؛ وفسر التسبيح في الإشراق بصلاة الضحى، فقد روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ قال: كنت أمر بهذه الآية؛ لا أدري ما هي؟ حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ دخل عليها، فدعا بوضوء، فتوضأ، ثم صلى الضحى، فقال: «**يَا أُمَّ هَانِئٍ هذِهِ صلاةُ الإِشْرَاقِ**». قلت: والذي في الصحيحين من حديث أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ في صلاة الضحى، قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة بنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: «**من هذه؟**» قلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «**مرحباً يا أم هانئ!**». فلما فرغ من غسله؛ قام، وصلى ثماني ركعات ملتحفاً بثوب. قالت أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ: وذلك ضحىً. انتهى. خازن بحروفه. ومثله بل أكثر منه في الكشاف، والقرطبي.

أقول: وصفوة القول: أنه وردت أحاديث صحيحة ترغب في صلاة الضحى، وهي كثيرة مذكورة في كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري، وفي غيره، وأكتفي هنا بذكر حديثين هما: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: ، أوصاني خليلي ﷺ: «**بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ**». رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرهما. وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يُصْبِحُ على كلِّ سُلَامَى مِنْ أحدِكُمْ صدقَةٌ، فكُلُّ تسبيحةٍ صدقَةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدَقَةٌ، وكُلُّ تَهْلِيلةٍ صَدَقَةٌ، وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمْرٌ بالمعروف صَدَقَةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المنكرِ صدَقَةٌ، ويُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ ركْعَتَانِ يركعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**». رواه مسلم. هذا؛ وأكثر صلاة الضحى ثمان ركعات، وأقلها ركعتان، والسلامى في الأصل: عظام الأصابع، والأرجل، والأكف، ثم استعمل في سائر عظام الجسد، ومفاصله، والمعنى: كل عضو من أعضاء المسلم إذا أصبح في عافية، وصحة فعليه صدقة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: (إنّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا) اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿سَخَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿الْجِبَالَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ﴾ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل بعده، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يُسَبِّحْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، ونون النسوة فاعله، والمفعول محذوف، تقديره: يسبحن الله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿الْجِبَالَ﴾ والرابط: نون النسوة. ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾: معطوف على ما قبله. (الطير): معطوف على: ﴿الْجِبَالَ﴾. ﴿مَحْشُورَةً﴾: معطوف على محل ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ الواقعة حالاً. هذا؛ وقال الجمل: وقعت الجملة الفعلية حالاً دون اسم فاعل لتدل على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء، وأتى بالحال اسماً ﴿مَحْشُورَةً﴾؛ لأنه لم يقصد أن الفعل وقع شيئاً فشيئاً؛ لأن حشرها دفعة واحدة أدل على القدرة، والحاشر هو الله تعالى، وقرأ بعضهم برفع الاسمين، على أنهما مبتدأ، وخبر، وجملة مستقلة. انتهى. نقلاً من السمين. وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، والحالية ضعيفة. تأمل. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، والإضافة فيه مقدرة. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿أَوَّابٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: قويناه؛ حتى ثبت. قيل: بالهيبة، وإلقاء الرعب منه في القلوب. وقيل: بكثرة الجنود. وقيل: بالتأييد، والنصر. وهذا اختيار ابن العربي. فلا ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور، وغير معان. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان داود أشد ملوك الأرض سلطاناً، كان يحرس محرابه كل ليلة نيف وثلاثون ألف رجل، فإن أصبح، قيل: ارجعوا فقد رضي عنكم نبيكم. والْمُلْكُ عبارة عن كثرة المِلْكِ، فقد يكون للرجل مِلك، ولكن لا يكون ملكاً حتى يكثر ذلك، فلو ملك الرجل داراً وامرأة لم يكن مَلِكاً؛ حتى يكون له خادم يكفيه مؤنة التصرف في المنافع التي يفتقر إليها لضرورته الآدمية. انتهى. قرطبي.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: بالنسبة لداود، وأمثاله من الأنبياء هي النبوة، والرسالة، والعلم، والفقه. وبالنسبة لغيرهم: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٦٨]: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. وقال في سورة (لقمان) رقم [١٢]: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾. ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل، أو هو الكلام الملخَّص، الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل،

والوصل، والعطف، والاستئناف، والإضمار، والإظهار، والحذف، والتكرار، ونحوها، وإنما سُمِّيَ به: أما بعد؛ لأنه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد، والصلاة على النبي ﷺ. وقيل: هو الخطاب القصد، الذي ليس فيه اختصار مُخِل، ولا إشباع مُمِل، كما جاء في صفة كلام النبي ﷺ: «**فَصْلٌ لَا نَزْرَ وَلَا هَذْرَ**». انتهى. بيضاوي. وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هو قوله عليه السلام: «**البَيِّنَةُ على المدَّعي، واليمين على من أنكر**».

تنبيه: روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن رجلاً من بني إسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام فقال: إن هذا غصبني بقرة، فسأله داود، فجحده، فسأله الآخر البينة، فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الْمُدَّعى عليه، فقال: هذه رؤيا، ولست أعجل عليه حتى أثبت فيها، فأوحى إليه مرة أخرى، فلم يفعل، فأوحى إليه الثالثة أن يقتله، أو تأتيه العقوبة، فقال له: إن الله أوحى إلي أن أقتلك، فقال: تقتلني بغير بينة؟! فقال: نعم والله لأنفذن أمر الله فيك، فلما عرف الرجل: أنه قاتله، قال: لا تعجل حتى أخبرك، إني والله ما أُخِذْتُ بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا، فبذلك أُخِذْتُ، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، واشتد به ملكه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾. انتهى. خازن بحروفه.

الإعراب: ﴿وَشَدَدْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (شددنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿سَخَّرْنَا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿مُلْكَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. (آتيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: مفعول به ثان. ﴿وَفَصْلَ﴾: معطوف عليه، و(فصل) مضاف، و﴿ٱلْخِطَابِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، والاستفهام ليس على حقيقته، وإنما هو للتعجب، والتشويق للسامع إلى ما يلقى إليه، كما تقول لجليسك: هل تعلم ما وقع اليوم؟ تريد تشويقه لسماع كلامك. والمعنى: هل أتاك يا محمد خبر الجماعة المتنازعين، الذين تسوروا على داود سور محرابه، ومسجده في وقت اشتغاله بالعبادة والطاعة؟ والخصم في الأصل مصدر، ولذلك أطلق على الجمع. والسور: الحائط المرتفع. والمحراب: الغرفة، أو المسجد، أو صدر المسجد، والمحراب: محل العبادة، سمي بذلك؛ لأنه محل محاربة الشيطان لأن المتعبد فيه يحاربه، وهو الآن المحل الذي يقف فيه الإمام حين أداء الصلوات المفروضة.

هذا؛ والفعل: «أتى» يستعمل لازماً؛ إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدياً؛ إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، ومنه هذه الآية، ومن الأول قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، ومثله فعل: جاء بالمعنيين، فمن مجيئه لازماً قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، ومن مجيئه متعدياً قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ إلخ. أما النبأ؛ فهو الخبر وزناً، ومعنىً، ويقال: النبأ أخص من الخبر؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على كل ما له شأن، وخطر من الأنباء. وقال الراغب: النبأ: خبر ذو فائدة، يحصل به علم، أو غلبة ظن. ولا يقال للخبر في الأصل: نبأ، حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقه أن يتعرى عن الكذب، كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ. هذا؛ والفعل منه من الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل، وقد يجيء الفعل منه غير مضمن معنى: أعلم، فيتعدى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ رقم [١٤] من سورة (المائدة).

تنبيه: لقد اختلف بشأن الخصمين، وكيف جُمِعَا بواو الجماعة بالأفعال الثلاثة: (تسوروا، دخلوا، قالوا). فجمعا؛ لأن الخصم مصدر يدل على الجمع، فجمع على المعنى، وتقديره: ذَوُو الخصم. وأما شأنهما، فقيل: هما إنسِيَّانِ. وقيل: هما ملكان، قاله جماعة، وعيَّنهما جماعة، فقالوا: إنهما جبريل، وميكائيل، عليهما الصلاة والسلام. وقيل: هما ملكان في صورة إنسيين، بعثهما الله إليه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس الدخول، فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو في الصلاة إلا وهما بين يديه جالسان. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَهَلْ﴾: الواو: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام، وتعجيب، وتشويق. ﴿أَتَىٰكَ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. والكاف مفعول به. ﴿نَبَؤُا۟﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، و﴿نَبَؤُا۟﴾ مضاف، و﴿ٱلْخَصْمِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بمحذوف، التقدير: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم، أو بالخصم نفسه. واستبعدوا تعليقه بالفعل: أتى، أو بـ: ﴿نَبَؤُا۟﴾ إلا على تأويل بعيد. ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: لأنهما أتياه ليلاً في غير وقت دخول الخصوم. وقيل: لدخولهم عليه بغير إذنه. وقيل: لأنهم تسوروا عليه المحراب، ولم يأتوه من الباب. وكان المحراب من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي عليه آدمي إلا بجهد شديد، وتعاون كبير بين عدد كثير من الناس. فقال: ما أدخلكما علي؟ قالا: ﴿لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

فجئناك لتقضي بيننا. ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: ولا تَجُرْ من الشطط، وهو مجاوزة الحد، وتخطي الحق. ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: أرشدنا إلى وسط الطريق الحق، والصواب.

فإن قيل: لم فزع داود وهو نبي، وقد قويت نفسه بالنبوة، واطمأنت بالوحي، ووثقت بما آتاه الله من المنزلة، وأظهر على يديه من الآيات، وكان من الشجاعة في غاية المكانة؟ والجواب: ذلك سبيل الأنبياء قبله، لم يأمنوا القتل والإذاية، ومنهما كان يخاف، ألا ترى إلى موسى وهارون على نبينا ـ وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ. كيف قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ فقال الله عز وجل: ﴿لَا تَخَافَآ﴾. وقالت الرسل للوط ـ عليه السلام ـ: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ وكذا قال الملكان هنا: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ لذا فقد خاب الكذبة الفجرة، الذي يصفون أبا بكر الصديق بالجبن ليلة الهجرة، وذلك حين خاف على النبي ﷺ، فطمأنه صاحبه بقوله: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

هذا؛ وإنما قال هنا: ﴿خَصۡمَانِ﴾ بعد قوله في الآية السابقة: ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ على تأويل خصمان بفريقان. وقيل: لأن الاثنين جمع. قال الخليل: كما تقول: نحن فعلنا؛ إذا كنتما اثنين. وقال الكسائي: جمع لما كان خبراً، فلما انقضى الخبر، وجاءت المخاطبة؛ خبَّر الاثنان عن أنفسهما، فقالا: خصمان. وقال الزجاج: المعنى: نحن خصمان. انتهى. قرطبي. وهناك تأويلات كثيرة، فقال داود عليه السلام لهما: تكلما، فقال أحدهما: إن هذا.

الإعراب: ﴿إِذۡ﴾: بدل من سابقتها، أو هي متعلقة بالفعل ﴿تَسَوَّرُواْ﴾. ﴿دَخَلُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿فَفَزِعَ﴾: الفاء: حرف عطف. (فزع): فعل ماض، والفاعل يعود إلى داود. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَا تَخَفۡ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿خَصۡمَانِ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: نحن خصمان، فهو مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية فيها معنى التعليل للنهي، وهي من جملة مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَغَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بَعۡضُنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿خَصۡمَانِ﴾، أو في محل نصب حال من الضمير المستتر فيه، والرابط على الاعتبارين الضمير فقط.

﴿فَٱحۡكُم﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (احكم): فعل أمر والتماس، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿بَيۡنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. و(نا): في

محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر؛ أي: احكم بيننا ملتبساً بالحق. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كنا قد جئناك لتحكم بيننا؛ فاحكم. . .إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة على ما قبلها. ﴿وَٱهْدِنَآ﴾: فعل أمر والتماس مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «أنت» و(نا) مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَوَآءِ﴾ مضاف، و﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ مضاف إليه.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي: بالدِّين، أو الصحبة، أو الرفقة، لا بالنسب، أو هي أخوة الشركة، والخلطة، لقول داود فيما يأتي: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ...﴾ إلخ. ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: فقد كنى بالنعجة عن المرأة، والعرب تكني عنها بالنعجة والشاة؛ لما هي عليه من السكون، والضعف، وقد يكنى عنها بالبقرة، والحجرة، والناقة؛ لأن الكلَّ مركوب، قال العجاج، وهو الشاهد رقم [٣٢٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

بِيضٌ ثَلَاثٌ كَنِعَاجٍ جُمٍّ ... يَضْحَكْنَ عَنْ كَالْبَرَدِ الْمُنْهَمِّ

وقال عنترة، وهو الشاهد رقم [٦١٥] منه: [الكامل]

يَا شَاةَ مَنْ قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

كما كنى عنها الأحوص بالنخلة، وهو الشاهد رقم [٦٦٧] منه: [الوافر]

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ ... عَلَيْكِ ورَحْمَةُ اللهِ السَّلَامُ

وكنى عنها حميد بن ثور الهلالي بالسرحة، وهي الشجرة، بالشاهد رقم (٢٣٥) منه: [الطويل]

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنَّ سَرْحَةَ مَالِكٍ ... عَلَى كُلِّ أَفْنَانِ العِضَاهِ تَرُوقُ

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: ملكنيها، أو أعطنيها، أو تحول لي عنها، أو اجعلها كفلي ونصيبي، أو ضمها إلي حتى أكفلها، أقوال مروية عن السلف الصالح. ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾: وغلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر رده. وقال الضحاك: إن تكلم؛ كان أفصح مني، وان حارب؛ كان أبطش مني. وقرئ: (وعازني في الخطاب) أي: غالبني. وانظر الآية رقم [٢].

فائدة: قال القرطبي في غير هذه الآية: عشرون، وثلاثون، وأربعون. . .إلخ، كل واحد منها موضوع على صورة الجمع لهذا العدد، فإن قال قائل: لم كسر أول عشرين، وفتح، أول ثلاثين وما بعده إلى ثمانين إلا ستين؟ فالجواب عند سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ: أن عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد، فكسر أول عشرين كما كسر أول اثنين، والدليل على هذا قولهم: سِتون، وتِسعون، كما قيل: سِتة، وتِسعة. انتهى. احفظه فإنه جيد. والله ولي التوفيق. هذا؛ وقال صاحب مختار الصحاح: وإذا أضفته ـ أي: لفظ العقود ـ أسقطت النون. فقلت: هذه عشروك، وعشريَّ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسمها. والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَخِى﴾: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون بدلاً من ﴿هَٰذَآ﴾ فيكون منصوباً، والثاني أن يكون خبراً، فيكون مرفوعاً، والفتحة على الأول، والضمة على الثاني كلتاهما مقدرتان على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿تِسْعٌ﴾: مبتدأ مؤخر. (تسعون):معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿نَعْجَةً﴾: تمييز، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان على اعتبار: ﴿أَخِى﴾ خبراً، وهي الخبر على اعتباره بدلاً. انتهى. شذور الذهب. ﴿وَلِىَ﴾: الواو: حرف عطف. (لي): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿نَعْجَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَٰحِدَةٌ﴾: صفة. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَآ...﴾ إلخ بينت لك في آخر شرح الآية السابقة: أنها مقولة لقول محذوف. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿أَخِى﴾، تقديره: «هو». ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾: فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، و(ها) مفعول به ثان، ويجوز فصل ضمير الغيبة، ووصله، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَصِلْ أوِ افْصِلْ هَاءَ سَلْنِيهِ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي كُنْتُهُ الْخُلْفُ انْتَمَى

وجملة: ﴿أَكْفِلْنِيهَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة المقدرة في آخر شرح الآية السابقة. ﴿وَعَزَّنِى﴾: الواو: حرف عطف. (عزني): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿أَخِى﴾ أيضاً، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ معطوفة على جملة: (قال. . .) إلخ لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾: قال النحاس ـ رحمه الله تعالى ـ: فيقال: هذه كانت خطيئة داود عليه السلام؛ لأنه قال: لقد ظلمك من غير تثبت ببينة، ولا إقرار من الخصم، هل كان هذا كذا، أو لم يكن فهذا قول. وقال ـ رحمه الله تعالى ـ: فأما قول العلماء الذين لا يدفع قولهم؛ منهم: عبد الله بن مسعود، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ فإنهم قالوا: ما زاد داود ـ صلى الله على نبينا، وعليه، وسلم ـ على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك، فعاتبه الله عز وجل على ذلك، ونبهه عليه، وليس هذا بكبير معصية، ومن تخطى إلى غير هذا، فإنه يأتي بما لا يصح عن عالم، ويلحقه فيه إثم عظيم، وإنما عاتبه الله عليه؛ لأنه نبي، وكان له تسع وتسعون امرأة، فأنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا بالتزيد منها، فأما غير هذا فلا ينبغي الاجتراء عليه. وقد قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ لما آخى رسول الله ﷺ بينهما: إن لي زوجتين أنزل لك عن إحداهما.؟ وفي رواية عن أحسنهما، فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك. وما يجوز فعله ابتداء؛ يجوز طلبه، وليس في القرآن: أن ذلك كان، ولا أنه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، ولا ولادتها لسليمان، فعمن يروى هذا؛ ويسند، وعلى من في نقله يعتمد.؟!. انتهى.

هذا؛ وذكر الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في أحكامه في قول الله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ...﴾ إلخ قوله: ذكر المحققون الذين يرون تنزيه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ عن الكبائر أن داود عليه السلام كان قد أقدم على خطبة امرأة قد خطبها غيره، يقال: هو أوريا، فمال القوم إلى تزويجها من داود راغبين فيه، وزاهدين في الخاطب الأول، ولم يكن داود عارفاً، وقد كان يمكنه أن يعرف ذلك، فيعدل عن هذه الرغبة، وعن الخطبة بها، فلم يفعل ذلك من حيث أعجب بها، إما وصفاً، أو مشاهدة على غير تعمد، وقد كان لداود عليه السلام من النساء العدد الكثير، وذلك الخاطب لا امرأة له، فنبهه الله تعالى على ما فعل بما كان من تسور الملكين، وما أورداه من التمثيل على وجه التعريض؛ لكي يفهم من ذلك موقع العتب، فيعدل عن هذه الطريقة، ويستغفر ربه من هذه الصغيرة. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الشركاء الذين خلطوا أموالهم، جمع: خليط ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: ليتعدى ويظلم، وقرئ بفتح الغين على تقدير النون الخفيفة وحذفها، ومثله قول طرفة بن العبد وهو الشاهد رقم [١٠٩٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المنسرح]

اضْرِبَ عَنْكَ الْهُمُومَ طَارِقَهَا ضَرْبَكَ بِالسَّيْفِ قَوْنَسَ الْفَرَسِ

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: فإنهم لا يظلمون أحداً. ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين لا يظلمون أحداً غيرهم قليل. وروي: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ سمع رجلاً يقول في دعائه: اللهم اجعلني من عبادك القليل. فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: ما هذا الدعاء؟! فقال: أردت قول الله عز وجل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ، فقال: كل الناس أفقه منك يا عمر، وتقدم مثله في الآية رقم [١٣] من سورة (سبأ).

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: ابتليناه واختبرناه بتلك الحكومة، هل يتنبه بها، وظن هنا بمعنى: أيقن، لا يحتمل غير اليقين. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن داود لما دخل عليه الملكان وحكم بما تقدم؛ تحولا في صورتهما، وعرجا، وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فعلم داود عليه السلام إنما عني به. وذكر النسفي: أن داود سأل الآخر عن ما ادعى به الأول فاعترف، ولكنه لم يُحْكَ في القرآن؛ لأنه معلوم، ويروى: أنه قال: أنا أريد أن آخذها منه، وأكمل نعاجي مئةً، فقال له داود: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا، وهذا (وأشار إلى طرف الأنف والجبهة) فقال: يا داود! أنت أحق أن يضرب منك هذا، وهذا، وأنت فعلت كيت، كيت، ثم نظر، فلم ير أحداً، فعرف ما وقع فيه. ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾: من ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: ساجداً على تسمية السجود ركوعاً؛ لأنه مبدؤه، أو: خر للسجود راكعاً؛ أي: مصلياً كأنه أحرم بركعتي الاستغفار، أي: بركعتي التوبة، وهذا عند الشافعي، فإن سجود التلاوة عنده، ولو كان في الصلاة، لا يؤدى في الركوع. وقال السادة الحنفية: وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة؛ إذا نوي؛ لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعاً عند هذه التلاوة، والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل، بخلاف الركوع في غير الصلاة. هذا؛ والتعبير عن السجود بالركوع موجود في اللغة العربية، قال الشاعر: [المتقارب]

فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ راكِعاً وَتَابَ إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبِ

﴿وَأَنَابَ﴾: ورجع إلى الله بالتوبة. وقيل: إنه بقي ساجداً أربعين يوماً وليلة، لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة، أو ما لا بد منه، ولا يرقأ دمعه؛ حتى نبت العشب من دمعه، ولم يشرب ماء، إلا وثلثاه دمع.

تنبيه: اختلف العلماء في سجدة سورة (صۤ)، هل هي من عزائم السجود؟ فذهب الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنها ليست من عزائم سجود التلاوة، قال: لأنها توبة نبي، فلا توجب سجدة التلاوة. وقال أبو حنيفة رحمه الله: هي من عزائم سجود التلاوة، واستدل بهذه الآية على أن الركوع يقوم مقام السجود في سجود التلاوة. وعند الشافعي تبطل الصلاة إذا سجد فيها لتلاوة آية (صۤ)، وذكرت لك في سورة (الحج) رقم [٧٧] أن الشافعي يعتبر تلك الآية آية سجدة، وعن أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ في سجدة (صۤ) روايتان، وقد ثبت: أن النبي ﷺ سجد فيها.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سجدة (صٓ) ليست من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها. رواه البخاري. قال مجاهد: قلت لابن عباس: أسجد في (صٓ)، فقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ حتى أتى على قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ فقال: نبيكم ممن أمر أن يقتدي بهم، فسجدها داود؛ فسجدها رسول الله ﷺ. وللنسائي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ سجد في (صٓ)، وقال: سجدها داود توبةً، فنسجدها شكراً. انتهى. خازن بتصرف.

تنبيه: نسجد لها خارج الصلاة، ولا نسجد لها في الصلاة، وإذا سجدت لتلاوتها أيها القارئ الكريم فقل بعد تسبيحات السجود ثلاثاً: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع بها عني وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود. هذا؛ ويسن سجود الشكر عند هجوم نعمة، أو اندفاع نقمة، ولرؤية فاسق متظاهر، ويظهرها للمتظاهر، ولرؤية مبتلىً ويسرها؛ لما صح عن النبي ﷺ: أنه كان إذا جاءه أمر يسرُّ به؛ خر ساجداً شاكراً لله. رواه أبو داود، والترمذي. هذا؛ وسجود التلاوة، وسجدة الشكر يشترط لهما شروط الصلاة من الطهارة، واستقبال القبلة، وتكبيرة الإحرام، والسلام. والأفضل أن يصلي لله تعالى ركعتين تامتين للشكر، قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ صلَّى يومَ بُشِّر برأس أبي جهل ركعتين. وخرَّج من حديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره خر ساجداً شكراً لله، وهذا دليل الشافعي، وغيره على: أنه يكتفى بسجدة واحدة للشكر.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى داود. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ظَلَمَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى أحد الخصمين، تقديره: «هو»، والكاف مفعول به، والجملة جواب القسم المقدر، لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ لَقَدْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِسُؤَالِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(سؤال) مضاف، و﴿نَعْجَتِكَ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: بسؤالِهِ نَعجَتَكَ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾: متعلقان بالمصدر، أو بمحذوف حال، التقدير: مضمومة إلى نعاجه. وقيل: التقدير: ليضمها إلى نعاجه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال، (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسم (إنَّ). ﴿مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له. ﴿لَيَبْغِى﴾: اللام: هي المزحلقة. (يبغي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محلِّ رفع خبر (إنَّ). والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير الغيبة العائد إلى أحد الخصمين، والرابط: الواو فقط. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مستثنى من: ﴿بَعْضُهُمْ﴾.

وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَقَلِيلٌ﴾: الواو: واو الحال، (قليل): خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: صفة. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. وقيل: ﴿مَّا﴾ بمعنى: الذين، وتقديره: وقليل الذين هم، ولا وجه له ألبتة. والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة.

﴿وَظَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (ظن): فعل ماض. ﴿دَاوُۥدُ﴾: فاعله. ﴿أَنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿فَتَنَّٰهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، و﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظن). والجملة الفعلية هذه معطوفة على جمل محذوفة مقدرة، انظر الشرح، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿فَٱسْتَغْفَرَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿دَاوُۥدُ﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَظَنَّ...﴾ إلخ. ﴿وَخَرَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿دَاوُۥدُ﴾ أيضاً. والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿رَاكِعًا﴾: حال. ﴿وَأَنَابَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿دَاوُۥدُ﴾ أيضاً، والمتعلق محذوف، تقديره: أناب إلى الله، والجملة الفعلية معطوفة أيضاً على ما قبلها.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ﴾ أي: غفرنا لداود ذنبه، وخطيئته. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: له قربة، ومكانة عند الله يوم القيامة. ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: حسن مرجع، ومنقلب، وهو الجنة. هذا؛ وقد ذكر الكثير من بكاء داود على خطيئته. وخذ من قوله ما يلي: إلهي إذا ذكرت خطيئتي؛ حزنت وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، وإذا ذكرت رحمتك؛ فرحت، وعادت إلي روحي، إلهي أتيت أطباء عبادك لمداواة علتي، وخطيئتي؛ كلهم دلوني عليك.

فأوحى الله إليه: يا داود! لو يعلم المدبرون عني تعداد انتظاري لهم، وشوقي إليهم، ورفقي بهم؛ لتركوا المعاصي، ولتقطعت أوصالهم لمحبتي، ولماتوا شوقاً إليَّ، يا داود! هذه إرادتي للمدبرين عني، فكيف تكون إرادتي للمقبلين عليَّ، يا داود! بكاء التائبين أحب إليَّ من صراخ العابدين، يا داود! أطعتنا، فأطعناك، وسألتنا، فأعطيناك، فإن عصيتنا؛ أمهلناك، وإن عدت إلينا على ما كان منك؛ قبلناك.

الإعراب: ﴿فَغَفَرْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (غفرنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، واللام

للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال، (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) مقدم. ﴿عِندَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَزُلْفَىٰ﴾: اللام: لام ابتداء. (زلفى): اسم (إنَّ) مؤخر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير. (حسن): معطوف على: (زلفى)، وهو مضاف، و﴿مَـَٔابٍ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: إن ترافع إليك الخصمان، فكان لك في أحدهما قرابة، أو نحوها؛ فلا تشته في نفسك الحق له ليفلج على صاحبه، فإن فعلت؛ محوت اسمك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتي، ولا أهل كرامتي، فدل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق، وألا يميل إلى أحد الخصمين لقرابة، أو رجاء نفع، أو سبب يقتضي الميل من صحبة، أو صداقة، أو غيرهما.

روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي زرعة، وكان قد قرأ الكتاب الأول: أن الوليد بن عبد الملك قال له: أيحاسب الخليفة، فإنك قد قرأت الكتاب الأول، وقرأت القرآن، وفقهت فيه؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أقول؟ قال: قل في أمان الله، قلت: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله، أو داود عليه الصلاة والسلام؟ إن الله جمع له النبوة، والخلافة، ثم توعده في كتابه، فقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً...﴾ إلخ.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾: استخلفناك على الملك في هذه الدنيا، أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بحكم الله. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: لا تمل مع ما تشتهي؛ إذا خالف أمر الله تعالى. ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فيضلك، ويبعدك الهوى عن دين الله، وطريقه المستقيم، ونهجه القويم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يحيدون عن الحق، ويزيغون عن الصراط المستقيم. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ أي: في الآخرة. ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: بسبب نسيانهم، وهو ضلالهم عن السبيل، أو بسبب ترك الإيمان بيوم الحساب. وقيل: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقيل: بترك العدل في الحكم، والقضاء.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (داود): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بأداة النداء. ﴿إِنَّا﴾: (إنّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾: ماض، وفاعله، ومفعولاه. والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). والجملة الاسمية، والجملة الندائية جملتان ابتدائيتان، لا محلَّ لهما. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَلِيفَةً﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿فَٱحْكُم﴾: الفاء: هي الفصيحة. (احكم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أي: ملتبساً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، وجملة: ﴿فَٱحْكُم...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً فاحكم... إلخ، (لا تتبع): فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿ٱلْهَوَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَيُضِلَّكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْهَوَىٰ﴾، والكاف مفعول به؛ و«أنْ» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق. التقدير: لا يكن منك اتباع للهوى، فإضلال. هذا؛ وقيل: الفعل معطوف على ما قبله، فهو مجزوم، وفتحت اللام لالتقاء الساكنين، وهو ضعيف. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها. ﴿يَضِلُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿شَدِيدٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر وللنهي السابقين. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿نَسُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾ مضاف إليه، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿عَذَابٌ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو غير وجيه، انظر تقديره في الشرح، واعتبار (ما) موصولة ضعيف.

تنبيه: لقد ذكر بعض المفسرين حول هذه الآيات المتعلقة بداود عليه الصلاة والسلام قصة تحط من كرامة الأنبياء، وهذه القصة من القصص الإسرائيليات، وفحواها: أن داود علق امرأة جندي من جنوده، وأخذ يحتال على قتله حتى تم له ذلك، وتزوج امرأته. وهي كذب، وافتراء، وبالإضافة لما ذكرته فيما سبق أنقل لك ما كتبه الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الصدد، فخذه بحروفه:

اعلم: أن من اختصه الله تعالى بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرفه على كثير من خلقه، وائتمنه على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس؛ لاستنكف أن يحدث به عنه؛ فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء، والصفوة الأمناء ذلك.

روى سعيد بن المسيب، والحارث الأعور عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مئة وستين جلدة، وهو حد الفرية على الأنبياء). وقال القاضي عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب؛ الذين بدلوا، وغيروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه الله في قصة داود ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم، هذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود عليه السلام.

قال الإمام فخر الدين: حاصل القصة يرجع إلى السعي في قتل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته، وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا. وقال غيره: إن الله أثنى على داود قبل هذه القصة، وبعدها، وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة، فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم، ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه؛ لاستهجنه العقلاء، ولقالوا: أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه في أثناء مدحك، والله منزه عن مثل هذا في كلامه القديم.

فإن قلت: في الآية ما يدل على صدور الذنب منه، وهو قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ﴾ قلت: ليس في هذه الألفاظ شيء مما يدل على ذلك، وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات، وأعلاها، فيطالبون بأكمل الأخلاق، والأوصاف، وأسناها، فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية، عاتبهم الله تعالى على ذلك، وغفره لهم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

فإن قلت: فعلى هذا القول، والاحتمال، فما معنى الامتحان في الآية؟ قلت: ذهب المحققون من علماء التفسير، وغيرهم في هذه القصة إلى أن داود عليه السلام ما زاد على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأكفلنيها، فعاتبه الله تعالى على ذلك، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله في الدنيا.

وقيل: تمنى داود أن تكون امرأة أوريا له، فاتفق أن أوريا هلك في الحرب، فلما بلغه قتله لم يجزع عليه، كما جزع على غيره من جنده، ثم تزوج امرأته، فعاتبه الله تعالى على ذلك؛ لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت، فهي عظيمة عند الله تعالى. وقيل: إن أوريا قد خطب تلك المرأة، ووطن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود، فزوجت نفسها منه لجلالته، فاغتم لذلك أوريا،

فعاتبه الله تعالى على ذلك؛ حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها، وعنده تسع وتسعون امرأة، ويدل على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ فدل هذا على أن الكلام كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها، فعوتب داود بسببين: أحدهما: خطبته على أخيه، والثاني: إظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه. وقيل: إن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا، والمرأة، وإنما هو بسبب الخصمين، وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر. وقيل: هو قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ فحكم على خصمه بكونه ظالماً بمجرد الدعوى، فلما كان هذا الحكم مخالفاً للصواب؛ اشتغل داود بالاستغفار، والتوبة، فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

وينبغي أن تعلم: أن اليهود، والنصارى يعدون داود، وسليمان ملكين، وليسا بنبيَّين. هذا؛ وقد عاش داود مئة عام، وقد دام ملكه أربعين سنة.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: من الخلق. ﴿بَٰطِلًاۚ﴾ أي: خلقاً باطلاً، لا لحكمة بالغة. أو: مبطلين عابثين، كقوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [١٦]: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ وتقديره: ذوي باطل، أو عبثاً، فوضع باطلاً موضعه، أي: ما خلقناهما، وما بينهما للعبث، واللعب، ولكن للحق المبين، وهو أنا خلقنا نفوساً، أودعناها العقل، ومنحناها التمكين، وأزحنا عللها، ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعددنا لها عاقبة، وجزاء حسب أعمالهم، وانظر سورة (الدخان) رقم [٣٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى خلق السموات والأرض باطلاً. ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾: الظن بمعنى: المظنون،أي: خلق السماء والأرض للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا، وإنما جعلوا ظانين: أنه خلقها للعبث، لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما لقوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: بسبب ذلك الظن، فهو تهديد، ووعيد لهم. والمعنى: ويل لهم يوم معادهم، ونشورهم من النار المعدة لهم.

هذا؛ والباطل ضد الحق، والباطل بمعنى: الفاسد، وجاء هنا بمعنى: العبَث، والبطلان؛ عبارة عن عدم الشيء، إما بعدم ذاته، أو بعدم فائدته، ونفعه. هذا؛ وبطَل من باب: دخل، والبَطَل بفتحتين: الشجاع، والبُطْل بضم فسكون: الباطل والكذب، والبطالة: التعطل والتفرغ

من العمل. ويجمع باطل على أباطيل شذوذاً، كما شذ: أحاديث، وأعاريض، وأفاظيع في جمع: حديث، وعريض، وفظيع. هذا؛ ومبطل: اسم فاعل من أبطل الرباعي، وانظر شرح (الحق) في الآية رقم [٨٤] الآتية.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. (الأرض): معطوف على ما قبله. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ﴿ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿بَٰطِلًا﴾: يجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، التقدير: خلقاً باطلاً، أو هو حال من فاعل: ﴿خَلَقْنَا﴾ أي: مبطلين، أو ذوي باطل، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله، أي: للباطل، وهو العبث، وجملة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ظَنُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء: حرف عطف. (ويل): مبتدأ. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: قيل: إن كفار قريش قالوا للمؤمنين: إنما نُعطى في الآخرة من الخير ما تعطون. وهذا على فرض وتقدير الآخرة في زعمهم؛ إن كان هناك آخرة، بل إنهم يرون: أنهم يكونون في الآخرة على فرض وجودها أسعد حظاً، وأوفر نصيباً من الفقراء المؤمنين، وهذا على زعمهم أن السعيد في الدنيا يكون سعيداً في الآخرة، وهذا الادعاء رده الله على العاصي بن وائل، وأمثاله في الآيات رقم [٧٧ ـ ٧٩] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ هذا؛ والمراد: بالذين آمنوا، والمتقين أصحاب النبي ﷺ، والمراد بالمفسدين، والفجار: كفار قريش، وهو يشمل كل مؤمن، وفاجر، ومفسد إلى يوم القيامة؛ لأن خصوص السبب لا يمنع التعميم، كما قررته مراراً، وتكراراً. هذا؛ ولا تَنْسَ: الاحتراس، وهو ذكر العمل الصالح مقروناً بالإيمان، وقد نبهت عليه مراراً.

ولا تَنْسَ: المقابلة بين المؤمنين، والمفسدين، وبين المتقين، والفجار، وهذه المقابلة من ألطف أنواع البديع، وبعضهم يسميها مطابقة.

ومعنى الآيتين هنا: النفي، والإنكار؛ أي: لا نفعل، ولا نسوي بين المؤمنين، والمفسدين، ولا بين المتقين، والفاجرين، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها المطيع، ويعاقب فيها الفاجر. وتدل العقول السليمة، والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد، وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي في هذه الدنيا يزداد ماله، وولده، ونعيمه، ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد من حكمة الحكيم العليم العادل، الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء، وهذه المواساة. انتهى. مختصر ابن كثير، ومثل هاتين الآيتين في الإنكار على الكافرين الزاعمين التسوية بين الصالح والطالح، والنافع، والضار، والمحسن، والمسيء قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (ن): ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل»؛ التي هي للإضراب الانتقالي. ﴿نَجْعَلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ﴾: الكاف: اسم بمعنى: مثل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به ثان، والكاف مضاف، و(المفسدين) مضاف إليه، وهذا أولى من اعتبارهما جاراً ومجروراً، والجملة الفعلية: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ أي: هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك يا محمد، عظيم جليل، كثير الخيرات، والمنافع الدينية، والدنيوية. ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: أنزلناه؛ ليتدبروا آياته، ويتفكروا بما فيها من الأسرار العجيبة، والحكم الجليلة. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: وليتعظ بهذا القرآن أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة.

قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: والله ما تدبُّره بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً؛ وقد أسقطه والله كله! ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق، ولا عمل! رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري.

هذا؛ وقال الزمخشري في كشافه: وتدبر الآيات: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة، والمعاني الحسنة؛ لأن من اقتنع بظاهر المتلو؛

لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور، لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها. انتهى. هذا؛ وقد استدل بهذه الآية من يجيز التفسير بالرأي، والاجتهاد. قالوا: والتدبر، والتذكر لا يكون إلا بالغوص عن أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم معانيه، فهل يعقل أن يكون تأويل ما لم يستأثر الله بعلمه محظوراً على العلماء مع أنه طريق العلم، وسبيل المعرفة؟ انتهى. علوم القرآن للصابوني.

هذا؛ و﴿أُوْلُواْ﴾ بمعنى: أصحاب، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده: ذو المضاف، إن كان مرفوعاً، و: ذا المضاف إن كان منصوباً، و: ذي المضاف إن كان مجروراً، والألباب: العقول، واحده: لبٌّ، وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك لأحد وجهين: إما لبنائه من: لبَّ بالمكان: أقام به، أو هو من اللباب، وهو الخالص من كل شيء. هذا؛ واللبيب: العاقل الفاهم، والجمع: ألباء، والأنثى: لبيبة وجمعها: لبيبات، ولبائب، واللب: خالص كل شيء. هذا؛ والملاحظ: أنه لم يرد في القرآن الكريم منه صيغة المفرد، وإنما يستعمل مرادفها مكانها، وهو القلب، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ رقم [٣٧] من سورة (ق)، وذلك؛ لأن لفظ الباء شديد مجتمع، ولا يفضي إلى هذه إلا من اللام الشديدة المسترخية، فلما لم تحسن اللفظة؛ أسقطها من نظمه ألبتة، وقد جمع: «لُبٌّ» على: «أَلبٍّ»، كما جمع: بؤس على: أَبْؤُس، و: نُعْم على: أَنْعُم. قال أبو طالب: [الرجز]

قَلْبِي إِلَيْهِ مُشْرِفُ الأَلُبِّ

وربما أظهروا التضعيف في ضرورة الشعر، قال الكميت: [الطويل]

إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ ... نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظِمَاءٌ وَأَلْبُبُ

الإعراب: ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هذا كتاب. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿مُبَٰرَكٌ﴾: خبر ثان للمبتدأ المقدر، أو هو خبر لمبتدأ محذوف آخر، ولا يجوز أن يكون نعتاً ثانياً لـ: ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ لأنه لا يتقدم عند الجمهور غير الصريح على الصريح، ومن يرى ذلك استدل بظاهرها، وهو تعلق: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ بـ: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، وقرئ: (مباركاً) بالنصب على الحال اللازمة؛ لأن البركة لا تفارقه. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. والجملة الاسمية: «هذا كتاب...» إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾: فعل مضارع منصوب، بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان

بالفعل: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: إعرابه مثل سابقه، وبعد التأويل فالجار والمجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿أُوْلُواْ﴾: فاعله مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلُواْ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾: ابنه. قال الجمل: أي: من المرأة التي أخذها من أوريا، ولم يقل به غيره. وقد خصه الله بالذكر مع كونه كان له أولاد كثيرون؛ لأنه كان تحته مئة امرأة حرائر ما عدا السراري؛ لأنه هو الذي ورث النبوة، كما قال تعالى في سورة (النمل) رقم [١٦]: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ...﴾ إلخ، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٠] من سورة (الصافات) بشأن لفظ الهبة. ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: نعم العبد سليمان، فإنه كان كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة، وفيه ثناء على سليمان كبير.

الإعراب: ﴿وَوَهَبْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (وهبنا): فعل، وفاعل. ﴿لِدَاوُۥدَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَوَهَبْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿نِعْمَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء المدح. ﴿ٱلْعَبْدُ﴾: فاعله، والمخصوص بالمدح محذوف، التقدير: هو ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، ولا يجوز اعتبارها حالاً؛ لأنها إنشائية، وبعضهم يجيز اعتبارها حالاً من: ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾. ﴿إِنَّهُۥٓ﴾: (إنّ): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿أَوَّابٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية تعليل للمدح، لا محل لها.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾: على سليمان. ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: هو الوقت مساء. وقال الأزهري: (العشي) ما بين زوال الشمس، وغروبها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨] من سورة (الروم). ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أن صفونها قيامها. قال القتبي، والفراء: الصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل، أو غيرها. ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقُومَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوناً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». أي: يديمون له القيام. حكاه قطرب أيضاً، وأنشد قول النابغة: [الطويل]

لَنَا قُبَّةٌ مَضْرُوبَةٌ بِفِنَائِهَا عِتَاقُ الْمَهَارى والجياد الصَّوَافِنِ

وهذا قول قتادة أيضاً. الثاني: أن صفونها: رفع إحدى اليدين، أو الرجلين ـ وهو أولى ـ على طرف الحافر، حتى يقوم على ثلاث، كما قال الشاعر، وهو الشاهد رقم (٦٠٠) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

أَلِفَ الصُّفُونَ فَمَا يَزالُ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرَا

﴿ٱلْجِيَادُ﴾ أي: الخيل، جمع جواد للفرس، وهو يطلق على الذكر، والأنثى، كما يقال للإنسان: جواد: إذا كان كثير العطية غزيرها، ويقال: قوم أجواد، وخيل جياد. وقيل: إنها الطويلة الأعناق، مأخوذ من الجيد، وهو العنق؛ لأن طول الأعناق في الخيل من صفات فراهتها. وقال الجلال: جمع جواد، وهو السابق. المعنى: أنها إذا استوقفت سكنت، وإن ركضت؛ سبقت.

هذا؛ واختلف في هذه الخيل التي عرضت عليه، فقال الكلبي: غزا سليمان أهل دمشق، ونصيبين، فأصاب منهم ألف فرس. وقال مقاتل: ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس، وكان أبوه أصابها من العمالقة. وقال الحسن: بلغني: أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة. وقاله الضحَّاك؛ وأنها كانت خيلاً أخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات أجنحة. وقال ابن زيد: أخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر من مروج البحر، وكانت لها أجنحة. وقيل: كانت مئة فرس. وفي الخبر عن إبراهيم التيمي: أنها كانت عشرين ألفاً. فالله أعلم. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المقدر، وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون ظرفاً لـ: ﴿أَوَّابٌ﴾. وأن يكون العامل فيه ﴿نِعْمَ﴾. ﴿عُرِضَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: متعلقان به أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من العرض المفهوم من ﴿عُرِضَ﴾. ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: نائب فاعل، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿ٱلْجِيَادُ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف. وجملة: ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي...﴾ إلخ: المعنى: آثرت حب الخير. وفسر بالخيل التي رأيتها في الآية السابقة، فقد روي: أنه قعد يوماً بعدما صلى الظهر على كرسيه، واستعرضها، فلم تزل تعرض عليه؛ حتى غربت الشمس، وغفل عن صلاة العصر، وكانت فرضاً عليه، فاغتم لما فاته، فاستردها، وعقرها تقرباً لله تعالى، فبقي مئة منها، فما بقي في أيدي الناس من الجياد، فمن نسلها. وقيل: لما عقرها أبدله الله خيراً منها، وهي الريح تجري بأمره، ومن المؤكد: أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر،

حتى صلاها بعد الغروب، وذلك ثابت في الصحيحين عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء عمر ـ رضي الله عنه ـ يوم الخندق بعدما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله! والله ما كدت أصلي العصر؛ حتى كادت الشمس تغرب، فقال النبي ﷺ: «**وأنا والله ما صليتها!**». قال: فقمنا إلى بطحان، فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب.

هذا؛ والتعبير بالخير عن الخيل؛ لأنها معقود بنواصيها الخير: الأجر، والغنيمة. وقيل: حب الخير حب المال، ومنه الخيل التي عرضت عليه، والمراد: بـ: ﴿ذِكْرِ رَبِّي﴾ الصلاة التي مر ذكرها. وقيل: كان له ورد خاص. ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي: غابت الشمس. ﴿بِالْحِجَابِ﴾: المراد به الليل، سمي بذلك؛ لأنه يستر ما فيه، وما قيل: إنه جبل لم يثبت. هذا؛ والضمير في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ يعود إلى غير مذكور، فإن المراد: الشمس، وهو مفهوم يدل عليه المقام، والحال المشاهدة، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (هود): ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ إذ المراد: السفينة، وقوله تعالى في سورة (القيامة): ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: بلغت الروح التراقي، وقوله تعالى في سورة (الواقعة): ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: بلغت الروح الحلقوم، ومثل هذه الآيات قول سوار بن المضرب السعدي، وهو الشاهد رقم [١٩١] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

إِذَا كَانَ لا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي ... إِلَى قَطَرِيٍّ لَا إِخَالُكَ رَاضِيَا

وأيضاً قول حاتم الطائي: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ امْرِئٍ ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمَاً وضاقَ بِها الصَّدْرُ

ومثل الآية الكريمة في إضمار الشمس على غير مذكور قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ في معلقته رقم [٦٥]: [الكامل]

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

الإعراب: ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَحْبَبْتُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿حُبَّ﴾: مفعول به على اعتبار: ﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى: آثرت، و«عن» بمعنى: «على»، أو هو مفعول مطلق على أنه مصدر محذوف الزوائد، والناصب له ﴿أَحْبَبْتُ﴾، أو هو مصدر تشبيهي، التقدير: أحببت حباً مثل حب الخير، أو هو مفعول لأجله، على اعتبار ﴿أَحْبَبْتُ﴾ من أحب البعير: إذ

أسقط، وبرك من الإعياء، فيكون المعنى: قعدت عن ذكر ربي لأجل حبي الخير. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وقد تصرفت فيه تصرفاً كبيراً. و﴿حُبَّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْخَيْرِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله وفاعله محذوف، التقدير: حبي الخير. ﴿عَن ذِكْرِ﴾: متعلقان بالمصدر، أو بالفعل ﴿أَحْبَبْتُ﴾، و﴿ذِكْرِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّي﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، على معنى: عن أن أذكر ربي. فيكون الفاعل محذوفاً. أو من إضافة المصدر لفاعله على معنى: عن أن يذكرني ربي. فيكون المفعول محذوفاً. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، بعدها: «أن» مقدرة. ﴿تَوَارَتْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الشمس المفهومة من المقام، كما رأيت في الشرح، والتاء للتأنيث. ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾: متعلقان بما قبلهما. و«أن» المقدرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾ والفعل: ﴿تَوَارَتْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل، أو بالمصدر. هذا؛ وبعضهم، يعتبر ﴿حَتَّىٰ﴾ في مثل هذا الموضع حرف ابتداء، والجملة بعدها مستأنفة، والمعنى على الأول أقوى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم..

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: ردوا الخيل علي. ﴿فَطَفِقَ﴾ أي: شرع. ﴿مَسْحًا﴾ أي: يمسح مسحاً. ﴿بِٱلسُّوقِ﴾: جمع ساق، وهو ما بين الكعب، والركبة من الإنسان، والحيوان، و«الساق» مؤنثة، وتجمع على: سوق، وسيقان، وأَسْوُق، وساق الشجرة: جذعها. ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي: أعناق الخيل جمع: عنق، أي: كان يضرب سوق الخيل، وأعناقها بالسيف. هذا قول ابن عباس، وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحاً له؛ لأن نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم، ولم يكن ليتوب عن ذنب ـ وهو ترك الصلاة ـ بذنب آخر، وهو عقر الخيل. هذا؛ وقد كنى عن العقر، والذبح بالمسح، وهي كناية بليغة.

وقال محمد بن إسحاق: لم يعنفه الله على عقره الخيل؛ إذ كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربه، عز وجل. وقيل: إنه ذبحها، وتصدق بلحومها. وقيل: معناه: أنه حبسها في سبيل الله تعالى، وكوى سوقها، وأعناقها بكيِّ الصدقة. وحكي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: معنى ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يقول بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها عليَّ، فردوها عليه، فصلى العصر في وقتها.

قال الإمام فخر الدين: بل التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن نقول: إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم، كما أنه في ديننا كذلك، ثم إن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ احتاج إلى غزو، فجلس، وأمر بإحضار الخيل، وأمر بإجرائها، وذكر أني لا أحبها لأجل الدنيا، ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله، وتقوية دينه، وهو المراد بقوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾، ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمر بإعدائها، وإجرائها حتى توارت بالحجاب، أي: غابت عن بصره، ثم

أمر برد الخيل إليه، وهو قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها، وأعناقها. والغرض من ذلك المسح أمور:

الأول: تشريفاً لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو. الثاني: أنه أراد أن يظهر: أنه في ضبط السياسة، والمملكة يبلغ أن يباشر الأمور بنفسه. الثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل، وأمراضها، وعيوبها من غيره، فكان يمسح سوقها، وأعناقها حتى يعلم: هل فيها ما يدل على المرض؟ فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن، ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات، والمحظورات، والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة؟!

فإن قيل: فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه، فما قولك فيه؟ فنقول: لنا ههنا مقامان: المقام الأول: أن يُدَّعى: أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه؛ التي ذكروها، وقد ظهر، والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً، لا يرتاب عاقل فيه. المقام الثاني: أن يقال: هَبْ أن لفظ الآية يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس وإن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات. انتهى. خازن.

هذا؛ وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ومن قال: إن الهاء في ﴿رُدُّوهَا﴾ ترجع للشمس، فذلك من معجزاته؛ أي: سليمان، وقد اتفق مثل ذلك لنبينا، وحبيبنا، وشفيعنا ﷺ. خرَّج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ من طريقين: أن النبي ﷺ كان يُوحَى إليه، ورأسه في حجر عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: **«أصليت العصر يا علي؟»** قال: لا. فقال ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنَّهُ كان في طاعَتِكَ، وطاعةِ رسولِكَ، فارْدُدْ عليهِ الشمْسَ»**. قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها بعدما غربت طلعت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر. قال الطحاوي: وهذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات.

قال القرطبي: وضعف أبو الفرج ابن الجوزي هذا الحديث، فقال: وغلو الرافضة في حب علي ـ رضي الله عنه ـ حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله، منها: أن الشمس غابت، ففاتت علياً عليه السلام العصر، فرُدَّتْ له الشمس. وهذا من حيث النقل محال، ومن حيث المعنى؛ فإن الوقت قد فات، وعودها طلوع متجدد لايردُّ الوقت. انتهى. بتصرف مني.

وأنا أقول من جانبي: إن هذا الحديث مردود من جهتين: الأولى: إن أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ لم تكن عند علي، في حياة النبي ﷺ، بل كانت عند أبي بكر، فإنه هو الذي تزوجها بعد زوجها الأول جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. وولدت منه محمد بن أبي بكر، ثم بعد وفاة أبي بكر تزوجها علي. والجهة الثانية لم يكن معقولاً أن النبي ﷺ يصلي العصر، ولا يصليها علي، ثم هو ﷺ يضع رأسه في حجر عليٍّ، وهل كان علي ـ رضي الله عنه ـ يتخلف عن صلاة الجماعة مع النبي ﷺ؟!.

الإعراب: ﴿رُدُّوهَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقولٍ محذوف. التقدير: قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ فأُضمِر، وأُضْمِر ما هو جواب له، كأن قائلاً قال: فماذا قال سليمان؟ قال: ردوها علي. . .إلخ. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فَطَفِقَ﴾: الفاء: حرف عطف. (طفق): فعل ماض ناقص من أفعال الشروع، واسمه يعود إلى (سليمان). ﴿مَسْحًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: يمسح مسحاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (طفق)، وجملة: «طفق يمسح مسحاً» معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فردوها عليه، ﴿فَطَفِقَ...﴾ إلخ. ﴿بِالسُّوقِ﴾: متعلقان بالفعل المحذوف. ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: لقد نقل كثير من المفسرين في فتنة سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الإسرائيليات مثل ما نقلوه من فتنة أبيه داود من الافتراءات، والأباطيل، وقد قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره: نقل المفسرون في هذه الفتنة، وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها، وهي إما من وضع اليهود، أو الزنادقة، ولم يبين الله الفتنة، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان. إلى أن قال: لم يكن ليذكر من يتأسى به ممن نسب المفسرون إليه ما يعظم أن يُتَفوَّه به، ويستحيل عقلاً وجود ما ذكروه، كتمثل الشيطان بصورة نبي، حتى يلتبس أمره على الناس، ويعتقدوا: أن ذلك المتصور هو النبي،ولو أمكن وجود هذا لم يوثق برسالة نبي، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية. نسأل الله سلامة أذهاننا، وعقولنا منها. انتهى. حاشية القرطبي، والتعليق عليها. ومن الغريب: أن الجلال على جلالة قدره واختصار تفسيره قال بهذا، وقال: وكان ملكه في خاتمه. . .إلخ، قال سليمان الجمل معلقاً عليه، ومجارياً له: أي: كان مرتباً على لبسه؛ فإذا لبسه سخرت له الجن، والإنس، والرياح، وغيرها، وإذا نزعه؛ زال عنه الملك، وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم، كما نزل بعصا موسى، والحجر الأسود المسمى باليمين، وبعود البخور، وبأوراق التين، ساتراً عورته بها، وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله: [الطويل]

وآدمُ معه أُنْزِلَ العودُ والعصا ... لموسى من الآسِ النَّبَاتِ المكرَّمِ
وأوراقُ تينٍ واليمينُ بِمكَّةٍ ... وخَتْمُ سُلَيْمَانَ النبيِّ الْمُعَظَّمِ

هذا؛ وقال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: والذي ذهب إليه المحققون: أن سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال سُلَيْمَانُ: لأَطُوفَنَّ الليلةَ على تسعينَ امْرَأَة، كلُّهُنَّ تأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله تعالى، فقال**

لَهُ صاحبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فطاف عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً، فَلَمْ تَحْمِلْ منهنَّ إِلَّا امرأَةٌ واحدةٌ جَاءَتْ بشقِّ رجُلٍ، وَايْمُ اللهِ الَّذِي نَفْسِي بيدِهِ لوْ قالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لجاهَدُوا في سبيلِ اللهِ فرساناً أَجْمَعُونَ». وفي رواية: لأطوفن بمئة امرأة. فأجمعون توكيد لواو الجماعة، وبالنصب توكيد لفرساناً.

قال العلماء: والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه، وهي عقوبته، ومحنته؛ لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص، وغلب عليه من التمني. وقيل: نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله، ومراده فيه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤] من سورة (الكهف) بشأن هذا الاستثناء. وقيل: إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه: أنه ولد له ولد، فاجتمعت الشياطين، وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده، أو نخبله، فعلم بذلك سليمان ـ عليه السلام ـ فأمر السحاب، فحمله، فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغل في بعض مهماته؛ إذْ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه، فعاتبه الله على خوفه من الشياطين، ولم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه لخطئه، فاستغفر ربه، وأناب؛ أي: رجع إليه بالتوبة، والاستغفار. انتهى. خازن.

هذا؛ وقد نقل القرطبي عن ابن عباس في وصف الكرسي الشيء الكثير، وهو مما يدهش العقول، ويحير الألباب، وقال في آخر وصفه: فلما توفي سليمان بعث بُخْتَنَصَّر، فأخذ الكرسي، فحمله إلى أنطاكية، فأراد أن يصعد إليه، ولم يكن له علم كيف يصعد إليه، فلما وضع رجله ضرب الأسد رجله فكسرها، وكان سليمان إذا صعد وضع قدميه جميعاً، ومات بختنصر، وحُمل الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع قط ملك أن يجلس عليه، ولكن لم يدر أحد عاقبة أمره، ولعله رُفع. انتهى. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

هذا؛ وقال محمد علي الصابوني في كتابه (صفوة التفاسير): واختار الإمام الفخر: أن الفتنة المذكورة في الآية الكريمة يقصد بها فتنته في جسده؛ حيث إن سليمان ابتلي بمرض شديد، نحل منه، وضعف، حتى صار لشدة المرض كأنه جسد ملقىً على كرسي. قال: والعرب تقول في الضعيف: إنه لحم على وضم، وجسم بلا روح. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى حالة الصحة. ولم أره لغيره، وعليه فالفعل يتعدى إلى مفعولين، حذف الأول، و﴿جَسَدًا﴾ هو المفعول الثاني، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿جَسَدًا﴾ كان صفةً له... إلخ، والتقدير: جسداً ملقىً، أو مطروحاً على كرسيه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿فَتَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. وهو يتضمن عطف قصة سليمان على

قصة أبيه داود، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وانظر إعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾ في سورة (يسٓ) رقم [٦٢]. ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿وَأَلۡقَيۡنَا﴾: الواو: حرف عطف. (ألقينا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَسَدٗا﴾: مفعول به. وانظر الشرح لاعتبار الفعل متعدياً لمفعولين، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَنَابَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ أي: ذنبي. ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾: يقال: كيف أقدم سليمان على طلب الدنيا، مع ذم الله تعالى لها، وبغضه لها، وحقارتها لديه؟ فالجواب: أن ذلك محمول عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى، وسياسة ملكه، وترتيب منازل خلقه، وإقامة حدوده، والمحافظة على رسومه، وتعظيم شعائره، وظهور عبادته، ولزوم طاعته، ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه، وحاشا سليمان عليه السلام أن يكون سؤاله طلباً لنفس الدنيا؛ لأنه هو والأنبياء أزهد خلق الله فيها، و إنما سأل مملكتها لله، كما سأل نوح عليه الصلاة والسلام دمارها لله، فكانا محمودَيْن مجابَيْن إلى ذلك. وقيل: سأل الله ذلك ليكون عَلَماً، وآيةً لنبوته، ومعجزةً دالة على رسالته، ودلالةً على قبول توبته؛ حيث أجاب الله تعالى دعاءه، وأحب أن يخص بخاصية،كما خص داود بإلانة الحديد، وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، فسأله شيئاً يختص به، كما روي في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ عِفريتاً من الجنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البارِحَةَ لِيَقْطَعَ عليَّ صلاتي، فأمكنني اللهُ تباركَ وتعالى منه، فأخذْتُهُ فأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إلى سَارِيَةٍ مِنْ سَوارِي المسجِدِ حتَّى تصبحوا وتنظروا إِلَيْهِ كُلكُمْ، فذكَرْتُ دعوةَ أخي سليمانَ ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي....﴾ إلخ فرددته خاسئاً»**.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: **«أعوذُ بالله مِنْكَ»**. ثم قال: **«أَلْعَنُكَ بلعنةِ اللهِ»**. (ثلاثاً) وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة؛ قلنا: يا رسول الله! سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لَمْ نسمعكَ تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطتَ يدك! قال ﷺ: **«إنَّ عدوَّ اللهِ إبليسَ جاء بشهابٍ منْ نارٍ ليجعله في وجهي، فقُلتُ: أعوذُ بالله منكَ (ثلاثَ مَرَّاتٍ) ثم قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ (ثلاثَ مرَّاتٍ) ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ آخُذَهُ، ولَوْلَا دعْوَةُ أخي سليمانَ لأَصْبَحَ موثَقاً يَلْعَبُ بِهِ صِبْيَانُ أهلِ المدينةِ»**. انتهى. مختصر ابن كثير.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة. وانظر الآية

رقم [١٠٠] من سورة (الصافات). ﴿ٱغْفِرْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ومفعوله محذوف. ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿وَهَبْ﴾: الواو: حرف عطف. (هب): فعل دعاء. وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِى﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُلْكًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَنۢبَغِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود لـ: ﴿مُلْكًا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة له. ﴿لِأَحَدٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (أحد)، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة.

﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد لاسم (إنَّ) على المحل، أو هو ضمير فصل لا محل له. وعليهما فـ: ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾: خبر (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿أَنتَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلْوَهَّابُ﴾ خبراً له، فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للدعاء، لا محل لها. هذا؛ وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ أي: لينة مع قوتها، وشدتها؛ حتى لا تضر أحداً، وتحمله بعسكره، وجنوده، وموكبه، وكان موكبه فيما روي فرسخاً في فرسخ، مئة درجة بعضها فوق بعض، في كل درجة صنف من المخلوقات، وهو في أعلى درجة مع جواريه، وحشمه، وخدمه، صلوات الله، وسلامه عليه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢] و [١٣] من سورة (سبأ). ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث قصد، وأراد. هذا معناه هنا، قال الشاعر: [المتقارب]

أَصابَ الكَلامَ فَلَم يَسْتَطِعْ ... فَأَخْطَا الجَوابَ لَدَى المَفْصَلِ

وهو يحتمل معاني أخر، تقول: أصاب السهم، يصيب: لم يخطئ هدفه. وأصاب الرجل في قوله، أو في رأيه: أتى بالصواب. وأصاب فلاناً البلاءُ، يصيبه: وقع عليه. وأصابهم المطر: نزل عليهم. قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٤٨]: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. وانظر شرح الريح في الآية رقم [١٦] من سورة (فُصِّلت).

الإعراب: ﴿فَسَخَّرْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: عاطفة على محذوف، التقدير: فاستجبنا له دعاءه، وأعدنا له ملكه السليب، وسخرنا. وهو ضعيف كما رأيت في الشرح. (سخرنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلرِّيحَ﴾: مفعول به، والجملة

الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر، تقديره: «هي»، يعود إلى: ﴿ٱلرِّيحَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلرِّيحَ﴾، أو في محل نصب صفة لها على حد قوله تعالى في الآية رقم [٣٧] من سورة (يس): ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿رُخَآءً﴾: حال من: ﴿ٱلرِّيحَ﴾. ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿تَجْرِى﴾. ﴿أَصَابَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿حَيْثُ﴾ إليها.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ أي: وسخرنا له الشياطين، وما سُخرت لأحد قبله، منهم من يبني له ما يشاء من محاريب، وتماثيل، كما رأيت في الآية رقم [١٣] من سورة (سبأ). ومنهم من يغوص في أعماق البحار؛ ليستخرج له اللآلئ الثمينة، وهو أول من استخرج له اللؤلؤ من البحر، كما قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٨٢]: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ...﴾ إلخ. ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: وسخرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد، وقيود الحديد. قال عمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته رقم [٧٧]: [الوافر]

فـآبُـوا بـالـنِّـهَـابِ وبـالـسَّـبَـايَـا وأُبْـنَـا بـالْـمُـلُـوكِ مُـصَـفَّـدِيـنَـا

ومعنى ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين في الأصفاد، وهي الأغلال، والقيود، واحدها: صفْد، وصفَد، ويقال: صفدته صفداً، أي: قيدته، والاسم الصَّفَد، فإذا أردت التكثير؛ قلت: صَفَّدته تصْفِيداً. وأصفدْته إصفاداً: أعطيته. وقيل: صفدْتُه، وأصفدْتُهُ جاريان في القيْدِ، والإعطاء جميعاً، فالصفَد: العطاء؛ لأنه يقيِّد ويُعْبِد، قال أبو الطيب: [الطويل]

وقَـيَّـدْتُ نَـفْـسِـي فـي ذُراكَ مَـحَـبَّـةً ومَـنْ وجـدَ الإحـسَـانَ قـيـداً تَـقَـيَّـدا

قال يحيى بن سلَّام: ولم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم، فإذا آمنوا؛ أطلقهم، ولم يسخرهم. أو يقيد من تمرد، وعصى، وامتنع من العمل، وأبى. أو قد أساء في صنيعه، واعتدى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الشياطين): معطوف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، أو هو مفعول به لفعل محذوف. التقدير: وسخرنا له الشياطين، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿كُلَّ﴾: بدل من الشياطين بدل بعض من كل، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿بَنَّآءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَغَوَّاصٍ﴾: معطوف على ما قبله. (آخرين): معطوف على ﴿كُلَّ﴾، فهو

مثله بدل منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: صفة لما قبله منصوب مثله. وفيه، وفي سابقه ضمائر مستترة؛ لأن الثلاثة الأول اسم فاعل، وهذا اسم مفعول. ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ أي: هذا الذي أعطيناك من الملك والبسطة، والتسلط على ما لم يتسلط عليه غيرك عطاؤنا. ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أعط من شئت، أو امنع من شئت، لا حساب عليك. قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان عليه السلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا...﴾ إلخ. وقيل: الإشارة إلى تسخير الشياطين. والمراد: بالمن والإمساك: إطلاقهم، أو إبقاؤهم في القيد. وقال قتادة: الإشارة إلى ما أعطيه من القوة، والجماع، وعلى هذا ﴿فَٱمْنُنْ﴾ من المنيِّ، هذا قول مضروب به عرض الحائط، والنقل عن ابن عباس مكذوب عليه. قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: ولعله لم يصح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لأنه لم يجر هنا ذكر النساء، ولا ما أوتي من القدرة على ذلك.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: له قربة في الدنيا، ومكانة عند الله يوم القيامة. ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: حسن مرجع ومنقلب وهو الجنة. وانظر الآية رقم [٢٥]. ولا تَنْسَ: المطابقة، والمقابلة بين: امنن، وأمسك، وهي من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿عَطَآؤُنَا﴾: خبره. و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم المصدر لفاعله، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقلنا له هذا عطاؤنا. ﴿فَٱمْنُنْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (امنن): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَمْسِكْ﴾: فعل أمر. وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ومتعلق الفعلين محذوف. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً لك؛ فامنن، أو أمسك. ﴿بِغَيْرِ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما متعلقان بـ: ﴿عَطَآؤُنَا﴾ أي: أعطيناك بغير حساب ولا تقدير. وهذا دلالة على كثرة الإعطاء. الثاني: أنهما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿عَطَآؤُنَا﴾ أي: في حال كونه غير محاسب عليه؛ لأنه كثير يعسر على الحساب ضبطه. الثالث: أنه متعلق بـ: (امْنُنْ) أو ﴿أَمْسِكْ﴾، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف حال من فاعلهما؛ أي: حال كونك غير محاسب عليه. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ انظر الآية رقم [٢٥] ففيها الكفاية. والجملة الاسمية هنا في محل نصب حال من (نا) في (سخرنا)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾

الشرح: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾: عطف على: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه، وبين أبيه داود، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. حتى إن قصتيهما قصة واحدة، وأيوب هو ابن أموص، بن رعبل، بن عيص، بن إسحاق. وأمه بنت لوط. حكاه ابن كثير عن ابن عساكر، وعاش ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة بلائه سبع سنين. انتهى. جمل نقلاً من التحبير للسيوطي. وقيل: كانت مدة بلائه ثماني عشرة سنة. وذكر البيضاوي هنا: أن امرأته اسمها: ليَّا بنت يعقوب، وذكرت في سورة (الأنبياء) أن اسمها: رحمة بنت إفرائيم بن يوسف الصديق، وهو المعتمد، ومن نسبته إلى عيص بن إسحاق يعلم: أنه ليس من بني إسرائيل؛ لأن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق، وأولاده هم الذين ينسبون إليه. وقيل: إن أمه بنت لوط، وليس بشيء. هذا؛ وقد ذكر اسمه في القرآن الكريم أربع مرات في الآية رقم [١٦٣] من سورة (النساء)، وفي الآية رقم [٨٤] من سورة (الأنعام)، وفي الآية رقم [٨٣] من سورة (الأنبياء)، وفي هذه السورة، كما ترى.

فائدة: إنما أسند ما مسه من نصب وعذاب إلى الشيطان مع أنه من البدائه الأولية: أن الشيطان لا يسلط على الأنبياء تأدباً مع الله تعالى، ولأن الشيطان كان يوسوس له، ويغريه على الكراهة، والجزع. هذا؛ وإنك لتجد هذا الأدب في قول إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ رقم [٨٠] من سورة (الشعراء) وقال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ رقم [٧٩] من سورة (الكهف) مع أن المعافي، والمشافي، والممرض هو الله تعالى، والمريد للعيب، هو الله تعالى. هذا؛ وقرئ (نصب) بقراءات كثيرة، ومعناه: التعب، والإعياء. وقيل: إن النصب ما أصابه في بدنه، والعذاب ما أصابه في ماله وولده. وقال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: إن الناس يروون في بلاء أيوب أقوالاً يوردونها تدل على أنه مرض مرضاً مشوهاً، ومنفراً للناس من قربائه والدنو منه، وهذا يتنافى مع منصب النبوة، وقد قرر علماء التوحيد: أن الأنبياء منزهون من الأمراض المنفرة، فكيف يتفق ذلك مع منصب النبوة؟! والجواب على ذلك من وجهين:

الأول: أن الابتلاء على الوجه الذي يقولون كان قبل النبوة، وأن منحة النبوة إنما كانت لما بدا منه من الصبر، والرضا بما أصابه من مكروه، وملازمته جانب الرضا عن الله تعالى.

الثاني: أن المبالغين في ضر أيوب عليه السلام إنما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب في السفر المسمى سفر أيوب، وإذا ثبت: أن هذا السفر حقيقي، فعبارته مؤولة بالمبالغة، فالذين قرؤوا ذلك السفر حسبوا ما جاء فيه من الوصف حقيقياً، ولو تدبروا؛ لعلموا:

أن سفر أيوب يشبه قصائد شعرية، قيلت في وصف ضره، وصبره، والشعر في كل لغةٍ ميدان المبالغة، انظروا إلى قول عمر بن الفارض ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فطوفانُ نوح عندَ نوْحي كأدمُعي وإيقادُ نِيرانِ الخليلِ كَلَوْعَتي

فلولا زَفيري أغرقَتْنِي مَدامِعي ولَوْلا دُمُوعي أحرقَتْني زَفْرَتِي

وهذا المتنبي يقول: [البسيط]

كَفَى بجِسْمِي نُحُولاً أَنَّني رَجُلٌ لَوْلا مخاطبتي إِياكَ لَمْ تَرَني

هذا هو الشاهد رقم (١٧٠) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وله أيضاً: [الطويل]

ولَو أنَّ ما بي مِنْ جوىً وصبابةٍ على جَمَلٍ لَمْ يدخلِ النارَ كَافِرُ

أي: إن الجمل يلج حينئذ في سم الخياط لشدة ضعفه، وهزاله لو حمل ما يحمل الشاعر، ويحصل المعلق عليه في قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٤٠]: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ وخذ قول المتنبي أيضاً: [الطويل]

وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيتُ في شقِّ رَأْسِهِ مِنَ السُّقْمِ ما غيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

وهذا هو الشاهد رقم [٤٨٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». انتهى. بتصرف.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في الرد على الذين يذكرون ما يحط من قدر أيوب عليه السلام: والذي جرأهم على ذلك، وتذرعوا به إلى ذكر هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى...﴾ إلخ فلما رأوه قد شكا مَسَّ الشيطان؛ أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال. وليس الأمر كما زعموا، والأفعال كلها، خيرها، وشرها، وإيمانها، وكفرها، طاعتها، وعصيانها، خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شيء غيرها، ولكن الشر لا ينسب إليه ذكراً، وإن كان موجوداً منه خلقاً؛ أدباً أَدَّبَنَا بِهِ، وتحميداً علمناه، وكان من ذكر محمد ﷺ لربه به قوله من جملته: «**والخيْرُ في يَدَيْكَ، والشَّر ليْسَ إليك**». على هذا المعنى، ومنه قول إبراهيم ـ على نبينا، وعليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم ـ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. وقال الفتى للكليم: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

وقال: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله في كتابه في آيتين: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ رقم [٨٣] من سورة (الأنبياء)، والثانية في سورة (صٓ) رقم [٤١] وأما النبي ﷺ، فلم يصح: أنه ذكره بحرف واحد، إلا قوله: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ إِذْ خرَّ عَلَيْهِ رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ...**». الحديث، وإذا لم يصح عنه فيه قرآن، ولا سُنَّة إلا ما ذكرناه؛ فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟.

والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعْرِضْ عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لاتعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً. وفي الصحيح واللفظ للبخاري: أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضاً لم يُشَب، وقد حدثكم: أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله، وغَيَّروا، وكتبوا بأيديهم الكتب، فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الواو: حرف عطف. (اذكر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَبْدَنَآ﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أَيُّوبَ﴾: بدل، أو عطف بيان على: ﴿عَبْدَنَآ﴾. ﴿إِذْ﴾: بدل اشتمال من: ﴿عَبْدَنَآ﴾ مبني على السكون في محل نصب. وقيل: هو ظرف لما مضى من الزمان متعلق بالفعل (اذكر). ﴿نَادَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿أَيُّوبَ﴾. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿مَسَّنِىَ﴾: فعل ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جرٍّ محذوف، التقدير: بأني...إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿نَادَىٰ﴾، ويقال: في محل نصب بنزع الخافض، والناصب له عند الكوفيين النزع، وعند البصريين الفعل. ﴿بِنُصْبٍ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿مَسَّنِىَ﴾. ﴿وَعَذَابٍ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي: قلنا له: اضرب الأرض برجلك، وهذا كان بواسطة جبريل الأمين، لا مباشرة من الله إليه. ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ...﴾ إلخ: قال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها: الجابية، فاغتسل من إحداهما، فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى، فأذهب الله تعالى باطن دائه. وقال مقاتل: نبعت عين حارة، واغتسل منها، فخرج صحيحاً، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماءً عذباً. وقيل: أمر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده، وال: ﴿مُغْتَسَلٌۢ﴾ الماء الذي يغتسل به، وظاهر الكلام يدل على أنها عين واحدة.

الإعراب: ﴿ٱرْكُضْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، التقدير: اركض الأرض، وهذا على تضمينه معنى: اضرب، والجملة في محل نصب مقول القول لقول محذوف. انظر تقديره في الشرح. ﴿بِرِجْلِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في

محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول للقول المحذوف، وفيها معنى التعليل للأمر. ﴿بَارِدٞ﴾: صفة: ﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾، وعند التأمل يظهر لك: أنه صفة لـ: (شراب) مقدم عليه. ﴿وَشَرَابٞ﴾: معطوف على: ﴿مُغۡتَسَلُۢ﴾.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ...﴾ إلخ: قال الحسن، وقتادة: أحيا الله له أولاده الذين ماتوا جميعاً بأعيانهم، وزاده مثلهم معهم من زوجته التي صبرت على بلائه، فرد الله إليها شبابها، أو: زيد في شبابها. ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: تكرماً، وتفضلاً، ونعمة من عندنا. ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: وعظة نافعة لأولي العقول السليمة، وأصحاب الفطر المستقيمة، وانظر الآية رقم [٨٤] من سورة (الأنبياء). تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَوَهَبۡنَا﴾: الواو: حرف عطف. (وهبنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على مقدر، يترتب على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: فاغتسل، وشرب، فكشفنا بذلك ما به من ضر، كما في سورة (الأنبياء)، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَهۡلَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وما بعده مثله. ﴿وَمِثۡلَهُم﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَّعَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من: (مثلهم). أي: مضافين، أو مجموعين معهم. ﴿رَحۡمَةٗ﴾: مفعول لأجله، وقال مكي: مصدر، أي: مفعول مطلق، عامله محذوف. وانظر مثله في سورة (الكهف) رقم [٦٥]، وسورة (الأنبياء) رقم [٨٤]. ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾: متعلقان بـ: ﴿رَحۡمَةٗ﴾، أو بمحذوف صفة له. (ذكرى): معطوف على ﴿رَحۡمَةٗ﴾ منصوب مثله. وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِأُوْلِي﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة. و(أولي) مضاف، و﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ذكر الله تعالى في هذه الآيات أيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ وما ابتلاه الله تعالى من الضر في جسده، وماله، وولده، حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليماً سوى قلبه، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه، وما هو فيه غير زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله، فكانت تخدم الناس بالأجرة، وتطعمه، وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل، وأولاد، وسعة طائلة من الدنيا، فسلب جميع ذلك حتى رفضه القريب، والبعيد سوى زوجته ـ رضي الله عنها ـ، فإنها كانت لا تفارقه صباحاً، ومساءً

إلا بسبب خدمة الناس، ثم تعود إليه قريباً، فلما طال المطال، واشتد الحال، ونفذ القدر، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين، وإله المرسلين، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. ويروى: أنه قال في مناجاته: إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي، ولم يتبع قلبي بصري، ولم يهبني ما ملكت يميني، ولم آكل إلا ومعي يتيم، ولم أَبِتْ شبعانَ، ولا كاسياً، ومعي جائع، أو عريان.

فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين دعاءه، وأمره أن يقوم مقامه، وأن يضرب الأرض برجله، ففعل، وأذهب الله عنه جميع آلامه، وتكاملت عافيته ظاهراً، وباطناً، وأنزل الله عليه من السماء ثوبين أبيضين، فائتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر، ثم أقبل يمشي إلى منزله، وقد استبطأته زوجته، فالتفتت تنظر، فأقبل عليها، وهو على أحسن ما كان، فأقبلت عليه، وهي لا تعرفه فسلمت عليه، وقالت: يرحمك الله هل رأيت هذا الرجل المبتلى؟ قال: ومن هو؟ قالت: نبي الله أيوب، أما والله ما رأيت أحداً قطُّ أشبه به منك إذا كان صحيحاً، فقال: إني أنا أيوب، ورد الله إليه أهله، ومثلهم معهم، ثم أقبلت سحابة فصبت على الموضع الذي يدرس فيه القمح ذهباً حتى امتلأ، وأقبلت سحابة أخرى على الموضع الذي يدرس فيه شعيره، فصبت عليه وَرِقاً حتى امتلأ، فجعل أيوب يحثو في ثوبه، فناداه الله عز وجل: يا أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ فقال: بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك. أخرجه البخاري، والإمام أحمد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً.

هذا؛ وكان أيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ قد حلف في مرضه ليضربنَّ امرأته مئة جلدة إذا هو برأ، واختلفوا في سبب ذلك على أربعة أقوال: أحدها: ما حكاه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن إبليس لقيها في صورة طبيب، فدعته لمداواة أيوب، فقال: أداويه على أنه إذا برئ؛ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاءً سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف ليضربنها! وقال: ويحك ذلك الشيطان! الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز، فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها! الثالث: ما حكاه يحيي بن سلَّام، وغيره: أن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرباً إليه، وأنه يبرأ، فذكرت ذلك له، فحلف ليضربنها إن عوفي مئة، والرابع: قيل: إنها باعت ذوائبها برغيفين؛ إذ لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف ليضربنها!.

هذا؛ وقال الصابوني في كتابه «النبوة والأنبياء»: وكانت له امرأة صالحة مؤمنة اسمها رحمة من أحفاد يوسف عليه السلام، وقد رافقت هذه المرأة حياة نعمته، وصحته، وزمن بؤسه، وبلائه، فكانت في الحالين مع زوجها شاكرة صابرة، ثم إن الشيطان حاول أن يدخل على أيوب في زمن بلائه، فلم يؤثر فيه، فحاول أن يدخل إليه عن طريق امرأته، فوسوس لها: إلى متى

تصبرين؟! فجاءت أيوب وفي نفسها اليأس، والضجر مما أصابه، فقالت له: إلى متى هذا البلاء؟! فغضب أيوب، وقال لها: كم لبثت في الرخاء؟ قالت: ثمانين سنة، قال: كم لبثت في البلاء؟ قالت: سبع سنين، قال: أما أستحيي أن أطلب من الله رفع بلائي، وما قضيت مدة رخائي؟! ثم قال: والله لئن برئت لأضربنك مئة سوط، وحرم على نفسه أن تخدمه بعد ذلك. انتهى. وهذا ظاهر عليه الضعف، والركاكة.

وربنا جلت قدرته، وتعالت حكمته شكر لها عملها، وخدمتها لأيوب، فلذا أمره تنفيذاً لما حلف له أن يأخذ ضغثاً، ويضربها بها، والضغث قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنه إثكال النخل الجامع بشماريخه. هذا؛ وقد تضمنت الآية الكريمة جواز ضرب الرجل امرأته للتأديب، وذلك أن امرأة أيوب أخطأت، فحلف ليضربنها مئةً، فأمره الله تنفيذاً ليمينه، ورحمةً بامرأته أن يضربها بعثكول من عثاكيل النخل. هذا؛ وقد أباح الله في الإسلام ضرب المرأة للتأديب، كما رأيت في سورة (النساء) رقم [٣٤].

واختلف العلماء في هذا الحكم، هل هو عام، أو خاص بأيوب وحده؟ المعتمد: أنه عام، ومعمول به في شريعتنا، وأخذ به الشافعي، واحتج بما رواه أبو أمامة بن سهل بن حنيف: أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ من الأنصار: أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى، فعاد جلدةً على عظم، فدخلت عليه جارية لبعضهم، فهش لها، فوقع عليها، فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه، أخبرهم بذلك، وقال: استفتوا لي رسول الله ﷺ فإني قد وقعت على جارية دخلت عليَّ، فذكروا لرسول الله ﷺ ذلك، وقالوا: ما رأينا بأحد من الناس من الضر مثل الذي هو به، لو حملناه إليك؛ لتفسخت عظامه، ما هو إلا جلد على عظم، فأمر رسول الله ﷺ أن يأخذوا له مئة شمراخ، فيضربوه بها ضربة واحدة.

قال ابن كثير: وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة، المكابدة الصديقة، البارة الرشيدة ـ رضي الله عنها ـ. ولهذا عقَّب الله هذه الرخصة، وعللها بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ثم قال: وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الأيمان، والنذور، وتوسع فيها آخرون؛ حتى وضعوا الحيل في الخلاص من الأيمان، وصدروه بهذه الآية الكريمة، وأتوا فيه بأشياء من العجائب، والغرائب. انتهى. صابوني. أقول: وكثير من الدجالين في هذه الأيام يستعملون هذه الحيل في فتاوى الطلاق لقاء دُرَيْهِمَات.

هذا؛ وقد عاش أيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ثلاثاً وتسعين سنة، ورزقه الله المال، والبنين، وقد ولد له ستة وعشرون ولداً ذكراً، منهم واحد يسمى: بشراً، الذي يقول فيه بعض المؤرخين: إنه ذو الكفل، الذي ذكره الله في القرآن ضمن الرسل الكرام، وقد

كانت رسالة أيوب إلى أمة الروم، ولهذا يقولون: إنه من أمة الروم، وكان مقامه في دمشق، وأطرافها على ما ذكره بعض المؤرخين. انتهى. صابوني.

فائدة: سئل سفيان الثوري عن عبدين: ابتلي أحدهما، فصبر، وأنعم الله على الآخر، فشكر، فقال: كلاهما سواء؛ لأن الله أثنى على عبدين: أحدهما صابر، والآخر شاكر ثناءً واحداً، فقال في وصف أيوب: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وقال في وصف سليمان: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ولكن المنقول: أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، والفقير الصابر يدخل الجنة قبله بنصف يوم، ومقداره: خمسمئة سنة؛ لأن الغني الشاكر يوقف ليحاسب على ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟. انتهى. ما تقدم من الكشاف، والقرطبي، وغيرهما. وانفرد القرطبي بذكر ما يلي:

استدل بعض جهال المتزهدة، وطَغام المتصوفة بقوله تعالى لأيوب: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ على جواز الرقص. قال أبو الفرج الجوزي: وهذا احتجاج بارد؛ لأنه لو كان أمر بضرب الرِّجْل فرحاً كان لهم فيه شبهة، وإنما أمر بضرب الرِّجل لينبع الماء. وقال ابن عقيل: أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برِجْله الأرض؛ لينبع الماء إعجازاً من الرقص؟! ولئن جاز أن يكون تحريك رِجْلٍ قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام، جاز أن يجعل قوله لموسى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ دلالة على ضرب المحادِّ بالقضبان. نعوذ بالله من التلاعب بالشرع، وقد احتج بعض قاصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «**أَنْتَ مني وأَنَا مِنْكَ**». فَحَجَل، وقال لجعفر ابن عمه: «**أشبهت خَلْقي وَخُلُقي**». فحَجَل، وقال لزيد بن حارثة: «**أَنْتَ أَخُونا**». فحَجَل، ومنهم من احتج بأن الحبشة زَفَنَتْ؛ ورسول الله ﷺ ينظر إليهم. والجواب: أما الحجل فهو نوع من المشي يُفعل عند الفرح، فأين هو والرقص؟ وكذلك زَفْنُ الحبشة نوع من المشي يفعل عند اللقاء للحرب. انتهى. وزفَن، يزفِن، زفَناً: رقصَ، يرقُص، رقصاً. وأضيف: أنه يتعلق بذلك من الخزعبلات ما يحدث من ضرب الشيش ونحوه مما لا علاقة له بالدين، بل الدين منه براء.

هذا؛ وقد تكلم العز بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» عن البدع وأنواعها إلى أن قال في صفحة [٢٣٠ ج ٢] ما يلي:

وأما الرقص، والتصفيق؛ فخفة، ورعونة مشبهة لرعونة الإناث، لا يفعلها إلا راعن، أو متصنع كذاب، وكيف يتأتى الرقص المتزن، بأوزان الغناء من طاش لبه، وذهب عقله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**خَيْرُ القرونِ قرني، ثم الذين يلُونَهُمْ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ**». ولم يكن أحد من هؤلاء الذين يقتدى بهم يفعل شيئاً من ذلك.

وإنما استحوذ الشيطان على قوم يظنون: أن طربهم عند السماع إنما هو متعلق بالله، عز وجل، ولقد مانوا فيما قالوا، وكذبوا فيما ادعوْا من جهة: أنهم عند سماع المطربات؛ وجدوا لذتين اثنتين: إحداهما: لذة المعارف والأحوال المتعلقة بذي الجلال، والثانية: لذة

الأصوات، والنغمات، والكلمات الموزونات الموجبات للذات النفس؛ التي ليست من الدين، ولا متعلقة بأمور الدين، فلما عظمت عندهم اللذتان؛ غلطوا، فظنوا: أن مجموع اللَّذة إنما حصل بالمعارف، والأحوال، وليس كذلك؛ بل الأغلب عليهم حصول لذات النفوس؛ التي ليست من الدين بشيء. وقد حرم بعض العلماء التصفيق لقوله ﷺ: «**إنما التصفيقُ للنساءِ**»» ولعن عليه الصلاة والسلام «**المتشبِّهات من النساءِ بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء**». ومن هاب الإله، وأدرك شيئاً من تعظيمه؛ لم يتصور منه رقص، ولا تصفيق، ولا يصدر التصفيق، والرقص إلا من غبي جاهل، ولا يصدران من عاقل فاضل، ويدل على جهالة فاعلهما: أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب، ولا سنة، ولم يفعل ذلك أحد من الأنبياء، ولا معتبر من أتباع الأنبياء، وإنما يفعل ذلك الجهلة السفهاء؛ الذين ألتبست عليهم الحقائق بالأهواء، وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾.

وقد مضى السلف، وأفاضل الخلف؛ ولم يلابسوا شيئاً من ذلك، ومن فعل ذلك، أو اعتقد: أنه غرض من أغراض نفسه، وليس بقربة إلى ربه، فإن كان ممن يقتدى به، ويعتقد: أنه ما فعل ذلك إلا لكونه قربة؛ فبئس ما صنع لإيهامه: أن هذا من الطاعات، وإنما هو من أقبح الرعونات، وأما الصياح، والتغاشي، والتباكي تصنعاً، ورياءً، فإن كان من حال لا تقتضيه؛ فقد أَثِمَ من وجهين:

أحدهما: إيهامه الحال التامة الموجبة لذلك.

والثاني: تصنعه به، ورياؤه، وإن كان عن حال تقتضيه أثم إثم ريائه لا غير، وكذلك نتف الشعور، وضرب الصدور، وتمزيق الثياب محَرم لما فيه من إضاعة المال، وأي: ثمرة لضرب الصدور، ونتف الشعور، وشق الجيوبات إلا رعونات صادرة عن النفوس.

فإذا رأيت إنساناً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يخبر بالمغيبات، ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلِّل، أو يترك الواجبات بغير سبب مجوِّز؛ فاعلم أنه شيطان، نصبه الله فتنةً للجهلة، وليس ذلك بِبَعيد من الأسباب؛ التي وضعها الله للضلال، فإن الدجال يحيي ويميت فتنةً لأهل الضلال، وكذلك يأتي الخربة، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، وكذلك يظهر للناس: أنه معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار، وكذلك من يأكل الحيات، ويدخل النيران، فإنه مرتكب للحرام بأكل الحيات، وفاتن للناس بدخول النيران، ليقتدوا به في ضلالته، ويتابعوه على جهالته. انتهى. وما أحسن ما أنشده الشيخ ابن الحاج في كتابه المدخل: [البسيط]

ليس التصوفُ لُبْسَ الصوفِ ترقعُهُ ... وَلَا بُكَاؤُكَ إنْ غَنَّى المغنُّونَا
ولا صِيَاحٌ ولا رَقْصٌ ولا طَرَبٌ ... ولا اختباطٌ كأَنْ قدْ صِرْتَ مجنونا
بل التصوفُ أنْ تصْفُو بِلَا كَدَرٍ ... وتتبعَ الحقَّ والقرآنَ والدِّينَا
وأن تُرى خَاشِعاً للهِ مكْتَئِباً ... على ذنوبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مَحْزونَا

الإعراب: ﴿وَخُذْ﴾: الواو: حرف عطف. (خذ): فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ارْكُضْ...﴾ إلخ. قاله الزمخشري، وغيره. وقال الجمل: معطوفة على مقدر تقديره: وكان قد حلف ليضربن امرأته مئة ضربة لسبب حصل منها، وكانت محسنة، فجعل الله له خلاصاً من يمينه بقوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ...﴾ إلخ. ﴿بِيَدِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ضِغْثًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿فَاضْرِب بِّهِۦ﴾ معطوفة على ما قبلها، والمفعول به محذوف، تقديره: اضرب به امرأتك، (لا تحنث): فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». والمتعلق محذوف، التقدير: ولا تحنث في يمينك، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿وَجَدْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿صَابِرًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٠] ففيها الكفاية.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ...﴾ إلخ: الأمر والخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: اذكر صبرهم، واقتد بهم، فإبراهيم ألقي في النار فصبر، وإسحاق أضجع للذبح (في قولٍ) فصبر، ويعقوب ابتلي بفقد ولده، وذهاب بصره (في قولٍ) فصبر، وقد مرَّت سيرهم، وقصصهم في كثير من السور. ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: أولي القوة في العبادة، والطاعة، والبصيرة في الدين. أو: أولي الأعمال الجليلة، والعلوم الشريفة. فعبر بالأيدي عن الأعمال؛ لأن أكثرها بمباشرتها، وبالأبصار عن المعارف؛ لأنها أقوى مبادئها. وانظر الآية رقم [١٧]. ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ أي: اصطفيناهم، وجعلناهم خالصين لنا. ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: قيل: معناه: أخلصناهم بحب الآخرة، وذكراها. وقال مجاهد: أي: جعلناهم يعملون للآخرة لا همَّ لهم غيرها. وقال مالك بن دينار: نزع الله من قلوبهم حب الدنيا، وذِكْرَها، وأخلصهم بحب الآخرة، وذكرها. ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ أي: المختارين من بين أبناء جنسهم، فاختارهم الله تعالى، واتخذهم صفوة، وصفَّاهم، وطهرهم من الأدناس، والأكدار، والأرجاس. والإضافة في قوله: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ إضافة تعظيم، وتبجيل، والعندية عندية تكريم وتعظيم. هذا؛ ولا تَنْسَ: استعارة الأيدي للقوة في العبادة، واستعارة الأبصار للبصيرة في الدين.

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الواو: حرف عطف. (اذكر): فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿عِبَٰدَنَآ﴾: مفعول به، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: وما بعده بدل من: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾، أو عطف بيان، وقرئ: (عَبْدَنا) فيكون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ بدلاً منه، و(إسحاق) معطوفاً على

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، و(يعقوب) معطوفاً على (إسحاق)، وشرح هذا من العربية: أنك إذا قلت: رأيت أصحابنا زيداً، وعَمْراً، وخالداً، فزيد، وعمرو، وخالد بدل، وهم الأصحاب، وإذا قلت: رأيت صاحبنا زيداً، وعَمْراً، وخالداً، فـ: «زيد» وحده بدل، وهو صاحبنا، وعمرو، وخالد عطف على «صاحبنا» وليسا داخلين في المصاحبة إلا بدليل غير هذا، غير أنه قد علم أنَّ قوله: ﴿وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ داخلان في العبودية، وقد استدل بهذه الآية من قال: إن الذبيح إسحاق لا إسماعيل، ولا وجه له.

﴿أُوْلِي﴾: صفة للأسماء السابقة، أو هو حال منها، وهو أولى، فهو منصوب على الاعتبارين، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وخذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلِي﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَيْدِي﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل. (الأبصار): معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿بِخَالِصَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(خالصة) صفة موصوف محذوف، التقدير: بخصلة خالصة، وقرئ بدون تنوين على الإضافة وفيها أوجه: أحدها: أن تكون إضافة خالصة إلى ذكرى للبيان؛ لأن الخالصة قد تكون ذكرى، وغير ذكرى، كما في قوله تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ لأن الشهاب يكون قبساً وغيره. الثاني: أن (خالصة) مصدر بمعنى: إخلاص، فيكون مصدراً مضافاً لمفعوله، والفاعل محذوف، وأجيز أن تكون الإضافة من إضافة المصدر لفاعله، وقد جاء المصدر على «فاعلة» كالعاقبة، وقراءة الجمهور بالتنوين، وعدم الإضافة، وفيها أوجه:

أحدها: أنها مصدر بمعنى: الإخلاص، فيكون (ذكرى) منصوباً به، وأن يكون بمعنى: الخلوص، فيكون (ذكرى) مرفوعاً، كما تقدم ذلك، والمصدر يعمل منوناً، كما يعمل مضافاً، أو يكون (خالصة) اسم فاعل على بابه، و(ذكرى) بدل، أو بيان لها، أو منصوب بإضمار: أعني، أو هو مرفوع بإضمار مبتدأ، و﴿ٱلدَّارِ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً به بـ: ﴿ذِكْرَى﴾ وأن يكون ظرفاً، إما على الاتساع، وإما على إسقاط الخافض، و(خالصة) إن كانت صفة فهي صفة لمحذوف، أي: بسبب صفة خالصة. انتهى. جمل نقلاً من السمين بتصرف. ولأبي البقاء العكبري ما يشبهه.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال، (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿عِندَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: لام الابتداء. (من المصطفين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾: صفة لما قبله، أو هو بدل منه على اعتبار الأول صفة لموصوف محذوف، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب العائد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَٱذْكُرْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة أيوب، وما تقدم قبلها.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِسْمَـٰعِيلَ﴾: هو ابن إبراهيم الخليل، على نبينا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام، فصل سبحانه ذكره عن ذكر أبيه، وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر، الذي هو المقصود بالتذكير، وهو الذبيح على المعتمد، كما رأيت في الآيات رقم [١٠٠] وما بعدها من سورة (الصافات)، والقرآن الكريم أكثر من ذكره العطر، وسيرته الحميدة، وأثنى عليه ثناء حسناً عظيماً، لا خفاء فيه في كثير من السور. (اليسع): هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه إلياس على بني إسرائيل، كما رأيت في الآية رقم [١٢٣] من سورة (الصافات) وما بعدها، ثم استنبئ، وأيده الله بمثل ما أيد به إلياس، فآمنت به بنو إسرائيل، وكانوا يعظمونه، وينتهون إلى أمره ونهيه، وحكمُ الله تعالى فيهم قائمٌ إلى أن فارقهم اليسع، عليه الصلاة والسلام. وينبغي أن تعلم أن الله لم يذكر اسم اليسع، في غير هذه الآية، والآية رقم [٨٦] من سورة (الأنعام)، ذكره في جملة الرسل هنا، وهناك ذكراً بدون ذكر شيء من أعماله، وسيرته. ويذكر بعض المؤرخين: أن دعوته ظهرت في مدينة تسمى بانياس، إحدى مدن سورية، ولا تزال حتى الآن موجودة، وهي قريبة مِنْ بلدة اللاذقية، والله أعلم. انتهى. صابوني.

وينبغي أن تعلم أيضاً: أنه قد دخلت عليه أل التعريف، كما دخلت في العباس، والفضل، والوليد، واليزيد، ونحو ذلك. خذ قول ابن ميادة في مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك: [الطويل]

رأيت الوليدَ بنَ اليزيدِ مباركاً ... شديداً بأعباء الخلافة كاهِلُهْ

وهذا هو الشاهد رقم (٧٤) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وخذ قول ابن مالك في ألفيته: [الرجز]

وبعضُ الأعلامِ عليهِ دخلَا ... لِلَمْحِ ما قدْ كانَ عنهُ نُقِلَا

كالفضلِ والحارثِ والنُّعمانِ ... فذِكْرُ ذَا وحذفُهُ سِيَّانِ

أما (ذو الكفل): فكاليسع لم يذكر في غير هذه الآية، وفي الآية رقم [٨٥] من سورة (الأنبياء) ذكره الله في جملة الرسل هنا، وهناك ذكراً من غير ذكر شيء من أعماله، وسيرته، والفارق بينه وبين اليسع أن اليسع متفق على نبوته، ورسالته، أما ذو الكفل فمختلف فيه هل هو نبي، أو لا؟ فقد روى الحاكم عن وهب بن منبه: أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً، وسماه ذا الكفل، وكان مقيماً بالشام حتى مات، وعمره خمس وسبعون سنة. انتهى. التحبير للسيوطي. وعبارة أبي السعود: هو ابن عم اليسع، أو هو بشر بن أيوب، واختلف في نبوته، ولقبه. انتهى. جمل. ولم يذكر عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء اسم اليسع، ولا اسم ذي الكفل،

وها أنذا أنقل لك أيها القارئ الكريم ما ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء، وقد نقله عنه الخازن في سورة (الأنبياء)، وهو ما يلي:

قال مجاهد: لما كبر اليسع؛ قال: إني أستخلف رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي؛ حتى أنظر كيف يعمل، فجمع الناس، ثم قال: من يتكفل لي بثلاث استخلفته: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام إليه شاب تزدريه العيون، فقال: أنا، فرده ذلك اليوم، وقال في اليوم الثاني مثلها، فسكت الناس، فقال ذلك الرجل: أنا أعمل ذلك، فاستخلفه. قال: فلما رأى إبليس ذلك جعل يقول: عليكم بفلان، وأعياهم، فقال: دعوني وإياه، فأتاه بصورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة، فدق إبليس الباب عليه، فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، ففتح له الباب فجعل يقص عليه القصة، ويقول: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا، وفعلوا، وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح، وذهبت القائلة، فقال له: إذا رحت فإني آخذ لك بحقك، فانطلق، وراح إلى مجلسه، فلما جلس جعل ليرى الشيخ، فلم يره، وقام، فلم يتبعه، فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس، وينظره، فلم يره، فلما رجع إلى القائلة، وأخذ مضجعه؛ أتاه، فدق الباب عليه، فقال: من هذا، فقال: أنا الشيخ المظلوم، ففتح له، وقال له: ألم أقل لك: إذا قعدت؛ فائتني. فقال: إنهم قوم إذا عرفوا أنك قاعد، يقولون: نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلِقْ، فإذا رحت فائتني. وفاتته القائلة، فراح فلما جلس جعل ينظر، فلا يراه، وشق عليه النعاس، فلما كان اليوم الثالث، قال لبعض أهله: لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب؛ حتى أنام، فإنه قد شق عليَّ النعاس، فلما كانت تلك الساعة؛ نام، فجاء الخبيث، فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه؛ نظر، فرأى كوة في البيت، فتسور منها، فإذا هو في البيت، فدق الباب عليه من داخل، فاستيقظ، فقال: يا فلان ألم آمرك ألّا تأذن لأحد علي، قال: أما من قبلي فلم تُؤْتَ، فانظر من أين أُتيت؟ فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فقال: أتنام؛ والخصوم ببابك؟ فنظر إليه فعرفه، فقال: أعدوُّ الله. ؟ قال: نعم أعييتني، وفعلت ما فعلت؛ لأغضبك، فعصمك الله مني! فسمي ذا الكفل؛ لأنه تكفل بأمر، فوفى به. وقال أبو موسى الأشعري: إن ذا الكفل لم يكن نبياً، وإنما كان عبداً صالحاً، تكفل بعمل رجل صالح، وكان يصلي لله تعالى في كل ليلة مئة صلاة، فأحسن الله عليه الثناء. وقيل: هو إلياس. وقيل: هو زكريا. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. انتهى. هذا؛ وذو الكفل المذكور في الآية الكريمة غير الكفل الذي جاء في الحديث الشريف، وخذه بحروفه: عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً، لو لم أسمعه إلا مرة، أو مرتين حتى عدَّ سبع مرات، ولكن سمعته أكثر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان الكِفْلُ من بني إسرائيل، لا يتورَّعُ من ذَنْبٍ عمِلَهُ، فأتتْهُ امرأةٌ، فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأَهَا، فلما قعد منها مقعدَ الرجلِ مِن امرأتِهِ أُرْعِدَتْ، وبكَتْ،**

قال: ما يبكيكِ؟ أأكرهْتُكِ؟ قالتْ: لَا، ولكنه عملٌ ما عملْتُهُ قطُّ، وما حملني عليه إلَّا الحاجةُ، فقال: تفعلينَ أنتِ هَذَا، وما فعلتِه، اذهبي فهي لك. وقال: لا والله، لا أعصي الله بعدَها أبداً، فمات مِنْ ليلتِهِ، فأصبحَ مكْتُوباً على بابِهِ، إنَّ اللهَ قدْ غفر للكفلِ». رواه الترمذي، وحسنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

الإعراب: ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾: الواو: حرف عطف. (اذكر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِسۡمَٰعِيلَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾: معطوف عليه. ﴿وَذَا﴾: الواو: حرف عطف. (ذا): معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذا) مضاف، و﴿ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ مضاف إليه. هذا؛ ولم يذكر لفظ: (عبادنا) كما ذكر قبل إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، اكتفاءً به. ﴿وَكُلّٞ﴾: الواو: واو الحال. (كل): مبتدأ، سوغ الابتداء به الإضافة المقدرة؛ إذ التقدير: وكلهم. ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿إِسۡمَٰعِيلَ﴾ وما عطف عليه، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الفعلية: ﴿وَٱذۡكُرۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ أي: هذا ذكر جميل في الدنيا، وشرف عظيم يذكرون به فيها أبداً بعد موتهم، ولحوقهم بالرفيق الأعلى. والإشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم، كيف لا؟ وقد قال تعالى في سورة (مريم) رقم [٥٠]: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾، وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه قد سأل الله ذلك، فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ رقم [٨٤] من سورة (الشعراء). هذا؛ وقد روى أشهب عن مالك أنه قال: لا بأس أن يحب الرجل أن يُثْنَى عليه صالحاً، ويُرى في عمل الصالحين؛ إذا قصد به وجه الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ رقم [٣٩] من سورة (طه)، وقال جل ذكره في سورة (مريم): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ أي: حباً في قلوب عباده، وثناءً حسناً، فنبه الله تعالى بآية (الشعراء) على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل، وهي الحياة الثانية؛ التي قال فيها أحمد شوقي ـ رحمه الله تعالى ـ: [الكامل]

دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لَهُ ... إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثَوانِ

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ موتِكَ ذِكْرَهَا ... فالذِّكْرُ للإنسانِ عمْرٌ ثَانِ

هذا؛ وقيل: المراد بـ: ﴿ذِكۡرٞۚ﴾ القرآن الكريم، ولا وجه له هنا.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي: لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع، والمنقلب في الآخرة. ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: جنات إقامة وخلود، يقال: عدن بالمكان أقام فيه، ومنه: المعدن الموجود في باطن الأرض، وقال النبي ﷺ: «**عدنٌ دارُ اللهِ؛ التي لَمْ تَرَهَا عينٌ قَطُّ، ولم تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لا يسكنُهَا إلا ثلاثةٌ: النبيون، والصديقون، والشهداءُ، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك!**». رواه الطبراني عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: إن في الجنة قصراً، يقال له: عدْنٌ، حوله البروجُ، والمروجُ، فيه خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حبرة، لا يدخله إلا نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ. والحبرة بكسر الحاء وفتحها: ضرْبٌ من البرود اليمنية مخططٌ. وروي: أن عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الأحبار: ما جناتُ عدنٍ؟ قال: قصورٌ مِنْ ذهبٍ في الجنةِ يدخلها النبيون، والصديقون، والشهداء، وأئمةُ العدلِ.

﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ أي: مفتوحة لهم أبوابها، وإنما قال: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ولم يقل: مفتوحة؛ لأنها تفتح لهم بالأمر، لا بالمس. قال الحسن البصري: تُكَلَّمُ: انفتحي، فتنفتح، انغلقي، فتنغلق. وقال الرازي: إن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا المؤمنين؛ فتحوا لهم أبوابها، وحيَّوهم بالسلام، فيدخلونها كذلك، محفوفين بالملائكة على أعز حال، وأحسن هيئة. انتهى. صفوة التفاسير، وقد تقدم هذا المعنى في الآية رقم [٢٤] من سورة (الرعد)، ورقم [٤٤] من سورة (الأحزاب)، وانظر سورة (الزمر) رقم [٧٣].

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ أي: متكئين في الجنة على الأرائك، وهي السرر الوثيرة، والوطاءات الناعمة. هذا؛ والاتكاء على السرر من صفات المنعمين المترفين. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة. ﴿بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ أي: وهم متكئون على الأسرة يطلبون أنواع الفواكه، وألوان الشراب، كعادة الملوك في الدنيا. قال ابن كثير: أي: مهما طلبوا؛ وجدوا، ومن أي أنواعه شاؤوا؛ أتتهم به الخدام. قال الصابوني: والاقتصار على طلب الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه، والتلذذ دون التغذي؛ لأنه لا جوع في الجنة. انتهى. صفوة التفاسير. هذا؛ وما في هذه الآيات مقابلة لما في الآيات الآتية.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ذِكْرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية معترضة، جيء بها للفصل بين ما قبلها وما بعدها، فيؤتى بها للانتقال من غرض إلى آخر. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها للحصر. ﴿لَحُسْنَ﴾: اللام: لام الابتداء. (حسن): اسم (إنَّ) مؤخر، و(حسن) مضاف، و﴿مَآبٍ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وما عطف عليه، والرابط: الواو، ولفظ المتقين المعبر به عنهم، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿جَنَّٰتِ﴾: بدل من:

(حسن مآب)، أو عطف بيان عليه، فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. و﴿جَنَّٰتِ﴾ مضاف، و﴿عَدۡنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مُّفَتَّحَةً﴾: حال من: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ لأنها معرفة بالإضافة إلى ﴿عَدۡنٍ﴾، كما قالوا: جنة الخلد، وجنة المأوى، والعامل في الحال ما في (المتقين) من معنى الفعل. هذا؛ وقيل: هي نكرة، والمعنى: جنات إقامة، فتكون ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ وصفاً لـ: ﴿جَنَّٰتِ﴾. ﴿لَّهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾: نائب فاعل بـ: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾.

هذا؛ وقرئ برفع الاسمين على أن: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ خبر مقدم، و﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ مبتدأ مؤخر، أو هما خبران لمبتدأ محذوف، والأول أقوى. وقيل: ﴿ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ بدل من الضمير المستتر في: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾، وهو ضعيف، وعلى رفع الاسمين فالجملة الاسمية صالحة للحالية من: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾، وللوصفية لها، والرابط على الاعتبارين محذوف، التقدير: مفتحة لهم الأبواب منها. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حال من الضمير المجرور في: ﴿لَّهُمُ﴾، والعامل فيها: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وفاعله مستتر فيه؛ لأنه جمع اسم فاعل. وقيل: العامل في الحال: ﴿يَدۡعُونَ﴾، وصاحب الحال واو الجماعة، وهو ضعيف. وعلى الأول فالحال مقدرة؛ لأن الاتكاء، وما بعده ليس في حال تفتح الأبواب، بل هو بعده. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

﴿يَدۡعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وهو يؤيد اعتباره عاملاً في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، أو الجملة في محل نصب حال من الضمير في: ﴿لَّهُمُ﴾، فتكون حالاً متعددة؛، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، فتكون حالاً متداخلة. ﴿فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل: ﴿يَدۡعُونَ﴾. ﴿كَثِيرَةٖ﴾: صفة: (فاكهة). ﴿وَشَرَابٖ﴾: معطوف على (فاكهة).

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: انظر شرح: ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ في الآية رقم [٤٨] من سورة (الصافات). وأما ﴿ٱلطَّرۡفِ﴾ فهو تحريك جفن العين إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في نحو قول الشاعر: [الطويل]

وَكُنْتَ إذَا أرسَلْتَ طَرفَكَ رائداً لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَناظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلُّهُ أنتَ قادِرٌ عَلَيْهِ ولا عن بَعْضِهِ أنْتَ صابِرُ

وقد وصف آصف سليمان بردَّ الطرف، ووصف الطرف بالارتداد، بقوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (النمل)، وقد يراد بالطرف الجفن خاصة، كما في قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

أشَارَتْ بطَرْفِ العينِ خِيفَةَ أهْلِهَا إشارةَ محزُونٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأَيْقَنْتُ أن الطرْفَ قدْ قَالَ: مرحباً وأهلاً وسَهْلاً بالحبيب المُتَيَّمِ

هذا؛ وفي المختار: الطرف: العين، ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحداً جمعاً، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ من سورة (إبراهيم) رقم [٤٣]. ﴿أَتْرَابٌ﴾: متساويات في السن، والشباب، بنات ثلاث وثلاثين سنة، واشتقاقه من التراب، فإنه يمسهن في وقت واحد. وقيل: متآخيات، لا يتباغضن، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن، ومثلهن أزواجهن في السن؛ لأن التحاب بين الأقران أثبت، قال تعالى في وصفهن، بسورة (الواقعة): ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ومعناه: متحببات إلى أزواجهن، وهن مثلهم في سن واحدة. هذا؛ وأتراب جمع: ترب، بكسر التاء وسكون الراء، كحمل، وأحمال، وهو المساوي لك في العمر، قال الشاعر: [البسيط]

لَوْلَا تَوَقُّعُ مُعْتَرٍّ فأُرْضِيَهُ مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَتْرَاباً على تِرْبِ

وهذا هو الشاهد رقم (١٣٩) من كتابنا: «فتح رب البرية». ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: هذا الجزاء المذكور هو الذي وعدكم الله به أيها المؤمنون يوم القيامة لأجل الحساب، فعملتم به حتى فزتم بالنعيم المقيم، والخير العميم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: ما له انقطاع، بل هو دائم مستمر، كقوله تعالى في سورة (هود) رقم [١٠٨]: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع، وكقوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، وكقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ الآية رقم [٣٥] من سورة (الرعد)، والآيات في ذلك كثيرة.

وقال الصابوني: أي: هذا النعيم عطاؤنا لأهل الجنة، لا زوال له، ولا انقطاع، ولا انتهاء أبداً، قال في الظلال: يبدأ هذا المشهد بمنظرين متقابلين تمام التقابل في المجموع والأجزاء، وفي السمات، والهيئات، منظر المتقين لهم حسن مآب، ومنظر الطاغين لهم شر مآب، فأما الأولون فلهم جنات عدن مفتحة لهم الأبواب، ولهم فيها راحة الاتكاء، ومتعة الطعام والشراب، ولهم كذلك متعة الحوريات الشواب؛ وهن في شبابهن قاصرات الطَّرْفِ، لا يتطلعن، ولا يمددن بأبصارهن، وكُلُّهُنَّ شوابٌّ أتراب، وهو متاع دائم، ورزق من عند الله ما له من نفاد. انتهى.

الإعراب: ﴿وَعِندَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (عندهم): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو صفة لموصوف محذوف، التقدير: وعندهم حور، أو: نساء قاصرات، و﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ مضاف، و﴿ٱلطَّرْفِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، أو من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَتْرَابٌ﴾:

صفة ثانية للموصوف المحذوف، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية: (إن للمتقين. . .) إلخ على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿تُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والثاني محذوف، وهو العائد، والجملة صلة الموصول لا محل لها، التقدير: هذا الذي توعدونه. ﴿لِيَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(يوم) مضاف، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقيل لهم، أو: ويقال لهم: هذا ما توعدون. . .إلخ.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: اسمها. ﴿لَرِزْقُنَا﴾: اللام: هي المزحلقة. (رزقنا): خبر ﴿إِنَّ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول للقول المحذوف، الذي رأيت تقديره. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّفَادٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو في محل نصب حال من (رزقنا)، والرابط: الضمير المجرور محلاً باللام على الاعتبارين.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا ۚ﴾ أي: الأمر هذا، أو: خذ هذا الذي مر ذكره، وهو ما أعده الله للمتقين. وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام إلى كلام، كقوله تعالى في سورة محمد ﷺ رقم [٤]: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾. ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ أي: وإن للكافرين الذين كذبوا الرسل، وعاثوا في الأرض فساداً لشر منقلب يصيرون إليه في الآخرة. ثم فسره بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يحترقون فيها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦٣] من سورة (الصافات) ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: المهد المفترش، مستعار من فراش النائم، وهو كقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ﴾ الآية رقم [٤١] من سورة (الأعراف). والمعنى: إن جهنم محيطة بهم من تحتهم، ومن فوقهم، كالفراش، واللحاف، استعيرت جهنم لهما. هذا؛ وفي هذه الآيات مقابلة لما في الآيات [٤٩] وما بعدها. ﴿هَٰذَا﴾ أي: الأمر والشأن هذا. ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: انظر مثل هذا الذوق في الآية رقم [٣٨] من سورة (الصافات). ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾: الحميم: هو الماء الحار المحرق. والغساق: هو ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد، والدم. وقيل: الحميم: الحار

الذي قد انتهى حره، والغساق ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أي: وأشياء من هذا القبيل، الشيء وضده يعاقبون بهما، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**لَوْ أَنَّ دلواً مِنْ غسَّاقٍ يُهْراقُ في الدنيا؛ لأَنتنَ أهلُ الدنيا**». أخرجه الإمام أحمد، ورواه الترمذي وابن جرير أيضاً.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الغساق هو الزمهرير يخوفهم الله ببرده. وقال مجاهد، ومقاتل: هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده. وقال غيرهما: إنه يحرق ببرده، كما يحرق الحميم بحره. وقال عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: هو قيح غليظ، لو وقع منه شيء بالمشرق؛ لأنتن مَنْ في المغرب، ولو وقع منه شيء بالمغرب؛ لأنتن مَنْ في المشرق. وقال قتادة: هو ما يسيل مِنْ فروج الزناة، ومن نتن لحوم الكفرة، وجلودهم من الصديد، والقيح، والنتن. وقال محمد بن كعب القرظي: هو عصارة أهل النار، وهذا القول أشبه باللغة، يقال: غسق الجرح، يغسق غسقاً: إذا خرج منه ماء أصفر، قال الشاعر: [الطويل]

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الحَيَاةَ وطِيبَهَا إِلَيَّ جَرى دمعٌ مِنَ العَيْنِ غاسِقُ

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي: وعذاب آخر سوى الحميم والغساق. ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من مثله، ونحوه، أي: المذوق، أو العذاب في الشدَّة. ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أنواع، وألوان، وأصناف من العذاب كالزمهرير، والسموم، وأكل الزقوم، والصعود، والهوي، والحيات، والعقارب، إلى غير ذلك من الأشياء المتضادة المختلفة، وخذ قوله تعالى في سورة (إبراهيم): ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ رقم [١٧]. هذا؛ ويقرأ: (آخر) بالمد على أنه مفرد، وبالقصر على أنه جمع.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: الأمر هذا، أو: هذا كما ذكر، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: خذ هذا. ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ﴾ إعراب هذا الكلام مثل إعراب رقم [٤٩] بلا فارق. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿جَهَنَّمَ﴾، والعامل في الحال الاستقرار في قوله تعالى: ﴿لِلطَّٰغِينَ﴾ أي: المتعلق المحذوف. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿جَهَنَّمَ﴾ مفعولاً به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، وعليه فالجملة الفعلية مفسرة لهذا المحذوف، ويكون التقدير: يصلون جهنم يصلونها، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (بئس): فعل جامد لإنشاء الذم. ﴿ٱلْمِهَادُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: فبئس المهاد هو جهنم. وانظر الآية رقم [٦٠] الآتية. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ في إعراب هذه الآية أوجه كثيرة، فأولاً: يجوز في هذا أن يكون في محل نصب من وجهين: أن يكون الناصب له محذوفاً، تقديره:

خذ هذا، وأن يكون محذوفاً، يفسره الفعل المذكور بعده، وعلى الأول يوقف على هذا، وعلى الثاني لا يوقف عليه. وثانياً: يجوز أن يكون في محل رفع، وفيه أوجه:

يجوز أن يكون مبتدأ، و﴿حَمِيمٌ﴾ خبره، وعليه فالجملة الفعلية معترضة بين المبتدأ، والخبر، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره الجملة الفعلية بعده، ودخلت الفاء للتنبيه الذي في: ﴿هَٰذَا﴾، فيوقف على ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾، فيكون الإعراب كما في الآية رقم [٢] من سورة (النور)، ورقم [٣٨] من سورة (المائدة). وقال قوم: هذا ضعيف هنا؛ من أجل الفاء، فليست في معنى الجواب هنا كما في آية (النور)، وآية (المائدة)، وعليه يكون ﴿حَمِيمٌ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا حميم، وهذا غساق، أو هو حميم، وهو غساق، والفراء يرفعهما بمعنى: منه حميم، ومنه غساق، وأنشد: [البسيط]

حَتَّى إذَا مـا أَضَـاءَ الـصُّبْـحُ فـي غَـلَـسٍ   وغُـودِرَ الْـبَـقْـلُ، مَـلْـوِيٌّ ومَـحْـصُـودُ

أي: منه ملوي، ومنه محصود، وقول زهير بن أبي سلمى في وصف ناقة يستقي عليها: [البسيط]

لَـهَـا مَـتَـاعٌ وأعـوانٌ غَـدَوْنَ بِـهِ   قِـتْـبٌ وغَـرْبٌ إذَا مَـا أُفْـرِغَ انْـسَـحَـقَـا

أي: منه قِتْب، ومنه غَرْب، والقِتب: أداة السانية، والغرب: الدلو العظيمة. ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: الفاء: صلة على جميع وجوه الإعراب. (ليذوقوه): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة، أو معترضة، أو في محل رفع حسب ما رأيت من أوجه الإعراب المتقدمة.

هذا؛ وقال الجمل: ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ﴾ الثلاثة خبر عن المبتدأ، وجملة: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ اعتراض، وقوله: ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ صفتان لـ: (آخر) على كل من القراءتين. انتهى. شيخنا. وفي السمين قوله: ﴿وَءَاخَرُ﴾ قرأ أبو عمرو بضم الهمزة على أنه جمع، وارتفاعه من أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبره، و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ فاعل به، أي: بالجار، والمجرور. الثاني: أن يكون مبتدأ أيضاً، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبر مقدم، و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ مبتدأ مؤخر؛ والجملة الاسمية خبره. وعلى هذين الوجهين، فيقال: كيف يصح من غير عود ضمير يعود على (آخر)، فإن الضمير في ﴿شَكْلِهِۦٓ﴾ يعود على ما تقدم؛ أي: من شكل المذوق؟ والجواب: أن الضمير عائد على مبتدأ، وإنما أفرد، وذُكِّر؛ لأن المعنى من شكل ما ذكرنا. ذكر هذا التأويل أبو البقاء، وقد منع ذلك مكي لأجل الخلو من الضمير، وجوابه ما ذكرت لك.

الثالث: أن يكون ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ نعتاً لـ: (أُخر)، و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبر المبتدأ؛ أي: وأُخر من شكل المذوق أزواج. الرابع: أن يكون ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ نعتاً أيضاً، و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ فاعل به، والضمير عائد على: (أُخر) بالتأويل المتقدم، وعلى هذا فيرتفع: (أخر) على الابتداء، والخبر مقدر

مقدم؛ أي: ولهم أنواع أخر استقر من شكلها أزواج. الخامس: أن يكون الخبر مقدراً كما تقدم؛ أي: ولهم أنواع أخر، و﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾ صفتان لـ: (آخر). انتهى. بتصرف.

﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو أن قادة الضلال في الدنيا إذا دخلوا النار، ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة: ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ﴾ يعني: الأتباع. هذا؛ والفوج: الجماعة، والجمع: أفواج، قال تعالى في سورة (النبأ): ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ وقال في سورة (النصر): ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ ويجمع أيضاً على: فؤوج، وجمع الجمع: أفاوج، وأفايج، وأفاويج، وأفاييج بصيغة منتهى الجموع. هذا؛ والاقتحام: الدخول، والإلقاء بشدة، فإنهم يضربون بمقامع من حديد؛ حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع. قال أبو الطيب المتنبي، وهو الشاهد رقم [٢٦٣] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [البسيط]

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لاَتَ مُصْطَبَرِ ... وَالآنَ أَقْحُمُ حَتَّى لاَتَ مُقْتَحَمِ

﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡ﴾: هذا من قول الرؤساء المتبوعين في الدنيا في حق الضعفاء التابعين لهم في الدنيا، ومعنى ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡ﴾: لا اتسعت منازلهم في النار. والرحب: السعة، قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [١١٨]: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ وفي الآية معنى الدعاء، فلذلك نصب. قال النابغة الذبياني: [الكامل]

لاَ مَرْحَباً بِغَدٍ وَلاَ أَهْلاً بِهِ ... إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

قال أبو عبيدة: العرب تقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رحبت عليك الأرض ولا اتسعت. ﴿إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾: قيل: هو من قول القادة؛ أي: إنهم صالوا النار كما صليناها. وقيل: هو من قول الملائكة، متصل بأول الآية.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ. ﴿فَوۡجٞ﴾: خبره. ﴿مُّقۡتَحِمٞ﴾: صفة: ﴿فَوۡجٞ﴾. ﴿مَّعَكُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من الضمير في: ﴿مُّقۡتَحِمٞ﴾، أو من ﴿فَوۡجٞ﴾؛ لأنه قد وصف، أو هو متعلق بمحذوف صفة ثانية، ولا يجوز أن يكون متعلقاً بـ: ﴿مُّقۡتَحِمٞ﴾ لفساد المعنى، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول الملائكة، كما رأيت. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿مَرۡحَبَۢا﴾: فيه وجهان: أحدهما: أنه مفعول به لفعل مقدر؛ أي: لا أتيتم مرحباً. والثاني: أنه مفعول مطلق. قاله أبو البقاء. ﴿بِهِمۡ﴾: متعلقان بالمصدر الميمي، والجملة على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، سيقت للدعاء عليهم بضيق المكان، أو هي في محل نصب حال، وقد يعترض عليه بأنه دعاء، والدعاء لا يقع حالاً، والجواب: أنه على

إضمار القول؛ أي: مقولاً لهم: لا مرحباً بهم. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿صَالُوا﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . إلخ، وحذفت النون للإضافة، و﴿صَالُوا﴾ مضاف، و﴿النَّارِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وانظر مثله في الآية رقم [١٦٣] من سورة (الصافات).

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾: هذا من قول الضعفاء التابعين للأقوياء المتبوعين؛ أي: الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحقُّ به. ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي: دعوتمونا إليه، وشرعتموه لنا، ورغبتمونا فيه. والمراد: الكفر الذي كان سبباً لإدخالهم الجحيم، والعذاب الأليم. ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: بئس المستقر، والمأوى نار جهنم! وهذه المحاورات بين الأتباع والمتبوعين في نار جهنم ذكرها الله تعالى في كثير مِنَ الآيات القرآنية، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٦] من سورة (الأحزاب) وما بعدها، والآية من سورة (إبراهيم) رقم [٢١]؛ كيف لا وقد قال الله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٣٨]: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا...﴾ إلخ. وهذا على حد قول القائل: تحية بينهم ضرب وجيع، وسب شنيع، فكذلك أهل النار يتلقون بعضهم باللعنات، والشتائم بدل التحيات والسلام، والمؤمنون بعكس ذلك، فقد قال الله عنهم: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية رقم [١٠] من سورة (يونس) عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالُوا﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، وانتقال. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ في محل رفع خبره. وقيل: الجملة مقول قول محذوف هو الخبر؛ أي: يقال لكم. ولا وجه له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم؛ لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول وهي تعليل للنفي في المعنى، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (بئس): فعل ماض جامد لإنشاء الذم. ﴿الْقَرَارُ﴾: فاعله، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: فبئس القرار المذمومة النار، والجملة الفعلية: ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت الفاء فصيحة فالجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فبئس القرار، ويبقى الكلام كله مستأنفاً، لا محل له.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع الضعفاء. ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾: مَنْ زين لنا الكفر، والمعاصي، وسوغه، وسنه لنا. ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾: مضاعفاً، ذا ضعف، وذلك بأن يزيد على عذابه مثله، فيصير ضعفين، كقوله تعالى حكاية عن قول المستضعفين في سورة (الأحزاب) رقم [٦٨]: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾، وأيضاً في سورة (الأعراف) رقم [٣٧]: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾.

هذا؛ والمضاعفة المكاثرة، وضعف الشيء بكسر الضاد وسكون العين مثله، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله هذا هو الأصل في الضعف، ثم استعمل في المثل وما زاد، وليس للزيادة حد، فيقال: هذا ضعف هذا؛ أي: مثله، أو مثلاه، أو ثلاثة أمثاله، وهكذا، ويقال: أضعفت الشيء، وضعَّفته، وضاعفته فمعناه ضممت إليه مثله فصاعداً، وقال بعضهم: ضاعفت أبلغ من ضعَّفت، ولذا قرأ أكثرهم في الأحزاب رقم [٣٠]: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، وفي رقم [٦٩] من سورة (الفرقان): ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾، وفي النساء رقم [٤٠]: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾.

الإعراب: ﴿قَالُوا﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء. و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَدَّمَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَٰذَا﴾: مفعول به، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿فَزِدْهُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، (زده): فعل دعاء، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به ثان. ﴿ضِعْفًا﴾: صفة: ﴿عَذَابًا﴾. ﴿فِي النَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿عَذَابًا﴾، وجملة: ﴿فَزِدْهُ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو فعل الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ واعتبر بعضهم ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً مبتدأ، والجملة الفعلية: (قدم لنا هذا) صلته، وجملة: ﴿فَزِدْهُ...﴾ إلخ في محل رفع خبره؛ وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. والأول أولى، وأقوى.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: يقول أكابر المشركين، وعظماؤهم، وهم يعذبون في النار. والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع، وهذا كثير، ومستعمل في القرآن الكريم. ﴿مَا لَنَا

﴿لَا نَرَىٰ رِجَالًا...﴾ إلخ: هذا إخبار الله عن الكفار في النار: أنهم يفتقدون رجالاً كانوا في الدنيا يعتقدون: أنهم على الضلالة، وهم المؤمنون في زعمهم، قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟ قال ابن عباس، ومجاهد ـ رضي الله عنهما ـ: يقول أبو جهل: أين بلال، أين صهيب، أين عمار؟ أولئك في الفردوس! واعجباً لأبي جهل! مسكين، أسلم ابنه عكرمة، وابنته جويرية، وأسلمت أمه، وأسلم أخوه، وكفر هو، ورحم الله الشاعر الذي يقول: [الطويل]

ونوراً أضاءَ الأرضَ شرقاً ومغْرباً ... وموْضِعُ رجلي مِنْهُ أسْوَدُ مُظلِمُ

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا ضرب مثل، وإلا فكل الكفار هذا حالهم، يعتقدون: أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار؛ افتقدوهم، فلم يجدوهم، فقالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ...﴾ إلخ انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نَرَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا)، والعامل الاستفهام. ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص، مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿نَعُدُّهُم﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وجملة: ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ في محل نصب صفة: ﴿رِجَالًا﴾، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣)﴾

الشرح: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: يؤنبون أنفسهم قائلين: أجعلنا هؤلاء المؤمنين في الدنيا هزءاً، وسخرية؟ أم هم معنا في النار، ولكن لا نراهم. قال البيضاوي: إنكار على أنفسهم، وتأنيب لها في الاستسخار من المؤمنين، كأنهم قالوا: ليسوا هاهنا في النار، أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم؟. انتهى. صفوة التفاسير. وقيل: معنى ﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: احتقرناهم في الدنيا، فلم نأبه لهم؛ ولذا قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: كل ذلك فعلوا، اتخذوهم سخرياً، وزاغت عنهم أبصارهم في الدنيا محقرة لهم.

هذا؛ ويقرأ بهمزة الوصل، وعليه فلا يوقف على ﴿الْأَشْرَارِ﴾، وتكون الجملة الفعلية حالاً من: ﴿الْأَشْرَارِ﴾. وقال النحاس، والسجستاني: هي نعت لـ: ﴿رِجَالًا﴾، أقول: ويجوز اعتبارها حالاً أيضاً منه لوصفه بما تقدم، ويقرأ بقطع الهمزة، وعليه فيوقف على ﴿الْأَشْرَارِ﴾. وانظر

الكلام على (اطَّلع) في الآية رقم [٥٥] من سورة (الصافات) فإنه جيد، كما قرئ بكسر السين، وضمها.

قال النحاس: وفرق أبو عمرو بينهما، فجعل المكسورة من جهة التهزُّؤ، والمضمومة من جهة السُّخرة، ولا يعرف هذا التفريق الخليل، ولا سيبويه، ولا الكسائي، ولا الفراء. وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى: واحد، كما يقال: عِصي، وعُصي، ولِجي، ولُجي. وحكى الثعلبي عن الكسائي، والفراء الفرق الذي ذكره أبو عمرو، وأن الكسر بمعنى: الاستهزاء، والسخرية بالقول، والضم بمعنى: التسخير، والاستعباد بالفعل، وقال المبرد: إنما يؤخذ التفريق بين المعاني عن العرب، وأما التأويل؛ فلا يكون، والكسر في «سخري» في المعنيين جميعاً؛ لأن الضمة تستثقل في مثل هذا. انتهى. قرطبي. هذا؛ و﴿سِخْرِيًّا﴾ على اللغتين مصدر: سَخِر، زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة.

الإعراب: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتأنيب على القطع. (اتخذناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿سِخْرِيًّا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال، أو في محل نصب صفة على اعتبار الهمزة للوصل، كما رأيت في الشرح، وهي في محل نصب مقول القول على قطع الهمزة. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي متصلة، أو منقطعة على اعتبار الهمزة للوصل، أو للقطع، كما تقدم. ﴿زَاغَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَنْهُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي ذكر عن الكافرين ومحاورتهم بعضهم في نار جهنم، ولعن بعضهم بعضاً. ﴿لَحَقٌّ﴾: لا بد أن يتكلموا به، ويقع فيما بينهم، وهو قوله تعالى: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾: وهو ما تقدم من قول الرؤساء: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾، وقول الأتباع لهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾. قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولما شبه تقاولهم، وما يجري بينهم من السؤال، والجواب بما يجري بين المتخاصمين؛ سماه تخاصماً، ولأن قول الرؤساء: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾، وقول أتباعهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ من باب الخصومة، فسمى التقاول كله تخاصماً لاشتماله على ذلك، والمعنى: إن الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم لبعض لحق، لا مرية فيه، ولا شك، بل واقع لا محالة.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَحَقٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (حق): خبر: ﴿إِنَّ﴾ مرفوع. ﴿تَخَاصُمُ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو تخاصم، والجملة الاسمية هذه في محل رفع صفة (حق)، ويجوز اعتبار: ﴿تَخَاصُمُ﴾ بدلاً من: (حق)، ويجوز أن

يكون خبراً ثانياً لـ: ﴿إِنَّ﴾، ويجوز أن يكون بدلاً من اسم: ﴿إِنَّ﴾ على المحل. هذا؛ وقرئ بنصبه على أنه بدل من: ﴿ذَٰلِكَ﴾، وقال الزمخشري: نعت لاسم الإشارة، ورده ابن هشام في المغني، و﴿تَخَاصُمُ﴾ مضاف، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿النَّارِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. والمعنى: قل يا محمد لأهل مكة: إنما أنا منذر: أي: ما أنا إلا رسول منذر، أنذركم عذاب الله، وغضبه، وعقابه، لا ساحر، ولا شاعر، ولا كاهن، كما ادعيتم، وافتريتم. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: لا يوجد في هذا الكون إله يستحق العبادة إلا الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار لعباده الطاغين.

هذا؛ و(الله) علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال. ولم يسم به أحد سواه. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل أحد تسمى: الله غير الله؟ وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين، وثلاثمئة وستين موضعاً.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ سوغ الابتداء به النفي قبله، فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: بدل من لفظ الجلالة. وقيل: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، والحالية ممكنة. تأمل.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: انظر الآية رقم [٥] من سورة (الصافات). ومعنى ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب على أمره؛ الذي لا يغلبه شيء في الأرض، ولا في السماء. ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: لذنوب عباده، الستار لعيوبهم؛ الذي يغفر ما يشاء لمن يشاء. وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد، ووعد، ووعيد للموحدين، والمشركين، وعظة نافعة للمؤمنين، وما يتذكر إلا أولو الألباب فكونه ربّاً يشعر بالتربية، والإحسان، والكرم، والجود، وكونه غفاراً يشعر بأنه يغفر الذنوب؛ وإن عظمت،

ويرحم عباده الضعفاء. هذا؛ وفي الآيات المتقدمة مراعاة الفواصل، وهي من خصائص القرآن الكريم؛ التي تعطي الكلام روعة في القلوب، وحلاوة للسان، ولذة في الأسماع.

الإعراب: ﴿رَبُّ﴾: بدل من لفظ الجلالة، أو هو صفة له، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو رب، أو هو مبتدأ خبره ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، قاله أبو البقاء، ويجوز في مثله النصب بفعل محذوف على القطع، التقدير: أعني. و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: يجوز فيه ما جاز بـ: ﴿رَبُّ﴾، ومثله: ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ أي: قل يا محمد لقومك: إن ما أنذركم به من الحساب، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار خبر عظيم القدر، فلا ينبغي أن يُستخف به، ولا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة. ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: غافلون لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقي في نبوتي، وأن ما جئت به لم أعلمه إلا بوحي من الله تعالى. هذا؛ وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني: القرآن الذي أنبئكم به خبر جليل. وقيل: عظيم المنفعة.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: الملأ الأعلى: هم الملائكة في قول ابن عباس، والسدي، اختصموا في أمر آدم حين خلقه الله تعالى، فـ: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ آية رقم [٣٠] من سورة (البقرة) وقال: إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ وفي هذا بيان: أن محمداً ﷺ أخبر عن قصة آدم، وغيره، وذلك لا يتصور إلا بتأييد إلهي، فقد قامت المعجزة على صدقه، فما بالهم أعرضوا عن تدبر القرآن ليعرفوا صدقه؟

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ما يوحى إلي من ربي إلا أني رسول أنذر الناس وأخوفهم عقاب الله، وغضبه إن عصوه، وأبشرهم برحمته، ورضوانه إن أطاعوه. أو المعنى: إنما علمت هذه المخاصمة بوحي الله إليَّ، وإنما أنا نذير لكم أبين لكم ما ينبغي أن تأتوا به، وما ينبغي أن تجتنبوه. وخذ ما يلي:

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربي رؤيا صادقة كفلق الصبح (وفي رواية: ربِّي في أحسن صورة) فقال لي: يا محمدُ، قلْتُ: لبَّيْك**

رَبِّي، وسعدَيْكَ! قال: هَلْ تدرِي فِيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلَى؟ قلْتُ: لا أعلَمُ، فوضع يدَهُ بين كَتفَيَّ حتى وجدْتُ بردَهَا بين ثديَيَّ، (أو قال: في نحري) فعلِمْتُ ما في السمواتِ، وما في الأرض، (أو قال: ما بينَ المشرقِ، والمَغْرِبِ) قال: يا محمدُ أتدري فيم يختصمُ الملأُ الأعلَى؟ قلت: نعمْ في الدرجاتِ، والكفَّاراتِ، وفي نقلِ الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوءِ في السبراتِ، وانتظارِ الصلاة بعدَ الصلاةِ، ومَنْ حافظَ عليهِنَّ عاشَ بخيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ وكانَ مِنْ ذنوبِهِ كيوم ولدتْهُ أُمُّهُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وفي رواية أخرى: **«قال: يا محمد إذا صلَّيْتَ فقلْ: اللهمَّ إني أسأَلُكَ فِعْلَ الخيراتِ وترْكَ المنكراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وإذَا أرَدْتَ بعبادِكَ فِتْنَةً؛ فاقبِضْني إلَيْكَ غيْرَ مَفْتُونٍ».**

هذا؛ والكفارات فسرها حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ **«إسباغُ الوضوءِ في السبراتِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعد الصلاةِ، ونقلُ الأقدام إلى الجماعاتِ»**. والدرجات: **«إطعام الطعامِ، وإفشاءُ السلامِ، والصلاةُ بالليْلِ، والناسُ نِيَامٌ»**.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿نَبَؤٌا۟﴾: خبره. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿نَبَؤٌا۟﴾، أو في محل نصب حال منه، بعد وصفه بما تقدم، والرابط على الاعتبارين الضمير المجرور محلاً بـ: (عن). ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِيَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عِلْمٍ﴾: اسم: ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿بِٱلْمَلَإِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر ﴿عِلْمٍ﴾. ﴿ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾: صفة (الملأ) مجرور مثله، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِذْ﴾: متعلق بالمصدر، أو بمحذوف مضاف مقدر، التقدير: ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت يختصمون. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها، والجملة: ﴿مَا كَانَ لِيَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة، والجملة الاسمية تسبك مع ﴿أَنَّمَآ﴾ بمصدر في محل رفع نائب فاعل، التقدير: ما يوحى إلي إلا كوني نذيراً مبيناً، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة:

﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقيل: المصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأنما، أو لأنما، والجار والمجرور: ﴿إِلَيَّ﴾ في محل رفع نائب فاعل لـ: ﴿يُوحَىٰٓ﴾، والأول أجود. انتهى. مكي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: جاء في مختصر ابن كثير ما يلي: هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة (البقرة) وفي أول سورة (الأعراف) وفي سورة (الحجر) و(الإسراء) و(الكهف) وهاهنا؛ وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وقد تقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه، وتسويته، فليسجدوا له إكراماً، وإعظاماً، واحتراماً، وامتثالاً لأمر الله عز وجل، فامتثل الملائكة كلهم سوى إبليس، ولم يكن منهم جنساً، كان من الجن، فخانه طبعه، وجبلته، فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عز وجل فيه، وادعى: أنه خير من آدم، فإنه مخلوق من نار، وآدم خلق من طين، والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك، وخالف أمر الله تعالى، وكفر بذلك، فأبعده الله عز وجل، وأرغم أنفه، وطرده عن باب رحمته، ومحلِّ أنسه، وحضرة قدسه، وسماه: إبليس إعلاماً له بأنه أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموماً، مدحوراً إلى الأرض.

فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم، الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة؛ تمرد وطغى، وقال في هذه السورة: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ كما قال تعالى حكاية عن قوله: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾، وقوله تعالى في هذه السورة أيضاً: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قال السدي: هو قسم أقسم الله به، كقوله تعالى في سورة (السجدة) رقم [١٣]: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وكقوله عز وجل في سورة (الإسراء): ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ انتهى. وما أحراك أن تنظر تفصيل الآيات وشرحها في السور المشار إليها في أول هذا الكلام.

لقدْ علمت نقلاً، وعقلاً، وواقعياً: أن الله خلق كل مخلوق من أبوين بطريق التزاوج إلا آدم على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فقد خلقه الله بيده من طين، ثم نفخ فيه من روحه، فآدم لم يخلق من أبوين إنما جاء نموذجاً فرداً، كما صرحت الآيات التي نحن بصدد شرحها، وقد صرحت الآيات القرآنية: أنه أبو البشر، فقد قال تعالى في أول سورة (النساء): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ...﴾ إلخ، وقال تعالى في سورة (الأعراف) [١٨٩]:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ إلخ، وقال في ثلاث آيات من سورة (الأعراف) أيضاً: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ...﴾ إلخ، وفي حديث الشفاعة المروي في الصحيحين: أن الناسَ يأتون آدَمَ، فيقولون له: «**يا آدم أنت أبو البشر...**». إلخ.

هذا؛ وما قاله داروين من أن أصل البشر بدأ بجرثومة صغيرة، ظهرت على سطح الماء، ثم تحولت إلى حيوان صغير، ثم تدرج هذا الحيوان، فأصبح ضفدعاً، فسمكةً، فقرداً، ثم ترقَّى هذا القرد وتمدَّن فصار إنساناً، فالإنسان بنظره قرد متمَدِّن، وهذه النظرية تناقض المنقول، والمعقول، والواقع، فليكن داروين، وأتباعه المقتنعون بنظريته، المتحمسون لها القردة، وأولاد القردة، أما نحن المؤمنون بالقرآن، والمصدقون بما جاءت به الرسل الكرام؛ فلا نرضى إلا أن نكون من نسل آدم عليه السلام. قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٧٠]: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ...﴾ إلخ، وقال تعالى في سورة (التين): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وإذا كانت نظرية داروين صحيحة؛ فلماذا لم يتطور سائر القردة، ويتمدنوا؟ ونحن نعيش في عصر التطور، والتمدن؟!.

هذا؛ وإذا عرفنا أن داروين يهودي الأصل، وأنه دهري ملحد يعتقد بألا خالق لهذا الوجود، ولا صانع لهذا العالم، فهو كافر بكل القيم الروحية التي جاءت بها الشرائع السماوية إذا عرفنا هذا نضرب به وبنظريته وبأتباعه عرض الحائط. هذا؛ وقد قال المرحوم عبد الوهاب النجار بعد أن ناقش هذه النظرية في كتابه قصص الأنبياء: أقول إني كلما فكرت في ذلك جزمت بأن ذلك محال، وقطعت بأن القرد لا بد أن يبقى قرداً مدى الدهر، وأن القردة لا تلد إلا قردةً.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدلاً من سابقتها، قال الجمل: وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام، بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه ناطقة بذلك تفصيلاً. انتهى. أبو السعود، وعبارة السمين قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، يجوز أن يكون بدلاً من ﴿إِذْ﴾ الأولى، وأن يكون منصوباً بـ: «اذكر» مقدراً، قال الأول الزمخشري، وأطلق، وقال أبو البقاء الثاني، وأطلق، وأما الشيخ ففصل، وقال: بدل من: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. هذا إذا كانت الخصومة في شأن من يستخلف في الأرض، وعلى غيره من الأقوال يكون منصوباً بـ: «اذكر» مقدراً. انتهى. قلت: وتلك الأقوال: أن التخاصم إما بين الملأ الأعلى، أو بين قريش. انتهى. جمل بتصرف. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿خَٰلِقٌۢ﴾: خبرها، وفاعله مستتر فيه. ﴿بَشَرًا﴾: مفعول به لـ: ﴿خَٰلِقٌۢ﴾. ﴿مِّن طِينٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿بَشَرًا﴾، أو هما متعلقان بـ: ﴿خَٰلِقٌۢ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: فإذا أتممت خلقه، وعدلته. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أي: وأحييته بنفخ الروح فيه، وإضافته إلى نفسه لشرفه، وطهارته. وقال الخازن: أضاف الروح إلى نفسه إضافة ملك على سبيل التشريف، كبيت الله، وناقة الله، ولأن الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضاء، وكسريان النار في الفحم. وانظر الآية رقم [٢٧] من سورة (الروم). ﴿فَقَعُوا۟﴾: أمرٌ من: وقع، يقع، بمعنى: سقط، يسقط، اسقطوا. ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: سجود تحية بالانحناء على وجه التكرمة والتبجيل، لا على وجه العبادة، فإنها لا تنبغي إلا لله الواحد القهار.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح هنا؛ إذ الراجح تعليق (إذا) هنا بالفعل بعدها، ولا تتعلق بالجواب؛ لاقترانه بالفاء، ولا يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها، وعليه فالجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها. (نفخت): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن رُّوحِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿فَقَعُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (قعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما، وقيل: متعلقان بـ: ﴿سَٰجِدِينَ﴾. ﴿سَٰجِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿فَقَعُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها في محل نصب مقول القول.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ أي: امتثلوا الأمر، وسجدوا له خضوعاً له، وتعظيماً لله بتعظيمه، وفي المواهب عن جعفر الصادق: أنه قال: أول من سجد لآدم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة، من وقت الزوال إلى العصر. وقال الزمخشري: (كُلُّ) للإحاطة، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع. فأفادا معاً: أنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. ونوقش في الثاني بأنه باطل بدليل قوله تعالى في سورة (الحجر): ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وبقوله تعالى حكاية عن قول إبليس بعد

قليل: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لأن دخولهم جهنم وإغواءهم ليس في وقت واحد، فدل ذلك على: أن ﴿أَجْمَعِينَ﴾ لا تعرض فيه لاتحاد الوقت. انتهى. جمل.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾: تعاظم، وأنف من السجود لآدم جهلاً منه بأن السجود له طاعة لله، والأنفة من طاعة الله استكباراً كفرٌ. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: صار من الكافرين باستكباره عن أمر الله تعالى، واستنكافه عن طاعته، أو كان منهم في علم الله تعالى بأنه سيكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً من أهل الجنة، وطاف بالبيت أربعة عشر ألف عام، وعبد الله ثمانين ألف عام. انتهى. جمل. وانظر ما ذكرته بشأن إبليس في الآية رقم [٢٠] من سورة (سبأ).

هذا؛ والسجود في الأصل: تذلل مع تطامن. وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة، والمأمور به إما المعنى الشرعي؛ فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة سجودهم، تعظيماً لشأنه، أو سبباً لوجوبه، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، والصلاة لله، فمعنى اسجدوا له؛ أي: إليه. وإما المعنى اللغوي؛ فهو التواضع لآدم تحيةً، وتعظيماً له، كسجود إخوة يوسف له في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ فلم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض، وإنما كان بالانحناء، فلما جاء الإسلام؛ أبطل ذلك بالسلام، ولقد كان الأمر الإلهي بالسجود لآدم احتفالاً بتمام تكوينه، وفي هذا إظهار لعلو شأنه، كما أن فيه تكريماً لهذا النوع البشري حيث أسجد الملائكة لأبيهم آدم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: (سجد): فعل ماض. ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: فاعله. ﴿كُلُّهُمْ﴾: توكيد أول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعُونَ﴾: توكيد ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فخلقه الله، فسواه، فنفخ فيه الروح، فسجد له الملائكة... إلخ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مستثنى، وهل هو متصل، أو منقطع. خلاف. ﴿اسْتَكْبَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿إِبْلِيسَ﴾، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿إِبْلِيسَ﴾، والرابط رجوع الفاعل إليه. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف عطف. (كان): فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى: ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: القائل هو الله تعالى. ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ أي: أي شيء منعك من السجود في الوقت الذي أمرتك به. ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: خلقته بنفسي من غير توسط كأب، وأم. قال القرطبي: أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وإن كان خالق كل شيء، وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت، والناقة، والمساجد، فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم، فإن

الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام، والتكرم. وقيل: أراد باليد: القدرة، ويدل عليه: أن الخلق لا يقع إلا بالقدرة بالإجماع، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧] من هذه السورة. وفي الواقع تغليب اليدين على غيرهما من الجوارح؛ التي تباشر بها الأعمال؛ لأن صاحب اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه؛ حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك على المجاز، وحتى قيل في المثل: يداك أوكتا، وفوك نفخ.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي: استكبرت، وتعظمت بنفسك حين أبيت السجود لآدم، أم كنت من القوم الذين يتكبرون، فتكبرت لهذا؟ وهو تقرير، وتوبيخ، وتقريع، وانظر شرح ﴿أَصْطَفَى﴾ في الآية رقم [١٥٣] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (إبليس): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مَنَعَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَسْجُدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». و﴿أَن تَسْجُدَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من السجود لآدم، أو هو في محل نصب مفعول به ثان. ﴿لِمَا﴾: اللام: حرف جر. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ولا تنس: أنه استعمل (ما) للعاقل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: للذي خلقته. ﴿بِيَدَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (استكبرت): فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: إبليس. ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾: وهي جوهر نوراني لطيف. ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾: وهو جسم كثيف ظلماني، وقد أخطأ الخبيث، بل الطين أفضل لرزانته، ووقاره، ومنه: الحلم، والحياء، والصبر، وذلك داع إلى التوبة، والاستغفار، وفي النار: الطيش، والحدَّة، والترفع، وذلك داع إلى الاستكبار، والتراب عدة الممالك، والنار عدة

المهالك، والنار مظِنَّة الخيانة، والإفناء، والتراب مئِنَّة الأمانة، والإنماء، والطين يطفئ النار، ويتلفها، والنار لا تتلفه، وهذه فضائل غفل عنها إبليس، حتى زل بفاسد من المقاييس. انتهى. نسفي في سورة (الأعراف)، وقد عبر بشار بن برد الأعمى عن هذه الأفضلية بقوله: [الكامل]

إبليسُ أفضلُ مِنْ أبيكُمْ آدم فَتَبَيَّنُوا يا معشر الأشْرارِ

النارُ عنصُرُهُ وآدمُ طِينةٌ والطِّينُ لا يسمُو سُمُوَّ النارِ

وقال الخازن هنا: وأخطأ إبليس في القياس؛ لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به، والطين أصل كل ما هو نام ثابت، كالإنسان، والشجرة المثمرة، ومعلوم: أن الإنسان، والشجرة المثمرة خير من الرماد، وأفضل. وقيل: هبْ: أن النار خير من الطين بخاصية، فالطين خير منها وأفضل بخواص، وذلك مثل رجل شريف نسيب عار عن كل فضيلة، فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد، ورجل ليس بنسيب، ولكنه فاضل عالم. فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة. انتهى.

ظاهر النصوص الكريمة يشير إلى أن إبليس كان من الملائكة بدليل الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ وإلى هذا الرأي: ذهب بعض العلماء، وذهب المحققون من العلماء: أنه لم يكن من الملائكة، واستدلوا ببضعة أدلة، نوجزها فيما يلي:

أولاً: لو كان إبليس من الملائكة لما عصى الله؛ لأن الملائكة لا يعصون الله، قال تعالى في حقهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ سورة (التحريم) رقم [٦].

ثانياً: الملائكة من نور، وإبليس من نار، وهو يقول عن نفسه بصريح الآية التي نحن بصدد شرحها، فلو كان من الملائكة لقال: خلقتني من نور، وخلقته من طين، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قوله: «**خُلِقَ الملائكةُ من نورٍ، وخُلِقَتِ الجانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نارٍ، وخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لكم**».

ثالثاً: ورد النص في سورة (الكهف) وهو يدل على أن إبليس كان من الجن، وأنه امتنع من السجود لفسقه وضلاله قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ رقم [٥١].

رابعاً: أن الملائكة لا تتناكح، ولا تتناسل، والله أخبر عن إبليس بأن له ذرية فقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ آية (الكهف) المذكورة، ولو كان من الملائكة لما كان له ذرية، ونسل.

هذا؛ و﴿خَيۡرٞ﴾ أفعل تفضيل أصله: أخْيَر، نقلت حركة الياء للخاء؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم حذفت الهمزة استغناءً عنها بحركة الخاء. ومثله قل في حب، وشر، اسْمَيْ تفضيل؛ إذ أصلهما: أحْبَبُ، وأشْرَر، فنقلت حركة الباء الأولى، والراء الأولى إلى

ما قبلهما، ثم أدغم الحرفان المتماثلان في بعضهما، ثم حذفت الهمزة من أولهما استغناءً عنها بحركة الخاء والشين، وقد يستعمل: خير، وشر على الأصل كقراءة بعضهم قوله تعالى في سورة (القمر): (سيعملون غداً من الكذاب الأشَرُّ) بفتح الشين، ونحو قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

يَا قَاسِمَ الخَيْرَاتِ وابْنَ الأَخْيَرِ مَا سَاسَنَا مِثْلُكَ مِنْ مُؤَمَّرِ

وخير، وشر، وحب يُسْتعملْنَ بصيغة واحدة للمذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع؛ لأنها بمعنى: أفعل كما رأيت. ﴿نَّارٍ﴾: أصله: نَوَر تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها: نويرة، والجمع: أنوُر، ونيران، ونيرة، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين والفاسقين، والفعل: نار، ينور، يستعمل لازماً، ومتعدياً؛ إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارت الشمس الكون.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى إبليس. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره. ﴿مِّنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿خَلَقْتَنِى﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والنون للوقاية، والجملة الفعلية تعليل للخيرية، أو تفسير لها. ﴿مِن نَّارٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ياء المتكلم؛ أي: كائناً من نار، وجملة: ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: قال الله له. ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من السماء، أو من الجنة، أو من زمر الملائكة. وفي الكرخي: وقيل: اخرج من الخلقة التي كنت عليها أولاً، وانسلخ منها؛ لأنه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته، فاسود بعدما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسناً، وأظلم بعدما كان نورانياً، وهذا يدل على أنه لم يكن كافراً حين كان بين الملائكة؛ لأن الله تعالى لم يحك عنه إلا الاستكبار عن السجود. فهذا دليل على: أنه صار كافراً حين لم يسجد. ذكره الطيبي.

وفي «تحفة العارفين» ما نصه: وكان إبليس رئيساً على اثني عشر ألف ملك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طرد؛ غيرت صورته، وجعله الله منكوساً على مثال الخنازير، ووجهه كالقردة، وهو شيخ أعور كوسج، وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس، وعيناه مشقوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كصدر الجمل الكبير، وشفتاه كشفتي الثور، ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام، والله أعلم. انتهى. جمل بحروفه.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: قال الخازن: فإن قلت: إذا كان الرجم بمعنى: الطرد، وكذلك اللعنة لزم التكرار؛ فما الفرق؟ قلت: الفرق: يحصل بحمل الرجم على الطرد من الجنة، أو السماء، وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة، فيكون أبلغ ويحصل الفرق، ويزول التكرار. انتهى. فإن قلت: كلمة ﴿إِلَىٰ﴾ لانتهاء الغاية، وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقتضي انقطاع اللعنة عند مجيء يوم القيامة. قلت: معناه: أن اللعنة باقية عليه في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة، فكأنها انقطعت عنه. انتهى.

هذا؛ وظاهر الآيات الكريمة يدل على: أن الجنة التي أسكن الله فيها آدم، وحواء؛ حيث قال له في كثير من الآيات: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ هي جنة الخلد التي في السماء، وهذا رأي الجمهور من علماء أهل السنة، وذهبت المعتزلة، والقدرية إلى أن الجنة ليست جنة الخلد، وإنما هي جنة في الأرض، وهي أرض عدن، وشبهتهم: أنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليها إبليس، ولما وقعت فيها معصية آدم؛ لأنها جنة القدس، وباختصار فقد حكى القرطبي: أن أهل السنة مجمعون على أنها جنة الخلد؛ التي أُهْبِط منها آدم عليه السلام. قال المرحوم عبد الوهاب النجار: وحاصل الخلاف فيها على أربعة أقوال: إنها جنة المأوى. إنها جنة سوى جنة المأوى، اخترعها الله لآدم، وحواء، إنها جنة من جنات الأرض. التوقف في أمرها. انتهى. والذي ندين به ونعتقده: أنها جنة المأوى، وجنة الخلد للأدلة الكثيرة.

تنبيه: من المقطوع به: أن آدم عليه السلام من الأنبياء، وهو رأي: جمهور العلماء لم يخالف فيه أحد وإنما الخلاف هل هو رسول أم لا؟ ولمن أرسل؟ فيرى بعض العلماء: أنه رسول، وأنه أرسل إلى ذريته. ويرى الآخرون: أنه لم يكن رسولاً، وإنما كان نبياً، ويستدل هؤلاء بحديث الشفاعة الوارد في صحيح مسلم: أن الناس يذهبون إلى نوح، ويقولون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض. فلو كان آدم رسولاً؛ لما ساغ هذا القول. والقائلون برسالة آدم، يؤولون ذلك بأنه أول رسول قبل الطوفان، والله أعلم بحقيقة الأمر، والرأي الأرجح: أنه من الرسل.

هذا؛ وقد عاش آدم عليه السلام على ما ورد في بعض الآثار ألف عام، ثم مات بعد ذلك، ودفن على المشهور في الهند عند الجبل الذي أهبط فيه. وقيل بجبل أبي قبيس في مكة المكرمة، ولما حضرته الوفاة؛ جاءته الملائكة بكفن، وحنوط من الجنة، وبعد أن غسلوه، وكفنوه حفروا له، وألحدوه، وصلّوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فيه ثم حثوْا عليه التراب، وقالوا: يا بني آدم! هذه سنتكم. رحم الله آدم، وأسكنه فسيح جنته، وجمعنا معه في دار الخلد آمين. والحمد لله رب العالمين. النبوة والأنبياء للصابوني، جزاه الله خيراً.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿فَٱخْرُجْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، أو هي صلة لتحسين اللفظ. (اخرج): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً؛

فاخرج. والكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها. ﴿رَجِيمٌ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للخروج، لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿لَعْنَتِيٓ﴾: اسم (إنَّ) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالمصدر ﴿لَعْنَتِيٓ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿لَعْنَتِيٓ﴾ أي: مستمرة ودائمة إلى يوم الدين، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلدِّينِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من ضمير المخاطب، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ والآيتان مذكورتان بحروفهما في سورة (الحجر) برقم [٣٤] و [٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ أي: قال إبليس: رب أمهلني فلا تمتني، أو لا تعجل عقوبتي. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: المراد به: يوم القيامة، وهو اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم للحساب والجزاء بعد النفخة الثانية. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ أي: قال الله تعالى لإبليس لما سأل الإمهال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ أي: الممهلين المؤخرين، وقد قيد الله هذا الإمهال هنا وفي سورة (الحجر) بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ وهو النفخة الأولى التي يموت بسببها من في السموات والأرض إلا من شاء الله، وأطلق هذا الإمهال في سورة (الأعراف) ويحمل المطلق على المقيد، فقد كره اللعين أن يذوق مرارة الموت، وطلب البقاء والخلود إلى النفخة الثانية، وحينئذ لا موت؛ لأن الموت قد تم عند النفخة الأولى، فلم يعط سؤاله، وإنما أجيب طلبه، وهو الإمهال مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال العباد، لما في ذلك من ابتلاء العباد، ولما في مخالفته من عظيم الثواب. انتهى. جمل بتصرف من سورة (الأعراف).

أقول: وإنما أمهله ليكون سبباً في وفاء وعد الله جهنم الآتي بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ إذ لولاه لكان الناس جميعاً مهتدين. هذا؛ وقد ذكر الله في سورة (الكهف) أن له ذرية، وذلك ليكون لكل واحد من بني آدم قرين، وشيطان.

ويجوز أن يراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة، واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات، فعبر عنه أولاً بيوم الجزاء؛ لما عرفت، وثانياً بيوم البعث؛ إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف،

واليأس من التضليل، وثالثاً بالمعلوم لوقوعه في الكلامين، ولا يلزم من ذلك أن لا يموت، فلعله يموت أول اليوم، ويبعث الخلائق في تضاعيفه. وهذه المخاطبة لإبليس، وإن لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصبه؛ لأن خطاب الله تعالى له على سبيل الإهانة، والإذلال له. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى إبليس. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، وانظر إعراب ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ في الآية رقم [٢٠] من سورة (يس) فهو مثله، أو إعراب ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في الآية رقم [١٠٢] من سورة (الصافات). ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾: الفاء: هي الفصيحة، أو هي صلة زيدت لتحسين اللفظ. (أنظرني): فعل دعاء، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية قل فيها ما قلته بجملة (اخرج) في الآية السابقة. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يُبۡعَثُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمِ﴾ إليها، والآية كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: حرف صلة زيدت لتحسين اللفظ. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ﴾: متعلقان بالمنظرين؛ لأنه اسم مفعول، و﴿يَوۡمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡوَقۡتِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلۡمَعۡلُومِ﴾: صفة الوقت.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾

الشرح: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: أقسم اللعين بعزة الله، وهي: سلطانه، وقهره. هذا؛ وقال في سورة (الأعراف): ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ قال الزمخشري: الآيتان بمعنى واحد في أنهما إقسام، إلا أن أحدهما إقسام بصفته، والثاني إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما. ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: الذين أخلصهم الله لطاعته، وعصمهم من الضلالة. وهذا على قراءة فتح اللام. أو: الذين أخلصوا قلوبهم لله تعالى. وهذا على قراءة كسر اللام. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الحجر) بعد هذه الآية: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ رقم [٤١] و[٤٢]، وانظر سورة (الأعراف) وسورة (الحجر)، إن أردت زيادة الاطلاع.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿إِبۡلِيسَ﴾. ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾: الفاء: يقال فيها ما قيل فيما قبلها. (بعزتك): جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، والكاف

ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أغوينهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والهاء مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، والقسم، وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَجۡمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المنصوب، فهو منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عِبَادَكَ﴾: مستثنى، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۡهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له. ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: صفة: ﴿عِبَادَكَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله. ﴿فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾: في هذه الجملة قراءات كثيرة، قال السمين: قرأهما العامة منصوبين، وفي نصب الأول أوجه: أحدها: أنه مقسم به حذف منه حرف القسم، فانتصب، وقوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾ جواب القسم. قال أبو البقاء: إلا أن سيبويه يدفعه؛ لأنه لا يجوز حذف حرف القسم إلا مع اسم الله، ويكون قوله: ﴿وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾ معترضاً بين القسم وجوابه، قال الزمخشري: كأنه قيل: ولا أقول إلا الحق. يعني: أن تقديم المفعول أفاد الحصر. والمراد: بالحق: نقيض الباطل. الثاني: أنه منصوب على الإغراء؛ أي: الزموا الحق. الثالث: أنه مصدر مؤكد لمضمون قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾ قال الفراء: هو على معنى قولك: حقاً لا شكاً. ووجود الألف واللام، وطرحهما سواء؛ أي: لأملأن جهنم حقاً. وجوز الزمخشري أن يكون منصوباً على التكرير بمعنى: أن الأول، والثاني كليهما منصوبان بـ: ﴿أَقُولُ﴾، وسيأتي إيضاح ذلك في عبارته.

وقرأ عاصم، وحمزة برفع الأول، ونصب الثاني، فرفع الأول من أوجه: أحدها: أنه مبتدأ وخبره مضمر، تقديره: فالحق مني، أو فالحق أنا. الثاني: أنه مبتدأ خبره: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾، قاله ابن عطية، قال: لأن المعنى إني أملأ. الثالث: أنه مبتدأ خبره مضمر، تقديره: فالحق قسمي، و﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾ جواب القسم، كقوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ ولكن حذف الخبر هنا ليس بواجب؛ لأنه غير نص في اليمين بخلاف: لعمرك، وأما نصب الثاني؛ فبالفعل بعده.

هذا؛ وقُرئَا منصوبين، الأصل: أقسم بالحق لأملأن، وأقول الحق، فانتصب الحق الأول بعد إسقاط الخافض بأقسم محذوفاً، والحق الثاني بـ: ﴿أَقُولُ﴾، واعترض بجملة: «أقول الحق» وقدم معمولها للاختصاص وهذا من أبي السعود، وهو تكرار للأول. وقُرِئَا مجرورين على أن الأول

مقسم به قد أضمر حرف قسمه، كقولك: الله لأفعلن، وجوابه: لأملأن. و﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل، ومعناه التأكيد، والتشديد، وقال ابن هشام في «المغني»: وقرئ بجرهما على تقدير واو القسم في الأول، والثاني توكيداً، كقولك: والله، والله لأفعلنَّ! وقرئ بجر الأول على إضمار حرف القسم، ونصب الثاني على المفعولية. انتهى.

وقرئ برفعهما بتقدير. فالحق قسمي، والحق أقوله، فحذف الرابط من الخبر، ومن ذلك قول أبي النجم، وهو الشاهد رقم (٣٦٥) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي ... عَلَيَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (أملأن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب قسم محذوف، أو هي جواب المقدر كما رأيت في الكلام السابق. ﴿مِنكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. (ممن): جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿تَبِعَكَ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(من) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المجرور محلاً بـ: (مِنْ) مجرور مثله. وقيل: هو توكيد للضمير في: ﴿مِنكَ﴾، وللضمير المجرور في ﴿مِنْهُمْ﴾، ولا بأس به، وعلامة جره الياء... إلخ. هذا؛ والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

الشرح: ومما تقدم يتلخص المعنى: أن الله تعالى قال: أقسم بالحق، ولا أقول إلا الحق لأملأن جهنم منك ومن أتباعك يا إبليس! وقال تعالى في سورة (السجدة): ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ الآية رقم [١٣]، وقال تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ أي: ثبت ذلك لما أخبر الله، وقدر في أزله، وتمام الكلمة: امتناعها عن قبول التغيير، والتبديل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ، وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواماً للجنة، وللرحمة، فهداهم، ووفقهم لأعمال أهل الجنة، وخلق أقواماً للنار، فخذلهم، ومنعهم من الهداية. وآية السجدة رقم [١٣] تصرح بهذا أتم تصريح. وخذ ما يلي.

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالتِ النارُ: فِيَّ الجبارون، والمتكبرون، وقالت الجنةُ: فِيَّ ضعفاءُ المسلمينَ، ومساكينُهُمْ. فقضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إنك الجنةُ رحمتي أرْحَمُ بك مَنْ أَشَاءُ، وإنكِ النَّارُ عذابي أعذِّب بكِ مَنْ أَشَاءُ، ولِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**». رواه مسلم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٠] من سورة (الزمر).

هذا؛ والحق ضد الباطل، قال الراغب: أصل الحق المطابقة، والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حُقِّه لدورانه على الاستقامة، والحق يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحقُّ. وللموجود بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك يقال: فعل الله كله حقٌّ، نحو: الموت، والحساب، والميزان، والصراط. . . إلخ. وللاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، نحو اعتقاد زيد في الجنة حق. وللفعل، والقول الواقعين بحسب ما يجب وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب، نحو: قولك حق، وفعلك حق. ويقال: أَحْقَقْتُه؛ أي: أَثْبَتُّهُ حقاً، أو حكمت بكونه حقاً. انتهى. بغدادي. وانظر شرح الباطل في الآية رقم [٢٧].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لأهل مكة. ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أطلب منكم أجراً على القرآن الذي أتلوه عليكم، أو على التبليغ الذي أسديه إليكم، وإنما أبتغي بذلك وجه الله ـ عز وجل ـ والدار الآخرة. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: من الذين يتصنعون، أو ينتحلون، أو يتحلَّوْن بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني قط متصنعاً، ولا مدعياً بما ليس عندي؛ حتى أنتحل النبوة، وأتقوَّل القرآن. وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه؛ فقد تكلف.

عن مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ قال: «دخلْنا على عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقال: أيها الناسُ! مَنْ علِمَ شَيئاً؛ فليقلْ به، ومنْ لَمْ يعلم؛ فليقلْ: اللهُ أعلَمُ، فإنَّ من العلم أن يقولَ لما لا يعلم: اللهُ أعلمُ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾». أخرجاه في الصحيحين، وعن النبي ﷺ: «**للمتكلِّف ثلاثُ علاماتٍ: ينازعُ مَنْ فوقه، ويتعاطى ما لا يُنال، ويقولُ ما لَا يعلمُ**».

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: عظة بالغة للعالمين: الإنس، والجن العقلاء دون الملائكة؛ لأنهم يخافون ربهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يعصونه أبداً. هذا؛ والضمائر الثلاثة بقوله: (عليه، إن هو، نبأه) المراد بها القرآن، وهي عائدة على غير مذكور، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٢] بهذا الصدد.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾: خبره. ﴿بَعْدَ حِينِۭ﴾: قال قتادة: بعد الموت، وقاله الزجاج. وقال ابن عباس، وعكرمة، وابن زيد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: يعني: يوم القيامة. وكان الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: يا بنَ آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين. وسئل عكرمة عمن حلف ليصنعن كذا إلى حين. قال: إن من الحين ما لا تدركه، كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ﴾ ومنه ما تدركه، كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ من صرام النخل إلى طلوعه ستة أشهر،

وهذا كما قيل: الحين: الوقت قليلاً كان، أو كثيراً، والمدة من الزمن قصيرة كانت، أو طويلة، وجمعه: أحيان، وجمع الجمع أحايين. هذا؛ والْحَيْن بفتح الحاء: الهلاك، والموت.

هذا؛ وأصل: (لتعلمن): (تعلم) فاتصلت به واو الجماعة، فصار: (تعلمونَ) فاتصلت به نون التوكيد الثقيلة، فصار: (تَعْلَمُونَنَّ) فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فصار: (تَعْلَمُونَّ) فالتقى ساكنان: واو الجماعة، والنون الأولى الساكنة من نون التوكيد، فحذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على الميم لتدل عليها. وهو هنا من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عرفانٍ وظَنٍّ تُهَمَهْ تعديةٌ لواحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ، وخبر. وأيضاً: فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النِّسَب بخلاف العلم فإن متعلقه المعاني والنِّسَب، وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً، فالمعنى أنك عرفت ذاته، ولم ترد: أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإن أردت هذا لم يتجاوز مفعولاً واحداً؛ لأن العلم والمعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً، لم يكن المقصود: أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى: أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة.

خاتمة: روى الدارقطني من حديث نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فسار ليلاً، فمروا على رجل جالس على مَقْراةٍ له (حوض يجتمع فيه الماء) فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا صاحب المقراة أولغت السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له ﷺ: «**يا صاحِبَ المقراةِ لا تخبِرْهُ، هذا متكلِّفٌ، لها ما حملتْ في بطونِها، ولنا ما بقي شرابٌ طهورٌ**». وفي الموطأ عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خرج في ركب، فيهم عمرو بن العاص؛ حتى وردوا حوضاً، فقال عمرو بن العاص: يا صاحب الحوض، هل ترد حوضك السباع؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا صاحب الحوض لا تخبرنا، فإنا نرد على السباع، وترد علينا. انتهى. قرطبي. وعليه، فعمر ـ رضي الله عنه ـ أخذه من نهي النبي ﷺ له السابق.

هذا؛ ويؤخذ مما تقدم حكم فقهي: وهو أن الأصل في الأشياء الطهارة ما لم نر نجاسة عينية فيها، لذا لا يسأل الإنسان عن طهارة مكان، ولا عن طهارة ماء، ولا عن طهارة ثوب، ومتاع لا يظهر فيه نجاسة. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَسْئَلُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان

بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَجْرٍ﴾ كان صفة له. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَجْرٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية، أو مهملة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما)، أو في محل رفع مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (ما)، أو بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وإن اعتبرتها حالاً من الفاعل المستتر؛ فلست مفنداً، وعليه فالرابط: الواو، والضمير.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: ما. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ذِكْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿ذِكْرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (تعلمن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون حرف لا محل له. ﴿نَبَأَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿حِينٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب قسم مقدر، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

انتهت سورة (صٓ) بحمد الله وتوفيقه، تفسيراً وإعراباً

والحمد لله رب العالمين

سُورَةُ الزُّمَرِ

سورة (الزمر) ويقال: سورة الغرف. قال وهب بن منبه: من أحب أن يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه؛ فليقرأ سورة الغرف. وهي مكية في قول الحسن، وعكرمة، وجابر بن زيد ـ رضي الله عنهم ـ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إلا آيتين نزلتا بالمدينة، إحداهما: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ...﴾ إلخ رقم [٢٣]، والأخرى من قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ. روى الترمذي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر، وبني إسرائيل. وهي خمس وسبعون. وقيل: اثنتان وسبعون آية، وهي ألف ومئة واثنتان وسبعون كلمة، وأربعة آلاف وتسعمئة وثمانية أحرف. انتهى. قرطبي، وخازن بتصرف. هذا؛ وسميت سورة (الزمر)؛ لأن الله تعالى ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة، وزمرة الأشقياء من أهل النار، أولئك مع الإجلال، والإكبار، وهؤلاء مع الهوان، والصغار. وسميت سورة الغرف لقوله تعالى في الآية رقم [٢٠] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ...﴾ إلخ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾

الشرح: قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: يخبر الله تعالى: أن تنزيل هذا الكتاب، وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾، وقال هاهنا: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ﴾ أي: المنيع الجناب. ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ أي: في أقواله، وأفعاله، وشرعه، وقدره. انتهى. هذا؛ و﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ يفسر بالغالب: القوي القاهر، الذي لا يغلب. و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ يفسر بالذي يفعل كل شيء بحكمة، وتقدير، وتدبير.

أما ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فهو في اللغة: الضم، والجمع. وسميت الجماعة من الجيش: كتيبة؛ لاجتماع أفرادها على رأي واحد، وخطة واحدة، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه، ويرتبه. وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب، وفصول، ومسائل غالباً. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] من سورة (الأحقاف) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿تَنزِيلُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا تنزيل. أو هو مبتدأ، خبره الجار والمجرور: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، وعلى الأول فهما متعلقان بـ: ﴿تَنزِيلُ﴾؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿تَنزِيلُ﴾، والعامل فيها معنى الإشارة المقدرة، أو التنزيل نفسه، والظاهر: أن الكتاب على الأول: السورة بكاملها، وعلى الثاني: القرآن بكامله، وهو الأولى. هذا؛ ويقرأ: ﴿تَنزِيلُ﴾ بالنصب على تقدير فعل، نحو: اقرأ، أو الزم، ونحوه. و﴿تَنزِيلُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، دل عليه لفظ الجلالة. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: بدل من لفظ الجلالة. ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: بدل ثان، وبعضهم يعتبرهما صفتين للفظ الجلالة، ولا أسلمه؛ لأنهما اسمان، وليسا صفتين.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصدق، وليس بباطل، وهزل، وليس فيه شك. قال النسفي: هذا ليس بتكرار؛ لأن الأول كالعنوان للكتاب، والثاني لبيان ما في الكتاب. وانظر شرح (نا) في الآية رقم [٣٤] من سورة (يسٓ). هذا؛ و ﴿أَنزَلْنَآ﴾ بمعنى: نزّلنا، والفرق بينهما: أن أنزل يفيد: أن القرآن، أو السورة نزل دفعة واحدة، وأما نزل فيفيد: أن القرآن نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع، ومقتضيات الأحوال، على ما نرى عليه أهل الشعر، والخطابة. وهذا ما يريب قريشاً، كما حكى القرآن عنهم ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فبين الله الحكمة من نزوله مفرقاً بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الآية رقم [٣٢] من سورة (الفرقان).

﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾ أي: موحداً لا تشرك به شيئاً. ﴿لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: قرئ بالرفع، ويلزم عليه قراءة: (مخلَصا) بفتح اللام، ويكون معنى ﴿لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وانظر شرح العبادة في الآية رقم [٦٠] من سورة (يسٓ).

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا) اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول، التقدير: ملتبسين، أو ملتبساً بالحق. ﴿فَٱعْبُدِ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجوز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة. (اعبد): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مُخْلِصًا﴾: حال من الفاعل المستتر، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَّهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُخْلِصًا﴾. ﴿ٱلدِّينَ﴾:

مفعوله، وعلى قراءة الرفع، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿ٱلدِّينَ﴾ مبتدأ مؤخر، والتقديم أفاد الاختصاص، والجملة الاسمية مستأنفة. كذا قال الفراء، وبه قال البيضاوي، وأرى صحة اعتبار ﴿ٱلدِّينَ﴾ نائب فاعل لـ: ﴿مُخۡلِصًا﴾، وجملة: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فاعبد.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ③﴾

الشرح: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ أي: هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر؛ لاطلاعه جلت قدرته، وتعالت حكمته على الغيوب، والأسرار، ولأنه الحقيقي بذلك؛ لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها. وعن قتادة: الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله. وعن الحسن: الإسلام! أمر الله بالإخلاص؛ لأنه رأس العبادات في التوحيد، واتباع الأوامر، واجتناب النواهي.

كيف لا والرسول ﷺ قال: «**مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الإِخْلاصِ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وآتـى الزَّكَاةَ؛ فَارَقَهَا؛ والله عَنْهُ رَاضٍ**». رواه ابن ماجه، والحاكم عن أنس بن مالك، ـ رضي الله عنه ـ. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رجل: يا رسول الله! إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أَنْ يُرى مَوْطني، فلمْ يردَّ عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾. رواه الحاكم، والبيهقي. وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**طُوبى لِلْمُخْلِصِينَ، أولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظلماء**». رواه البيهقي.

وقد اعتبر الإسلام الرياء وحب السمعة والمحمدة شركاً، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْسَنَ الصَّلاَةَ: حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ، وأساءَهَا حَيْثُ يَخْلُو، فَتِلْكُمُ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى**». رواه أبو يعلى. وعن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ صَامَ يُرائِي فَقَدْ أشركَ، وَمَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ**». رواه البيهقي.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: وهؤلاء المشركون الذين عبدوا من دون الله الحجارة، والأوثان. يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: قربى؛ أي: فهي تقربنا عند الله، وتشفع لنا عنده؛ ولذا كانوا إذا قيل لهم: من خلقكم؟ من يرزقكم؟ من خلق السموات

والأرض؟ من ربكم ورب آبائكم الأولين؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون: نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى، وتشفع لنا. ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: لَبَّيْك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه، وما ملك. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر، وحديثه، وجاءتهم الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها، والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا الذي اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه، ولا رضي به، بل أبغضه، ونهى عنه في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ وغير ذلك كثير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يحكم الله بين الخلائق يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الطائعين الجنة، ويدخل الكافرين، والفاجرين، والمفسدين النار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ أي: لا يوفق، ولا يرشد إلى الهدى. ﴿مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: من قصده الكذب، والافتراء على الله تعالى، وقلبه كافر بآياته، وحججه، وبراهينه؛ لأنه فاقد للبصيرة، غير قابل للاهتداء، لتغييره الفطرة الأصلية بالتمرن على الضلال، والتمادي في الغي، والخسران، وقد علم الله في قديم الأزل: أنه يختار الكفر، وفي هذا رد على القدرية وغيرهم، والمراد: بـ: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ما يعبده الكافرون من حجارة، وأوثان، وشمس، وقمر، وأيضاً: عيسى، وعزير، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ...﴾ إلخ يحتمل الْمُتَّخِذين وهم الكفرة، والمتَّخَذين، وهم: الملائكة، وعيسى، واللّات، والعزَّى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله: فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى (الذين)، وعلى الثاني إلى المشركين، ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوماً، والراجع إلى: (الذين) محذوف، والمعنى، والذين اتخذهم المشركون أولياء. انتهى. وانظر الإعراب لتوضيح المعنى. هذا؛ ولا تنس الالتفات من الخطاب في الآية السابقة إلى الغيبة في هذه الآية.

الإعراب: ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلدِّينُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْخَالِصُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها

صار حالاً» وقيل: هما في محل نصب مفعول به ثان تقدم على الأول، وهو ضعيف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿نَعْبُدُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِيُقَرِّبُونَآ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(نا): مفعول به. ﴿زُلْفَىٰٓ﴾: مفعول مطلق، عامله من غير لفظه، وجوز أبو البقاء اعتباره حالاً، فهو منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قالوا، أو يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ...﴾ إلخ، والجملة الفعلية المقدرة: (قالوا. . .) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ؛ الذي هو الموصول.

قال ابن هشام في مغنيه ذلك، وقال: ويحتمل: أن الخبر هنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ، فالقول المحذوف نصب على الحال، أو رفع خبراً أول، أو لا موضع له؛ لأنه بدل من الصلة. هذا كله إن كان (الذين) للكفار، والعائد: الواو. فإن كان للمعبودين: عيسى، والملائكة، والأصنام، والعائد محذوف؛ أي: اتخذوهم؛ فالخبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ﴾ وجملة القول حال، أو بدل؛ أي: من جملة الصلة، انتهى. بتصرف. ومثله في البيضاوي. هذا؛ وانفرد مكي بقوله: وقيل: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ رفع بفعل مضمر، تقديره: وقال الذين اتخذوا، وعليه فجملة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لهذا المقدر.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَحْكُمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِى مَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية: «يختلفون فيه» في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: «هم يختلفون فيه» صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تقدمت الأقوال التي قالها ابن هشام فيها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَٰذِبٌ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَفَّارٌ﴾: خبر ثان،

وفاعله مستتر فيه؛ لأنه صيغة مبالغة اسم الفاعل، وجملة: ﴿لَا يَهْدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل لما ذكر من حكم الله تعالى.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: كما زعموا. ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: إذ لا موجود سواه؛ إلا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين، ووجوب استناد ما عدا الوجوب إليه، ومن البين: أن المخلوق لا يماثل الخالق، فيقوم مقام الوالد له. انتهى. بيضاوي. وقال ابن كثير: أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، وهذا شرط لا يلزم وقوعه، ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه، وزعموه، كما قال عز وجل: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ رقم [١٧] من سورة (الأنبياء)، فهذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. انتهى.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ أي: تنزه جل وعلا، وتقدس عن الشريك، والولد؛ لأنه هو الإله الواحد الأحد، المنزه على النظير، والمثيل، القاهر لعباده بعظمته، وجلاله، قال في التسهيل: نزه الله تعالى نفسه من اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد؛ لكان من جنسه، ولا جنس له؛ لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار؛ ليدل على نفي الشركاء، والأنداد؛ لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكاً له؟!. انتهى. صفوة التفاسير.

هذا؛ و﴿يَشَآءُ﴾ ماضيه: شاء، فلم يرد له أمر، ولا لـ: أراد فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف. وأصل شاء: شَيِءَ على فعِلَ بكسر العين، بدليل شِئْتُ شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول: ﴿أَرَادَ﴾، حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل الآية؛ التي نحن بصدد شرحها، وآية (الأنبياء) المذكورة في الشرح، وقال الشاعر الخريمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكي دَماً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ ولكِنْ ساحةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

هذا؛ والإرادة نزوع النفس، وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به، ولذا اختلف في معنى إرادته سبحانه وتعالى، فقيل: إرادته لأفعاله: أنه غير ساه، ولا مكره. ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته. وقيل: علمه باشتمال الأمر على

النظام الأكمل، والوجه الأصلح، وهذا هو المقبول؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر.

الإعراب: ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَرَادَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَّوْ﴾. (اصطفى): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية جواب ﴿لَّوْ﴾، لا محل لها من الإعراب، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿يَخْلُقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية صلة، والعائد محذوف، التقدير: من الذي يخلقه. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به لـ: (اصطفى)، والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، وتقدير الكلام: لاصطفى من الذي يخلقه الذي يشاؤه.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، والأسماء بعده أخبار له متعددة. وقيل: ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، والاسمان بعده صفتان له. ولا أسلمه. والجملة الاسمية مستأنفة كالتي قبلها لا محل لها.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: هو الخالق للسموات والأرض، ولما بينهما من الأشياء، وهو مالك الملك، المتصرف فيه كيف يشاء، القادر على الكمال، المتصف بالعظمة والكبرياء، المستغني عن الصاحبة والولد، ومن كان هكذا؛ فحقه أن يفرد بالعبادة، لا أنه يشرك به. ونبه بهذا على أن له أن يتعبد العباد بما شاء، وقد فعل.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ...﴾ إلخ: يغشي، ويغطي كل واحد منهما الآخر، كأنه يلف عليه لف اللباس باللابس، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة، أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة. انتهى. بيضاوي. وقد روي عن ابن عباس في معنى الآية؛ قال: ما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل، وهو معنى قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة

(الأعراف) رقم [٥٤]: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾: ذللهما بالطلوع والغروب لمنافع العباد، ولمعرفة الشهور، والفصول، والأعوام.

هذا؛ وذكر الله من آثار قدرته، ودلائل عظمته أمرين: أحدهما: إشارة إلى اتحاد الذات. والثاني: إشارة إلى اتحاد الصفات، وهي الحركة في الشمس، والقمر، وذكر في السموات، والأرض الخلق، وفي الشمس، والقمر التسخير؛ لأن مجرد خلق الشمس، والقمر ليس حكمة، فإن الشمس لو كانت مخلوقة، بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك؛ ما حصل الليل، والنهار، ولا الصيف، والشتاء، وكذلك القمر لولا زيادته، ونقصانه، ونوره، ومحاقه؛ لما أمكن معرفة الشهور، وعددها، لذا فالحكمة حينئذ إنما هي في تحريكهما، وتسخيرهما. ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ أي: يجري في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا، وهو يوم القيامة؛ لأن جريان الشمس، والقمر لا ينقطع إلا حينئذ، ودل أيضاً بالليل، والنهار، وتعاقبهما، وزيادتهما، ونقصانهما، وجري النيرين في فلكيهما، كل ذلك يدل على تقدير، وحساب، وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على قدرته، وحكمته.

فإن قلت: ﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾، و(يجري إلى أجل مسمى)، أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع، ضيق العطن؛ لأن قولك: (يجري إلى أجل مسمى) معناه يبلغه، وينتهي إليه، وقولك: ﴿يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ تريد يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى، ألا ترى: أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين غير نابٍ به موضعه. انتهى. كشاف في غير هذا الموضع.

﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ أي: هو جل وعلا كامل القدرة، لا يغلبه شيء، عظيم الرحمة والمغفرة، والإحسان. قال الصاوي: صدرت الجملة الاسمية بحرف التنبيه بـ: ﴿أَلَآ﴾ للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها، كأنه قال: تنبهوا يا عبادي، فإني أنا الغالب على أمري، الستار لذنوب خلقي، فأخلصوا عبادتكم، ولا تشركوا بي أحداً. انتهى. صفوة التفاسير.

الإعراب: ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله تقديره: «هو». ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: ملتبساً بالحق، أو من المفعول، التقدير: ملتبسين بالحق، وأجيز تعليقهما بالفعل قبلهما. وهو قول الجلال. ﴿يُكَوِّرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يُكَوِّرُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال، من فاعل ﴿خَلَقَ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط،

وجملة ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ معطوفة عليها، على الوجهين المعتبرين فيها، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وكذلك جملة: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ معطوفة عليها، وانظر ما ذكرته في الآية التالية من أوجه.

﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، جوز الابتداء به الإضافة المقدرة؛ إذ التقدير: كلهم. ﴿يَجۡرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿كُلٌّ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِأَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة: (أجل) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿أَلَا﴾: انظر مثلها في الآية رقم [٣]، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾: وهو آدم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ أي: حواء عليها السلام كقوله تعالى في الآية الأولى من سورة (النساء): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾. قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: نوع استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبدوءاً من خلق الإنسان؛ لأنه أقرب، وأكثر دلالة، وأعجب، وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات: خلق آدم ـ عليه السلام ـ أولاً من غير أب وأم، ثم خلق حواء من قصيراه، ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما. انتهى. هذا؛ والمشهور: أن خلق حواء كان من ضلع من أضلاع آدم اليسرى، وهو ما يحكيه المفسرون، وتؤيده الأحاديث الشريفة، من ذلك ما يلي:

عن سمرة بن جُنْدُب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المرأةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، فإنْ أقمْتَهَا كسرْتَهَا، فدارها تعِشْ بها**». رواه ابن حبان في صحيحه، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بالنساءِ، فإنَّ المرأةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلع؛ وإنَّ أعوجَ ما في الضِّلَعِ أعلاهُ، فإنْ ذهبْتَ تقيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإن تركْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعوجَ، فاسْتَوصُوا بالنساء**». رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وخذ قول الشاعر: [الطويل]

هِيَ الضِّلَعُ العوجاءُ لسْتَ تقيمها ... ألَا إنَّ تقويمَ الضلوعِ انكسارُهَا

أتجمعُ ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضعفُهَا واقتِدارُهَا؟

ولكن هناك من يتبجح، ويقول: إن الله خلقها بدون واسطة، وهذا يعني: أن الله خلقها من تراب كما خلق آدم، ولهذا يقدرون مضافاً محذوفاً، فيقولون: الأصل من جنسها؛ أي: من البشر. وهذا مردود عليهم بما ذكرت، وانظر ما ذكرته في سورة (غافر) رقم [٢٥] بشأن حواء أم البشر، وانظر أيضاً سورة (الشورى) رقم [١١].

هذا؛ وقال سليمان الجمل: إن قلت: كيف عطف بـ: ﴿ثُمَّ﴾ مع أن خلق حواء من آدم سابق على خلقنا منه؟ أجيب بأن ﴿ثُمَّ﴾ هنا للترتيب في الأخبار لا في الإيجاد، أو المعطوف متعلق بمعنى: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾، فـ: ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة عليه لا على: ﴿خَلَقَكُم﴾، فمعناه: ﴿خَلَقَكُم﴾، من نفس واحدة أفردت بالإيجاد، ثم شفعت بزوج. أو هو معطوف على: ﴿خَلَقَكُم﴾، لكن المراد بخلقهم خلقهم يوم أخذ الميثاق عليهم دفعة، لا على هذا الخلق، الذي هم فيه الآن بالتوالد، والتناسل، وذلك؛ لأن الله خلق آدم عليه السلام، ثم أخرج أولاده من ظهره كالذَّر، وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منه حواء. انتهى. نقلاً من كرخي.

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالاً على وحدانيته، وقدرته، وتشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم، وخلق حواء من قُصَيْراه؛ إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيري رجل، فكانت أَدْخَلَ في كونها آية، وأجلب لعجب السامع فعطفها بـ: ﴿ثُمَّ﴾ على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلاً، ومزيةً، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال، والمنزلة، لا من التراخي في الوجود.

وقال غيره: المعطوف متعلق بمعنى: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾، فـ: ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة عليه، لا على: ﴿خَلَقَكُم﴾. فمعناه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، أفردت بالإيجاد، ثم شفعت بزوج، فكانت هاهنا على بابها لتراخي الوجود.

وقد أوردها ابن هشام شاهداً على أن قوماً خالفوا في معناها، وهو الترتيب تمسكاً بها، فقال: والجواب على الآية من خمسة أوجه: أحدها: أن العطف على محذوف؛ أي: من نفس واحدة، أنشأها، ثم جعل منها زوجها. الثاني: أن العطف على واحدة على تأويلها بالفعل؛ أي: من نفس توحدت؛ أي: انفردت ثم جعل منها زوجها. الثالث: أن الذرية أخرجت من ظهر آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كالذر، ثم خلقت حواء من قصيراه. الرابع: أن خلق حواء من آدم لما لم تجر عادة بمثله؛ جيء بـ: ﴿ثُمَّ﴾ إيذاناً بترتبه، وتراخيه في الإعجاب، وظهور القدرة، لا لترتيب الزمن، وتراخيه. الخامس: أن ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار، لا لترتيب الحكم، وأنه يقال: بلغني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس أعجبُ؛ أي: ثم أخبرك أن الذي صنعته أمس أعجب.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ أي: وخلق، وأوجد لكم من الأنعام المأكولة، وهي: الإبل والبقر والغنم والماعز، ثمانية أزواج من كل نوع ذكراً، وأنثى. قال قتادة: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كل واحد زوج. انتهى. وهذا ذكره الله في الآيتين رقم [١٤٣] و [١٤٤] من سورة (الأنعام) مفصلاً. هذا؛ والزوج ما معه آخر من جنسه لا ينفك عنه، ويحصل منهما التناسل، وكذا يطلق على الاثنين، فهو مشترك، والمراد هنا: الإطلاق الأول، وسميت أزواجاً؛ لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر. هذا؛ وقال البيضاوي في معنى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾: وقضى، أو قسم لكم، فإن قضاياه، وقسمه توصف بالنزول من السماء؛ حيث كتب في اللوح المحفوظ، أو أحدث لكم بأسباب نازلة، كأشعة الكواكب، والأمطار. انتهى.

﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾: بيان لكيفية خلق ما ذكر من الأناسيِّ والأنعام، وإظهار لما فيها من عجائب القدرة، غير أنه غلَّب أولي العقل، وخصَّهم بالخطاب؛ لأنهم المقصودون بالتذكير، والعظة، والاعتبار، وما يتذكر إلا أولو الألباب، ومعنى ﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾: يخلقكم في بطون أمهاتكم أطواراً، كما قال تعالى في سورة (نوح) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [١٤]: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ فإن الإنسان يكون نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً إلى أن يتم خلْقُه، ثم ينفخ فيه الروح، فيصير خلقاً آخر. وهذا صريح قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ رقم [١٢] و [١٣] و [١٤].

﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. وقال أبو عبيدة: ظلمة صُلْب الرجل، وظلمة بطن المرأة، وظلمة الرحم. يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في الظلال: هي ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه الجنين، وظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم، ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة، وعين الله ترعى هذه الخليقة، وتودعها القدرة على النمو، والقدرة على التطور، والقدرة على الارتقاء، كما قدر لها بارئها.

هذا؛ وقد ذهب الصابوني مذهباً بعيداً، وذلك بقوله: ثبت علمياً: أن الجنين في بطن أمه محاط بثلاثة أغشية، وهذه الأغشية لا تظهر إلا بالتشريح الدقيق، وتظهر بالعين المجردة كأنها غشاء واحد، وهذه الأغشية هي التي تسمى: الغشاء المنباري، والخوربون، واللفائفي، هذا ما أثبته الطب الحديث، وقد جاء القرآن الكريم مؤيداً هذه الحقيقة العلمية، وذلك في سورة (الزمر) في قوله جل وعلا: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ...﴾ إلخ.

ففي هذه الآية معجزة علمية للقرآن، فقد أخبر: أن الجنين له ثلاثة أغشية أسماها ظلمات؛ لأن الغشاء حاجز، وحجاب يحجز عنه النور، والضياء، وهي في العلم الحديث ثلاثة أغشية. أقول: لا حاجة إلى هذا المذهب البعيد الذي ذهبه بعدما ذكرت لك من الأقوال في تفسير الظلمات.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ أي: الذي هذه أفعاله، فهو الخالق المبدع المصور، هو الله رب العالمين، ربكم ورب آبائكم الأولين، وهو الذي يستحق العبادة والتقديس والإجلال والتعظيم، لا ما تعبدونه من دونه من حجارة، وأوثان. ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: له الملك، والتصرف التام في الإيجاد، والإعدام. واللام مفيدة للملك الحقيقي، الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا هو، ولا رب لكم سواه. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة ما لا يخلق، ولا يضر، ولا ينفع، بل ولا يبصر، ولا يسمع... إلخ. هذا؛ وانظر شرح: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (الأحزاب)، وشرح: (زوج) في الآية رقم [١٠] من سورة (لقمان)، وشرح: «النفس» في الآية رقم [٢٨] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿خَلَقَكُم﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾، فلست مفنداً، وتكون «قد» قبلها مقدرة، كما تصلح أن تكون في محل خبر ثالث للضمير، وهذان الاعتباران يصحان إذا أردت اتصال الكلام بسابقه، وإن أردت انقطاعه؛ فالاستئناف أولى، وقل مثله في الآية السابقة. ﴿مِّن نَّفْسٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٰحِدَةٍ﴾: صفة، وجملة: ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَأَنزَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (أنزل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله أيضاً. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال مما بعدهما، كان صفة له... إلخ. ﴿ثَمَٰنِيَةَ﴾: مفعول به. و﴿ثَمَٰنِيَةَ﴾ مضاف، و﴿أَزْوَٰجٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَأَنزَلَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿يَخْلُقُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به. ﴿فِى بُطُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿بُطُونِ﴾ مضاف، و﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿خَلْقًا﴾: مفعول مطلق مؤكد لعامله. ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَلْقًا﴾، أو بمحذوف صفة له، وأجاز السمين تعليقهما بالفعل قبلهما. ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَلْقٍ﴾ قبلهما، ولا يجوز تعليقهما بـ: ﴿خَلْقًا﴾ المنصوب؛ لأنه مصدر مؤكد، فلا يعمل، ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله؛ لأنه قد تعلق به حرف مثله، ولا يتعلق حرفان متحدان لفظاً، ومعنًى إلا بالبدلية، أو العطف، فإن جعلت: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ بدلاً من: ﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بدل الاشتمال ـ لأن البطون مشتملة عليها، ويكون بدلاً بإعادة العامل ـ جاز ذلك، أعني تعلق الجارين بـ: ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾،

ولا يضر الفصل بين البدل، والمبدل منه بالمصدر؛ لأنه من تتمة العامل، فليس بأجنبي. انتهى. جمل نقلاً من السمين. هذا؛ و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿خَلْقٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ثَلَٰثٍ﴾: صفة: ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾. وجملة: ﴿يَخْلُقُكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر بالفعلين، فهي حال متداخلة، أو هي مستأنفة مبينة لكيفية خلق ما ذكر.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر أول. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر ثان، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثالث. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إن). ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: يجوز فيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتباره بدلاً من اسم: ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: اعتباره بدلاً من: ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: اعتباره بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأولى، والأقوى، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل رفع خبر للمبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وأجاز أبو البقاء اعتبار: ﴿رَبُّكُمْ﴾ نعتاً، أو بدلاً من لفظ الجلالة، واعتبار لفظ الجلالة بدلاً من: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾، والخبر الجملة الاسمية: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾. والإعراب الأول هو قول السمين.

﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً. . . إلخ. (أنى): اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب حال؛ عامله ما بعده. ﴿تُصْرَفُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ أي: إن تكفروا أيها الناس بعدما شاهدتم من آثار قدرته، وفنون نعمائه؛ فإن الله مستغن عنكم، وعن عبادتكم، كما حكى القرآن من قول موسى ـ عليه السلام ـ لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ رقم [٨] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٩٧]: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وفي الحديث القدسي: «**يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ**،

وآخِرَكُمْ، وإنْسَكُمْ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجلٍ؛ مَا نقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً». أخرج الحديث القدسي بطوله مسلم عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾: يعني: أن الله تعالى، وإن كان لا ينفعه إيمان، ولا يضره كفر، إلا أنه لا يرضى لعباده الكفر. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ فعلى هذا يكون عامّاً في اللفظ، خاصّاً في المعنى، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يريد، بعض عباد الله، وأجراه قوم على العموم، وقال: لا يرضى لأحد من عباده الكفر، ومعنى الآية لا يرضى الله لعباده أن يكفروا به، وهو قول السلف. قالوا: كفر الكافر غير مَرْضِيٍّ لله تعالى، وإن كان بإرادته؛ لأن الرضا عبارة عن مدح الشيء، والثناء عليه بفعله، والله لا يمدح الكفر، ولا يثني عليه، ولا يكون في ملكه إلا ما أراد، وقد لا يرضى به، ولا يمدح عليه، وقد بان الفرق بين الإرادة، والرضا. انتهى. خازن. وخذ قول اللَّقاني في جوهرته: [الرجز]

وقـــــدرةٌ إرادةٌ وغــــــايـــــــرَتْ أمـراً وعـلـمـاً والـرِّضـا كَـمَـا ثَـبَـتْ

قال الباجوري في شرح جوهرة التوحيد: فإن الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى، كالكفر الواقع من الكفار، فإنه تعالى أراده، ولا يرضى به. انتهى. ولقد سفه الزمخشري هنا سفاهة واضحة، فقال: ولقد تمحل بعض الغواة؛ ليثبت للهِ تعالى ما نفاه الله عن ذاته من الرضا لعباده الكفر، فقال: هذا من العام الذي أريد به الخاص، وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ يريد المعصومين، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾. تعالى الله عما يقول الظالمون. وابتدأ قوله: أي: يرضى لكم الشكر؛ لأنه سبب فوزكم، وفلاحكم، فإذاً ما كره كفركم، ولا رضي شكركم إلا لكم، ولصلاحكم، لا لأن المنفعة ترجع إليه؛ لأنه الغني؛ الذي لا يجوز عليه الحاجة. انتهى. بتصرف.

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: وإن تشكروا ربكم؛ يرض هذا الشكر منكم. بمعنى: يتقبله، ويثيبكم عليه؛ لأجل منفعتكم، لا لانتفاعه بطاعتكم. قال أبو السعود: عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم، ودفع مضرتهم، رحمة بهم لا لتضرره تعالى بذلك، ورضاه بشكرهم لأجلهم، ومنفعتهم؛ لأنه سبب فوزهم بسعادة الدارين، ولهذا فرق بين اللفظين، فقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وقال هنا: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأن المراد بالأول تعميم الحكم، ثم تعليله بكونهم عباده. انتهى. صفوة التفاسير. هذا؛ والفعل: «شكر» يتعدى بنفسه وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له، وانظر (الشكر) في الآية رقم [١٣] من سورة (سبأ) والمحال عليها في سورة (لقمان)، وسورة (النمل)، ولا تنس الطباق، والمقابلة بين: تكفروا وتشكروا.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٨] من سورة (فاطر) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فيخبركم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا، ويجازيكم عليها. وخذ قول أبي العتاهية الصوفي ـ رحمه الله تعالى ـ: [الوافر]

فَـلَـوْ أَنَّـا إذا مِـتْـنَـا تُـرِكْـنَـا ... لَـكَـانَ الـمـوتُ راحـةَ كـلِّ حـيِّ

ولـكِـنَّـا إذَا مِـتْـنَـا بُـعِـثْـنَـا ... ونُـسْـأَلُ بَـعْـدَ ذَا عَـنْ كـلِّ شَـيِّ

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: إن الله عليم بما في صدور عباده من نية حسنة، أو نية خبيثة، فيفعل بهم على حسب ما تكنه صدورهم من غدر، وخيانة، وتبييت للشر، وغير ذلك. وانظر شرح (النبأ) في الآية رقم [٢١] من سورة (صۤ).

هذا؛ و(ذات) بمعنى: صاحبة، فجعلت صاحبة الصدور لملازمتها لها، وعدم انفكاكها عنها، نحو قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ و﴿أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾. هذا؛ وذات: مؤنث: «ذو» الذي بمعنى: صاحب، وقد يثنى على لفظه، فيقال: ذاتا، أوْ ذَاتَيْ، كذا من غير رد لام الكلمة، وهو القياس، كما يثنى: «ذو» بـ: ذوا، أو: ذَوَيْ على لفظه، ويجوز فيها: (ذَوَاتَا) على الأصل برد لام الكلمة، وهي الياء ألفاً لتحرك العين، وهي الواو قبلها، وهو الكثير في الاستعمال، قال تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ رقم [٤٨] من سورة (الرحمٰن)، وقال تعالى: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ رقم [١٦] من سورة (سبأ).

هذا؛ والتاء في: (ذات) لتأنيث اللفظ، مثل تاء: (ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، ولَاتَ) ولكنها تعرب بالحركات الظاهرة على التاء، فالجر كما في الآية الكريمة، ومثلها كثير، والرفع جاء في قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ رقم [١١] من سورة (الرحمٰن)، والنصب جاء في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سورة (تبت)، وكل معانيها في القرآن الكريم: صاحبة إلا في موضعين، فإنها جاءت بمعنى: الجهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ وقد رأيت تثنيتها في الآيتين المذكورتين في حالتي النصب، والجر، ولم ترد في القرآن الكريم بمعنى: الجمع. هذا؛ ولم يتعرض النحويون لها بهذا المعنى مع كثرة تعرضهم لـ: (ذي) بمعنى: صاحب، وتثنيته، وجمعه، ولكنهم ذكروا (ذات) بمعنى: التي، و(ذوات) بمعنى: اللواتي، وذلك في مبحث الاسم الموصول، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَكَـالَّـتِـي أَيْـضـاً لَـدَيْـهِـمْ ذاتُ ... وَمَـوْضِـعُ الـلَّاتِـي أَتَـى ذَوَاتُ

قال الأشموني: أي: عند طيئ ألحقوا بـ: «ذو» تاء التأنيث مع بقاء البناء على الضم، حكى الفراء: «بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله به». وقريب منه لابن هشام في أوضحه، وكلاهما أورد بيت رؤبة: [الرجز]

جَـمَـعْـتُـهَـا مِـنْ أَيْـنُـقٍ مَـوَارِقِ ... ذَوَاتُ يَـنْـهَـضْـنَ بِـغَـيْـرِ سَـائِـقِ

والفرق بين الأولى، والثانية: أن الأولى لا تكون إلا مضافة لما بعدها كما رأيت، بخلاف الثانية؛ فإنها لا تضاف؛ لأنها معرفة بالصلة؛ التي تذكر بعدها، كما في بيت رؤبة. تنبه لهذا؛ وافهمه، فإنه معنى دقيق. واسأل الله لي المزيد من التوفيق. هذا؛ وأضيف: أن جمع ذات: ذوات من لفظه، كما يجمع: أولات من غير لفظه، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ رقم [٤] من سورة (الطلاق)، كما يجمع المذكر (ذو) بمعنى: صاحب: (أولو) من غير لفظه، وهو كثير في القرآن الكريم.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَكْفُرُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، تقديره: بالله. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَنِيٌّ﴾: خبرها. ﴿عَنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿غَنِيٌّ﴾؛ لأنه صفة مشبهة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وجملة: «تكفروا بالله» لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَرْضَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لِعِبَادِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْكُفْرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب الشرط، واعتبارها حالاً من لفظ الجلالة جائز، والرابط: الواو، والضمير؛ لأن الجملة الفعلية المنفية بـ: «لا» يجوز وقوعها حالاً.

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ﴾: إعرابه مثل سابقه، والمفعول محذوف. ﴿يَرْضَهُ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَزِرُ﴾: فعل مضارع. ﴿وَازِرَةٌ﴾: فاعله. ﴿وِزْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أُخْرَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَّرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف مضاف إليه، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ينبئكم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، تقديره: «هو»، والكاف مفعول به. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان

بما قبلهما، وهما مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فينبئكم بالذي، أو: بشيء كنتم تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فينبئكم بعملكم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبره، وجملة: ﴿فَيُنَبِّئُكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلِيمٌۢ﴾: خبرها. ﴿بِذَاتِ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌۢ﴾. و(ذات) مضاف، و﴿ٱلصُّدُورِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية تعليل، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ أي: الكافر. ﴿ضُرٌّ﴾: شدة، وبلاء، من فقر، أو مرض، ونحو ذلك. ﴿دَعَا رَبَّهُۥ﴾: لجأ إليه بالدعاء، والتضرع. ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: مقبلاً عليه، مخبتاً، مطيعاً، معرضاً عن الآلهة الفاسدة؛ لعلمه: أن لا قدرة لها على دفع الضر، ولا قدرة لها على جلب المنفعة. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ أي: أعطاه وملّكه، وفرج كربته، يقال: خولك الشيء؛ أي: ملكك إياه، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد قول زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوِلُوا ... وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا

معنى ييسروا يغلوا: أي: إذا قامروا بالميسر يأخذون سمان الإبل، فيقامرون عليها. وخَوَلُ الرجل: خدمه وحشمه، قال أبو النجم العجلي: [الرجز]

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ، وَلَمْ يُبَخَّلِ ... كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ الْمُخَوَّلِ

﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر عنه، فـ: ﴿مَا﴾ على هذا الوجه لله عز وجل، وهي بمعنى: الذي، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ وقيل: بل المراد نسي الضر الذي كان يدعو ربه لكشفه، وتمرد، وطغى. وقيل: المعنى: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل، فـ: ﴿مَا﴾ على هذا مصدرية. ومعنى هذه الآية متكرر في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى في سورة (يونس) رقم [١٢]: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾، وقوله تعالى في سورة (لقمان) [٣٢]: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...﴾ إلخ وغير ذلك كثير.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: شركاء في العبادة، جمع ند، وهو المقاوم المضاهي، سواءٌ كان مثلاً، أو ضداً، أو خلافاً. وقيل: هو الضد. وقيل: هو الكفء، والمثل. ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: يقرأ بضم الياء من الرباعي، فمفعوله محذوف، ويقرأ بفتح الياء من الثلاثي، فيكون لازماً، وانظر الآية رقم [٧١] من سورة (الصافات)، والمراد بسبيله: دينه الذي ارتضاه الله لنفسه كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾. هذا؛ والسبيل: الطريق يذكر، ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سُبُل بضمتين، وقد تسكن الباء، كما في رسُل وعُسُر ويُسُر، قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: رُحْم، وحُلْم، وأسْد. انتهى.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أي: قل يا محمد لمن هذه حالته، وطريقته، ومسلكه: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ﴾ وهو تهديد شديد، ووعيد أكيد، كقوله تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾. هذا؛ والتمتع: التلذذ بالشيء، والانتفاع به، ومثله: الاستمتاع، والاسم: المتعة، فهنيئاً لمن تمتع، واستمتع بالحلال! وويل، ثم ويل لمن تمتع، واستمتع بالحرام! هذا؛ والمتعة بكسر الميم، وضمها اسم للتمتيع، والزاد القليل، وما يتمتع به من الصيد، والطعام، واللباس، والشراب، ومتعة المرأة: ما وصلت به بعد الطلاق من نحو قميص، وإزار، وملحفة، قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. هذا؛ والمراد: من الآية الأمر للكافر بأن يتمتع بدنياه قليلاً، أو بعبادته الأوثان، أو باتباعه الأهواء، فإنها من قبيل الشهوات؛ التي يتمتع بها. وفي التهديد بصيغة الأمر إيذان بأن المهدَّدَ عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدَّدِ به. هذا؛ ولا تنس الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وانظر الآية رقم [١٣٧] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَسَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿ضُرٌّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿دَعَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾. ﴿رَبَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مُنِيبًا﴾: حال من فاعل: ﴿دَعَا﴾ المستتر، وفاعله مستتر فيه؛ لأنه اسم فاعل. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُنِيبًا﴾، وجملة: ﴿دَعَا...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَا﴾: مثل سابقتها. ﴿خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً﴾: ماض، ومفعولاه، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِّنۡهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَوَّلَهُۥ﴾، أو بمحذوف صفة: ﴿نِعۡمَةً﴾. ﴿نَسِيَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾. ﴿يَدۡعُوٓاْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَدۡعُوٓاْ﴾. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: متعلقان بالفعل ﴿يَدۡعُوٓاْ﴾ أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وبني ﴿قَبۡلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنًى، وجملة: ﴿كَانَ يَدۡعُوٓاْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المجرور محلاً بـ: (إلى). هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، و(إذا) ومدخولها معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (جعل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَندَادًا﴾، كان صفة له... إلخ، أو هما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿أَندَادًا﴾: مفعول به. ﴿لِّيُضِلَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (جعل). ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَجَعَلَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (إذا)، لا محل لها مثله.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿تَمَتَّعۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت» أيضاً، الأول خطاب للنبي ﷺ، والثاني خطاب للإنسان الكافر. ﴿بِكُفۡرِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: تمتع تمتيعاً قليلاً، أو صفة زمان محذوف، التقدير: تمتع زماناً قليلاً، وجملة: ﴿تَمَتَّعۡ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، و﴿أَصۡحَٰبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها، وهي من جملة مقول القول.

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾

الشرح: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾: خاضع مطيع لله خاشع له، و﴿قَٰنِتٌ﴾ قائم بوجائب الطاعات، ووظائفها، ومنه قول النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**». وهو القيام فيها، ومنه: القنوت

في الوتر؛ لأنه دعاء المصلي قائماً، ويقرأ بتخفيف الميم وتشديدها، ففي الأول وجهان انظرهما في الإعراب، وفي الثاني، التقدير: أم من. وفي (أم) وجهان: متصلة، أو منقطعة. ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعات الليل، وأوقاته، وواحد ﴿ءَانَآءَ﴾: أَنَى بفتح الهمزة، والنون، أو: إِنَى بكسر الهمزة وفتح النون، أو: أَنْي بالفتح والسكون، وإِنْي بالكسر والسكون. ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾: فيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه، وذلك؛ لأن الليل أستر، فيكون أبعد عن الرياء، ولأن ظلمة الليل تجمع الهم، وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء، وإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية؛ رجع إلى المطلوب الأصلي، وهو الخشوع في الصلاة، ومراقبة من يصلي له. وقيل: لأن الليل وقت النوم، ومظِنَّة الراحة، فيكون قيامه أشق على النفس، فيكون الثواب فيه أكثر.

هذا؛ وفي هذا الكلام فائدة، وهي: أنه قال في مقام الخوف: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ فلم يضف الحذر إليه تعالى، وقال في مقام الرجاء: ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل، وأولى أن ينسب إلى الله تعالى. ويعضد هذا ما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال له: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله يا رسول الله! وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ، إلَّا أعطاهُ اللهُ تعالى ما يرجوهُ منهُ، وآمَنَهُ ممَّا يخافُ**». أخرجه الترمذي. انتهى. خازن. هذا؛ ولا تنس الطباق، والمقابلة بين ﴿يَحۡذَرُ﴾ و(يرجو).

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: ما عند الله من الثواب، والعقاب. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾: ذلك، فحذف مفعولي الفعلين للتعميم. وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ عمار، وأصحابه. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ أبو حذيفة المخزومي ومن على شاكلته. وقيل: افتتح الله الآية بالعمل، وختمها بالعلم؛ لأن العمل من باب المجاهدات، والعلم من باب المكاشفات، وهو النهاية، فإذا حصلا للإنسان، دل ذلك على كماله، وفضله.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: إنما يعتبر، ويتعظ أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة، وانظر الآية رقم [٢٩] من سورة (صٓ). هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: الكلام نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم. وقيل: هو تقرير للأول على وجه التشبيه؛ أي: كما لا يستوي العالمون، والجاهلون؛ ولا يستوي القانتون، والعاصون. انتهى.

هذا؛ واختلف في تعيين القانت هاهنا. فذكر يحيى بن سلام: أنه رسول الله ﷺ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية الضحاك عنه: هو أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: هو عثمان ـ رضي الله عنه ـ. وقال مقاتل: إنه عمار بن ياسر. وقال الكلبي:

صهيب، وأبو ذر وابن مسعود. وعن الكلبي أيضاً أنه مرسل فيمن كان على هذه الحال. انتهى. قرطبي، أقول: والأخير عن الكلبي هو المعتمد إن شاء الله؛ ليعم المؤمنين إلى يوم القيامة.

وينبغي أن تعلم: أن الفعل: «يستوي» من الأفعال التي لا يكتفى فيها بواحد، فلو قلت: استوى زيد لم يصح، فمن ثم لزم العطف على الفاعل، أو تعدده. هذا؛ ولا تنس المقابلة بين: ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ و(الذين لا يعلمون)، وهي من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿أَمَّنۡ﴾: قال السمين: يقرأ بتخفيف الميم، وتشديدها، فأما الأولى ففيها وجهان: أحدهما أنها همزة الاستفهام دخلت على من بمعنى: الذي، والاستفهام للتقرير، ومقابله محذوف، تقديره: أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً؟! أو: أمن هو قانت كغيره؟! أو التقدير: أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا﴾؟! ويدل عليه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فحذف خبر المبتدأ، أو ما يعادل المستفهم عنه، والتقديران الأولان أولى لقلة الحذف.

والثاني: أن تكون الهمزة للنداء، و(من) منادى، ويكون المنادى هو النبي ﷺ، وهو المأمور بقوله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ كأنه قال: يا من هو قانت قل: كيت، وكيت. وأما القراءة الثانية؛ فهي (أم) داخلة على (من) موصولة أيضاً، فأدغمت الميم في الميم، وفي (أم) حينئذ قولان: أحدهما: أنها متصلة، ومعاد لها محذوف، تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانت؟! والثاني: أنها منقطعة، فتقدر بـ «بل» والهمزة؛ أي: بل أمن هو قانت كغيره، أو الكافر المقول له: تمتع بكفرك. انتهى. جمل.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿قَٰنِتٌ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر تقديره: «هو». ﴿ءَانَآءَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿قَٰنِتٌ﴾، والجملة الاسمية صلة الموصول على جميع الاعتبارات السابقة، و﴿ءَانَآءَ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّيۡلِ﴾ مضاف إليه. ﴿سَاجِدٗا﴾: حال من الضمير المستتر بـ: ﴿قَٰنِتٌ﴾، ﴿وَقَآئِمٗا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿يَحۡذَرُ﴾: فعل مضارع والفاعل يعود إلى: ﴿قَٰنِتٌ﴾. ﴿ٱلۡأٓخِرَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿قَٰنِتٌ﴾. فهي حال متكررة، وأجيز اعتبارها مستأنفة كما أجيز اعتبارها حالاً ثانية، والأول أقوى، وجملة: ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ معطوفة عليها. هذا؛ وقرئ (ساجد) و(قائم) بالرفع على اعتبارهما خبرين لمبتدأين محذوفين، التقدير: هو ساجد، وهو قائم، والجملة الاسمية على هذا في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿قَٰنِتٌ﴾.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام. ﴿يَسۡتَوِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة بعده صلته، والمفعول محذوف للتعميم، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ هَلۡ...﴾ إلخ

مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: فعل مضارع. ﴿أُوْلُوا﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلُوا﴾ مضاف، و﴿الْأَلْبَابِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

تنبيه: قال ابن هشام في المغني: إذا تعلق الإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليهما، ولا يذكر المفعول، ولا يُنْوى؛ إذ المنوي كالثابت، ويسمى محذوفاً؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ إذ المعنى: ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة، وهل يستوي من يتصف بالعلم، ومن ينتفي عنه العلم، وأوقعوا الأكل والشرب، وذروا الإسراف، وإذا حصلت منك رؤية هنالك، ومنه على الأصح قوله تعالى في سورة القصص الآية رقم [٢٣]: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي....﴾ ألا ترى: أنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما؛ إذ كانتا على صفة الذياد، وقومهما على السقي، لا لكون مذودهما غنماً ومسقيهم إبلاً، وكذلك المقصود من قولها: (نسقي) السقي، لا المسقي، ومن لم يتأمل؛ قدَّر: يسقون إبلهم، تذودان غنمهما، ولا نسقي غنمنا. انتهى.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الإيمان الصحيح، وهو: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان. قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى**». والإيمان يزيد، وينقص على المعتمد، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) وله شعب كثيرة هي سبع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وهو بفتح الهمزة جمع: يمين بمعنى: الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه، واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع على: أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، ولا يجمع بالمعنى الأول؛ لأنه مصدر.

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: خافوه، واعبدوه، فهو أمر من التقوى، وهي: حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من: الوقاية، وهي: الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا، والآخرة، وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة) وأصل: «اتقوا»: اوْتَقُوا، قلبت الواو تاء، وأدغمت التاء في التاء مثل: اتصل،

أصله: اوْتَصَلَ. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المراد بهذا الأمر جعفر بن أبي طالب، والذين خرجوا معه إلى الحبشة. والأولى التعميم. وإن كان السبب خاصاً؛ فقد كان الغرض منها التأنيس لهم، والتنشيط للهجرة. هذا؛ وانظر: (قِهِمْ) في الآية رقم [٩] من سورة (غافر) وخذ ما يلي، وهو قول الشاعر: [الطويل]

إذَا الْمَرْءُ لَمْ يلبسْ ثِياباً مِنَ التُّقى ... تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وَلَوْ كَانَ كاسِيَا

وخَيْرُ لباسِ المرءِ طاعَةُ رَبِّهِ ... وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ للهِ عَاصِيَا

ولأبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

يَوَدُّ المرءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ ... وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَا

يَقُولُ المرءُ فائدتي ومالِي ... وَتَقْوى اللهِ أكبرُ ما اسْتَفَادَا

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة. وقيل: المعنى للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا، تكون زيادة على ثواب الآخرة، والحسنة الزائدة في الدنيا: الصحة، والعافية، والعز، والرفعة، ينالها المؤمن إذا شكر تلك النعم، وقد تكون الحسنة في الدنيا: الثناء الحسن، وفي الآخرة: الجزاء. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٨] من سورة (الصافات) فهو جيد.

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي. وقيل: المراد: من أمر بالمعاصي في بلد؛ فليهرب منه. وقيل: المراد: أرض الجنة؛ رغبهم في سعتها، وسعة نعيمها، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ رقم [١٣٣] من سورة (آل عمران)، والجنة قد تسمى أرضاً، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ رقم [٧٤] الآتية. والأول أظهر، فهو أمر بالهجرة. انتهى. قرطبي.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: على البلاء، والطاعات، وعن المعاصي. وقيل: المراد هنا: الصائمون بدليل الحديث القدسي عن رب العزة: «**كُلُّ عَملِ ابنِ آدمَ له، إلا الصوْمَ فإنهُ لي، وأنا أجْزي بهِ**». ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير وزن، ولا كيل، ولا عدد، ولا مقياس، وإنما يُحْثى حثواً، ويُغْرف غَرفاً. وقال قتادة: لا والله ما هناك مكيال، ولا ميزان، حدثني أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**تُنْصَبُ الموازينُ يومَ القيامةِ، فيُؤْتى بأهل الصدقة، فيوَفَّوْنَ أجُورَهُمْ بالموازينِ، وكذلك الصلاةُ والحجُّ، ويُؤْتى بأهل البلاء، فلا يُنْصَبُ لهم ميزانٌ، ولا يُنْشَر لهمْ ديوانٌ، ويُصَبُّ عليهم الأجْرُ بغيْرِ حِسَابٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى أهل العافيةِ في الدُّنْيا أنَّ أجسادَهُمْ تُقْرَضُ بالمقاريض، مِمَّا يذهَبُ بِهِ أهلُ**

الْبَلَاءِ مِنَ الْفَضْلِ». هذا، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**يُؤْتَى بالشهيدِ يَوْمَ القيامةِ فيوقَفُ لِلْحِسَابِ، ثم يُؤْتَى بالمتصدِّقِ، فيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ، ثم يُؤْتَى بأهل البلاء، فلا يُنْصَبُ لهم ميزانٌ، ولا يُنْصَبُ لهمْ ديوانٌ، فَيُصَبُّ عليهم الأجرُ صبّاً؛ حتَّى إنَّ أهلَ العافيةِ ليَتَمَنَّوْنَ في الموقفِ: أَنَّ أجسادَهُمْ قُرِضَتْ بالمقاريضِ مِنْ حُسْنِ ثوابِ اللهِ**». رواه الطبراني في الكبير، وانظر ما ذكرته في آية (السجدة) رقم [٢٤].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف، تقديره: لهم. (يا): أداة نداء، تنوب مناب: أدعو. (عبادي): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، والقول المقدر، ومقوله في محل نصب مقول القول لقول آخر محذوف، وتقدير الكلام: قل لهم: ربكم يقول: يا عبادي، وهذا التقدير يرفع اللبس والإبهام المترتبين على هذا التركيب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة، أو بدل من (عبادي)، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱتَّقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول.

﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَحْسَنُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، التقدير: أحسنوا العمل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى هَٰذِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما على أن حسنة هي الجنة، والجزاء في الآخرة، أو هما متعلقان بـ: ﴿حَسَنَةٌ﴾ على القول بأنها في الدنيا. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿حَسَنَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية تعليل للأمر، وهي من جملة مقول القول. ﴿وَأَرْضُ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أرض): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٰسِعَةٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول على الوجهين المعتبرين في الواو.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُوَفَّى﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: نائب فاعل، وهو المفعول الأول مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿أَجْرَهُم﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَجْرَهُم﴾، و(غير) مضاف، و﴿حِسَابٍ﴾ مضاف إليه؛ والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ...﴾ إلخ: أي: قل يا محمد: أمرت بإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له. وإنما خص الله الرسول ﷺ بهذا الأمر؛ لينبه على أن غيره بذلك أحق، فهو كالترغيب للغير، وانظر الإخلاص في الآية رقم [٣]. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ...﴾ إلخ أي: وأمرت أيضاً بأن أكون أول المسلمين من هذه الأمة. قال القرطبي: وكذلك كان، فإنه أول من خالف دين آبائه، وخلع عبادة الأصنام، ثم حطمها، وأسلم وجهه لله، وآمن به، ودعا إليه. انتهى. قال الزمخشري - رحمه الله تعالى -: فإن قلت: كيف عطف (أمرت) على ﴿أُمِرْتُ﴾ وهما واحد؟ قلت: ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما، وذلك: أن الأمر بالإخلاص، وتكليفه شيء، والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء، وإذا اختلف وجها الشيء؛ ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين.

هذا؛ والفعل «أمر» من الأفعال التي تنصب مفعولين، الثاني منهما مجرور بحرف جر في الغالب، وجاء منصوباً في الشعر، كقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي: [البسيط]

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

ومثله: استغفر، واختار، وكنى، وسمَّى، ودعا، وزوَّج، وكال، ووزن، قال الشاعر: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبَادِ، إِلَيْهِ الْوَجْهُ والْقَبَلُ

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أُمِرْتُ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، و﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان للفعل أمر، أو هو منصوب بنزع الخافض، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أمرت بعبادة الله، هذه الاعتبارات تجوز في الأفعال التي ذكرتها في الشرح، وهي منقولة عن سيبويه، وغيره من العلماء، وجملة: ﴿أُمِرْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مُخْلِصًا﴾: حال من الفاعل المستتر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: أنا. ﴿لَّهُ﴾: جار ومجرور متعلقان به؛ لأنه اسم فاعل. ﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعول به.

﴿وَأُمِرْتُ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿أُمِرْتُ﴾: ماض، ونائب فاعله. ﴿لِأَنْ﴾: اللام: صلة مقحمة للتوكيد. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: أن، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿أَوَّلَ﴾: خبره، و﴿أَوَّلَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور. . . إلخ، و(أن) والفعل في تأويل مصدر، قل فيه مثل الأول على اعتبار اللام زائدة، وطرحها من الكلام، وجملة: ﴿وَأُمِرْتُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. هذا؛ ولا يجوز

اعتبار اللام أصلية جارة؛ لأن المعنى لا يؤيده. هذا؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٧١]: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ورقم [٢٦] من سورة (النساء): ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ...﴾ إلخ، ورقم [٣٣] من سورة (الأحزاب): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ...﴾ إلخ، وقد أجيز في هذه الآيات اعتبار اللام جارة، واعتبارها زائدة، انظرها في محالها، ومثل هذه الآيات قول كثير عزة، وهو الشاهد رقم (٣٩٤) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا ... تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بترك الإخلاص، والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك، والرياء، وذلك: أن كفار قريش قالوا له ﷺ: ما حملك على هذا الذي أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك، وجدك، وقومك، فتأخذ بها؟ فأنزل الله هذه الآية. ومعناها: زجر الغير عن المعاصي؛ لأنه ﷺ مع جلالة قدره، وشرف طهارته، ونزاهته، ومنصب نبوته؛ إذا كان خائفاً حَذِراً من المعاصي؛ فغيره أولى. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: المراد به يوم القيامة، وصف بالعظم لعظمة ما فيه. ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ...﴾ إلخ: ليس هذا بتكرار؛ لأن الأول الإخبار بأنه مأمور من جهة الله تعالى بالإتيان بالعبادة والإخلاص، والثاني: أنه إخبار بأنه أمرٌ بأن يخص الله تعالى وحده بالعبادة، ولا يعبد أحداً غيره، مخلصاً له دينه؛ لأنَّ قوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ لا يفيد الحصر، وقوله: ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ يفيد الحصر، والمعنى الله أعبد، ولا أعبد أحداً غيره، ثم أتبعه بما يلي:

هذا؛ وقال الجمل نقلاً عن أبي السعود: أمر رسول الله ﷺ أولاً بأن يخبرهم بأنه مأمور بالعبادة، والإخلاص فيها، وثانياً بأن يخبرهم بأنه مأمور بأن يكون أول من أطاع، وانقاد وأسلم، وثالثاً بأن يخبرهم بخوفه من العذاب على تقدير العصيان، ورابعاً بأن يخبرهم بأنه امتثل الأمر، وانقاد، وعبد الله تعالى، وأخلص له الدين على أبلغ وجه، وأوكده، إظهاراً لتصلبه في الدين، وحسماً لأطماعهم الفارغة، وتمهيداً لتهديدهم، بقوله: ﴿فَٱعْبُدُواْ...﴾ إلخ. انتهى.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿عَصَيْتُ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿رَبِّي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية لا محل لها؛

لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، دل عليه ما قبله، والجملة الشرطية معترضة بين الفعل، ومفعوله، وهو: ﴿عَذَابَ﴾، وهو مضاف، و﴿يَوۡمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: ﴿يَوۡمٍ﴾. هذا؛ والآية مذكورة بحروفها في (الأنعام) برقم [١٥].

﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول مقدم. ﴿أَعۡبُدُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿مُخۡلِصٗا﴾: حال من الفاعل المستتر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنا». ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿دِينِي﴾: مفعول به لـ: ﴿مُخۡلِصٗا﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم...إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾

الشرح: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾: ليس هذا أمراً، بل المراد منه: الزجر والتهديد والتوبيخ، مثل قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ رقم [٤٠] من سورة (فصلت)، والآية رقم [٣٩] الآتية، وقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ﴾ رقم [١٣٥] من سورة (الأنعام)، و[٩٣] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والمعنى للكل: اعملوا، واعبدوا ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام، فسوف ترون عاقبة كفركم، وعبادتكم الباطلة! وقيل: الآية منسوخة بآية السيف، وليس وجيهاً، فإن حكمها عام إلى يوم القيامة بالنسبة للفاجرين، والفاسقين، والظالمين. ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ...﴾ إلخ: قال ميمون بن مهران عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ليس من أحد إلا وقد خلق الله له زوجة في الجنة، فإذا دخل النار؛ خسر نفسه، وأهليه. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: فمن عمل بطاعة الله؛ كان له ذلك المنزل، والأهل إلا ما كان له قبل ذلك.

هذا؛ وقد قيل في تفسير ﴿ٱلۡخُسۡرَانُ﴾: إنه جُعِلَ لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة؛ جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة، وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار، فذلك هو الخسران؛ وأي خسران أعظم من هذا الخسران؟! هذا؛ ولقد وصف الله خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ حيث صدر الجملة بـ: ﴿أَلَآ﴾ التي هي للتنبيه، ووسط الفصل بين المبتدأ، والخبر، وعرف الخسران، ونعته بالمبين؛ لأنهم استبدلوا بالجنة ناراً، وبالدرجات دركات. انتهى. نسفي. وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا لهُ منزلانِ: منزلٌ في الجنةِ، ومنزلٌ في النَّارِ، فإذا مَاتَ، فدخلَ النارَ، وَرِثَ أهلُ الجنةِ مَنْزِلَهُ، فذَلِكَ قولُهُ تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾».

الإعراب: ﴿فَٱعۡبُدُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة، ولا وجه له قطعاً. (اعبدوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿شِئۡتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. والعائد الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَٱعۡبُدُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿خَسِرُوٓاْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾: مفعول به. ﴿وَأَهۡلِيهِمۡ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿يَوۡمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَا﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو بدل من اسم الإشارة، وعليهما فالخسران خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ، و﴿ٱلۡخُسۡرَانُ﴾ خبره، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: صفة: ﴿ٱلۡخُسۡرَانُ﴾.

﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُم﴾: للخاسرين. ﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أطباق، وسرادقات، جمع ظلة، بمعنى: المظلة، وهي ما يوضع فوق الرأس وقاية من الشمس، أو المطر. ﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ أي: فرش، ومهاد؛ أي: تحيط بهم النار من جميع الجهات، والجوانب، وفي توجيه قوله تعالى: ﴿وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ أقوال: الأول: أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر. الثاني: أن الذي تحته من النار، يكون ظلة لآخر تحته في النار؛ لأنها دركات. الثالث: أن الظلة التحتانية، لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الإيذاء، والحرارة؛ سميت باسمها لأجل المماثلة، والمشابهة. انتهى. خازن بتصرف. هذا؛ وإطلاق الظلة على النار تهكم؛ لأنها محرقة، والظلة تقي من الحر.

هذا؛ وهذه الآية مثل قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٤١]: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٥٥]: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾. هذا؛ ولا تنس الطباق بين: ﴿فَوْقِهِمْ﴾ و﴿تَحْتِهِمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾: المؤمنين؛ لأنهم إذا سمعوا حال الكفار في الآخرة؛ خافوا، فأخلصوا التوحيد، والطاعة لله. ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾: ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي، خوفهم بالنار، ثم حذرهم نفسه. والإضافة بـ: ﴿عِبَادَهُ﴾ و(عبادي) إضافة تشريف، وتكريم للمؤمنين الصادقين، وانظر الآية رقم [٨١] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، ويجيز بعضهم أن يكونا متعلقين بمحذوف حال من: ﴿ظُلَلٌ﴾، على أن بعضهم يمنع مجيء الحال من المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ظُلَلٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنَ النَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ظُلَلٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وحذف متعلق ﴿ظُلَلٌ﴾ لدلالة ما قبله عليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿يُخَوِّفُ﴾: فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِبَادَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَا عِبَادِ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (عباد): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وياء المتكلم المحذوفة في محل جر بالإضافة، والجملة الندائية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: بقوله، أو يقول: يا عبادي فلست مفنداً، والمعنى: يؤيده. ﴿فَاتَّقُونِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اتقون): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً؛ فاتقونِ، والكلام في محل نصب مقول القول، كما رأيت.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾: ابتعدوا عن عبادة الطاغوت. قال الأخفش: الطاغوت: جمع، ويجوز أن يكون واحدة مؤنثة؛ أي: تباعدوا من الطاغوت، وكانوا منها على جانب، فلم يعبدوها. قال مجاهد، وابن زيد: هو الشيطان. وقال الضحاك، والسدي: هي

الأوثان. وقيل: إنه الكاهن. وقيل: إنه اسم أعجمي، مثل: طالوت، وجالوت، وهاروت، وماروت. وقيل: إنه اسم عربي مشتق من الطغيان، انتهى. قرطبي. هذا؛ والطاغوت هو كل ما عبد من دون الله، أو صد عن عبادة الله تعالى، وهو يطلق على المفرد والجمع والمذكر، والمؤنث، واشتقاقه من طغى يطغى، أو من طغا يطغو. ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: رجعوا إلى الله بالتوبة والإنابة، ورجعوا إلى طاعته وعبادته.

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ أي: في الدنيا، وفي الآخرة، أما في الدنيا؛ فالثناء عليهم بصالح أعمالهم، وعند الموت، وعند النزول في القبر. وأما في الآخرة؛ فعند الخروج من القبر، وعند الوقوف للحساب، وعند جواز الصراط، وعند دخول الجنة، وفي الجنة. ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير، والراحة، والرحمة، والروح، والريحان. انتهى. خازن. وقد تقدم هذا المعنى كثيراً، قال تعالى في سورة (النحل): ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾ رقم [٣٢]، وقال في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ رقم [٦٤]. ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ أي: المؤمنين، الذين وصفهم الله في الآية التالية.

هذا؛ وقال زيد بن أسلم: نزلت الآية الكريمة في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر، وسلمان الفارسي. وروي: أنها نزلت في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير ـ رضي الله عنهم ـ سألوا أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فأخبرهم بإيمانه، فآمنوا، والصحيح أنها شاملة لهم، ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، وأناب إلى عبادة الرحمن.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ في محل نصب بدل اشتمال من الطاغوت، وجملة: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَبَشِّرۡ﴾: الفاء: الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢]. (بشر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عِبَادِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للفاصلة، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: إذا كان ذلك واقعاً، وحاصلاً؛ فبشر عبادي المؤمنين بجنات النعيم، والرضا، والرضوان، والعفو، والغفران، وكان مقتضى القياس الإضمار، وقد أظهر في موضع الإضمار للتعظيم، والتفخيم.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ...﴾ إلخ: هم الذين اجتنبوا الطاغوت، وأنابوا إلى الله، وأراد الله منهم أن يكونوا مع الاجتناب، والإنابة على هذه الصفة، فوضع الظاهر موضع الضمير، أراد الله منهم أن يكونوا نُقَّاداً في الدين، يميزون بين الحسن، والأحسن، والفاضل، والأفضل، فإذا اعترضهم أمران: واجب، وندب؛ اختاروا الواجب، وكذا المباح، والندب، حرصاً على ما هو أقرب عند الله، وأكثر ثواباً، ويدخل تحته المذاهب، واختيار أثبتها على السبك، وأقواها عند السبر، وأبينها دليلاً، أو أمارة، وأن لا تكون في مذهبك، كما قال القائل: [البسيط]

شَمِّرْ وكُنْ في أمورِ الدِّينِ مجتهداً ولا تكنْ مِثلَ عيرٍ قيدَ فانقادَا

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: وفقهم لدينه، واتباع أوامره، واجتناب زواجره. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة عن منازعة الهوى، والوهم، والعادة، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الهداية تحصل بفعل الله، وقبول النفس لها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. انتهى. كشاف، أو يستمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن. أو يستمعون أوامر الله، فيتبعون أحسنها، نحو القصاص، والعفو، ونحو ذلك. أو يستمعون الحديث مع القوم، فيه محاسن، ومساوئ، فيحدث أحدهم بأحسن ما سمع، ويكف عما سواه. وهذا من ثناء الله تعالى عليهم بنفوذ بصائرهم، وتمييزهم الأحسن من الكلام، فإذا سمعوا قولاً؛ تبصَّروه، وعملوا بما فيه، وأحسن الكلام كلام الله، وخير الهدى هدي محمد ﷺ. هذا؛ وقال تعالى في الآية رقم [٥٥]: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح، وفيه ثلاثة أوجه: الأول: في محل جر على أنه بدل من: ﴿عِبَادِ﴾. والثاني: في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. والثالث: في محل نصب على أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أمدح الذين، وجملة: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿هَدَىٰهُمُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به، وهي العائد. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمْ﴾: بدل من اسم الإشارة،

أو هو ضمير فصل لا محل له، وعليهما ف: ﴿أُوْلُواْ﴾ خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلُواْ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ و﴿أُوْلُواْ﴾ خبره؛ فالجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ...﴾ إلخ: هذه الآية مثل قوله تعالى في سورة (صۤ) رقم [٨٤]، [٨٥] والمعنى هنا: أفمن وجبت له الشقاوة من الله تعالى، هل تقدر على هدايته، وسعادته؟ قال القرطبي: كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قومه، وقد سبقت لهم من الله الشقاوة، فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد أبا لهب، وولده، ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان. انتهى. هذا؛ وكرر الاستفهام لطول الكلام.

قال الزمخشري: نَزَّل استحقاقهم العذاب؛ وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار؛ حتى نَزَّل اجتهاد رسول الله ﷺ، وكدَّه نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار. انتهى. وقال ابن هشام في المغني: وقال الزمخشري: إنهم جعلوا في النار الآن لتحقق الموعود به، ولا يلزم ما ذكره؛ لأنه لا يمتنع تقدير المستقبل، ولكن ما ذكره أبلغ، وأحسن. هذا، وقوله: ﴿أَفَمَنْ﴾ و﴿أَفَأَنتَ﴾ مثل (أفلا) في الآية رقم [١٥٥] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿أَفَمَنْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف. (من): فيها وجهان: أظهرهما: أنها موصولة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: كمن نجا، ونحوه، حذف لدلالة الجملة التالية عليه. والثاني: أنها شرطية مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، وجوابها الجملة الاسمية التالية. ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَلِمَةُ﴾: فاعله، و﴿كَلِمَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾ على اعتبارها موصولة، وفي محل جزم فعل شرطها على أنها شرطية. ﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام مؤكد للأول، والجملة الفعلية على اعتبار الفاء عاطفة معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أأنت تملك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه؟!. الفاء: حرف استئناف على اعتبار ﴿مَن﴾ موصولة، وواقعة في جوابها على اعتبارها شرطية. (أنت): مبتدأ. ﴿تُنقِذُ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: يلقى في النار، والجملة الاسمية مستأنفة على اعتبار ﴿مَن﴾ موصولة، وفي

محل جزم جوابها على اعتبارها شرطية، وخبرها جملتا الشرط والجواب كما قد رأيته مراراً. وجملة: ﴿تُنقِذُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ أي: لكن المؤمنون الأبرار، المتقون لله في الدنيا، المتمسكون بشريعته، وطاعته ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي: لهم في الجنة درجات عالية، وقصور شاهقة، بعضها فوق بعض، مبنية من زبرجد، وياقوت. هذا قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: تجري من تحت قصورها، وأشجارها أنهار الجنة من غير أخاديد. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ أي: وعدهم الله بذلك وعداً مؤكداً، لا يمكن أن يتخلف؛ لأنه وعد العزيز القدير. هذا؛ وما في هذه الآية مقابل لما في الآية رقم [١٦] وانظر ما ذكرته في سورة (يسٓ) رقم [٥٥]، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٨] من سورة (العنكبوت) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿لَٰكِنِ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» إضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى، كقولك: جاءني زيد؛ لكن عمرو لم يأت. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿غُرَفٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿مِّن فَوْقِهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿غُرَفٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة: ﴿غُرَفٌ﴾، وأجاز ابن هشام، بل ورجح اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صفة: ﴿غُرَفٌ﴾، و﴿غُرَفٌ﴾ الثاني فاعلاً بمتعلق الجار والمجرور؛ لأن الأصل عدم التقديم والتأخير، ولأن الجار والمجرور معتمدان على الموصوف. ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾: صفة: ﴿غُرَفٌ﴾.

﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿غُرَفٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿وَعْدَ﴾: مفعول مطلق، عامله معنى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾؛ لأنه بمعنى: الوعد، و﴿وَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾

مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُخْلِفُ﴾: فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل. ﴿الْمِيعَادَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تنظر أيها العاقل، وتعتبر؟! ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطراً. ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾: أدخله عيوناً، ومجاري كائنة فيها، أو مياهاً نابعات فيها. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٨]: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، وقال في سورة (الحجر) رقم [٢٢]: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾، و﴿يَنَابِيعَ﴾ جمع: ينبوع، وفي سورة (الإسراء) رقم [٩٠]: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ وهو: «يفعول» من نبع، ينبع بتثليث عين المضارع. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: زروعاً شتى لها ألوان مختلفة: حمرة، وصفرة، وزرقة، وخضرة. وقال البيضاوي: أصناف الزرع من بر، وشعير، وذرة، وعدس... إلخ. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يتم جفافه؛ لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته. ﴿فَتَرَاهُ﴾ أيها الناظر إليه. ﴿مُصْفَرًّا﴾: من شدة يبسه. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ أي: فتاتاً متكسراً، من: تحطم العود: إذا تفتت من اليبس، والعدول إلى المضارع في هذه الأفعال عن الماضي، كما يقتضيه أسلوب العطف لاستحضار الصور البديعة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من الأفعال الخمسة في هذه الآية أولها: ﴿أَنزَلَ﴾. ﴿لَآيَاتٍ﴾: لعبر، وعظات. ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لأصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة.

قال الزمخشري: يجوز أن يكون مثلاً للدنيا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ إلخ الآية رقم [٢٤] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ إلخ الآية رقم [٤٥] من سورة (الكهف). قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا، فيعتبرون إلى أن هذه الدنيا هكذا، تكون خضرة ناضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، والشاب يعود شيخاً هرماً، كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير. هذا؛ وانظر شرح ثم في الآية رقم [٦٥] من سورة (الصافات).

هذا؛ وأغرب القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: وقيل: هو مثل ضربه الله للقرآن، ولصدور من في الأرض؛ أي: نزله من السماء قرآناً، فسلكه في قلوب المؤمنين، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي: ديناً مختلفاً بعضه أفضل من بعض، فأما المؤمن؛ فيزداد إيماناً، ويقيناً، وأما الذي في قلبه مرض؛ فإنه يهيج كما يهيج الزرع. انتهى. وهذا لا يتفق مع صريح الآية أبداً.

هذا؛ وصريح قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يدل دلالة واضحة على أن المطر إنما هو من خزائن الله في السماء، وكان العرب في الجاهلية، ومثلهم العصريون في هذا الزمن يعتقدون: أن الغيوم تدنو من البحر الملح في أماكن مخصوصة فتمتد منها خراطيم عظيمة كخراطيم الفيلة، فتشرب من مائه، فيسمع لها عند ذلك صوت مزعج، ثم تصعد إلى الجو، وترتفع، فيلطف ذلك الماء، ويعذب بإذن الله في زمن صعودها، ثم تمطره حيث شاء الله تعالى. خذ قول أبي ذؤيب الهذلي يصف السحاب على اعتقاد العرب، وهو الشاهد (٤٧٢) من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

شَرِبْنَ بِماءِ الْبَحْرِ، ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

هذا؛ وأصل ماء: (مَوَه) بفتح الميم، والواو، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار (ماه) فلما اجتمعت الألف، والهاء ـ وكلاهما خفي ـ قلبت الهاء همزة. ودليل ذلك: أن جمع ماء: أمواه ومياه، وتصغيره: مُوَيْه، وأصل ياء مياه: واو، لكنها قلبت ياءً لانكسار ما قبلها في جمع أعلت في مفرده، كما قالوا: دار، وديار، وقيمة، وقيم، ومثله قولهم: سوط، وسياط، وحوض، وحياض، وثوب، وثياب، وثور، وثيرة، ويقال في تعريف الماء: هو جسم رقيق مائع به حياة كل نام. وقيل في حدِّه: جوهر سيال به قوام الأرواح.

هذا؛ والسماء يذكر، ويؤنث، والسماء كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء يطلق على المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء؛ حتى أتيناكم، قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذا نَزَلَ السَّماءُ بِأَرضِ قَوْمٍ ... رَعَيْناهُ، وإنْ كَانُوا غِضَابا

أراد بالسماء: المطر، ثم أعاد عليه الضمير في: رعيناه بمعنى: النبات، وهذا يسمى في فن البديع بالاستخدام، وأصل سماء: سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: (ماء) كان صفة له. .إلخ. ﴿مَآءً﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في

محل نصب سد مسد مفعول الفعل: (ترى)، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (سلكه): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿يَنَٰبِيعَ﴾: حال من الضمير المنصوب، أو هو ظرف مكان متعلق بما قبله. وقول البيضاوي: فنصبها على المصدر، لا وجه له إلا إذا اعتبرناه ظرفاً للمصدر المحذوف؛ أي: سلكه سلوكاً في ينابيع، فلما حذف المصدر، انتصب انتصابه. وقيل: تمييز. وقيل: منصوب بنزع الخافض. وهذان ضعيفان. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿يَنَٰبِيعَ﴾ على جميع الاعتبارات فيه.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُخْرِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿زَرْعًا﴾: مفعول به. ﴿مُّخْتَلِفًا﴾: صفة: ﴿زَرْعًا﴾. ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: فاعل به؛ لأنه اسم فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وجملة: ﴿يَهِيجُ﴾ معطوفة أيضاً على ما قبلها. ﴿فَتَرَىٰهُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿مُصْفَرًّا﴾: حال من الضمير المنصوب، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿يَجْعَلُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والهاء مفعول به أول. ﴿حُطَٰمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة أيضاً.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: اللام: لام الابتداء. (ذكرى): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِأُو۟لِى﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (ذكرى)، أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: وسعه للإسلام، فاهتدى، وقبل الحق؛ الذي جاء به محمد ﷺ، كمن طبع الله تعالى على قلبه، فلم يهتد، ولم يقبل الحق؟!. ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: على يقين، وبيان، وهداية من ربه بتنوير الحق في قلبه. روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قلنا: يا رسول الله! كيف انشراح صدره؟ قال: «إذا

دخل النورُ الْقَلْبَ انشرح، وانفسحَ». قُلْنَا: يا رسولَ اللهِ! فما علَامَاتُ ذَلِكَ؟ قال: «**الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ، والتَّجَافي عنْ دارِ الغرورِ، والتأَهُّبُ للموتِ قبْلَ نزولِ الْمَوْتِ**».

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: من ترك ذكر الله، أو من أجل ذكر الله؛ أي: إذا ذكر الله عندهم، أو آياته؛ ازدادت قلوبهم قسوة، كقوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [١٢٥] ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ فإنهم كلما تلي ذكر الله على الذين يكذبون به؛ قست قلوبهم عن الإيمان به. وقيل: إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر، كدرة العنصر، بعيدة عن قبول الحق؛ فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة، وكدورة، كحر الشمس يلين الشمع، ويعقد الملح، فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه، ولا يزيد الكافرين، والملحدين، والفاجرين إلا قسوة. قال مالك بن دينار: ما ضُرِبَ عبْدٌ بعقوبةٍ أعظم مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَمَا غَضِبَ اللهُ تَعَالَى عَلَى قَوْمٍ إلا نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْهُمْ. انتهى. خازن.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: اطلبوا الحوائج من السُّمحاء، فإني جعلت فيهم رحمتي، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم، فإني جعلت فيهم سخطي**». انتهى. قرطبي. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُكْثِرُوا الكلَام بغيرِ ذكرِ اللهِ، فإنَّ كثرَةَ الكلام بغيرِ ذكرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ تعالَى القلبُ الْقاسِي**». رواه الترمذي. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تُنْزَعُ الرَّحْمةُ إلَّا مِنْ شَقِيٍّ**». رواه أبو داود والترمذي.

أما أسباب قسوة القلب؛ فإني أوجزها لك بما يلي: منها: أكل الحرام، فإن الشخص الذي لا يبالي من أين أكل من الحلال، أم من حرام، تخبث نفسه، ويقسو قلبه، وتفحش أعماله، وتسوء أخلاقه. ومنها: اتباع الهوى، والانقياد للشيطان الرجيم، فإن الشخص الذي يسلسل لنفسه قيادها؛ تجره إلى المهالك، والذي ينقاد إلى شيطانه؛ يأمره بكل شر، وينهاه عن كل خير. ومنها: كثرة الشغف بالمجادلة، والمخاصمة بالباطل. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدلَ، ثم قرأ**: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾». رواه الترمذي، وابن ماجه. وقال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: المراء يقسي القلوب، ويورث الضغائن. ومنها: الغفلة عن ذكر الله تعالى، وعدم مراقبته في السر والعلن، والإعراض عن أداء واجبات الله تعالى، كالصلاة، وغيرها، فإن الشخص الذي يعرض عن الله؛ يعرض الله عنه، ويكله إلى شيطانه. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾. ورحم الله ابن المبارك؛ إذ يقول: [المتقارب]

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وَتَركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيْرٌ لنفسِكَ عِصيَانُهَا

ومنها: الانغماس في الشهوات، واللذات، والإغراق في الترف، والنعيم، وكثرة الأكل، والشراب. قال بعض العلماء: من كثر أكله؛ كثر شربه، ومن كثر شربه؛ كثر نومه، ومن كثر نومه، كثر تخمه، ومن كثر تخمه؛ قسا قلبه، ومن قسا قلبه؛ غرق في الآثام، ومن غرق في الآثام؛ فالنار أولى به! ورحم الله من يقول: [الطويل]

يُـمِـيـتُ الـطـعـامُ الـقـلـب إنْ زادَ كـثـرةً ... كـزرع إذا بـالـمـاءِ قـدْ زادَ سـقـيُـهُ

وَإِنَّ لَـبِـيـبـاً يَـرْتَـضِـي نَـقْـصَ عـقـلِـهِ ... بـأكـلِ لـقـيـمـاتٍ لـقَـدْ ضـلَّ سـعْـيُـهُ

خاتمة: قيل: نزلت الآية الكريمة في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأبيِّ بنِ خلَف. وقيل: نزلت في علي، وحمزة ـ رضي الله عنهما ـ وفي أبي لهب، وولده. وقيل: نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل. والأولى التعميم. قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٢٢]: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف، التقدير: أكل الناس سواء، فمن... إلخ. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. خبره محذوف، انظر تقديره في الشرح، وبعضهم يعتبر (من) شرطية مبتدأ، خبرها جملة الشرط، أو الجواب، أو هما معاً، كما ذكرته مراراً. ﴿شَرَحَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، أو هي شرط (من) على اعتبارها شرطية. ﴿صَدْرَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف عطف وتفريع. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: متعلقان بـ: ﴿نُورٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف. والثانية بالإتباع.

﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ويل): مبتدأ، ساغ الابتداء به؛ لأن فيه معنى الدعاء. ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿قُلُوبُهُم﴾: فاعل بـ: (القاسية)؛ لأنه اسم الفاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن ذِكْرِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، وإن اعتبرت: ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ متعلقين بـ: (ويل)؛ فـ: ﴿مِّن ذِكْرِ﴾ هما الخبر لا غير، و﴿ذِكْرِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾: روي: أن الصحابة رضوان الله عليهم ملُّوا مَلَّة، فقالوا: يا رسول الله! حدثنا حديثاً حسناً. فنزلت. والمعنى: أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث، وإنما كان القرآن أحسن الحديث لوجهين: أحدهما من جهة اللفظ، والآخر من جهة المعنى، أما الأول؛ فلأن القرآن من أفصح الكلام، وأجزله وأبلغه، وليس هو من جنس الشعر، ولا من جنس الخطب والرسائل، بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه، وأما الوجه الثاني، وهو كون القرآن من أحسن الحديث لأجل المعنى؛ فلأنه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف، مشتمل على أخبار الماضين، وقصص الأولين، وعلى أخبار الغيوب الكثيرة، وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار. انتهى. خازن.

قال أبو حيان: والابتداء باسم الله، وإسناد ﴿نَزَّلَ﴾ لضميره، فيه تفخيم للمنزل ورفع من قدره، كما تقول: الملك أكرم فلاناً، فإنه أفخم من أكرم الملك فلاناً، وحكمة ذلك البداءة بالأشرف. انتهى. صفوة التفاسير.

﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ أي: قرآناً متشابهاً، يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة والبلاغة، والتناسب بدون تعارض، ولا تناقض، وفي تركيب النظم، وصحة المعنى، والدلالة على المنافع العامة. ﴿مَثَانِيَ﴾ أي: تثنى فيه وتكرر المواعظ والأحكام، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وتُردَّد فيه القصص والأخبار، والأحكام والحجج دون سأم، أو ملل، وإنما وصف الكتاب، وهو مفرد بـ: ﴿مَثَانِيَ﴾ وهو جمع؛ لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير، ألا تراك تقول: القرآن أسباع وأخماس، وسور وآيات فكذلك تقول: أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات. ونظيره قولك: الإنسان عروق وعظام وأعصاب، إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة، وأصله كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني. قاله في الكشاف.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ...﴾ إلخ: اقشعَرَّ جلده: إذا تقبض، وتجمع من الخوف، ووقف شعره. والمصدر: الاقشعرار، والقشعريرة أيضاً، ووزن اقشعرَّ: افعلَلَّ، ووزن القشعريرة: فعلليلة، وإنما ذكرت الجلود وحدها أولاً، ثم قرنت بالقلوب ثانياً؛ لأن ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب، فكأنه قيل: تقشعر جلودهم، وتخشى قلوبهم في أول الأمر، فإذا ذكروا الله، وذكروا رحمته، وسعتها، استبدلوا بالخشية رجاءً في قلوبهم، وبالقشعريرة ليناً في جلودهم. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

وقال العارفون: إذا نظروا إلى عالم الجلال؛ طاشوا، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال؛ عاشوا. قال ابن كثير: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار؛ إذا قرؤوا آيات الوعد، والوعيد، والتخويف، والتهديد؛ تقشعرُّ جلودهم من الخشية والخوف، وإذا قرؤوا آيات الرحمة؛ لانت جلودهم، وقلوبهم؛ لما يرجون من رحمته، ولطفه. انتهى. وخذ ما يلي: عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذَا اقشعَرَّ جلدُ العَبْدِ من خشيةِ الله؛ تحاتَّتْ عنهُ ذنوبُهُ، كمَا يَتَحاتُّ عنِ الشجرةِ اليابِسَةِ ورَقُهَا»**. رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب»، والبيهقي.

هذا؛ وقال قتادة ـ رضي الله عنه ـ: هذا نعت أولياء الله، الذين نعتهم الله به: أنهم تقشعر جلودهم، وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان. وروي عن عبد الله بن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهم ـ قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئَ عليهم القرآن؟ قالت: كما نعتهم الله ـ عز وجل ـ تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم. قال عبد الله: فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرئَ عليهم القرآن خرَّ أحدهم مغشِياً عليه، قالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وروي: أن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرَّ برجل من أهل العراق ساقط، قال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن، أو سمع ذكر الله؛ سقط، فقال: إنا لنخشى الله، وما نسقط. وقال ابن عمر: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله ﷺ! وذكر عند ابن سيرين الذين يُصرعون إذا قرئ عليهم القرآن، فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجْلَيْهِ، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه؛ فهو صادق. وقال أبو عمران الجوني: وعظ موسى عليه السلام بني إسرائيل ذات يوم، فشق رجل قميصه، فأوحى الله إلى موسى: قل لصاحب القميص: لا يشق قميصه؛ فإني لا أحب المبذرين؛ يشرح لي عن قلبه.

وعن ثابت البناني؛ قال: قال فلان: إني لأعلم متى يستجاب لي! قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عيناي، فذلك حين يستجاب لي. وعن شهر بن حَوْشب عن أم الدرداء ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة، أما تجد إلا قشعريرة؟ قلت: بلى! قالت: فادع الله، فإن الدعاء عند ذلك مستجاب.

قال سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: قال أصحاب رسول الله ﷺ: لو حدثتنا! فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ...﴾ إلخ. فقالوا: لو قصصت علينا! فأنزل تبارك وتعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾. فقالوا: لو ذكرتنا! فأنزل الله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: القرآن؛ الذي هو أحسن الحديث. ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ

﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي: من عباده، وهو مَنْ علم منهم اختيار الاهتداء في الأزل. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أي: يجعل الله قلبه قاسياً منافياً لقبول الهداية، فما له من هاد يهديه إلى الحق، والصواب. وفي هذه الآية رد على المعتزلة القائلين: إن العبد يخلق أفعال نفسه.

هذا؛ وهادٍ أصله: «هاديٌ» بضمة على الياء علامة للرفع، أو بكسرة على الياء علامة للجر، وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الضمة، أو الكسرة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء، والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت الدال مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: هادٍ بالكسرة، وإنما لم يقل بالرفع؛ لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتة، فتمنع الرفع للدال، وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص مجرد من: أل، والإضافة، سواء أكان ثلاثياً، أم رباعياً؟

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿نَزَّلَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَحْسَنَ﴾: مفعول به. وهو مضاف، و﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ مضاف إليه. ﴿كِتَٰبًا﴾: بدل من: ﴿أَحْسَنَ﴾، أو هو حال منه، والأول أقوى. ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾: صفة: ﴿كِتَٰبًا﴾. ﴿مَّثَانِىَ﴾: صفة ثانية، أو حال منه بعد وصفه لما تقدم. ﴿تَقْشَعِرُّ﴾: فعل مضارع. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿جُلُودُ﴾: فاعله، و﴿جُلُودُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿يَخْشَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون.. .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿رَبَّهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿تَقْشَعِرُّ...﴾ إلخ تصلح للحالية، والوصفية لـ: ﴿كِتَٰبًا﴾، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَلِينُ﴾: فعل مضارع. ﴿جُلُودُهُمْ﴾: فاعله. ﴿وَقُلُوبُهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء فيهما ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: «عند» و﴿ذِكْرِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وجملة: ﴿تَلِينُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿هُدَى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿هُدَى﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو

الرابط محذوف، التقدير: يهدي به الذي، أو: شخصاً يشاء الله هدايته، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: هدى الله، أو هي في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالياء، والعامل في الحال اسم الإشارة.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هو في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿يُضْلِلِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، ومفعوله محذوف على اعتبار (من) مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿هَادٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان. وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الشرطية على الوجهين المعتبرين في ﴿مَن﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدته. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: قيل: يجر على وجهه في النار. وقيل: يُرمى به في النار منكوساً. فأول شيء تمسه النار منه وجهه. وقيل: هو الكافر يُرمى به منكوساً في النار، مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم، فتشتعل النار في تلك الصخرة، وهي في عنقه، فحرها، ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يديه، وعنقه. ومعنى الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب، كمن هو آمنٌ مِنَ العذاب؟ انتهى. خازن، وخذ قوله تعالى في سورة (فصلت) رقم [٤٠]: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وقال تعالى في سورة (الملك) رقم [٢٢]: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: تقول لهم الخزنة. فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم، وإشعاراً بالموجب لما يقال لهم. ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: ذوقوا وبال، ونتيجة ما كسبتم في الحياة الدنيا مِن المعاصي. هذا؛ وقد راعى لفظ (مَنْ) بقوله: ﴿يَتَّقِى﴾ ومعناها بقوله: ﴿ذُوقُوا۟...﴾ إلخ. وانظر إذاقة العذاب في الآية رقم [٣٨] من سورة (الصافات)، وانظر التعبير عن الكافرين بالظالمين، ونحوه في الآية رقم [٥٩] من سورة (يسٓ).

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف استئناف. وقيل: عاطفة على محذوف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: كمن هو آمِنٌ من العذاب. ﴿يَتَّقِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿بِوَجْهِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿سُوٓءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿يَتَّقِى﴾، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: (من يتقي...) إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء.

﴿وَقِيلَ﴾: الواو: حرف عطف. (قيل): ماض مبني للمجهول. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ذُوقُوا۟﴾: فعل أمر للإهانة مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وهي في الأصل مضاف إليه، التقدير: ذوقوا جزاء ما، فلما حذف المضاف؛ أقيم المضاف إليه مقامه. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَكْسِبُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: جزاء الذي، أو: جزاء شيء كنتم تكسبونه. هذا؛ وجوز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر، ويكون التقدير: ذوقوا جزاء كسبكم، وجملة: ﴿ذُوقُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل: (قيل)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٥] من سورة (يسٓ)، ففيها فضل بيان، وجملة: ﴿وَقِيلَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. وقيل: هي في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَتَّقِى﴾ المستتر، و«قد» قبلها مقدرة، والرابط: وضع الظاهر موضع الضمير، والواو أيضاً.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبل كفار مكة، كذبوا رسلهم، وذلك مثل قوم هود، وصالح، وشعيب، ولوط، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها، وهم غافلون، ساهون، لاهون. هذا؛ والشعور: إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته. هذا؛ و﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان اتفاقاً مبني على الضم؛ لأنه لا يدل على موضع بعينه، وفيه ست لغات: بالياء مع الضم، والفتح، والكسر، وبالواو مع الضم والفتح والكسر، وهي: حيثُ، وحيثَ، وحيثِ، وحوثُ، وحوثَ، وحوثِ. انظر بحثها وشواهدها في كتابنا: «فتح القريب المجيب».

الإعراب: ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة

الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَتَىٰهُمُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية، معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وتعليقهما بمحذوف حال من ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ ضعيف، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾: الذل، والصغار، والإهانة. كالمسخ، والخسف، والقتل، والجلاء، والغرق، والهلاك، والدمار، ونحو ذلك من أنواع العذاب مما قصه علينا القرآن الكريم. فليحذر كفار قريش غضب الله، وسخطه عليهم، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل، وخاتم الأنبياء ﷺ. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: وصف الله تعالى في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها ابن آدم بالدنيا؛ لدناءتها، وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله الحريري؛ إذ يقول: [الكامل]

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الأَكْدَارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا ... أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

أو هي من الدنو، وهو القرب؛ لأنها في متناول يد الإنسان ما دام حيّاً، أما الآخرة؛ فهي الحياة الثانية؛ التي تكون بعد الموت، ثم بعد الحساب، والجزاء، ودخول الجنة، والخلود فيها، أو دخول النار، والخلود فيها، و﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: المعد لهم. ﴿أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم، وأشد؛ لشدته ودوامه. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا من أهل العلم، والمعرفة، والنظر؛ لعلموا ذلك، واعتبروا به، وانظر: «خَزِيَ» في الآية رقم [٤٠] الآتية.

الإعراب: ﴿فَأَذَاقَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أذاقهم): فعل ماض، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْخِزْىَ﴾: مفعول به ثان. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْخِزْىَ﴾. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة (الحياة) مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿وَلَعَذَابُ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء. (عذاب): مبتدأ. وهو مضاف. و﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لظرفه. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على ما قبلها. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في

محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، انظر تقديره في الشرح، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف كالجملة الاسمية قبله لا محل له مثلها، فهو تذييل لها مفاده بيان شدة العذاب في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: يحتاج إليه الناظر المتبصر المعتبر. والمعنى: ولقد وصفنا لهم كل صفة غريبة، كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن، كصفة المبعوثين يوم القيامة، وقصتهم، وما يقولون، وما يقال لهم، وما لا ينفع من اعتذارهم، ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم لقسوة قلوبهم، ومج أسماعهم حديث الآخرة لا يتذكرون، ولا يتعظون. انتهى. كشاف في سورة (الروم). وانظر شرح: (مِثْل) في الآية رقم [١٥] من سورة (يسٓ).

هذا؛ والناس: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: قوم، ورهط. .إلخ، واحده: إنسان من غير لفظه. وهو يطلق على الإنس، والجن، ولكن غلب استعماله على الإنس، قال تعالى في سورة (الناس): ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأُناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ رقم [٧١] من سورة (الإسراء). وقيل: إن أصله: النَّوَس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها.

و(قرآن) مشتق من قريتُ الماء في الحوض: إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم، والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طريق الرشاد، وهو في اللغة مصدر بمعنى: الجمع، يقال: قرأت الشيء قرآناً: إذا جمعته. وبمعنى: القراءة، ويقال: قرأت الكتاب قراءةً، وقرآناً، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء، المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر فيما بين الدفتين، وهو المراد هنا. ويحرم على المحدث حدثاً أكبر قراءته، وحملهُ ومسَّهُ، وعلى المحدث حدثاً أصغر حملهُ ومسَّهُ، ولا يمنع من قراءته عن ظهر قلب، قال تعالى في سورة (الواقعة): ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون، فينتفعون بذلك. هذا؛ والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ، ورجاءٌ لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (لقد): اللام: واقعة في جواب القسم.

(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَرَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٢] من سورة (يسٓ). ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِي هَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿ضَرَبْنَا﴾ أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. والهاء حرف تنبيه لا محل له، واسم الإشارة مبني على السكون في محل جر. ﴿الْقُرْآنِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿مِن كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿ضَرَبْنَا﴾ أيضاً. وهما في محل المفعول به، وعند التأمل يتبين لك: أنهما متعلقان بمحذوف صفة لمفعول ﴿ضَرَبْنَا﴾ المحذوف؛ إذ التقدير: ضربنا للناس مثلاً كائناً من كل مثل، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿مَثَلٍ﴾ مضاف إليه. هذا؛ والجملة القسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، لا محل لها. تأمل وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: هذا؛ وقال تعالى في أول سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: بلغتكم؛ لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه، ويؤخذ من هذه الآية: أنه يجوز إطلاق اسم القرآن على بعضه؛ لأن سورة (يوسف) بعض القرآن، ولأنه اسم جنس يقع على الكل، والبعض، واختلف هل يمكن أن يقال: في القرآن شيء بغير العربية، فأنكر أبو عبيدة على من يقول ذلك أشد النكير، وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة ـ رضي الله عنهم ـ: أن فيه من غير العربية مثل: (سِجِّيل، والْمِشْكَاةِ، والْيَمِّ، وإِستَبْرَق، وسُندُس) ونحو ذلك، وهذا هو الصحيح المختار؛ لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب، وكلا القولين صواب؛ إن شاء الله تعالى، ووجه الجمع بينهما: أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب، ودارت على ألسنتهم بسهولة؛ صارت عربية فصيحة؛ وإن كانت غير عربية في الأصل.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لا اختلال فيه بوجه من الوجوه. وقيل: غير ذي شك. قاله السدي فيما ذكره الماوردي، وأنشد: [البسيط]

وَقَـدْ أَتَـاكَ يَـقِـيـنٌ غَـيْـرُ ذِي عِـوَجٍ مِـنَ الإِلَـهِ وَقَـوْلٌ غَـيْـرُ مَـكْـذُوبِ

وقيل: المعنى مستقيماً بريئاً من التناقض، والاختلاف. قال الزمخشري: فإن قلت: فهلا قيل: مستقيماً، أو: غير معوج؛ قلت: فيه فائدتان: إحداهما: نفى أن يكون فيه عوج قط، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ رقم [١] من سورة (الكهف). والثانية: أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان. وقيل: المراد بالعوج: الشك، واللبس، وأنشد البيت. هذا؛

والعوج بكسر العين، وفتحها، وقد فرق العرب بينهما، فخصوا المكسور بالمعاني، والمفتوح بالأعيان، تقول: في دينه عِوج (بكسر العين)، وفي الجدار عَوج (بالفتح).

هذا؛ و﴿غَيْرَ﴾ اسم شديد الإبهام، لا يتعرف بالإضافة لمعرفة، وغيرها؛ فلذا وصفت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ رقم [٣٨] من سورة (القصص)، وهو ملازم للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها؛ إن فهم المعنى، وتقدمت كلمة: «ليس» عليها، تقول: قبضت عشرة ليس غير، وهو مبني على الضم، أو على الفتح خلاف.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: علة لقوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فالأول سبب في الثاني. وعبارة البيضاوي: علة أخرى مرتبة على الأولى؛ أي: لأن العلل يفهم منها التعليل، فعلل ضرب الأمثال أولاً بالتذكر، والاتعاظ، ثم علل التذكر بالاتقاء؛ لأنه المقصود منه، فليس من تعليل معلول واحد بعلتين. انتهى. جمل نقلاً عن الشهاب. هذا؛ وقال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: ما الحكمة في تقديم التذكر في الآية الأولى على التقوى في هذه الآية؟ قلت: سبب تقديم التذكر: أن الإنسان إذا تذكر، وعرف، ووقف على فحوى الشيء، واختلط بمعناه؛ اتقاه، واحترز منه. انتهى. أقول: والحكمة من تقديم التعقل على التذكر، وتقديم التذكر على التقوى، انظرها في الآية رقم [١٥٣] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿قُرْءَانًا﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون منصوباً على المدح؛ أي: بفعل محذوف؛ لأنه لما كان نكرة امتنع إتباعه لـ: (القرآن). الثاني: أن ينتصب بـ: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتذكرون قرآناً. الثالث: أن ينتصب على الحال من (القرآن) على أنها حال مؤكدة، وتسمى حالاً موطئة؛ لأن الحال في الحقيقة ﴿عَرَبِيًّا﴾ و﴿قُرْءَانًا﴾ توطئة له، نحو جاء زيد رجلاً صالحاً. انتهى. جمل نقلاً من السمين. والحالية هي التي قالها جميع المفسرين، وانظر أنواع الحال في الآية رقم [٧٣] الآتية. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة. ﴿غَيْرَ﴾: صفة ثانية، ويجوز أن يكون حالاً منه بعد وصفه بـ: ﴿عَرَبِيًّا﴾، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿ذِي﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِي﴾ مضاف، و﴿عِوَجٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ تعليل للتذكير، كما رأيت في الشرح، وإعرابها مثل إعراب سابقتها بلا فارق.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: مختلفون، سيئة أخلاقهم. والشكس: السَّيِّئ الخلق، المخالف للناس، لا يرضى بالحق، والإنصاف. ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصاً له، لا شريك له فيه، ولا منازع. والمعنى: واضرب يا محمد لقومك مثلاً، وقل

لهم: ما تقولون في رجل مملوك، قد اشترك فيه شركاء، بينهم اختلاف وتنازع، كل واحد يدعي: أنه عبده، وهم يتجاذبونه في مهن شتّى، فإذا عنَّت لهم حاجة؛ يتدافعونه، فهو متحير في أمره لا يدري أيهم يرضي بخدمته؟، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته؟ وفي رجل آخر مملوك، قد سلم لمالك واحد، يخدمه على سبيل الإخلاص، وذلك السيد يعين خادمه في حاجاته، فأي هذين أحسن حالاً وأحمد شأناً؟!

وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذي يعبد آلهة شتّى، والمؤمن الذي يعبد الله تعالى وحده، فكان حال المؤمن الذي يعبد إلهاً واحداً أحسن وأصلح من حال الكافر الذي يعبد آلهةً شتّى. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يستويان في الحال، والصفة، والجواب: لا يستويان. فالاستفهام للإنكار، والنفي. انتهى. خازن.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الواحد الأحد، الذي لا شريك له دون كل معبود سواه؛ أي: يجب أن يكون الحمد متوجهاً إليه وحده، والعبادة خالصة لوجهه الكريم. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له. وذكر الأكثر إما؛ لأن بعضهم لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو لأنه يقوم مقام الكل. وخذ قول الشاعر: [البسيط]

لَمْ يَبقَ مِنْ جُلِّ هذا النَّاسِ باقيةٌ ... ينالها الوهْمُ إلَّا هذِهِ الصُّوَرُ
لا يُدْهِمنْكَ مِنْ دَهْمائِهِمْ عَدَدٌ ... فإنَّ جُلَّهُمُ بَلْ كُلَّهُمْ بَقَرُ

دهمه: غشيه، يقول: لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء، ونصرة، فإن كلهم كالأنعام، والبهائم، ولله در القائل: [المنسرح]

لا يُدْهِمَنْكَ اللِّحَاءُ والصُّورُ ... تسعةُ أَعْشَارِ مَنْ تَرى بَقَرُ
في شَجَرِ السَّرْوِ منهمُ شَبَهٌ ... لَهُ رِواءٌ ومَا لَهُ ثَمَرُ

ورضي الله عن حسان بن ثابت إذ يقول: [البسيط]

لا بأْسَ بالقومِ مِنْ طولٍ ومِنْ عِظَمٍ ... جِسْمُ الجمالِ وأحلامُ العصافيرِ

وخذ قوله تعالى في سورة (الروم) رقم [٧]: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

هذا؛ وقال الزمخشري: التشاكس، والتشاخس: الاختلاف، تقول: تشاكست أحواله، وتشاخست أسنانه. انتهى. وقرئ ﴿سَلَمًا﴾ بقراءات كثيرة. هذا؛ وتخصيص الرجل بالذكر؛ لأنه أفطن للضر، والنفع من المرأة، والصبي؛ لأنهما قد يغفلان. هذا؛ والرجل مأخوذ من الرجولة، وهي البطولة، والشهامة وغيرهما من الصفات النبيلة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ضَرَبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مَثَلًا﴾: مفعول به. ﴿رَّجُلًا﴾: بدل من: ﴿مَثَلًا﴾. وقيل: منصوب بنزع الخافض، التقدير: ضرب الله مثلاً برجل، والأول أقوى. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شُرَكَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب صفة: ﴿رَّجُلًا﴾. ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾: صفة مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة. . .إلخ. ﴿وَرَجُلًا﴾: معطوف على مثله. ﴿سَلَمًا﴾: صفة له. ﴿لِّرَجُلٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَلَمًا﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿يَسْتَوِيَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والألف فاعله. ﴿مَثَلًا﴾: تمييز، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. هذا؛ وقيل: الجملة الاسمية معترضة؛ لأن قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مرتبط بقوله ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: خطاب للنبي ﷺ، أخبره بموته، وموتهم، وهو يحتمل خمسة أوجه: أحدها: أن يكون ذلك تحذيراً من الآخرة. الثاني: أن يكون حثاً على العمل. الثالث: أن يذكره توطئة للموت. الرابع: لئلا يختلف المسلمون في موته، كما اختلفت الأمم في غيره؛ حتى إن عمر ـ رضي الله عنه ـ لما أنكر موته، واحتج أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بهذه الآية فأمسك. الخامس: ليعلمه أن الله تعالى قد سوّى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره، لتكثر فيه السلوة، وتقل فيه الحسرة، انتهى. قرطبي. هذا؛ وقرئ: (مائت) و(مائتون) والفرق بين الميت، والمائت: أن الميت صفة لازمة كالسيد، وأما المائت؛ فصفة حادثة، تقول زَيْدٌ مَائِتٌ غَداً؛ كما تقول: سائدٌ غداً؛ أي: سيموت، وسيسود. وإذا قلت: زيد ميت، فكما تقول: حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم، والثبوت.

هذا؛ ونزلت الآية رداً على كفار قريش الذين كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته، فأخبر الله تعالى: أن الموت يعمهم جميعاً، فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني. انتهى. خازن.

هذا؛ والمَيْت، والمَيْتة (بفتح الميم وسكون الياء فيهما) هو من فارقت روحه جسده. وجمعه: أموات، وأما المشدد فهو الحي الذي سيموت، وعليه الآية الكريمة التي نحن بصدد شرحها. وجمعه موتى، قال بعض الأدباء في الفرق بينهما: [الطويل]

أَيَا سَائِلِي تَفْسِيرَ مَيْتٍ ومَيِّتٍ فدونكَ قَدْ فَسَّرْتُ ما عَنْهُ تَسْأَلُ

فَمَنْ كانَ ذا روحٍ، فذَلِكَ مَيِّتٌ وَمَا الْمَيْتُ إِلَّا مَنْ إلى الْقَبْرِ يُحْمَلُ

هذا هو الأصل الغالب في الاستعمال، وقد يتعاوضان، كما في قول عديٍّ بن الرَّعْلاء الغساني: [الخفيف]

لَيْسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بميْتٍ إنما المَيْتُ ميِّتُ الأَحْيَاءِ

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيباً كاسفاً بَالُهُ قليلَ الرجاءِ

أقول: ومن هذا قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٩٥]: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾، وقوله جل ذكره في الآية رقم [٢٧] من سورة (آل عمران): ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾. حيث استعمل المشدد فيهما لفاقد الحياة، والروح، كما هو واضح فيهما. هذا؛ ولا تنس: أن أصل المشدد: (مَيْوِت)؛ لأنه من: مات، يموت، فقل في إعلاله: اجتمع الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء. وقل مثله في إعلال سيِّد، وهيِّن، وصيِّب، ونحو ذلك، وقال الشاعر في تخفيف هيِّن، وليِّن: [البسيط]

هَيْنُون لَيْنُون أيسارٌ بَنُو يَسَرٍ سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءُ أَيْسَارِ

الإعراب: ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿مَيِّتٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَإِنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مَّيِّتُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أي: إنك، وإياهم، فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغائب، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: المحق، والمبطل، والظالم، والمظلوم. وقال الزبير: لما نزلت هذه الآية؛ قلنا: يا رسول الله! أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «**نعم ليكررن عليكم؛ حتى يؤدَّى إلى كل ذي حق حقه**». فقال الزبير ـ رضي الله عنه ـ: والله إن الأمر لشديد. أخرجه الترمذي.

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: عشنا برهة من الدهر، وكنا نرى: أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين، فقلنا: وكيف نختصم؛ ونبينا واحد، وديننا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعضٍ بالسيف، فعرفت: أنها فينا نزلت. وعن أبي سعيدٍ الخدري ـ رضي الله عنه ـ

في هذه الآية قال: كنا نقول: ربنا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، فما هذه الخصومة؟! فلما كان يوم صفين، وشد بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا. وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأخيهِ مِنْ عِرْض، أوْ مالٍ فلْيَتَحَلَّلْه اليوم مِنْ قبلِ أنْ لا يَكونَ دينارٌ، ولا درهم. إنْ كَانَ له عملٌ صَالِحٌ؛ أُخِذَ مِنْهُ بِقدْرِ مظلمتِهِ، وَإنْ لَمْ يَكنْ لهُ حَسَناتٌ؛ أُخِذَ مِنْ سيئَاتِ صاحِبه، فَحُمِلَتْ عليهِ**». أخرجه البخاري. وعنه أيضاً ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون مَنِ المفلِسُ؟**». قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ لهُ، ولا متاعَ، قال: «**إنَّ المفلسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يأتي يَوْمَ الْقِيَامةِ بصلاةٍ، وصيام، وزكاةٍ، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضَربَ هذا، فيُعطى هذا من حسناتِهِ، وهذا من حسناتِهِ، فإنْ فنِيَتْ حسَنَاتُهُ قبلَ أنْ يُقْضَى ما عليهِ؛ أُخِذَ مِنْ خطاياهم، فطُرِحت عليه، ثم طُرِح في النار**». متفق عليه. انتهى. خازن وقرطبي.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يختصم الناس يوم القيامة؛ حتى تختصم الروح مع الجسد، فتقول الروح للجسد: أنتَ فعلْتَ، ويقول الجسدُ للروح: أنتِ أمرتِ، وأنتِ سوَّلتِ، فيبعث الله ملكاً، يفصل بينهما، فيقول لهما: مثلكما كمثل رجل مقعد بصير، والآخر ضرير، دخلَا بستاناً، فقال المقعدُ للضرير: إني أرى هاهنا ثماراً، ولكن لا أصل إليها، فقال له الضرير: اركبني فتناولْهَا، فركبه، فتنَاوَلَهَا، فأيهما المعتدي؟ فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما. يعني: أن الجسد للروح كالمطية، وهو راكبه. رواه ابن منده في كتاب الروح. انتهى. مختصر ابن كثير.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده أيضاً. وقيل: متعلق بمحذوف حال من واو الجماعة. ولا يؤيده المعنى، وهو مضاف، و﴿رَبِّكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

الجزء ٢٤

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا أحد أكذب ممن افترى على الله الكذب، وادَّعى أن له ولداً، وأن له شريكاً في الألوهية. ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: وهو ما جاء به

محمد ﷺ من الهدى، والفرقان. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ أي: جاء به؛ أي: القرآن. وقيل: بالرسالة إليه. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مقام ومقر، وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم، وهو مشتق من: ثوى بالمكان: إذا أقام به، يَثْوي ثَوَاءً، وثُويّاً، مثل مضى، يمضي مضاءً، ومُضيّاً، ولو كان من: أثوى؛ لكان: مُثْوىً، وهذا يدل على أن ثوى هي اللغة الفصيحة، وحكى أبو عبيدة: أثوى، وأنشد قول الأعشى: [الكامل]

أَثْـوى وقَـصَّـر لـيـلـةً لِـيُـزَوَّدَا ومـضَـى وأخـلـفَ مـنْ قُـتَـيْـلَـةَ مَـوْعِـدَا

والأصمعي لا يعرف إلا «ثوى»، ويروى البيت: (أَثَوَى) على الاستفهام، وأثويت غيري يتعدى، ولا يتعدى. هذا؛ ومثوى بمعنى: مأوى، والفرق بينهما: أن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، ولو مؤقتاً، وقدم المأوى على المثوى في قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ رقم [١٥١] من سورة (آل عمران)؛ لأنه على الترتيب الوجودي، يأوي، ثم يثوي.

الإعراب: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مفيد للنفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِمَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾. ﴿كَذَبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها؛ إن اعتبرتها نكرة موصوفة. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿جَآءَهُۥٓ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الصدق)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام تقريري توبيخي. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (ليس) تقدم على اسمها، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿مَثْوًى﴾: اسم (ليس) مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مَثْوًى﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الفعلية: ﴿أَلَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: والذي صدق به. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ جاء بـ: «لا إله إلا الله». ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو

رسول الله ﷺ أيضاً، بلغه إلى الخلق. وقيل: الذي جاء بالصدق هو جبريل، عليه الصلاة، والسلام جاء بالقرآن، وصدق به محمد ﷺ. وقيل: الذي جاء بالصدق: رسول الله ﷺ، وصدق به: أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. وقيل: الذي جاء بالصدق: الأنبياء، والذي صدق به: الأتباع. وقيل: الذي جاء بالصدق: أهل القرآن، وهو الصدق، يجيئون يوم القيامة، وقد أدَّوْا حقه، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا. وهذا القول يشمل كل المؤمنين. فإن المؤمنين يقولون الحق، ويعملون به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية، فإنه جاء بالصدق وصدق به المرسلين. وعلى هذا؛ وسابقه فـ: (الذي) يكون بمعنى: الجمع: الذين، ويكون قد روعي لفظها بإرجاع الضميرين بالفعلين، وروعي معناها بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ...﴾ إلخ، وتكون الآية مثل قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٧]: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ إلخ، وقوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٦٩]: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ ومثل هذه الآيات قول الأشهب بن زميلة النهشلي، وهو الشاهد رقم (٣٤٦) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

وإنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِى﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (الذي)، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلصِّدْقِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، أو هي صلة لموصول محذوف، معطوف على ما قبله، على حسب ما رأيت في الشرح. هذا؛ وقرأ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (والَّذين جَاؤوا بالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ) وهي قراءة على التفسير. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأً ثانياً و﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ خبره، فتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر (أولئك) والجملة الاسمية على الوجهين في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِى...﴾ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُم﴾: للمتقين المذكورين في الآية السابقة. ﴿مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ أي: كل ما يشتهون في الجنة من الحور العين، والقصور الشامخة، وجميع أنواع الملاذ، والنعيم المقيم، والخير العميم. هذا؛ والعندية عندية تكريم، وتشريف، وتعظيم. وقال الجمل: أي: لهم ما يشاؤونه من جلب المنافع، ودفع المضار في الآخرة، لا في الجنة فقط، كما أن بعض

ما يشاؤونه من تكفير السيئات، والأمن من الفزع الأكبر، وسائر أهوال يوم القيامة إنما يقع قبل دخوله الجنة. انتهى. نقلاً عن الكرخي. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من الفضل الكبير. ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الذين أحسنوا القول، وأحسنوا العمل. هذا؛ ووصف الله المحسنين في سورة (الذاريات) بقوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾. لذا فالقول: إن المحسنين هم الذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال، ووصفهم بآية (لقمان) رقم [٤] بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لفضل اعتداد بهذه الأمور الثلاثة، وفي قول الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». هذا؛ والجزاء: المجازاة، والمكافأة على عمل ما وتكون في الخير، كما في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ وتكون في الشر، قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ونحوه كثير، والجزاء من جنس العمل، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ. هذا؛ والفعل: «جزى» ينصب مفعولين، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ رقم [٢٩] من سورة (الأنبياء)، وأيضاً الآية التالية.

الإعراب: ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: الجملة في محل رفع خبر ثان للمبتدأ في الآية السابقة، وهو (الذي)، والأول أقوى معنىً. ﴿يَشَآءُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَآءُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال. ولا وجه له.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: فإن قلت: ما معنى إضافة الأسوأ، والأحسن إلى ﴿ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ وما معنى التفضيل فيهما؟ قلت: أما الإضافة؛ فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة؛ التي يفضل عليها، ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل، كقولك: الأشج أعدل بني مروان، وأما التفضيل فإيذان بأن السَّيِّئ الذي يفرط منهم من الصغائر، والزلات المكفرة هو عندهم

الأسوأ؛ لاستعظامهم المعصية، والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن؛ لحسن إخلاصهم فيه، فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ، وحسنهم بالأحسن. انتهى.

هذا؛ وقال الجلال: أسوأ وأحسن بمعنى: السَّيِّئ والحسن، فقال الجمل معلقاً: أي: فأفعل التفضيل ليس على بابه، فبهذا الاعتبار عم الأسوأ جميع معاصيهم، والأحسن جميع حسناتهم، ولولا هذا التأويل لاقتضى النظم: أنه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط، ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط هذا مراده. انتهى. هذا؛ ومن هذا الباب قول الفرزدق، وهو الشاهد رقم [١١٢] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الكامل]

إنَّ الَّذِي سمكَ السماءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أعزُّ وَأَطْوَلُ

الإعراب: ﴿لِيُكَفِّرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، و«أنْ» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: يسر لهم ذلك؛ ليكفر، كأنه قيل: الذين أحسنوا لأجل التكفير، واللام للعاقبة. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَسْوَأَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: الذي عملوه. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به أول. ﴿أَجْرَهُم﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِأَحْسَنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(أحسن): مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ مضاف إليه. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، ومفعوله محذوف، وهو عائد الموصول، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، التقدير: بالذي كانوا يعملونه.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي: رسوله محمداً ﷺ؛ أي: مانعه، وحافظه من كيد أعدائه، وقرئ (عباده) يعني: الأنبياء، عليهم ألف صلاة، وألف سلام، قصدهم قومهم بالسوء، فكفاهم الله شر من عاداهم. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله، وهي الأصنام، وذلك: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك إياها. وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: مشى خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى العزى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها:

أُحَذِّركها يا خالد! فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العزى، فهشم أنفها، حتى كسرها بالفأس. وهذا كان يوم فتح مكة، وتخويفهم لخالد ـ رضي الله عنه ـ تخويف للنبي ﷺ؛ لأنه هو الذي وجه خالداً. ويدخل في الآية تخويفهم النبي ﷺ بكثرة جمعهم وقوتهم، كما قال تعالى في سورة (القمر): ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾.

الإعراب: ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام تقريري. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِكَافٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (كاف): خبر ليس منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله مستتر، تقديره: «هو». ﴿عَبْدَهُۥ﴾: مفعول لاسم الفاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾: الواو: حرف عطف. (يخوفونك): فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. وقال الجمل نقلاً عن السمين: يجوز أن تكون الجملة حالاً؛ إذ المعنى: أليس الله كافيك حال تخويفهم إياك بكذا، وكان المعنى: كافيه في كل حال؛ حتى في هذه الحال. ويجوز أن تكون مستأنفة. انتهى. أقول: وفي الوجه الأول مانع من الحالية، وهو الواو لأن الجملة المضارعية المثبتة الواقعة حالاً، لا تقترن بالواو، إلا أن يقال بالزيادة، أو على إضمار مبتدأ. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ انظر الآية رقم [٢٣] فالإعراب لا يختلف.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ أي: للإيمان. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ أي: ومن أراد الله سعادته، فهداه إلى الهدى، والحق، ووفقه لسلوك طريق المهتدين؛ فلن يقدر أحد على إضلاله. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ أي: هو تعالى منيع الجناب، لا يضام من لجأ إليه، ووقف ببابه، وهو القادر على أن ينتقم من أعدائه لأوليائه؛ لأنه غالب لا يغلب، ذو انتقام من أعدائه. وفي الآية وعيد للمشركين، ووعد المؤمنين. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الكهف) رقم [١٧]: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿يَهْدِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والمفعول محذوف على اعتبار (من) مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ انظر: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ في الآية رقم [٢٣] وبقية الإعراب فيها كذلك. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ انظر مثلها في

الآية السابقة. ﴿ذِى﴾: صفة (عزيز) مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِى﴾ مضاف، و﴿ٱنتِقَامٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة كالجملة الاسمية، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمسؤول منهم أهل مكة. ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ذكر الله من آثار قدرته، ودلائل عظمته خلق السموات، والأرض، وخصهما بالذكر هنا، وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار والحركات، وقدمها لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها؛ لأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية، كما في الأرض، وأيضاً: لأنها بمنزلة الذَّكر، فنزول المطر من السماء على الأرض كنزول المني من الذكر في رحم الأنثى؛ لأن الأرض تنبت، وتخضر بالمطر. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، بمعنى: إن هؤلاء المشركين مقرون وجودهم بوجود الإله القادر، العالم الحكيم، وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق، فإن فطرة الخلق شاهدة بذلك: أنها من ابتداع قادر حكيم، وانظر الإرادة في الآية رقم [٤].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: أخبروني بعدما تحققتم: أن الخالق لهذا العالم هو الله وحده، أخبروني عن حال هذه الآلهة؛ التي تعبدونها من دون الله. ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: أخبروني: لو أراد الله أن يصيبني بشدة وبلاء؛ هل تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عني ذلك السوء، والضر؟! ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: ولو أراد الله بي نفعاً من نعمة، وصحة، وسعة في الرزق ورخاء في المعيشة؛ هل تستطيع أن تمنع عني هذه الرحمة؟! والجواب محذوف لدلالة الكلام عليه، يعني فسيقولون: لا، لا تكشف السوء، ولا تمنع الرحمة. قال مقاتل: سألهم النبي ﷺ فسكتوا. وقال غيره: قالوا: لا تدفع شيئاً قدّره الله، ولكنها تشفع، وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً (راكباً خلفه). فقال: «**يا غلامُ إنِّي أعلمكَ كلماتٍ، احفظِ اللهَ؛ يَحْفَظْكَ، احفظ اللهَ؛ تجدْهُ تُجاهَكَ. إذا سألْتَ؛ فاسأل الله، وإذا استعنْتَ؛ فاستعن بالله. واعلَمْ: أَنَّ الأمةَ لو اجتمعَتْ على أن ينفعوك**

بشيءٍ؛ لَمْ ينفعوك إِلَّا بِشَيْءٍ قدْ كتبهُ اللهُ لكَ، وإِنِ اجتَمَعَتْ على أَنْ يضرُّوكَ بشيءٍ؛ لَمْ يضرُّوكَ إِلَّا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ عليْكَ. رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ». أخرجه الترمذي.

﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: الله كافيَّ، وثقتي، فمنه عزي، ونصري. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: يعتمد المعتمدون عليه في جميع أعمالهم، وتصرفاتهم، وحركاتهم، وسكناتهم، كما قال هود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم...﴾ إلخ رقم [٥٦] من سورة (هود). وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أحبَّ أن يكونَ أقوى الناس؛ فليتوكَّلْ عَلَى الله تعالى، ومَنْ أحبَّ أن يكون أغنى الناسِ؛ فليكنْ بما في يد الله ـ عز وجل ـ أوثقَ منهُ بما في يَدَيْهِ، ومَنْ أحبَّ أن يكون أكرمَ الناسِ؛ فليتَّقِ اللهَ عَزَّ وجلَّ».** أخرجه ابن أبي حاتم.

هذا؛ والتوكل: تفويض الإنسان الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه، وضره. وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر؛ لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى. فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه منها؛ لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول رفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله تعالى، وإنما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً».** أخرجه الترمذي. هذا؛ وقوله ﷺ **«تغدو، وتروح»**. إشارة إلى السعي، وطلب الرزق، فإنه الله عز وجل لم يرزقها؛ وهي في أعشاشها، وأوكارها، بل بسبب خروجها، وسعيها وبحثها عن الرزق. والله أعلم، وأجل، وأعظم. هذا؛ وهناك توكل، وتسليم، وتفويض. والفرق بين الثلاثة أن يقال: التوكل: أن تسكن إلى وعد الله تعالى. والتسليم: أن تكتفي بعلم الله تعالى. والتفويض: أن ترضى بحكم الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (إن): حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتَهُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله الأول، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، وفاعله مستتر تقديره: هو، يعود إلى ﴿مَّنْ﴾. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَّنْ خَلَقَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (سأل). ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (يقولُنَّ): فعل مضارع مرفوع،

وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، ونون التوكيد حرف لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: الله خلقهنَّ. أو هو فاعل لفعل محذوف التقدير: خلقهن الله، ويرجحه التصريح به في قوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٩]: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾. والجملة على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ جواب القسم المقدر، المدلول عليه باللام الموطئة، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما. والكلام: ﴿وَلَئِن...﴾ إلخ كله مستأنف لا محل له.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري تعجبي. الفاء: أراها صلة للتوكيد. وقال الجمل: الظاهر: أن الفاء جواب شرط مقدر؛ أي: إذا لم يكن خالق سواه، فهل يمكن غيره كشف ما أراد من الضر، أو منع ما أراد من النفع، أو هي عاطفة على مقدر؛ أي: أتفكرتم بعدما أقررتم به، فرأيتم. انتهى. ولعلك تدرك معي: أن اعتبارها زائدة أسهل وأفهم، ولا حاجة إلى هذا التقدير، والتكلف. (رأيتم): فعل، وفاعل. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، فعلى قول أبي السعود يكتفي الفعل به، وعلى قول الكازروني يتطلب الفعل مفعولين على مثال ما رأيت في سورة (الأنعام) رقم [٤٠]، وفي سورة (يونس) رقم [٥٠] الأول الاسم الموصول، والثاني جملة استفهامية غير موجودة هنا. ويقدر الكلام: أخبروني ما تدعون من دون الله، هل هو حقيق بالعبادة، أو لا؟ انتهى. جمل من سورة (الشعراء). ولكنه هنا اعتبر المفعول الثاني موجوداً. وهي قوله: ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ وعليه؛ فجملة الشرط معترضة وجوابها محذوف. انتهى. بتصرف. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. والعائد محذوف. إذ التقدير: الذي تدعونه. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول المحذوف. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَادَنِيَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِضُرٍّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، لدلالة الجملة الآتية عليه، والجملة الشرطية معترضة، كما رأيت فيما تقدم. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ضُرِّهِۦٓ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ ويقرأ بالتنوين ونصب ﴿ضُرِّهِۦٓ﴾ على أنه مفعول صريح، ومثله ﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾، والجملة الاسمية: ﴿هَلْ هُنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان

ل: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ وهي دليل جواب الشرط. ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ معطوف هذا الكلام على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، مبني على السكون، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿حَسْبِيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ. وهو فاعل بالمعنى، ويجوز اعتبار: ﴿حَسْبِيَ﴾ خبراً مقدماً، ولفظ الجلالة مبتدأ مؤخراً. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والتقديم: يفيد الاختصاص، والحرص. ﴿يَتَوَكَّلُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية، والجملة الاسمية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على غاية تمكنكم، واستطاعتكم. يقال: مكن مكانة: إذا تمكن أبلغ التمكين. أو المعنى: على ناحيتكم، وجهتكم، وحالتكم؛ التي أنتم عليها، من قولهم: مكان، ومكانة كمقام، ومقامة، ويقرأ: (مكاناتكم) بالجمع في كل القرآن. وهو أمر تهديد، ووعيد؛ أي: اثبتوا على كفركم، وعداوتكم. انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥]. ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ أي: ثابت على ما كنت عليه من المصابرة، والتوحيد، والإيمان. فحذف هذا الكلام للاختصار، أو المبالغة في الوعيد، والإشعار بأن حاله لا تقف، فإن الله يزيده على مر الشهور، والأعوام قوةً، ونصراً، ولذلك توعدهم بكونه منصوراً عليهم في الدارين، فقال: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فهو تهديد ووعيد بصيغة المضارع؛ الذي هو للمستقبل بعد التهديد، والوعيد بصيغة الأمر. هذا؛ وقال البيضاوي: بتفسير ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم اسم مكان استعير للحال، كما استعير: هنا، وحيث من المكان إلى الزمان؛ أي: في كثير من الآيات.

هذا؛ وقد ذكرت الآية بحروفها في (الأنعام) برقم [١٣٥]، وذكرت في سورة (هود) برقم [٩٣] بدون اقتران سوف بالفاء، والسبب في ذلك: أن الفاء في السورتين للتصريح بأن الإصرار، والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك، وحذفت في سورة (هود)؛ لأنه جواب سائل. قال: فماذا يكون بعد ذلك، فهو أبلغ في التهويل. انتهى. بيضاوي.

وقال النسفي: وإدخال الفاء في (سوف) وصل ظاهري بحرف وضع للوصل، ونزعها وصل تقديري بالاستئناف؛ الذي هو جواب لسؤال مقدر. كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا على مكانتنا، وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون. والإتيان بالوجهين للتفنن في البلاغة. وأبلغهما الاستئناف. انتهى. وهذا الاستئناف يسمى في علم البيان بالاستئناف البياني.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة. . .إلخ، وانظر رقم [٢٠] من سورة (يس). ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. التقدير: اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ تعليل للأمر، وهي من مقول القول. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف تعليل، أو استئناف. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية تعليل، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، ولكنها تعود في محل نصب مقول القول.

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يذله، ويدينه، والمراد به: عذاب الدنيا، وذلك بالجوع، والسيف، وقد عذبهم الله، وأخزاهم يوم بدر. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم مستمر، لا محيد له عنه، وذلك يوم القيامة، أعاذنا الله منه. هذا؛ والفعل (يُخزيه) من الإخزاء، وهو الإذلال، قال ذو الإصبع العدواني شاعر جاهلي: [البسيط]

لَاهِ ابنُ عمِّكَ لا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

وهذا هو الشاهد رقم (٢٦٠) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، ومنه قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ يخاطب به من شج وجه النبي ﷺ في غزوة أحد: [الطويل]

فأَخْزَاكَ رَبِّي يا عُتَيْبَ بنَ مالكٍ ولقَّاكَ قبلَ المَوْتِ إحدى الصَّوَاعِقِ

مددْتَ يميناً لِلنَّبيِّ تَعَمُّداً ودَمَّيْتَ فَاهُ قُطِّعَتْ بالبَوَارِقِ

وهو على هذا من الرباعي من: أخزى؛ يُخْزِي، وهو من الثلاثي: خَزِيَ، يَخْزى خِزايةً بمعنى: استحيا، وخجل، قال نهشل بن حرِيٍّ الدارميّ من قصيدة يرثي بها أخاه مالكاً، وكان قد قُتِل بصفين مع الإمام علي، كرم الله وجهه: [الطويل]

أخٌ ماجدٌ لم يُخْزِني يَوْمَ مَشْهَدٍ كَمَا سيفُ عَمْرٍو لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ

وهذا هو الشاهد رقم [٣٢٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وقال ذو الرمة: [البسيط]

خَزايَةً أَدْرَكَتْهُ بعدَ جَوْلَتِهِ مِنْ جانبِ الحبْلِ مَخْلُوطاً بها الغَضَبُ

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿تَعۡلَمُونَ﴾، وتحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ. التقدير: أينا يأتيه العذاب. ﴿يَأۡتِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة (من) على اعتبارها موصولة، وفي محل رفع خبرها على اعتبارها استفهامية مبتدأ. وعليه يكون الفعل: ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ معلقاً عن العمل. والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعوله، إن كان من المعرفة، أو سدت سد مفعوليه إن كان من العلم، واعتباره من المعرفة هنا أولى. تأمل. وجملة: ﴿يُخۡزِيهِ﴾ في محل رفع صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، ﴿وَيَحِلُّ﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان به. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل. ﴿مُّقِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. هذا؛ والآية الكريمة مذكورة بحروفها في سورة (هود) برقم [٣٩]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن. ﴿لِلنَّاسِ﴾: لأجلهم، ولأجل حاجاتهم، فإنه مناط مصالحهم في معاشهم، ومعادهم، ولينذروا، وليبشروا، فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: ملتبساً ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الواضح، الذي لا خفاء فيه. ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي: فمن اهتدى بالإيمان به، والعمل بما فيه من الشرائع، والأحكام، فنفع اهتدائه عائد إليه لا إلى غيره. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: عن طريق الإيمان، وأخطأ طريق الهدى؛ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ أي: إنما يرجع وبال ذلك على نفسه، لا على غيره. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظ تحفظ أعمالهم، وليس أمرهم موكولاً إليك، وإنما أنت رسول بشير ونذير، وقد أعذرت حين أنذرت، فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾. وانظر (نا) في الآية رقم [٣٤] من سورة (يسٓ).

هذا؛ وقال الجمل نقلاً عن الخطيب: أي: لست مأموراً بأن تحملهم على الإيمان على سبيل القهر، بل القبول وعدمه مفوض إليهم. وذلك تسلية لرسول الله ﷺ، أو لأن الهداية والضلال من العبد لا يحصلان إلا من الله تعالى؛ لأن الهداية تشبه الحياة، واليقظة والضلال يشبهان الموت، والنوم، فكما أن الحياة، واليقظة لا يحصلان إلا بخلق الله تعالى، كذلك الضلال، لا يحصل إلا من الله تعالى، ومن عرف هذه الدقيقة؛ فقد عرف سر الله في القدر، ومن عرف سرَّ الله تعالى في القدر؛ هانت عليه المصائب. انتهى. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الغاشية): ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾. هذا؛ والآيات التي من هذا النوع منسوخةٌ بآية القتال. هذا؛ ولا تَنْسَ: الطباق، والمقابلة بين: اهتدى، وضل.

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول، وأجيز تعليقهما بالفعل (أنزل) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف في محل جزم فعل الشرط. والفاعل يعود إلى (مَنْ)، تقديره: «هو». ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لنفسه): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهدايته لنفسه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه. كما رأيت في الآية رقم [٢٣]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً، فهي مبتدأ، وجملة: ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾ صلته، والجملة الاسمية التي رأيتها في محل رفع خبره، واقترنت بالفاء؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ...﴾ إلخ لا محل لها على الاعتبارين؛ لأنها مفرعة عما قبلها، ومستأنفة. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ إعرابه مثل إعراب سابقه بلا فارق. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَضِلُّ﴾: فعل مضارع. والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم: (ما). ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (وكيل): خبر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) تميمية مهملة؛ فالضمير مبتدأ. وتكون الباء زائدة في خبره، والأول أقوى. والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يقبضها عند فناء آجالها، وانقطاع رزقها من الدنيا، وتوفي الأنفس على هذا النحو مذكور في كثير من الآيات القرآنية. ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى

﴿مَنَامِهَا﴾ أي: يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها. قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٦٠]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾. انظر تفسيرها هناك، ففيه كبير فائدة. ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أي: لا يردها إلى أجسادها. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي: النائمة يردها إلى بدنها عند اليقظة، إلى أجل مسمى. أي: الوقت المضروب لموت صاحبها. وهو غاية وقت الإرسال.

هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من المفسرين: إن أرواح الأحياء، والأموات تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد، أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها. وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ أيضاً: إن الله يقبض أرواح الأموات؛ إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف. ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي: يعيدها. وقال علي ـ كرم الله وجهه ـ: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها؛ فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها؛ تلقيها الشياطين، وتخيل إليها الأباطيل، فهي الرؤيا الكاذبة.

وقال ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: النوم وفاة والموت وفاة. وعن النبي ﷺ قال: «**لَتَموتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، ولتبعثُنَّ كَمَا تسْتَيْقظون**». وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: النوم أخو الموت. ومن حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قيل: يا رسول الله! أينام أهل الجنة؟ قال: «**لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها**».

هذا؛ واختلف الناس من هذه الآية في النفس، والروح: هل هما شيء واحد، أو شيئان على ما ذكرنا؟ والأظهر: أنهما شيء واحد، وهو الذي تدل عليه الآثار الصحاح، من ذلك حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شُقَّ بصرُهُ، فأغمضه، ثم قال: «**إنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تبعه البصرُ**». وحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألم تروا الإنسانَ إذا ماتَ شخصَ بصَرهُ، قال: فذلك حِينَ يَتْبَعُ بصرُهُ نفسَهُ**». خرجهما مسلم. انتهى. كله من القرطبي بتصرف. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٨] من سورة (الروم) في شرح النفس. وانظر ﴿لِأَجَلٍ﴾ برقم [٥].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من التوفي، والإمساك، والإرسال. ﴿لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في كيفية تعلقها بالأبدان، وتوفيها عنها بالكلية حين الموت، وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها، وما يعتريها من السعادة، والشقاوة، وفي الحكمة في توفيها عن ظواهرها، وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها. انتهى. بيضاوي. وانظر (التفكر) في الآية رقم [٢١] من سورة (الروم) أيضاً؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

تنبيه: أخرج البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلى فِراشِهِ فَلْيَأْخُذْ داخلة إِزارِهِ، فلْيَنْفضْ بها فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ الله فَإِنَّهُ لا يعلمُ ما خَلَفَهُ بَعْدُ على فِرَاشِهِ، فإذا أرادَ أَنْ يَضطجِعَ؛ فليضطجعْ على شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ولْيَقُلْ: سبحانكَ ربِّي وضعْتُ جنبي، وبِكَ أَرْفعُهُ، إنْ أَمْسكْتَ نفسِي؛ فارْحَمْهَا، وإِنْ أَرْسَلْتَهَا؛ فاحفظها بما تحفظُ بِهِ عِبادَكَ الصَّالِحينَ**». زاد الترمذي: «**وإِذَا اسْتَيْقَظَ؛ فلْيَقُلْ: الحمدُ للهِ الَّذي عَافاني فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ روحي وأَذِنَ لي بذكْرِهِ**».

وخرج البخاري عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل؛ وضع يده تحتَ خدِّهِ، ثم يقولُ: «**اللَّهُمَّ باسمِكَ أَمُوتُ؛ وَأَحْيَا**». وإذا استيقظ قال: «**الحمدُ للهِ الذي أحيانا بَعْدَ مَا أَماتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**». هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١] من سورة (السجدة) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَتَوَفَّى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْأَنفُسَ﴾: مفعول به. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. و﴿حِينَ﴾ مضاف، و﴿مَوْتِهَا﴾ مضاف إليه. و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱلَّتِى﴾: الواو: حرف عطف. (التي): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على: ﴿ٱلْأَنفُسَ﴾. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَمُتْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْأَنفُسَ﴾. ﴿فِى مَنَامِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿فَيُمْسِكُ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: حرف عطف، وليس بقوي. (يمسك): فعل مضارع. والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلَّتِى﴾: مفعول به. ﴿قَضَىٰ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: مفعول به. والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. وجملة: ﴿فَيُمْسِكُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (يرسل): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة (أجل) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها وليست عينها، وجملة: ﴿وَيُرْسِلُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع

مؤنث سالم. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (آيات)، وجملة: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: في محل جر صفة (قوم). والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أي: بل اتخذ كفار قريش الأصنام شفعاء تشفع لهم عند الله حين قالوا: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ رقم [١٨] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا...﴾ إلخ: أي: أيشفعون؛ ولو كانوا على هذه الصفة، كما تشاهدونهم جمادات لا يملكون شيئاً من أمرهم، ولا يقدرون على دفع ضر، أو على جلب نفع لأنفسهم؟ ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يفهمون ما يقال لهم.

هذا؛ وإنما جمع الأصنام، والمعبودات الباطلة جمع المذكر السالم؛ لأن الكفار كانوا يخاطبونها مخاطبة العقلاء، فنزلت منزلتهم في الكلام، وهذا كثير في القرآن الكريم، وقد ذكرته في محاله مراراً، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل؛ إذا عاملوه معاملته، وأنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، كما يستعملون له «مَنْ» التي هي للعاقل لما ذكر من السبب. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ رقم [٥] من سورة (الأحقاف)، وقال امرؤ القيس وهو الشاهد رقم (٨٥) من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البالي ... وهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ في الْعُصُرِ الْخَالِي؟

الإعراب: ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى: بل، فهي منقطعة عما قبلها. ﴿اتَّخَذُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ: ﴿شُفَعَاءَ﴾ بعدهما؛ لأنه جمع: شفيع. وقيل: هما مفعول ﴿اتَّخَذُوا﴾ الثاني تقدم على الأول، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿شُفَعَاءَ﴾: مفعول به. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، داخلة على محذوف، كما رأيت. الواو: واو الحال، (لو): وصلية هنا. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل الفعل المقدر بعد الهمزة، التقدير: أيشفعون في حالة تقدير عدم ملكهم، وعدم عقلهم؟ وقيل: (لو) شرطية، وليس بشيء. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، والجملة المقدرة: أيشفعون. . .إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

تنبيه: مثل هذه الآية في تركيبها، وإعرابها الآية رقم [١٧٠] من سورة (البقرة)، ورقم [١٠٤] من سورة (المائدة)، ورقم [٢١] من سورة (لقمان).

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: أمر، وخطاب للنبي ﷺ. ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: مالك الشفاعة كلها، ولا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه، ولا يستقل بها أحد، وهو جواب لمن يقول، ويعترض: كيف قال: ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ مع ما جاء في الأخبار، أن للأنبياء، وللعلماء، والشهداء والأطفال شفاعات؟ وإيضاحه: أنه تعالى مختص بها، لا يملكها أحد إلا بتمليكه له، كما قال تعالى في آية الكرسي: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، وقال في سورة (الأنبياء) رقم [٢٨]: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ لكن الذي هو مشروط في الآية شيئان: الملك، والعقل، والشرطان مفقودان في الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى.

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: فهو المتصرف في هذا الكون: فهو المالك له كله، لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه، ورضاه. ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ. هذا؛ وإنما قال: ﴿جَمِيعٗاۖ﴾ وهو للاثنين فصاعداً؛ والشفاعة واحدة؛ لأن الشفاعة مصدر، والمصدر يؤدي عن الاثنين والجميع. هذا؛ وشفعاء جمع شفيع، والشفاعة: التوسل، وابتغاء الخير، والذي يكون منه التوسل يسمى الشفيع، والشفاعة في الدنيا تكون حسنة، وتكون سيئة، فالأولى هي التي روعي فيها حق مسلم، ودفع بها عنه شر، أو جلب إليه خير، وابتغي بها وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق مِنْ حقوق الله. والسيئة هي ما كانت بخلاف ذلك. وقيل: الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم؛ لأنها بمعنى: الشفاعة إلى الله تعالى، فعن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، وقال لهُ الملكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ**». فذلك هو النصيب الذي ذكره الله بقوله: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ رقم [٨٥] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿جَمِيعٗاۖ﴾: حال من الشفاعة، والجملة الاسميةُ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مُلْكُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله. والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول أيضاً.

تنبيه: لقد اختلف في مجيء الحال من المبتدأ، فمنعه قوم، ومنهم ابن القواس، فإنه قال في درة الغواص: مجيء الحال من المبتدأ يلزم منه المحال مِنْ وجهين: الأول: أنه لا يصدق عليه حد الحال؛ لكونه هيئة للمبتدأ، والحال يجب أن يكون هيئة فاعل، أو مفعول. والثاني: أنه يؤدي إلى أن يكون المبتدأ عاملاً في الحال، لوجوب كون العامل في الحال عاملاً في صاحبها، وهو محال، وإنما يصح أن تجعل حالاً على قول من يرفع الشفاعة بالجار والمجرور من غير أنْ يعتمد على نفي، أو شبهه، وهو مذهب الأخفش، والكوفيين، وقول ابن القواس هو قول الجمهور، وخرجه على أن الحال إنما هي من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور.

واختلف النقل عن سيبويه، فبعضهم يجعله موافقاً للجمهور، وبعضهم يجعله موافقاً لما استشهد به ابن هشام في قول كثير عزة، وهو الشاهد رقم [١٣٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

لِعَزَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ ... يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ

ويعد ذلك من المآخذ عليه. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة النحل [٥٢]: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾، وأيضاً قوله الشاعر وهو الشاهد رقم [٣٧٨] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا ... وفي الأرضِ مبثوثاً شجاعٌ وعقربُ

الشاهد بـ: موحشاً حيث وقع حالاً من: (طلل)، وواصباً وقع حالاً من (الدين)، و(مبثوثاً) وقع حالاً من: (شجاع وعقرب). وأيضاً قول الشاعر، وهو الشاهد رقم (٣٧٢) من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وفي الْجِسْمِ مِنِّي بيِّناً لوْ عَلِمْتِهِ ... شحوبٌ، وإنْ تستشهدي الْعَيْنَ تَشْهَدِ

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: إذا أفرد الله بالذكر، ولم تذكر آلهتهم، مثل قول المؤمن: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ ﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ...﴾ إلخ: قال ابن عباس، ومجاهد، والمبرد:

انقبضت. وقال قتادة: نفرت، واستكبرت، وكفرت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ رقم [٣٥] من سورة (الصافات). هذا؛ وأصل الاشمئزاز النفور، والازورار. قال عمرو بن كلثوم في معلقته رقم [٦٠] و[٦١]: [الوافر]

فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾: يعني الأوثان، ومعبوداتهم الباطلة. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون، ويظهر البشر، والسرور على وجوههم لفرط افتتانهم بها، ونسيان حق الله عليهم، ولقد بالغ في الأمرين؛ حتى بلغ الغاية فيهما، فإن الاستبشار: أن يمتلئ قلبه سروراً؛ حتى تنبسط له بشرة وجهه، والاشمئزاز: أن يمتلئ غماً؛ حتى ينقبض أديم وجهه، انتهى. بيضاوي. هذا؛ وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني: الأوثان، حين ألقى الشيطان في أمنية النبي ﷺ عند قراءته سورة (النجم): «تلك الغرانيق العلا...» إلخ قاله جماعة من المفسرين. هذا؛ ولقد بينت في سورة (الحج) رقم [٥١] بطلان هذه الحكاية، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين. هذا؛ وقال تعالى في سورة (غافر) رقم [١٢]: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ﴾ وفي الآية الكريمة من المقابلة الرائعة ما لا يخفى؛ حيث قابل بين الله، والأصنام، وبين السرور، والاشمئزاز، والمقابلة أن يؤتى بمعنيين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، وهو من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف، وقيل: عاطفة. وفيه ضعف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿ذُكِرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱللَّهُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿وَحْدَهُ﴾: قال القرطبي: نصب على المصدر عند الخليل، وسيبويه، وعلى الحال عند يونس. انتهى. أقول: وهو المعتمد، وهو مؤول بـ: «منفرداً» كما هو مقرر في كتب النحو. ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿قُلُوبُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿ٱشْمَأَزَّتْ...﴾ إلخ جواب: (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (إذا): مثل سابقتها. ﴿ذُكِرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعله. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾ الشرطية، وانظر الآية رقم [٢٩] من سورة (يس)، فالبحث فيها وافٍ كافٍ.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. وجملة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً، وواقعة جواباً لـ: (إذا) الظرفية على اعتبارها حرفاً، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها معطوف على ما قبله لا محل له مثله.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلِ﴾: أمر، وخطاب للنبي ﷺ، وينبغي لكل مؤمن أن يقرأ هذه الآية في مقدمة سؤاله الله شيئاً من أمور الدنيا، والآخرة. قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ...﴾ إلخ. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: بأي شيء كان النبيُّ ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته، قال: «**اللهم ربَّ جبريلَ، وميكائيل وإسرافيل، فاطِرَ السمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيبِ والشهادةِ، أَنْتَ تحكُمُ بينَ عِبادِكَ فيما كانُوا فيهِ يَخْتلِفُونَ، اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ من الحقِّ بإذنِكَ، إنكَ تهدي مَنْ تشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ**». أخرجه مسلم.

﴿ٱللَّهُمَّ﴾: أصله: يا الله، فحذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم المشددة في الآخر، ولا يجمع بين العوض والمعوض عنه إلا في ضرورة الشعر، كما في قول أمية بن أبي الصلت، انظر الشاهد رقم [٤٤٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

إنِّــــي إذَا مَــــا حــــدَثٌ أَلــــمَّــــا أَقُــولُ يــا الــلَّــهــمَّ يَــا الــلَّــهــمَّــا

وهذا الحذف والتعويض من خصائص الاسم الكريم، كدخول «يا» عليه مع لام التعريف، وقطع همزته، وتاء القسم. ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما، ومبتدعهما على غير مثال سبق. هذا؛ والْفَطْر: الشق عن الشيء، يقال: فطرته، فانفطر، قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ ومنه: فطر ناب البعير: طلع، فهو بعير فاطر، وتفطَّر الشيءُ: تشقَّق، وسيفٌ فطارٌ؛ أي: فيه تشقق، قال عنترة: [الوافر]

وسَيْــفِــي كــالــعــقــيــقــة فــهــوَ كِــمْــعِــي سِــــلاحِــــي لا أَفَــــلَّ، ولاَ فُــــطَــــارَا

وكِمْعِي: ضجيعي، والْفَطْر: الاختراع، والابتداع، والابتداء. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. أي: أنا ابتدأتها. والْفَطْر: حلب الناقة بالسبابة، والإبهام. والمراد: بذكر السموات والأرض: العالم كله، ويستدل بهذا على أن من قدر على الابتداء قادر على

الإعادة. ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: السر، والعلانية. هذا؛ والشهادة: الحضور، والغيب: ما غاب عن الإنسان، ولم تدركه حواسه قال الشاعر المسلم: [الطويل]

وبِالْغَيْبِ آمَنَّا، وقَدْ كانَ قومُنَا ... يُصَلُّونَ لِلأَوْثَانِ قبلَ محمدِ

﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: في دنياهم، وستفصل بينهم يوم معادهم، ونشورهم، وقيامهم من قبورهم. هذا؛ وعن سعيد بن المسيب ـ رضي الله عنه ـ قال: لا أعرف آية قرئت فدعي عندها، إلا أجيب سواها. وعن الربيع بن خثيم (وكان قليل الكلام) أنه أخبر بمقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ وقالوا: الآن يتكلم، فما زاد أن قال: آهٍ! وقد فعلوا؟! وقرأ هذه الآية. وروي: أنه قال على أثره: قتل من كان ﷺ يجلسه في حجره، ويضع فاه على فيهِ. انتهى. وخذ ما يلي:

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: اللهمَّ فاطِرَ السموات والأرض، عالمَ الْغَيْبِ والشهادةِ، إِنِّي أعهدُ إِلَيْكَ في هذِهِ الحياة الدُّنْيَا: أَنِّي أشهدُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا أَنْتَ وحدَكَ لا شريكَ لك، وأن محمداً عبدُكَ، ورسولُكَ، فإنكَ إِنْ تكلْني إلى نفسي؛ تقرِّبْني من الشرِّ، وتُباعِدني مِنَ الْخَيْرِ، وإِنِّي لا أثقُ إِلَّا برحمتِكَ فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يَوْمَ القيامةِ، إنكَ لا تخلفُ الميعادَ؛ إلا قال الله عزَّ وجل لملائكتِهِ يومَ القيامَةِ: إِنَّ عبدي قدْ عهِدَ إِلَيَّ عهداً، فأوفوهُ إِيَّاهُ، فيُدْخِلُهُ اللهُ الجنةَ**». أخرجه الإمام أحمد.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: «يا» المحذوفة، والمعوض عنها الميم المشددة في الآخر. ﴿فَاطِرَ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه بدل من ﴿ٱللَّهُمَّ﴾. الثاني: أنه عطف بيان عليه. الثالث: أنه منادىً ثانٍ، حذف منه أداة النداء؛ أي: يا فاطر. . .إلخ. الرابع: أنه نعت لـ: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ على الموضع، فلذلك نصب، وهذا ليس مذهب سيبويه، فإنه لا يجيز نعت هذه اللفظة لوجود الميم المشددة في آخرها؛ لأنها أخرجتها عن نظائرها من الأسماء، وأجاز المبرد ذلك، واختاره الزجاج. قالا: لأن الميم بدل من «يا»، والمنادى مع «يا» لا يمتنع وصفه، فكذا ما هو عوض منها، وأيضاً: فإن الاسم لم يتغير عن حكمه، ألا ترى إلى بقائه مبنياً على الضم، كما كان مبنياً مع «يا». انتهى. جمل. نقلاً من السمين.

و﴿فَاطِرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿عَٰلِمَ﴾: يجوز فيه ما جاز بـ: ﴿فَاطِرَ﴾ من أوجه، و﴿عَٰلِمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾ مضاف إليه. . .إلخ، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْغَيْبِ﴾. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تَحْكُمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه تقديره: «أنت». والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان

متعلق بالفعل قبله، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿عِبَادِكَ﴾ مضاف إليه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿فِي مَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَحْكُمُ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في). ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية: «يختلفون فيه» في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (في). هذا؛ والآية كلها في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر، وارتكاب المعاصي، واجتراح السيئات. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: صنوف الأموال كلها، وملكوا مثل ذلك معه. ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: من العقاب الشديد، والعذاب الأليم، ولكنه لا يقبل منهم، كما صرح به سبحانه وتعالى في الآية رقم [٩١] من سورة (آل عمران)، ورقم [٣٦] من سورة (المائدة)، ورقم [١٨] من سورة (الرعد). وهذا؛ وعيد لهم شديد، وإقناط لهم من الخلاص.

﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ...﴾ إلخ: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: من أجلِّ ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال: عملوا أعمالاً توهموا: أنها حسنات، فإذا هي سيئات. وقاله السدِّي. وقيل: عملوا أعمالاً توهموا: أنهم يتوبون منها قبل الموت، فأدركهم الموت قبل أن يتوبوا، وقد كانوا ظنوا: أنهم ينجون بالتوبة. وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم، وقصتهم. وقال عكرمة بن عمار: جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعاً شديداً، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: أخاف آية من كتاب الله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ...﴾ إلخ، فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب. وهذه الآية غاية في الوعيد لا غاية وراءها. ونظيره في الوعد قوله تعالى في سورة (السجدة) رقم [١٧]: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾ إلخ.

هذا؛ والأكثرية الساحقة من المسلمين في هذه الأيام يتمنون الأماني الكاذبة، فتراهم يهملون واجبات الله تعالى، ويرتكبون المعاصي، والمنكرات، وهم مع ذلك يؤملون جنة عرضها السموات، والأرض، أعدت للمتقين، يقولون: الله غفورٌ رحيمٌ، النبي الكريم يشفع لنا، فتح لهم الشيطان باب هذه الأماني الكاذبة، وغرَّهم بالله الغرور، فهم يجدون الله يوم القيامة قد أعد لهم العقاب الشديد، والعذاب الأليم، وقد بين النبي ﷺ، هذا بصريح قوله: «**لَيْسَ الإيمانُ بالتمنِّي، ولكِنْ ما وقَرَ في القلبِ، وصدَّقَهُ العملُ، إنَّ قوماً ألهتهم الأمانيُّ حتى خرجوا من**

الدنيا، ولا حسنة لهم، وقالوا: نحْسِنُ الظَّنَّ بالله؛ كَذبُوا! لَوْ أحسنوا الظنَّ؛ لأَحْسَنُوا العمل». وانظر رقم [٢٣] من سورة (فصلت) وهذا الحديث يروى موقوفاً عن الحسن البصري.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ تقدم على اسمها، وجملة: ﴿ظَلَمُوا﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿أَنَّ﴾ مؤخر. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من: ﴿مَا﴾، أو من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور. ﴿وَمِثْلَهُ﴾: معطوف على: ﴿مَا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من (مثله). و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط: (لو) عند المبرد، التقدير: ولو ثبت ظلمهم، أو: حصل، ونحوه. وقال سيبويه: المصدر المؤول في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو ظلمهم ثابت، أو حاصل. وقول المبرد هو المرجح؛ لأن (لو) لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر، وفاعله المؤول جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَأَفْتَدَوْا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (افتدوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محل لها من الإعراب. ﴿بِهِۦ مِن سُوٓءِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سُوٓءِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله أيضاً. وقيل: متعلق بمحذوف حال من واو الجماعة. و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَبَدَا﴾: الواو: حرف عطف. (بدا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل: (بدا). ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُونُوا﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ في محل نصب خبر: ﴿يَكُونُوا﴾، وجملة: ﴿لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: لم يكونوا يحتسبونه، وجملة: ﴿وَبَدَا...﴾ إلخ معطوفة على (لو) ومدخولها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَدَا لَهُمْ...﴾ إلخ: أي: وظهر لهم في ذلك اليوم العظيم شأنه، الطويل زمانه ـ وهو يوم القيامة ـ مساوئ أعمالهم من الشرك، والكفر، والظلم، والطغيان، والاعتداء على

حقوق العباد، أو ظهر لهم عقاب ما ذكر، وجزاؤه؛ حيث رأوه بأعينهم. ﴿وَحَاقَ بِهِم...﴾ إلخ: أي: أحاط بهم العذاب، ونزل بهم من كل الجهات جزاء ما كانوا به يستهزئون، فهو على حد الآية رقم [١٦]: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ...﴾ إلخ، هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع، والمبالغة في التهديد والوعيد. هذا؛ ومثل هذه الآية في نصها، ومغزاها، ومعناها رقم [٣٣] من سورة (الجاثية)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] من سورة (فصلت).

الإعراب: ﴿وَبَدَا﴾: الواو: حرف عطف. (بدا): فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّئَاتُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: سيئات الذي كسبوه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: سيئات كسبهم. وجملة: ﴿وَبَدَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَحَاقَ﴾: الواو: حرف عطف. (حاق): فعل ماض. ﴿بِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: مثل سابقتها تحتمل الوجوه الثلاثة، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: وحاق بهم استهزاؤهم. هذا؛ والجار والمجرور: ﴿بِهِم﴾ متعلقان بالفعل بعدهما، وتفصيل الإعراب لا يخفى عليك بعد هذا؛ وجملة: ﴿وَحَاقَ بِهِم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾: بلاء في جسمه، أو في ماله، أو في ولده. والمراد: بالإنسان هنا: الكافر، والفاسق، والفاجر. ﴿دَعَانَا﴾: تضرع إلينا ولجأ يطلب كشف ذلك الضر. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أي: كشفنا عنه ضره، وأعطيناه، وأنعمنا عليه تفضلاً منا بنعمة من نعم الدنيا: صحة في جسمه، أو غنىً في ماله، أو زيادة في ولده؛ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ أي: مني: أني سأعطاه لما فيَّ من فضل، واستحقاق. أو: على علم مني بوجود الكسب، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ رقم [٧٨] من سورة (القصص)، وإنما ذكَّر الضمير في: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ وهو للنعمة نظراً إلى المعنى؛ لأن قوله ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ شيئاً من النعمة وقسماً منها. وقيل: (ما)

في: ﴿إِنَّمَآ﴾ موصولة، لا كافة، فيرجع الضمير إليها؛ أي: إن الذي، أوتيته على علم.

﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾: إنكار لذلك الإنسان، ورد عليه، كأنه قال: ما خولناك من النعمة لما تقول؛ ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾ أي: ابتلاء، واختبار، وامتحان لك: أتشكر أيها الإنسان، أم تكفر؟ ولما كان الخبر مؤنثاً، أعني: ﴿فِتۡنَةٞ﴾ ساغ تأنيث المبتدأ لأجله، وقرئ: (بل هو فتنة) على وفق ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أنها فتنة. وانظر الآية رقم [٢٩]. هذا؛ ومعنى هذه الآية تكرر كثيراً في كتاب الله.

هذا؛ والسبب في عطف هذه الآية بالفاء، وعطف مثلها في أول السورة رقم [٨] بالواو: أن هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ رقم [٤٥] على معنى: أنهم يشمئزون من ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة، وإذا مس أحدهم ضرٌّ دعا من اشمأز بذكره، دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض.

فإن قلت: حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه؛ قلت: ما في الاعتراض من دعاء الرسول ﷺ ربه بأمر الله، وقوله: ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ﴾ ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم، واستبشارهم، ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم، كأنه قيل: قل: يا رب! لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة إلا أنت. وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ متناول لهم، ولكل ظالم؛ إن جعل عاماً، أو إياهم خاصةً؛ إن عنيتهم به، كأنه قيل: ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعاً، ومثله معه؛ لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب.

وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة، وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها، فعطفت عليها بالواو، نحو قام زيد، وقعد عمرو، وبيان وقوعها مسببة أنك تقول: زيد يؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه، فهذا تسبب ظاهر، ثم تقول: زيد كافر بالله، فإذا مسه ضر التجأ إليه، فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجأ المؤمن إليه، مقيماً كفره مقام الإيمان في جعله سبباً في الالتجاء. انتهى. نسفي بتصرف.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٤٥]. والجملة الفعلية: ﴿مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿دَعَانَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تقديره: «هو»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها معطوف على مثله في الآية رقم [٨] وانظر الشرح لتوضيح ذلك. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِذَا﴾: مثل سابقتها. ﴿خَوَّلۡنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿نِعۡمَةٗ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِّنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نِعۡمَةٗ﴾، أو بمحذوف صفة لها، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾: فعل ماض مبني للمجهول

مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والهاء مفعوله الثاني. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من تاء الفاعل. هذا؛ وأجيز اعتبار (إنَّ) غير مكفوفة، فتكون (ما) اسمها، والجملة الفعلية صلة (ما)، والجار، والمجرور: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ متعلقين بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة سواء أكانت فعلية، أم اسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، وإنكار، وانتقال. ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿فِتْنَةٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكن)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. وقيل: الجملة في محل نصب حال، ولا وجه له.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: قال الكلمة: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قارون، وقومه راضون بها، فكأنهم قالوها. ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها، وفي زمننا كثير من المسلمين يقولونها، ويعتقدون: أنهم بدهائهم، وكذبهم، ولفهم، ودورانهم يجمعون المال، ويعدُّون ذلك شطارة، ومهارة، ولا يبالون من أين اكتسبوا المال، من حلال، أم من حرام؟! ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم...﴾ إلخ: فما أجدى، ولا نفعهم ما جمعوه من حطام الدنيا حينما نزل بهم غضب الله وعقابه الشديد، وعذابه الأليم، والقرآن أصدق شاهد على ذلك، وأدل دليل عليه.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿قَالَهَا﴾: فعل ماض، و(ها): مفعول به، ونصب القول الضمير لتفسيره بالكلمة التي رأيتها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَغْنَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿عَنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فما أغنى عنهم الذي، أو: شيء كانوا يكسبونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: فما أغنى عنهم كسبهم. هذا؛ وقيل: (ما) الأولى استفهامية، التقدير: أي شيء أغنى عنهم ما كانوا.. إلخ؟ وهو ضعيف،

والجملة الفعلية: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓاْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ٥١﴾

الشرح: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓاْ﴾ أي: جزاء سيئات أعمالهم، أو: جزاء أعمالهم، وسمى الله الجزاء سيئة؛ لأنه في مقابلة أعمالهم السيئة، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ الآية رقم [٤٠] من سورة (الشورى)، وقال في آخر سورة (النحل) الآية [١٢٦]: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾، وهذا ما يسمى في فن البديع بالمشاكلة، وقد ذكرته لك مراراً في محالِّه، ومنه قول الشاعر وهو ابن الرقعمق: [الكامل]

أَصْحَابُنَا قَصَدُوا الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ ... وَأَتَى رَسُولُهُم إِلَيَّ خِصِيصَا

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر، ومخالفة الواحد القهار. والمراد بهم: كفار قريش. ﴿سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾: كما أصاب أولئك السابقين، وقد أصابهم البلاء بأنواعه، فإنهم قحطوا سبع سنين؛ حتى أكلوا الجيف، وقتل ببدر صناديدهم، ونزل بهم من الذل، والخزي، والعار ما هو مسطور، ومشهور. ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ أي: وليسوا بفائتين من عذابنا، لا يعجزوننا هرباً، ولا يفوتوننا طلباً. هذا؛ وانظر شرح ﴿أَصَابَ﴾ في الآية رقم [٣٦] من سورة (صٓ). هذا؛ وقال تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٢]: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾. واقتصر في سورة (الشورى) رقم [٣١] على (الأرض) وقد حذفا هنا معاً للاختصار. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَصَابَهُمۡ﴾: الفاء: حرف عطف. (أصابهم): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿سَيِّـَٔاتُ﴾: فاعله، و﴿سَيِّـَٔاتُ﴾ مضاف، و﴿مَا﴾: مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: سيئات الذي، أو: شيء كسبوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: سيئات كسبهم في الدنيا، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنۡ﴾: حرف جر. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه، لا محل له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بـ: ﴿مِنۡ﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و﴿مِنۡ﴾ بيان لما أبهم في الموصول. ﴿سَيُصِيبُهُمۡ﴾: السين: حرف استقبال.

(يصيبهم): فعل مضارع، والهاء مفعول به. ﴿سَيِّئَاتُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، و﴿سَيِّئَاتُ﴾ مضاف، و﴿مَا كَسَبُوا﴾ مضاف إليه. وانظر توضيح الإعراب في الآية رقم [٤٨]. والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معجزين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أي: ألم يعلم، ويوقن كفار قريش، وغيرهم من الفجار، والكفار: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يغني، ويوسع الرزق، ويعطي المال لمن يشاء التوسيع عليه. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق الرزق، ويقلله على من يشاء من عباده، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة القاطعة الدامغة، ولذا قال جل شأنه في الآية رقم [٣٠] من سورة (الإسراء): ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ أي: ذو خبرة بعباده، وبمن يصلحه التوسيع في الرزق، ومن يفسده ذلك، وبمن يصلحه الضيق، والإقتار في الرزق، ومن يهلكه ذلك، وهو ذو بصر، ومعرفة بتدبير عباده، وسياستهم، فمن العباد مَنْ لا يصلح له إلا الغنى، ولو أفقره الله؛ لفسد، ومنهم من لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغناه؛ لفسد. هذا؛ وبين ﴿يَبْسُطُ﴾ و(يقدر) مقابلة، ومطابقة، وهي من المحسنات البديعية.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في البسط، والتضييق في الرزق. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لدلالات على قدرة الله، وكمال حكمته، وأنه هو الفاعل المختار، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خصهم بالذكر؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالتذكير، ويعلمون: أن سعة الرزق قد تكون مكراً، واستدراجاً، وتقتيره رفعةً، وإعظاماً، ويوقنون: أن المال هو إعطاء الله للعبد، لا علاقة له بقوة الأجسام، ولا بشدة الفهم، وحدة الذكاء. ورحم الله من يقول: [البسيط]

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ في تَقَلُّبِهِ ... مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عنهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ
كَمْ مِنْ ضعيفٍ ضعيفٍ في تَقَلُّبِهِ ... كَأنهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ
هَذَا دَلِيلٌ على أَنَّ الإلهَ لَهُ ... في الخلقِ سِرٌّ خَفِيٌّ لَيْسَ يَنْكَشِفُ

وفي كثير من الآيات ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾، وهذه الآية مذكورة في سورة (الروم) برقم [٣٧] بحروفها بإبدال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ بـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الواو: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف، التقدير: أقالوا الكلمة المذكورة في الآية رقم [٤٩] ولم يعلموا؟ أو: أغفلوا، ولم يعلموا؟ (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَبْسُطُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والمتعلق محذوف، تقديره: من عباده، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو: لشخص يشاؤه الله من عباده. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، ومتعلقه محذوف، تقديره: له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿يَبْسُطُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول الفعل: ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾، والجملة الفعلية هذه لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ. ﴿يَٰعِبَادِىَ...﴾ إلخ: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لما شدد على الكفار، وذكر ما أعد لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض، ومثله معه لافتدى به من عذاب الله، ذكر هنا ما في إحسانه من غفران الذنوب، أنه إذا آمن العبد، ورجع إلى الله تعالى؛ فإنَّه يغفر له الذنوب جميعاً. وكثيراً ما تأتي آيات الرحمة بعد آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف، وهذه الآية عامة في كل كافر يؤمن، ومؤمن عاص يتوب، فتمحو توبته ذنبه، وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: وهذه أرجى آية في القرآن، فرد عليه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. قال: أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ...﴾ إلخ رقم [٦] من سورة (الرعد)، ومن قول ابن عمر أخذ القاضي عياض المعنى، وقال: [الوافر]

وَمِمَّا زادنِي شَرَفاً وتِيهاً   وكِدْتُ بأَخْمصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ: يا عبادِي   وَأَنْ صَيَّرْتَ أحمدَ لي نَبِيَّا

وقال حرب بن شريح: سمعت جعفر بن محمد، بن علي، يقول: إنكم يا معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في كتاب الله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟...﴾ إلخ، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ من سورة (الضحى) وقال بعضهم في هذا المعنى: [الوافر]

قرأنَا في الضحى ولسوف يُعطي   فَسَرَّ قلوبَنَا ذاكَ الْعَطَاءُ
وَحَاشَا يا رسولَ اللهِ تَرْضى   وَفِينَا مَنْ يُعَذَّبُ أَوْ يُسَاءُ

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: حمل هذه الآية على ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي، وإطلاقاً في الإقدام عليها، وذلك لا يمكن. قلت: المراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي: أنه لا مخلص له من العذاب، فإنَّ من اعتقد ذلك؛ فهو قانط من رحمة الله؛ إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه، وصار من أهل المغفرة، والرحمة، فمعنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: إذا تاب، وصحت توبته، غفرت ذنوبه، ومن مات قبل أن يتوب، فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فإن شاء؛ غفر له، وعفا عنه، وإن شاء؛ عذبه بقدر ذنوبه، ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته، فالتوبة واجبة على كل واحد، وخوف العقاب مطلوب، فلعل الله يغفر مطلقاً، ولعله يعذب، ثم يعفو عنه بعد ذلك. والله أعلم. انتهى. بحروفه، وخذ قول اللقاني في جوهرة التوحيد، فهو موافق لما قاله: [الرجز]

وَمَنْ يَمُتْ ولَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ   فأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ

ثم ذكر الخازن جملة ممتازة من أحاديث النبي ﷺ الشريفة: أكتفي بذكر الحديث القدسي، الذي يرويه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «**يا بن آدم! إنك ما دعوتني، ورجوتني؛ غفرْتُ لكَ علَى ما كانَ منكَ، ولَا أُبالي! يا بْنَ آدَمَ! لَوْ بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماء، ثم استغفرتني؛ غَفَرْتُ لكَ، ولَا أُبَالي! يا بن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة**». أخرجه الترمذي.

قال الجمل: وعبارة النهر: ولما كانت هذه الآية فسحة عظيمة للمسرف؛ أتبعها بأن الإنابة ـ وهي الرجوع ـ مطلوبة، مأمور بها. ثم توعد من لم يتب بالعذاب؛ حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة، والمتكل على الغفران دون إنابة. انتهى. وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة، منها: إقباله عليهم، ونداؤهم. ومنها: إضافتهم إليه إضافة تشريف. ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾. ومنها: إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى. ومنها: إعادة الظاهر بلفظه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾. ومنها: إبراز الجملة من قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مؤكدة بـ: ﴿إِنَّ﴾،

والفصل، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة، انتهى. نقلاً عن السمين.

هذا؛ وأقول: إن لقبول التوبة شروطاً، فإن كانت من حق الله؛ فلها ثلاثة شروط: الندم بالجنان، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالأركان. وإن كانت من حق العبد؛ فلا بد من رجوع الحق لصاحبه بقدر الإمكان. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية رقم [٨] من سورة (التحريم).

تنبيه: اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة، وذكروا أسباباً كثيرة، وأعتمد: أنها نزلت في وحشي قاتل الحمزة، وأصحابه، وذلك: أنه لما قتل الحمزة ـ رضي الله عنه ـ ورجع إلى مكة؛ ندم هو وأصحابه، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنا قد ندمنا على ما صنعنا، وإنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا قد سمعناك بمكة تقول: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ رقم [٦٨] من سورة (الفرقان) وقد دعوْنا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس التي حرم الله، وزنينا، فلولا هذه الآية؛ لاتبعناك، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ إلخ رقم [٧٠] و [٧١] من سورة (الفرقان) فبعث بهما رسول الله ﷺ إليهم، فلما قرؤوها كتبوا إليه: هذا شرط شديد، ونخاف أن لا نعمل صالحاً، فنزلتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ...﴾ إلخ الآية رقم [٤٨] من سورة (النساء). فبعث بها إليهم. فبعثوا إليه: إنا نخاف ألا نكون من أهل المشيئة، فنزلت الآية التي نحن بصدد شرحها، فبعث بها إليهم، فدخلوا في الإسلام، ورجعوا إلى النبي ﷺ، فقبل منهم، ثم قال لوحشي: أخبرني كيف قتلت الحمزة؟ فلما أخبره، قال: ويحك غيب وجهك عني! فلحق بالشام، فكان به إلى أن مات. انتهى. خازن.

أقول: والمشهور: أن هذا كان بعد فتح مكة، بعد أن أهدر الرسول ﷺ دم وحشي فيمن أهدر، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فتوسل ببعض أصحابه فأدخله على النبي الكريم، فعفا عنه، وحصل ما حصل من المناقشة شفاهاً، ونزلت الآية التي ذكرتها متفرقات.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (عبادي): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة: (عبادي)، أو هو عطف بيان عليه، ولا تجوز البدلية؛ لأن البدلية على نية تكرار العامل، ولا يصح أن تقول: «يا» الذين بدون «أي»: قبله، وهذه إحدى مسألتين تمتنع فيهما البدلية، ويتعين فيهما عطف البيان، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَصَالِحاً لِبَدَلِيَّةٍ يُرى ... فِي غَيْرِ نَحْوِ يا غُلامُ يَعْمُرَا

ونــحــوِ بــشْــرٍ تــابــعِ الــبَــكْــرِيِّ وَلَــيْــسَ أَنْ يُــبْــدَلَ بــالْــمَــرْضِــيِّ

وجملة: ﴿أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَقْنَطُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية، والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول. ﴿مِن رَّحْمَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿رَّحْمَةِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَغْفِرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهَ﴾. ﴿الذُّنُوبَ﴾: مفعول به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من: ﴿الذُّنُوبَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له من الإعراب، أو هو توكيد لاسم (إنَّ) على المحل، وعليهما فـ: ﴿الْغَفُورُ﴾ خبر أول لـ: (إنَّ)، و﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر ثان هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ خبرين له، فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل آخر للنهي، أو هي تعليل للتعليل، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: ارجعوا إلى الله بالتوبة، واستسلموا له بالطاعة، والخضوع، والعمل الصالح. لما بين الله أن من تاب من الشرك يغفر له؛ أمر بالتوبة، والرجوع إليه، والإنابة: الرجوع إلى الله بالإخلاص. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾: في الدنيا. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا يوجد ناصر ينصركم، ويمنعكم من عذابه، وعقابه. هذا؛ وروي من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مِنَ السَّعَادَةِ أن يطيلَ اللهُ عمرَ المرءِ في الطاعَة، ويرزقَهُ الإنابةَ، وإنَّ مِنَ الشقاوةِ أن يَعْمَلَ المرءُ، ويعْجَبَ بعمَلِهِ**». هذا؛ ورفع الفعل: ﴿تُنصَرُونَ﴾ ولم يعطف على ما قبله؛ للإشعار بأنهم لا ينصرون ما داموا مصرين على كفرهم.

الإعراب: ﴿وَأَنِيبُوا﴾: الواو: حرف عطف. (أنيبوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب (صبروا) في سورة (صٓ) رقم [٦]. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَا تَقْنَطُوا...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بأحد الفعلين السابقين على التنازع. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له قطعاً. ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والكاف مفعول به. ﴿الْعَذَابُ﴾: فاعله، والمصدر المؤول من

﴿أَن﴾ والفعل المضارع في محل جر بإضافة: ﴿قَبْلِ﴾ إليه. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُنصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾

الشرح: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ...﴾ إلخ: المراد به: القرآن الكريم، وكله حسن. والمعنى: كما قاله الحسن البصري: التزموا طاعته، واجتنبوا معصيته، فإنه أنزل في القرآن ذكر القبيح؛ ليجتنب، وذكر الأدْوَن؛ لئلا يرغب فيه، وذكر الأحسن؛ لتؤثره، وتأخذ به. وقيل: الأحسن: اتباع الناسخ، وترك العمل بالمنسوخ. وقيل: الأخذ بالعزائم دون الرخص. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨] فهو جيد، وينسجم مع هذه الآية في معناها. ﴿بَغۡتَةٗ﴾: فجأة من غير إنذار، ولا يؤخر إذا نزل. ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾: انظر (الشعور) في الآية رقم [٢٥] والمراد هنا: يفجؤكم العذاب؛ وأنتم غافلون، كأنكم لا تخشون شيئاً؛ لفرط غفلتكم.

الإعراب: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتبعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَحۡسَنَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَآ﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾ أو صفتها. ﴿إِلَيۡكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّكُم﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِّن قَبۡلِ﴾: متعلقان بالفعل: (اتبعوا). وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له قطعاً. وانظر بقية الإعراب في الآية السابقة. ﴿بَغۡتَةٗ﴾: حال من: ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ بمعنى: باغتاً، أو مباغتاً، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: يبغتهم بغتة، وتكون الجملة هذه في محل نصب حال من: ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾، وجوز اعتبار ﴿بَغۡتَةٗ﴾ مصدراً للفعل (يأتي) من غير لفظه، كقولهم: أتيته ركضاً، فتكون نائب مفعول مطلق. ﴿وَأَنتُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَشۡعُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من كاف الخطاب الواقع مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ أي: لئلا تقول، أو حذر أن تقول نفس. وإنما نكرت؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر، ويجوز أن يراد بها نفس متميزة من الأنفس، إما بلجاج في الكفر شديد، أو بعذاب أليم. ويجوز أن يراد التكثير، كما قال الأعشى: [الطويل]

وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرأسَ مُغْضَبا

وهو يريد أفواجاً من الكرام ينصرونه، لا كريماً واحداً. ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ أي: يا ندمي، ويا حزني، والتحسر: الاغتمام، والحزن على ما فات. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: على ما ضيعت، أو: على ما قصرت. ﴿فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾: أمر الله، أو في طاعة الله، أو في ذاته، أو في حق الله. هذا؛ والجنب: الجانب، يقال: أنا في جنب فلان، وجانبه، وناحيته، وفلان لين الجنب، والجانب، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه، يريدون: في حقه، قال جميل بثينة: [الطويل]

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وهذا من باب الكناية؛ لأنك إذا أثبت الأمر في جانب الرجل، وحيزه؛ فقد أثبته فيه، ألا ترى إلى زياد الأعجم يقول في عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور: [الكامل]

إِنَّ السَّمَاحَةَ والمروءةَ والندَى في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الْحَشْرَجِ

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ سَاعَةٍ تمرُّ بابنِ آدَمَ لم يذكرِ اللهَ فيها بِخيْرٍ إلا تحسَّرَ عليْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». رواه البيهقي، وغيره. وقال إبراهيم التيمي: من الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي أتاه الله في الدنيا يوم القيامة في ميزان غيره، قد ورثه وعمل فيه بالحق، كان له أجره، وعلى الآخر وِزْرُهُ، ومِنَ الحسرات أن يَرى الرجلُ عبدَهُ الذي خوَّله الله إياه في الدنيا أقرب منزلة منه عند الله عز وجل، أو يرى رجلاً يعرفه أعمى في الدنيا قد أبصر يوم القيامة؛ وعمي هو.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين بدين الله، وبكتابه، وبرسوله، وبالمؤمنين. قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله؛ حتى سخر من أهلها. هذا؛ وبين سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ: أن كل إنسان سيندم بعد الموت، ويتحسر، سواء أكان محسناً، أم مسيئاً. وخذ ما يلي، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يموتُ إلَّا نَدِمَ**». قَالُوا: وما نَدَامَتُهُ يا رسولَ الله؟! قال: «**إنْ كانَ محسناً؛ ندمَ أَلَّا يكونَ ازدادَ، وإنْ كَانَ مسيئاً؛ ندِمَ أَلَّا يكونَ نَزَعَ**». رواه الترمذي، والبيهقي في الزهد، ومعنى نزع: كف عن المعاصي والشهوات.

الإعراب: ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿تَقُولَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿نَفْسٌ﴾: فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَقُولَ﴾ في محل جر بإضافة مفعول لأجله محذوف، التقدير: حذر أن تقول، وعامله الفعل: (اتبعوا) أو (أنيبوا)، وقدر كثيرون عاملاً محذوفاً، ولا حاجة لذلك مع وجود عامل، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لئلا تقول، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (اتبعوا). هذا؛ وقيل: إن التقدير: ومن قبل أن تقول. والأول قول البصريين، والثاني قول الكوفيين. ومثل هذه الآية قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته. وهو الشاهد رقم (٤٨) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

نَزَلْتُمْ مَنزِلَ الأَضيافِ مِنَّا ... فَعَجَّلْنا القِرى أَنْ تَشْتِمونا

وابن هشام أيد البصريين. قال: وقول الكوفيين فيه تعسف من جهة حذف شيئين، وهما: لام العلة، ولا النافية مع إمكان حذف شيء واحد، وهو لفظ: حذر، ونحوه. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (حسرتا): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وقلبت ياء المتكلم ألفاً، فقلبت الكسرة فتحة لمناسبتها. هذا؛ وقرئ: (يا حسرتي) على الأصل، وقرئ: (يا حسرتايَ) بإلحاق ألف الندبة، وهي شاذة بعيدة، وقد وجهت هذه القراءة على أن الياء زيدت بعد الألف المنقلبة. وقال آخرون: بل الألف زائدة. وهي أبعد لما فيه من الفصل بين المضاف، والمضاف إليه. انتهى. أبو البقاء. والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿فَرَّطتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِي جَنبِ﴾: متعلقان به، و﴿جَنبِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. و﴿مَا﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، التقدير: على تفريطي. والجار والمجرور متعلقان بـ: (حسرتي)؛ لأنه مصدر. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة عند البصريين، ونافية عند الكوفيين. ﴿كُنتُ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي الفارقة بين المخففة، والنافية عند البصريين، وهي بمعنى: إلا عند الكوفيين. (من الساخرين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، والجملة الفعلية في محل نصب حال من تاء الفاعل. والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ ومثل الآية في وجْهَيْ إعرابها قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٤٢٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

أَمْسى أَبانُ ذَليلاً بَعْدَ عِزَّتِهِ ... وَما أَبانُ لَمِنْ أَعْلاجِ سُودانِ

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ أي: النفس. ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾: أرشدني إلى دينه، وطاعته. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الشرك، والمعاصي. وهذا القول قول صدق، وهو قريب من

احتجاج المشركين فيما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا...﴾ إلخ رقم [١٤٨] من سورة (الأنعام) فهي كلمة حق أريد بها باطل، كما قال علي ـ كرم الله وجهه ـ لمن قال من الخوارج: لا حكم إلا الله.

قال الشيخ الإمام أبو منصور ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ يقولون: لو وفقنا الله للهداية، وأعطانا الهدى؛ لدعوناكم إليه، ولكن علم منا اختيار الضلالة، والغواية، فخذلنا، ولم يوفقنا. والمعتزلة يقولون: بل هداهم الله، وأعطاهم التوفيق، لكنهم لم يهتدوا. والحاصل: أن عند الله لطفاً؛ من أعطي ذلك؛ اهتدى، وهو التوفيق، والعصمة، ومن لم يعطه؛ ضل، وغوى، وكان استحبابه العذاب، وتضييعه الحق بعدما مكن من تحصيله لذلك. انتهى. نسفي.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَقُولَ﴾: معطوف على سابقه، وداخل في تأويله على الاعتبارين، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى النفس. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هَدَىٰنِي﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، وانظر محل المصدر المؤول من (أن) واسمها وخبرها في الآية رقم [٤٧]. ﴿لَكُنتُ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (كنت): فعل ماض ناقص، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾، لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ أي: النفس المفرطة في طاعة الله. ﴿حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾: تشاهد العذاب عياناً يوم القيامة. ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: رجعة إلى الدنيا. تمنوا حين لا ينفعهم التمني، والفعل: كر، يكر من باب: دخل. والكرة في الأصل مصدر، والكر، والكرة: الرجوع، والرجعة، والمراد به هنا: المرة من ذلك. ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الموحدين لله، الطائعين له. وانظر شرح ﴿حِينَ﴾ في الآية رقم [٤٤] من سورة (يسٓ)، أو رقم [٨٨] من سورة (صٓ).

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَقُولَ﴾: معطوف على ما قبله، وداخل في تأويله على الاعتبارين. والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى النفس. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿تَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى النفس أيضاً. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿حِينَ﴾ إليها. ﴿لَوْ﴾: حرف تمنٍّ. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف

خبر: ﴿أَنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿كَرَّةً﴾: اسمها المؤخر، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، التقدير: فلو حصل لنا وقوع كرة. ﴿فَأَكُونَ﴾: الفاء: للسببية. (أكون): فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر «أكون»، و«أن» المضمرة، والفعل (أكون) في تأويل مصدر معطوف بالفاء على: ﴿كَرَّةً﴾. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿لَوْ﴾ شرطية فيكون جوابها محذوفاً دل عليه: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ويقدر: لكنا محسنين، والكلام على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، ولهذا نفى ابن هشام أن يكون: (أكون) نصب جواباً لـ: ﴿لَوْ﴾؛ ولذا قال: ولا دليل في هذا لجواز أن يكون النصب في: (أكون) مثله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ...﴾ إلخ رقم [٥١] من سورة (الشورى)، وقول ميسون: وهو الشاهد رقم [٤٧٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وأنشد الفراء قول الآخر: [الطويل]

فَمَالَكَ مِنْهَا غَيْرُ ذِكْرَى وَخَشْيَةٍ وَتَسْأَلَ عَنْ رُكْبَانِهَا أَيْنَ يَمَّمُوا؟

فنصب «تسأل» على موضع الذكرى؛ لأن معنى الكلام فما لك منها إلا أن تذكر.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾: قال الزجاج: ﴿بَلَىٰ﴾ جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي، ولكن معنى ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾: ما هداني، وكأن هذا القائل قال: ما هديت، فقيل: بلى قد بين لك طريق الهدى، فكنت بحيث لو أردت أن تؤمن أمكنك أن تؤمن. والمراد: بـ: ﴿ءَايَٰتِى﴾ آيات القرآن. وقيل: عنى بالآيات المعجزات؛ أي: وضح الدليل، فأنكرته، وكذبته. ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ أي: عن الإيمان، وكنت من الجاحدين. قال الصاوي: إن الكافر أولاً يتحسر، ثم يحتج بحجج واهية، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، ولو رُدَّ لعاد إلى ضلاله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: حيث لم تصدق النبي ﷺ فيما جاء به، ولم تهتد بهديه، ولم تأخذ بتعاليمه.

هذا؛ وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: هؤلاء أصناف، صنف منهم قال: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ...﴾ إلخ، وصنف منهم قال: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى...﴾ إلخ، وقال آخر: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً...﴾ إلخ، فقال الله رَدّاً لكلامهم: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ﴾.

وقال النسفي: كأن الله يقول: بلى قد جاءتك آياتي، وبينت لك الهداية من الغواية، وسبيل الحق من الباطل، ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية، واختيار الحق على الباطل، ولكن

تركت ذلك، وضيعته، واستكبرت عن قبوله، وآثرت الضلالة على الهدى، واشتغلت بضد ما أمرتك به، فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك. انتهى.

هذا؛ وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ﴾ بالخطاب للمذكر؛ لأن النفس تقع على الذكر، والأنثى. يقال: ثلاثة أنفس. وقال المبرد: تقول العرب: نفس واحد؛ أي: إنسان واحد. وروى الربيع بن أنس عن أم سلمة عن النبي ﷺ قرأ: (قَدْ جَاءَتْكِ آياتي، فَكَذَّبْتِ بها، واسْتَكْبَرتِ، وكُنْتِ مِنَ الْكَافِرِينَ). وقرأ الأعمش: «بلَى قَدْ جَاءَتْهُ» وهذا يدل على التذكير. انتهى. قرطبي. والقراءتان غير سبعيتين.

الإعراب: ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَتْكَ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والكاف مفعول به. ﴿ءَايَٰتِى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿فَكَذَّبْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وأيضاً: جملة: ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة عليها، وكذلك جملة: ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معطوفة أيضاً عليها. تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: نسبوا له الشريك، والولد، والصاحبة، ووصفوه بما لا يليق به. هذا؛ والزمخشري ذكر هنا كلاماً نابعاً من مذهبه في الاعتزال، وقد رد عليه الإمام ناصر الدين المالكي أفظع رد. ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾: مما أحاط بهم من غضب الله ونقمته، قال تعالى في سورة (طه) رقم [١٠٢]: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، وقال تعالى في سورة (عبس): ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾. ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: عن الإيمان، والعبادة لله تعالى. وانظر شرح (المثوى) في الآية رقم [٣٢]. هذا؛ وقد بين الرسول ﷺ: **أن الكبر بطر الحق، وغمط الناس**؛ أي: احتقارهم، وازدراؤهم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٥] من سورة (صٓ)، وخذ ما يلي:

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«يُحْشَرُ المتكبِّرونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُورِ الرجالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ، يُسَاقونَ إلى**

سِجْنٍ في جهنم، يقالُ لَهُ: بُولَس، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأنيارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارةِ أَهْلِ النَّارِ، طِينَةِ الْخَبَالِ». رواه النسائي والترمذي.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و(يوم) مضاف، و﴿الْقِيَامَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿تَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وُجُوهُهُم﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُسْوَدَّةٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان على اعتبار: ﴿تَرَى﴾ علمية، أو في محل نصب حال من الموصول على اعتبارها بصرية، والرابط: الضمير فقط. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٣٢] فالإعراب لا يتغير إفراداً، وجملاً.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بفلاحهم، وفوزهم بسعادتهم، وتحصيل مطلوبهم، وهو الجنة دار القرار. يقال: فاز بكذا: إذا أفلح به، وظفر بمراده. أو المعنى: ينجيهم بسبب منجاتهم من عذاب الله، وسخطه، ونقمته من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ رقم [١٨٨] سورة (آل عمران) أي: منجاة منه؛ لأن النجاة من أعظم الفلاح. وسبب منجاتهم العمل الصالح؛ لهذا فسر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المفازة بالأعمال الحسنة، ويجوز بسبب فلاحهم؛ لأن العمل الصالح سبب الفلاح، وهو دخول الجنة.

هذا؛ وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**يحْشُرُ اللهُ مع كلِّ امرئٍ عَمَلَهُ، فيكونُ عملُ المؤمنِ معهُ في أَحْسَنِ صُورةٍ، وأطيب ريحٍ، فكُلَّمَا كان رعبٌ، أو خوفٌ، قال لَهُ: لَا تُرَعْ؛ فما أنتَ بالمرادِ بِهِ، وَلَا أَنْتَ بالمعْنِيِّ به، فإذا كثُرَ ذلك عليه، قال: فما أحسنك، فَمَنْ أَنْتَ؟! فيقولُ: أَمَا تعرفني؟! أنا عملُكَ الصالحُ حملْتَني على ثِقَلِي، فوالله لأحملنَّك، وَلأَدْفَعَنَّ عنكَ! فهي التي قال الله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ...﴾ إلخ**». ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾: المكروه. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: يوم القيامة من هول، أو مكروه يصيبهم. هذا؛ ولا تنس: أن الله ذكر ما للمتقين من النجاة، والفوز برضاه بعدما ذكر ما للكاذبين، والمغترين من سواد الوجوه، والاستقرار في جهنم، وبئس المصير. وهذا من باب المقابلة التي ذكرتها مراراً. هذا؛ والفعل ﴿يَحْزَنُونَ﴾ في هذه الآية من باب: فرح، وطرب فهو لازم، ويأتي من باب: دخل، وقتل، فيكون متعدياً، كما يكون متعدياً إذا أتى من الرباعي.

الإعراب: ﴿وَيُنَجِّي﴾: الواو: حرف عطف. (ينجي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿الَّذِينَ﴾: مفعول به. ﴿اتَّقَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (ينجي)، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر الميمي لفاعله، وجملة: ﴿وَيُنَجِّي...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمَسُّهُمُ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به. ﴿السُّوءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية تفسير للمفازة على التفسير الأول فيها، وفي محل نصب حال من الموصول على التفسير الثاني فيها، وأجاز الزمخشري اعتبارها مستأنفة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المنصوب؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة من وجه.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما هو كائن، أو يكون في الدنيا، والآخرة، وهو على كل شيء وكيل: حفيظ، ومتولي جميع أمور خلقه، فأنتم يا بني آدم من جملة هذه المخلوقات، ففوضوا أموركم إليه، واعتمدوا في كل شؤونكم عليه، واعبدوه حق العبادة ما استطعتم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿خَالِقُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، و﴿خَالِقُ﴾ مضاف، و﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿وَكِيلٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَكِيلٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائن السموات، والأرض، واحدها: مقلاد، مثل: مفتاح. وقيل: جمع: إقليد على غير قياس. قيل: هو فارسي معرب، قال الراجز: [الرجز]

لَمْ يُؤْذِهَا الدِّيكُ بِصَوتِ تَغْرِيدِ ... وَلَمْ يُعَالِجْ غَلْقَهَا بِإِقْلِيدِ

أو هو جمع: مقليد، مثل: منديل، ومناديل، وعلى جميع الاعتبارات في الكلام استعارة بديعية. نحو ذلك: بيد فلان مفتاح هذا الأمر. وليس ثَمَّ مفتاح، وإنما هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشيء. والمعنى: أن الله تعالى مالكهما، وحافظهما، ومدبر شؤونهما. وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: «**يا عثمانُ! ما سألني عنها أحدٌ قبلكَ! تفسيرُها: لا إله إلا اللهُ، والله أكبرُ، وسبحانَ اللهِ وبحمدِهِ، وأستغفرُ اللهَ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، هوَ الأولُ والآخر، والظاهرُ، والباطنُ، بيدِهِ الخيرُ، يحيي ويميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ**». والمعنى: على هذا: أنَّ لله هذه الكلمات يوحد بها، ويمجد، وهي مفاتيح خير السموات، والأرض، من تكلم بها؛ فقد أصابه. هذا؛ وقيل: مقاليد السموات: خزائن الرحمة، والرزق، والمطر، ومقاليد الأرض: ما يخرج منها من نبات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بآيات القرآن الظاهرة، والمعجزات الباهرة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: خسروا دنياهم، وآخرتهم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥].

الإعراب: ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَقَالِيدُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معترضة كما ستعرفه، و﴿مَقَالِيدُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٣٣]. والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (ينجي...) إلخ فهي من عطف أحد المتقابلين على الآخر، وإن كان المعطوف جملة اسمية، والمعطوف عليه جملة فعلية، فهذا لا يمتنع. غايته: أنه خال عن حسنه. انتهى. جمل. وبه قال ابن هشام في المغني، وهذا يعني: أن ما بينهما معترض لا محل له.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ...﴾ إلخ: أي: أبعد مشاهدة الآيات الدالة على انفراده بالألوهية أعبد غيره؟! ثم وصفهم بالجهل، وهو شر ما يوصف به إنسان، وذلك أن كفار قريش دعوا النبي ﷺ إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك، فوصفهم بالجهل؛ لأن الدليل القاطع قد قام بأن الله هو المستحق للعبادة، فمن عبد غيره فهو جاهل.

هذا؛ وقرئ ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ بتشديد النون، وتخفيفها، فعلى الأولى تكون نون الوقاية قد أدغمت في نون الرفع بعد تسكينها، وعلى الثاني تكون قد حذفت إحدى النونين على اختلاف في

المحذوف منهما، انظر الكلام على الشاهد رقم [١٠٤٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا؛ ويجري في: (تحاجوني) من سورة (الأنعام) رقم [٨٠] ما يجري في ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ قراءةً، وحذفاً. هذا؛ وانظر شرح: «أمر» في الآية رقم [١٢]، وشرح: «العبادة» في الآية رقم [٦٠] من سورة (يسٓ)، وشرح: «الجهل» و«الجاهل» في الآية رقم [٧٢] من سورة (الأحزاب). تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿أَفَغَيْرَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: صلة. (غير). في إعرابه أوجه: أحدها: هو منصوب بـ: ﴿أَعْبُدُ﴾ مقدماً عليه، وقد ضعف هذا الوجه ابن هشام من حيث كان التقدير: أن أعبد، فعند ذلك يفضي إلى تقديم الصلة على الموصول. وليس بشيء؛ لأن «أن» ليست في اللفظ، فلا يبقى عملها، فلو قدرنا بقاء حكمها؛ لأفضى إلى حذف الموصول، وبقاء صلته، وذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر. والوجه الثاني: أن يكون منصوباً بالفعل بعده، و﴿أَعْبُدُ﴾ بدلاً منه، بدل اشتمال، وهو الذي أيده ابن هشام، والتقدير: أتأمروني بعبادة غير الله؟! وقدره ابن هشام: أتأمروني بغير الله عبادته. والثالث: أن (غير) منصوب بفعل محذوف؛ أي: أفتلزموني غير الله، وفسره ما بعده؟ وقيل: لا موضع لـ: ﴿أَعْبُدُ﴾ من إعراب. وقيل: هو حال، والعمل على الوجهين الأولين. انتهى. أبو البقاء. وينبغي أن تعلم: أن الفعل: ﴿أَعْبُدُ﴾ على الوجهين الأولين مؤول بالمصدر بعد حذف «أن» على مثال ما رأيت في الآية رقم [٢٤] من سورة (الروم): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ...﴾ إلخ هذا؛ وقرئ بنصب: ﴿أَعْبُدَ﴾، ومثل الآية الكريمة في كل شيء قول طرفة بن العبد، وهو الشاهد رقم (٧١٤) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وهو من معلقته رقم [٦٠]: [الطويل]

أَلَا أَيُّهَـذَا الـزَّاجِـرِي أَحْـضُـرَ الـوغـى وَأَنْ أَشْهَـدَ الـلَّـذَّاتِ هَـلْ أَنْـتَ مُـخْـلِـدِي؟

و(غير) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿أَعْبُدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا» وانظر محل الفعل بمفرده، ومحله مع فاعله فيما تقدم. ﴿أَيُّهَا﴾: منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء المحذوفة، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: نعت لـ: (أي): هنا؛ لأنه مشتق، فهو مرفوع تبعاً للفظه، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون بدل من التنوين في الاسم المفرد. هذا؛ والآية كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: يا محمد. ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: من الرسل. ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي: لئن أشركت يا محمد ليبطلن ويفسدن عملك الصالح. ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك. وهذا على سبيل الفرض، والتقدير، وإلا فالرسول ﷺ قد عصمه الله، وحاشا له أن يشرك بالله، وهو الذي جاء لإقامة صرح الإيمان، والتوحيد. والكلام وارد على طريقة الفرض لتهييج سيد الرسل، وإقناط الكفرة، والإيذان بغاية شناعة الإشراك، وقبحه. انتهى. صفوة التفاسير. وقال النسفي: وإنما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بأن رسله لا يشركون؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد: به غيره، ولأنه على سبيل الفرض، والمحالات يصح فرضها. انتهى.

هذا؛ وفي المصباح المنير: حَبِطَ العمل، يحبط من باب: تعب حبطاً بالسكون، وحُبُوطاً: فسد، وهدر. وحَبَط، يَحْبِط من باب: ضرب لغة، وقرئ بها في الشواذ، وحَبِطَ دم فلان من باب: تعب: هدر. وأحبطت العمل، والدم (بالألف) أهدرته. انتهى. جمل. وفي مختار الصحاح: والحبط (بفتحتين): أن تأكل الماشية، فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها، ولا يخرج عنها ما فيها. وقيل: هو أن ينتفخ بطنها عن أكل الذرق، وهو الحندقوق. وفي الحديث «إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً، أو يُلِمَّ». انتهى. واسم هذا الداء: حباط، و«حبط» لازم، ويتعدى بالهمزة.

هذا؛ وأصل الوحي: الإشارة السريعة، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل: موسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، والوحي أيضاً: الكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك. وتسخير الطير لما خلق له إلهام. والوحي إلى أم موسى إلهام، والوحي إلى النحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام أيضاً. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٨] من سورة (النحل)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

قال القشيري: فمن ارتد عن الإسلام لم تنفعه طاعاته السابقة، ولكن إحباط الردة العمل مشروط بالوفاة على الكفر، ولهذا قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢١٧]: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ...﴾ إلخ فالمطلق ها هنا محمول على المقيد، ولهذا قلنا: من حج ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام لا يجب عليه إعادة الحج. قلت: هذا مذهب الشافعي، وعند مالك تجب عليه الإعادة. انتهى. قرطبي.

أقول: لا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! فأكثر المسلمين يعتبرون مرتدين بهذا المعنى في هذه الأيام، فالذي يشتم الخالق الرازق، والذي يستحل الحرام، والذي ينكر ما عرف من الدين في الضرورة، والذي، والذي. . .إلخ وحدث ولا حرج.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أُوحِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور في محل نائب فاعله. وقيل: نائب الفاعل محذوف، يدل عليه السياق، التقدير: ، أوحي إليك التوحيد. وقيل: نائب الفاعل جملة القسم، وجوابه الآتي، ويكون جارياً على القاعدة: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه». وهذا يصح على قول من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، وقد أشرت إليه مراراً فيما تقدم. ﴿وَإِلَى الَّذِينَ﴾: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والكلام: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿أَشْرَكْتَ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (يحبطن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له. ﴿عَمَلُكَ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب القسم، المدلول عليه باللام. والقسم وجوابه في محل رفع نائب فاعل: ﴿أُوحِيَ﴾، أو في محل نصب مفعول به حسب ما رأيت فيما تقدم. ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾: معطوف على ما قبله مبني على الفتح مثله، وهو ناقص، فاسمه مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره. هذا؛ وحذف جواب الشرط لدلالة القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرطٍ وقَسَمْ ... جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾

الشرح: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾: هذا رد لما طلبوا منه، وأمروه به من عبادة آلهتهم، كأنه قال له: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن عبدت؛ فاعبد الله. فحذف الشرط، وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه. انتهى. نسفي تبعاً للزمخشري. وانظر الإعراب. ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾: الله على ما أنعم به عليك؛ حيث جعلك سيد ولد آدم، وختم بك المرسلين، وجعلك رحمةً للناس أجمعين. والمخاطب بذلك النبي ﷺ، وهو يعم كل عاقل من بني آدم.

الإعراب: ﴿بَلِ﴾: حرف إضراب. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم بفعل محذوف، أو بالفعل المذكور بعده. هذا؛ وقال ابن هشام في مغنيه: مسألة الفاء في نحو ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ جواب لـ: «أمَّا» مقدرة عند بعضهم، وفيه إجحاف. وزائدة عند الفارسي، وجماعة، وفيه بعد. وعاطفة عند غيره، والأصل: تنبه، فاعبد الله، ثم حذف تنبه، وقدم المنصوب على الفاء إصلاحاً للفظ، كيلا تقع صدراً، كما قال الجميع في الفاء في نحو: «أما زيداً فاضرِبْ» إذ الأصل: مهما يكن من شيء؛ فاضرب زيداً. (اعبد): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة التي رأيت تقديرها، والكلام كله مستأنف، لا محل له. ﴿وَكُن﴾: فعل أمر ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (كن)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: قال المبرد: ما عظموه حق عظمته، من قولك: فلان عظيم القدر. قال النحاس: والمعنى: على هذا: وما عظموه حق عظمته؛ إذا عبدوا معه غيره، وهو خالق الأشياء، ومالكها. هذا؛ والفعل: «قدر» يأتي من باب: ضرب، ونصر، وفرح، ولا تنس: أن هذه الجملة وردت في سورة (الأنعام) برقم [٩١]، ووردت في سورة (الحج) برقم [٧٤]، ووردت هنا كما ترى، وأذكر: أن آية (الأنعام) نزلت ردّاً على اليهود الذين قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ والآيتان الأخريان نزلتا ردّاً على كفار قريش الذين عبدوا مع الله أحقر خلقه. انظر شرح الآيتين في سورة (الأنعام) وسورة (الحج) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: قبض الأرض عبارة عن قدرته، وإحاطته بجميع مخلوقاته. يقال: ما فلان إلا في قبضتي، بمعنى: ما فلان إلا في قدرتي، والناس يقولون: الأشياء في قبضته، يريدون: في ملكه، وقدرته. وقد يكون معنى القبض، والطي إفناء الشيء، وإذهابه، فيحتمل أن يكون المعنى هنا: والأرض جميعاً ذاهبة فانية يوم القيامة، والمراد: بالأرض: الأرضون السبع، يشهد لذلك شاهدان: قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ ولأن الموضع موضع تفخيم، وهو مقتضٍ للمبالغة.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾: ليس يريد به طيّاً بعلاج، وانتصاب، وإنما المراد بذلك: الفناء، والذهاب. يقال: قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره، وانطوى عنا دهر بمعنى: المضي، والذهاب. واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى: القدرة، والملك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد به الملك، وقال تعالى سورة (الحاقة) الآية رقم [٤٥]: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ أي: لأخذنا قوته وقدرته. وقال الفراء والمبرد: اليمين القوة والقدرة، قال الشاعر: [الطويل]

ولـمـا رأيْـتُ الـشَّـمْـسَ أشْـرَقَ نُـورُهَـا تـنـاولـتُ مـنـهـا حـاجـتـي بِـيَـمِـيـنـي
فـتَـلْـتُ شُـنَـيْـفـاً، ثُـمَّ فـارَانَ بـعـدَهُ وَكَـانَـا عـلـى الآيـاتِ غـيـرَ أمِـيـنِ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٨] من سورة (الصافات). وإنما خص يوم القيامة بالذكر، وإن كانت قدرته شاملة لكل شيء في كل زمان، ومكان؛ لأن الدعاوى تنقطع في ذلك اليوم، كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، وقال في سورة الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وقوله تعالى في سورة (غافر) رقم [١٦]: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. وإنما قدم الأرض بالذكر لمباشرة الخلق لها، ومعرفتهم بحقيقتها، ولما كان في دار الدنيا من يدعي الملك، والقهر، والعظمة، والقدرة دون الآخرة؛ فالأمر فيها لله وحده ظاهراً، وباطناً. قال في يوم القيامة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء جبريل ـ عليه السلام ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا محمدُ! إن الله يضع السماءَ على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والأنهار على إصبع، وسائرَ الخلقِ على إصبعٍ، ثم يقول: أنا الملك! فضحك رسول الله ﷺ وقال:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾». وفي رواية «**والماءَ والثرىَ على إصبعٍ، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن**». وفيه أن رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً، وتصديقاً له. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. متفق عليه، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي اللهُ السمواتِ يومَ القيامةِ، ثمَّ يأخذُهُنَّ بيدِهِ اليمنى، ثم يقولُ: أنَا الملك! أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوِي الأرضين بشمالِهِ، ثم يقول: أنا الملكُ! أينَ الجبارون؟ أين المتكبرون؟**». متفق عليه أيضاً.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزه، وتقدس، وتعاظم عن الذي يشركونه معه من الحجارة، والأوثان. هذا؛ وفي الجامع الصغير عن أبي يعلى، وابن السني، عن الحسين السِّبط ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**أَمَانٌ لأُمَّتي من الغرقِ؛ إذا ركبُوا البحرَ أن يَقُولُوا:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ...﴾ إلخ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾ **إلخ. انتهى. وآخر الآية الأولى:** ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ **وآخر الثانية** ﴿يُشْرِكُونَ﴾». وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من قرأ هاتين الآيتين، فعطب، أو غرق فعليَّ ذلك. انتهى. جمل نقلاً عن المناوي.

هذا؛ وفي الآية استعارة تمثيلية مثل لعظمته، وكمال قدرته، وحقارة الأجرام العظام؛ التي تتحير فيها الأوهام بالنسبة لقدرته تعالى بمن قبض شيئاً عظيماً بكفه، وطوى السموات بيمينه بطريق

الاستعارة التمثيلية. هذا؛ وما قدمته من تأويل هو مذهب الخلف، وأما السلف؛ فيقولون: لله يمين، وله شمال، وله إصبع، وله عين، وله يد تليق به، فهم يأخذون بظاهر النص.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿قَدَرُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿حَقَّ﴾: نائب مفعول مطلق، و﴿حَقَّ﴾ مضاف، و﴿قَدْرِهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: الواو: واو الحال. (الأرض) مبتدأ. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من: (الأرض)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٤]. ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: «قبضة»؛ لأنها بمعنى: مقبوضة، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ ويقرأ بنصب (قبضته) على أنه منصوب بنزع الخافض، على معنى: في قبضته، وهو متعلق خبر محذوف، وهي قراءة شاذة. (السموات): مبتدأ. ﴿مَطْوِيَّـٰتٌۢ﴾: خبره. ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مَطْوِيَّـٰتٌۢ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويجوز أن يكون الجار، والمجرور متعلقين بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر، وأن يكونا متعلقين بمحذوف خبر ثان. هذا؛ وقرئ شاذاً بكسر التاء على أنه حال متوسطة بين عاملها الظرفي الواقع خبراً، وهو (بيمينه) وبين مبتدئه، وهو: (السموات)؛ أي: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ كائنة بيمينه حال كونها ﴿مَطْوِيَّـٰتٌۢ﴾. وصاحب الحال إما (السموات)، أو ضميرها في الخبر، ورد المانعون ذلك بأن السموات عطف على الضمير المستتر في: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾؛ لأنها بمعنى: مقبوضة، و﴿مَطْوِيَّـٰتٌۢ﴾ حال من: (السموات)، و﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ ظرف متعلق بـ: ﴿مَطْوِيَّـٰتٌۢ﴾، والتقدير: الأرض جميعاً مقبوضة حال السموات كونها مطويات بيمينه، والفصل المشروط للعطف على الضمير المستتر حاصل هنا بقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. انتهى. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق عامله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. والفعل المقدر، والمصدر جملة فعلية مستأنفة، لا محل لها. (تعالى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عن الذي، أو عن شيء يشركونه معه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: تعالى عن شركهم. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: لا أرى حاجة إلى المزيد عما ذكرته في سورة (النمل) رقم [٨٧] بشأن الصور، وما يتعلق بهذه الآية من الاستثناء، وغيره، وأيضاً ما ذكرته في سورة (يسٓ) رقم [٤٩] وما بعدها. هذا؛ و(صعق) مات وهو مأخوذ من قولهم: صعقتهم الصاعقة، يقال: صعقه الله، فصعق.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: يقلبون وجوههم، وأبصارهم في جميع الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطبٌ، أو ينتظرون أمر الله فيهم، وقال تعالى في سورة (ن): ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ مما يدل على أن الناس تكون لهم حالات يوم الفزع الأكبر، وقد دلت هذه الآية على أن النفخة اثنتان: الأولى للموت، والثانية للبعث، والنشور. والجمهور على أنها ثلاث: الأولى للفزع، كما قال تعالى في سورة (النمل) الآية [٨٧]: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ...﴾ إلخ، والثانية للموت، والثالثة للإعادة، وبين الثانية، والثالثة أربعون سنة على الصحيح.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النفختيْنِ أَرْبَعُونَ ـ قالوا: أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيْتُ. قالوا: أربعون شهراً؟ قال أبو هريرة: أبيْتُ، قالُوا: أربعون سنةً؟ قال: أَبَيْتُ ـ ثم ينزلُ اللهُ من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقلُ، وليس من الإنسان شيء إلا يبلَى إلَّا عظمٌ واحدٌ، وهو عجْبُ الذنبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخلقُ يومَ الْقِيَامَةِ**». متفق عليه.

الإعراب: ﴿وَنُفِخَ﴾: الواو: حرف استئناف. (نفخ): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (صعق): فعل ماض. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، وفيه تغليب من يعقل على من لا يعقل. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: صعق الذي يوجد في السموات. ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، فهو مثله في الإعراب. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مستثنى مِنْ ﴿مَن﴾ قبلها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: إلا من شاء الله بقاءه حياً. وصح الاستثناء؛ لأن ﴿مَن﴾ الأولى بمعنى: الجمع، والثانية بمعنى: البعض. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. (نفخ): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُخْرَىٰ﴾: نائب فاعل، أو هو صفة مفعول مطلق، والنائب: الجار والمجرور، ويؤيد الأول قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: إعراب هذا التركيب مثل إعراب: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ في سورة (يسٓ) [٢٩].

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت بعدل ربها. قاله الحسن، وغيره. وقال الضحاك: بحكم ربها. والمعنى واحد؛ أي: أنارت وأضاءت بعدل الله، وقضائه بالحق بين عباده. والظلم ظلمات، والعدل نور. وقيل: إن الله يخلق نوراً يوم القيامة يلبسه وجه الأرض، فتشرق الأرض به. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: النور المذكور هاهنا ليس من نور الشمس، والقمر، بل هو نور يخلقه الله، فيضيء به الأرض. انتهى. قرطبي. هذا؛ وليس المراد بالأرض أرض الدنيا؛ لقوله تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ حيث تبدل أرض الدنيا بأرض جديدة يوجدها الله في ذلك الوقت؛ لتحشر عليها الناس.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: يريد: الكتب، والصحف؛ التي فيها أعمال بني آدم، فآخذٌ بيمينه، وآخذ بشماله. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد اللوح المحفوظ. وأعتمد الأول، لقوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٤٩]: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾. ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي: ليدعي الأنبياء على أممهم: أنهم بلغوهم الرسالة، وذلك: أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ فينكرون، ويقولون: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فيسأل الله الأنبياء عن ذلك، فيقولون: كذبوا! قد بلغناهم، فيسألهم البينة، وهو أعلم بهم إقامة للحجة، فيقولون: أمة محمد تشهد لنا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ، فيشهدون لهم: أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا ذلك؛ وإنما كانوا بعدنا؟ فيسأل الله هذه الأمة، فيقولون: أرسلت لنا رسولاً، وأنزلت عليه كتاباً مبيناً، أخبرتنا فيه، بتبليغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت. ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأله الله عن أمته، فيزكيهم، ويشهد بصدقهم. انتهى. جمل. وهذا فحوى قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٤٣]: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

وقال القرطبي: وقيل: المراد بالشهداء: الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله. قاله السدي. قال ابن زيد: هم الحفظة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، قال تعالى في سورة (ق): ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فالسائق يسوقها إلى الحساب، والشهيد يشهد عليها، وهو الملك الموكل بالإنسان على ما يأتي بيانه في سورة (قٓ) رقم [٢١] إن شاء الله تعالى.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالعدل، والصدق. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: لا ينقص من حسناتهم، ولا يزاد في سيئاتهم. انتهى. كيف لا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٤٧]: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾، وقال تعالى في سورة (النساء) رقم [٣٩]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ...﴾ إلخ. هذا؛ ولا تنس: أن التعبير عن المستقبل بالأفعال الماضية إنما هو لتحقق وقوعه، وهو كثير في القرآن الكريم، وهو فن بلاغي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَشْرَقَتِ﴾: الواو: حرف عطف. (أشرقت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِنُورِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(نور) مضاف، و﴿رَبِّهَا﴾ مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، (جيء): ماض مبني للمجهول. ﴿بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نائب فاعله، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: معطوف على ما قبله. (قضي): ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وهو نائب الفاعل أيضاً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر العائد، إلى المصدر المفهوم من الفعل، وهذا وجه آخر، التقدير: وقضي القضاء بينهم ملتبساً بالحق. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] من سورة (سبأ) ففي الآيتين شبه شديد، والله ولي التوفيق. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: يجازى كل إنسان بما عمل من خير، أو شر، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: في الدنيا. ولا حاجة به عز وجل إلى كتاب ولا إلى شاهد؛ ومع ذلك فتشهد الكتب، والملائكة، والرسل، كما رأيت في الآية السابقة إلزاماً للحجة، وقطعاً للمعذرة.

الإعراب: ﴿وَوُفِّيَتۡ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿وُفِّيَتۡ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿كُلُّ﴾: نائب فاعله، وهو المفعول الأول. و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿نَفۡسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿عَمِلَتۡ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿نَفۡسٍ﴾ والتاء للتأنيث، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو شيئاً عملته، وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: عملها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿أَعۡلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿كُلُّ نَفۡسٍ﴾ والرابط: الواو، والضمير الذي ترى تقديره؛ لأن المعنى كل إنسان يوفى جزاء عمله. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعۡلَمُ﴾، و(ما) تحتمل الوجوه الثلاثة المذكورة في سابقتها، فعلى الأولين: التقدير: أعلم بالذي، أو: بشيء يفعلونه. وعلى الثالث: التقدير: أعلم بفعلهم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾

الشرح: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: يخبر الله تعالى عن حال الأشقياء كيف يساقون إلى النار سوقاً عنيفاً، بزجر وتهديدٍ ووعيدٍ، كما قال تعالى في سورة (الطور): ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي: يدفعون إليها دفعاً شديداً، وهم عطاش، كما قال تعالى في سورة (مريم): ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ رقم [٨٦ و٨٧] وهم في تلك الحال صم، بكم، عمي، كما قال جل ذكره: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ رقم [٩٧] من سورة (الإسراء). هذا؛ والزمر: الجماعات، واحدتها: زمرة، كظلمة، وغرفة. وقال الأخفش، وأبو عبيدة: ﴿زُمَرًا﴾ جماعاتٍ متفرقة بعضها إثر بعض، قال الشاعر: [الرمل]

وَتَرَى النَّاسَ إِلَى مَنْزِلِهِ زُمَراً تَنْتَابُهُ بَعْدَ زُمَرْ

وقال آخر: [الرجز]

إِنَّ الْعُفَاةَ بِالسُّيُوبِ قَدْ غَمَرْ حَتَّى احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرْ

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أي: اقتربوا منها؛ ليدخلوا فيها؛ ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ أي: السبعة، وكانت مغلقة قبل ذلك، وهي التي يطلق عليها لقب: الدركات، بينما يطلق على الجنة، ومنازلها لقب:

الدرجات، فالدرْك ما كان إلى أسفل، والدرج ما كان إلى أعلى، ودركات النار: طبقاتها، وهي سبع؛ العليا لعصاة المؤمنين، وهي جهنم، تكون بعد خروجهم منها خراباً يباباً، لا نار فيها. والثانية: لظى للنصارى، والثالثة: الحطمة لليهود، والرابعة: السعير للصابئين، والخامسة: سقر للمجوس، والسادسة: الجحيم لأهل الشرك، والسابعة: الهاوية، وهي الدرْك الأسفل للمنافقين. هذا؛ وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، كما هو وارد في آيات القرآن، كما يطلق لفظ جهنم على كلٍّ منها. ويكثر استعمال لفظ: «ويل» في التهديد، والوعيد، كما في قوله تعالى في سورة (الهمزة): ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، وقوله في سورة (الماعون): ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ويفسر بالهلاك، والوبال، كما يفسر بأنه واد من أودية جهنم، وهو يفيد: أنه يطلق على جميع دركات النار. وانظر الدرجات في الآية التالية رقم [٧٣].

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ أي: حفظة جهنم، وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها، جمع: خازن، مثل: سدنة، وسادن، ويجمع أيضاً على: خُزَّان، وخُزَّن، يقولون لهم ما يلي توبيخاً وتقريعاً: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: بشر من جنسكم. وانظر تفصيل ذلك في الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب). ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: الكتب المنزلة عليهم من ربكم. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: يخوفونكم يوم القيامة؛ الذي تلاقون فيه ربكم؛ ليحاسبكم على أعمالكم. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أي: قد جاءتنا رسل ربنا، وخوفونا هذا اليوم، وما فيه من أهوال! وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم. ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: ولكن وجبت علينا كلمة الله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بسوء أعمالنا، كما قالوا: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ رقم [١٠٧] من سورة (المؤمنون)، فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال.

الإعراب: ﴿وَسِيقَ﴾: الواو: حرف عطف. (سيق): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (سيق)، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿زُمَرًا﴾: حال من واو الجماعة. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٤٥]. ﴿جَآءُوهَا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿فُتِحَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿أَبْوَٰبُهَا﴾: نائب فاعله، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش: (إذا) في مثل هذه الآية مجرورة بـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى كل، فهي غاية لمحذوف، التقدير: سيقوا؛ حتى إذا جاؤوها.

﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿خَزَنَتُهَآ﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْتِكُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف مفعول به. ﴿رُسُلٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رُسُلٌ﴾. ﴿يَتْلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿ءَايَٰتِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿يَتْلُونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رُسُلٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها مثله. (ينذرونكم): فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعول به أول. ﴿لِقَآءَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿يَوْمِكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة يومكم، أو بدل منه، والأول أقوى، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وجملة (ينذرونكم... إلخ) معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب متضمن معنى الجملة في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَٰكِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿حَقَّتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَةُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿الْعَذَابِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَى الْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ...﴾ إلخ معطوفة على كلمة ﴿بَلَىٰ﴾، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قِيلَ ادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿قِيلَ ادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: والقائل هو الله تعالى، أو الملائكة، وهو الأظهر. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين فيها مخلدين لا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها. قال وهب: تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار، فيدفعونهم بمقامعهم، فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربيعة، ومضر. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: بئس المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق! وانظر الآية رقم [٦٠].

الإعراب: ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ادْخُلُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَبْوَٰبَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة،

وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي. و﴿أَبْوَٰبَ﴾ مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور. . .إلخ، وجملة: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٥] من سورة (يسٓ) إن أردت الزيادة. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال مقدرة من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وانظر أنواع الحال في الآية رقم [٦٥] من سورة (الأحزاب) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً لكم، وواقعاً؛ فبئس. (بئس): فعل ماض جامد دال على إنشاء الذم. ﴿مَثْوَى﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للتعذر، و﴿مَثْوَى﴾ مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مضاف إليه مجرور. . .إلخ، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: فبئس مثوى المتكبرين جهنم! والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء.

تنبيه: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: اللام في: ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ للجنس، والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره، ولا ينافي إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها؛ لأن كلمة العذاب حقت عليهم، فإن تكبرهم، وسائر مقابحهم مسببة عنه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ اللهَ تعالى إذا خلَقَ العبدَ لِلْجَنةِ؛ استعمله بعمل أهلِ الجنةِ؛ حتى يموتَ على عملٍ مِنْ أعمالِ أهل الجنة، فيدخل به الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار؛ استعملَهُ بعملِ أهلِ النارِ؛ حتى يَموتَ على عملٍ مِنْ أعمالِ أهل النارِ، فيَدْخُلَ بِهِ النَّارَ**». انتهى.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ...﴾ إلخ: يعني: جماعات من الشهداء، والزهاد، والعلماء، والقراء وغيرهم ممن اتقى الله، وعمل بطاعته. وقال تعالى في حق الفريقين: (سيق) بلفظ واحد، فسَوْق أهل النار طردهم إليها بالخزي، والهوان، كما يفعل بالأسارى، والخارجين على السلطان؛ إذا سيقوا إلى حبس، أو قتل، وسَوْق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، كما يفعل بمن يشرف، ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين!. انتهى. قرطبي وشبيه به في الكشاف.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ أي: الثمانية، وهي التي يطلق عليها اسم الدرجات، وهي: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، ودار الكرامة، وهي المعبَّر عنها بدار المقامة بقوله تعالى في سورة (فاطر) رقم [٣٥] حكاية عن قول المؤمنين: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ...﴾ إلخ. وانظر دركات النار في الآية السابقة. هذا؛ واقترنت جملة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ بالواو هنا، ولم تقترن بحق أهل النار، وقد اختلف في هذه الواو، فقيل: هي عاطفة على جملة محذوفة هي جواب ﴿إِذَا﴾ التقدير: سعدوا، وفتحت. قاله المبرد، وغيره. وحذف الجواب بليغ في كلام العرب. قال امرؤ القيس: [الطويل]

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً ... ولكنها نفسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا

فحذف جواب (لو)؛ إذ التقدير: لكان أروح. وقيل: الواو زائدة عند الكوفيين، وهو خطأ عند البصريين، وانظر رقم [١٠٤] من سورة (الصافات). وقيل: إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة بدليل قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [٥٠]: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ وحذفت الواو في قصة أهل النار؛ لأنهم وقفوا على النار، وفتحت أبوابها بعد وقوفهم إذلالاً، وترويعاً لهم، ذكره المهدوي، وحكى معناه النحاس قبله. انتهى. قرطبي. أقول: وهذا يعني: أن الواو واو الحال، و«قد» بعدها مقدرة، والمعنى يؤيده، بل لا محيص عنه.

هذا؛ وقيل: إن الواو واو الثمانية، وذلك من عادة قريش: أنهم يعدون من الواحد، فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، فإذا بلغوا السبعة؛ قالوا: وثمانية، قاله أبو بكر بن عياش. قال الله تعالى في سورة (الحاقة) رقم [٧]: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، وقال في سورة (التوبة) رقم [١١٢]: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ ثم قال في الثامن: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وقال في سورة (الكهف) رقم [٢٢]: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقال في سورة (التحريم) رقم [٥] ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾. انتهى. قرطبي.

ثم قال: قلت: وقد استدل بهذا من قال: إن أبواب الجنة ثمانية، وذكروا حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتوضَّأُ، فيبلِّغُ، أو يسبغ الوضوءَ، ثم قالَ: أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، إلا فُتِحَتْ له أبْوابُ الْجَنَّةِ الثمانيةُ يدخُلُ مِنْ أَيِّها شَاءَ»**. خرجه مسلم وغيره. انتهى.

هذا؛ وقد ذكر ابن هشام هذه الواو في أقسام الواو؛ حيث قال: والتاسع: واو الثمانية ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضعفاء كابن خَالَوَيْهِ، ومن المفسرين كالثعلبي، وزعموا: أن العرب إذا عدوا؛ قالوا: ستة، سبعة، وثمانية، إيذاناً بأن السبعة عدد تام، وأن ما بعدها عدد مستأنف، واستدلوا على ذلك بآياتٍ، وسرد الآيات التي ذكرتها لك

آنِفاً، وَفَنَّد دعواهم فيها، وقال في هذه الآية: وأقول لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها؛ إذ ليس فيها عددٌ ألبتَّةَ، وإنما ذكر فيها الأبواب، وهي جمع لا يدل على عدد خاص، ثم الواو ليست داخلة عليه، بل على جملة هو فيها، وقد مر: أن الواو مقحمة في: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ عند قوم، وعاطفة عند آخرين. وقيل. هي واو الحال؛ أي: جاؤوها مُفتَّحةً أبوابُها، كما صرح بـ: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حالاً في ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ وهذا قول المبرد، والفارسي، وجماعة. قيل: وإنما فتحت لهم قبل مجيئهم إكراماً لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ...﴾ إلخ: تقول لهم خزنة الجنة هذا بعد وصولهم إلى أبواب الجنة، وبعد مجاوزة الصراط، وحبسهم على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص ما كان بينهم من مظالم الدنيا؛ حتى إذا هُذِّبوا، ونُقُّوا؛ أذن لهم في دخول الجنة، وإن أحدهم لأعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان له في الدنيا. ﴿طِبۡتُمۡ﴾ أي: طابت أعمالكم، وأقوالكم، وسعيكم، وطاب جزاؤكم. ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾: ماكثين مقيمين، لا تبغون عنها حولاً. وفي سوقهم إلى الجنة زمراً، وفي دخولهم زمراً، خذْ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَوَّلَ زُمْرةٍ يدخلُونَ الْجَنَّةَ على صورةِ القمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، والَّذِينَ يلونَهُمْ على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يبولونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، ولا يمْتَخِطُونَ، ولَا يَتْفلونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذهبُ، ورَشْحُهُمُ المسكُ، ومَجَامِرُهُم الأَلُوَّةُ، أزواجهمُ الحورُ العينُ، أخلاقهم عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ واحدٍ، على صورةِ أَبِيهِم آدَمَ ستونَ ذراعاً في السماء**».

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ زمرةٍ تلجُ الجنة، صُوَرُهُمْ على صورةِ الْقمرِ ليلةَ الْبَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، ولا يَمْتَخِطونَ، ولا يَتَغَوَّطونَ، آنِيَتُهُمْ فيها الذهبُ، أمشاطُهمْ من الذَّهب والفضةِ، ومجامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ، ورَشْحُهُم المسكُ، لكلِّ واحدٍ منهمْ زَوْجتانِ، يُرى مُخُّ سُوقِهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبُهم قلبُ رَجُلٍ واحِدٍ، يُسَبِّحُونَ الله بكرةً وعشيّاً**». رواه البخاري ومسلم، واللفظ لهما، والترمذي، وابن ماجه، وإن أردت الزيادة؛ فانظر: «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري في وصف الجنة، والنار.

الإعراب: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾: انظرها أيضاً، فالإعراب واحد، لا يتغير، وجملة ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ في محل نصب حال من: ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة، وعليه فالجواب محذوف، تقديره: سروا وفرحوا، وإن اعتبرت الواو زائدة فهي في جواب ﴿إِذَا﴾ انظر الكلام على الواو، وجملة: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾ معطوفة عليها، على جميع الوجوه المعتبرة بالواو. هذا؛ وأجاز

مكي اعتبارها جواب (إذا)، والواو زائدة فيها، فيتلخص: أن في جواب (إذا) ثلاثة أوجه. ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿طِبْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً لكم فادخلوها. (ادخلوها): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والشرط المقدر ومدخوله في محل نصب مقول القول. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال منصوب... إلخ.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: المتقون الذين أنعم الله عليهم بدخول الجنة، وفازوا برضا ربهم. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أي: الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾، وانظر ما يقوله الذين اصطفاهم الله من عباده في الآية رقم [٣٤] و [٣٥] من سورة (فاطر). ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: أرض الجنة قد أورثوها؛ أي: ملكوها وجعلوا ملوكها، وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون. تشبيهاً بحال الوارث، وتصرفه فيما يرث. انتهى. نسفي.

وقال القرطبي: قيل: إنهم ورثوا الأرض التي كانت لأهل النار لو كانوا مؤمنين، قاله أبو العالية، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وأكثر المفسرين. انتهى. وانظر خسران الكافرين في الآية رقم [١٥]. ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾: ننزل في الجنة حيث نشاء، ونريد. يقال: بوأت زيداً مكاناً، وبوأت لزيد مكاناً، فالأول بمعنى: أنزلت زيداً مكاناً كما في هذه الآية، والثاني كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ رقم [٨٧] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ والمبوَّأ المنزل الملزوم، ومنه بوَّأهُ الله منْزلاً أي: ألزمه إياه وأسكنه فيه، قال الرسول ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت فما معنى قوله: ﴿حَيْثُ نَشَآءُ﴾ وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره؟ قلت: يكون لكل واحد منهم جنة، لا توصف سعةً، وحسناً، وزيادةً على الحاجة، فيتبوأ من جنته حيث يشاء، ولا يحتاج إلى غيره. وقيل: إن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم، فينزلون فيها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم فيما فضل منها. ولا تنس ما ذكرته من التعبير عن المستقبل بالماضي. ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ أي: بطاعة الله، وأوامره، واجتناب

نواهيه، وزواجره. هذا؛ و(نِعْمَ) فعل ماض جامد لإنشاء المدح، وضدها: «بئس» لإنشاء الذم، قال في المختار: نِعْمَ منقول من: نَعِم فلان (بفتح النون، وكسر العين): إذا أصاب النعمة، وبِئْس منقول من: بَئِسَ فلان (بفتح الباء، وكسر الهمزة): إذا أصاب بؤساً، فنقلا إلى المدح، والذم، فشابها الحروف، فلم يتصرفا، وفيهما أربع لغات: نِعْم، وبِئْس (بكسر فسكون) وهي أفصحهن، وهي لغة القرآن. ثم نِعِم، وبِئِس (بكسر أولهما، وثانيهما) غير أن الغالب في نِعِم أن يجيء بعدها «ما» كقوله تعالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ وبئس جاءت بعدها «ما» على اللغة الفصحى، كقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾. واللغة الثالثة: نَعْم، وبَئْس (بفتح فسكون) والرابعة: نَعِم، وبَئِس (بفتح فكسر) وهي الأصل فيهما.

ولا بد لهما من شيئين: فاعل، ومخصوص بالمدح، أو الذم، ويشترط في الفاعل أن يكون مقروناً بأل، كما في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾، أو مضافاً لمقترن بها، كما في قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ وكما في الآية التي الكلام فيها، والقول بفعليتهما إنما هو قول البصريين، والكسائي بدليل دخول تاء التأنيث عليهما في قول الرسول ﷺ: «**مَنْ تَوضَّأَ يوم الجمعةِ فَبِهَا ونِعْمَتْ، ومَنِ اغْتَسَلَ فالْغُسْلُ أَفْضَلُ**». وقال الكوفيون إلا الكسائي: هما اسمان بدليل دخول حرف الجر عليهما في قول أعرابي؛ وقد أخبر بأن امرأته ولدت بنتاً له: (والله ما هي بنِعْمَ الولدُ، نصرُهَا بكاءٌ، وبِرُّهَا سَرِقَةٌ) وقول غيره: (نِعْمَ السَّيْرُ علَى بِئْسَ الْعَيْرُ) وأوله البصريون على حذف كلام مقدر؛ إذ التقدير: (والله ما هي بولدٍ مقولٍ فيه: نِعمَ الولدُ) و(نعم السير على عَيْر مقول فيه: بئس العَيْر) والمعتمد في ذلك قول البصريين، ويلزم على قول الكوفيين جر الولد، والْعَيْرُ بسبب الإضافة، والرواية فيهما بالرفع لا غير.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة. ﴿صَدَقَنَا﴾: فعل ماض، و(نا): مفعوله الأول، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿وَعْدَهُۥ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وهي مثلها في إعرابها. ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: (نا)، والرابط: الضمير فقط. ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب على الظرفية متعلق بالفعل قبله، وأجيز اعتباره مفعولاً به، وجملة: ﴿نَشَآءُ﴾ مع المفعول المحذوف في محل جر بإضافة (حيث) إليها، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (نعم): فعل ماض جامد لإنشاء المدح.

﴿أَجْرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ مضاف إليه، والمخصوص بالمدح محذوف، التقدير: هو الجنة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها؛ إذ هي من كلام الله تعالى.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ...﴾ إلخ: قال الجمل: لما ذكر سبحانه وتعالى ما أُعطيه المؤمنون من الدرجات؛ أتبعه بذكر أهل الكرامات، الذين لا شاغل لهم عن العبادات، وبيان مستقرهم في الجنة، وهم الملائكة، فقال صارفاً الخطاب لأشرف الخلق؛ لأنه لا يقول بحق هذه الرؤية غيره؛ أي: وترى يا محمد في ذلك اليوم الملائكة؛ أي: القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق. انتهى. ﴿حَآفِّينَ﴾ أي: محدقين محيطين بالعرش، مصطفين بحافته، وجوانبه. قال رسول الله ﷺ: «**حُفَّتِ الجنةُ بالمكَارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشهواتِ**». وقال الفراء وتبعه الزمخشري: لا واحد لـ: ﴿حَآفِّينَ﴾ من لفظه، وكأنهما رأيا: أن الواحد لا يكون حافاً؛ إذ الحفوف هو الإحداق بالشيء، والإحاطة به. وهذا لا يتحقق إلا في جمع. ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: انظر شرح ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (السجدة). أما ﴿حَوْلِ﴾ فهو ظرف مكان لا يتصرف، فهو ملازمٌ للظرفية أبداً، يقال: قعد حوْله، وحوَالَه، وحَوْلَيْه. وحَوَالَيْه ولا تقل: حَوَالِيه (بكسر اللام) وقعد بِحِيالِهِ وحِيَالَه؛ أي: بإزائِهِ، وإزاءَهُ.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: يقولون: سبحان الله وبحمده. تلذذاً بذلك، لا تعبداً، وتكليفاً؛ لأن التكليف يزول في ذلك اليوم. وذلك يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح، وأفهم أن منتهى درجات العليين ولذاتهم الاستغراق في صفاته تعالى، وتسبيحه، وتقديسه. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بين الخلائق بإدخال بعضهم الجنة، وإدخال بعضهم النار بالحق، والعدل، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾. ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: على ما قضى بيننا بالحق، والقائلون هم المؤمنون المقضي لهم، أو الملائكة، وطيُّ ذكرهم؛ لتعينهم، وتعظيمهم.

هذا؛ والحمد في الآية الأولى على الصدق بالوعد، وإيراث الجنة، وهذا على القضاء بالحق، قال الطيبي: الحمد الأول للتفرقة بين الفريقين بحسب الوعد، والوعيد من السخط والرضوان، والثاني للتفرقة بينهما بحسب الأبدان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فتكون الآية الثانية كالتتميم بالنسبة للأولى في إتمام القضاء، وعلى الثاني كالتكميل؛ لأن ذلك القضاء في حق بني آدم، وهذا في حق الملائكة. ويؤيد التأويل الثاني تكرير الحمد في الآيتين، والأول هو الظاهر. والله أعلم بمراده، فلا يرد: ما وجه تكرار حمد المؤمنين؟. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

الإعراب: ﴿وترى﴾: الواو: حرف استئناف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿الملائكة﴾: مفعول به. ﴿حافين﴾: حال من ﴿الملائكة﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿من حول﴾: متعلقان به، و﴿حول﴾ مضاف، و﴿العرش﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿يسبحون﴾: فعل مضارع وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية من: ﴿الملائكة﴾. ﴿بحمد﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة؛ أي: ملتبسين ﴿بحمد﴾. قال الثعلبي: والعرب تدخل الباء أحياناً في التسبيح، وتحذفها أحياناً، قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وقال: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ و(حمد) مضاف، و﴿ربهم﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وقضي﴾: الواو: حرف عطف. (قضي): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿بينهم﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله على أنه نائب فاعله، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٩]، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بالحق﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب حال. ﴿وقيل﴾: الواو: حرف عطف. (قيل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿الحمد﴾: مبتدأ. ﴿لله﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع نائب فاعل (قيل)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٢]. ﴿رب﴾: صفة لفظ الجلالة، و﴿رب﴾ مضاف، و﴿العالمين﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم... إلخ، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿وقيل...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الزمر) بحمد الله وتوفيقه، تفسيراً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ غَافِرٍ

سورة (غافر): وتسمى سورة (المؤمن) وسورة (الطَّول) وهي مكية، وكذا بقية الحواميم مكيات غير آيتين، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ رقم [٥٦] و [٥٧]، وعن الحسن إلا قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾ إلخ رقم [٥٥] وهي خمس وثمانون آية، وألف ومئة، وتسع وتسعون كلمة، وأربعة آلاف وتسْعُمِئةٍ وستونَ حَرفاً. انتهى. خازن. وقال القرطبي: وفي مسند الدارمي عن سعد بن إبراهيم، قال: كانَتِ الحواميم تسمى: العرائس. وروي من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الحواميمُ ديباجُ القرآنِ**». وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (آل حم ديباجُ القرآنِ). وقال الجوهري، وأبو عبيدة: وآل حاميم سور في القرآن. وقال الفراء: إنما هو كقولك: آلُ فلانٍ، وآل فلان كأنه نسب السورة كلها إلى حم، قال الكميت: [الطويل]

وَجَدْنَا لَكُمْ في آلِ حاميمَ آيةً ... تأوَّلَها مِنَّا تقيٌّ ومُعْزِبُ

قال أبو عبيدة: هكذا رواها الأموي بالزاي، وكان أبو عمرو يرويها بالراء. فأما قول العامة: الحواميم فليس من كلام العرب، وقال أبو عبيدة: الحواميم سور في القرآن على غير قياس، وأنشد: [الرجز]

وبالطَّواسينِ الَّتي قدْ ثُلِّثَتْ ... وبالحواميمِ الَّتي قدْ سُبِّعَتْ

قال: والأولى أن تجمع بـ: ذوات حم، وروي: أن النبي ﷺ قال: «**لكِلِّ شيءٍ ثمرةٌ، وإن ثمرةَ القرآنِ ذواتُ حم، هنَّ روضاتٌ حسانٌ، مخضباتٌ متجاوراتٌ، فَمَنْ أَحَبَّ أن يَرتَعَ في رياضِ الجنةِ فَلْيَقْرَأ الحواميم**». وقال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الحواميم في القرآنِ كمثل الْحَبَرَاتِ في الثيابِ**». ذكرهما الثعلبي، والقرطبي.

وقال ﷺ: «**الحواميم سبعٌ، وأبوابُ النارِ سبْعٌ** ـ انظر الآية رقم [٧٢] من سورة (الزمر) ـ **تجيء كلُّ حم منهنَّ يَوْمَ القيامة على بابٍ من هذِهِ الأبوابِ، فتقولُ: لا يدخلُ النارَ مَنْ كَانَ يؤمنُ بِي، ويقْرَأني**». وقال أبو عبيدة: وحدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: رأى رجلٌ سبعَ جَوارٍ حسانٍ مزيَّناتٍ في النوم، فقال: لمن أنتنَّ بارَكَ اللهُ فيكنَّ؟! فقلْنَ: نحن لِمَنْ قَرَأَنَا نَحْنُ الحواميمُ. فتلخص من مجموع هذه الأخبار: أن هذه السور السبع تسمى الحواميم، وتسمى آل حاميم، وتسمى ذوات حاميم، فلها جموع ثلاثة خلافاً لمن أنكر الأول منها. تأمل. انتهى. جمل وقرطبي بتصرف.

وهذا؛ وسميت سورة (غافر) لأن الله تعالى ذكر هذا الوصف الجليل، الذي هو من صفات الله الحسنى في مطلع السورة الكريمة؛ حيث قال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ...﴾ إلخ، وكرر ذكر

المغفرة في دعوة الرجل المؤمن. قال: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾. وسميت سورة (المؤمن) لذكر قصة مؤمن آل فرعون، كما ستقف عليها ـ إن شاء الله ـ مشروحة مبسوطة. وسميت سورة الطَّوْل؛ لأنها أطول السور المسماة بالحواميم، بل هي أطول السور التي بعدها إلى آخر سور القرآن، ولا يقاربها سورة قط في الطول. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، أو سميت بـ: (الطَّوْل)، وهو الغنى لذكره في الآية رقم [٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١﴾

الشرح: اختلف في معناه، فقال عكرمة: قال النبي ﷺ: «﴿حمٓ﴾ **اسم من أسماء الله تعالى، وهي مفاتيح خزائن ربك**». وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ﴿حمٓ﴾: اسم الله الأعظم. وعنه: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ حروف الرحمن مقطعة. وعنه أيضاً: اسم من أسماء الله تعالى أقسم به. وقال عطاء الخراساني: الحاء: افتتاح اسمه: حميد، وحنان، وحليم، وحكيم، والميم افتتاح اسمه: ملك، ومجيد، ومنان، ومتكبر، ومصوّر. يدل عليه ما روى أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ: ما ﴿حمٓ﴾ فإنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «**بدءُ أسماءٍ وفواتح سور**». وقال الضحاك، والكسائي: معناه قُضي ما هو كائن. كأنه أراد الإشارة إلى تهجّي ﴿حمٓ﴾؛ لأنها تصير: حُمَّ (بضم الحاء وتشديد الميم) أي: قضي، ووقع، قال كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَلَمَّا تلاقَيْنَا، ودارتْ بنا الرَّحَى ... ولَيْسَ لأمرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ

وعنه أيضاً: إن المعنى حُمّ أمر الله؛ أي: قرب، كما قال الشاعر: [مخلع البسيط]

قد حُمَّ يومي فسُرَّ قومُ ... قومٌ بهمْ غفلةٌ ونَوْمُ

والمعنى: قرب نصره لأوليائه، وانتقامه من أعدائه كيوم بدر، وإذا سميت سورة بشيء من هذه الحروف؛ أعربت، فتقول: قرأت ﴿حمٓ﴾، فتنصب. قال شريح بن أوفى العبسي، قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل: [الطويل]

يُذَكِّرُني حَامِيمَ والرمحُ شاجرٌ ... فهلَّا تلا حاميمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ

الإعراب: ﴿حمٓ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه حم، أو هو مبتدأ خبره ما بعده، أو هو في محل نصب من وجهين: الأول أنه في محل نصب لفعل محذوف، تقديره: أقرأْ، أو: اتْلُ ﴿حمٓ﴾ والثاني: أنه منصوب على تقدير حذف حرف القسم، كما تقول: اللهَ لأَفْعَلَنَّ! والناصب

فعل محذوف، التقدير: التزمتُ اللهَ؛ أي: اليمين به. أو هو في محل جر على القسم، وحرف الجر محذوف، وبقي عمله بعد الحذف؛ لأنه مراد، فهو كالملفوظ به، وتقدير الكلام على هذا: أقسم، وأحلف بـ: ﴿حمٓ﴾ وضعف هذا سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ، فقال: وهذا ضعيف؛ لأن ذلك؛ أي: حذف الجار، وإبقاء عمله، من خصائص الجلالة المعظمة، لا يشركها فيه غيرها، ولا محل لها من الإعراب على اعتبارها وأمثالها حروفاً مقطعة، أو مختصرة من أسماء.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾

الشرح: انظر الآية رقم [١] من سورة (الزمر) ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿تَنزِيلُ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه خبر عن ﴿حمٓ﴾؛ لأن ﴿حمٓ﴾ يراد به السورة وبعض القرآن، وتنزيل بمعنى: منزل. والثاني: أن يكون ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ، والخبر متعلق الجار والمجرور: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾. والثالث: أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا تنزيل، أو الْمَتْلُوُّ تنزيلُ، أو: هذه الحروف تنزيل، ودلت ﴿حمٓ﴾ على ذكر الحروف، و﴿تَنزِيلُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه. مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿تَنزِيلُ﴾، أو بمحذوف خبره. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: بدل من لفظ الجلالة. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بدل ثان، وبعضهم يعتبرهما صفتين للفظ الجلالة، ولا أسلمه؛ لأنهما اسمان، وليسا بصفتين.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

الشرح: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ أي: للمؤمنين، و﴿ٱلذَّنۢبِ﴾ يطلق على مخالفة الله فيما أمر، أو فيما نهى عنه، وهو على درجات، منها الصغائر، ومنها الكبائر، وتفصيلها معروف في محالها، وجمعه: ذُنوب بضم الذال، وهو بفتحها بمعنى: النصيب. قال تعالى في سورة (الذاريات) رقم [٥٩]: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾. و(الذنوب) بفتح الذال أيضاً: الدلو العظيمة قال الراجز: [الرجز]

إِنَّا إِذَا شَارَبَنَا شَرِيبُ ... لَهُ ذَنُوبٌ وَلَنَا ذَنُوبُ

فَإِن أَبَى كَانَ لَهُ الْقَلِيبُ

﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ أيضاً للمؤمنين؛ إن تابوا عن ذنوبهم، وإدخال الواو في هذا الوصف لإفادة الجمع للمذنب التائب بين قبول توبته، ومحو ذنبه. انتهى. عمادي. وعبارة البيضاوي: وتوسيط الواو بين الأولين؛ لإفادة الجمع بين محو الذنوب، وقبول التوبة، أو لتغاير الوصفين؛ إذ ربما يتوهم الاتحاد. انتهى. جمل. ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: لمن تمرد، وطغى، وآثر الحياة الدنيا، وعتا عن أوامر الله تعالى، وبغى. وهذه كقوله تعالى في سورة (الحجر) رقم [٤٩ و٥٠]:

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ يقرن الله هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء، والخوف.

﴿ذِي ٱلطَّوْلِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: السعة، والغنى. وهو قول مجاهد، وقتادة. وقال زيد الأصم: يعني: الخير الكثير. وقال عكرمة: ذي المن. وقال محمد بن كعب: ذي التفضل. قال الماوردي: والفرق بين المن، والتفضل: أن المن عفو عن ذنب، والتفضل إحسان غير مستحق، والطَّوْل مأخوذ من الطُّول كأنه طال بإنعامه على غيره.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا نظير له في جميع صفاته، فلا رب غيره، ولا معبود سواه. ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع، والمآب، فيجازي كل عامل بعمله.

تنبيه: عن يزيد الأصم ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ففقده عمر، فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين! تتابع في هذا الشراب! قال: فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾. ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه، ويتوب الله عليه. فلما بلغ الرجل كتاب عمر ـ رضي الله عنه ـ جعل يقرؤه، ويردده، ويقول: غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، قد حذرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع. فلما بلغ عمر خبره؛ قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة، فسدِّدوه، ووثقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. أخرجه ابن أبي حاتم، والحافظ أبو نعيم. انتهى. مختصر ابن كثير، وغيره.

الإعراب: ﴿غَافِرِ...﴾ إلخ: في هذه الصفات ثلاثة أوجه: أحدها: أنها كلها صفات الجلالة. الثاني: أنها كلها أبدال؛ لأن إضافتها غير محضة. الثالث: أن ﴿غَافِرِ﴾ و(قابل) نعتان، و﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾: بدل. انتهى. باختصار عن الجمل نقلاً عن السمين. وللزمخشري كلام طويل في هذه الصفات. هذا؛ والإضافة بـ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وفي: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها. ﴿ذِي﴾: صفة، أو بدل مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِي﴾ مضاف، و﴿ٱلطَّوْلِ﴾ مضاف إليه.

﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، التقدير: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: يجوز فيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتباره بدلاً من اسم: ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع بالابتداء. والثاني: اعتباره بدلاً من: ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: اعتباره

بدلاً من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وهو الأولى، والأقوى، والجملة الاسمية يجوز أن تكون مستأنفة، وأن تكون حالاً لازمة. وقال أبو البقاء: يجوز أن تكون صفة، ورد هذا لأن الجملة لا تكون صفة للمعارف، ويمكن أن تكون صفة لـ: ﴿شَدِيدِ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية يجوز فيها ما جاز بسابقتها، ويجوز فيها أن تكون حالاً من الجملة قبلها، وهي حال مؤكدة، مثل: أنت ابني حقاً.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: ما يخاصم فيها بالتكذيب بها، والإنكار لها. وقد دل على ذلك قوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٥٦]: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها، وحل مشكلها، واستنباط معانيها، ورد أهل الزيغ بها؛ فأعظم جهاد في سبيل الله. انتهى. نسفي. ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: بالتجارات النافقة، والمكاسب المربحة، سالمين غانمين، فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب. هذا؛ وفي سورة (آل عمران) رقم [١٩٦]: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾.

قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، وقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٧٦]: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن جدالاً في القرآن كفرٌ**». أخرجه أبو داود. وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده؛ قال: سمع رسول الله ﷺ قَوْماً يَتَمارَوْنَ، فقال: «**إنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بهذا، ضَرَبُوا كتابَ الله بعضه ببعضٍ، وإنما الكتاب يُصدِّق بعضُه بعضاً، فلا تكذِّبُوا بعْضَهَ ببعضٍ، فما علمتمْ مِنْهُ؛ فَقُولُوهُ، وما جهِلْتُمْ منهُ؛ فكلُوهُ إلى عالِمِه**». أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: هاجرت إلى رسول الله ﷺ يَوْماً، فسمع أصواتَ رجليْن اختلَفا في آيةٍ، فخرج رسول الله ﷺ يُعْرَفُ في وجههِ الغضبُ، فقال: «**إنما هَلَكَ مَنْ قَبلكمْ باختلافِهِمْ في الْكِتَابِ**». انتهى. خازن. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضَلَّ قَوْمٌ بعدَ هُدىً كَانُوا عَلَيْهِ إلَّا أُوتُوا الْجَدَل، ثم قرأ**: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾». رواه الترمذي، وابن ماجه. هذا؛ ويبقى ما نقلته عن النسفي صحيحاً، ومعمولاً به. والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُجَٰدِلُ﴾: فعل مضارع. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ﴾: متعلقان به، و﴿ءَايَٰتِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟...﴾ إلخ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿مَا يُجَٰدِلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي:

من يجوز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها وأمثالها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً، وحاصلاً؛ فلا... إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَغْرُرْكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) وقد فك المضعف، ويجوز عدم فكه؛ وقد قرئ به، ولكن الفك أفصح، والكاف مفعول به. ﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿فِي الْبِلَادِ﴾: متعلقان بالمصدر، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قريش. ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: مرت قصة نوح مع قومه مفصلة في كثير من السور. ﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مثل: قوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم... إلخ، وانظر شرح ﴿الْأَحْزَابِ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (صّ). ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ليقتلوه، ويهلكوه. وقيل: ليأسروه، والأخذ يرد بمعنى: الإهلاك، كقوله تعالى في سورة (فاطر) رقم [٢٦]: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ والعرب تسمي الأسير: الأخيذ؛ لأنه مأسور للقتل، وأنشد قطرب قول الشاعر: [الوافر]

فَــإِمَّــا تَــأْخُــذُونــي تــقــتــلــونــي وكَــمْ مِــنْ واحِــدٍ يَــهْــوى خُــلــودي

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان: أحدهما: عند دعائه لهم. الثاني: عند نزول العذاب بهم. ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي: ليزيلوا. ومنه: مكان دَحْض؛ أي: مَزْلَقة، والباطل داحض؛ لأنه يزلق ويزل فلا يستقر. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: فأهلكتهم إهلاكاً مريعاً. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: عقابي، وإهلاكي لهؤلاء المكذبين، أليس وجدوه حقاً، وعاينوه في ذهابهم، وإيابهم إلى بلاد الشام؟!

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال. ولا وجه له. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، و﴿قَوْمُ﴾ مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه، والمفعول محذوف، التقدير: كذبت قوم نوح نوحاً. ﴿وَالْأَحْزَابُ﴾: معطوف على: ﴿قَوْمُ﴾. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (الأحزاب)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَهَمَّتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (همت). (جادلوا): فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة (همت...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾: مثل: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ في إعرابه، وتأويله، والجار والمجرور متعلقان مع ما قبلهما بالفعل (جادلوا). ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الْحَقَّ﴾: مفعول به. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عِقَابِ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة فـ: ﴿عِقَابِ﴾ فاعلها، و(كيف) في محل نصب حال، تقدمت عليها، وعلى فاعلها، والجملة فعلية على الاعتبارين، وهي مستأنفة، لا محل لها، وهو أقوى من العطف على ما قبلها.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ﴾: وجبت، ولزمت؛ مأخوذ من الحق؛ لأنه اللازم. والمعنى: كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك، وخالفوك يا محمد بطريق الأولى؛ لأن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك. والله أعلم. انتهى مختصر ابن كثير. ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ...﴾ إلخ: فقد قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ أي: من الكافرين المخالفين أوامر الله من كل أمة في كل عصر، وفي كل مكان. وما أحراك أن تنظر الآية رقم [١٧١] من سورة (الصافات) والتي بعدها، وما هنا بمنزلة المقابلة لما هناك.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ محذوف، التقدير: والأمر كذلك، ثم أخبر بأنه حقت عليهم كلمة الله بالعذاب. ويحتمل أن يكونا متعلقين بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: وجبت كلمة ربك على الذين كفروا من قومك وجوباً كائناً مثل وجوبها على من تقدمهم من الأمم. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿حَقَّتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَتُ﴾: فاعل، و﴿كَلِمَتُ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾: جار ومجرور

متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبر (أنَّ) وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع بدلاً من ﴿كَلِمَتُ﴾ بدل كل من كل، أو بدل الاشتمال على إرادة اللفظ، أو المعنى. انتهى. بيضاوي. هذا؛ ويجوز اعتبار المصدر مجروراً في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأنهم أصحاب. كما يجوز اعتبار المصدر في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو أنهم أصحاب النار، وقال الفراء: يجوز: (إنَّهم) بالكسر على الاستئناف، ولم أر قراءة بالكسر. هذا؛ ومثل هذه الآية في إعرابها، الآية رقم [٣٣] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وما يشبهها في الآيتن رقم [١٧١ و١٧٢] من سورة (الصافات).

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ أي: حاملين العرش، والحافين حوله، وهم الكروبيون سادة الملائكة، وأولهم وجوداً. وحملهم إياه، وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم له، وتدبيرهم شؤونه. أو كناية عن قربهم من ذي العرش، ومكانتهم عنده، وتوسطهم في نفاذ أمره. وروي: أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم. آمنت وصدقت بكل ما يذكر بشأن الملائكة الكرام.

وفي الحديث: إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا، ويروحوا بالسلام على حملة العرش، تفضيلاً لهم على سائر الملائكة. وقيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام، قد وضعوا أيديهم على عواتقهم، يهللون ويكبرون، ومن ورائهم مئة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر. انتهى. نسفي.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام. وجعل التسبيح أصلاً، والحمد حالاً؛ لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح. ومعنى ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: ينزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله. والتحميد: هو الاعتراف بأنه هو المنعم على الإطلاق.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: يصدقون بأنه واحد، لا شريك له، ولا مثل له، ولا نظير له. انتهى. خازن. وقال: فإن قلت: قدم قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ على قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ولا يكون

التسبيح إلا بعد الإيمان. فما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؟ قلت: فائدته التنبيه على شرف الإيمان، وفضله، والترغيب فيه، ولما كان الله عز وجل محتجباً عنهم بحجب جلاله، وجماله، وكماله؛ وصفهم بالإيمان به.

قال شهر بن حوشب ـ رضي الله عنه ـ: حملة العرش ثمانية: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك. وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: رحمتك تسع ذنوبهم، وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم، وأقوالهم، وحركاتهم وسكناتهم. هذا؛ وقال المفسرون: وفي وصف الله تعالى بالرحمة، والعلم ـ وهو ثناء قبل الدعاء ـ تعليم العباد أدب السؤال، والدعاء، فهم يبدؤون دعاءهم بأدب، ويستمطرون إحسانه، وفضله، وإنعامه. وتقديم الرحمة؛ لأنها المقصودة بالذات هاهنا.

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ أي: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا، وأنابوا، وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخير، وترك المنكرات. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: واحفظهم من عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجع المؤلم.

والمعنى: اجعل بينهم، وبينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة في أمورهم، وتتم نعمتك عليهم بتوفيقهم لعبادتك، وطاعتك فإنك وعدت من كان كذلك بذلك، ولا يبدل القول لديك. وإن كان يجوز أن تفعل ما تشاء، وإن الخلق عبيدك. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب. ولا تنس: أنَّ في الكلام تغليباً؛ لأن دعاء الملائكة للذكور يشمل الإناث المؤمنات بلا ريب، وهذا التغليب تجده في كثير من الآيات، والألفاظ، مثل: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ﴿يَدْخُلُونَ﴾... إلخ.

قال إبراهيم النخعي: كان أصحاب عبد الله يقولون: الملائكة خير من ابن الكوَّاء، هم يستغفرون لمن في الأرض، وابن الكوَّاء يشهد عليهم بالكفر. قال إبراهيم: وكانوا يقولون لا يحجبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة. وقال مطرّف بن عبد الله: وَجَدْنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشيطان، وتلا هذه الآية. وقال يحيى بن معاذ الرازي لأصحابه في هذه الآية: افهموها فما في العالم جُنَّة أرجى منها، إن مَلَكاً واحداً لو سأل الله أن يغفر لجميع المؤمنين؛ لغفر لهم، كيف وجميع الملائكة، وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين؟ وقال خلف بن هشام البزار القارئ: كنت أقرأ على سليم بن عيسى، فلما بلغت: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بكى، ثم قال: يا خلف! ما أكرم المؤمن على الله؛ نائماً على فراشه؛ والملائكة يستغفرون له!. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وابن الكَوَّاء من الخوارج، وهم كفروا معاوية، وعمرو بن العاص، وأخيراً كفروا عليّاً ـ رضي الله عنه ـ وتاريخهم، وقصصهم، وحكاياهم في التاريخ الإسلامي مشهورة مسطورة.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿وَمَنۡ﴾: الواو: حرف عطف. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿حَوۡلَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (مَنْ)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٧٥] من سورة (الزمر)، وجملة: ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذفت منه أداة النداء منصوب، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَسِعۡتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿شَيۡءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿رَّحۡمَةً﴾: تمييز محول عن الفاعل؛ إذ التقدير: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء. وقيل: مفعول مطلق عامله «وسع»؛ لأن معناه: رحم، وعلم. والأول أولى، وأقوى، والكلام: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: «يقولون: ربنا...» إلخ، والجملة هذه في محل نصب حال من واو الجماعة، أو هي مفسرة لـ: (يستغفرون) والمعنى: لا يأباه. ﴿فَٱغۡفِرۡ﴾: الفاء: هي الفصيحة، انظر الآية رقم [٤]. (اغفر): فعل دعاء، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، تقديره: ذنوبهم. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، أو حاصلاً؛ فاغفر... إلخ، وجملة: ﴿تَابُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿وَقِهِمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (قهم): فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَقِهِمۡ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (اغفر...) إلخ.

﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ⑧﴾

الشرح: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ أي: تكرم، وتفضل عليهم بدخول جنات عدن بسبب ما ذكر في الآية السابقة. وانظر شرح: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ في الآية رقم [٥٠] من سورة (صٓ). ﴿وَمَن

صَـلَحَ...﴾ إلخ: أي: وأدخل من صلح من آبائهم... إلخ: بالإيمان والعمل الصالح، وذلك ليتم سرورهم، وتزول أحزانهم. ومثل هذه الآية في المعنى قوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٢٣]: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾ فأنت ترى: أن الصلاح مشروط لإدخال الآباء، والأزواج، والذرية في الآيتين الكريمتين، ولكن هناك من يقول: إن الصلاح غير مشروط، فقد قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: يدخل الرجل الجنة، فيقول: يا رب أين أبي، وجدي، وأمي؟ وأين ولدي، وولد ولدي؟ وأين زوجاتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا كعملك، فيقول: يا رب! كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ...﴾ إلخ إلى: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

هذا؛ وأرى: أن هذه الآيات لا ترد الاعتراض باشتراط الصلاح، ولا تحله، وإنما الذي يحله قوله تعالى في سورة (الطور) [٢١]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ إلخ فهذه الآية تشترط الإيمان ولا تشترط الصلاح. والمعنى: ساوينا بين الكل في المنزلة، والدرجة لتقر أعينهم، وما نقصنا العاليَ حتى يساويَ الدانيَ، بل رفعنا ناقص العمل، فساويناه بكثير العمل، تفضلاً منا، ومنةً. هذا؛ وقرئ: (صلُح) بضم اللام، و(ذريتهم) بالإفراد.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب، القاهر، القادر، المقتدر؛ الذي لا يمتنع عليه مقدور. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لا يفعل إلا ما تقضيه الحكمة، ومن ذلك الوفاء بالوعد: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ سورة (التوبة) رقم [١١١].

الإعراب: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مثل سابقه. (أدخلهم): فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿جَنَّـٰتِ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿جَنَّـٰتِ﴾ مضاف، و﴿عَدْنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾. ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: التي وعدتهم إياها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على أحد الضميرين المنصوبين. والأول أولى، وأقوى. ﴿صَلَحَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (مَنْ)، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة له. ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل العائد على: (مَنْ)، ومن بيان لما أبهم فيها. ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والآية بكاملها في محل نصب مقول للقول المحذوف، الذي رأيت تقديره.

﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل رفع

خبر (إنَّ). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير فصلاً لا محل له، واعتباره توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل. وعليهما فالاسمان العظيمان خبران لـ: (إنَّ)، وجملة: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للدعاء، لا محل لها.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾

الشرح: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: احفظهم من العذاب الذي يتسبب عن السيئات، وذلك بالتوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والسيئات على اختلاف أنواعها، ودرجاتها. ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: ومن تحفظه من السيئات في الدنيا، وتوفقه للطاعات؛ ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ أي: في الدنيا والآخرة. فكأنهم طلبوا السبب بعدما سألوا المسبب. ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: الإشارة إلى ما ذكر من الرحمة، ووقاية السيئات، وكان ذلك فوزاً عظيماً؛ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع، وبأفعال حقيرة ملكاً لا تصل العقول إلى كنه جلالته. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ وانظر (التقوى) في الآية رقم [١٠] من سورة (الزمر).

هذا؛ وانظر شرح ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ في الآية رقم [٣٣] من سورة (الصافات). أما (قِهِمْ) فهو فعل دعاء، وصيغته صيغة أمر، فهو من: وقى، يقي اللفيف المفروق، فتحذف فاؤه من المضارع، مثل كل فعل مثال، مثل: وعدَ، يعدُ، ووزنَ، يزنُ. . إلخ، وتحذف لامه في الأمر مع فائه لبنائه على حذف حرف العلة، مثل كل فعل ناقص معتل الآخر، مثل: اسعَ، وارمِ. . .إلخ، فيبقى فعل أمر باللفظ حرفاً واحداً (قِ) ومثله: وعى، يعي، عِ، ووفى، يفي، فِ، وولي، يلي، لِ، ووطي، يطي، طِ، وإذا لم يتصل به ضمير تلحقه هاء السكت، فتقول: فِهْ، لِهْ، عِهْ. . .إلخ.

الإعراب: ﴿وَقِهِمُ﴾: الواو: حرف عطف. (قهم): فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعوله الأول. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وفي الكلام حذف مضاف، التقدير: وقهم عقاب السيئات. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، أو هو في محل رفع مبتدأ. ﴿تَقِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والفاعل تقديره: «أنت»، والمفعول محذوف على اعتبار (مَنْ) مبتدأ. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به ثان منصوب. . .إلخ. ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: (يوم): ظرف زمان متعلق بما قبله، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين. ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿رَحِمۡتَهُۥ﴾: فعل، وفاعل،

ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور. والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر (مَنْ) على اعتبارها مبتدأ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح عند المعاصرين، والجملة الشرطية على الاعتبارين في محل نصب مقول القول للقول المحذوف، الذي رأيت تقديره.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو بدل من اسم الإشارة، وعليهما فـ: ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ و﴿ٱلْفَوْزُ﴾ خبره، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهي بمنزلة التذييل للكلام السابق. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة: ﴿ٱلْفَوْزُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾ أي: تناديهم الملائكة حين يدخلون النار، ويرون ما يحل بهم من العذاب الأليم، والعقاب الشديد، ويمقتون أنفسهم، ويبغضونها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة؛ التي كانت سبب دخولهم النار، فتخبرهم الملائكة عند ذلك بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان، فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم في هذه الحالة.

قال قتادة، والحسن البصري، ومجاهد، والسدي: المعنى: لمقت أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوه أكبر مما مقتوا أنفسهم حين يرون عذاب الله يوم القيامة. انتهى مختصر ابن كثير. ونداء الملائكة لهم إنما هو على سبيل التوبيخ، والتأنيب، والتقريع.

وقيل: المعنى: لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض، كقوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٥]: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ وقال الكلبي ـ نسبة إلى قبيلة بني كلب قبيلة مشهورة، منها زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه حبُّ رسول الله ﷺ: يقول كل إنسان من أهل النار لنفسه: مقتك يا نفسي! فتقول الملائكة لهم؛ وهم في النار: لمقت الله إياكم إذ أنتم في الدنيا، وقد بعث إليكم الرسل، فلم تؤمنوا أشد من مقتكم اليوم أنفسكم. وقال الحسن البصري: يعطون كتبهم، فإذا نظروا في سيئاتهم؛ مقتوا أنفسهم. فينادون لمقت الله إياكم في الدنيا؛ إذ تدعون إلى الإيمان، فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم؛ إذا عاينتم النار. انتهى. جمل. هذا؛ والمقت: أشد البغض، وهو في حق الله تعالى محال، فالمراد منه هنا لازمه، وهو الغضب عليهم، وتعذيبهم، وانظر الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، التقدير: كفروا بالله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يُنَادَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿لَمَقْتُ﴾: اللام: لام الابتداء. (مقت): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: لمقت الله أنفسكم، فحذف لدلالة ما بعده عليه. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِن مَّقْتِكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَكْبَرُ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول به للمصدر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿لَمَقْتُ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به لـ: ﴿يُنَادَوْنَ﴾؛ لأنه بمعنى: يقال لهم، والنداء قول. قاله الأخفش. وقال غيره: المعنى: يقال لهم: لمقت الله إياكم في الدنيا. وهذا يعني: أن الجملة في محل نصب مقول القول لقول محذوف، وهذه الجملة مفسرة للفعل: ﴿يُنَادَوْنَ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكروا، أو احذروا. وقيل: متعلق بأحد المصدرين السابقين. ورده ابن هشام في المغني، وفنده. ﴿تُدْعَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. هذا؛ وقال الزمخشري: ﴿إِذْ﴾ للتعليل. ولا وجه له.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية، فقال ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والضحاك ـ رضي الله عنهم ـ: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا، ثم أحياهم للبعث والقيامة، فهاتان حياتان، وموتتان، وهو قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٨]: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وقال السدي وغيره: أميتوا في الدنيا، ثم أحياهم في القبور للسؤال، ثم أميتوا، ثم أحيوا في الآخرة. وإنما صار إلى هذا؛ لأن لفظ الميت، لا ينطلق في العرف على النطفة. واستدل العلماء من هذا في إثبات سؤال القبر، ولو كان الثواب، والعقاب للروح دون الجسد، فما معنى الإحياء والإماتة؟ والروح ـ عند

من يقصر أحكام الآخرة على الأرواح ـ لا تموت، ولا تتغير، ولا تفسد، وهو حي لنفسه لا يتطرق إليه موت، ولا غشية ولا فناء. انتهى. قرطبي.

وقال ابن زيد في هذه الآية: خلقهم في ظهر آدم، وأخرجهم، وأحياهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم. ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾: اعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف، وندموا؛ حيث لا ينفعهم الندم.

﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ أي: فهل أنت محيينا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عُدْنا فإنا ظالمون، فأجيبوا: أن لا سبيل إلى عودكم إلى الدار الدنيا. ثم علل ذلك المنع بأن سجاياكم لا تقبل الحق، ولا تقتضيه، بل تمجه، وتنفيه، وهذا المعنى تكرر في سورة (السجدة) رقم [١٢]، وفي سورة (الأنعام) رقم [٢٧]، وفي سورة (المؤمنون) رقم [١٠٧]، وفي سورة (فاطر) رقم [٣٧] انظر شرحها، وتفصيلها في محالها. هذا؛ ولا تنس الطباق بين ﴿أَمَتَّنَا﴾ و(أحييتنا) وهو من المحسنات البديعية.

هذا؛ وفي الاستفهام يأس، وقنوط، واستحالة مفرطة، كأنهم لفرط ما يكابدونه يتمنون الخروج من هذا الأسى المطبق من الهول المستحكم، ولكن أي تمن هذا؟! إنه تمني من غلب عليه اليأس، والقنوط، وإنما يقولون ذلك تعللاً، وتحيراً، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك، وهو ما في الآية التالية.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذفت منه أداة النداء منصوب، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَمَتَّنَا﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، و(نا) مفعوله. ﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾: نائب مفعول مطلق منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ معطوفة على ما قبلها، وإعرابها مثلها بلا فارق. (اعترفنا): فعل، وفاعل. ﴿بِذُنُوبِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَهَلۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سَبِيلٖ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة، أو معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول على الاعتبارين، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: الذي أنتم فيه من العذاب. ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي: بسبب أنه؛ أي: الحال والشأن. ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ أي: أنكرتم أن تكون الألوهية لله وحده. ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾: وإن دعيتم إلى اللات، والعزى، وأمثالهما من الأصنام؛ آمنتم، وصدقتم بألوهيتها. ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ أي: الأمر لله، والحكم له، والعبادة خاصة له؛ حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدي، والعقاب الأبدي. ﴿ٱلْعَلِىِّ﴾: المتعالي، والمنزه عن أن يشرك به، ويسوى بغيره. ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾: العظيم على من أشرك، وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاقه العبادة، والمعنى الإجمالي: فالقضاء لله وحده، لا للأوثان، والأصنام، ولا سبيل إلى نجاتكم؛ لأن الله تعالى هو المتعالي على خلقه، العظيم في ملكه؛ الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. هذا؛ ومضمون الآية ردٌّ، ونفي لما طلبوه من الإعادة إلى الدنيا.

هذا؛ وقيل: إن الخوارج إنما أخذوا قولهم: لا حكم إلا لله من هذه الآية. وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: لما خرج أهل حروراء؛ قال الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ: من هؤلاء؟ قيل: المحكمون. أي: الذين يقولون: لا حكم إلا لله، فقال كرم الله وجهه: كلمة حق أريد بها باطل. انتهى. نسفي بتصرف. هذا؛ ولا تنس المقابلة في هذه الآية؛ حيث قابل بين التوحيد، والإشراك، والكفر، والإيمان.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُم﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام، للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾: الباء: حرف جر. (أنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿دُعِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱللَّهُ﴾: نائب فاعله. ﴿وَحْدَهُۥ﴾: قال القرطبي: نصب على المصدر عند الخليل، وسيبويه، وعلى الحال عند يونس. انتهى. أقول: وهو المعتمد، وهو مؤول بـ: منفرداً، كما هو مقرر في كتب النحو. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المرجوح المشهور. ﴿كَفَرْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها في محل رفع خبر (أن)، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يُشْرَكْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، وهو مبني للمجهول. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها

ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿تُؤْمِنُواْۚ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إنْ) ومدخولها معطوف على (إذا) ومدخولها فهو في محل رفع مثله. ﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾: الفاء: حرف تعليل. (الحكم): مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها استئنافية، أو تعليلية. ﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾: بدلان من لفظ الجلالة، وبعضهم يعتبرهما صفتين، ولا أسلمه؛ لأنهما من الأسماء الحسنى، وليسا من صفات الله، كما هو مقرر في علم التوحيد.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: دلائل توحيده، وقدرته. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ أي: وينزل لكم من السماء المطر، الذي تسبب عنه الرزق من الزروع، والثمار، فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب. جمع الله في هذه الآية بين إظهار الآيات، وإنزال الرزق؛ لأن بالآيات قوام الأديان، وبالرزق قوام الأبدان، وهذه الآيات هي السموات، والأرضون، وما فيهما، وما بينهما من الشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والسحاب، والبحار، والأنهار، والعيون، والجبال، والأشجار، وآثار قوم هلكوا.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: ما يتعظ بهذه الآيات، فيوحد الله، ويعبده. ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ أي: يرجع إلى طاعة الله وتوحيده، يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها، والتفكير فيها، فإن المعاند لا يتذكر، ولا يتعظ.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يُرِيكُمۡ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِي﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به أول. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: الواو: حرف عطف. (ينزل): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِي﴾. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿رِزۡقٗاۚ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: فعل مضارع. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: اسم

موصول مبني على السكون في محل رفع فاعله. ﴿يُنِيبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والعائد في الأولى عائد في الثانية. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال من كاف الخطاب فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو فقط. تأمل وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: فاعبدوا الله أيها المؤمنون مخلصين له العبادة، والطاعة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢] و [٣] من سورة (الزمر). ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: ولو غاظ الكافرين عبادتكم، وإخلاصكم لله العبادة، والطاعة، فأخلصوا له تعالى العبادة، وخالفوا الكافرين في مسلكهم، ومذهبهم في حياتهم.

الإعراب: ﴿فَٱدْعُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب؛ فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب إنابتكم إليه، وإيمانكم به. انتهى. (ادعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، كما رأيت تقديره، والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعول به لـ: ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَرِهَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط. وهذا أقوى من اعتبار (لو) شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما قبله عليه.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: عظيم الصفات، بمعنى: مرتفع بعظمته في صفات جلاله، وكماله، ووحدانيته، المستغني عن كل ما سواه، وكل الخلق فقراء إليه. فهو على هذا صفة مشبهة، أو المعنى: رافع درجات الأنبياء، والأولياء والعلماء في الجنة. وهو على هذا صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل. ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: صاحبه، وخالقه، ومالكه، ومتصرف فيه. وتخصيصه بالذكر؛ لأنه أعظم الأجسام المخلوقة فيما يرى العباد. والمقصود: كمال التنبيه على كمال القدرة، فكل ما كان أعظم؛ كانت دلالته على كمال القدرة أقوى، وأدل.

﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾: الوحي، والنبوة، وسمي ذلك روحاً؛ لأن الناس يحيون بها؛ أي: يحيون من موت الكفر، كما تحيا الأبدان بالأرواح. وقال ابن زيد: ﴿ٱلرُّوحَ﴾ القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾. وعلى هذين الوجهين في الكلام استعارة تصريحية، وهو ما أفاده كلام الزمخشري. وقيل: ﴿ٱلرُّوحَ﴾ جبريل عليه السلام، قال تعالى في سورة (الشعراء): ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾. ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: بأمره وقضائه. ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: وهم الأنبياء، يشاء هو أن يكونوا أنبياء، وليس لأحد فيهم مشيئة، قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٧٤]: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: لينذر الله، أو الملقى عليه الوحي، وهو النبي ﷺ، ويدل عليه قراءة: (لتنذر)، و﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ هو يوم القيامة، يلتقي فيه الخلق، والخالق، والعابد، والمعبود، والظالم، والمظلوم. وقيل: يلتقي فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد، وكله صحيح المعنى.

الإعراب: ﴿رَفِيعُ﴾: خبر ثان للمبتدأ المذكور في الآية رقم [١٣]، أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو رفيع. وقرئ بالنصب على الحال، أو على المدح بفعل محذوف، و﴿رَفِيعُ﴾ مضاف، و﴿ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، أو من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذُو﴾: يجوز فيه ما جاز بـ: ﴿رَفِيعُ﴾ من أوجه، فهو مرفوع، أو منصوب، وعلى الرفع الواو، وعلامة النصب الألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾مضاف، و﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ مضاف إليه. ﴿يُلۡقِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، والجملة الفعلية يجوز فيها ما جاز بـ: ﴿رَفِيعُ﴾. هذا؛ وأرى جواز اعتبارها حالاً من: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾، وعليه يكون الفاعل عائداً إليه، وهو الرابط. ﴿ٱلرُّوحَ﴾: مفعول به. ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أوهما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلرُّوحَ﴾، على اعتبار «أل» للتعريف، أو بمحذوف صفة له على اعتبارها للجنس، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: على الذي، أو: على شخص يشاؤه. ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِنۡ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُنذِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، أو إلى الموحى إليه، والمفعول الأول محذوف، التقدير: لينذر الناس. ﴿يَوۡمَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة للتخفيف، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يُلۡقِي﴾ أيضاً.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ أي: خارجون من قبورهم، ظاهرون، لا يسترهم شيء من جبل، أو أكمة، أو بناء؛ لكون الأرض يومئذ قاعاً صفصفاً، ولا ثياب عليهم، وإنما هم عراة مكشوفون، كما جاء في قول النبي ﷺ: «**يُحْشَر الناسُ حفاةً عراةً غُرْلاً**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ أي: من ذواتهم، وأعمالهم، وأحوالهم. فإن قلت: الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص هذا اليوم؟ قلت: كانوا يتوهمون في الدنيا: أنهم إذا استتروا بالحيطان، والحجب؛ لا يراهم الله، وتخفى عليه أعمالهم، وهم في ذلك اليوم لا يتوهمون هذا التوهم. انتهى. خازن. ولذا قال تعالى في سورة (فصلت) رقم [٢٢ و٢٣]: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. فهذا يقال لهم يوم القيامة حين تشهد عليهم جوارحهم بسوء أعمالهم. وقال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٠٨]: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾: وذلك عند فناء الخلق. وقال الحسن: الله السائل، وهو المجيب؛ لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه، فيجيب نفسه سبحانه، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. وقال النحاس: وأصح ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة، لم يُعْصَ الله عز وجل عليها، فيؤمر منادٍ ينادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً، وتلذذاً، ويقوله الكافرون غَمّاً، وانقياداً، وخضوعاً. فأما أن يكون هذا؛ والخلق غير موجودين؛ فبعيد؛ لأنه لا فائدة فيه. والقول صحيح عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وليس هو مما يؤخذ بالقياس، ولا بالتأويل.

قلت: والقول الأول ظاهر جداً؛ لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوى المدعين، وانتساب المنتسبين؛ إذ قد ذهب كل مَلِك ومُلكه، وكل متكبر وجبروته، وانقطعت دعاويهم، وأنسابهم، ودل على هذا قوله الحق عند قبض الأرض، والأرواح، وطي السماء: أنا الملك؛ أين ملوك الأرض؟ كما تقدم في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. ثم يطوي الأرض بشماله، والسموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك؛ أين الجبارون؟! وانظر ما ذكرته في سورة (الزمر) رقم [٦٧]. وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ يكون انقطاع زمن الدنيا، وبعده يكون البعث، والنشر. قال محمد بن كعب القرظي ـ رضي الله عنه ـ: قوله سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ يكون بين النفختين حين فني الخلق، وبقي الخالق، فلا يرى غير

نفسه مالكاً، ولا مملوكاً، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد؛ لأن الخلق أموات فيجيب نفسه، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾؛ لأنه بقي وحده، وقهر خلقه. انتهى. قرطبي بتصرف بسيط.

أقول: والمعتمد أن ما ذكر إنما يكون بعد النفخة الأولى، وسكون الحركات، وخمود الأصوات، وخلو الأرض من أهلها، والسموات، فلا تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزاً، ثم يطلع الملك القهار إلى الدنيا، فيقول، وهو أعلم: يا دنيا! أين أنهارك؟ وأين أشجارك؟ وأين أحبابك؟ وأين عمارك؟ أين الملوك، وأبناء الملوك؟ أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ أين الذين أكلوا رزقي، وتقلبوا في نعمتي، ثم عبدوا غيري؟. ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

هذا؛ و﴿ٱلْوَٰحِدِ﴾ قال الخطابي في شرحه: هو الفرد الذي لم يزل وحده. وقيل: هو المنقطع عن القرين، والشريك، والنظير، وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ لأن ذلك يكثر بانضمام بعضها إلى بعض، والواحد ليس كذلك، فهو الله الواحد؛ الذي لا مثل له، ولا يشبهه شيء في خلقه. ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ قال الخطابي: هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة، وقهر العباد كلهم بالموت. وقال غيره: هو الذي قهر كل شيء، وذلله، فاستسلم، وانقاد له، ولا تنس أن القهار صيغة مبالغة «قاهر»، وانظر قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٨]: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ وأجاز ابن هشام اعتباره ظرفاً متعلقاً بالفعل: ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَٰرِزُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخْفَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شَيْءٌ﴾: فاعل ﴿يَخْفَىٰ﴾، والجملة الفعلية يجوز فيها أن تكون خبراً آخر للمبتدأ، وأن تكون في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿بَٰرِزُونَ﴾، والرابط: الضمير فقط، وأن تكون مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِّمَنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾، وقال أبو البقاء: العامل فيه ﴿لِّمَنِ﴾ أو ما يتعلق به الجار. وقيل: هو ظرف لـ: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، كما رأيت في الشرح، والقول ومقوله كلام مستأنف، لا محل له. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو كائن لله. ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: بدلان من لفظ الجلالة. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢]. هذا؛ وقال أبو البقاء أيضاً: وقيل: الوقف على الملك، ثم استأنف، فقال: هو اليوم لله الواحد؛ أي: استقر اليوم لله. انتهى. والأول هو المعتمد.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ إلخ: قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: لما قرر: أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك، وهي أن كل نفس تجزى بما كسبت، وعملت في الدنيا من خير، أو شر، وأن الظلم مأمون منه تعالى؛ لأنه جلت قدرته، وتعالت حكمته ليس بظلام للعبيد، وأن الحساب لا يبطئ؛ لأنه لا يشغله حساب عن حساب، فيحاسب الخلق كله في وقت واحد، وهو أسرع الحاسبين. انتهى. وفي الكشاف: وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا أخذ في حسابهم؛ لم يَقِلْ أهل الجنة إلا فيها، ولا أهل النار إلا فيها. هذا؛ ويقيل من القيلولة، وهي الاستراحة وقت الظهيرة. وفي القرطبي: وكما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة. انتهى. هذا؛ وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ رقم [٢٨] من سورة (لقمان).

الإعراب: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده. ﴿تُجْزَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿كُلُّ﴾: نائب فاعله، و﴿كُلُّ﴾ مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء كسبته، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: تجزى كل نفس بكسبها، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إنَّ». ﴿ظُلْمَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: تعليلية. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿سَرِيعُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: خوفهم، الخطاب للنبي ﷺ، والضمير المنصوب لقومه. ﴿يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: يوم القيامة، سميت بذلك لقرب وقتها؛ إذ كل ما هو آت قريب، قال تعالى في سورة (النجم): ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، وقال تعالى في سورة (القمر): ﴿ٱقْتَرَبَتِ

﴿ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ هذا؛ وتقول: أزف فلان؛ أي: قرب، قال النابغة الذبياني (وهو الشاهد رقم [٣١٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»): [الكامل]

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا ... لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا، وَكَأَنْ قَدِ

وكان بعضهم يتمثل، ويقول معترفاً بتقصيره بطاعة الله تعالى: [الكامل]

أَزِفَ الرَّحِيلُ، وليس لي مِنْ زَادِ ... غَيْرُ الذُّنُوبِ لِشِقْوتي وَنَكَادِي

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾: وقت تكون القلوب عند الحناجر من شدة الخوف، فإنها ترتفع عن أماكنها، فتلتصق بحلوقهم، فلا تعود، فيستريحوا بالنفس، ولا تخرج، فيستريحوا بالموت، كما قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾، وقال تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [١٠] مبيناً حالة المؤمنين حينما دُوهمت المدينة من جميع جهاتها: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾. انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك. وانظر شرح (القلب) في الآية رقم [٤] منها أيضاً.

﴿كَٰظِمِينَ﴾: ساكتين، مهمومين، محزونين، ممتلئين غمّاً، وحسرةً شأن المكروب. ومعنى الآية: أن القلوب تصعد من الصدور لشدة الخوف؛ حتى تبلغ الحناجر، ويحتمل أن يكون ذلك حقيقة، أو مجازاً عبر به عن شدة الخوف يوم القيامة، بل هو استعارة تمثيلية لتجسيد الهول في ذلك اليوم العظيم شأنه، الطويل زمانه. هذا؛ وجمع كاظمين جمع المذكر السالم؛ لأنه من صفات العقلاء مثل: عالمين، وكاتبين.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين الظالمين أنفسهم بالكفر ومخالفة الله تعالى، وانظر التعبير عن الكافرين بالمجرمين، ونحوه في الآية رقم [٥٩] من سورة (يسٓ). ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: من صديق، أو قريب مشفق. ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾: أي: تقبل شفاعته فيهم. وانظر (الشفاعة) في الآية رقم [٤٤] من سورة (الزمر). هذا؛ وانظر شرح (لدى) في الآية رقم [٣٢] من سورة (الروم).

الإعراب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أنذرهم): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَزِفَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِذِ﴾ أصل استعماله للماضي، ولكن جاء هنا للمستقبل، فهو مبني على السكون في محل نصب بدلاً من: ﴿يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾. ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾: مبتدأ. ﴿لَدَى﴾: ظرف مكان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. و﴿لَدَى﴾ مضاف، و﴿ٱلْحَنَاجِرِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها. ﴿كَٰظِمِينَ﴾: حال من القلوب منصوب. . .إلخ، أو من أصحاب القلوب، وهو أولى، والجملة الفعلية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ...﴾ إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿مَا﴾: نافية.

﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿حَمِيمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل نصب حال من أصحاب القلوب، ولا وجه له. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي ﴿شَفِيعٍ﴾: معطوف على ما قبله على لفظه. ﴿يُطَاعُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿شَفِيعٍ﴾، والجملة الفعلية صفة: ﴿شَفِيعٍ﴾ في محل جر على اللفظ، أو في محل رفع على المحل، وإن اعتبرت ﴿شَفِيعٍ﴾ صفة لموصوف محذوف، فالجملة الفعلية صفة ثانية لهذا المحذوف.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: يخبر الله عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها، وحقيرها، صغيرها، وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذر الناس ربهم، فيتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراهُ، فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر، والسرائر. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في شرح ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم، وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به، وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا؛ لحظ إليها، فإذا فطنوا؛ غض بصره عنها، فإذا غفلوا؛ لحظ، فإذا فطنوا؛ غض، وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه وَدَّ لو اطلع على فرجها. انتهى. مختصر ابن كثير. أقول: والمرأة مثل الرجل، لذا فقد أمرها الله بغض بصرها كما أمر الرجل. انظر الآية رقم [٣١] من سورة (النور).

﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: وما تسره من أمانة، وخيانة، أو من الوسوسة. وقيل في شرح ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة سارقة، ثم يتفكر بقلبه في جمالها، ولا يعلم بنظرته، وفكرته من بحضرته، والله يعلم ذلك كله، ويود لو اختلى بها. والمرأة مثل الرجل في كل ما ذكرته من مسارقة النظر، وتمنِّي الخلوة بالرجل، بل إن نظرها إلى الرجل أعمق، وأشفى، وشهوتها أشد، وأقوى، وأية امرأة تنظر إلى الرجل مسارقة إذا دخل دارها مع زوجها، أو أخيها، أو أبيها من شقوق الباب وغيره؟! والواقع يؤيد ذلك. هذا؛ وقال مجاهد: الخيانة هي مسارقة نظر الأعين إلى ما قد نهى الله عنه. وقال الضحاك: هي قول الإنسان: ما رأيت؛ وقد رأى. وقال السدي: إنها الرمز بالعين. وقيل: غير ذلك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

فائدة: لما جيء بعبد الله بن أبي سرح إلى رسول الله ﷺ بعدما اطمأن أهل مكة، وطلب له الأمان عثمان ـ رضي الله عنه ـ صمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: «**نعم**» فلما انصرف قال ﷺ لمن حوله: «**ما صَمَتُّ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه**». فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إليَّ يا رسول الله، فقال: «**إن النبي لا تكون له خائنة الأعين**». وعبد الله بن أبي سرح

كان من كتبة الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد، ولحق بالمشركين، فأهدر الرسول دمه فيمن أهدر يوم فتح مكة، وقد كان السبب في الفتنة العمياء التي تسببت عن مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

الإعراب: ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، تقديره: «هو». ﴿خَآئِنَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَعْيُنِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على: ﴿خَآئِنَةَ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: والذي، أو: وشيئاً تخفيه الصدور، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ فيها أربعة أوجه: أحدها: وهو الظاهر أنها خبر آخر عن ﴿هُوَ﴾ في قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾. الثاني: أنها تعليل لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ...﴾ إلخ. الثالث: أنها في محل نصب حال من الضمير المستتر، أو المقدر في: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. الرابع: أنها في محل نصب حال من لفظ الجلالة، بقوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾. وأجيز على الوجهين الأخيرين أن تكون تعليلية لا محل لها. انتهى. جمل باختصار كبير. وعلى هذا فالكلام بينها، وبين ما هي مرتبطة به معترض لا محل له. هذا؛ وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا حاجة إلى هذه التكلفات، والتعسفات. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾: يحكم بالعدل؛ لأنه المالك الحقيقي، فلا يقضي بشيء إلا وهو حقه. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الله قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة. انتهى. وهو فحوى قوله تعالى في سورة (النجم) رقم [٣١]: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ أي: إن الأصنام، والحجارة؛ التي يعبدها كفار قريش لا حكم لها، ولا قضاء. هذا على سبيل التهكم بالأصنام، وعابديها؛ إذ الجمادات، لا يقال في حقها: تقضي أولا تقضي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم. (بصير): بأعمالهم، وتصرفاتهم. وهذا تقرير لما في الآية السابقة، ووعيد للكافرين، والفاسقين، والظالمين بأنه تعالى يسمع ما يقولون، ويبصر ما يعملون، وأنه يحاسبهم على أعمالهم؛ إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ، فيجازي من غض بصره عن المحارم خيراً، ويعاقب من نظر إليها، ومن يضمر السوء في قلبه، ويعزم على مواقعة الفواحش؛ لو قدر عليها.

الإعراب: ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَقْضِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: ملتبساً بالحق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَدْعُونَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: يدعونهم. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. هو ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ خبرين عنه؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، أوهي تعليلية، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ: أي: أو لم يمش كفار مكة في نواحي الأرض، وجهاتها؛ ليروا مصارع الأمم؛ التي كذبت رسلها، وما حل بها من الهلاك، والدمار، فيعتبروا بهم؟ وفيه ردع، وزجر للكافرين المكذبين، وللفاسقين الظالمين بأن الله سيهلكهم كما أهلك مَنْ قبلهم، فهو حض لينظروا نظرة تبصر، واعتبار، لا نظرة غفلة، وإهمال، ينظرون إلى مساكن الأمم الماضية، وديارهم، وآثارهم، كيف أهلكهم بذنوبهم، كما قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١١] وغيرها كثير: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

هذا؛ وعاقبة كل شيء: آخره، ونتيجته، ومصيره، ومآله، ولم يؤنث الفعل ﴿كَانَ﴾ لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث للفعل، أو لأن (عاقبة) اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهذا باب من أبواب النحو، انظر الشاهد رقم (٩٠١) وما بعده من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي: في الأبدان، كقوم هود وصالح وغيرهم، فإنهم كانوا طوال الأجسام، أقوياء الأبدان، كما هو معروف عنهم. ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يريد حصونهم، وقصورهم، وقلاعهم، وعددهم، وما يوصف بالشدة من آثارهم. أو أراد أكثر آثاراً. ومنه قول الراعي النميري، وهو الشاهد رقم [٦٦٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

إِذَا مَـا الْـغَـانِـيَـاتُ بَـرَزْنَ يَـومـاً وَزَجَّـجْـنَ الـحـواجـبَ والْـعُـيُـونَـا

هذا؛ وفي سورة (الروم) رقم [٩]: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم الله إهلاكاً فظيعاً بسبب كفرهم، ومخالفة أوامر ربهم، وإجرامهم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: وما كان لهم أحد يدفع عنهم عذاب الله، ولا يقيهم من عقابه، وانتقامه، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الواو: حرف استئناف، أو هي حرف عطف على محذوف مقدر. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسِيرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي معطوفة على جملة محذوفة مقدرة قبلها يقتضيها المقام؛ أي: أقعدوا في أماكنهم، ولم يسيروا؟! لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَيَنظُرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم على اعتبار الفاء عاطفة، أو منصوب على إضمار: «أنْ» على اعتبار الفاء للسببية، وعلامة جزمه، أو نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى اعتبار الفعل منصوباً يؤول مع «أنْ» المضمرة الناصبة له بمصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، ويكون التقدير: فهلا حصل منهم سير في الأرض، فنظر في عاقبة الذين من قبلهم؟!. هذا؛ ومثل هذه الآية في جواز اعتبار الفعل مجزوماً، أو منصوباً بعد الفاء قول زهير بن أبي سلمى المزني، وهو الشاهد رقم [١٦٧] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وَمَـنْ لَا يُـقَـدِّمْ رِجْـلَـهُ مُـطْـمَـئِـنَّـةً فَـيُـثْـبِـتَـهَـا فـي مُـسْـتَـوى الأَرْضِ يَـزْلَـقِ

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اسمها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان)، والهاء في محل جر بالإضافة. وجملة: ﴿كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت (كان) تامة فالمعنى لا يأباه، ويكون ﴿عَٰقِبَةُ﴾ فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من: ﴿عَٰقِبَةُ﴾، والعامل: ﴿كَانَ﴾ وهي بمعنى: حدث، وعلى الاعتبارين: فالجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل قبلها. هذا؛ وأجاز مكي الوجهين في (كانوا) في الجملتين التاليتين. ولا وجه له.

﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿أَشَدَّ﴾: خبر (كان)، وضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفة، ونكرة، والذي سوغ ذلك كون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث امتناع

دخول: «أل» عليها؛ لأن أفعل التفضيل المقرون بـ: «مِنْ» لا تدخل عليه أل. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بأشد. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز. ﴿وَءَاثَارًا﴾: معطوف على (قوة) وانظر تقدير الفعل في الشرح. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: (آثاراً)، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ...﴾ إلخ بدل من سابقتها. ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذهم): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) تقدم على اسمها. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿وَاقٍ﴾ بعدهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَاقٍ﴾: اسم (كان) مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وإن اعتبرت الجملة مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ...﴾ إلخ: أي: ذلك العذاب الذي وقع بهم، وأصابهم بسبب: أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالمعجزات الساطعات الواضحات، والآيات الباهرات.

﴿فَكَفَرُوا۟﴾ أي: بالله مع هذا البيان، والبرهان. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: فدمرهم، وأهلكهم. ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ﴾ أي: إنه تعالى قوي لا يقهر. ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: عقابه شديد لمن عصاه، وعذابه أليم وجيع لمن خالفه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَت﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿تَّأْتِيهِمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿رُسُلُهُم﴾: تنازعه كل من الفعلين السابقين، فكان تطلبه اسماً لها، وتأتيهم يطلبه فاعلاً له، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه، وإذا أعملت أحدهما يجب الإضمار للثاني، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

إنْ عامِلانِ اقْتَضَيَا في اسمٍ عَمَلْ ... قَبْلُ فللواحِدِ مِنْهُمَا الْعَمَلْ

والثاني أوْلَى عندَ أهْلِ الْبَصْرَهْ ... واختار عَكْساً غيْرُهُمْ ذا أَسْرَهْ

وأعـمـلِ الـمـهـمـلَ فـي ضـمـيـرِ مـا تَـنَـازَعَـاهُ والْـتَـزِمْ مـا الْـتُـزِمَـا
كَـيُـحْـسِـنَـانِ ويُـسِـيء ابـنـاكَـا وقَـدْ بَـغَـى واعـتـديَـا عَـبْـدَاكَـا

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿تَّأْتِيهِمْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (كانت)، والجملة الفعلية هذه في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَكَفَرُواْ﴾: الفاء: حرف عطف، وجملة (كفروا) مع المتعلق المحذوف معطوفة على جملة: ﴿كَانَت...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿قَوِيٌّ﴾: خبر أول. ﴿شَدِيدُ﴾: خبر ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفَاعلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليلية، لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بالمعجزات الباهرات، وهي التسع المذكورة في قوله تعالى من سورة (الإسراء) رقم [١٠١]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ...﴾ إلخ. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: وحجة ظاهرة قاهرة. والعطف لتغاير الوصفين، أو للأفراد بين المعجزات، وتفريقها كالعصا تفخيماً لشأنها. وقيل: أراد بالسلطان: التوراة. ولا وجه له.

ويجوز أن يراد به: العصا، وإفرادها؛ لأنها أول المعجزات، وأمها، وتعلقت بها معجزات شتَّى، كانقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر عند ضربه بها، وانفجار العيون من الحجر كلما ضربه بها، وحراستها له، ومصيرها شمعةً تضيء بالليل المظلم، وشجرةً خضراءَ، ورشاءً ودلواً وغير ذلك، ويجوز أن يراد بـ: (سلطان مبين): المعجزات، وبالآيات: الحجج الدامغات، وأن يراد بهما المعجزات جميعاً، فإنها آيات للنبوة، وحجة بينة على ما يدعيه النبي.

قال الصابوني: لما ذكر الله تعالى ما حل بالكفار من العذاب، والدمار؛ أردفه بذكر قصة موسى مع فرعون تسليةً لرسول الله ﷺ عما يلقاه من الأذى، والتكذيب، وبياناً لسنة الله تعالى في إهلاك الظالمين، ثم ذكر موقف مؤمن آل فرعون، ونصيحته لقومه، وهي مواقف بطولية، مشرفة في وجه الطغيان. هذا؛ وانظر شرح (سلطان) في الآية رقم [٣٠] من سورة (الصافات).

هذا؛ وأصل ﴿مُّبِينٍ﴾: (مُبْيِن) فهو اسم فاعل من: أبان، يبين الرباعي، فقل في إعلاله: نقلت كسرة الياء، إلى الباء قبلها بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ومثله قل في إعلال (مهين). هذا؛ واسم الفاعل من: بان الثلاثي: بائن.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم، وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله. والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٢] من سورة (يسٓ). ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مُوسَىٰ﴾ التقدير: ملتبساً بآياتنا، و(نا): في محل جر بالإضافة. (سلطان): معطوف على (آياتنا). ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة له.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤﴾

الشرح: خص الله هؤلاء بالذكر؛ لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم، ففرعون الملك الذي ادعى الألوهية، وهامان كان وزيراً له، وهو الذي يدبر له شؤونه، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فجمعه الله معهما؛ لأن عمله في التكذيب والكفر كأعمالهما. ﴿سَٰحِرٞ﴾ أي: فيما أظهره من المعجزات. ﴿كَذَّابٞ﴾ أي: فيما يدعيه من النبوة، والرسالة. هذا؛ وفرعون، وهامان كانا من القبط، وقد مرت قصة فرعون مع موسى مفصلةً في كثير من السور. أما قارون؛ فكان من بني إسرائيل، فآمن بموسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ثم ارتد عن دينه، وكان ممن نجا مع موسى من الغرق، وعبر البحر معه. وانظر قصته مفصلةً في الآية رقم [٧٦] من سورة (القصص) وما بعدها.

الإعراب: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾. ﴿وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾: معطوفان على فرعون، وعلامة الجر في الثلاثة الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية، والعجمة. (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿سَٰحِرٞ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو ساحر. ﴿كَذَّابٞ﴾: خبر ثان للمبتدأ المحذوف، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَرۡسَلۡنَا...﴾ إلخ، لا محل لها مثلها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا﴾ أي: جاءهم موسى ـ عليه الصلاة، والسلام ـ بالنبوة المؤيدة بالمعجزات الظاهرة؛ ﴿قَالُواْ﴾ أي: فرعون، وحاشيته. ﴿ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: قال قتادة ـ رضي الله عنه ـ: هذا قتل غير القتل الأول؛ لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان

الذكور بعد ولادة موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فلما بعث الله موسى؛ أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم، فيمتنع الناس من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم، فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب، كالضفادع، والقمل، والدم، والجراد، والطوفان، كما رأيت في سورة (الأعراف) رقم [١٣٣] ذلك مفصلاً.

﴿وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ أي: اتركوا بناتهم أحياء. ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: وضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم على كل الكافرين، والمتجبرين. ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: في ضياع؛ يعني: أنهم قتلوا الصبيان أولاً، فما أغنى عنهم شيئاً، ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه، فما يغني عنهم القتل الثاني شيئاً، كما لم يغنهم الأول، فضاع كيدهم في الكرتين.

هذا؛ و(نساء) اسم جمع، لا واحد من لفظه، مثل: رهط، ومعشر، ونفر... إلخ؛ لأن مفرده: امرأة، وجمعها في القلة: نسوة، وفي الكثرة: نساء، وتجمع أيضاً على: نسوان، ونسون، ونسنين، وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان فهي مطبوعة عليه، إما إهمالاً، وإما كذباً. ويقال لكل واحد من هذه الجموع: اسم جمع لا واحد له من لفظه، وأما المرأة؛ فهي مأخوذة من المرء، وهو الرجل، فلذا سميت بذلك؛ والأم الأولى حواء سميت بذلك؛ لأنها مأخوذة من حي، وهو آدم، على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وانظر ما ذكرته في سورة (الزمر) رقم [٦].

فائدة: آباء: جمع أب، وأصله: أبوٌ، وأبناء: جمع ابن، وأصله بنوٌ. وجمع الأول: آباوٌ، وجمع الثاني أبناءٌ، ونساء: أصله: نساي، فقل في إعلال الثلاثة: تحركت الواو، أو الياء، وانفتح ما قبلهما، فقلبتا ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة. وقل مثل ذلك في: صحراء، وحمراء، وزرقاء، وبيداء... إلخ.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب وهي ظرف زمان بمعنى: حين عند ابن السراج والفارسي وابن جني، وجماعة تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾، والهاء مفعول به. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: ملتبساً بالحق. ﴿مِنۡ عِندِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: (الحق)؛ أي: كائناً من عندنا، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿جَآءَهُم...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها، على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً؛ لأنها ابتدائية، ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق.

﴿اقْتُلُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَبْنَاءَ﴾: مفعول به، و﴿أَبْنَاءَ﴾ مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿آمَنُوا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿اقْتُلُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا...﴾ إلخ جواب (لمّا)، لا محل لها، و(لمّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَيْدُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿الْكَافِرِينَ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. وقيل: في محل نصب حال، وهو ضعيف، وعليه يكون الرابط: الواو فقط.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ أي: لملئه، وحاشيته. ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ أي: اتركوني أقتل موسى، فقد قيل: إنه كان إذا هم بقتله كفوه عنه، وقالوا له: ليس بالذي تخافه، وهو أقل من ذلك، وما هو إلا ساحر، وإذا قتلته؛ دخلت الشبهة على الناس، واعتقدوا: أنك عجزت عن معارضته بالحجة. والظاهر: أن فرعون ـ لعنه الله ـ قد استيقن: أنه نبي، وأن ما جاء به آيات، وما هو بسحر، ولكن كان قتالاً سفاكاً للدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحسَّ بأنه هو الذي يهدم ملكه؟! ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك. هذا؛ وقيل: إنما منعوه من قتله؛ لأنه كان فيهم من يعتقد بقلبه: أنه كان صادقاً. هذا، وانظر (دع) في سورة (الأحزاب) [٤٨].

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ أي: وليدع موسى ربه الذي يزعم: أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا. وقيل: هذا شاهد صدق على فرط خوفه منه، ومن دعوته ربه، وكان قوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ تمويهاً على قومه، وإيهاماً: أنهم هم الذين يكفونه، وما كان يكفه في الحقيقة إلا ما في نفسه من هول الفزع. ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أي: يغير ما أنتم عليه من الدين، وكانوا يعبدونه، ويعبدون الأصنام. ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ أي: أو أن يثير الفتن، والقلاقل في بلدكم، ويكثر بسببه الهرج، والمرج، وهذا كما يقال في المثل: صار فرعون مذكراً. يعني: واعظاً، يشفق على الناس من موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

قال في الظلال: هل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال عن موسى تلك المقالة؟ أليست بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي كلمة الباطل الكالح في

وجه الحق الجميل؟! أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث؛ لإثارة الشبهات في وجه الإيمان الهادئ؟! إنه منطق واحد يتكرر كلما التقى الحق، والباطل، والإيمان، والكفر، والصلاح، والطغيان على توالي الزمان، واختلاف المكان، والقصة قديمة تعرض بين الحين، والحين. انتهى. «صفوة التفاسير» للصابوني.

الإعراب: (قال فرعون): ماض، وفاعله. ﴿ذَرُونِيٓ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿أَقْتُلْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، التقدير: إن تذروني أقتل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب. . إلخ، والطلب وجوابه في محل نصب مقول القول. (ليدع): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى موسى، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ذَرُونِيٓ﴾، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، وهي من جملة مقول القول. ﴿أَن يُبَدِّلَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾، والفعل المضارع و(أن) في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿دِينَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَن يُظْهِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾ أيضاً. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْفَسَادَ﴾: مفعول به. هذا؛ ويقرأ (يَظْهَرَ) بفتح الياء من الثلاثي ورفع (الفَسَادُ) على أنه فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُظْهِرَ﴾ معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مثله، وجملة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ، لا محل لها مثلها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لما سمع ـ عليه الصلاة، والسلام ـ بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي...﴾ إلخ: وفي قوله لقومه، وغيرهم: ﴿وَرَبِّكُم﴾ بعث لهم على أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه. وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ فتشمل استعاذته فرعون، وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض، فيكون أبلغ، وأراد بالتكبر: الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار، وأدل على دناءة صاحبه، وعلى فرط ظلمه، وقال: ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر، والتكذيب بالجزاء، وقلة المبالاة بالعاقبة؛

فقد استكمل أسباب القسوة، والجراءة على الله، وعلى عباده، ولم يترك كبيرة إلا ارتكبها. انتهى. نسفي.

الإعراب: (قال موسى): ماض، وفاعله. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿عُذْتُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿بِرَبِّي﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة. ﴿وَرَبِّكُم﴾: معطوف على ما قبله، والكاف وياء المتكلم كلاهما في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله. وفاعله مستتر فيه. ﴿مِّن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿عُذْتُ﴾، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة له. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ صفة لموصوف محذوف، فالجملة تصلح لأن تكون صفة ثانية للموصوف المحذوف، وأن تكون في محل نصب حال منه بعد وصفه. ﴿بِيَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(يوم) مضاف، و﴿الْحِسَابِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ...﴾ إلخ: المعتمد: أنه كان من القبط، وابن عم فرعون، واسمه: شمعان بالشين، أو بالسين. وقيل: حزقيل. وقيل اسمه: حبيب، وليس بشيء؛ لأن حبيب النجار ذكرته في سورة (يسٓ)، ولم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي أنذر موسى فقال: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وهو الذي نجا مع موسى، عليه السلام. وقال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: هو نفسه الذي أنذر موسى، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ...﴾ إلخ رقم [٢٠] من سورة (القصص). ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾: يخفي إيمانه. هذا؛ و«كتم» من باب: نصر، وربما عدي إلى مفعولين، فيقال: كتمت زيداً الحديث، وتزاد «مِنْ» جوازاً في المفعول الأول، فيقال: كتمت من زيدٍ الحديث، وكتم الشيء: بالغ في كتمانه، واكتتم الشيء: اصفرَّ. هذا؛ والكتم، والكتمان: نبت يخضب به الشعر، ويصنع منه مداد الكتابة. ورحم الله البوصيري؛ إذ يقول: [البسيط]

فَـإِنَّ أَمَّـارَتِـي بِـالـسُّـوءِ مـا اتَّـعـظَـتْ ... مِـنْ جَـهْـلِـهَـا بِـنَـذِيـرِ الـشَّـيْـبِ وَالْـهَـرَمِ

وَلَا أَعَـدَّتْ مِـنَ الْـفِـعْـلِ الـجـمـيـلِ قِـرى ضَـيْـفٍ أَلَـمَّ بـرأسـي غـيْـرَ مُـحْـتَـشِـمِ
لَـوْ كـنـتُ أعـلـمُ أَنّـي مـا أُوَقِّـرُهُ كَـتَـمْـتُ سِـرّاً بَـدَا لِـي مِـنْـهُ بِـالـكَـتَـمِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصديقونَ: حَبِيبُ النَّجار مؤمِنُ آل ياسِين، ومؤمِنُ آلِ فرعونَ الَّذِي قال:** ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ **والثالث: أبو بكر الصِّدِّيق، وهو أفضلهم**». وانظر ما ذكرته في سورة (يسٓ) رقم [٢٥] فإنه جيد جداً.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بالمعجزات الظاهرات، يعني الآيات التسع إن كان هذا في آخر الأمر، ولكن الظاهر: أن تهديد فرعون، ووعيده بقتل موسى إنما كان في أول الأمر حينما رأى معجزة العصا، وانقلابها حية. وعليه: فالمراد بـ: (البينات) معجزة العصا وحدها، وجمعها تعظيماً لها، ورفعةً لشأنها، أو المراد غيرها معها؛ لأنه اعتقد: أن موسى ـ عليه السلام ـ سيجيء بمعجزات كثيرة غيرها.

عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾. أخرجه البخاري، ومسلم.

وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث، فأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يجؤه، وهذا يتلتله، فاستغاث النبي ﷺ يومئذ، فلم يغثه أحد إلا أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وله ضفيرتان، فأقبل يجأ هذا، ويتلتل ذا، ويقول بأعلى صوته: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾! والله إنه لرسول الله! فقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر يومئذ، فقال علي كرم الله وجهه: والله ليوم أبي بكر، خيرٌ من مؤمن آل فرعون! إن ذلك رجل كتم إيمانه، فأثنى الله عليه في كتابه، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه، وبذل ماله ودمه لله عز وجل.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾: لم يكن هذا منه لشك منه في رسالة موسى، وصدقه، ولكن تلطفاً في الاستكفاف، واستنزالاً عن الأذى. والمعنى: إن كان كاذباً عن دعوى الرسالة؛ فضرر كذبه لا يتعداه. ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي: وإن كان صادقاً في دعواه؛ أصابكم بعض ما وعدكم به من العذاب. إذاً من العقل، والرأي الحازم أن تتركوه؛ ونفسه، فلا تؤذوه، ولا تتعرضوا له بسوء، بل اتركوه؛ وشأنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أي: لا يوفق إلى طريق الخير من هو متجاوز الحد؛ الذي رسمه له الله تعالى و﴿كَذَّابٌ﴾ يفتري، ويختلق ما لا أصل له، ولو كان موسى كاذباً

كما تزعمون؛ لكان أمره بيناً، يظهر لكل أحد في أقواله، وأفعاله، وهذا نرى أمره سديداً، ومنهجه مستقيماً، ولو كان من المسرفين الكذابين؛ لما هداه الله، وسدد خطاه، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره، وفعله. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وقال في البحر: هذا نوع من أنواع علم البيان، يسميه علماؤنا: استدراج المخاطب، وذلك: أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، وقومه على تكذيبه، أراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم بها: أنه متعصب له، وأنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح، والملاطفة، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ ولم يذكر اسمه، بل قال: رجلاً ليوهمهم: أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: رجلاً مؤمناً بالله، أو هو نبي الله؛ إذ لو قال ذلك؛ لعلموا: أنه متعصب له، ولم يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه، ثم تلاه بقوله: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ ولم يقل: هو صادق، وكذلك قال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ ولم يقل: كل ما يعدكم، ولو قال ذلك؛ لعلموا: أنه متعصب له، وأنه يصدقه، وأنه يزعم نبوته، ثم أتبعه بكلام يفهم منه: أنه ليس بمصدق له، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ وفيه تعريض بفرعون؛ إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله؛ إذ ادَّعى الألوهية، والربوبية. انتهى. صفوة التفاسير.

هذا؛ و﴿يَكُ﴾ أصله: يكونُ، فلما دخل الجازم صار: (إنْ يَكُونْ) فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فصار: (إنْ يكُنْ) ثم حذفت النون للتخفيف، ولكثرة الاستعمال. وهذا الحذف جائز، وغير لازم، وله شروط: أن يكون مضارعاً ناقصاً من: «كان»، وأن يكون مجزوماً بالسكون، وأن لا يكون بعده ساكن، وألا يتصل به ضمير كما في الآية الكريمة، وغيرها كثير، وهو وارد في الكلام العربي شعراً، ونثراً، ولا تحذف النون عند فقد الشروط إلا في ضرورة الشعر، كما في قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٢٤٤] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

إِذَا لَمْ تَكُ الحاجاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى ... فَلَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْكَ عقْدُ الرَّتائِمِ

وقال الخنجر بن صخر الأسدي، وهو الشاهد رقم [٢٤٣] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

فإنْ لَمْ تَكُ المرآةُ أبدَتْ وِسَامَةً ... فَقَدْ أبْدَتِ المرآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

هذا؛ وقرئ شاذاً قوله تعالى في سورة (البينة): (لم يك الذين كفروا من أهل الكتاب) ولم تحذف النون في قول أبي الأسود الدؤلي ـ رحمه الله تعالى ـ لجريانه على القاعدة: [الطويل]

دعِ الخمرَ تَشْرَبْهَا الْغُوَاةُ فإنني ... رَأَيْتُ أَخَاهَا مُجْزِئاً بمكانِهَا

فَإلَّا يَكُنْهَا، أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ ... أَخُوهَا غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلبانِهَا

هذا؛ وأما (آل) فأصله: أهل، فأبدلت الهاء همزة ساكنة، فصار: (أأْل) ثم أبدلت الهمزة الثانية الساكنة مدّاً مجانساً لحركة الهمزة الأولى على القاعدة: «إذا اجتمع همزتان: الأولى متحركة، والثانية ساكنة، قلبت الثانية مداً مجانساً لحركة الهمزة الأولى»، وذلك مثل: آدم، وإيمان، وأُومن، فإن الأصل: أَأْدَم، وإِإْمان، وأُؤْمِن، وقلب الهمزة سائغ مستعمل لغةً في: أراق، فإن أصله: هراق، وهو كثير مستعمل في الشعر العربي وغيره، وهذا مذهب سيبويه، وقال الكسائي: أصله: (أَوَل) كجمل من: آل، يؤول، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً؛ وقد صغروه على (أُهَيْل) وهو يشهد للأول، وعلى (أُوَيْل) وهو يشهد للثاني، ولا يستعمل (آل) إلا فيما له خطر، وشأن، بخلاف: أهل، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحجام، ولكن أهله، ولا ينتقض بآل فرعون، فإن له شرفاً باعتبار الدنيا. واختلف في جواز إضافته إلى المضمر، فمنعه الكسائي، والنحاس، وزعم أبو بكر الزبيدي: أنه من لحن العوام، والصحيح جوازه، كما في قول عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

لَا هُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ

وانْصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيـ ... ـبِ وعَابِدِيهِ الْيَوْمَ آلَكْ

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال رجل): ماض، وفاعله. ﴿مُّؤْمِنٌ﴾: صفة: ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿مِّنْ ءَالِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿رَجُلٌ﴾ إن كان قبطياً، ومتعلقان بالفعل بعدهما إن كان إسرائيلياً، و﴿ءَالِ﴾ مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿يَكْتُمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿إِيمَـٰنَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥ﴾ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رَجُلٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَتَقْتُلُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. (تقتلون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿رَجُلًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَن يَقُولَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل يعود إلى: ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿رَبِّيَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، و﴿أَن يَقُولَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لقوله: ربي الله؛ أي: وربكم.

﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿رَجُلًا﴾، والكاف مفعول به. ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَقُولَ﴾ المستتر، أو من: ﴿رَجُلًا﴾، وساغ ذلك لتقدم الاستفهام عليه، وعلى الوجهين فالرابط: الواو، والضمير. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بالفعل (جاء)، وتعليقهما بمحذوف حال من (البينات) جيد، والكاف في محل جر بالإضافة. . . إلخ.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَكُ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم؛ لأنه فعل شرط، وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه يعود إلى: ﴿رَجُلًا﴾. ﴿كَٰذِبًا﴾: خبر: ﴿يَكُ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَعَلَيْهِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (عليه): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿كَذِبُهُۥ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحلَّ محلَّ المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مقول القول لـ: (قال). ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ﴾ هذا الكلام معطوف على ما قبله، فهو مثله في إعرابه ومحله، و﴿بَعْضُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعِدُكُمْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد رجوع الفاعل إليه.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول؛ لأنها من قول الرجل.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: غالبين في الأرض أرض مصر. وهذا دليل قطعي على أن الرجل كان قبطياً، ولذلك أضافهم إلى نفسه بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه، ونصحه، وهو يريد منهم أن يشكروا الله على نعمته عليهم بالإيمان به، وعبادته، وتصديقه رسوله فيما يدعوهم إليه.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: من عذابه، وانتقامه. ﴿إِن جَآءَنَا﴾: وحينئذ لا تغني عنكم هذه الجنود، وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بعذابه، وانتقامه. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾

لقومه رداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أقول لكم، وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي، وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى ـ عليه السلام ـ فيما جاء به من الرسالة، كما قال تعالى في سورة (النمل) رقم [١٤]: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ فقد كذب فرعون، وافترى، وخان رعيته فغشهم، وما نصحهم. ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أي: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق، والصدق، والرشد، وقد كذب أيضاً في ذلك. وإن كان قومه قد أطاعوه، واتبعوه. قال الله تبارك وتعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [٩٧]: ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾. وقال جلت عظمته، وتعالت حكمته في سورة (طه) رقم [٧٩]: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾. وخذ ما يلي: عن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما مِنْ عبْدٍ يَسْتَرْعيهِ اللهُ عز وجل رعيةً يموتُ يوم يموتُ، وهو غَاشٌّ رَعِيَّتَهُ إلا حرَّمَ اللهُ تعالَى عليهِ الجنةَ**». وفي رواية «**فَلَمْ يحطْها بنصحِهِ لم يَرِحْ رائحةَ الْجَنَّةِ**». رواه البخاري ومسلم.

الإعراب: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: (أدعو). (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة ضمير في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: (يَا قَوْمِي). ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: (يا قَوْمِيَ) ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: (يا قومَا) ومنهم من يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: (يا قوْمَ). قال ابن مالك في ألفيته: [الرجز]

واجْعَلْ منادىً صحَّ إن يُضَفْ لِيَا ... كعبدِ عبدِي عبدَ عبدَا عبدِيَا

ويزاد سادسة، وهي لغة القطع: (يا قوْمُ) بضم الميم، ففي الحديث الشريف: «يقول: يا ربُّ! يا ربُّ!» وقرئ في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ...﴾ إلخ. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿ٱلْمُلْكُ﴾. وقيل: متعلق بالخبر المحذوف، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦] عن أبي البقاء. ﴿ظَٰهِرِينَ﴾: حال من كاف الخطاب منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة ولا وجه له. (من): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَنصُرُنَا﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، و(نا): مفعول به. ﴿مِنۢ بَأْسِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَأْسِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿جَآءَنَا﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، و(نا): مفعوله، والفاعل يعود

إلى: ﴿بَأْسِ ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: إن جاءنا بأس الله؛ فمن ينصرنا منه؟ هذا؛ والكلام: ﴿يَٰقَوْمِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول؛ لأنه من مقول الرجل المؤمن.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أُرِيكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿أَرَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، ومفعوله محذوف، وهو العائد، واكتفى بمفعول واحد؛ لأنه بصري، والأول مثله إلا أنه تعدى إلى اثنين بواسطة همزة التعدية، وقال أبو البقاء: وهو من الرأي: الذي بمعنى: الاعتقاد. ولا وجه له، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾ أو صفتها، التقدير: إلا الذي، أو: إلا شيئاً أراه. وجملة: ﴿مَآ أُرِيكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ معطوفة عليها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، وإعرابها مثلها بلا فارق، وجملة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: هذا إخبار من الله ـ عز وجل ـ عن هذا الرجل الصالح: «مؤمن آل فرعون»: أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا، والآخرة، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ...﴾ إلخ أراد بالأحزاب: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر؛ كيف حل بهم بأس الله، وعقابه، وما رده عنهم راد، ولا صده عنهم صاد، وأراد بيوم الأحزاب: مثل أيامهم، وإنما أفرده؛ لأنه لما أضافه إلى الأحزاب، وفسرهم بما يلي، ولم يلتبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار؛ اقتصر على الواحد من الجمع، وانظر شرح ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ في سورة (صٓ) رقم [١١].

الإعراب: (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿ءَامَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِيٓ﴾ وهو العائد، والمتعلق محذوف، تقديره: بالله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: أنا. ﴿عَلَيْكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول. ﴿مِّثْلَ﴾: مفعول به، و﴿مِّثْلَ﴾ مضاف، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف إليه، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)﴾

الشرح: ﴿مِثْلَ...﴾ إلخ: أي: إني أخاف عليكم مثل جزاء، وعقوبة قوم نوح، وعاد، وثمود؛ حيث أهلكهم الله بذنوبهم في الدنيا. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مثل قوم إبراهيم، ولوط، وشعيب وغيرهم. هذا؛ وعاد هم: قوم هود، وثمود هم: قوم صالح، على نبينا، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ...﴾ إلخ: أي: فلا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام. والمعنى: أن تدميرهم، وإهلاكهم كان عدلاً منه تعالى؛ لأنهم استحقوه بسبب أعمالهم الخبيثة، وهو أبلغ من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ حيث جعل المنفي إرادة ظلم مُنكَّر، ومَنْ بعُد عن إرادة ظلم ما لعباده؛ كان عن الظلم أبعد، وأبعد. وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد؛ لأن أهل اللغة قالوا: إذا قال الرجل لآخر: لا أريد ظلماً لك؛ معناه: لا أريد أن أظلمك.

هذا؛ وانظر الإرادة في الآية رقم [٤] من سورة (الزمر). أما (الدأب) فهو: العادة، والشأن، والحال، وهو أيضاً مصدر: دأب في العمل من باب قطع؛ إذا جد واستمر فيه، وهو بمعانيه كلها تفتح الهمزة وتسكن، قال تعالى في سورة (آل عمران) وسورة (الأنفال): ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا...﴾ إلخ، وانظر شرح (مثل) في سورة (يس) رقم [١٥]، وشرح ﴿قَوْمِ﴾ في سورة (الصافات) رقم [٣٠]، وشرح لفظ الجلالة في سورة (ص) رقم [٦٥].

الإعراب: ﴿مِثْلَ﴾: بدل من سابقه، أو عطف بيان عليه، و﴿مِثْلَ﴾ مضاف، و﴿دَأْبِ﴾ مضاف إليه، و﴿قَوْمِ﴾ مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَعَادٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَثَمُودَ﴾: معطوف أيضاً مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على ما قبله. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس»، أو هي مهملة. ﴿اللَّهُ﴾: اسم (ما)، أو مبتدأ. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهُ﴾. ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول به. ﴿لِلْعِبَادِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أوهما متعلقان بـ: ﴿ظُلْمًا﴾؛ لأنه مصدر، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (ما)، أو في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وما بعده، والرابط: الواو فقط. وقيل: معطوفة على ما قبلها، وعليه فلا محل لها.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)﴾

الشرح: ﴿وَيَا قَوْمِ...﴾ إلخ: أي: وقال الرجل المؤمن أيضاً. فخوفهم بالعذاب الأخروي بعد أن خوفهم بالعذاب الدنيوي. و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ هو يوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنة

أصحاب النار، وبالعكس. والنداء بالسعادة لأهلها، وبالشقاوة لأهلها، فينادي منادٍ: ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً! وفلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. وينادي منادٍ حين يذبح الموت في صورة كبش على الصراط: يا أهل الجنة! خلود لا موت، ويا أهل النار! خلود لا موت. وينادي المؤمن في ذلك اليوم: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ وينادي الكافر، والفاجر، والظالم: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ وينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل، والثبور، وعظائم الأمور، فيقولون: يا ويلنا هذا يوم الدين. ومنه أن تدعى كل أمة بكتابها، وكل أناس بإمامهم. ومنه أن تنادي الملائكة أصحاب الجنة: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال أمية بن أبي الصلت: [الوافر]

وبَـثَّ الـخـلـقَ فِـيـهـا إذْ دَحَـاهَـا فـهُـمْ سـكَّـانُـهَـا حـتَّـى الـتَّـنَـادِ

هذا؛ وقال القرطبي: زاد في الوعظ، والتخويف، وأفصح عن إيمانه، إما مستسلماً موطناً نفسه على القتل، أو واثقاً بأنهم لا يقصدونه بسوء، وقد وقاه الله شرهم بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ...﴾ إلخ رقم [٤٥] الآتية.

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣٠] ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة للفاصلة، والآية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: تولون منهزمين من هول عذاب جهنم. قال المفسرون: إن الكفار، والفجار إذا سمعوا زفير النار؛ أدبروا هاربين، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة يتلقونهم، فيضربون وجوههم، فيرجعون إلى مكانهم، فتتلقفهم جهنم. وهذا معنى قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾. ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: من مانع يمنعكم من عذاب الله. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الزمر) تجد فيها الشرح، والإعلال وافيين.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾. ﴿تُوَلُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة مؤكدة؛ لأنها من معنى الفعل منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَاصِمٍ﴾ بعدهما. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عَاصِمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال

المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿عَاصِمٍ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور: ﴿لَكُم﴾ لاعتماده على النفي، ويكون المعنى والتقدير: ما يوجد لكم عاصم من الله، وعليه: فالجملة فعلية، وهي في محل نصب حال، كما في الوجه الأول، وجملة: ﴿وَمَن يُضْلِلِ...﴾ إلخ مستأنفة، وهي من مقول الرجل المؤمن. وقيل: هي من قول موسى، والأول أقوى وأولى بالاعتبار.

﴿وَمَن يُضْلِلِ...﴾: إلخ: انظر الإعراب في الآية رقم [٢٣] من سورة (الزمر).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ...﴾ إلخ: قيل: إن هذا من قول موسى، على نبينا، وعليه ألف سلام وألف صلاة، والمعتمد: أنه من تمام وعظ مؤمن آل فرعون، ذَكّرهم قديم عتوهم على الأنبياء، والمراد: بيوسف: الصديق بن يعقوب، فإن فرعونه عاش إلى زمن موسى. قال ابن جريج: هو يوسف بن يعقوب بعثه الله تعالى رسولاً إلى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات، وهي الرؤيا. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبياً عشرين سنة. والمعتمد: أن يوسف هو ابن يعقوب، وأن فرعون موسى هو فرعون آخر غير فرعون يوسف. والكلام إنما هو من خطاب الأبناء بما فعل الآباء، كما خاطب اليهود الموجودين في عصر نبينا بما فعل آباؤهم كثيراً وكثيراً. والمراد بالبينات: المعجزات التي ظهرت على يد يوسف الصديق. وقيل: المراد بها الرؤيا التي رآها يوسف في منامه. وانظر تفصيل ذلك في السورة المسماة باسمه.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ﴾ أي: من أمر الدين؛ أي: أسلافكم كانوا في شك؛ لأنهم أطاعوا يوسف لما منحه الله من التمكين في مصر بسبب الوزارة التي أسندت إليه، والجاه العظيم الذي أعطاه الله إياه. ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: مات. ﴿قُلْتُمْ﴾: لن يبعث الله من بعده رسولاً: ضموا إلى تكذيب رسالة الصديق تكذيباً في رسالة من يأتي بعده، أو جزموا بأن لا يبعث الله بعده رسولاً مع الشك في رسالته. وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهي، والتمني من غير حجة، ولا برهان عليه، بل قالوا ذلك ليكون لهم أساساً في تكذيب الرسل؛ الذين يأتون بعده.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإضلال. ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ أي: في الكفر، والعصيان، ومخالفة، أوامره. ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أي: متجاوز في الحد؛ الذي رسمه الله تعالى. ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شاك فيما تشهد به البينات؛ لغلبة الوهم، والانهماك في الكفر، والمعاصي.

هذا؛ والإضلال: خلق فعل الضلال في العبد. والهداية: خلق فعل الاهتداء في العبد. هذا هو الحقيقة عند أهل السنة، وقد يعترض بعض الناس على خلق فعل الضلال في العبد، فيقول: إذاً لا مؤاخذة على العبد! والجواب: أن معنى خلق... إلخ تقدير ضلاله، وهذا التقدير مبني على علم الله الأزلي بأن العبد لو ترك وشأنه؛ لم يختر سوى الكفر والضلال، ولذا قدره الله عليه، هذا بالإضافة إلى اختياره الضلال بعد أن بين الله للناس الخير والشر، والحسن والقبيح، كما قال تعالى في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: بينا له طريق الخير، والشر. وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله خلقَ الخلقَ في ظُلْمَةٍ، فألقى عليهم مِنْ نورِهِ، فمنْ أَصَابَهُ من ذَلِكَ النورِ؛ اهْتدى، ومَنْ أخطأَهُ؛ ضَلَّ**». أخرجه الترمذي. وهذا فحوى قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٢٩]: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم، وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: أقسم، واللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُمْ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به. ﴿يُوسُفُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، وانظر الآية رقم [٦٢] من سورة (يس). ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿يُوسُفُ﴾، التقدير: مصحوباً بالبينات. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿زِلْتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿فِي شَكٍّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (زال)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿شَكٍّ﴾، أو بمحذوف صفة له، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿هَلَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿يُوسُفُ﴾. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿قُلْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿يَبْعَثَ ٱللَّهُ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾ وفاعله. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رَسُولًا﴾، كان صفة له، انظر الآية رقم [١٣]. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَن يَبْعَثَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْتُمْ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، والأخفش يعتبر ﴿حَتَّىٰٓ﴾ جارة هنا والمقام يؤيده؛ إذ المعنى: استمر الشك في قلوبكم إلى أن هلك يوسف قلتم... إلخ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: يضل الله. . .إضلالاً مثل هذا الضلال. ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿مُسْرِفٌ﴾: خبر أول. ﴿مُّرْتَابٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. هذا؛ والآية بكاملها من مقول الرجل المؤمن، والجملة الأخيرة تحتمل أن تكون من مقول الله تعالى، فتكون مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام. والأول أولى.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أي: الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل، وحجةٍ معهم من الله تعالى. والمراد: فرعون، ومن على شاكلته من الضالين الفاسدين المفسدين في كل زمان، ومكان. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾: مقت الله تعالى ذمه لهم، ولعنه إياهم، وإحلال العذاب بهم. وانظر الآية رقم [١٠]. ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: والمؤمنون يبغضون مَنْ هذه صفته. هذا؛ والفعل ﴿كَبُرَ﴾ محول إلى صيغة فَعُلَ التي هي للذم هنا، وتكون للمدح أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وانظر رقم [٥٥].

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: أي: كما ختم الله على قلوب هؤلاء المجادلين، كذلك يختم بالضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان، متجبر على العباد، حتى لا يعقل الرشاد، ولا يقبل الحق. وإنما وصف القلب بالتكبر، والجبروت؛ لكونه مركزهما، ومحلهما، وهو سلطان الجوارح، والأعضاء، فمتى فسد؛ فسدت كلها، ومتى صلح؛ صلحت كلها، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذَا فسدتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ. وهذا الشرح لا يصح إلا على قراءة: (قلبٍ) واعتبار (متكبرٍ) صفة له، وهو على هذا يحتاج إلى تقدير محذوف، التقدير: على كل ذي قلبٍ متكبِّرٍ، فتجعل الصفة لصاحب القلب. أو التقدير: يطبع الله على كلِّ قلبٍ على كلِّ متكبرٍ، فحذفت كل الثانية لتقدم ما يدل عليها، وإذا لم يقدر كل لم يستقم المعنى؛ لأنه يصير معناه: أنه يطبع على جميع قلبه، وليس المعنى عليه، وإنما المعنى: أنه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلباً قلباً، ومنه قول جارية بن الحجاج الإيادي: [المتقارب]

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ... وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

يريد: وكل نار. انتهى. قرطبي. هذا؛ والطبع: الختم، وهو التأثير في الطين، ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يلقى عليها، وإذا طبع على قلب إنسان؛ فلا تؤثر فيه حينئذ الموعظة، ولا تجدي معه النصيحة، قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. والطبع: السجية، والخلق؛ الذي طبع عليه الإنسان، والطبيعة مثله، وجمع الأول: طباع، وجمع الثاني: طبائع. هذا؛ والطبع: تدنس العرض، وتلطخه، يقال: طبع السيف: إذا دخله الجرب من شدة الصدأ، وطبع الرجل، فهو طبع: إذا أتى عيباً. يقال: نعوذ بالله من طمع يدني إلى طبع؛ أي: إلى دنس. قال ثابت بن قطنة: [البسيط]

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ ... وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي

الإعراب: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب بدلاً من ﴿مَنْ﴾؛ لأنه بمعنى: الجمع. أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أذم، أو أعني. أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. أو هو في محل رفع مبتدأ خبره ما بعده. ﴿يُجَادِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِي آيَاتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿آيَاتِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(غير) مضاف، و﴿سُلْطَانٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَتَاهُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿سُلْطَانٍ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿سُلْطَانٍ﴾. ﴿كَبُرَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير المصدر المفهوم من: ﴿يُجَادِلُونَ﴾، أو هو ضمير يعود على ما بعده، وهو التمييز، نحو: نعم رجلاً زيدٌ، وبئس غلاماً عمروٌ. ﴿مَقْتًا﴾: تمييز. ﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿مَقْتًا﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿عِنْدَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿عِنْدَ﴾: معطوف على ما قبله، و﴿عِنْدَ﴾ مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعده مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿كَبُرَ مَقْتًا...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿الَّذِينَ﴾ على وجه مر ذكره، ومستأنفة على اعتباره تابعاً لما بعده، أو منصوباً بفعل محذوف.

﴿كَذَلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله بعده، التقدير: يطبع الله... طبعاً مثل الطبع الذي يطبعه الله على قلوب الذين يجادلون في آيات الله.. إلخ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿قَلْبِ﴾ مضاف إليه، و﴿قَلْبِ﴾ مضاف، و﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ مضاف إليه، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف، التقدير: على كل قلب شخص متكبر.

﴿جَبَّارٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف. هذا؛ وعلى تنوين (قلبٍ) فـ: ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ و﴿جَبَّارٍ﴾ صفتان له. هذا؛ والجملة الفعلية: ﴿يَطْبَعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على وجه قاله أبو البقاء، وعليه فالجملة الاسمية: «الأمر كذلك» معترضة بين المبتدأ، والخبر، وعلى الوجه الثاني في تعليق: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فالجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: لما قال مؤمن آل فرعون ما قال، وخاف فرعون أن يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم؛ أوهم: أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد، فإن بان له صوابه؛ لم يخفه عنهم، وإن لم يصح؛ ثبتهم على دينهم، فأمر وزيره هامان ببناء الصرح. انتهى. فإسناد البناء، إلى هامان مجاز عقلي؛ لأنه سبب، فهو آمر يأمر، ولا يبني بنفسه، والباني هم الفعلة من العمال.

قال أهل التفسير: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح؛ جمع هامان العمال، والفعلة؛ حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء، سوى الأتباع، والأجراء، وطبخ الأجر، والجص، ونجر الخشب، وضرب المسامير، وأمر بالبناء فَبنَوْه، ورفعوه، وشيدوه؛ حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، وأراد الله أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه، ارتقى فرعون فوقه، وأخذ نشابة، ورمى بها نحو السماء، فردت إليه، وهي ملطخة بالدم، فقال: قد قتلت إله موسى، فعند مقالته هذه؛ بعث الله جبريل، عليه السلام، فضرب الصرح بجناحه، فقطعه ثلاث قطع، فوقعت منه قطعة على عسكر فرعون، فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة منه في البحر، وقطعة في المغرب، فلم يبق أحد عمل شيئاً فيه إلا هلك. هذا؛ والصرح: القصر الشامخ. ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: انظر الآية رقم [١٠] من سورة (صٓ)، ففيها الكفاية.

هذا؛ وأصل الترجي: طلب المحبوب المتوقع حصوله، كقولك: لعل الغائب يقدم. أو للتعليل، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ سورة (طه) رقم [٤٤]. وأما التمني؛ فهو طلب المستحيل، أو ما فيه العسر، فالأول كقول أبي العتاهية الصوفي: [الوافر]

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يوماً فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ

وأما الثاني؛ فهو كقول المعسر الآيس: ليت لي قنطاراً من الذهب فَأُزَكِّيَهُ. هذا؛ والصرح: بيت واحد يبنى مفرداً طولاً عالياً شامخاً ضخماً. وقال في الكشاف: الصرح البناء الظاهر، الذي لا يخفى على الناظر، وإن بعد، اشتقوه من: صرح الشيء: إذا ظهر، وصرَّح بما في نفسه: أظهره، وبينه.

الإعراب: (قال): فعل ماض. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (هامان): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿ٱبْنِ﴾: فعل أمر مبني على

حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿صَرْحًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مع الجملة الندائية قبلها في محل نصب مقول القول. ﴿لَعَلِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم في محل نصب اسمها. ﴿أَبْلُغُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، وجملة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أبوابها، وطرقها. وقيل: الأمور التي تستمسك بها السموات. وفائدة التكرار: أن الثاني بدل من الأول، والشيء إذا أبهم، ثم أوضح؛ كان تفخيماً لشأنه، فلما أراد ما أمل بلوغه من أسباب السموات، أبهمها، ثم أوضحها. وما في سورة الفاتحة ليس منك ببعيد. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: فأنظر إليه نظر مشرف عليه، توهم اللعين: أن الله جسم تحويه الأماكن، وكان اللعين يدعي الألوهية، ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مشرف. هذا؛ و﴿أَسْبَٰبَ﴾ جمع: سبب، و﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مراقيها، أو نواحيها، أو أبوابها. والسبب أيضاً: الحبل، وما يتوصل به، إلى غيره. وقد جمع زهير بن أبي سلمى بينهما بقوله في معلقته رقم [٥٠]: [الطويل]

وَمَنْ هَابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أسبابَ السماءِ بسلَّمِ

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾: في دعوى الرسالة، أو في ادعائه إلهاً دوني، والظن هنا بمعنى: اليقين؛ أي: وأنا أتيقن: أنه كاذب، وإنما أقول ما أقوله؛ لإزالة الشبهة عمن لا يتيقن ما أتيقنه. ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: ادعاؤه الألوهية، وتعاليه في الأرض، وتمرده على ربه، وطغيانه، وفساده في الأرض. ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ أي: ومنع عن الطريق المستقيم، وهو الهدى، والإيمان بسبب سوء عمله. ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: تدبير الكيد لموسى، وقومه، ومكره الذي اتخذه؛ ليدفع ما جاء به موسى من الحق المبين. ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في خسران، وضلال، وضياع، وهلاك، ومنه قوله تعالى في سورة (المسد): ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وقوله تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [١٠٣]: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾.

تنبيه: قرئ (زَيَّنَ) بالبناء للفاعل على أن الفاعل هو الله، وقرئ بالبناء للمجهول، على أن المزين هو الشيطان، ومن الأول قوله تعالى في سورة (النمل) رقم [٤]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾. ومن الثاني قوله تعالى في سورة (النمل) أيضاً رقم [٢٤]:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقد قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته؛ أي: في الآية الأولى. وقد أسنده إلى الشيطان؛ أي: في الآية الثانية؟! قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك: أن إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله تعالى مجاز، وله طريقان في علم البيان:

أحدهما: أنه من المجاز الذي يسمى استعارة. والثاني أن يكون من المجاز الحكمي. فالطريق الأول: أنه لما متعهم بطول العمر، وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم، وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وبطرهم، وإيثار الراحة، والترفه، ونفارهم مما يلزمهم فيه من التكاليف الصعبة، والمشاق المتعبة؛ فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم. وإليه أشارت الملائكة ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في قولهم: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾.

والطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان، وتخليته؛ حتى يزين لهم ملابسةٌ ظاهرة للتزيين، فأسند إليه؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات. وقيل: هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها الله لهم، فعموا عنها، وضلوا. ويعزى إلى الحسن. انتهى. كشاف. وهذا مبني على مذهبه في الاعتزال.

وأما عند أهل السنة فالمزين في الحقيقة هو الله تعالى، وإنما جعل الشيطان آلةً بإلقاء الوسوسة في قلوبهم، وليس له قدرة أن يضل، أو يهدي أحداً، وإنما له الوسوسة فقط، فمن أراد الله شقاوته؛ سلطه عليه؛ حتى يقبل وسوسته، وهذا مبني عند أهل السنة على أن العبد لا يخلق أفعال نفسه، وإنما يخلقها الله فيه كما قال تعالى في سورة (الصافات) رقم [٩٦]: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. وانظر ما ذكرته في شرح هذه الآية. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَسْبَٰبَ﴾: بدل من ﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ بدل كل من كل، و﴿أَسْبَٰبَ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَأَطَّلِعَ﴾: الفاء: للسببية. (أطلع) فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء في جواب الأمر، أو هو منصوب على التوهم، وهو تقدير الفعل ﴿أَبْلُغُ﴾ منصوباً بـ: «أنْ»؛ لأن خبر «لعل» كثيراً جاء مقروناً بـ: «أن» والعطف على التوهم كثير، وإن كان لا ينقاس. أو هو منصوب في جواب الترجي، وهو مذهب الكوفيين. والبصريون لا يجيزونه، وإلى قول الكوفيين نحا الزمخشري، قال: تشبيهاً للترجي بالتمني. و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لعل بلوغ الأسباب واطلاعاً إلى إله موسى حاصلان مني. هذا؛ وأجاز ابن هشام عطفه على الأسباب، وذكر بيت ميسون، وهو الشاهد رقم (٨٦٨) من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الوافر]

لَلُبْسُ عَبَاءةٍ وتقرَّ عيني أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وما ذكرته من العطف على التوهم، لا يجوز أدباً مع القرآن الكريم، فالأحسن أن يقال: هو منصوب على المعنى. انظر ما ذكرته في سورة (المنافقون) عند قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

ﵟالصَّٰلِحِينَﵞ. هذا؛ ويقرأ الفعل بالرفع عطفاً على ﵟأَبۡلُغُﵞ ومعنى النصب خلاف معنى الرفع؛ لأن معنى النصب: متى بلغت الأسباب اطلعت. ومعنى الرفع: لعلي أبلغ الأسباب، ثم لعلي أطلع بعد ذلك، إلا أن ثم أشد تراخياً من الفاء. انتهى. قرطبي. وفاعل (أطلع) مستتر تقديره: «أنا». ﵟإِلَىٰٓ إِلَٰهِﵞ: متعلقان بما قبلهما، وﵟإِلَٰهِﵞ مضاف، وﵟمُوسَىٰﵞ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﵟوَإِنِّيﵞ: الواو: واو الحال. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﵟلَأَظُنُّهُۥﵞ: اللام: هي المزحلقة. (أظنه): فعل مضارع، والفاعل تقديره: «أنا»، والهاء مفعول به أول. ﵟكَٰذِبٗاۚﵞ: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل (أطلع) المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

ﵟوَكَذَٰلِكَﵞ: الواو: حرف استئناف. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: زين لفرعون سوء عمله تزييناً مثل تزيين القول المذكور له. ﵟزُيِّنَﵞ: فعل ماض مبني للمجهول. ﵟلِفِرۡعَوۡنَﵞ: متعلقان بما قبلهما. ﵟسُوٓءُﵞ: نائب فاعله، وهو مضاف، وﵟعَمَلِهِۦﵞ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى قراءة الفعل بالبناء للمعلوم فالفاعل يعود إلى (الله)، وﵟسُوٓءُﵞ مفعول به. (صد): فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﵟفِرۡعَوۡنُﵞ. ﵟعَنِ ٱلسَّبِيلِۚﵞ: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. هذا؛ وقرئ: (وصدٌّ) على أنه مصدر معطوف على: ﵟسُوٓءُﵞ. ﵟوَمَاﵞ: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﵟكَيۡدُﵞ: مبتدأ، وﵟكَيۡدُﵞ مضاف، وﵟفِرۡعَوۡنَﵞ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وهذه الإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﵟإِلَّاﵞ: حرف حصر. ﵟفِي تَبَابٖﵞ: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من: ﵟفِرۡعَوۡنَﵞ، فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو. وإعادة فرعون بلفظه زيادة في التشنيع عليه.

ﵟوَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ﵞ

الشرح: ﵟوَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَﵞ: هو مؤمن آل فرعون: وقيل: هو موسى. وليس بشيء. ﵟيَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِﵞ: طريق الهدى، والخير، لا كما قال فرعون في الآية رقم [٢٩] فإنه كاذب في دعواه.

قال الزمخشري: أجمل لهم، ثم فسر، فافتتح بذم الدنيا، وتصغير شأنها؛ لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله، ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله، ويجلب الشقاوة في العاقبة،

وثنى بتعظيم الآخرة، والاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن المستقر، وذكر الأعمال سيئها وحسنها، وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف، وينشط لما يزلف، ثم وازن بين الدعوتين: دعوته إلى دين الله، الذي ثمرته النجاة، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد، الذي عاقبته النار، وحذر، وأنذر، واجتهد في ذلك، واحتشد. لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون، وجعله حجة عليهم، وعبرة للمعتبرين، وهو قوله تعالى في آخر هذه الآيات: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] و [٣٠]. ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وبعضهم قرأ بإثباتها مفعول به. ﴿أَهْدِكُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وعند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، التقدير: إن تتبعون؛ أهدكم، والفاعل مستتر تقديره: «أنا» والكاف مفعول به أول. ﴿سَبِيلَ﴾: مفعول به ثان، و﴿سَبِيلَ﴾ مضاف، و﴿ٱلرَّشَادِ﴾ مضاف إليه، والكلام: ﴿يَـٰقَوْمِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ (٣٩)﴾

الشرح: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ﴾ أي: يتمتع بها قليلاً، ثم تنقطع، وتزول، وانظر الآية رقم [١٤٨] من سورة (الصافات). ﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ أي: الاستقرار، والخلود، ومراده بالدار الآخرة: الجنة، والنار؛ لأنهما لا يفنيان. والمعنى: أن الدنيا فانية منقرضة، لا منفعة فيها، وأن الآخرة باقية دائمة، والباقي خير من الفاني. قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً؛ لكانت الآخرة خيراً من الدنيا، فكيف والدنيا خزف، والآخرة ذهب باق؟!

الإعراب: ﴿يَـٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿هَـٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه، لا محل له. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مَتَـٰعٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿دَارُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿دَارُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقَرَارِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً؛ ف: ﴿دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ خبر (إنَّ)، والآية الكريمة بكاملها من مقول الرجل المؤمن.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: وهذا من فضله تعالى؛ حيث لا يعاقب في الآخرة إلا بمقدار السيئة التي يعملها العبد عدلاً منه تعالى، وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها. والمراد: بالسيئة: الشرك، وغيره من المعاصي والمنكرات؛ التي يرتكبها العبد، وتقييد القرطبي لها بالشرك لا وجه له. وأصل ﴿سَيِّئَةً﴾ (سيْوِئَة) فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا...﴾ إلخ: فهذا تصريح من العلي القدير: أن الأنثى مثل الذكر بالمجازاة على عمل الخير، وكذلك بالمجازاة على عمل الشر، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تصريح بأن العمل الصالح بدون إيمان غير مقبول عند الله، وهذا يسمى في فن البديع احتراساً، والعكس هو الصحيح أيضاً بأن الإيمان بدون عمل قد لا يجدي؛ لأن الله تعالى لم يذكر الإيمان؛ إلا ويذكر العمل الصالح معطوفاً عليه، وهو كثير في الآيات القرآنية، لا يعد، ولا يحصى.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: أولئك المحسنون العمل يدخلون جنات النعيم، ويعطون جزاءهم بغير تقدير، بل أضعافاً مضاعفةً فضلاً من الله وكرماً، لا يتقدر بجزاء، بل يثيبه الله ثواباً كثيراً لا انقضاء له، ولا نفاد، وبغير ميزان، وبغير مكيال. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٠]: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

الإعراب: ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾ تقديره: «هو». ﴿سَيِّئَةً﴾: مفعول به. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﴿يُجْزَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مَنْ﴾ وهو المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِثْلَهَا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَنْ﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَنْ﴾ موصولة فالجملة بعدها صلتها، وخبرها جملة: ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ...﴾ إلخ، واقترنت بالفاء لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الوجهين مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾: إعرابه مثل سابقه بلا فارق. ﴿مِّن ذَكَرٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿أُنثَىٰ﴾: معطوف على: ﴿ذَكَرٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

في محل نصب حال من فاعل ﴿عَمِلَ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها معترضة؛ فلا محل لها. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يَدْخُلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿الْجَنَّةَ﴾: مفعول به، وانظر الآية رقم [٢٦] من سورة (يس)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وباقي الكلام مثل سابقه. ﴿يُرْزَقُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(غير) مضاف، و﴿حِسَابٍ﴾ مضاف إليه.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي: إلى طريق الإيمان الموصل إلى النجاة من النار. ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: تدعونني إلى الكفر المؤدي إلى النار. والاستفهام للتعجب، كأنه يقول: أتعجب من حالكم هذه، أدعوكم إلى النجاة، والخير، وتدعونني إلى النار، والشر؟! فقد كرر نداءهم في هذه الآيات إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، واهتماماً بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه، كما كرر إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كلمة: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: لِمَ جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؟ قلت: فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل، وتفسير له، فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث؛ فداخل على كلام ليس بتلك المثابة. وانظر شرح (قوم) في الآية رقم [٣٠] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿أَدْعُوكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال الاستفهام. ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (تدعونني): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها في الظاهر، وهذا لا يصح، إلا بتقدير: ومالكم تدعونني إلى النار؟ ويضعف أن تكون الجملة حالاً بسبب العطف؛ أي: مالي أدعوكم إلى النجاة حال دعائكم إياي إلى النار؟! لذا فالمرجح اعتبار الجملة مستأنفة. انتهى. جمل بتصرف كبير.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ...﴾ إلخ: أي: تدعونني للكفر بالله، وأن أعبد ما ليس لي علم بربوبيته، وما ليس بإلهٍ حقٍّ، كفرعون، وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكاً للإله الحق؟! ولما بين أنهم يدعونه إلى الكفر، والشرك بين: أنه يدعوهم إلى الإيمان بالإله الحق، فقال: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ أي: القوي الغالب على أمره القاهر فوق عباده، الغفار لذنوب عباده المؤمنين التائبين المنيبين. هذا؛ وأتى في قوله: ﴿تَدْعُونَنِي﴾ بجملة فعلية ليدل على أن دعوتهم باطلة لا ثبوت لها، وفي قوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ﴾ بجملة اسمية ليدل على ثبوت دعوته، وتقويتها. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

الإعراب: ﴿تَدْعُونَنِي﴾: هذه الجملة بدل مما قبلها، وبيان لها، فمحلها مثلها. ﴿لِأَكْفُرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و(أشرك): معطوف على: (أكفر) وفاعله تقديره: «أنا» فهو داخل معه في تقدير المصدرية. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، ويجيز بعضهم تعليقهما بمحذوف حال من ﴿عِلْمٌ﴾ كان صفةً له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿عِلْمٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد الضمير المجرور محلاً بالباء، وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة؛ فالجملة الفعلية صفتها.

﴿وَأَنَا﴾: الواو: واو الحال. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَدْعُوكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وفاعله تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به. ﴿إِلَى الْعَزِيزِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿الْغَفَّارِ﴾: بدل مما قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا جَرَمَ﴾: انظر الإعراب يتضح لك معناها. ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي: الذي

تدعونني إلى عبادته، وتقديسه، وتعظيمه من عبادة الأصنام، وألوهية فرعون. ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: ليست له استجابة دعوة لأحد في الدنيا، ولا في الآخرة. وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا، ولا في الآخرة؛ لأن الأصنام لا تدَّعي الربوبية، ولا تدْعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها، ولكن فرعون ادَّعى الربوبية؛ حيث قال في سورة (القصص) رقم [٣٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾. ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مرجعنا، ومصيرنا إلى الله بالموت، فيجازي كلّاً بعمله؛ إن خيراً؛ فخير، وإن شراً فشر. ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين حدود الله بالكفر، وارتكاب المعاصي، واجتراح السيئات، وانتهاك المحرمات. ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: ملازموها، وملاكها لا يخرجون منها، ولا يغادرونها، ومثلهم: أصحاب الجنة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: لفظ ﴿لَا جَرَمَ﴾ ورد في القرآن الكريم في خمسة مواضع مَتْلُوٌّ بـ: (أنَّ) واسمها، ولم يجيء بعدها فعل: أحدها: في هذه السورة، وثلاثة في سورة (النحل) برقم [٢٣] و [٦٢] و [١٠٩] والخامس في سورة (هود) رقم [٢٢] وفي إعرابه أربعة أقوال:

أحدها: وهو مذهب الخليل وسيبويه: أنهما مركبتان من (لَا) النافية، و(جَرَمَ) وبنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر، وصار معناهما بمعنى: فعل، وهو: (حَقَّ) فعلى هذا فالمصدر المؤول مِنْ «أنَّ» واسمها، وخبرها في محل رفع فاعل، فقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا...﴾ إلخ: أي: وثبت كون الذي تدعونني إليه. هذا ما نقله السمين عن الخليل، وسيبويه، ونقل مكي عنهما: أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمعنى: حقٌّ في موضع رفع بالابتداء، والمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها في محل رفع خبر، فاختلف النقل عن الخليل، وسيبويه. رحم الله الجميع برحمته الواسعة، ورحمنا معهم.

الثاني: أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمنزلة: (لا رجُلَ) في كون ﴿لَا﴾ نافية للجنس. و﴿جَرَمَ﴾ اسمها مبني معها على الفتح، وهي واسمها في محل رفع بالابتداء، وما بعدهما خبر: ﴿لَا﴾ النافية، وصار معناها: لا محالة أنما تدعونني. . .إلخ؛ أي: كون دعوتكم إياي، وهذا الوجه عزاه مكي إلى الخليل أيضاً.

الوجه الثالث: أن ﴿لَا﴾ نافية لكلام متقدم، تكلم به فرعون، وأشياعه، فرد الرجل المؤمن عليهم بقوله: ﴿لَا﴾ كما ترد ﴿لَا﴾ هذه قبل القسم في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ ثم أتى بعدها بجملة فعلية، وهي جرم أن ما تدعونني. . .إلخ، و﴿جَرَمَ﴾ فعل ماض معناه كسب، وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام، و(أنَّ) وما في حيزها في موضع المفعول به؛ لأن ﴿جَرَمَ﴾ يتعدى إذا كان بمعنى: كسب، وعلى هذا فالوقف على قوله ﴿لَا﴾ ثم يبتدأ بـ: ﴿جَرَمَ﴾ بخلاف ما تقدم. انتهى. جمل. وهذا القول عزاه مكي للزجاج.

الوجه الرابع: أن معنى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ لا حدَّ، ولا منعَ، ولا صدَّ، ويكون: ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: القطع، تقول: جرمت كذا؛ أي: قطعته، فيكون ﴿جَرَمَ﴾ اسم: ﴿لَا﴾ مبني معها على الفتح كما تقدم، وخبرها (أنَّ) وما في حيزها على حذف حرف الجر؛ أي: لا منع من دعوتكم إياي إليه، فيعود فيه الخلاف المشهور. انتهى. جمل. وهذا القول عزاه مكي للكسائي.

(أنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسمها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد الضمير المجرور محلاً بـ: (إلى). ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿دَعْوَةٌ﴾ اسمها مؤخر. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿دَعْوَةٌ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿لَيْسَ لَهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر، انظر الإعراب المتقدم لترى محل هذا المصدر.

هذا؛ والمصدر المؤول من: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ معطوف على ما قبله. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: اسم (أنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبره، و﴿أَصْحَٰبُ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنَّ) والمصدر المؤول معطوف على ما قبله على جميع الاعتبارات فيه، والآية بكاملها من مقول الرجل المؤمن. هذا؛ وأجيز اعتبار الضمير فصلاً، وهو غير وجيه.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به، وما نهيتكم عنه، ونصحتكم، فتتذكرون حين لا ينفعكم التذكر، وتندمون حيث لا يفيدكم الندم. ففيه وعيد، وتهديد لهم. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أتوكل على الله، وأعتمد عليه، وأستعينه، وأستهديه. وانظر شرح ﴿يَتَوَكَّلُ﴾، و(التوكل) في الآية رقم [٣٨] من سورة (الزمر). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي: عليم وخبير بأحوال العباد، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ، والحكم الصائب.

الإعراب: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة. ولا وجه له ألبتة. السين: حرف استقبال. (تذكرون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَقُولُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان

بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَآ﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فستذكرون الذي، أو: شيئاً أقوله لكم، وعلى اعتبار ﴿مَآ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: قولي لكم. ﴿وَأُفَوِّضُ﴾: الواو: حرف استئناف. (أفوض): فعل مضارع، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿أَمْرِيٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بَصِيرُۢ﴾: خبرها. ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَصِيرُۢ﴾، والجملة الاسمية تعليل لما قبلها. والآية بكاملها من مقول الرجل المؤمن.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ﴾: فحفظه الله من مكر فرعون، وقومه، وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب به، نجا مع موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وهذا في الدنيا، وفي الآخرة يكون في أعلى عليين مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: وهو الغرق في البحر، ثم النقلة إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً، ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة؛ اجتمعت أرواحهم، وأجسادهم في النار. وانظر الآية التالية.

تنبيه: لما نصح الرجل المؤمن فرعون، وقومه؛ توعدوه بالقتل، ففر هارباً من بينهم، فأرسل فرعون خلفه ألفاً من جنوده؛ ليأتوا به، أو ليقتلوه، فأكلت السباع بعضهم، ورجع بعضهم هارباً، فقتل فرعون من رجع عقوبة لهم على عدم قتلهم لذلك الرجل. وفي البيضاوي: أن ذلك الرجل فر منهم إلى جبل، فأتبعه فرعون طائفةً من جنوده، فوجدوه يصلي، والوحوش صفوف حوله، فرجعوا رعباً، فقتلهم فرعون. انتهى. هذا؛ والمكر أصله في لسان العرب: الاحتيال، والخديعة، وقد مكر به، يمكر، فهو ماكر، ومكّار. قال الشاعر: [الطويل]

قَهَرْتُ الْعِدَا لا مُسْتَعِيناً بِعُصْبَةٍ ولكِنْ بأنواعِ الخديعةِ والْمَكْرِ

وقال زياد بن يسار، وهو الشاهد رقم (١٠٢١) من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

تَعَلَّمْ شِفاءَ النَّفسِ قَهْرَ عَدُوِّها فَبَالِغْ بلطفٍ في التَّحَيُّلِ والْمَكْرِ

هذا؛ ونسب المكر إلى الله تعالى في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٤٢]: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ﴾ وهو بمعنى: المجازاة، والعقاب، والانتقام. انظره في محاله تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَوَقَىٰهُ﴾: الفاء: حرف استئناف. (وقاه): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿سَيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وهو على حذف مضاف، التقدير: فوقاه الله عقاب ﴿سَيِّـَٔاتِ﴾. و﴿سَيِّـَٔاتِ﴾ مضاف، و﴿مَا﴾ والفعل بعدها تؤولان بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: سيئات مكرهم. ﴿مَكَرُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية: (وقاه. .إلخ) مستأنفة، لا محل لها، وقبلها كلام كثير مقدر، انظره في الشرح، لذا فالقول: الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق جيد. (حاق): فعل ماض. ﴿بِـَٔالِ﴾: متعلقان به، و(آل) مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿سُوٓءُ﴾: فاعل (حاق)، و﴿سُوٓءُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَحَاقَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: يعني صباحاً ومساء. قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود، يعرضون على النار في كل يوم مرتين، تغدو، وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون! هذه منازلكم؛ حتى تقوم الساعة. وقيل: تعرض روح كل كافر على النار بكرةً، وعشياً ما دامت الدنيا، ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر، أعاذنا الله منه بمنه وكرمه.

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحَدَكُمْ إذا ماتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بالغداة، والعشِيِّ؛ إنْ كانَ من أهْلِ الجنةِ؛ فَمِنْ أهلِ الجنةِ، وَإِنْ كانَ مِنْ أهلِ النَّارِ فمِنْ أهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ؛ حتى يَبْعَثَكَ اللهُ تعالَى إِلَيْهِ يوْمَ القِيامَةِ**». متفق عليه.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ...﴾ إلخ: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ألوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا. وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**ما أحْسَنَ محسِنٌ مِنْ مسلمٍ، أو كافرٍ إلا أَثَابَهُ اللهُ تعالى!**». قال: قلنا: يا رسولَ الله! ما إثابةُ اللهِ الْكَافِرَ؟ فقال: «**إنْ كانَ قَدْ وصلَ رَحِماً، أو تصدَّقَ بصدقةٍ، أو عمِلَ حَسَنَةً؛ أَثابَهُ اللهُ تبارك وتعالى المالَ، والولدَ، والصحَّةَ، وأشباهَ ذَلِكَ**». أخرجه ابن أبي حاتم والبزار.

هذا؛ ويقرأ بنصب (النَّار) وقرئ: (ٱدخلوا) بوصل الهمزة. هذا؛ وقال الجوهري: العشي، والعشية: من صلاة المغرب إلى العتمة، تقول: أتيته عشيةَ أمسِ. . .إلخ وانظر ما ذكرته في الآية

رقم [١٨] من سورة (الروم) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. وانظر شرح ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ برقم [١٤] منها أيضاً، وانظر ما أذكره في الآية رقم [٢٠] من سورة (الأحقاف) بشأن القلب فإنه جيد.

الإعراب: ﴿ٱلنَّارُ﴾: بالرفع فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بدل من: ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾. الثاني: أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو؛ أي: سوء العذاب النار؛ لأنه جواب لسؤال مقدر، و﴿يُعْرَضُونَ﴾ على هذين الوجهين يجوز أن يكون حالاً من ﴿ٱلنَّارُ﴾، ويجوز أن يكون حالاً من: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾. الثالث: أن ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿يُعْرَضُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبره. وقرئ (النَّارَ) منصوباً، وفيها وجهان: أحدهما: أنه منصوب بفعل مضمر، يفسره الفعل بعده من حيث المعنى؛ أي: يصلَوْن النار يعرضون عليها كقوله تعالى في آخر سورة الدهر: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾. والثاني: أن ينتصب (النَّارَ) على الاختصاص. قاله الزمخشري، فعلى الأول: لا محل لـ: ﴿يُعْرَضُونَ﴾ لكونه مفسراً، وعلى الثاني: هو حال، كما تقدم. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿يُعْرَضُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وانظر محل الجملة فيما ذكر آنفاً. ﴿غُدُوًّا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿وَعَشِيًّا﴾: معطوف عليه. (يوم): فيه ثلاثة أوجه: أظهرها: أنه متعلق بفعل محذوف، مقدر بـ: «يقال». الثاني: أنه متعلق بـ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ أي: أدخلوا يوم تقوم الساعة. وعلى هذين الوجهين فالوقف تام على قوله (عشياً). والثالث: أنه معطوف على الظرفين قبله، فيكون متعلقاً بـ: ﴿يُعْرَضُونَ﴾ مثلهما، والوقف على هذا على قوله: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾، و(أدخلوا) معمول لقول مقدر؛ أي: يقال لهم: كذا وكذا. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. هذا؛ وجملة: ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَالَ﴾: مفعول به أول، و﴿ءَالَ﴾ مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه. ﴿أَشَدَّ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه، وهذا على قراءة قطع الهمزة واعتبار الفعل من الرباعي، وأما على وصل الهمزة، واعتبار الفعل من الثلاثي؛ فـ: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ منادى بأداة نداء محذوفة، و﴿أَشَدَّ﴾ مفعول به، وعلى الوجهين فالجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر تقديره فيما تقدم.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: يتخاصم أهل النار فيما بينهم، ومنهم فرعون، وأتباعه. ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ وهم الأتباع. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾: وهم القادة، والسادة، والكبراء في الدنيا. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر، والضلال.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافعون، أو متحملون عنا قسطاً وجزءاً من العذاب. والتبع يكون واحداً، ويكون جمعاً في قول البصريين، واحده: تابع، وقال الكوفيون: هو جمع، لا واحد له كالمصدر، فلذلك لم يجمع، ولو جمع؛ لقيل: أتباع. ومثل هذه الآية، وتاليتها في المخاصمة، والملاومة الآية رقم [٢١] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

قال الرازي: علم الضعفاء: أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف، وإنما مقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل الرؤساء، وإيلام قلوبهم؛ لأنهم سعوْا في إيقاعهم في أنواع الضلالات. هذا؛ و﴿مُّغْنُونَ﴾ اسم فاعل أصله: مُغْنِيُون؛ لأنه من: أغنى، يغني الرباعي، فقل في إعلاله: استثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فالتقى ساكنان: الياء، والواو، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، ثم قلبت كسرة النون ضمة لمناسبة الواو. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل وأكرم.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): ظرف لما يستقبل من الزمان هنا مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف متعلق بهذا الفعل المقدر. وقال البيضاوي: ويحتمل عطفه على ﴿غُدُوًّا﴾. ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَيَقُولُ﴾: الفاء: حرف عطف وتفريع. (يقول الضعفاء): مضارع وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، وفيها تفسير معنى المحاجة. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار، ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿تَبَعًا﴾ أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما تقدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة التي رأيتها في الآية رقم [١٣]. ﴿تَبَعًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّغْنُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُّغْنُونَ﴾. ﴿نَصِيبًا﴾: مفعول به لـ: ﴿مُّغْنُونَ﴾ على تضمينه معنى: دافعون. وقيل: منصوب بمحذوف يدل عليه: ﴿مُّغْنُونَ﴾ أي: حاملون. وقيل: هو مصدر لـ: ﴿شَيْـًٔا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: هو نائب مفعول مطلق فـ: «شيئاً» مرادف لـ: «غنىً» فكذلك ﴿نَصِيبًا﴾ مرادف له. ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بـ: ﴿نَصِيبًا﴾، أو بمحذوف صفة له، أو

هما متعلقان بـ: ﴿مُّغْنُونَ﴾ على اعتبار ﴿نَصِيبًا﴾ مصدراً، والجملة الاسمية: ﴿فَهَلْ أَنتُم...﴾ إلخ استئنافية لا محل لها. وجملة: ﴿إِنَّا كُنَّا...﴾: إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾: عن الإيمان، وعن متابعة الرسل، والانقياد لهم، وهم القادة والرؤساء والعظماء في الدنيا. ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أي: نحن، وأنتم فيها؛ فكيف نغني عنكم؟! ولو قدرنا؛ لأغنينا عن أنفسنا. هذا؛ وقرئ: (كلاً) على التأكيد لاسم (إن). وأجاز ذلك الكسائي، والفراء، ومنع ذلك سيبويه، والمبرد؛ لأنه لا يجوز عندهما أن يبدل من المضمر هنا؛ لأنه مخاطب، ولا يبدل الظاهر من المخاطب، ولا من المتكلم؛ لأنهما لا يشكلان، فيبدل منهما. هذا نص كلام المبرد، والقراءة ليست سبعية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾: بأن أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، لا معقب لحكمه. وقسم العذاب بين الأتباع، والمتبوعين، والحاكمين، والمحكومين بقدر ما يستحقه كل منهم، كما قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٣٨]: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، والتنوين عوض من المضاف إليه؛ إذ التقدير: كلنا. ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كل)، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمه. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿حَكَمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعِبَادِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليلية، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي: الأتباع، والمتبوعون؛ الذين أُودِعوا في جهنم بعد أن تحاجوا فيما بينهم، وتلاوموا، بل ولعن بعضهم بعضاً، قالوا لخزنة جهنم مستغيثين بهم، ومستنجدين، ومستنصرين: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ...﴾ إلخ؛ أي: اسألوا ربكم، وتوسلوا إليه أن يخفف عنا العذاب ولو يوماً واحداً! هذا؛ ووضع ﴿جَهَنَّمَ﴾ موضع الضمير للتهويل، أو لبيان محلهم فيها. وهذا بعد أن ضاقت حيلهم، وعييت بهم عللهم، والمراد: بـ: ﴿يَوْمًا﴾؛ أي:

مقدار يوم من أيام الدنيا؛ لأنه ليس في الآخرة ليل، ولا نهار، وانظر دركات النار في الآية رقم [٧١] من سورة (الزمر). هذا؛ والتعبير في الماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق وقوعه.

الإعراب: (قال الذين): ماض، وفاعله. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿لِخَزَنَةِ﴾: متعلقان بـ: (قال)، و(خزنة) مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱدْعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبَّكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يُخَفِّفْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الأمر، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف مقدر، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبَّكُمْ﴾، تقديره: «هو». ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿يَوْمًا﴾: ظرف زمان، متعلق بالفعل قبله، والمفعول محذوف، التقدير: يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم، ويجوز أن يكون الجار والمجرور ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في محل المفعول به، و﴿مِّنَ﴾ تبعيضية، ويجوز اعتبار: ﴿يَوْمًا﴾ مفعولاً به، الأصل: يخفف عنا عذاب يوم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، على حد قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا...﴾ إلخ وعلى هذا: فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿يَوْمًا﴾، والكلام: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكة؛ الذين هم خزنة جهنم، قالوا للكافرين الذين استغاثوا بهم، وطلبوا منهم الدعاء على سبيل التوبيخ، والتقريع: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة، ومثله في سورة (الزمر) رقم [٧١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ وفي سورة (الملك) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ...﴾ إلخ رقم [٨].

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: قال الكفار: جاءتنا رسلنا بالبينات، ولكن كذبنا. ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ رقم [٩] من سورة (الملك)، وانظر شرح ﴿بَلَىٰ﴾ في الآية رقم [٨١] من سورة (يس). ﴿قَالُواْ﴾ أي: الملائكة مجيبين لأهل النار. ﴿فَٱدْعُواْ﴾ أي: أنتم ادعوا، فنحن لا نجترئ على الدعاء؛ إذ لم يؤذن لنا فيه لأمثالكم. وفيه إقناط لهم من الإجابة، ودلالة على الخيبة، وليس فيه رجاء للمنفعة؛ لأن الملائكة المقربين إذا لم يسمع دعاؤهم، فكيف يسمع دعاء الكفار، والظالمين، والمفسدين، والمعتدين؟! ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ أي: في ضياع، وخسار، وتبار.

فعندئذ يقول بعضهم لبعض: دعونا مِنَ الخلق، تعالَوْا ندع ربنا، فلا أحد أكرم من ربنا! يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ فالجواب يكون بما يلي: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ الآيات من سورة (المؤمنون) رقم [١٠٧ و١٠٨ و١٠٩] وانظر ما أذكره في سورة (الزخرف) رقم [٧٧] وخذ ما يلي:

فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُلْقَى على أهل النار الجوع؛ حتى يعدِلَ ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون منه، فيغاثون بالضريع؛ الذي لا يسمن، ولا يغني من جوع، فيأكلونه لا يغني عنهم شيئاً، فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيَغَصُّون به، فيذكرون: أنهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالماء، فيستغيثون بالشراب، فيرفع لهم الحميم بالكلاليب، فإذا دنا من وجوههم شواها، فإذا وقع في بطونهم قطع أمعاءهم، وما في بطونهم، فيستغيثون بالملائكة يقولون:** ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ...﴾». إلخ أخرجه الترمذي، وغيره. انتهى. قرطبي.

أقول: وكله مأخوذ من الآيات القرآنية، قال تعالى في سورة (الغاشية): ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾، وقال تعالى في سورة (المزمل): ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، وقال في سورة (محمد) ﷺ الآية رقم [٥١]: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾، وقال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٢٩]: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الواو: عاطفة على محذوف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف، كما رأيت في الآية رقم [٢٨]. ﴿تَأْتِيكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به. ﴿رُسُلُكُم﴾: تنازعه الفعلان قبله: ﴿تَكُ﴾ يطلبه اسماً له، و﴿تَأْتِيكُمْ﴾ يطلبه فاعلاً له. انظر تفصيل ذلك وشرحه في الآية رقم [٢٢]، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَأْتِيكُمْ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿تَكُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة مقدرة قبلها، التقدير: ألم تنتهوا، ولم تك تأتيكم... إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب في محل نصب مقول القول، وهو قائم مقام كلام كثير. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله. ﴿فَٱدْعُواْ﴾: الفاء: زائدة، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حصل؛ فادعوا، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وإنما كانت الجمل الثلاث مستأنفة؛ لأن كل واحدة منهن بمنزلة جواب لسؤال مقدر. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿دُعَٰٓؤُاْ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مضاف إليه، من إضافة

المصدر لفاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهي محتملة لأن تكون من كلام الخزنة، وأن تكون من كلام الله تعالى إخباراً لنبيه ﷺ، وهو الأنسب لما بعده، وهو قول الجلال؛ أي: إنها في محل نصب مقول القول لقول محذوف. وقيل في محل نصب حال، ولا يؤيده المعنى البتة.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ أي: بالحجة، والظفر، والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال، والقتل، وغير ذلك من العقوبات. ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحاناً، فإن العبرة إنما هي بالعواقب، وغالب الأمر، وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم، وأهلك أعداءهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل، فإنه قتل به سبعون ألفاً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧٢] من سورة (الصافات)، وفي سورة (الروم) رقم [٤٧]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: كذلك منصورون بعون الله وفاءً بوعده، جلت قدرته، وتعالت حكمته. ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: المراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة، والأنبياء، والعلماء، والمؤمنين، يشهدون للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب. ثم ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع: شهيد، مثل: شريف، وأشراف. وقال الزجاج: جمع: شاهد، مثل: صاحب، وأصحاب. وقال النحاس: ليس باب فاعل أن يجمع على أفعال، ولا يقاس عليه، ولكن ما جاء منه مسموعاً أُدِّي كما سمع، وكان على حذف الزوائد. انتهى. قرطبي. هذا؛ والكثير أن يجمع شاهد على: شهداء، ولم يجمع على أشهاد إلا في هذه السورة، وفي الآية رقم [١٨] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقد عدَّ محمد علي الصابوني ـ جزاه الله خيراً ـ في كتابه: (التبيان في علوم القرآن) من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم الوفاء بالوعد في كل ما أخبر عنه، وكل ما وعد الله به عباده، قال: وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين: وعد مطلق، ووعد مقيد، فالوعد المطلق كوعده بنصر رسوله، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، ونصر المؤمنين على الكافرين. وقد تحقق ذلك كله، وذكر مطلع سورة (الفتح) وسورة (النصر) بكاملها، والآية التي نحن بصدد شرحها، ثم قال: ومن الوعد المطلق قوله جل ثناؤه في سورة (الروم) رقم [٤٧]: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة: في بدر، والأحزاب، وحنين، وغير ذلك من المعارك العظيمة؛ التي شهدها تاريخ الإسلام. وذكر آيات (الأنفال) ثم قال: ومن الوعد المطلق أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ...﴾ رقم [٣٣] من سورة (التوبة) ورقم [٢٨] من سورة (الفتح)، ورقم [٩] من سورة (الصف).

أما الوعد المقيد فهو ما كان فيه شرط، كشرط التقوى، أو شرط الصبر، أو شرط نصرة دين الله، وما شابه ذلك، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ رقم [٧] من سورة محمد ﷺ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ رقم [٢ و٣] من سورة (الطلاق) وبعدها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾. وقد وعد المؤمنين بالنصر بشرط الصبر، كما قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٦٥]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ...﴾ إلخ. انتهى. بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿لَنَنصُرُ﴾: اللام: هي المزحلقة. (ننصر) فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على: ﴿رُسُلَنَا﴾، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل (ننصر). ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَيَوْمَ﴾: ظرف زمان معطوف على الجار والمجرور قبله، التقدير: لننصر رسلنا في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة، وجملة: ﴿يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ في محل جر بإضافة (يوم) إليها، وجملة: ﴿لَنَنصُرُ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، والقائل هو الله تعالى، كما رأيت في الجملة السابقة.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: عذرهم لو اعتذروا. وهذا جواب عما يقال: إن ما في هذه الآية يدل على أنهم يذكرون الأعذار؛ إلا أنها لا تنفعهم، وقال في سورة (المرسلات) رقم [٣٦]: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ فما وجه الجمع بين ما هنا، وهناك؟ وتقرير الجواب: أن ما هناك لا يدل إلا على أنهم ليس عندهم عذر مقبول نافع، وهذا يصدق بأن لا يعتذروا أصلاً، فلا منافاة بينهما، إن كان سلب النفع لانتفاء أصل المعذرة، وأما إن كان سلب النفع مبنياً على أنهم يذكرون الأعذار، ولكنها لا تنفعهم؛ فيحتاج في دفع التناقض إلى اعتبار تعدد الأوقات، فإن يوم القيامة يوم طويل، فجاز أن يعتذروا في وقت، ولا يعتذروا في وقت آخر بأن يمنعوا من الكلام بأن يقال لهم: اخسؤوا فيها، ولا تكلمون! انتهى. زاده. وعبارة الكرخي قوله: (معذرتهم): عذرهم أشار إلى أن المعذرة، والعذر معناهما واحد، وعدم نفع المعذرة؛ لأنها باطلة، أو لأنه لا يؤذن لهم، فيعتذرون، فالآية من نفي المقيد، والقيد. انتهى. جمل بتصرف. وانظر ما أذكره في سورة (فصلت) رقم [٢٤].

هذا؛ ويقرأ الفعل: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بالتاء؛ لأن الفاعل هو (معذرة) وهو مؤنث مجازي، وما كان منه؛ يجوز تأنيث فعله، وتذكيره، والمعذرة: الاعتذار، فهي مصدر ميمي من: عذره: رفع عنه

اللوم، والمؤاخذة، والذنب، أو: قبل عذره. وانظر التعبير عن الكافرين بالظالمين، ونحوه في الآية رقم [٥٩] من سورة (يس). ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: الطرد، والإبعاد من رحمة الله تعالى. ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي: جهنم يصلَوْنها وبئس المصير، وسوء العاقبة! وانظر (اللعن) في الآية رقم [٦٨] من سورة (الأحزاب).

الإعراب: ﴿يَوۡمَ﴾: بدل من سابقه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء. ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوۡمَ﴾ إليها. ﴿وَلَهُمُ﴾: الواو: واو الحال. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱللَّعۡنَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والرابط: الواو، والضمير، وما بعدها معطوف عليها. وقيل: الجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ولا وجه له قطعاً.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٤﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: ما يهتدي به في الدين من المعجزات، والصحف، والشرائع، والأحكام. ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة، والزبور، والإنجيل؛ إذ الكتاب جنس يشمل الكل. ﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: في الكتاب الذي، أورثهم الله إياه هداية لهم من الضلالة، وفيه تذكير لهم؛ إن كانوا من ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة، وخص أولي الألباب بالذكر؛ لأنهم هم الذين إذا ذكروا؛ يتذكرون، وإذا وعظوا؛ يتعظون. وانظر شرح (أولي الألباب) في الآية رقم [٢٩] من سورة (ص).

هذا؛ و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو نبي الله يعقوب، ومعناه بالعبرانية: صفوة الله، أو عبد الله، فـ: «إسرا» هو العبد، أو الصفوة، و«إيل» هو الله، ويعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم، وقد ولد يعقوب في حياة جده إبراهيم، وحياة جدته سارة، قال تعالى في سورة (هود) في الآية رقم [٧١]: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ وهو النافلة التي امتن الله بها على إبراهيم بقوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ﴾ ولقد وجدت في كثير من المراجع الموجودة لديَّ: أن يعقوب كان توْأماً مع أخ له اسمه عيصو في بطن واحد، فعند خروجهما من بطن أمهما تزاحما، وأراد كل منهما أن يخرج قبل صاحبه، فقال عيصو ليعقوب: إن لم تدعني أخرج قبلك؛ وإلا خرجت من جنبها! فتأخر يعقوب شفقة على أمه، فلذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين. والله أعلم بحقيقة ذلك.

أما ﴿هُدًى﴾ فأصله: هدياً، أو: هديٌ، بضم الهاء، وفتح الدال. وتحريك الياء منونة، فقلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف والتنوين، الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار: ﴿هُدًى﴾، وإنما أتوْا بياء أخرى لتدل على الياء الأصلية المحذوفة بخلاف ما إذا لم يأتوا بها، وقالوا: هُداً فلا يوجد ما يدل عليها، وقل مثل هذا في كل اسم مقصور جرد من أل، والإضافة ونون. هذا؛ وانظر شرح: (نا) في الآية رقم [٣٤] من سورة (يسٓ).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ انظر الآية رقم [٢٣] فالإعراب واحد. ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جواب القسم لا محل لها. والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿هُدًى﴾: مفعول لأجله، أو هو حال منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. هذا؛ وقال القرطبي. ﴿هُدًى﴾ بدل من: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ويجوز بمعنى: هو ﴿هُدًى﴾، وليسا بشيء يعتد به. (ذكرى): معطوف على ما قبله. ﴿لِأُوْلِي﴾: جار ومجرور متعلقان بأحد الاسمين قبلهما على التنازع، أو هما متعلقان بمحذوف صفة لإحداهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مضاف إليه.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: لما بين الله تعالى: أنه ينصر رسله، وينصر المؤمنين في الدنيا، والآخرة، وضرب المثل في ذلك بحال موسى؛ خاطب بعد ذلك محمداً ﷺ بقوله: فاصبر. أي: على أذى قومك كما صبر موسى ـ عليه السلام ـ على أذى فرعون. قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر. انتهى. جمل. نقلاً من تفسير الخطيب.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ أي: يا محمد على أذى قومك، كما صبر مَنْ قبلك. ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: بالنصر، والعزة، والسيادة، كما نصر موسى، وغيره من الرسل على أقوامهم، والله سبحانه لا يخلف وعده. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ أي: وأقبل على أمر دينك، وتدارك فرطاتك، كترك الأولى، والاهتمام بأمر العدى بالاستغفار، فإنه تعالى كافيك في النصر، وإظهار الأمر. انتهى.

بيضاوي. وقال القرطبي: قيل: واستغفر لذنب أمتك، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: لذنب نفسك. على رأي: من يجوز الصغائر على الأنبياء، ومن قال: لا تجوز؛ قال: هذا تعبد للنبي ﷺ بالدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ والفائدة: زيادة الدرجات، وأن يصير الدعاء سنة لمن بعده. وقيل: فاستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة. انتهى. وهذا الأخير لا وجه له؛ لأن النبي ﷺ معصوم قبل النبوة، وبعدها.

وجملة القول: قد تمسك بهذه الآية، وأمثالها من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء، وقالوا: لو لم يقع من الرسول ﷺ ذنب؛ لما أمر بالاستغفار، والجواب: أن درجة الرسول ﷺ أعلى الدرجات، ومنصبه أشرف المناصب، فلعلو درجته، وشرف منصبه، وكمال معرفته بالله عز وجل، فما وقع منه على وجه التأويل، أو الاجتهاد، كما في أسرى بدر، وإذنه في التخلف للمنافقين عن غزوة تبوك، وغير ذلك من أمور الدنيا، فإنه ذنب بالنسبة إلى منصبه العظيم، وجاهه الكريم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وذلك بالنسبة إلى منازلهم العالية، ودرجاتهم الرفيعة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٣] من سورة (التوبة)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾ إلخ: أي: داوم على التسبيح، والتحميد لربك في جميع الأوقات. والمراد منه: الأمر بالمواظبة على ذكر الله، وألا يفتر اللسان عنه؛ حتى يصبح في زمرة الملائكة الأبرار؛ الذين ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء) والمراد بالتسبيح: تنزيه الله عن كل ما لا يليق به. هذا؛ والخطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ، ويدخل فيه غيره من أمته؛ لأنه عام لسائر المكلفين. وإنما خص هذين الوقتين بالذكر؛ لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم، الذي هو أخو الموت، فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم ـ وهو وقت الحياة من موت النوم ـ بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل، وأما وقت العشي، وهو آخر النهار، فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت، فيستحب له أن يستقبله بالذكر؛ لأنه حالة تشبه الموت، ولعله لا يقوم من تلك النومة، فيكون موته على ذكر الله عز وجل. هذا؛ وقيل: إن المراد بالتسبيح في هذين الوقتين الصلوات الخمس، أقول: وهن من أعظم التسبيح.

هذا؛ والإبكار من طلوع الشمس إلى الضحوة الكبرى، ومثله: بكرة (بضم الباء، وسكون الكاف). هذا؛ ويقابل العشي بالغدو كما في الآية رقم [٤٦] كما يقابل بالغداة: كما في قوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٢٨]: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ كما يقابل الغدو بالآصال، وهو جمع: أصيل، قال تعالى في سورة (النور) رقم [٣٦]: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ ومثله في سورة (الأعراف) رقم [٢٠٥] وسورة (الرعد) رقم [١٥] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَاصْبِرْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك قد وقع للأنبياء قبلك؛ فاصبر على أذى قومك، وتأس بهم. (اصبر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمتعلق محذوف، كما رأيت تقديره، والكلام مستأنف، لا محل له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها. ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِذَنْبِكَ﴾: متعلقان به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. (سبح): أمر، وفاعله أنت. ﴿بِحَمْدِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: ملتبساً بحمد، وانظر الآية الأخيرة من سورة (الزمر)، و(حمد) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: متعلقان بالفعل سبح. ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)﴾

الشرح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ...﴾ إلخ: عام في كل مجادل مبطل؛ وإن نزلت في مشركي مكة؛ الذين كانوا يجادلون بالباطل؛ ليدحضوا به الحق. وقيل: هم اليهود، كانوا يقولون للنبي ﷺ: لست صاحبنا، بل هو المسيح بن داود (يريدون الأعور الدجال) يبلغ سلطانه البر، والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فيرجع إلينا الملك، فهم ينتظرونه كما ينتظر المسلمون المهدي، وعيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وانظر الآية رقم [٣٥] السابقة.

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: لا يوجد في صدورهم، وقلوبهم إلا كبر، وتكبر عن الإيمان بك، والانقياد لك، فهم يريدون الرياسة، والزعامة، وأن لا يكون أحد فوقهم، ولذلك عادوك يا محمد! ودفعوا آياتك؛ خيفة أن تتقدمهم، وأن تترأس عليهم، وأن يكونوا تحت يدك، وأمرك، ونهيك؛ لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة. أو أرادوا أن تكون لهم النبوة دونك حسداً، وبغياً. ويدل عليه ما حكاه الله من قولهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ الآية رقم [١١] من سورة (الأحقاف).

﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ أي: ببالغي مرادهم من الرياسة، أو النبوة، أو دفع آيات الحق بالباطل، بل ما يرومونه من ذلك ليس بحاصل لهم، بل الحق الذي جئت به هو المرفوع، وقولهم، وقصدهم، ومرادهم هو الموضوع. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾ إلخ: أي: فالتجئ وتحصن بالله من

كيدهم، ولا تعبأ بهم، فإن الله يدفع عنك شرهم، وينصرك عليهم، ويعلي دينك، ويرفع شأنك. وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهو السميع لأقوال العباد، البصير بأفعالهم، وأحوالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، لا يعزب عنه شيء من ذلك.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وانظر الآية رقم [٣٥] فالإعراب واحد في الباقي. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كِبْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مَّا﴾: نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿مَّا﴾. ﴿بِبَٰلِغِيهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (بالغيه): خبر ﴿مَّا﴾ مجرور لفظاً، منصوب محلاً. وإن اعتبرت ﴿مَّا﴾ مهملة؛ فالضمير مبتدأ، و(بالغيه) خبره، فهو مرفوع، وعلامة رفعه الواو المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد، وحذفت النون على الاعتبارين للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع صفة ﴿كِبْرٌ﴾ وهو أولى من اعتبارها حالاً من الضمير المجرور محلاً بالإضافة. والرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَٱسْتَعِذْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر رقم [٤]. (استعذ): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منهم؛ فاستعذ بالله من كيدهم، وشرهم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٨] فهو مثله بلا فارق إفراداً وجملةً.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: لخلق الله للسموات، والأرض، وإنشاؤهما وابتداعهما على غير مثال سبق أعظم من خلق الناس أجمعين، فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كيف يعجز عن خلق ما هو أحقر، وأهون؟! والغرض من ذلك الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات، والأرض مع عظمهما قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها. فمن قدر على خلق السموات والأرض، فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى، قال تعالى في سورة (الأحقاف) رقم [٣٣]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم، وأشق بحسب عادة الناس في مزاولة الأعمال من أن علاج الشيء الكبير أشق من علاج الصغير، وإن كان بالنسبة إلى الله تعالى لا تفاوت بين الصغير، والكبير، وقال تعالى في سورة (الروم) رقم [٢٧]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: انظر الآية رقم [٢٩] من سورة (الزمر) ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿لَخَلْقُ﴾: اللام: لام الابتداء. (خلق): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِنْ خَلْقِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَكْبَرُ﴾، و﴿خَلْقِ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف أيضاً. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسمها، و﴿أَكْثَرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. وقيل: في محل نصب حال. ولا وجه له قطعاً.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي: الجاهل، والعالم، والكافر، والمؤمن. فهذا مثل ضربه الله لهما؛ أي: فكما لا يتساوى الأعمى مع البصير؛ فكذلك لا يتساوى المؤمن المستنير بنور القرآن، والكافر الذي يتخبط في الظلام. ففي الكلام استعارة تصريحية؛ حيث شبه الله الكافر بالأعمى، والمؤمن بالبصير بجامع ظلام الطريق، وعدم الاهتداء على الكافر، واستعار البصير للمؤمن بطريق الاستعارة التصريحية.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ أي: لا يستوي المحسن، والمسيء، فينبغي أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت، وهي فيما بعد البعث، وزيادة (لا) في المسيء؛ لأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل، والكرامة.

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: إن الذين يتذكرون إذا ذكروا، ويتعظون إذا وعظوا قليلون. هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء بالغيبة لمناسبة ما قبله، ويقرأ بالتاء على الخطاب التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب في مقام التوبيخ، وإظهار العنف الشديد، والإنكار البليغ. وانظر فوائد الالتفات في سورة (الصافات) رقم [١٣٧].

هذا؛ والفعل ﴿يَسْتَوِى﴾ من الأفعال التي لا تكتفي بواحد، فلو قلت: استوى زيد؛ لم يصح فمن ثَمَّ لزم العطف على الفاعل، أو تعدده. ولا تنس المطابقة، والمقابلة بين الضدين في هذه الآية، وهي من المحسنات البديعية. وقال الجمل نقلاً عن السمين: واعلم: أن التقابل يجيء على ثلاث طرق: إحداها: أن يجاور المناسب ما يناسبه، كهذه الآية. والثانية: أن يتأخر المتقابلان، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾. رقم [٢٤] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والثالثة: أن يقدم مقابل الأول، ويؤخر مقابل الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ...﴾ إلخ رقم [١٩] وما بعدها من سورة (فاطر)، وكل ذلك تفنن في البلاغة، وقدم الأعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. انتهى.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يَسْتَوِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على ما قبله. وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿ٱلْمُسِىٓءُ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: لقد ذكر ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في مغني اللبيب في هذه الجملة وأمثالها إعراباً، فأنا أنقله لك باختصار، فقال: ﴿مَّا﴾ محتملة لثلاثة أوجه:

أحدها: الزيادة، فتكون لمجرد تقوية الكلام، فتكون حرفاً باتفاق، و﴿قَلِيلًا﴾ بمعنى: النفي، وإما لإفادة التقليل، مثلها في: (أَكَلْتُ أَكْلاً مَّا) وعلى هذا يكون تقليلاً بعد تقليل.

الثاني: النفي، و﴿قَلِيلًا﴾ نعت لمصدر محذوف، أو لظرف محذوف؛ أي: تذكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً.

الثالث: أن تكون مصدرية، وهي وصلتها فاعل بـ: (قليل)، و﴿قَلِيلًا﴾ حال معمول لمحذوف، وعليه المعنى: أي: ذكروا فأخروا قليلاً تذكرهم. أجازه ابن الحاجب، ورجح معناه على غيره. انتهى. بتصرف كبير.

ولم يذكر إعراب ﴿قَلِيلًا﴾ على الوجه الأول، وذكر سليمان الجمل الوجه الأول، واعتبر ﴿قَلِيلًا﴾ نعتاً لمصدر محذوف مثل اعتباره في الوجه الثاني، وذكر أبو البقاء الوجه الثاني، وقال: التقدير: فما يتذكَّرون قليلاً، ولا كثيراً. وجملة: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ مستأنفة، أو

تعليلية، لا محل لها على الاعتبارين. وهذا الإعراب مأخوذ من إعراب ابن هشام لقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهي الآية رقم [٨٨] من سورة (البقرة).

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا شك في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها، وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها؛ لأنه لا بد من جزاء؛ لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بها، ولا يعترفون، ولا يقرون بوقوعها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به، كما قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٧]: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾. قال الفخر الرازي: والمراد بأكثر الناس: الكفار الذين ينكرون البعث، والقيامة. انتهى. صفوة التفاسير. أقول: والأكثرية الساحقة من المسلمين في هذه الأيام لا يصدقون بيوم القيامة، ولا يقرون بوقوعه، وأكبر شاهد على ذلك أعمالهم الخبيثة، وأفعالهم الشنيعة؛ التي قد لا يقدم عليها كثير من الكفار. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] من سورة (الزمر). هذا؛ و(الريب): الشك، تقول: رابني هذا الأمر: أوقعني في شك، وحقيقة الريبة: قلق النفس، واضطرابها. قال الرسول ﷺ: «**دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ**». خرجه الترمذي، والنسائي، عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: اسمها. ﴿لَأَاتِيَةٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (آتية): خبر ﴿إِنَّ﴾، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل ﴿إِنَّ﴾. ﴿رَيْبَ﴾: اسم مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿لَّا﴾. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّا﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، واعتبارها في محل نصب حال من الضمير المستتر في: (آتية) غير مستبعد. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسم (لكنّ)، و﴿أَكْثَرَ﴾ مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبر (لكنّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: وحدوني، واعبدوني؛ أتقبل عبادتكم، وأغفر لكم ذنوبكم. وقيل: هو الذكر، والدعاء، والسؤال. وهو الموافق لصريح اللفظ، ولما روى النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الدُّعاءُ هُوَ**

الْعِبادةُ، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ إلخ». وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً، أبو داود، والنسائي، وابن ماجه. وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أُعْطِيَتْ أمتي ثَلاثاً، لم تُعْطَ إلا للأنبياء: كان الله تعالى إذا بَعَثَ النبيَّ، قال: ادْعني أستجبْ لكَ، وقال لهذِهِ الأُمَّةِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وكان الله إذا بَعث النبيَّ قال: ما جعلَ عليكَ في الدِّين مِنْ حرَجٍ، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. وكان الله إذا بَعَثَ النبيَّ جعله شهيداً على قومِهِ، وجعل هذه الأمة شُهَدَاءَ على النَّاسِ**». ذكره الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول».

وكان خالد الربعي يقول: عجيب لهذه الأمة! قيل لها: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أمرهم بالدعاء، ووعدهم الاستجابة، وليس بينهما شرط. قال له قائل: مثل ماذا؟ قال مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فها هنا شرط. انتهى. قرطبي بتصرف. وجملة القول: أمرنا الله بالدعاء، ووعدنا الإجابة، كيف لا؟ وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٨٦]: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. وقال جل شأنه في سورة (الأعراف) رقم [٥٥]: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ والنبي ﷺ حثنا على الدعاء، ورغبنا فيه حتى جعله رأس العبادة، ومخ الطاعة. وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاءُ سلاحُ المؤمِنِ، وعمادُ الدِّينِ، ونُورُ السمواتِ والأَرْضِ**». رواه الحاكم. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُغني حذرٌ مِنْ قَدَرٍ، والدعاءُ ينفعُ مِمَّا نَزَل، ومِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ البلاءَ لَيَنْزِلُ، فيلقاه الدعاءُ، فيعتلجانِ إلى يَوْمِ القيامةِ**». رواه الطبراني، والحاكم.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ، قال: «**الدعاءُ مُخُّ الْعبادَةِ**». رواه الترمذي. وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَلُوا اللهَ مِنْ فضْلِهِ، فإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ. وأفضلُ الْعِبادةِ انتظارُ الْفَرَجِ**». رواه الترمذي.

هذا؛ وإن للدعاء شروطاً، وآداباً، وأركاناً يجب توافرها لتحقيق الإجابة. وخذ ما يلي: مرَّ إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ بسوق البصرة، فاجتمع إليه الناس، وقالوا: يا أبا إسحاق! ما لنا ندعو، فلا يستجاب لنا؟! قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: عرفتم الله، فلم تؤدوا حقه. زعمتم أنكم تحبون رسول الله، وتركتم سنته. قرأتم القرآن، فلم تعملوا به. أكلتم نعم الله، فلم تؤدوا شكرها. قلتم: الشيطان عدوكم، فلم تخالفوه. قلتم: الجنة حق، فلم تعملوا لها. قلتم: النار حق، ولم تهربوا منها. قلتم: الموت حق، ولم تستعدوا له. انتبهتم من النوم، فاشتغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم. ودفنتم موتاكم، ولم تعتبروا.

هذا؛ وقال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقد يدعو الإنسان كثيراً، فلا يستجاب له؟! قلت: للدعاء شروط: منها: الإخلاص في الدعاء،

وأن لا يدعو؛ وقلبه لاهٍ مشغول بغير الدعاء، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم. فإن كان الدعاء بهذه الشروط؛ كان حقيقاً بالإجابة، فإما أن يعجلها له، وإما أن يؤخرها له إلى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. يدل عليه ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ رَجُلٍ يدعو اللهَ بدعاءٍ إلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، فإمَّا أَنْ يعَجِّلَ لهُ في الدنيا، وإما أن يدخرَ لهُ في الآخرة، وإما أن يكفرَ عنه من ذنوبه بقدر ما دَعَاهُ؛ ما لم يدعُ بإثم، أو قطيعةِ رَحِمٍ، أو يستعجل**». قالوا: يا رسول! وكيْفَ يستعجلُ؟ قال: يقول: «**دَعَوْتُ ربِّي فَمَا استجابَ لِي**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب. انتهى. بتصرف.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ مُسْلِم يدعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فيها إثم ولا قطيعةُ رحِم، إلا أعطاهُ اللهُ بها إحْدى ثَلاثٍ، إمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وإمَّا أَنْ يَدَّخرَها له في الآخرةِ، وَإِمَّا أَنْ يصرف عنهُ من السوء مثلها**». قالُوا: إذاً نكثرُ! قال: «**اللهُ أكثرُ**». رواه أحمد، والحاكم، وغيرهما. هذا؛ لا تنس: أن لفظ رجل يشمل المرأة، ولفظ مسلم يشمل المسلمة، فالمرأة مثل الرجل في كل مأمور به، ومنهي عنه.

هذا؛ وقال الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم: أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم، فيتدافعان، فكذلك الدعاء، والبلاء. قال الرسول ﷺ: «**لا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قدَرٍ، والدعاءُ ينفعُ مِمَّا نزلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإنَّ الْبَلَاءَ لَينزلُ، فيلقاهُ الدعاءُ فَيَعْتَلِجانِ إلى يوم القيامةِ**». أخرجه الطبراني، والحاكم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ألا يحمل السلاح، وألا يسقي الأرض، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ رقم [١٠١] من سورة (النساء)، فقدر الله تعالى الأمر، وقدر سببه. انتهى. بتصرف.

هذا؛ وقد تعدى الفعل: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ باللام، وقد عُدِّي بنفسه في قول كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه: [الطويل]

وَدَاعٍ دعَا يا مَنْ يجيبُ إلى النَّدى ... فلم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مجيبُ

والفرق بين الآية والبيت: أن هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه، وإلى الداعي باللام، ويحذف الدعاء إذا عُدِّي إلى الداعي في الغالب، فيقال: استجاب الله دعاءه، أو استجاب له، ولا يكاد يقال: استجاب له دعاءه، وأما البيت؛ فمعناه: لم يستجب دعاءه (على حذف المضاف). هذا؛ والسين والتاء زائدتان؛ لأن (استجاب) بمعنى: أجاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: انظر الكبر، والتكبر في الآية رقم [٦٠] من سورة (الزمر)، وانظر شرح العبادة في الآية رقم [٦٠] من سورة (يس). ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾: هذا وعيد، لا بد أن ينفذ

في حق المتكبرين عن عبادة الله، وطاعته، والإعراض عن دعاء الله، وسؤال العبد حوائجه من الله إعراض عن طاعته، وعبادته؛ لأن الدعاء رأس العبادات، وروح الطاعات، كما رأيته سابقاً. ﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغرين، حقيرين، ذليلين. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف استئناف. (قال): فعل ماض. ﴿رَبُّكُمُ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱدْعُونِيٓ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿أَسْتَجِبْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الأمر، وهو عند الجمهور جواب شرط محذوف، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾: السين: حرف استقبال. (يدخلون): فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به. ﴿دَاخِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿سَيَدْخُلُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي: جعله للهدوء، والاستقرار بالنوم، والراحة مع أزواجكم، وأولادكم؛ ليزول التعب، والكلال، والسكون، والهدوء بعد اضطراب، واستقرار بعد حركة. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئاً؛ لتهتدوا به في قضاء حوائجكم. أو: جعلنا شمسه مضيئة للإبصار، فيكون المعنى مبصراً فيه بالضوء؛ لأن النهار لا يُبْصِر، بل يُبْصَر فيه، فهو من إسناد الحدث إلى زمانه، فهو مجاز عقلي، مثل: ليله قائم، ونهاره صائم. هذا؛ وفي الكلام حذف، وتقدير؛ إذ التقدير: الله الذي جعل لكم الليل مظلماً؛ لتسكنوا فيه، وجعل لكم النهار مبصراً؛ لتتحركوا فيه، وتسعوا إلى معايشكم. فحذف من أحدهما ما أثبته في الآخر، ويسمى هذا احتباكاً في الكلام. هذا؛ ولا تنس: أن ﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى: خلق، فلذا تعدى إلى مفعول واحد فقط، والفرق بين: خلق، وجعل الذي له مفعول واحد: أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين. وانظر شرح ﴿ٱلَّيْلَ﴾ و﴿ٱلنَّهَارَ﴾ في الآية رقم [٣٧] من سورة (يسٓ).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: لم يقل: المفضِّل، أو المتفضِّل؛ لأن المراد: تنكير الفضل، وأن يجعل فضلاً، لا يوازيه فضل، وذلك إنما يكون بالإضافة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾: لم يقل: ولكن أكثرهم؛ حتى يتكرر ذكر الناس؛ لأن في هذا التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم، وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله، ولا يشكرونه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ وانظر شرح (الناس) في الآية رقم [٢٧] من سورة (الزمر). هذا؛ والفضل، والفاضلة، والإفضال، وجمعهما: فضول وفواضل.

هذا؛ والفعل: شكر، يشكر يتعدى بنفسه، وبحرف الجر. تقول: شكرت الله، وشكرت له، كما تقول: نصحت زيداً، ونصحت له، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ مثل قوله تعالى في سورة (سبأ) رقم [١٣]: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾. والشكر: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. ومن أسماء الله تعالى: الشكور، ومعناه: هو الذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾ وهو العائد. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به. ﴿لِتَسۡكُنُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، أو هما متعلقان بـ: «مظلماً» الذي رأيت تقديره في الشرح. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾. ﴿مُبۡصِرًاۚ﴾: معطوف على «مظلماً» الذي رأيت تقديره، ومتعلقه محذوف، وهذا يفيد: أن مظلماً و﴿مُبۡصِرًاۚ﴾ مفعول ثان، أو هما حال من الليل، والنهار. وجملة: ﴿جَعَلَ لَكُمُ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَذُو﴾: اللام: هي المزحلقة. (ذو): خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذو) مضاف، و﴿فَضۡلٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿فَضۡلٍ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ...﴾ إلخ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وانظر إعراب مثلها في الآية رقم [٥٩]. هذا؛ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ...﴾ إلخ مذكورة في كثير من السور بحروفها.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٦٢﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: أي: ذلكم الله المميز بالأفعال التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم، فاعبدوه، وأخلصوا له العبادة، والتوحيد. ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: في هذه الدنيا، لم يشركه أحد في خلق أي شيء. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: المتفرد بالإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة، والإعزاز، والإذلال، والإغناء، والإفقار، الجامع لهذه الصفات من الإلهية، والربوبية، وخلق الأشياء كلها.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن عبادته، وتوحيده إلى عبادة غيره مما لا ينفع، ولا يضر؟! هذا؛ وأصل الإفك: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب: أفاك؛ لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل، وهو بهذا المعنى من الباب الرابع، ومصدره: إفك، كعِلْم، ويغلب مجيء فعله بالبناء للمجهول، ويكون بمعنى: الصرف كما في هذه الآية وغيرها كثير، وقال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ ومصدره: أَفْك كَضَرْبٍ، وهو من الباب الثاني. وقد يجيء بالبناء للمعلوم، كما في قوله تعالى من سورة (الشعراء) رقم [٤٥]: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ وقوله تعالى في الآية رقم [٢٢] من سورة (الأحقاف): ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ و﴿يَأْفِكُونَ﴾ في سورة (الشعراء) بمعنى: الكذب، و(تأفكنا) في سورة (الأحقاف) بمعنى: الصرف.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر أول. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر ثان، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿خَٰلِقُ﴾: خبر ثالث، و﴿خَٰلِقُ﴾مضاف، و﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و﴿كُلِّ﴾مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٣]، والجملة الاسمية في محل رفع خبر رابع. خذ هذا الإعراب: وقد جوز اعتبار لفظ الجلالة خبراً واحداً، وما بعده بدل منه، كما جوز اعتبار لفظ الجلالة بدلاً من اسم الإشارة، والخبر ما بعده. هذا، وهذا الكلام مذكور بحروفه في سورة (الأنعام) رقم [١٠٢]. والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (أنى): اسم استفهام بمعنى: كيف، مبني على السكون في محل نصب حال من واو الجماعة. هذا؛ وإن اعتبرتها للمكان كما هو أصل معناها فتكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلقة بالفعل بعدها، ويكون المعنى: فإلى أين تؤفكون.

﴿تُؤْفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، ومتعلقه محذوف. انظر تقديره في الشرح. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وثابتاً؛ فأين تذهبون، وتصرفون عن الحق؟! والكلام كله مستأنف لا محل له.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ...﴾ إلخ: المعنى: كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك يؤفك. . .إلخ، أو المعنى: كل من جحد بآيات الله، ولم يتأملها، ولم يطلب الحق أفك، كما أُفِكوا؛ أي: كما صرفوا عن الحق. وهذه تسلية للنبي ﷺ. والمعنى: لا تحزن يا محمد على إنكار قومك؛ فإن من قبلهم فعل ذلك. هذا؛ والجحد: الإنكار، والتكذيب، والكفر، وقلة الخير. وجحده حقه، وجحده بحقه، وبابه: قطع.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: أفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون إفكاً كائناً مثل إفك قومك يا محمد! لأن المضارع بمعنى: الماضي. ﴿يُؤْفَكُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بما بعدهما، وآيات مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، وجملة: «يجحدون بآيات الله» في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: جعل لكم الأرض مستقراً في حياتكم وبعد مماتكم. أو المعنى: جعلها ثابتة مستقرة غير متحركة مضطربة، قال تعالى في سورة (النمل) رقم [٦١]: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا...﴾ إلخ.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سقفاً مرفوعاً كالقبة، وفي سورة (البقرة) رقم [٢٢]: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: بأن خلقكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء، والتخطيطات، متهيئين لمزاولة الصنائع، واكتساب الكمالات. قال

الزمخشري: لم يخلق الله حيواناً أحسن صورة من الإنسان. انتهى. وصدق الله إذ يقول في سورة (التين): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من أنواع اللذائذ، والمستلذات، والمشتهيات من المآكل، والمشارب والملابس. والطيبات: ما يستلذ من المباحات. وقيل: الحلال الصافي القوام، فالحلال: ما لا يعصى الله فيه، والصافي: ما لا ينسى الله فيه، والقوام: ما يمسك النفس، ويحفظ العقل.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أي: ذلكم ربكم الذي فضلكم على كثير من المخلوقات، وميزكم عليهم، وأكرمكم بأشياء كثيرة. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تنزه الله عن كل ما لا يليق به. وقال الخازن: تمجد، وتعظم، وارتفع. وفي سورة (الفرقان): تكاثر خيره من البركة، وهي كثرة الخير وزيادته، أو تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في صفاته، وأفعاله، وهي كلمة تقديس وتعظيم، لم تستعمل إلا لله وحده، وهو ملازم للماضي، لا يأتي منه مضارع، ولا أمر، قال الطِّرِمَّاح: [الطويل]

تَبارَكْتَ لَا مُعْطٍ لِشَيْءٍ مَنَعْتَهُ ... ولَيْسَ لِمَا أَعْطَيْتَ يا ربُّ مانِعُ

هذا؛ ونقل الجمل عن الخطيب في شرح الآية ما يلي: لما كانت دلائل وجوده تعالى، إما أن تكون من الآفاق، وهي أقسام، وذكر منها أحوال الليل، والنهار، كما تقدم؛ بين منها أيضاً هنا الأرض، والسماء، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا...﴾ إلخ مع كونها في غاية الثقل، ولا ممسك لها سوى قدرة الله، والسماء على علوها وسعتها مع كونها أفلاكاً دائرة بنجوم طول الزمان سائرةً ينشأ عنها الليل، والنهار، والإظلام، والإضاءة. ثم ذكر دلائل النفوس، وهي دلائل أحوال البدن على وجود الصانع القادر الحكيم، فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ...﴾ إلخ. انتهى.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: الإعراب مثل الآية رقم [٦١] بلا فارق. ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿وَرَزَقَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، والكاف مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ انظر الآية رقم [٦٢]. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. (تبارك): فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿رَبُّ﴾: صفة، أو بدل من لفظ الجلالة، و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها أيضاً.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ أي: الباقي الذي لا يموت، الحي الحياة الحقيقية التي لا انقضاء لها، والحي هو المدرك الفعال لما يريد، وهذه إشارة إلى العلم التام، والقدرة التامة. ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: انظر الآية رقم [٣] من سورة (الزمر) ففيها الكفاية. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مَنْ قَالَ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ؛ فليقل على أثرها: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾: مبتدأ، وخبر، وجملة: ﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في محل رفع خبر ثان، وانظر إعرابها في الآية رقم [٣]. والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱدْعُوهُ﴾: الفاء: أراها الفصيحة. (ادعوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وحاصلاً فادعوه. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء، وفاعله مستتر فيه؛ لأنه جمع اسم فاعل. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعوله، والكلام بجملته معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿رَبِّ﴾: صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف يقع حالاً من واو الجماعة، التقدير: قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد لقومك: إن الله تعالى نهاني أن أعبد هذه الآلهة؛ التي تعبدونها من دون الله. وكانوا قد دعوه إلى عبادتهم، وإلى آلهتهم التي يقدسونها، ويعظمونها. وفي ذلك زجر لهم، وقطع لآمالهم في أن يعود الرسول ﷺ لتقديس آلهتهم، وتعظيمها؛ مع أنه لم يعترف بها منذ نشأته. ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾ أي: حين جاءتني الآيات الواضحات من عند ربي. والبينات هي:

أن إله العالم قد ثبت كونه موصوفاً بصفات الجلال، والعظمة، وصريح العقل يشهد: أن العبادة لا تليق إلا به، وأن جعل الحجارة المنحوتة، والأخشاب المصورة شركاء له في المعبودية مستنكرٌ في بديهة العقل. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أن أخضع، وأذل، وأنقاد لله وحده، وأن أخلص له ديني، وأن أطهر نفسي من عبدة غيره. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢] من سورة (الزمر)، وانظر جمع ما لا يعقل في رقم [٤٣] منها.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها: ﴿نُهِيتُ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿أَعْبُدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَنْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: الذين تدعونهم. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَمَّا﴾: حرف بمعنى: حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿نُهِيتُ﴾. ﴿جَاءَنِيَ﴾: ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿مِن رَّبِّي﴾: متعلقان بالفعل (جاء)، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

هذا؛ والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ في محل نصب بنزع الخافض، التقدير: نهيت عن عبادة الذين. . .إلخ، أو هو مفعول ثان على التوسع بإجراء المتعدي إلى واحد، إلى مفعولين، وجملة: ﴿نُهِيتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأُمِرْتُ﴾: الواو: حرف عطف. (أمرت): ماض مبني للمجهول، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أُسْلِمَ﴾ في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (أمر)، أو هو منصوب بنزع الخافض، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أمرت بالإسلام. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢] من سورة (الزمر) تجد ما يسرك. ﴿لِرَبِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(رب) مضاف، و: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ مضاف إليه. . .إلخ، وجملة: ﴿وَأُمِرْتُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها: ﴿نُهِيتُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع خبر مثلها. هذا؛ ومفعول ﴿أُسْلِمَ﴾ محذوف، التقدير: أسلِمَ أمري له، أو: أسلم، وأخلص توحيدي له.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: لما استدل على ثبوت الإله بأربع من دلائل الآفاق، وهي: الليل، والنهار، والأرض، والسماء، وبثلاث من دلائل الأنفس، وهي: التصوير، وحسن الصورة، ورزق الطيبات؛ ذكر من دلائل الأنفس كيفية تكون البدن من ابتداء كونه نطفة إلى آخر الشيخوخة، والموت، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم...﴾ إلخ. انتهى. جمل نقلاً من زاده. وفي مختصر ابن كثير: أي: هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له، وعن أمره، وتدبيره، وتقديره يكون ذلك كله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي: خلق أباكم آدم، أو خلق أصلكم من تراب على تقدير مضاف، وهو خلقٌ غير مباشر، وهناك خلق مباشر؛ أي: إن كل إنسان خلق من تراب، وذلك إذا عرفنا: أنه خلق من النطفة، والنطفة منشؤها من الدم، والدم مستمد من الأغذية، والأشربة على اختلافها، وتنوعها، وكلها مستخرجة من الأرض، والتراب، وكل ذلك معلوم، ومعروف. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مني، من النطْف، وهو الصب، وأصلها: الماء القليل، ويكون من الرجل، والمرأة، والجمع نطاف، ونطف. والنطفة: الماء الصافي قلَّ، أو كثر. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: قطعة من الدم جامدة، وذلك: أن النطفة تصير بعد أربعين يوماً من استقرارها في الرحم دماً غليظاً، والعلقة دويبة سوداء تعيش في الأرض الرطبة، والجمع: علق، وفي سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ وخذ ما يلي:

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادقُ المصدوقُ: «**أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربعينَ يوماً نطفةً، ثم يكون علقةً مثلَ ذلِكَ، ثم يكونُ مضغةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثَمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكاً، فيكتبُ رِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وعَمَلَهُ، وشَقِيٌّ، وسَعيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ، فَوَالذي لا إلٰهَ غيره إنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنة؛ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتابُ فيعملُ بعمل أهل النار، فيدخلها، وإنَّ أحدَكم ليعملُ بعمل أهل النار؛ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكِتَابُ فيعملُ بعمل أهل الجنة، فيدخلُها**». أخرجه البخاري ومسلم.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: وفي سورة (الحج): ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ و﴿طِفْلًا﴾ بمعنى: أطفالاً، والتوحيد لإرادة الجنس، أو على تأويل كل واحد منكم، وأيضاً: فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد، قال الشاعر: [الكامل]

يـــاعـــاذِلَاتـــي لا تُـــرِدْنَ مـــلَامـــتـــي إنَّ الـــعـــواذلَ لـــسْـــنَ لِـــي بـــأَمِـــيـــرِ

لم يقل: بأمراء. وقال المبرد: هو اسم يستعمل مصدراً، كالرضا، والعدل، فيقع على الواحد، وعلى الجمع. قال الله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ هذا؛ والطفل: ولد كل وحشية، والمطفل: ذات الطفل من الإنسان، والحيوان، والوحش، والجمع: مطافل، ومطافيل، والآية من سورة (النور) رقم [٣١] انظر شرحها هناك.

﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾: منتهى الشباب، وشدته، وقوته، وهو ثلاث وثلاثون سنة على المعتمد. وقيل: الأشد ما بين ثمانية عشر عاماً، إلى ثلاثين، وهو ما يفسر به في حق اليتيم في كثير من الآيات: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾ الآية رقم [٣٤] من سورة (الإسراء). ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ﴾ أي: يبقيكم؛ لتصيروا شيوخاً. هذا؛ والأشد عند سيبويه جمع، واحده شَدَّة. وقال الكسائي: واحده شَدٌّ، وزعم أبو عبيد: أنه لا واحد له من لفظه عند العرب. وفي القاموس: وهو جمع لا واحد له، أو هو واحد جاء على بناء الجمع.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾: من قبل بلوغ الشيخوخة، أو بلوغ الأشد. ﴿وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى﴾ أي: الأجل المحتوم لانقضاء آجالكم، وأعماركم. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ أي: ولكي تعقلوا، وتفهموا دلائل قدرته تعالى، وتؤمنوا بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٦٧] من سورة (الصافات).

قال الإمام الفخر: رتب الله تعالى عمر الإنسان على ثلاث مراتب: الطفولة، وبلوغ الأشد، والشيخوخة، وهذا ترتيب مطابق للعقل، فإن الإنسان في أول عمره يكون في النماء، والنشوء، وهو المسمى بالطفولة، إلى أن يبلغ إلى كمال النشوء من غير أن يحصل له ضعف، وهذا بلوغ الأشد، ثم يبدأ بالتراجع، ويبدأ فيه الضعف والنقص، وهذه مرتبة الشيخوخة. هذا؛ وخذ قوله تعالى في سورة (يسٓ) رقم [٦٨]: ﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (الروم) رقم [٥٤]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾. انظر شرح الآيتين في محالهما. هذا؛ وانظر شرح «الشيخ» في الآية رقم [٢٣] من سورة (القصص).

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِي﴾: مبتدأ وخبر. ﴿خَلَقَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِي﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِّن تُرَابٖ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، تقديره: مبتدئاً، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾، معطوفان على ما قبلهما. ﴿يُخۡرِجُكُمۡ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِي﴾، والكاف مفعول به. ﴿طِفۡلٗا﴾: حال من الكاف، وهو مؤول بالجمع كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على جملة

الصلة، لا محل لها مثلها، والمضارع مؤول بالماضي للمناسبة. ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَشُدَّكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: يبقيكم؛ لتبلغوا أشدكم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لِتَكُونُواْ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب مثل سابقه، والواو اسمه. ﴿شُيُوخٗاۚ﴾: خبره، و﴿لِتَكُونُواْ﴾ بعد التأويل معطوف على ما قبله، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف، التقدير: ويبقيكم لتكونوا شيوخاً، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمِنكُم﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (منكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] من سورة (الأحزاب)، فهو يشبه ما هنا. ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَّن﴾ وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّن﴾ أو صفتها. ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾: متعلقان بما قبلهما، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، والجملة الاسمية معترضة على اعتبار ما بعدها معطوفاً على ما قبله، ومستأنفة على اعتباره متعلقاً بمحذوف، التقدير: ويبقيكم؛ لتبلغوا أجلاً، وهو معطوف على محذوف، التقدير: ويبقيكم؛ لتعيشوا؛ ولتبلغوا. ﴿أَجَلٗا﴾: مفعول به. ﴿مُّسَمّٗى﴾: صفة ﴿أَجَلٗا﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (لعلكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وهو يفيد أن (لعل) للتعليل.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ أي: الله هو القادر على الإحياء، والإماتة، والإيجاد، والإعدام. ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ أي: أراد أمراً من الأمور. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: احدث، فيحدث من غير كلفة، ولا معاناة مشقة، ولا تعب. وكل ذلك من كمال قدرته على الإحياء، والإماتة، والإيجاد والإعدام، وسائر ما ذكر من الأفعال الدالة على قدرته. وهذا تمثيل لكمال قدرته، وتصوير لسرعة وجودها من غير أن يكون هناك أمر ومأمور، فلا يحتاج في تكوين ما يريد إلى عدة، وتجشم كلفة. والفاء الأولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق، من حيث: إنه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد، والمواد. ولا تنس الطباق بين ﴿يُحۡيِۦ﴾ و(يميت).

تنبيه: قال ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ في مغنيه: قد يعبر بالفعل عن إرادته، وأكثر ما يكون بعد أداة الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ رقم [٩٨] من سورة (النحل)، و﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ رقم [٦] من سورة (المائدة)، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ذكرت هذه الآية في كثير من السور، و﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ رقم [٤٢] من سورة (المائدة)، و﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ رقم [١٢٦] من سورة (النحل)، ﴿إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ رقم [٩] من سورة (المجادلة)، و﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟...﴾ إلخ رقم [١٢] من سورة (المجادلة)، وفي الحديث الصحيح قال الرسول ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الجمعةَ؛ فَلْيَغْتَسِلْ**». فهو يريد ـ رحمه الله تعالى ـ أن المعنى: إذا أردت القراءة؛ إذا أردتم القيام إلى الصلاة؛ إذا أراد قضاء أمر، إن أردت الحكم، إن أردتم العقاب؛ فعاقبوا؛ إذا أردتم المناجاة؛ فلا؛ إذا أردتم مناجاة الرسول؛ إذا أردتم الطلاق؛ إذا أراد أحدكم إتيان الجمعة؛ فليغتسل.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿يُحْىِۦ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والمفعول محذوف للتعميم، التقدير: يحيي الأموات، ويميت الأحياء. والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (إذا): انظر الآية رقم [١٢]. ﴿قَضَىٰٓ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الموصول. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿كُن﴾: فعل أمر تام، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية (إنما)... إلخ جواب (إذا) لا محل لها من الإعراب، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على الجمل الاسمية قبله، لا محل له مثلها. ﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يكون) تام، وفاعله يعود إلى: ﴿أَمْرًا﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو يكون، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها، وهذا القول يعزى لسيبويه. وقيل: إنَّ (يكون) معطوف على ﴿يَقُولُ﴾ وهو يعزى للزجاج، والطبري. وقيل: هو معطوف على (كن) من حيث المعنى، وهو قول الفارسي. انتهى. جمل من سورة (البقرة). هذا؛ وقرأ ابن عامر بالنصب على أن الفعل منصوب، بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء السببية. وضعَّفه أبو البقاء. وأقول: لا يمكن سبك مصدر من: «أن» المضمرة، والفعل المضارع، وعطفه على مصدر متصيد من الفعل السابق؛ إذ لا يقال: يقول له: ليكن حدوث فحدوث. تأمل، وتدبر، وربك أعلم. وهذا التركيب ذكر في سورة (البقرة) رقم [١١٧]، وفي سورة (آل عمران) رقم [٤٧]، وفي سورة (مريم) رقم [٣٥]، وفي سورة (النحل) رقم [٤٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تنظر نظر تبصر واعتبار. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: في القرآن ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف يجادلون فيه، ويصرفون عنه، فلم يهتدوا به؟! فهو تعجيب من أحوالهم الشنيعة، وآرائهم الركيكة، وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن، وبسائر الكتب، والشرائع، وترتيب الوعيد على ذلك، كما أن ما سبق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ بيان لابتناء جدالهم على معنى فاسد، لا يكاد يدخل تحت الوجود، فلا تكرار فيه؛ أي: انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله الواضحة الموجبة للإيمان بها، الزاجرة عن الجدال فيها؛ كيف يصرفون عنها بالكلية. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود.

وقال النسفي: ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع، فجاز أن يكون في ثلاثة أقوام، أو ثلاثة أصناف، أو للتأكيد. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، وانظر تقدير المصدر في الشرح. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يُجَٰدِلُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام بمعنى: «كيف؟» مبني على السكون في محل نصب حال من واو الجماعة. هذا؛ وإن اعتبرتها للمكان ـ كما هو أصل معناها ـ فتكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلقة بما بعدها، ويكون المعنى: فأين تصرفون؟ ﴿يُصْرَفُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بالقرآن، أو بجنس الكتب السماوية. ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾: من سائر الكتب، أو الوحي، أو الشرائع. وانظر شرح (الرسل) في الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب). ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: فيه تهديد شديد ووعيد أكيد من الله تعالى لهؤلاء المكذبين، كما قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. هذا؛ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق، كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة، وتكرارها.

تنبيه: قال أكثر المفسرين: نزلت الآية في القَدَرية. قال ابن سيرين: إن لم تكن هذه الآية نزلت في القَدرية؛ فلا أدري فيمن نزلت؟! وقال أبو قبيل: لا أحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا. وقال عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ: قال النبي ﷺ: «**نزلت هذه الآية في القَدرية**». ذكره المهدوي. انتهى. قرطبي. وهل وجدت طائفة القدرية في عهد النبي ﷺ؟ وهذا مما يضعف هذا الحديث، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بدلاً من الموصول قبله، أو عطف بيان عليه، أو نعتاً له، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو في محل نصب على الذم بفعل محذوف، وعلى هذه الأوجه فجملة: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مستأنفة سيقت للتمهيد، ويجوز أن يكون الموصول في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، ودخلت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَبِمَآ﴾: جار ومجرور معطوفان على قوله: ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. (سوف): حرف تسويف واستقبال، وهي للتأكيد. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، وانظر محل الجملة فيما سبق.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)﴾

الشرح: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ﴾: فـ: ﴿إِذِ﴾ بمعنى: «إذا» وهذا جواب عن اعتراض، حاصله: أن (سوف) للاستقبال، و﴿إِذِ﴾للماضي، فهو مثل قولك: سوف أصوم أمسِ. ومحصل الجواب أن ﴿إِذِ﴾ هنا مستعملة في الاستقبال، مكان: «إذا»، وسوغ استعمالها أن هذا لما كان من أخبار الله تعالى، وهي مقطوع بوقوعها، فكأنها وقعت، فعبر فيها بما هو للماضي مع كون المعنى على الاستقبال، واستعمال ﴿إِذِ﴾ بمعنى: إذا هنا نظير عكسه في قوله تعالى في سورة (الجمعة): ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً...﴾ إلخ انتهى. من الخطيب. وهذا على اعتبار ﴿إِذِ﴾ ظرفاً متعلقة بالفعل السابق، وأجاز السمين اعتباره مفعولاً له. كما جوز أن تكون منصوبةً بـ: اذكر مقدراً؛ أي: اذكر لهم وقت ﴿ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ﴾ ليخافوا وينزجروا، فهذه ثلاثة أوجه، خيرها أوسطها. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ و﴿ٱلْأَغْلَـٰلُ﴾ جمع غل، يقال: في رقبته غل من حديد، ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق: غل قَمِل، وأصله: أن الغل كان يتخذ من جلد، وعليه شعر، فيَقْمَل، والغل والغلة: حرارة العطش، وكل ذلك بضم الغين، وهو بكسرها بمعنى: الحقد، ورحم الله من يقول: [البسيط]

يا طالِبَ العيشِ في أمْنٍ وفي دَعَةٍ ... رَغْداً بلا قَتَرٍ صفواً بلا رَنَقِ

خلِّصْ فؤادكَ من غِلٍّ ومِنْ حسَدٍ ... الغِلُّ في القلبِ مثل الغُلِّ في الْعُنُقِ

هذا؛ وقال التيمي: لو أن غلا من أغلال جهنم وضع على جبل؛ لوهصه حتى يبلغ الماء الأسود. هذا؛ و(السلاسل) جمع: سلسلة، وهي معروفة. قال الراغب: وتسلسل الشيء: اضطرب، كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردُّد لفظه تنبيهٌ على تردُّد معناه. وماء سلسل: متردد في مقره. انتهى. وخذ قوله تعالى في سورة (الحاقة) في حقِّ من يأخذ كتابه بشماله بعد أن يدعو بالثبور وعظائم الأمور: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿يُسْحَبُونَ﴾: يجرون بها في الحميم أي: في جهنم، قاله الجلال. وقال الخطيب: أي: الماء الحار، الذي يكسب الوجوه سواداً، والأعراض عاراً، والأرواح عذاباً، والأجسام ناراً. وقال القرطبي: الحميم: المتناهي في الحر. ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي: يطرحون فيها، فيكونون وقوداً لها؛ قاله مجاهد. يقال: سجرت التنور، أي: أوقدته، وسجرته: ملأته، ومنه قوله تعالى في سورة (الطور): ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي: المملوء. فالمعنى على هذا: تملأ بهم النار. وقال الشاعر يصف وعِلاً: [المتقارب]

إذا شاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً ... تَرَى حولَهَا النَّبعَ والسَّمْسِمَا

أي: عيناً مملوءةً. والمراد: أنه يعذبون بأنواع من العذاب، وينقلون من بعضها إلى بعض، كما قال تعالى في سورة (الرحمٰن): ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾، وقال في سورة (الدخان): ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

الإعراب: ﴿إِذِ﴾: ظرف مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾، أو هو مفعول به لـ: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، أو هو مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف متعلق بهذا المقدر. ﴿الْأَغْلَالُ﴾: مبتدأ. ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. والجملة الاسمية في محل جر بإضافة (إذ) إليها، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾: معطوف على: ﴿الْأَغْلَالُ﴾ عطف مفرد على مفرد، أو هو مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: السلاسل في أرجلهم، فيكون العطف عطف جملة على جملة مثلها. ﴿يُسْحَبُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية فيها ثلاثة أوجه: أحدها: الاستئناف. الثاني: أنها في محل رفع خبر: (السلاسل). الثالث: أنها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والتقدير على الأول: يسحبون بها. وعلى الثاني: مسحوبين بها. هذا؛ ويقرأ بنصب السلاسل، وفتح ياء يسحبون على أن: (السلاسل) مفعول به مقدم، وعليه: فالجملة الفعلية في محل نصب حال، لا غير.

هذا؛ وقرئ بجر: (السلاسل). وهي قراءة شاذة، ووجهه: أنه محمول على المعنى؛ لأن المعنى: أعناقهم في الأغلال، والسلاسل، فيكون في الكلام قلب؛ لأن الأعناق هي التي توضع في الأغلال. ومثله: قولهم: عرضت الناقة على الحوض. وانظر رقم [٣٤] من سورة (الأحقاف) للكلام على القلب. وقال الزجاج: المعنى: وفي السلاسل يسحبون، وهذا يعني: أنه معطوف على الحميم. قال ابن الأنباري: والخفض على هذا المعنى غير جائز. قال مكي: وهو لا يجوز؛ لأن المعطوف المخفوض لا يتقدم على المعطوف عليه، لا يجوز: مررت؛ وزيد بعمرو، ويجوز في المرفوع، تقول: قام وزيد عمرو، ويبعد في المنصوب، لا يحسن: رأيت وزيداً عمراً، أقول: خذ قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في هجاء هند وزوجها أبي سفيان، وهو يؤيد العطف في المنصوب: [الكامل]

لعنَ الإلهُ وزوجَها معَها هندَ الهنود طويلةَ البَظْرِ

﴿فِي ٱلْحَمِيمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية: «يسجرون في النار» معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: يقال لهم، ويقولون: ضلوا، والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع، وقد ذكرته لك مراراً. وانظر إعلال ﴿قِيلَ﴾ في الآية رقم [٤٥] من سورة (يس). ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. وهذا تقريع، وتوبيخ، والمراد: أين الأصنام، والمعبودات الباطلة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟! ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ أي: غابوا عنا فلم نرهم، وانظر شرح: (ضل) في الآية رقم [٧١] من سورة (الصافات). ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي: بل تبين لنا: أنا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم، فإنهم ليسوا شيئاً يعتد به، كقولك: حسبته شيئاً فلم يكن، وليس هذا إنكاراً لعبادة الأصنام، بل هو اعتراف بأنَّ عبادتهم الأصنام كانت باطلة، فلم تغن عنهم شيئاً. وقال بعض المفسرين: جحدوا عبادة الأصنام، وإنما فعلوا ذلك لحيرتهم واضطرابهم، وخذ قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٢٣]: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: حتى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة، أو يضلهم عن آلهتهم؛ حتى لو تطالبوا؛ لم يتصادفوا، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على

الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُشْرِكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: أين الذي كنتم تشركون به، والجملة الاسمية هذه في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾. وانظر ما ذكرته في سورة (الصافات) رقم [٣٥] ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف؛ الذي رأيت تقديره، و(مِنْ) بيان لما أبهم في الموصول. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وجملة: ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ في محل نصب مقول القول. ﴿بَل﴾: حرف عطف، وانتقال. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، واسمه ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿نَّدْعُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿نَكُن﴾. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿لَّمْ نَكُن...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: يضل الله الكافرين إضلالاً مثل إضلال قومك. ﴿يُضِلُّ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: مفعول به منصوب. . .إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، وهي من قول الله تعالى.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُم...﴾ إلخ: أي: تقول لهم الملائكة: ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون بالمعاصي. يقال لهم ذلك توبيخاً؛ أي: إنما نزل بكم من العذاب ما نزل بسبب: أنكم كنتم تظهرون في الدنيا السرور بالمعصية، وكثرة المال، وكثرة الأولاد، والصحة، والمنصب، والجاه. وقيل: إن فرحهم بما عندهم: أنهم قالوا للرسل: نحن نعلم: أنا لا نبعث، ولا نعذب. وكذا قال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾. رقم [٨٣] الآتية. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: قال مجاهد وغيره: أي: بما تبطرون، وتأشرون. هذا؛ وروى خالد عن ثور، عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ يَبْغَضُ البذِخين الفرحينَ، ويحبُّ كلَّ قلبٍ حزينٍ، ويَبْغَضُ أهلَ بيتٍ لَحِمين، ويَبْغَضُ كل حَبْر سمين**». فأما أهل بيت لحِمين فالذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة، وأما الحبْر السمين: فالمتحبر بعلمه، ولا يخبر بعلمه الناس، يعني: المستكثر من علمه،

ولا ينتفع به الناس. ذكره الماوردي، وقد قيل في اللَّحِمين: إنهم الذين يكثرون أكل اللحم، ومنه قول عمر ـ رضي الله عنه ـ: اتقوا هذه المجازر، فإن لها ضراوة كضراوة الخمر، ذكره المهدوي، والأول قول سفيان الثوري. انتهى. قرطبي.

هذا؛ والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب، وأكثر ما يستعمل في اللذات البدنية، وقد ذم الله الفرح في مواضع كثيرة من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ سورة (القصص) رقم [٧٦]، وقوله جلت قدرته: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ رقم [١٠] من سورة (هود)، ولكنه مطلق فإذا قيد الفرح لم يكن ذمّاً؛ لقوله تعالى في حق الشهداء رقم [١٧٠] من سورة (آل عمران): ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ...﴾ إلخ، وقال سبحانه في سورة (يونس) رقم [٥٨]: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أي: برحمته، وجوده، وإحسانه. وقال تعالى في سورة (الروم) رقم [٤]: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُم﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية، تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهي في الأصل في محل نصب مقول القول للقول الذي رأيت تقديره في الشرح. وإعراب ﴿كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مثل إعراب: ﴿كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ بلا فارق بينهما. ﴿بِغَيْرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(غير) مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾ مضاف إليه. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب، والتأويل، والتعليق، والتقدير بلا فارق.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

تنبيه: لا أرى مزيداً للكلام في هذه الآية على ما ذكرته في الآية رقم [٧٢] من (الزمر) شرحاً، وإعراباً، وهي في محل نصب مقول القول للقول الذي رأيت تقديره قبل الآية السابقة.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ أي: فاصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، فإن وعد الله بتعذيبهم كائن لا محالة، وهذا تسلية من الله لنبيه ﷺ، ووعد له بالنصر على أعدائه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٥]. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي: من القتل، أو الأسر. وقد وقع ذلك في حياته ﷺ،

فإن الله تعالى قد أقر عينه يوم بدر، ثم فتح الله عليه مكة، وسائر جزيرة العرب في حياته، ووعد أصحابه ملك كسرى، وقيصر على لسانه، وقد حقق الله عز وجل ذلك لأصحابه بعد وفاته ﷺ.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن ترى تحقيق ذلك. ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: يوم القيامة؛ أي: فننتقم منهم أشد الانتقام، ونحوه قوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٤١]: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾.

تنبيه: (إمَّا): أصلها: إن ما «إن» الشرطية، و«ما» الزائدة، فأفادت التوكيد؛ لأن معنى «إن» في الأصل: الشك، فزال هذا المعنى بسبب «ما»؛ ولذا أكد الفعل بعدها بنون التوكيد الثقيلة. وذكر ابن هشام في المغني أن توكيد الفعل بعدها قريب من الواجب، وذكر آيات كثيرة؛ الفعل المضارع مؤكد فيها بنون التوكيد. وأضيف: أنه قرئ قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٢٦]: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ بدون تأكيد الفعل بنون التوكيد.

الإعراب: ﴿فَٱصْبِرْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وحاصلاً للكافرين في الآخرة؛ فاصبر على أذى قومك، وتأسَّ بمن سلف قبلك من الأنبياء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والمتعلق محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح، والكلام مستأنف لا محل له على الوجهين المعتبرين بالفاء. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محل لها. ﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (إمَّا): (إن): حرف شرط جازم، و(ما): صلة. ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به أول، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿بَعْضَ﴾: مفعول به ثان، و﴿بَعْضَ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿نَعِدُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف وهو العائد؛ إذ التقدير: نعدهم إياه، والجملة هذه صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿نُرِيَنَّكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فذاك حاصل، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: معطوف على نرينك، فهو مثله في إعرابه. ﴿فَإِلَيْنَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط المقدر قبل: ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾. (إلينا): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية جواب للشرط المقدر قبل: ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾. وهذا الكلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: ويجوز أن يكون ـ أي: جملة (إلينا يرجعون) ـ جواباً لهما؛ أي: للشرطين: المذكور والمقدر،

بمعنى: إن نعذبهم؛ في حياتك، أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب. ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾: انظر تفصيل ذلك في الآية رقم [١] من سورة (الأحزاب). ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي: ذكرنا قصصهم، وأخبارهم في القرآن، وهم خمسة وعشرون، والباقي لم نقصهم عليك فيه. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١٦٤]: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ أي: ما صح وما استقام لرسول. وهذا التعبير: ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾ ﴿وَمَا كَانَ﴾ ونحوهما معناه: الحظر، والمنع، لحظر الشيء، والحكم بأنه لا يجوز، كما في هذه الآية، وربما كان لامتناع ذلك الشيء عقلاً، كقوله تعالى في سورة (النمل) رقم [٦٠]: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ وربما كان لامتناع العلم بامتناعه شرعاً، كقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٧٩]: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ وقوله تعالى في سورة (الشورى) رقم [٥١]: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ...﴾ إلخ. وربما كان في المندوبات، كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تترك صلاة الفجر في الجماعة، ونحو ذلك.

﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: أن يأتي بمعجزة إلا بأمر الله، وتقديره، فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته، وإرادته كسائر القسم، ليس لأحد منهم اختيار في إيثار بعضها، والاستبداد بإتيان المقترح بها.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: قضاؤه وحكمه بنزول العذاب. ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ أي: حكم بإنجاء المحق المطيع لربه، وتعذيب المبطل العاصي لخالقه، ورازقه. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: المعاندون للحق، السادرون في شهوات الغي بعد ظهور الآيات، الذين يجادلون بالباطل، ويقترحون المعجزات على سبيل التعنت، وكانوا طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يفجر لهم في أرض مكة عيوناً، وأنهاراً. هذا؛ وختم الله هذه الآية بقوله: ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ وختم آخر السورة بقوله: ﴿الْكَافِرُونَ﴾ لأن الأول متصل بقوله: ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ ونقيض الحق، هو الباطل، والثاني متصل بإيمان غير نافع، ونقيض الإيمان الكفر.

المعنى الإجمالي للآية: إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: أنت كالرسل من قبلك، وقد ذكرنا حال بعضهم لك، ولم نذكر حال الباقين، وليس منهم أحد أعطاه الله آيات معجزات؛ إلا وقد جادله

قومه، وكذبوه فيها، فصبروا. وكانوا أبداً يقترحون على أنبيائهم إظهار المعجزات الزائدة على ما أتوا به عناداً، وعبثاً، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، والله سبحانه علم الصلاح في إظهار ما أظهروه دون غيره، ولم يقدح في نبوتهم، فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة على ما أتيت به لمَّا لم يكن إظهارها حاصلاً؛ لا جرم لم تظهرها. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب.

هذا؛ والقصص: تتبع الأثر، يقال: قص فلان أثر فلان؛ أي: تتبعه ليعرف أين ذهب؟ ومنه قوله تعالى حكاية عن قول أم موسى في سورة (القصص) رقم [١١]: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره، وإنما سميت الحكاية قصة؛ لأن الذي يقص الحديث، يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً. قال تعالى في سورة (هود) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ رقم [١٠٠].

تنبيه: لقد قص الله علينا من قصص الأنبياء، والمرسلين في كتابه المبين ما فيه عظة، وعبرة للمؤمنين، وأرشدنا إلى مواطن العظة، والعبرة في حياة كل رسول؛ لنقتدي بهم في سيرتهم العطرة، وأخلاقهم الطاهرة، وليكونوا مصابيح تضيء للناس طرق السعادة، والفلاح. قال تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ رقم [١١١] وقد ذكرت قصص الأنبياء في سور عديدة، فجاءت مكررة بحسب الظاهر، ولكن هذا التكرار له حكمته البالغة، وإشارته الدقيقة، فإنه يدل على إعجاز القرآن الكريم، وعلى أنه حقاً كتاب منزل من عند الله.

فإن أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء يستحيل عليه إذا كتب قصة مرة واحدة أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على متانة الأسلوب، وفصاحة الألفاظ، وبلاغة التعبير، ولا بد أن يرى الفرق بين الأسلوبين واضحاً كل الوضوح، أما القرآن الكريم فقد تفنن في سرد القصص بنفس تلك الفصاحة، والبيان، والروعة، والإتقان، فجاءت القصة فيه مكررة معبرة عن معنى واحد، ولكن بألفاظ أخرى، وعبارات مختلفة، فسبحان القادر على كل شيء، الذي أنزل كتابه المعجز تبياناً لكل شيء، وهدىً، ورحمةً لقوم يؤمنون. انتهى. «النبوة والأنبياء» للصابوني. بتصرف.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾: انظر الآية رقم [٣٤] فالإعراب لا يتغير. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة رسلاً، والكاف في محل جر بالإضافة، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿مِنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. هذا هو الإعراب الظاهر، والمتعارف عليه في مثل هذا التركيب، والأصح: أن مضمون الجار والمجرور: ﴿مِنْهُم﴾

مبتدأ، و﴿مَّن﴾ هي الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض؛ أي: فبعض الرسل من قصصنا، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ رقم [١١٠] من سورة (آل عمران) فعطف (أكثرهم) على (منهم) يؤيد أن معناه: بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لَا تُرامُ وبعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظ: «منهم» بما هو مبتدأ، أعني: لفظة: «بعضهم» وهذا ممَّا يدل على أن مضمون «منهم» مبتدأ. هذا؛ وليوث جمع: ليث، وهو السبع. لا ترام: لا تقصد. قمشت: جمعت من هنا وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء. هذا؛ وقد قال أبو البقاء: هذا الإعراب في هذه الآية فقط، وأجاز الوجه الأول، ولكنه اعتبر ﴿مِّنْهُم﴾ صفةَ ﴿رُسُلًا﴾ و﴿مَّن﴾ فاعلاً بالجار والمجرور، وبه قال الجمل نقلاً من كرخي، والجملة الاسمية على ما قدمته من الإعراب في محل نصب صفة ﴿رُسُلًا﴾، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَصَصْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّن﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو: شخص قصصنا عليك ذكره. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، وهي مثلها في إعرابها.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. وقيل: حرف عطف. (ما) نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِرَسُولٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَانَ﴾، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ في محل رفع اسم كان، التقدير: وما كان لرسول الإتيان. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، و(إذن): مضاف. و(الله) مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وانظر سورة (الشورى) الآية رقم [٥١]. هذا؛ وقيل: الجار والمجرور: ﴿لِرَسُولٍ﴾ متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، والمصدر المؤول في محل رفع اسمها المؤخر، والجار والمجرور: ﴿بِإِذْنِ﴾ استثناء من أعم الأحوال. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [١٢]. وجملة: ﴿جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿قُضِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. وقيل: نائب الفاعل مستتر، تقديره: «هو» أي: الأمر، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَخَسِرَ﴾: فعل ماض. ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية وهو مستعار للزمانية هنا، وقال السمين: لا يحتاج لهذا؛ بل يصح إبقاؤه على أصله. انتهى. متعلق بالفعل قبله، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: فاعل: (خسر) مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (إذا)، لا محل لها مثله.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خلق، وسخر، وانظر الآية رقم [٦١]. و﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾: المراد بها ما يؤكل من الحيوانات، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، فمنها ما يركب، ومنها ما يؤكل، فالإبل تركب، وتؤكل، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار، والترحال إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة. والبقر تؤكل، ويشرب لبنها، وتحرث عليها الأرض. والغنم تؤكل، ويشرب لبنها. والجميع تجز أصوافها، وأشعارها، وأوبارها، فيتخذ منها الأثاث، والثياب، والأمتعة. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧١] من سورة (يسٓ) وما بعدها، فالبحث هناك ضافٍ كافٍ.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِتَرْكَبُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. (منها): متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال، التقدير: «جعل لكم الأنعام مسخرة للركوب». ﴿وَمِنْهَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تَأْكُلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، وهو في المعنى معطوف على قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ إذ المعنى جعل الأنعام للركوب، وللأكل منها. وخذ ما يلي:

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: لم قال: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا﴾ ولم يقل: لتأكلوا منها، ولتصلوا إلى منافع؟ أو: هلا قال: منها تركبون، ومنها تأكلون، وتبلغون عليها حاجة في صدوركم؟ قلت: في الركوب في الحج، والغزو، وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد إلى بلد؛ لإقامة دين، أو طلب علم، وهذه أغراض دينية، إما واجبة، أو مندوب إليها، مما يتعلق به إرادة الحكيم، وأما الأكل، وإصابة المنافع؛ فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به إرادته. انتهى.

وقد رد على الزمخشري المعلق على الكشاف بقوله: والجواب الصحيح: أن المقصود المهم من الأنعام، والمنفعة المشهورة فيها إنما هي الركوب، وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الأسفار، والانتقال في ابتغاء الأوطار، فلذلك ذكرهما هنا مقرونين باللام، الدالة على التعليل والغرض، وأما الأكل، وبقية المنافع، كالأصواف، والأوبار، والألبان، وما يجري مجراها؛ فهي؛ وإن كانت حاصلة منها؛ فغير خاصة بها خصوص الركوب، والحمل، وتوابع ذلك، بل

الأكل بالغنم خصوصاً الضأن أشهر، فلذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم، فلذلك جردت هذه المنافع بالإخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصود. انتهى.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي: في الأنعام منافع، وهو ما ذكر من الأصواف، والأشعار، والألبان، والنسل، وغير ذلك. ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي: ما ذكر من حمل الأثقال، والتنقل في الأسفار. هذا؛ و﴿حَاجَةً﴾ هي ما يحتاج إليه. وتجمع على: حاج، وحِوج (بوزن عنب) وحوائج على غير قياس، وحاجات، قال الشاعر: [الطويل]

أَرَى الدَّهْرَ إِلَّا مَنْجَنُوناً بِأَهْلِهِ ... ومَا صَاحِبُ الْحَاجَاتِ إِلَّا مُعَذَّبَا

وهذا هو الشاهد رقم [١١٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» و«المنجنون» الدولاب الذي يستقى عليه. و: «الدهر»: الزمان. ﴿وَعَلَيْهَا﴾: على الأنعام. ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾: الحمل على الأنعام في البر، والحمل على الفلك في البحر، وإنما قال (على الفلك) ولم يقل: في الفلك؛ للمزاوجة؛ أي: للمشاكلة، وتغيير النظم في الأكل؛ لأنه في حيز الضرورة. وقيل: لأنه يقصد به التعيش، والتلّذذ. والركوب، والمسافرة عليها قد يكونان لأغراض دينية واجبة ومندوبة، أو للفرق بين العين والمنفعة. انتهى. بيضاوي. وقال الجمل نقلاً من أبي السعود: فالجواب: أن كلمة (على) للاستعلاء، والشيء الذي يوضع على الفلك، كما يصح أن يقال: وضع فيه؛ صح أن يقال: وضع عليه. ولما صح الوجهان، كانت لفظة: (على) أولى، حتى تتم المزاوجة في قوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، أو هما متعلقان بـ: ﴿مَنَٰفِعُ﴾ بعدهما. ﴿مَنَٰفِعُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها في المعنى؛ إذ المعنى: ولتنتفعوا بها. ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟﴾: معطوف على ﴿لِتَرْكَبُوا۟﴾ وهو مثله في الإعراب، والتأويل، والتقدير. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿حَاجَةً﴾: مفعول به. ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿حَاجَةً﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. (عليها): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿تُحْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، وهو في المعنى معطوف على ما قبله؛ إذ المعنى: ولتبلغوا عليها... ولتحملوا عليها وعلى الفلك.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دلائله الدالة على كمال قدرته، وفرط رحمته، والمراد: ما ذكر في الأرض، والسماء، وفي الأنفس من دلائل قدرته. ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ أي: فأي آية من تلك الآيات تنكرون؟ فإنها لظهورها، ووضوح أمرها لا تقبل الإنكار. هذا؛ وقال الجلال: وتذكير (أي): أشهر من تأنيثه. انتهى. فلذلك لم يقل: فأية آيات الله؟ لأن التفرقة بين المذكر، والمؤنث في الأسماء الجامدة نحو: حمار، وحمارة غريب، وهي في: (أي) أغرب لإبهامها. انتهى. نقلاً من أبي السعود. هذا؛ وقد ورد تأنيثها كثيراً، ومنه قول الكميت وهو الشاهد رقم [١] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

بـأيِّ كـتـابٍ، أمْ بـأيَّـةِ سُـنـةٍ ... تَـرَى حُـبَّـهُـمْ عَـاراً عـلـيَّ وتـحـسِـبُ

الإعراب: ﴿وَيُرِيكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (يريكم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، تقديره: «هو»، والكاف مفعول به أول، والفعل معطوف على ما قبله في المعنى؛ إذ المعنى: وليريكم. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَىَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أيَّ): مفعول به مقدم، و(أيَّ): مضاف، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف إليه، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿تُنكِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: لا أرى حاجة ماسة للمزيد من الكلام على هذه الآية بأكثر مما ذكرته في الآية رقم [٢١] من هذه السورة. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: فلم ينفعهم ما جمعوه من الأموال، وما شيدوه من الدور، والقصور، والقلاع، والحصون شيئاً، ولا دفع عنهم العذاب فتيلاً.

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على مقدر. أي: أعجزوا فلم... إلخ، (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسِيرُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم على اعتبار الفاء عاطفة، أو هو منصوب على اعتبارها

للسببية، و«أن» مضمرة بعدها، وعلامة جزمه، أو نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى اعتبار الفعل منصوباً يؤول مع «أن» المضمرة الناصبة له بمصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، ويكون التقدير: فهلّا حصل منهم سير في الأرض، فنظر في عاقبة الذين من قبلهم؟! هذا؛ ومثل هذه الآية في جواز اعتبار الفعل مجزوماً، أو منصوباً بعد الفاء قول زهير بن أبي سلمى المزني، وهو الشاهد رقم (١٦٧) من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وَمَـنْ لا يـقـدِّمْ رجـلَـهُ مـطْـمَـئِـنَّـةً فـيُـثْـبِـتَـهَـا فـي مُـسْـتَـوى ٱلأَرْضِ يَـزْلَـقِ

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة؛ فالمعنى لا يأباه، ويكون ﴿عَٰقِبَةُ﴾ فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من: ﴿عَٰقِبَةُ﴾، والعامل ﴿كَانَ﴾ وهي بمعنى: حدث، وعلى الاعتبارين فالجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعول الفعل قبلها.

﴿كَانُوٓاْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَكْثَرَ﴾: خبر (كان). ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَكْثَرَ﴾، وجملة: ﴿كَانُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَشَدَّ﴾: معطوف على: ﴿أَكْثَرَ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز. (آثاراً): معطوف على ﴿قُوَّةً﴾ أو هو على تقدير: أكثر آثاراً، والمعنى: يؤيده. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آثاراً). ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَغْنَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿عَنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين: مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ما أغنى عنهم الذي، أو: شيء كانوا يكسبونه. وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ما أغنى عنهم كسبهم. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَّا﴾ استفهامية في محل نصب مفعول به مقدم، التقدير: أي شيء أغنى... إلخ؟ ﴿كَانُوٓاْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَكْسِبُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان).

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الواضحات، والحجج الدامغات. ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: يريد الله علمهم بأمور الدنيا، ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى

في سورة (الروم) رقم [٧]: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات، وهي أبعد شيء من علمهم، لبعثها على رفض الدنيا، والظلف عن الملاذ، والشهوات؛ لم يلتفتوا إليها، وصغروها، واستهزؤوا بها، واعتقدوا: أنه لا علم أنفع، وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به. أو علم الفلاسفة، والدهريين، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله؛ دفعوه، وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط: أنه سمع بموسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقيل له: لو هاجرت إليه، فقال: نحن قوم مهذبون، فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا. أو المراد: فرحوا بما عند الرسل من العلم، فَرَحَ ضحكٍ منه، واستهزاء به، كأنه قال: استهزؤوا بالبينات، وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين، ويدل عليه قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. أو الفرح للرسل؛ أي: الرسل لما رأوا جهلهم، واستهزائهم بالحق، وعلموا سوء عاقبتهم، وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم، وشكروا الله عليه، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم، واستهزائهم. انتهى. نسفي. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٥] الآتية.

هذا؛ وفي الآية الكريمة فن التهكم، وهو في اصطلاح البيانيين: الاستهزاء، والسخرية من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موضع الوعيد، والعلم في موضع الجهل، تهاوناً من القائل بالمقول له، واستهزاءً به، قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية رقم [٦٦] من سورة (النمل)، وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون: لا نبعث، ولا نعذب، وفي قوله تعالى حكايةً عن قول الكافر المنكر للحساب، والجزاء، والبعث رقم [٥٠] من سورة (فصلت): ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ رقم [٣٦] من سورة (الكهف). وكانوا يفرحون بذلك، ويدفعون به البينات، وعلم الأنبياء، وهذا صريح قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ رقم [٥٣] من سورة (المؤمنون)، وما أحسن قول الحماسي: [الوافر]

أَتَانِي مِنْ أَبِي أَنَسٍ وعِيدُ ... فَثَلَّ تَغَيُّظُ الضَّحَاكِ جِسْمِي

ثل: أهلك، والتغيظ: الغيظ، والحنق، والغضب، وكنى عن أبي أنس بالضحاك، الذي كان ملكاً قصداً للسخرية، والاستهزاء به.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رُسُلُهُم﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة

(لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿فَرِحُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (لمَّا)، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿عِندَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الظرف، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو معطوف على ما قبله. (حاق): فعل ماض ﴿بِهِم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: وحاق بهم استهزاؤهم، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان).

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ﴾ أي: أبصر، ورأى الأقوام الذين كذبوا الرسل. ﴿بَأْسَنَا﴾ أي: العذاب الشديد، وعاينوا أهواله، ومقدماته، كالذي حصل من قوم صالح، وهود، والذي حصل من فرعون عند معاينة الغرق. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾: لا شريك له. ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾: مع الله، والمراد: كفرهم بالأصنام التي عبدوها طوال حياتهم؛ حيث تبين: أنها لم تنفعهم شيئاً. ولم تغن عنهم من الله شيئاً. هذا؛ وإعلال: ﴿رَأَوْاْ﴾ مثل إعلال (نادوا) من سورة (صٓ) رقم [٣].

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿رَأَوْاْ﴾: ماض مبني على الفتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿بَأْسَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، وقل في الجملة الفعلية ما رأيته في الآية السابقة قبلها. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَحْدَهُۥ﴾: حال من لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة، وساغ ذلك لتأويله بـ: «منفرداً»، وجملة: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو معطوف على ما قبله. (كفرنا): فعل، وفاعل. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل جر. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على

السكون، و(نا): اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُشْرِكِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا بِهِۦ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَفَرْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمْ يَكُ...﴾ إلخ: أي: فلم يكن ينفعهم الإيمان حين شاهدوا العذاب، أو شاهدوا مقدماته، وأهواله. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ أي: إن سنة الله قد جرت في الأمم الخالية بعدم قبول الإيمان عند معاينة العذاب. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الكافرون خاسرون في كل وقت، ولكن خسارتهم أكبر، وندامتهم أعظم، وخيبتهم أشد عند معاينة العذاب. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٨]. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٦٢]: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وقال في سورة (الإسراء) رقم [٧٧]: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾. هذا؛ والبأس: العذاب الشديد. والبأس: شدة الحرب. قال تعالى في حق المنافقين في سورة (الأحزاب) رقم [١٨]: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ومؤنثه: البأساء. وتفسر بالجوع، والفقر. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٧٧]: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ﴾. هذا؛ والبؤس (بضم الباء) المكروه، والضيق، ومؤنثه البؤسى. هذا؛ وضد البأساء: النعماء، وضد البؤسى: النعمى، وضد البأس: الخير بأنواعه. و﴿خَلَتْ﴾: أصله: خلا، فلما اتصلت به تاء التأنيث، صار خلَاتْ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. وانظر شرح (السنة) في الآية رقم [٦٢]: من سورة (الأحزاب).

تنبيه: وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات: أن ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ نتيجة قوله: (كانوا أكثر منهم)، و﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ كالبيان، والتفسير لقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ كقولك: رزق زيد المال، فمنع المعروف، فلما يحسن إلى الفقراء. ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ تابع لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ كأنه قال: فكفروا ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ آمنوا. وكذلك ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ﴾ تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله. والله أعلم. انتهى. نسفي.

وقال الجمل نقلاً من أبي السعود: الأولى لبيان عاقبة كثرتهم، وشدة قوتهم؛ أي: إن عاقبتها خلاف وضد ما كانوا يؤملونه منها، وهو نفعها، فلم يترتب عليها، بل ترتب عدمه، كقولك: وعظته، فلم يتعظ. والثانية تفسيرُ وتفصيلُ ما أجمل وأبهم من عدم الإغناء. والثالثة لمجرد التعقيب، وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها، واقعاً عقيبه؛ لأن مضمون قوله: ﴿فَلَمَّا

﴿جَآءَتۡهُمۡ...﴾ إلخ: أنهم كفروا، فكأنه قيل: فكفروا، ثم لما رأوا بأسنا؛ آمنوا. والرابعة للعطف على «آمنوا» كأنه قيل: فآمنوا، فلم ينفعهم؛ لأن النافع هو الإيمان الاختياري. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَمۡ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو الفاءات كلها للعطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكُ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة، كما رأيت في الآية رقم [٢٨]. ﴿يَنفَعُهُمۡ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به. ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾: يجوز أن يكون اسماً لـ: (كان)، وفاعل ﴿يَنفَعُهُمۡ﴾ ضمير مستتر يعود إليه، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿يَكُ﴾ تقدم عليه. ويجوز أن يرتفع بأنه فاعل ﴿يَنفَعُهُمۡ﴾ وفي (كان) ضمير الشأن، وأنه لا يكون من باب التنازع. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. أقول: ما المانع من اعتباره من باب التنازع؟ كما رأيت في الآية رقم [٢٢]؟ هذا؛ وقد أحال الجمل على قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ﴾، رقم [١٣٧] من سورة (الأعراف)، والذي ذكره في هذه الآية أربعة أوجه:

أحدها: ما ذكرته من التنازع. الثاني: أن اسم (كان) ضمير عائد على (ما) الموصولة، و(يصنع) مسند لفرعون، والجملة خبر (كان) والعائد محذوف، التقدير: ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون. الثالث: أن تكون (كان) زائدة، و(ما) مصدرية. والتقدير: ما يصنع فرعون؛ أي: صنعه. قال الجمل: وينبغي أن يجيء هذا الوجه أيضاً وإن كانت (ما) موصولة اسمية على أن العائد محذوف، تقديره: ودمرنا الذي يصنعه فرعون. الرابع: أن (ما) مصدرية أيضاً، و(كان) ليست زائدة، بل ناقصة، واسمها ضمير الشأن والأمر، والجملة من قوله: ﴿يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ﴾ خبر (كان)، فهي مفسرة للضمير. انتهى. جمل هناك.

هذا؛ وأرى: أن الآية هنا وفي رقم [٢٢] لا تشاكلان آية (الأعراف) ألبتة؛ لأنها ذكر فيها (ما) قبل الفعل، وهي موصولة، أو مصدرية، كما هو ظاهر، ولم تذكر في الآيتين في هذه السورة وهذا بونٌ جدير بالاعتبار للتفريق بين ما هنا، وهناك. هذا؛ والهاء مع الفعل في محل نصب مفعول به، ومع الاسم في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَلَمۡ يَكُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: (ينفع). ﴿رَأَوۡاْ﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بَأۡسَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها.

﴿سُنَّتَ﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف؛ أي: سن الله ذلك سنة، و﴿سُنَّتَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في

محل نصب صفة ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة. ﴿ٱلَّتِي﴾ هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّتِي﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِي عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والكلام: ﴿سُنَّتَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل له. ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ في الآية رقم [٧٨] وهي هنا مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من ﴿عِبَادِهِۦ﴾ والرابط: الواو فقط. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (غافر) بحمد الله وتوفيقه

تفسيراً وإعراباً.

سورة فصلت

سورة (فصلت) أو سورة: (حم السجدة)، والأول أولى؛ لتتميَّز عن السورة المسماة بـ: (السجدة) فقط، كما تسمى سورة (المصابيح) وهي مكية في قول الجميع، وهي أربع وخمسون آية، وسبعمئة وست وتسعون كلمة، وثلاثة آلاف، وثلاثمئة وخمسون حرفاً، وانظر الكلام على الحواميم في أول سورة (غافر)، ففيه الكفاية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾

الشرح: ﴿حمٓ﴾: انظر شرحه في أول سورة (غافر). وانظر شرح ﴿تَنزِيلٌ﴾ في الزمر رقم [١]. ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: إنما خُصَّ هذان الوصفان بالذكر؛ لأن الخلق في هذا العالم كالمرضى المحتاجين للدواء، والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، وعلى ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية، فكان أعظم النفع من الله على هذا العالم إنزال القرآن الناشئ عن رحمته، واللطف بخلقه. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب.

أقول: وإطلاق لفظ الوصف على الاسمين الكريمين ليس مسلماً؛ لأنهما من الأسماء الحسنى بلا ريب، وهما في حقه سبحانه وتعالى بمعنى: المحسن، أو مريد الإحسان، لكن الأول بمعنى: المحسن بجلائل النعم، والثاني: بمعنى: المحسن بدقائق النعم، وإنما جمع بينهما هنا وفي البسملة، إشارة إلى أنه ينبغي أن يطلب منه النعم الحقيرة، كما ينبغي أن يطلب منه النعم الجليلة، وقد يوصف بالرحيم: المخلوقون، وأما الرحمن؛ فلا يسمى به إلا الله تعالى، ومن أطلقه على مسيلمة الكذاب فقد تعنت حيث قال فيه: [البسيط]

وأنْتَ غَيْثُ الورى لَا زِلْتَ رَحْمَانا

الإعراب: ﴿حمٓ﴾: انظر ما ذكرته من أوجه إعرابه في الآية رقم [١] من سورة (غافر). ﴿تَنزِيلٌ﴾: مبتدأ. وخبره ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ...﴾ إلخ، وهذا عند البصريين، وساغ الابتداء به لوصفه بما بعده. وقال الفراء: يجوز أن يكون رفعه على إضمار: هذا؛ أي: إنه خبر لمبتدأ محذوف. وقيل: هو مبتدأ آخر، و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره، وسوغ الابتداء به، وهو نكرة وصفه بما بعده، أو هو

خبر عن ﴿حمٓ﴾؛ لأنه يراد به السورة وبعض القرآن، و﴿تَنزِيلٌ﴾ بمعنى: منزل. ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ متعلقان بـ: ﴿تَنزِيلٌ﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: بدل مما قبله.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿كِتَٰبٌ﴾: المراد به: القرآن العظيم، وانظر شرحه في أول سورة (الزمر). ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بينت، وفسرت. وقال البيضاوي: ميزت باعتبار اللفظ، والمعنى، وفي الخطيب: فصلت آياته؛ أي: ميزت، وجعلت تفاصيل في معانٍ مختلفة، فبعضها وصف ذات الله تعالى، وصفات التنزيه، والتقديس، وشرح كمال قدرته، وعلمه، وحكمته، ورحمته، وعجائب أحوال خلقه من السموات، والكواكب، وتعاقب الليل، والنهار، وعجائب أحوال النبات، والحيوان، والإنسان. وبعضها في المواعظ، والنصائح، وبعضها في تهذيب الأخلاق، ورياضة النفس، وبعضها في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتواريخ الماضين، وبالجملة فمن أنصف؛ عَلِم: أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن. انتهى. جمل.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: اختلف هل يمكن أن يقال: في القرآن شيء بغير العربية، فأنكر أبو عبيدة على من يقول ذلك أشد النكير، وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: أن فيه من غير العربية، مثل: (سِجِّيل، والمِشْكاة، واليمِّ، وإسْتَبْرق)، ونحو ذلك. وهذا هو الصحيح المختار؛ لأن هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلسان العرب، وكلا القولين صواب، إن شاء الله تعالى. وجه الجمع بينهما: أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب، ودارت على ألسنتهم بسهولة؛ صارت عربية فصيحة، وإن كانت غير عربية في الأصل، وانظر شرح القرآن في سورة (الزمر) رقم [٢٧]. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن القرآن منزل من عند الله، أو يعلمون: أن الله إله واحد في التوراة، والإنجيل، أو يعلمون العربية، فيعجزون عن مثله، ولو كان غير عربي؛ لما علموه. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿كِتَٰبٌ﴾: بدل من: ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو خبر بعد خبر، أو خبر عن ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا كتاب. ﴿فُصِّلَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾: نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿قُرْءَانًا﴾: حال من: ﴿كِتَٰبٌ﴾ وساغ ذلك لوصفه بالجملة الفعلية، أوحال من: ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾، وهي حال إما مقصودة و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة لها، أو حال منها، أو حال أخرى من: ﴿كِتَٰبٌ﴾ أو هو حال موطئة، و﴿عَرَبِيًّا﴾ هي الحال المقصودة. انتهى. جمل. وقال القرطبي: في نصبه وجوه. قال الأخفش: هو نصب على المدح. وقيل: هو على إضمار فعل؛ أي: اذكر قرآناً عربياً. وقيل: على إعادة الفعل؛ أي: فصلنا قرآناً عربياً. وقيل: على حال؛ أي: فُصِّلت آياته في حال كونه قرآناً عربياً. انتهى. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فُصِّلَتْ﴾، أو

ب: ﴿تَنزِيلٌ﴾. وقال الزمخشري: والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده. انتهى. وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في محل جر صفة: لـ: (قوم)، وانظر تقدير المفعول في الشرح.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمنين العاملين بطاعة الله. ﴿وَنَذِيرًا﴾: للكافرين، والفاسقين المخالفين لأوامر الله، المنتهكين حرماته. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أعرض أكثر قريش عن تدبر القرآن، وقبوله. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع تأمل وطاعة، وسماع قبول، وانتفاع. هذا؛ والفعل: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا. وهذا اختيار الفارسي. واختار ابن مالك، ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال؛ إن كان المتقدم معرفة، وصفة إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا. هذا؛ ولا تنس الطباق بين ﴿بَشِيرًا﴾ و(نذيراً).

الإعراب: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: حالان من ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾. وقيل: من ﴿كِتَٰبٌ﴾. وقيل: من الضمير المنوي في ﴿قُرْءَانًا﴾ والعامل فيه: ﴿فُصِّلَتْ﴾. وقيل: هما نعتان لـ: ﴿قُرْءَانًا﴾. هذا؛ وقرأ زيد بن علي برفعهما على النعت لـ: ﴿كِتَٰبٌ﴾، أو على أنه خبر ابتداء مضمر؛ أي: هو بشير، ونذير، وهي قراءة شاذة بلا ريب. ﴿فَأَعْرَضَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أعرض): فعل ماض. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والمتعلق محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فُصِّلَتْ...﴾ إلخ. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، ومتسببة عنها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأكرم.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كفار قريش. ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: ﴿أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان وهو الغطاء، وهو الوعاء الجامع المحيط بالشيء، وهو غير الكن (بكسر الكاف) فإنه يجمع على: أكنان، كما في قوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٨١]: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾. والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ يعود إلى التوحيد المفهوم من المقام. وقال الجمل: قالوا ذلك عند دعوته إياهم إلى القرآن، والعمل بما فيه. انتهى. فيكون الضمير قد عاد إلى مذكور.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾ أي: صمم، وأصله: الثقل، وقرئ بكسر الواو. هذا؛ وفي سورة (الأنعام) رقم [٢٥] وأيضاً في سورة (الإسراء) رقم [٤٦] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾. وفي سورة (الكهف) رقم [٥٧]: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾.

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾: مانع يمنع من قبول ما تدعونا إليه، وهذا المانع هو الخلاف في الدين. وقيل: إن أبا جهل ـ لعنه الله ـ غطى رأسه بثوب، وقال: يا محمد! بيننا وبينك حجاب. استهزاءً منه بالنبي ﷺ، و(مِنْ) للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم، ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة بين الفريقين، ولم يبق فراغ. والمقصود المبالغة بالتباين المفرط، فلذلك جيء بـ: (مِنْ) وهذا كله تمثيل لنبو قلوبهم عن تقبل الحق، واعتقاده، كأنها في غلف، وأغطية، تمنع من نفوذه فيها، ومج أسماعهم له، كأن بها صمماً عنه، ولتباعد المذهبين، والدينين، كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله ﷺ، وما هو عليه حجاباً ساتراً، وحاجزاً منيعاً من جبل، ونحوه، فلا تلاقي، ولا ترائي. هذا؛ وفي كل ذلك استعارة تصريحية، ليس هناك على الحقيقة شيء مما قالوه، وإنما أخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استثقالهم ما يسمعونه من قوارع القرآن، وجوامع البيان، فكأنهم من شدة الكراهية له قد صُمَّتْ أسماعهم عن فهمه، وقلوبهم عن علمه.

﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ أي: على طريقتك، واستمر على دينك. ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾: ثابتون على طريقتنا مستمرون على ديننا. وقيل: المعنى: اعمل في هلاكنا، فإنا عاملون في هلاكك. وقيل: المعنى: فاعمل في إبطال أمرنا، فإننا عاملون في إبطال أمرك. وهو تهديد منهم للنبي ﷺ. وانظر تهديد الله، ووعيده لهم في الآية رقم [٣٩] من سورة (الزمر) وما يشار إليه فيها.

الإعراب: ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿قُلُوبُنَا﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَكِنَّةٖ﴾ حملاً على المعنى؛ لأن معنى ﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ محجوبة عن سماع ما تدعونا إليه، ولا يجوز أن يكون نعتاً لـ: ﴿أَكِنَّةٖ﴾ فإن الأكنة الأغشية، وليست الأغشية مما تدعونا إليه. انتهى. أبو البقاء. وفي زاده: في الكلام حذف. تقديره: قلوبنا في أكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه. فحذف المضاف. انتهى. جمل. ﴿تَدۡعُونَآ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعوله. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور بـ: (إلى)، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (أَعْرَضَ...) إلخ.

﴿وَفِيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (في آذاننا): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿وَقۡرٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. (من بيننا): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيۡنِكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿حِجَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (اعمل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومتعلقه محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا» التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فاعمل . . . إلخ. ﴿إِنَّنَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها ﴿عَٰمِلُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو . . . إلخ، والجملة الاسمية، تعليل للأمر، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾

الشرح أي: قل يا محمد لأولئك المشركين: لَستُ إلا بشراً مثلكم خصني الله بالرسالة، والوحي، وأنا داع لكم إلى توحيد خالقكم، وموجدكم؛ الذي قامت الأدلة العقلية والشرعية على وحدانيته، ووجوده، فلا داعي إلى تكذيبي. هذا؛ وفي النسفي تبعاً للزمخشري: هذا جواب لقولهم: قلوبنا في أكنة، ووجهه: أنه قال لهم: إني لست بملك، وإنما أنا بشر مثلكم، وقد أوحي إلي دونكم، فصحت نبوتي بالوحي إليَّ، وأنا بشر، وإذا صحت نبوتي؛ وجب عليكم اتباعي. وفيما يوحى إليَّ: أن إلهكم إله واحد. وهذا الكلام مذكور بحروفه في آخر سورة (الكهف).

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ أي: توجهوا إلى الله بالتوحيد، وإخلاص العبادة، غير ذاهبين يميناً، ولا شمالاً، ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء، والشفعاء، واطلبوا حوائجكم منه وحده، وتوجهوا بالدعاء له، وانظر الاستقامة في الآية رقم [٣٠] الآتية. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ أي: من ذنوبكم، وشرككم. ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾: من فرط جهالتهم، واستخفافهم بالله؛ حيث اتخذوا له نداً من الحجارة، ونحوها.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَشَرٞ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾: صفة ﴿بَشَرٞ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وهذه الإضافة لم تفده تعريفاً، فلذا نعتت النكرة به. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَٰهٞ﴾: خبره. ﴿وَٰحِدٞ﴾: صفة له. هذا؛ والمصدر المؤول من: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ...﴾ إلخ في محل رفع نائب فاعل

﴿يُوحَىٰٓ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿بَشَرٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (استقيموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم على مثال ما رأيت في الآية السابقة. (استغفروه): أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿وَوَيْلٌ﴾: الواو: حرف استئناف. (ويل): مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأنه بمعنى: الدعاء. ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: لا يفعلون الخير، ولا يتصدقون، ولا ينفقون في طاعة الله، ولا يعطون الزكاة لمستحقيها، ولا يقرون بوجوبها. قال القرطبي: قرعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء. وفيه دلالة على أن الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه. انتهى. وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة. ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: كفروا بالبعث، والنشور، وكذبوا بالحساب، والجزاء. قال الصاوي: وإنما خص منع الزكاة، وقرنه بالكفر بالآخرة؛ لأن المال شقيق الروح، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله، كان دليلاً على قوته، وثباته في الدين، واستقامته، وصدق نيته، ألا ترى إلى قوله عز وجل في سورة (البقرة) رقم [٢٦٥]: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يثبتون أنفسهم على الإيمان، ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا، فقويت عصبيتهم، ولانت شكيمتهم، وأهل الردة بعد رسول الله ﷺ ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة، فنصبت لهم الحروب، وجوهدوا من قِبَل الصديق ـ رضي الله عنه ـ وفي هذه الأيام يبيع المسلم دينه، وشرفه، وكرامته في سبيل جمع المال من أي طريق كان! وفي الآية بعث للمؤمنين على أداء الزكاة، وتخويف شديد من منعها؛ حيث جعل المنع من أوصاف المشركين، وقرن بالكفر بالآخرة. وهذه الآية هي التي احتج بها الصديق على الفاروق ـ رضي الله عنهما ـ حينما اعترض عليه في عزمه على محاربة مانعي الزكاة مع المرتدين، وسوّاهم فيهم.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى رجل من تميم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني ذو مال كثير، وذو أهل، وحاضرة، فأخبرني كيف أصنع؟ وكيف أنفق؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**تخرجُ زكاةَ مالِكَ، فإنها طهرةٌ تطهِّرُكَ، وتَصِلُ أقرباءك، وتعْرِفُ حقَّ المسكينِ، والجارِ، والسائلِ**».

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بدلاً من المشركين، أو في محل نصب على الذم بفعل محذوف، تقديره: أذم الذين، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْتُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَهُم﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل لا محل له، أفاد التوكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ واعتبار الضمير الثاني مبتدأ ثانياً ضعيف جداً جداً، ولا يؤيده المعنى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله حال الكفار، وما أعد لهم من المقت، والنكال؛ أردفه بذكر حال المؤمنين الصادقين، وما أعد لهم من الخير العميم، والفضل الكبير، وهذا من باب المقابلة؛ التي ذكرتها لك في الآية رقم [٥٥] من سورة (يسٓ). هذا؛ وعطف العمل الصالح على الإيمان يسمى: احتراساً، انظر سورة (غافر) [٤٠].

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: غير مقطوع، مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته. ومنه قول ذي الإصبع العدواني: [البسيط]

إنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ ... على الصديقِ، ولا زادي بممنونِ

وعنه أيضاً، ومقاتل: غير منقوص. ومنه: المنون؛ أي: الموت؛ لأنها تنقص منة الإنسان؛ أي: قوته وعمره، وقاله قطرب، وأنشد قول زهير من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان: [البسيط]

فَضْلَ الْجِيادِ على الخيلِ البطاءِ فلا ... يُعْطي بذلكَ مَمْنُوناً، وَلَا نَزِقا

وقال مجاهد: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير محسوب. وقيل: غير ممنون عليهم به؛ أي: ممتن به عليهم. قال السدي: نزلت الآية في الزمنى، والمرضى، والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة؛ كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه، وخذ في تأييد ذلك ما يلي:

فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مَرِضَ العبدُ، أوْ سافر؛ كُتِبَ لهُ مِثْلُ ما كانَ يعملُ مقيماً صحيحاً**». رواه البخاري وأبو داود، وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ العبدَ إذا كانَ عَلَى طريقةٍ حَسَنةٍ من العبادةِ، ثم مَرِضَ؛ قيلَ للملكِ الموكَّلِ بِهِ: اكتبْ لَهُ مِثلَ عَمَلِهِ؛ إذا كانَ طليقاً، حتى أُطْلِقَهُ، أو أَكْفِتَهُ إليَّ**». رواه الإمام أحمد.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها. وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وعند التأمل يتبين لك: أن ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ صفة لموصوف محذوف، التقدير: عملوا الأعمال الصالحات. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَيْرُ﴾: صفة له. و﴿غَيْرُ﴾ مضاف. و﴿مَمْنُونٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو مبتدأة لا محل لها.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: في مقدار يومين، أو بنَوْبَتين، وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون. ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شركاء في العبادة، فكيف يجوز جعل هذه الحجارة الحقيرة أنداداً له مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في مقدار يومين؟! ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي خلق الأرض في يومين. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: هو رب العالمين، خالقهم، ورازقهم، وهو المستحق للعبادة، لا الأصنام المنحوتة من الخشب، والحجر، وغير ذلك.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تكفرون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿بِٱلَّذِى﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الذي) وهو العائد، والجملة صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والجملة الاسمية: ﴿أَئِنَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. (تجعلون): فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿لَهُۥٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَندَادًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَتَكْفُرُونَ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿رَبُّ﴾: خبر المبتدأ، و(رب) مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين

في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثوابت، وفي غيرها من الآيات: ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ و﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾. ﴿مِن فَوۡقِهَا﴾: مرتفعة عليها، ليظهر للنظار ما فيها من وجوب الاستبصار، وتكون منافعها معرضة للطلاب. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿مِن فَوۡقِهَا﴾؟ أجيب بأنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لتوهم: أنها التي أمسكتها عن النزول، ولكنه تعالى جعل هذه الجبال الثقال فوقها ليرى الإنسان بعينه: أن الأرض، والجبال الثقال مفتقرة إلى ممسك، وحافظ، وما هو إلا الله الفاعل القادر، المختار.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها، وهو ما خلق فيها من البحار، والأنهار، والأشجار، والثمار، والزروع، وخلق جميع أصناف الحيوانات، وكل ما يحتاج إليه.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾: قال محمد بن كعب القرظي: قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق، والأبدان؛ أي: أقواتاً تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من الأقطار، فأضاف القوت إلى الأرض، لكونه متولداً من تلك الأرض حادثاً فيها، وذلك؛ لأن الله تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المطلوبة، حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في تلك البلدة، وبالعكس، فصار هذا المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات، واكتساب الأموال، لتنتظم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض، فكان جميع ما تقدم من إبداعها، وإيداعها ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على مقدار لا يتعداه، ومنهاج بديع دبَّره في الأزل، وارتضاه، وقدره، فأمضاه، لا ينقص عن حاجة المحتاجين أصلاً، وإنما ينقص توصلهم، أو توصل بعضهم إليه، فلا يجد حينئذ ما يكفيه، وفي الأرض أضعاف كفايته. انتهى. نقلاً من الخطيب.

﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: في تمام أربعة أيام؛ أي: باليومين اللذين خلق فيهما الأرض، ولولا هذا التقدير لكانت الأيام ثمانية: يومان في الأول. وهو خلق الأرض في يومين، ويومان في الأخير، وهو قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ وأربعة في الوسط. ﴿سَوَآءٗ﴾ أي: استوت الأيام الأربعة استواء، لا تزيد، ولا تنقص. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: هذا الحصر في أربعة أيام تامة للسائلين عن مدة خلق الأرض، وما فيها. أو الجار والمجرور متعلقان بـ: (قَدَّرَ)؛ أي: قدر فيها الأقوات للطالبين لها.

تنبيه: فإن قيل: لم جعلت مدة خلق الأرض بما فيها ضِعْفَ خلق السموات مع كون السماء أكبر من الأرض، وأكثر مخلوقات، وعجائب؟ قلت: للتنبيه على أن الأرض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، ومن كثرة المنافع، فزادت مدتها ليكون ذلك أدخل في المنة على ساكنيها، والاعتناء بشأنهم، وشأنها، وأيضاً زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمتاعب، والمجاهدات، والمجادلات، والمعالجات. وقال أبو البقاء: لعل زيادة مدة الأرض على مدة السماء جرياً على ما يتعارف من أن بناء السقف أخف من بناء البيت. فإن قيل: الله تعالى قادر على خلق الكل في قدر لمحة البصر، فما الحكمة في تقدير هذه المدة؟ أجيب بأن هذا تعليم لعباده كيفية التأني في الأمور، وتدريباً لهم على السكينة، والبعد عن العجلة في الأمور. انتهى. جمل. وأنا أقول: الله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف استئناف. (جعل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله، تقديره: «هو». ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَوَاسِيَ﴾: مفعول به. وقيل: الجار، والمجرور: ﴿فِيهَا﴾ في محل المفعول الثاني تقدم على الأول، ولا وجه له. ﴿مِن فَوْقِهَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَوَاسِيَ﴾، وهو أولى من تعليقهما بالفعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، ولا يجوز عطفها على جملة: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ...﴾ إلخ للفاصل بأجنبي عن جملة الصلة، وهو جملة: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥ...﴾ إلخ، كلهم قالوا هذا، ويجاب عن هذا بأن اعتبار الجملة: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥ...﴾ إلخ معترضة بين الجملتين المتعاطفتين لا يمنع؛ لأن الاعتراض كثيراً ما يقع بين المتعاطفات، وهو معروف ومشهور، وجملة: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: معطوفة أيضاً على ما قبلها، وكذا جملة: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ﴾: متعلقان بالفعل: (قدر)، و﴿أَرْبَعَةِ﴾ مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه.

﴿سَوَآءً﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: استوت سواء؛ أي: استواء، والجملة هذه في محل جر صفة: ﴿أَيَّامٍ﴾، وقال أبو البقاء ـ رحمه الله تعالى ـ: في محل نصب حال من الضمير في ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾، وفي شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ﴿سَوَآءً﴾ حال من: ﴿أَرْبَعَةِ﴾، وساغ ذلك لتخصصه بإضافته لـ: ﴿أَيَّامٍ﴾، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَلَمْ يُنَكَّرْ غَالِباً ذو الحال إنْ ... لَمْ يَتَأَخَّرْ أَوْ يُخَصَّصْ أَوْ يَبِنْ

مِنْ بعدِ نَفْيٍ أو مضاهِيهِ كَلَا ... يبغ امرُؤ على امرئٍ مُسْتَسْهِلَا

هذا؛ وقرئ ﴿سَوَآءً﴾ بالجر على أنه صفة صريحة، كما قرئ بالرفع، على تقدير: «هي سواء». وتعود الجملة الاسمية إلى اعتبارها صفة: ﴿أَيَّامٍ﴾ وهما قراءتان شاذتان. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: متعلقان بالفعل (قدر)، أو هما متعلقان بـ: ﴿سَوَآءً﴾، أو بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا

الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض، وما فيها. والجملة الاسمية على هذا التقدير مستأنفة، لا محل لها. وقال مكي: ومن رفع ﴿سَوَآءٌ﴾ ف: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ الخبر، وليس بشيء يعتد به.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عَمَد إلى خلقها، وقصد لتسويتها، والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال، يدل عليه قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٩]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، أو هو من صفات الذات، من قولهم: استوى إلى مكان كذا؛ إذا توجه إليه توجهاً لا يلوي على غيره، ومعناه هنا، وفي سورة (البقرة) غير معناه في سورة (الرعد) رقم [٢] وفي سورة (السجدة) رقم [٤] وفي سورة (طه) رقم [٥]. انظر شرح هذه الآيات في محالها. ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾: ذلك الدخان كان بخار الماء. قيل: كان العرش قبل خلق السموات، والأرض على الماء، فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات، والأرض؛ أمر الريح، فضربت الماء، فارتفع منه بخار كالدخان، فخلق منه السماء، ثم أيبس الماء، فخلقه أرضاً واحدةً، ثم فتقها، فجعلها سبعاً، قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٣٠]: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾. هذا؛ والدخان: ما ارتفع من لهب النار، ويستعار لما يرى من بخار الأرض عند جدبها، وقياس جمعه في القلة: أَدْخِنة، وفي الكثرة: دِخْيان، مثل: غراب، وأغربة، وغِربان، وقوله تعالى: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ من باب التشبيه الصوري؛ لأن صورتها صورة الدخان في رأي العين. هذا؛ وما في هذه الآية يؤيد ما اكتشف في هذا العصر من أن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام، وأن المجموعات الفلكية خلقت من تكاثف الغاز، فالقرآن صور مصدر خلق هذا الكون بالدخان، وهو الشيء الذي يفهمه العرب من الأشياء الملموسة، أيكون في مقدور أميٍّ منذ أربعة عشر قرناً أن يدرك هذا في وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون، وخفاياه؟!

وكذلك قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٣٠]: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا...﴾ إلخ يؤيد العلم الحديث الذي قرر أن الكون كان شيئاً واحداً متصلاً من غاز، ثم انقسم إلى سدائم، وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات. وانظر ما ذكرته هناك في تفسير هذه الآيات عن ابن عباس وغيره، وصدق الله رب العالمين؛ إذ يقول: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ كل ذلك دليل قوي على أن القرآن وحي إلهي مصداقاً لقوله تعالى في سورة (النجم): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾.

قال الخازن: فإن قلت: هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء، وقوله تعالى في سورة (النازعات): ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ رقم [٣٠] مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق

السماء، فكيف الجمع بينهما؟ قلت: الجواب المشهور: أنه تعالى خلق الأرض أولاً، ثم خلق السماء بعدها، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض، ومدها. وجواب آخر: وهو أن يقال: إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض. فعلى هذا يكون معنى الآية: خلق الأرض في يومين، وليس الخلق عبارة عن الإيجاد، والتكوين فقط، بل هو عبارة عن التقدير أيضاً، فيكون المعنى: قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء، فعلى هذا يزول الإشكال. والله أعلم بالحقيقة. انتهى. هذا؛ وقال البيضاوي: والظاهر: أن ﴿ثُمَّ﴾ لتفاوت ما بين الخلقين، لا للتراخي في المدة، لقوله في سورة (النازعات) الآية رقم [٣٠]: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها. انتهى.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: بسبب ما خلقت فيكما من التأثير، والتأثر، وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة، والكائنات المتنوعة. أو المعنى: ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل، والوصف، ائتي يا أرض قراراً، ومهاداً لأهلك، وائتي يا سماء مقبيةً سقفاً لهم، ومعنى الإتيان: الحصول، والوقوع، كما تقول: أتى عمله مرضياً، وقوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ لبيان تأثير قدرته فيهما، وإن امتناعهما من تأثير قدرته محال، كما تقول لمن تحت يدك: لتفعلنَّ هذا؛ إن شئت، أو أبيت، ولتفعلنَّهُ طوعاً، أو كرهاً، ولم يقل: طائعتين على اللفظ، أو طائعات على المعنى؛ لأنهما سموات، وأرضون؛ لأنهن لما جعلن مخاطبات، ومجيبات، ووصفهن بالطوع، والكره؛ قيل: ﴿طَآئِعِينَ﴾ في موضع طائعات، كقوله تعالى: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ ولا تنس: الطباق بين ﴿طَوْعًا﴾ و﴿كَرْهًا﴾.

هذا؛ وفي قوله تعالى لهما وجهان: أحدهما: أنه قول تكلم به تعالى حقيقة. الثاني: أنها قدرة ظهرت منه لهما، فقامت مقام الكلام في بلوغ المراد. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ وجهان أيضاً: أحدهما: أنه ظهور الطاعة منهما؛ حيث انقادا، وأجابا، فقام مقام قولهما. وقال أكثر أهل العلم: بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد الله تعالى. هذا؛ وانظر عرض الأمانة على السموات، والأرض، والجبال، وردها في الآية رقم [٧٢] من سورة (الأحزاب).

هذا؛ وفي الكلام استعارة تمثيلية، ويجوز أن يكون من الاستعارة التخييلية بعد أن تكون الاستعارة في ذاتهما مكنية، كما تقول: نطقت الحال بدل: دلَّت، فيجعل الحال كالإنسان الذي يتكلم في الدلالة، والبرهان، ثم يتخيل له النطق الذي هو من لازم المشبه به، وينسب إليه. انتهى. جمل بتصرف.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (جعل فيها...) إلخ. ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَهِىَ﴾: والواو: واو الحال، والجملة الاسمية: (هي دخان) في

محل نصب حال من: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، والرابط: الواو، والضمير. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلِلۡأَرۡضِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿ٱئۡتِيَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿طَوۡعًا﴾: حال من ألف الاثنين. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿كَرۡهًا﴾: معطوف على ما قبله، فهما مصدران في موضع الحال، وجملة: ﴿فَقَالَ لَهَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿قَالَتَآ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، وحركت بالفتح لالتقائها ساكنة مع ألف الاثنين؛ التي هي الفاعل. ﴿أَتَيۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿طَآئِعِينَ﴾: حال من: (نا) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتَآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾

الشرح: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾: فخلقهن خلقاً إبداعياً، وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة. والضمير المنصوب يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه. ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾: غير الأيام الأربعة؛ التي خلق فيها الأرض، فوقع خلق السموات، والأرض، وما بينهما في ستة أيام، كما قال تعالى في سورة (السجدة) رقم [٤]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ أي: في ستة أوقات، أو في مقدار ستة أيام، فإن اليوم المتعارف عليه زمان طلوع الشمس إلى غروبها لم يكن حينئذ، وما نقله القرطبي عن مجاهد: «ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون» لا أراه قوياً. هذا؛ وفي خلق الأشياء مُدَرَّجاً مع القدرة على خلقها دفعة واحدة: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ دليل للاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأني في الأمور. هذا؛ وما ذكر من أن الله تعالى ابتدأ الخلق يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة عصراً، فخلق الأرض في يومين: الأحد، والاثنين، وقدَّر فيها أقواتها في يومين: الثلاثاء والأربعاء، والسموات في يومين: الخميس والجمعة، كل ذلك لم يثبت وإن أسنده القرطبي إلى عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ وقاتل الله اليهود، فإنهم يقولون: استراح ربنا يوم السبت. فلذا اختاروه للراحة، والعبادة.

﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾: قال قتادة والسدي: خلق فيها شمسها، وقمرها، ونجومها، وأفلاكها، وخلق في كل سماء خَلْقَها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار، وجبال البرد، والثلوج. وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقال: ولله في كل سماء بيت تحج إليه، وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة، والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور. وقيل: أوحى الله في كل سماء ما أراده، وما أمره به فيها. انتهى. قرطبي.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: بالكواكب تضيء في الليل، كأنها مصابيح كهربائية تتلألأ. ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحفظناها حفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] و [٧] من سورة (الصافات). ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي ذكر من صنعه، وخلقه. ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: القوي القاهر الغالب على أمره. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: البليغ في العلم، والعليم بمواقع الأمور. هذا؛ وفي الآية التفات من الغيبة إلى التكلم. انظر الالتفات في سورة (الصافات) رقم [١٣٧].

تنبيه: قال الشيخ أبو المنصور ـ رحمه الله تعالى ـ: القضاء يحتمل الحكم، كقوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي: ليحكم ما قد علم أنه يكون كائناً، أو ليتم أمراً كان قد أراده، وما أراد كونه، فهو مفعول لا محالة. انتهى. والماضي: قضى، والمصدر: قضاء بالمد؛ لأن لام الفعل ياء؛ إذ أصل ماضيه (قَضَيَ) بفتح الياء، فقلبت ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ومصدره: (قَضَياً) بالتحريك، كطلب طلباً، فتحركت الياء فيه أيضاً، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فاجتمع ألفان، فأبدلت الثانية همزة، فصار: قضاءً ممدوداً، وجمع القضاء: أقضية، كعطاء، وأعطية، وهو في الأصل: إحكام الشيء، وإمضاؤه، والفراغ منه، كما في قول الشاعر ـ وهو الشاهد (١٧٩) من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الرمل]

وَجْهُكَ البدرُ لا بَلِ الشمسُ لَوْ لَمْ يُقْضَ لِلشَّمْسِ كَسْفَةٌ أَوْ أُفُولُ

ويكون بمعنى: الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، وبمعنى: العلم، تقول: قضيت بكذا؛ أي: أعلمتك به. وبمعنى: الإتمام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وبمعنى: الفعل، قال تعالى حكاية عن قول السحرة لفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾، وبمعنى: الإرادة، وهو كثير، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. وبمعنى: الموت كقوله تعالى حكاية عن قول أهل النار: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾. وبمعنى: الكتابة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: مكتوباً في اللوح المحفوظ، وبمعنى: الفصل، قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وبمعنى: الخلق، كما في الآية التي نحن بصدد شرحها. وبمعنى: بلوغ المراد، والأرب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾. وبمعنى: وفاء الدين، تقول: قضى فلان ما عليه: إذا أوفى ذمته، وأبرأها مما عليه من ديون. انتهى. قسطلاني شرح البخاري بتصرف، وأضيف: أنه يكون بمعنى: أوحينا، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ...﴾ إلخ.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: فإذا كان القضاء يحتمل هذه المعاني، فلا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي بقضاء الله؛ لأنه إن أريد به الأمر، فلا خلاف: أنه لا يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى لم يأمر بها، فإنه لا يأمر بالفحشاء، وقال زكريا بن سلام: جاء رجل إلى الحسن البصري، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً، فقال: إنك قد عصيت ربك، وبانت منك. فقال الرجل:

قضى الله ذلك عليَّ. فقال الحسن، وكان فصيحاً: ما قضى الله ذلك؛ أي: ما أمر الله به، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

الإعراب: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾: الفاء: حرف عطف. (قضاهن): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿سَبْعَ﴾: مفعول به ثان على اعتبار قضاهن بمعنى: صيرهن، وهو قول الجلال، وحال على التفسير الذي رأيته. وقال الزمخشري: تمييز على اعتبار الضمير مبهماً مفسراً بـ: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ وقال مكي: بدل من الضمير المنصوب، والمعتمد الحالية، و﴿سَبْعَ﴾ مضاف، و﴿سَمَٰوَاتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَأَوْحَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله. ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿سَمَآءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَمْرَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَزَيَّنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لها مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي معطوفة على ما قبلها، على الالتفات من الغيبة إلى التكلم كما رأيت. ﴿وَحِفْظًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: وحفظناها حفظاً. وقيل: مفعول لأجله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿تَقْدِيرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بدل من: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ أي: كفار قريش عن الإيمان بالله بعد هذا البيان. ﴿فَقُلْ﴾: يا محمد: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً...﴾ إلخ أي: أخوفكم، وأحذركم عذاباً شديداً، وهلاكاً مستأصلاً لكم مثل العذاب؛ الذي وقع بعاد قوم هود، وثمود قوم صالح. والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع، وقد ذكرته لك مراراً، وتكراراً، وانظر الكلام على هاتين القبيلتين مفصلاً في سورة (الأعراف) و(هود) و(الشعراء).

تنبيه: قال محمد بن كعب القرظي ـ رضي الله عنه ـ: حدثت: أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً، قال يوماً، وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش! ألا أقوم إلى محمد، فأكلمه، وأعرض عليه أموراً، لعله يقبل منا بعضها،

فنعطيه، ويكف عنا ـ وذلك حين أسلم حمزة ـ رضي الله عنه ـ ورأوْا أصحاب النبي ﷺ يزيدون، ويكثرون ـ قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه، وكلمه. فقام عتبة؛ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا بن أخي! إنك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة، والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فاستمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها.

فقال ﷺ: «**قل يا أبا الوليد!**». فقال: يا بن أخي! إن كنت تريد بما جئت به مالاً؛ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً؛ سودناك علينا، وإن كان الذي بك رئياً تراه، لا تستطيع رده؛ طلبنا لك الطب، أو لعل هذا شعر جاش به صدرك، فنعذرك، فإنكم يا بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد، حتى إذا فرغ؛ قال له رسول الله ﷺ: «**أقد فرغت يا أبا الوليد؟!**». قال نعم، قال: «**فاستمع مني**». قال: فافعل، فقال: **بسم الله الرحمن الرحيم**: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثم مضى فيها يقرأ، فلما سمعها عتبة؛ أنصت، وألقى يده خلف ظهره، معتمداً عليها، يستمع منه؛ حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة، فسجد، ثم قال: أسمعت يا أبا الوليد؟! فأنت وذاك.

وفي رواية البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: قرأ رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ...﴾ إلخ فأمسك عتبة على في النبي ﷺ، وناشده الرحم أن يكف. . .إلخ ما جاء فيها، ولم يرجع إليهم، وذهب إلى أهله. . .إلخ. وفي هذه الرواية: رجع عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: ورائي: أني سمعت قولاً، والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بكهانة! يا معشر قريش أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب؛ فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب؛ فملكه ملككم، وعزه عزكم، وأنتم أسعد الناس به! قالوا: سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي، فاصنعوا ما بدا لكم. انتهى. خازن. وهذه القصة تروىٰ بروايات أخرى مع اختلاف في بعض العبارات، والمغزى واحد، والنتيجة واحدة لا تتغير، وانظر ما يشبه هذا مما ذكرته بشأن الوليد بن المغيرة في سورة (المدثر) إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿فَإِنۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَعۡرَضُواْ﴾: ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف كما رأيت تقديره في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُلۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿صَٰعِقَةٗ﴾: مفعول به ثان،

والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقُلْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿مِّثْلَ﴾: صفة ﴿صَٰعِقَةً﴾، و﴿مِّثْلَ﴾ مضاف، و﴿صَٰعِقَةِ﴾ مضاف إليه، و﴿صَٰعِقَةِ﴾: مضاف، و﴿عَادٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَثَمُودَ﴾: معطوف على ما قبله مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث؛ لأن المراد به القبيلة، وهي مؤنثة.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾: الضمير المنصوب واقع على: ﴿عَادٍ وَثَمُودَ﴾ والجمع باعتبار الجمعية التي في القبيلتين من حيث الأفراد، والمراد بالرسل: هود، وصالح، ومن قبلهما من الرسل، لكن مجيء هود، وصالح لهاتين القبيلتين حقيقي، ومجيء من قبلهما لهاتين القبيلتين على ضرب من التسمح، على تنزيل مجيء كلامهم، ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم، فإن هوداً، وصالحاً كانا داعيين لهاتين القبيلتين إلى الإيمان بهما، وبجميع الرسل ممن جاء قبلهما. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود.

﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أتوْهم من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كل جهة، أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار، ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة، وكل من اللفظين يحتملهما، أو من قبلهم، ومن بعدهم؛ إذ قد بلغهم خبر المتقدمين، وأخبرهم هود، وصالح عن المتأخرين، داعين، إلى الإيمان بهم أجمعين، ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة، كقوله تعالى في سورة (النحل) [١١٢]: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾. انتهى. بيضاوي بحروفه.

هذا؛ والتعبير عن الأمام والخلف بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ كثير في القرآن الكريم وإن اختص كل موضع بتفسير حسب مقتضيات الأحوال، وإختلافها، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنبياء)، ومثلها في سورة (سبأ) رقم [٩] يفسر بغير ما في آية (طه) رقم [١١٠] وكلتاهما تخالفان معنى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام، وهكذا، وكله يخرج على الاستعارة.

﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾: إرسال الرسل، أو لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسل إلى الإنس؛ لأنزل إليهم بها ملائكة. ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: فيه تغليب المخاطب على الغائب، فغلبوا هوداً

وصالحاً على من قبلهما من الرسل، فكأنهم قالوا: فإنا كافرون بكما، وبمن دعوتمونا إلى الإيمان به قبلكما من الرسل.

هذا؛ وقوله تعالى حكاية عن قول الكفرة: ﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ ليس بإقرار بالإرسال، وإنما هو على كلام الرسل، وفيه تهكم كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾. انتهى. نسفي.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل (أنذرتكم) كما تقول: لقيتك إذا كان كذا، ويجوز أن يكون صفة لـ: ﴿صَٰعِقَةً﴾ أو حالاً من ﴿صَٰعِقَةِ﴾ الثانية. انتهى. أبو البقاء. وقال الجمل نقلاً عن السمين: ظرف لـ: ﴿صَٰعِقَةِ﴾ الثانية، فهو منصوب بها؛ لأنها بمعنى: العذاب. انتهى. وقال البيضاوي: حال من ﴿صَٰعِقَةِ عَادٍ﴾ ولا يجوز جعله صفة لـ: ﴿صَٰعِقَةً﴾ أو ظرفاً لـ: ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾ لفساد المعنى. ﴿جَآءَتْهُمُ﴾: ماض ومفعوله. ﴿ٱلرُّسُلُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿مِنۢ بَيْنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ وقيل: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَيْنِ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿أَلَّا﴾: (أنْ): يجوز فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أن تكون هي المخففة من الثقيلة، التقدير: أنه؛ أي: الحال، والشأن، و(لا) ناهية. الثاني: أنها هي المصدرية التي تنصب المضارع، و(لا) نافية. الثالث: أن تكون مفسرة؛ لأن مجيء الرسل يتضمن قولاً بالمعنى، و(لا) ناهية. ﴿تَعْبُدُوٓا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (أنْ) وعلامة نصبه حذف النون...إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(أنْ) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بعدم عبادة أحد إلا الله، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿جَآءَتْهُمُ﴾، وعلى الوجه الأول، والثالث فالفعل مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، وعلى الوجه الأول فالجملة الفعلية في محل رفع خبر (أن) المخففة من الثقيلة، و(أنْ) واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف على مثال ما رأيت في الوجه الثاني. وعلى الوجه الثالث؛ فالجملة الفعلية مفسرة للفعل: (جاء) لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، وانظر سورة (الأحقاف) رقم [٢١].

﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والمفعول محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَأَنزَلَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (أنزل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّنَا﴾.

﴿مَلَٰٓئِكَةً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: حرف عطف، وتعقيب. وقيل: هي الفصيحة. وليس بشيء. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿أُرْسِلْتُم﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع.. إلخ، والجملة الاسمية معطوفة، ومفرعة عما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: فتعظموا فيها على أهلها، أو استعلوْا فيها، واستولوْا على أهلها بغير استحقاق للاستعلاء، والاستيلاء. هذا؛ وجمع الضمير باعتبار أفراد القبيلة. ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: اغتروا بقوة أجسامهم، وشوكتهم، وذلك: أنهم كانوا ذوي أجسام طوال: وخلْق عظيم. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن أطولهم كان مئة ذراع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً، وبلغ من قوتهم: أن الرجل منهم كان ينزع الصخرة، فيقلعها بيده. وانظر ما ذكرته في سورة (الأعراف) وغيرها. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: قدرة؛ فإنه قادر بالذات، مقتدر على ما لا يتناهى، قوي على ما لا يقدر عليه غيره، وإنما يقدر العبد بإقدار الله، فالله إذاً أقدر. ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: وكانوا يجحدون آيات القرآن، أو يجحدون المعجزات الباهرة، والحجج الساطعة. قال الرازي: إنهم كانوا يعرفون: أنها حق، ولكنهم جحدوها، كما يجحد المودع الوديعة. هذا؛ والجحد: الإنكار والتكذيب، والكفر، وهو أيضاً قلة الخير، وجحده حقه، وجحده بحقه، وبابه: قطع.

الإعراب: ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (أما): أداة شرط، وتفصيل، وتوكيد. أما كونها أداة شرط؛ فلأنها قائمة مقام الشرط، وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يك من شيء؛ فعادٌ... إلخ، فأنيبت (أما) مناب (مهما يك من شيء) فصار فأما عاد فاستكبروا. وأما كونها أداة تفصيل؛ فلأنها في الغالب مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها. وأما كونها أداة توكيد؛ فلأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة؛ لأنها علقته على أمر متيقن.

﴿عَادٌ﴾: مبتدأ. ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (استكبروا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(غير) مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾ مضاف إليه. (قالوا): ماض، وفاعله. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره. ﴿مِنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَشَدُّ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار. الواو: في مثل ذلك عاطفة على محذوف، التقدير: أنسوا، ولم ينظروا نظرة تفكر واعتبار. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لفظ الجلالة. ﴿خَلَقَهُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿هُوَ أَشَدُّ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَشَدُّ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول: ﴿يَرَوْاْ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قال الله: أولم يروا. . . إلخ، والجملة هذه معترضة بين الجمل المتعاطفة.

﴿وَكَانُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: ريحاً باردةً شديدة البرد، أو شديدة الصوت، والهبوب، فمن الأول قول الحطيئة: [البسيط]

الْـمُـطْـعِـمـونَ إذَا هَـبَّـتْ بِـصَـرْصَـرةٍ ... والـحـامِـلـون إذَا اسْـتُـودُوا عـلـى الـنَّـاسِ

استودوا: سئلوا الدية. ومن الثاني؛ (أي: شدة الصوت) قوله تعالى في سورة (الذاريات)

[٢٩]: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ...﴾ إلخ ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: مشؤومات من النحس بمعنى: الشؤم، وهو ضد السعد. قال الشاعر: [الطويل]

سَــوَاءٌ عَــلَــيْــهِ أَيَّ حِــيــنٍ أَتَــيْــتَــهُ أَسَــاعَــةَ نَــحْــسٍ تُــتَّــقَــى أَمْ بِــأَسْــعَــدِ؟

وقيل: متتابعات، كقوله تعالى في سورة (القمر) الآية رقم [١٩]: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ كنَّ آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء، وذلك قوله تعالى في سورة (الحاقة) الآية رقم [٧]: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما عُذِّب قوم إلا في يوم الأربعاء.

هذا؛ وفي يوم الأربعاء أرسل الله الرياح العاتية على جيش قريش يوم الأحزاب، وكان الرسول ﷺ قد دعا، وسأل الله من فضله في ذلك اليوم بقوله: «**يا صَريخَ المكروبينَ! يا مجيبَ المضطرِّين! اكشف همِّي، وغمِّي، وكرْبي، فإنَّك تَرَى ما نزل بي، وبأصحابي!**». وكان ذلك بين الظهر، والعصرِ، فاسْتُجِيبَ له ﷺ. ومِنْ ثَمَّ كان جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ يدعو في مهماته في ذلك اليوم، في ذلك الوقت، كان يتحرى ذلك اليوم. وأما الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء، فمحمولة على آخر أربعاء في الشهر، فإن في ذلك اليوم ولد فرعون، وادعى الربوبية، وأهلكه الله فيه، وهو اليوم الذي أصيب فيه أيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ. انتهى. زيني دحلان بتصرف، وانظر ما ذكرته في سورة (الأعراف) رقم [٧١]. هذا؛ وكان هلاكهم في أواخر فصل الشتاء، ولا تزال هذه الأيام إلى عصرنا هذا موسماً للمطر، ويطلق عليها: «أيام العجوز» وانظر سورة (القمر) رقم [١٩].

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾: الذل، والهوان، وهو مقابل لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إن ما نزل بهم من الخزي، والهوان كان في الحياة الدنيا. وانظر شرح ﴿يُخْزِيهِ﴾ في سورة (الزمر) رقم [٤٠]، وشرح ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ برقم [٢٦] منها. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ...﴾ إلخ أي: ولعذابهم في الآخرة أعظم خزياً، وأشد إهانةً من عذاب الدنيا؛ لأنه دائم مستمر، لا غاية له ينتهي عندها، بخلاف عذاب الدنيا؛ فإنه ينقطع، وليس لهم ناصر يدفع عنهم عذاب الآخرة، كما لم ينصروا في الدنيا.

هذا؛ وأضاف (العذاب) إلى ﴿ٱلْخِزْىِ﴾ وهو الذي على قصد وصفه به؛ لقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو في الأصل صفة المعذب، وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة. هذا؛ وانظر شرح (الريح) في سورة (الروم) رقم [٤٦]، وانظر إذاقة العذاب في سورة (الصافات) رقم [٣٨].

الإعراب: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (أرسلنا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رِيحًا﴾: مفعول به. ﴿صَرْصَرًا﴾: صفة ﴿رِيحًا﴾. ﴿فِىٓ أَيَّامٍ﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿رِيحًا﴾، أو بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿نَّحِسَاتٍ﴾: صفة: ﴿أَيَّامٍ﴾، وجملة: ﴿فَأَرْسَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على الجمل السابقة، فهي في محل رفع مثلها. ﴿لِّنُذِيقَهُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان. وهومضاف، و﴿الْخِزْيِ﴾ مضاف إليه. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿الْحَيَاةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (أرسلنا). ﴿وَلَعَذَابُ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء. (عذاب): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿الْآخِرَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَخْزَىٰ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير في الجملة المعطوفة عليها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُنصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ أي: قبيلة ثمود. هذا؛ ويقرأ بالرفع، والنصب، ومنوناً، وعدمه في الحالين، والتنوين على إرادة «الحي»، وعدمه على إرادة «القبيلة». ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير، والشر، وذلك بنصب الآيات التكوينية، وإرسال الرسل، وإنزال الآيات التشريعية. ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾: فاختاروا الضلالة على الإيمان، والمعاصي على الطاعات فاستعار ﴿الْعَمَىٰ﴾ للضلالة بجامع عدم الاهتداء في كل منهما، واستعار الإيمان إلى ﴿الْهُدَىٰ﴾ بجامع الاهتداء في كل منهما. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: الذل، والصغار، والهوان، وكان ذلك بالصيحة، والرجفة؛ التي رأيت شرحها في سورة (الأعراف) رقم [٧٨]. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من شركهم، وتكذيبهم صالحاً. فإن قيل: كيف يجوز للرسول ﷺ أن ينذر قومه مثل صاعقة عاد، وثمود مع العلم بأن ذلك لا يقع في أمته ﷺ، وقد صرح الله تعالى بذلك في سورة (الأنفال) رقم [٣٣]: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وقد جاء في الحديث الصحيح أن الله تعالى رفع عن هذه الأمة الأنواع المذكورة. فالجواب: أنهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد، وثمود في استحقاق مثل تلك الصاعقة، وأن السبب الموجب للعذاب واحد؛ فرُبَّما يكون العذاب النازل بهم من جنس

ذلك العذاب، وإن كان أقل درجة، وهذا القدر يكفي في التخويف. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

أقول: قد حذر الرسول ﷺ أمته، وأنذرها من وقوع جميع أنواع البلاء التي نزلت في الأمم السابقة في آخر الزمان؛ إذا خرجت عن طاعة الله، وارتكبت المعاصي، والمنكرات، واتبعت وحي الشيطان. وخذ ما يلي:

فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يَبيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الأمَّةِ على طُعْمٍ، وشربٍ، ولهوٍ، ولعبٍ، فيصبحوا قد مُسِخوا قردةً، وخنازيرَ، وليُصيبُهم خسفٌ، وقَذْفٌ؛ حتى يصبحَ الناسُ فيقولون: خُسِفَ الليلة ببني فلانٍ، وخُسِفَ الليلةَ بدَارِ فلانٍ خَواصَّ، ولَتُرْسَلَنَّ عليهِمْ حجارَةٌ مِنَ السَّماءِ، كَمَا أُرسِلتْ على قومِ لوطٍ على قبائلَ فيها، وعلى دُورٍ، وَلَتُرْسلَنَّ عليهِمُ الريحُ العقيمُ، الَّتي أَهْلَكَتْ عَاداً على قَبَائِلَ فيها، وعلى دورٍ بشربِهِمُ الخمرَ، ولبسِهِمُ الْحَريرَ، واتخاذِهِمُ القيْنَاتِ، وأَكْلِهِمُ الرِّبَا، وقطيعَتِهِمُ الرحمَ، (وخصلةٍ نسيها جعفر)**». رواه أحمد مختصراً، وابن أبي الدنيا، والبيهقي.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا فعلتْ أمتي خمسَ عشْرةَ خَصْلَةً؛ حَلَّ بها الْبَلَاءُ**». قيل: ما هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟! قالَ: «**إذَا كان المغنم دُولاً، والأمانة مَغْنماً، والزكاةُ مَغْرَماً، وأطاع الرجلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وبرَّ صدِيقَهُ، وجَفَا أَبَاهُ، وارتَفَعَتِ الأصواتُ في المساجِدِ، وكان زعيم الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرجلُ مخافة شرِّه، وشُرِبَتِ الخمورُ، ولُبِسَ الحريرُ، واتُّخِذَتِ القيْناتُ، والمعازفُ، ولعنَ آخِرُ هذِهِ الأُمةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عندَ ذَلِكَ رِيحاً حَمْراءَ، أَوْ خَسْفاً، أو مَسْخاً**». رواه الترمذي، والحديثان موجودان في «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري.

الإعراب: ﴿وَأَمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (أما): معطوفة على ما قبلها وإعرابها مثلها بلا فارق بينهما. ﴿ثَمُودُ﴾: مبتدأ، وعلى قراءته بالنصب فهو منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره المذكور بعده. ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (هديناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، على قراءة ثمود بالرفع، ومفسرة لا محل لها على قراءته بالنصب. (استحبوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف. ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿صَٰعِقَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. و﴿صَٰعِقَةُ﴾ مضاف. ﴿ٱلْعَذَابِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْهُونِ﴾: صفة: ﴿ٱلْعَذَابِ﴾. وقيل: بدل منه، وليس بشيء. ﴿بِمَا﴾:

جار ومجرور متعلقان بالفعل: (أخذ)، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو: بشيء كانوا يكسبونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَكْسِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والكلام: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ...﴾ إلخ معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: مع صالح - على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام - أي: من تلك الصاعقة التي نزلت بثمود، وكانوا أربعة آلاف، خرج بهم صالح - عليه الصلاة والسلام - بعد هلاك قومه من فلسطين إلى حضرموت. وانظر ما ذكرته في سورة (الأعراف) رقم [٧٧] إن أردت الزيادة، وأيضاً ما ذكرته في سورة (هود) رقم [٦٧] ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ أي: يخافون عقاب الله، وغضبه، ويرجون رحمته وثوابه.

الإعراب: ﴿وَنَجَّيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَنَجَّيْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، واعتبارها مستأنفة أقوى معنًى.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ...﴾ إلخ: يحبس أولهم على آخرهم؛ لئلا يتفرقوا، ثم يساقون، ويدفعون إلى النار. هذا؛ والحشر: الجمع، والمراد: بأعداء الله: الكفار مطلقاً الأولين، والآخرين. هذا؛ ويقرأ الفعل: (نَحْشُرُ) بالنون ونصب (أعداءَ) أيضاً. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يدفعون ويساقون إلى موضع الحساب. قال الشماخ: [الرجز]

وَكَمْ وَزَعْنَا مِنْ خَمِيسٍ جَحْفَلِ ... وَكَمْ حَبَوْنَا مِنْ رئيسٍ مِسْحَلِ

وقال قتادة: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يرد أولهم على آخرهم. انتهى. هذا؛ والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف، يزع من تقدم منهم، والوازع: الرادع، والزاجر. قال الشاعر: [الطويل]

وَلَا يَزَعُ النَّفْسَ اللجوجَ عَنِ الْهَوَى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا وافرُ الْعَقْلِ كَامِلُهْ

ومن هذا قول النابغة الذبياني ـ وهو الشاهد رقم [٩١٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

عَلَى حِينَ عاتبْتُ المشيبَ على الصِّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: لا بد للناس من وازع. أي: من سلطان يكفهم، ويردعهم. وذكر ابن القاسم، قال: حدثنا مالك: أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: ما يَزَعُ ٱلإِمَامُ أَكْثَرُ مِمَّا يزعُ القرآنُ. والمحفوظ: إن اللهَ لَيزعُ بالسلطانِ، ما لَا يَزَعُ بالقرآنِ. وشرح الجملتين واضح إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان مفعول به لفعل محذوف، أو هو ظرف متعلق بذلك المحذوف، التقدير: اذكر لقومك المعاندين حال الكفار في القيامة لعلهم يرتدعون، ويزجرون. ﴿يُحْشَرُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿أَعْدَآءُ﴾: نائب فاعله، وعلى قراءته بالنون فالفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(أعداءَ) مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿يُوزَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محلِّ جر مثلها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ أي: النار، والمراد: بها: موقف الحساب، والتعبير عنه بالنار، إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم، وأنهم على شرف دخولها، وإما؛ لأن حسابهم يكون على شفيرها. وإنما كان هذا هو المراد؛ لأن الشهادة المذكورة إنما تكون عند الحساب، لا بعد تمام السؤال، والجواب، وسوقهم إلى النار نفسها. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود.

هذا؛ ومناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله تعالى لما ذكر قصة عاد، وثمود، وما أصابهم من العقوبة في الدنيا بطغيانهم، وإجرامهم؛ ذكر هنا ما يصيب الكفار عامة في الآخرة من العذاب، والدمار؛ ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر، والتحذير عن ارتكاب المعاصي، والكفر بنعم الله. انتهى. صفوة التفاسير.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ...﴾ إلخ: وحد الله السمع في هذه الآية، وأمثالها دون الأبصار، والجلود؛ لأمن اللبس، ولأنه في الأصل مصدر، يقال: سمعت الشيء سماعاً، وسمعاً، والمصدر لا يجمع؛ لأنه اسم جنس يقع على القليل، والكثير، فلا يحتاج فيه إلى تثنية، أو جمع. وقيل: وحد السمع؛ لأن مدركاته نوع واحد، وهو الصوت، ومدركات غيره مختلفة.

فإن قيل: ما السبب في تخصيص هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر مع أن الحواس خمسة: وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس؟ أجيب بأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى حينما يصير طرف اللسان مماساً لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى يصير الأنف مماساً لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس. انتهى. جمل. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد من شهادة الجلود: شهادة الفروج، وهو من باب الكنايات.

هذا؛ وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال: أولها: أن الله تعالى يخلق الفهم، والقدرة، والنطق في هذه الجوارح، فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه. ثانيها: أن الله تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات، والحروف الدالة على تلك المعاني. ثالثها: أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان. وتلك الأمارات تسمى: شهادات، كما يقال: العالَم يشهد بتغيرات أحواله على حدوثه. انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب. ثم قال: وفي الكرخي: بأن ينطقها الله تعالى كإنطاق اللسان، فتشهد، وليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلاً، وإيضاحه: أن البنية ليست شرطاً للحياة، والعلم، والقدرة، فالله تعالى قادر على خلق العقل، والقدرة، والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء. انتهى. والله أعلم.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَا﴾: صلة. ﴿جَآءُوهَا﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المرجوح المشهور. ﴿شَهِدَ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَمْعُهُمْ﴾: فاعله، وما بعده معطوف عليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿شَهِدَ﴾ وباقي الإعراب مثل: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ في الآية رقم [١٧]. وجملة: ﴿شَهِدَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. هذا؛ ويعتبر الأخفش ﴿إِذَا﴾ في مثل هذه الآية مجرورة بـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وقد رده ابن هشام في المغني، وعلى كلٍّ، فهي غاية لمحذوف، التقدير: حشروا حتى إذا جاؤوها.

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ﴾: المراد جميع الأعضاء؛ التي تشهد عليهم، فالمراد: المعنى الأعم، والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع، وقد ذكرته لك مراراً. ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ﴾ هذا سؤال توبيخ، وتعجيب من هذا الأمر الغريب؛ لكونها ليست مما ينطق،

ولكونها كانت في الدنيا مساعدةً لهم على المعاصي، فكيف تشهد الآن عليهم، فلذلك استغربوا شهادتها، وخاطبوها بصيغة خطاب العقلاء؛ لصدور ما يصدر من العقلاء عنها، وهو الشهادة المذكورة. انتهى. جمل.

﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ: أي: من الحيوان، والمعنى: أن نطقنا ليس بعجيب من قدرة الله؛ الذي قدر على إنطاق كل حيوان. ولا تنس: أن جمع ضمائر هذه الأعضاء جمع المذكر السالم إنما هو لمخاطبتها، وجوابها مثل العقلاء. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: ركب فيكم الحياة بعد أن كنتم نطفاً في الأصلاب، فمن قدر على ذلك؛ قدر على أن يُنطق الجلود وغيرها من الأعضاء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: وإليه وحده تردون بعد موتكم بالبعث، والحشر، والنشور.

هذا؛ وقد قال ابن كثير: هذا حال الكفار، والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا، ويحلفون ما فعلوه، فيختم الله على أفواههم، ويستنطق جوارحهم بما عملت، فقد روى مسلم ـ رحمه الله ـ في صحيحه عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فَضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ، ثم قالَ: «**أتدرونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**». قلْنَا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قال: «**مِنْ مُخَاطَبَةِ العبدِ رَبَّهُ يومَ القيامةِ، يقولُ: رَبِّ أَلَمْ تُجْرني مِنَ الظلْم؟ فيقول: بَلَى، فيقولُ: إنِّي لا أجيزُ عَلَيَّ إلَّا شاهداً مِنْ نَفسِي! فيقول اللهُ تبارك وتعالى: كفى بنفسكَ اليومَ عَلَيْكَ حَسِيباً، وبالكرام الكاتبين شهُوداً، فيخْتِمُ اللهُ على فِيه، ويقولُ لأركانِهِ: انطِقِي! فتنْطِقُ بأعمالِهِ، ثم يُخَلَّى بينهُ وبينَ الكَلَامِ، فيقولُ: بعْداً لَكُنَّ، وسحقاً! فعنكنَّ كنْتُ أُنَاضِلُ**».

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث يوم القيامة الطويل، وفيه: ثمَّ يقالُ لَهُ: «**الآنَ نبعثُ عليك شَاهِدَنَا، وَيَتَفَكَّرُ في نفسِه مَنْ ذا الذي يشهدُ عليهِ؟ فيختمُ اللهُ على فِيهِ، ويقولُ لِفخذِهِ، ولحمِهِ، وعظَامِهِ: انطقي، فينطقُ فخذُهُ، وَلَحمُهُ، وعظَامُهُ بعملِهِ؟ وذلك لِيُعذرَ منْ نفسِهِ، وذلك المنافِقُ، وذلِكَ الذِي يسخطُ اللهُ عَلَيْهِ**». انتهى. قرطبي، وابن كثير.

ثم قيل في سبب الختم أربعة أوجه: أحدُها: لأنهم يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ رقم [٢٣] من سورة (الأنعام) فختم الله على أفواههم؛ حتى تنطق جوارحهم. قاله أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ. الثاني: ليعرفهم أهل الموقف، فيتميزون منهم. قاله ابن زياد. الثالث: لأن إقرار غير الناطق أبلغ في الحجة من إقرار الناطق؛ لخروجه مخرج الإعجاز؛ وإن كان يوماً لا يحتاج إلى إعجاز. الرابع: ليعلم: أن أعضاءه التي كانت أعواناً في حقه، صارت عليه شهوداً في حق ربه، انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِجُلُودِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿لِمَ﴾ اللام: حرف جر. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام، والاستفهام للتوبيخ، والتأنيب، وحذفت ألف

(ما) فرقاً بين الخبر، والاستخبار، والجار والمجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿شَهِدتُّمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿قَالُوا﴾: ماض، وفاعله. ﴿أَنطَقَنَا﴾: ماض، و(نا): مفعوله. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة لفظ الجلالة، وجملة: ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهُ﴾، والكاف مفعول به. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. و﴿أَوَّلَ﴾ مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير. وهذا على اعتباره من تمام كلام الجلود، ومستأنفة، لا محل لها، إن لم تكن كذلك أي: من كلام الله، أو كلام الملائكة. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية على الوجهين المعتبرين فيها، أو هي معطوفة على الجملة الفعلية وحدها. فتكون في محل رفع مثلها.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ...﴾ إلخ أي: تستخفون عن جوارحكم عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم: أن أعضاءكم تشهد عليكم أمام الله يوم القيامة. وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق ألَّا يمر عليه لحظة إلا وعليه رقيب. ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ: من أعمالكم، فلذلك جادلتم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم بأعمالكم، قال عبد الله بن عبد الأعلى الشامي، فأحسن: [الكامل]

العمرُ يَنْقُصُ والذنوبُ تزيدُ ... وتُقالُ عثراتُ الفتى فيعودُ
هَلْ يستطيعُ جحودَ ذَنْبٍ واحِدٍ ... رَجُلٌ جوارِحُهُ عليْهِ شُهُودُ؟
والمرءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنيهِ، فَيشْتَهي ... تقليلَهَا وعنِ المماتِ يحيدُ

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، كثير شحم بطونهم، قليلٌ فقه قلوبهم: قريشيٌّ، وختناه ثقفيان، أو ثقفيٌّ، وختناه قرشيان،

فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا؛ سمعه، وإذا لم نرفع أصواتنا؛ لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئاً؛ سمعه كله. فقال عبد الله: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾. قال: هذا حديث حسن صحيح، قال الثعلبي: والثقفي: عبد يا ليل، وختناه: ربيعة، وصفوان بن أمية.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. و(ما): نافية. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية: (هو خلقكم...) إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿أَن يَشْهَدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والمصدر المؤول منهما في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من أن يشهد، ويسمى مثل ذلك في محل نصب بنزع الخافض؛ لأن الفعل قبله لا يتعدى بنفسه. والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، أو المصدر المؤول في محل نصب مفعول لأجله؛ أي: لأجل أن يشهد. أو مخافة أن يشهد. وقيل: هو في محل نصب مفعول به على تضمين الفعل قبله معنى الظن. وفيه بعد. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَمْعُكُمْ﴾: فاعل ﴿يَشْهَدَ﴾ وما بعده معطوف عليه، والكاف في محل جر بالإضافة، ولا صلة للتوكيد.

﴿وَلَـٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿ظَنَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾، وقيل: متعلقان بمحذوف صفة له، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لا يعلم كثيراً من الذي، أو من شيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ) التقدير: من عملكم، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظن)، والجملة الفعلية: ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ...﴾ إلخ أي: ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون. ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾: أهلككم، وأدخلكم جهنم. وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن ألَّا يذهب عنه، ولا يزل عن

ذهنه: أن عليه من الله عيناً كالئةً، ورقيباً مهيمناً؛ حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيبَ، وأحسن احتشاماً، وأوفر تحفظاً، وتصوناً منه مع الملأ، ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين. انتهى. كشاف. ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: فخسرتم سعادتكم، وأنفسكم؛ حيث دخلتم النار. وانظر ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ في سورة (الزمر) رقم [١٥]. هذا؛ والفعل (أصبحتم) بمعنى: صرتم، وليس المراد التوقيت بالصبح. وانظر الآية رقم [٤٨] من سورة (الزمر).

هذا؛ وقال النبي ﷺ: «**لا يموتنَّ أحدُكُمْ إلا وهوَ يحسِنُ الظنَّ بالله، فإن قوماً أساؤُوا الظنَّ بربهم، فأهلكهمْ**». فذلك قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ...﴾ إلخ هذا؛ وفي الحديث القدسي الطويل الذي يرويه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، عن رب العزة، وخرجه الستة ما عدا أبا داود: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبْدِي بي...**» إلخ.

هذا؛ والظن نوعان: ظن ينجي، وظن يردي، فالأول: هو أن يظن العبد بربه خيراً، ويحسن ظَنَّهُ به، ويقرن ذلك بالعمل الصالح، والخوف منه تعالى، ومراقبته، والوقوف على حدوده، فيحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم. والثاني: هو أن يظن العبد بربه خيراً، ولكنه لا يؤدي لله حقاً، ولا يعرف للرسول ﷺ واجباً، فهذا هو الظن الكاذب، الذي يقول الله فيه: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم...﴾ إلخ. وقال الحسن البصري رحمه الله: إن قوماً ألهتْهُمُ الأمانيُّ حتى خرجُوا مِنَ الدُّنْيا؛ وما لهمْ حسنةٌ، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي. وكذب! ولو أحسن الظن؛ لأحسن العمل، وتلا الآية الكريمة التي نحن بصدد شرحها. وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصيَ، ولا يتوبون منها، ويتكلون على المغفرة؛ حيث خرجوا من الدنيا مفاليسَ، ثم قرأ الآية. انتهى. قرطبي. وخذ ما يلي بمناسبة هذه الآية منه أيضاً:

فعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ليْسَ من يوم يأتي على ابن آدَمَ، إلا ينادي فيه: يا بنَ آدَمَ! أنا خلقٌ جديدٌ، وأنا فيما تعمل غداً عليك شهيدٌ، فاعمل فيَّ خَيْراً؛ أشهد لك به غداً، فإني لو قد مَضَيْتُ؛ لم تَرَني أبداً. ويقول الليلُ مثلَ ذَلِكَ**». ذكره أبو نعيم الحافظ، وقال محمد بن بشير، فأحسن: [الطويل]

مَضَى أَمْسُكَ الأدْنَى شَهِيداً مُعَدَّلاً ... ويومُكَ هَذَا بالفِعَالِ شَهِيدُ

فإنْ تكُ بالأمسِ اقترفْتَ إسَاءةً ... فَثَنِّ بإحسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ

ولا تُرْجِ فعلَ الخيرِ منكَ إلى غَدٍ ... لَعَلَّ غداً يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

الإعراب: ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (ذلكم): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ظَنُّكُمُ﴾: خبر، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع

بدلاً من: ﴿ظَنُّكُمُ﴾، أو عطف بيان عليه. ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى: ﴿ظَنُّكُمُ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ظَنُّكُمُ﴾، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة، و«قد» مقدرة، التقدير: ذلكم ظنكم مردياً إياكم. هذا وجه، والوجه الثاني: اعتبار: (ذلكم) مبتدأ، و﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلاً منه، و﴿ٱلَّذِى﴾ نعت له، والخبر جملة: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾. والوجه الثالث: اعتبار اسم الإشارة مبتدأ، وما بعده أخباراً عنه متتالية. انتهى. جمل. وقال أبو البقاء العكبري: (ذلكم) مبتدأ، و﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبره، و﴿ٱلَّذِى﴾ نعت للخبر، أو خبر بعد خبر، و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبر آخر. ويجوز أن يكون الجميع صفة، أو بدلاً، و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ الخبر، ويجوز أن يكون: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ حالاً، و«قد» معه مرادة. انتهى.

﴿ظَنَنتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذي ظننتموه. ﴿بِرَبِّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أصبح)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ﴾: قال الجمل: من المعلوم: أنه لا خلاص لهم من النار؛ صبروا، أو لم يصبروا؛ فما وجه التقييد؟ وأجيب بأن فيه إضماراً، تقديره: فإن يصبروا، أو لا يصبروا؛ فالنار مثوىً لهم على كل حال. انتهى. نقلاً من كرخي. وقال البيضاوي: ونظيره قوله تعالى في سورة (إبراهيم) الآية رقم [٢١] حكاية أهل النار: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

وقول القرطبي: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار؛ فالنار مثوًى لَهُمْ، نظيره: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ رقم [١٧٥] من سورة (البقرة). وإن يستعتبوا في الدنيا، وهم مقيمون على كفرهم، فما هم من المعتبين، لم يقل به أحد من المفسرين، ولا وجه له؛ لأن هذا الكلام متعلق بأحوال الآخرة.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ أي: إن يسألوا أن يرضوا ربهم؛ فما هم فاعلون لفوات الوقت، والفرصة؛ لأنهم دعوا إليه في الدنيا؛ حيث ندبهم الله في كثير من الآيات إلى التوبة، والطاعة، وحثهم في كثير من الآيات على الاستغفار، والإيمان به. من قولهم: استعتبني فلان، فأعتبته؛ أي: استرضاني، فأرضيته. وجملة القول، لا يقال لهم يوم القيامة: ارضوا ربكم بتوبة، وطاعة. ومثله في سورة (الجاثية) رقم [٣٥]: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾. وقال تعالى في سورة (النحل) الآية رقم [٨٤]: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وقال تعالى في

سورة (الروم) الآية رقم [٧٥]: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وخذ قول أبي الأسود الدؤلي، وهو الشاهد رقم [٩٦٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المتقارب]

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ... وَلَا ذَاكِرَ اللهَ إِلَّا قَلِيلا

هذا؛ والاستعتاب طلب العتاب، والمعتبة: هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره، والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب، ويرجع إلى الرضا عنه، وإذا لم يطلب من خصمه العتاب دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه، قال النابغة الذبياني: [الطويل]

فإنْ كُنْتُ مظلوماً فعبداً ظَلَمْتَهُ ... وإن كُنْتَ ذَا عُتبى فمثلُكَ يُعتِبُ

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (غافر) رقم [٥٢]: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ وفي المصباح المنير: عتب عليه عتْباً من باب: ضرب، وقتل، ومعتِباً أيضاً: لامه في سخط، فهو عاتب. وعَتَّاب مبالغة، وبه سمِّي، ومنه عتَّاب بن أسيد الصحابي - رضي الله عنه -. وعاتبه معاتبةً، وعتاباً. قال الخليل - رحمه الله تعالى -: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموجدة. وأعتبني: الهمزة للسلب؛ أي: أزال الشكوى، والعتاب، واستعتب: طلب الإعتاب، والعتبى: الاسم من الإعتاب. انتهى. جمل من سورة (الروم). وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يتمنَّ أحدُكُمْ الْمَوْتَ، إمَّا مُحْسِناً فلعلَّهُ يزدادُ، وإِمَّا مُسيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**». رواه البخاري ومسلم.

قال الزمخشري في سورة (الروم): فإن قلت: كيف جُعِلُوا غير مستعتبين في بعض الآيات، وغير معتبين في بعضها؟ قلت: أما كونهم غير مستعتبين؛ فهذا معناه؛ أي: ما تقدم، وأما كونهم غير معتبين فمعناه: أنهم غير راضين بما هم فيه، فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم، فهم عاتبون على الجاني، غير راضين عنه، فإن يستعتبوا الله؛ أي: يسألوه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته. انتهى. والله أعلم.

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَصْبِرُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَٱلنَّارُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (النار): مبتدأ. ﴿مَثْوًى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مَثْوًى﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾ مثل سابقه في إعرابه. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل رفع اسم (ما) على اعتبارها حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، أو في محل نصب خبر (ما) والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل جزم جواب الشرط. . .إلخ، و(إنْ) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أي: هيأنا. وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: قدرنا لمشركي مكة. يقال: هذان ثوبان قيضان: إذا كانا متكافئين، والمقايضة: المعاوضة، وأرى: أن المعنى الأول أولى بالاعتبار، ومثله قوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٣٦]: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾. قال ابن كثير: يذكر الله تعالى: أنه هو الذي أضل المشركين، وأن ذلك بمشيئته، وكونه، وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس، والجن.

﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمر الدنيا، فحسنوه لهم؛ حتى آثروه على الآخرة، واتبعوا الشهوات. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الآخرة، حسنوا لهم ما بعد مماتهم، ودعوهم إلى التكذيب بأمور الآخرة: أن لا بعث، ولا حساب، ولا جزاء. وانظر ما ذكرته في سورة (غافر) رقم [٣٤] و [٣٧].

وقال الزجاج: زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة: أنه لا بعث، ولا جنة، ولا نار، وما خلفهم من أمر الدنيا، بأن الدنيا قديمة، ولا صانع إلا الطبائع والأفلاك. قال القشيري: إذا أراد الله بعبد سوءاً؛ قيض الله له إخوان سوء، وقرناء سوء يحملونه على المخالفات، ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، وأشر منه النفس، وبئس القرين يدعوه اليوم إلى ما فيه الهلاك، ويشهد عليه غداً. وإذا أراد الله بعبد خيراً؛ قيض له قرناء خير، يعينونه على الطاعة، ويحملونه عليها، ويدعونه إليها.

وروي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذَا أرادَ اللهُ بعبدِهِ شراً، قيَّض لَهُ قبل موتِهِ شيْطَاناً، فلا يرى حسناً إلَّا قَبَّحَهُ عندهُ، ولَا قبيحاً إلَّا حسَّنَهُ عندهُ**». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «**إذا أرادَ اللهُ بالوالي خيْراً؛ جَعَلَ لَهُ وزيرَ صِدْقٍ؛ إن نَسِيَ ذكَّرَهُ، وإن ذكر أعانَهُ، وإنْ أَرَادَ بِهِ غيرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِير سُوءٍ، إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وإنْ ذَكر لَمْ يُعِنْهُ**».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما بعثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، ولا استخلَفَ مِنْ خليفةٍ؛ إلَّا كانَتْ لَهُ بطانةٌ تأمُرُهُ بالمعروفِ وتحضُّهُ عَلَيْهِ، وبطانةٌ تأمرهُ بالشرِّ وتحَضُّهُ عَلَيْهِ، والمعصومُ مَنْ عَصمهُ اللهُ**». هذا؛ ولا تنس المرأة السوء، والولد السوء، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في سورة التغابن رقم [١٤] و [١٥].

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب. انظر ما ذكرته في سورة (صٓ) رقم [٨٤ و٨٥]. ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾: في بمعنى: «مع» فالمعنى: هم داخلون مع الأمم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه. وقيل: المعنى: في جملة أمم. ومثله قول عروة بن أذينة: [المنسرح]

إنْ تكُ عنْ أحسَنِ الصَّنِيعةِ مأْ ... فوكاً ففي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا

يريد: فأنت في جملة آخرين لست في ذلك بأوحد، ومعنى البيت: إن لم توفق للإحسان، فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك أيضاً. ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ أي: مضت قبل أهل مكة. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: حيث كفروا بربهم، وعملوا مثل أعمالهم، فأهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق يقيهم نزول العذاب بهم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: أعمالهم في الدنيا، وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

الإعراب: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (قيضنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿قُرَنَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿فَزَيَّنُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بما قبلهما. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): معطوف على ما قبله. ﴿خَلْفَهُمْ﴾: ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَحَقَّ﴾: الواو: حرف عطف. (حق): فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور في: ﴿عَلَيْهِمُ﴾ أي: حق عليهم القول كائنين في جملة أمم. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، والفاعل يعود إلى: ﴿أُمَمٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿أُمَمٍ﴾. ﴿مِن قَبْلِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من:

﴿أَمَمٍ﴾ بعد وصفه بما تقدم، أو بمحذوف صفة ثانية له. ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿خَٰسِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها تعليلية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: من أهل مكة. ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: لا تنصتوا، ولا تصغوا له. ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾: اللغو: الساقط من الكلام، الذي لا طائل تحته. قال العجاج: [الرجز]

أستغفرُ الرحمنَ ذا التَّعظمِ مِنَ اللَّغا ورفثِ التَّكلُّمِ

والمعنى: لا تسمعوا له إذا قرئ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات، والهذيان. كان بعضهم يوصي بعضاً إذا رأيتم محمداً يقرأ؛ فعارضوه بالرجز، والشعر، وما أشبه ذلك؛ حتى يختلط عليه ما يقول، وتشوشوا عليه، وتغلبوه على قراءته. ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أي: تغلبونه على قراءته فلا يفهم ما يقول. هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن من الفجار، والفساق في هذه الأيام؛ الذين يجلسون في المقاهي على موائد الملاهي، والمشروبات، وشرب الدخان، وكذلك الذين يجلسون في المجتمعات، ويخوضون في أعراض الناس، ويتكلمون بالغيبة، والنميمة، والهذر والنذر من الكلام ومن هذا ما يحصل في المأتم، حيث تفتح المسجلات على باب المتوفى، والصوت يدوي في الطريق وفي دار المتوفى، والمعزون مشغولون بما ذكرت، فلا حول، ولا قوة إلا بالله، والله يقول في سورة (الأعراف) رقم [٢٠٣]: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

هذا؛ و(الْغَوْا فيه): هذه قراءة الجماعة، وهي من: لغي يلغى؛ أي: فهو يائي، وقرئ شاذاً: (والْغُوا فيه) بضم الغين، وهي من: لغا يلغو؛ أي: فهو واوي. هذا؛ واللغو: ما ينبغي أن يلغى، ويطرح. خذ قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٧٢] في مدح عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾، وقوله تعالى في مدح مؤمني أهل الكتاب من سورة (القصص) رقم [٥٥]: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا تَسْمَعُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛

لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿لِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله في المعنى، والهاء مقحمة بين الجار والمجرور حرف لا محل له. ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿وَٱلْغَوْا۟﴾: الواو: حرف عطف. (الْغَوْا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿تَغْلِبُونَ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: يجوز أنْ يراد بالذين كفروا هؤلاء اللاغون، والآمرون لهم باللغو خاصة، ويجوز أن يراد بهم جميع الكفار، وهو الأولى. وانظر إذاقة العذاب في الآية رقم [٣١] من سورة (الصافات). ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: ولنعاقبنهم. ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: والمعنى: لنجزينهم في الآخرة جزاء قبح أعمالهم؛ التي عملوها في الدنيا، وأسوأ الأعمال الشرك.

وفي الجمل نقلاً عن كرخي: ولنجزينهم أقبح جزاء عملهم، وهو الشرك، وذكروا: أن إضافة ﴿أَسْوَأَ﴾ ليست إضافة أفعل إلى ما أضيف إليه، لقصد الزيادة عليه، ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل، فالمراد: سيئه؛ إذ لا يختص جزاؤهم بأسوأ عملهم. وحاصله: أن الإضافة للتخصيص، والمضاف للزيادة المطلقة.

وفي هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعاً، خاشعاً، متفكراً، متدبراً، وتهديد، ووعيد شديد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ، ويخلط عليه القراءة، فانظر إلى عظمة القرآن المجيد، وتأمل في هذا التغليظ، والتشديد، واشهدْ لِمَنْ عَظَّمه، وأجلَّ قدره، وألقى إليه السمعَ؛ وهو شهيد بالفوز العظيم. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفاء الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إن استمروا على ذلك؛ فلنذيقن. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (نذيقن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف، لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَذَابًا﴾:

مفعول به ثان. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. (لنجزينهم): إعرابه مثل سابقه، والهاء مفعول به أول. ﴿أَسْوَأَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي كانوا يعملونه. والإعراب واضح إن شاء الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى العذاب الشديد، وأسوأ الجزاء. ﴿أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي: وأعداء رسوله من الكافرين، والفاجرين، والفاسدين المفسدين. ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: لهم في جهنم دار الإقامة، لا يخرجون منها أبداً، قال الجمل نقلاً من أبي السعود: جملة مستقلة مقررة لما قبلها، والمعنى: أن النار نفسها دار الخلد، فيكون في الكلام تجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكماله فيها، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد. وقيل: ليس في الكلام تجريد، بل المراد: أن الدار تشتمل على دركات، فمنها واحدة بخصوصها تسمى دار الخلد، وهي في وسط النار، وهم خالدون فيها. انتهى.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: ينكرون الحق، أو يلغون. وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو. قال الرازي: وسمى لغوهم بالقرآن جحوداً؛ لأنهم لما علموا: أن القرآن بالغ إلى حد الإعجاز خافوا إن سمعه الناس أن يؤمنوا به، فاخترعوا تلك الطريق الفاسدة، وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزاً، إلا أنهم جحدوه حسداً. انتهى. صفوة التفاسير.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿جَزَآءُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿أَعْدَآءِ﴾: مضاف إليه، و﴿أَعْدَآءِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلنَّارُ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بدل من: ﴿جَزَآءُ﴾، وفيه نظر؛ إذ البدل يحل محل المبدل منه، فيصير التقدير: ذلك النار. الثاني: أنها خبر مبتدأ مضمر. الثالث: أنها مبتدأ، والجملة الاسمية بعدها الخبر. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ومثله في العكبري. هذا؛ وعلى الوجه الثاني فالجملة مفسرة لما قبلها، ومبينة لها. وعلى الوجه الثالث فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أوبمحذوف خبر آخر، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبرالمحذوف. ﴿دَارُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿دَارُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْخُلْدِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿ٱلنَّارُ﴾ على اعتبارها مبتدأ، ومستأنفة، أو في محل نصب حال من: ﴿ٱلنَّارُ﴾ على الوجه الأول والثاني فيها. والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿جَزَآءَۢ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منصوب بفعل مقدر، وهو مصدر مؤكد؛ أي: يجزون جزاءً. الثاني: أن يكون منصوباً بالمصدر الذي قبله، والمصدر ينصب بمثله، كقوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٦٣]: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾. الثالث: أن ينتصب على الحال من: ﴿ٱلنَّارُ﴾، أو من ضميرها المجرور بـ: (في). ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءَۢ﴾ الثاني، إن لم يكن مؤكداً، وبالأول إن كان مؤكداً، و(ما) موصولة، أو مصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُواْ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما) لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: بالذي كانوا يجحدونه بآياتنا، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب جحدهم آياتنا. تأمل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: وصاروا إلى النار، والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع. ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: لأن الشيطان المضل يكون من الجن ويكون من الإنس، قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١١٢]: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ...﴾ إلخ، وقال تعالى في سورة (الناس): ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وقيل: هما إبليس، وقابيل بن آدم؛ الذي قتل أخاه؛ لأن الكفر سنة إبليس، والقتل بغير حق سنة قابيل، فهما سنَّا المعصية. ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع: «**مَا مِنْ مسلمٍ يُقْتَلُ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوَّلِ كفلٌ مِنْ ذنبِهِ؛ لأنَّهُ أولُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**». أخرجه الترمذي. وانظر ما ذكرته في سورة (المائدة) رقم [٣٠]. ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي: ليكونا مباشِرَيْنِ للنار، وليكونا وقاية بيننا وبينها، فتخف عنا حرارتها نوع خفة. وقال القرطبي: سألوا ذلك حتى يشتفوا منهم بأن يجعلوهم تحت أقدامهم. ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: قال مقاتل: أي: أسفل منا في النار، وقال الزجاج: ليكونا في الدرك الأسفل؛ أي: من أهل الدرك الأسفل، وممن هو دوننا، كما جَعَلَانَا كَذلك في الدنيا في حقيقة الحال باتباعنا لهما. انتهى. جمل. والله أعلم.

الإعراب: (قال الذين): فعل، وفاعل، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها في الآيتين السابقتين، لا محل لها مثلهما. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وانظر ما ذكرته في سورة (صٓ) رقم [١٦] نقلاً من قول مكي. ﴿أَرِنَا﴾: فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره وهو الياء، والكسرة قبلها دليل

عليها، والفاعل مستتر فيه تقديره: «أنت»، و(نا): مفعوله الأول، وهو بصري. لكن الهمزة عدته إلى المفعول الثاني. ﴿ٱلَّذَيْنِ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وبعضهم يعتبره مبنياً على الياء مثل مفرده. ﴿أَضَلَّانَا﴾: فعل ماض، والألف فاعله، و(نا): مفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد ألف التثنية. ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ألف الاثنين، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في الموصول. ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿نَجْعَلْهُمَا﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وعند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعوله، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿تَحْتَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو مفعوله الثاني، و﴿تَحْتَ﴾ مضاف، و﴿أَقْدَامِنَا﴾ مضاف إليه، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لِيَكُونَا﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، وألف الاثنين اسمه. ﴿مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (يكونا)، و«أن» المضمرة والفعل (يكونا) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (نجعل). هذا؛ والكلام: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: اعترافاً بربوبيته، وإقراراً بوحدانيته؛ أي: لا رب، ولا معبود لنا إلا الله. وهذا شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدارين بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما، وهذا من باب المقابلة؛ التي ذكرتها لك في سورة (يس) رقم [٥٥].

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: قال أهل التحقيق: كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته؛ لأجل العمل به، ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ ورأس الأعمال الصالحة أن يكون الإنسان مستقيماً في الوسط، غير مائل إلى طرفي الإفراط، والتفريط، فتكون الاستقامة في أمر الدين، والتوحيد، فتكون في الأعمال الصالحة. سئل أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عن الاستقامة، فقال: ألَّا تشرك بالله شيئاً. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر، والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: استقاموا: أخلصوا في العمل. وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أدوا الفرائض، واجتنبوا النواهي. وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى. وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: زهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية. وخلاصة الاستقامة: العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

هذا؛ والاستقامة توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بلا التفات، ويقين بلا تردد، وتفويض بلا تدبير، وتوكل بلا توهم. والاستقامة درجة بها كمال الأمور، وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات، ونظامها، ومن لم يستقم؛ ضاع سعيه، وخاب أمله، والاستقامة أثر من آثار الدين، وثمرة من ثمار الإيمان الصادق، ونتيجة التقوى، ونظام الأمر، وعنوان التوفيق، وأساس الهداية، وأصل النجاح، وسر الفلاح، ومن لم يستقم في جميع أحواله، ويؤد ما عليه من الواجب نحو ربه، ونبيه، ونحو دينه، ونفسه، وأهله، ووطنه، وجيرانه، وأصدقائه، والناس أجمعين؛ فقد ضل سعيه، وخاب أمله، واضطرب نظام سيره، واختل ميزان تصرفه، وتقلب في أسباب الشقاء. وانظر ما ذكرته في سورة (هود) رقم [١١٢].

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ...﴾ إلخ: قال ابن زيد، ومجاهد: هذا يكون عند الموت، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقال مقاتل، وقتادة: إذا قاموا من قبورهم للبعث. وقيل: تكون في القبر، وقال وكيع، وابن زيد: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث. وخذ قوله تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ رقم [٦٤].

﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي: من الموت، وما بعده من أهوال. ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أي: على ما خلفتم من أهل، وولد، فنحن نخلفكم فيهم. وقيل: المعنى: لا تخافوا من ذنوبكم، ولا تحزنوا لأجلها، فالله يغفرها لكم. ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها على ألسنة الرسل. وفي النسفي: وقال محمد بن علي الصابوني: تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الأرواح الأبدان: أن لا تخافوا سلب الإيمان، ولا تحزنوا على ما كان من العصيان، وأبشروا بدخول الجنان؛ التي كنتم توعدون في سالف الزمان. انتهى.

هذا؛ والخوف: غم يلحق لتوقع مكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه من فوات نافع، أو حصول ضار، وأما التخوف؛ فإنه يأتي بمعنى: التنقص، كما في قوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٤٧]: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾. يروى: أن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل، وقال: هذه لغتنا، التخوف: التنقص. قال: فهل تعرف العرب هذا في أشعارهم؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي: [البسيط]

تَخَوَّفَ الرحلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أيها الناس! عليكم بديوانكم لا تضلوا! قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. هذا؛ ويأتي الخوف بمعنى: العلم، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا...﴾ إلخ سورة (البقرة) [١٨٢] وقوله تعالى رقم [٢٢٩] منها: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ ومعنى البيت: أضعف الرحل الناقة،

وأهزلها، وأنقص سنامها، كما أضعف عود النبعة، وهو القوس، الذي يتخذ من شجر النبع، والسفن كل ما ينحت به من سكين ونحوها.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله. ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿تَتَنَزَّلُ﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: فاعله. والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَلَّا﴾: (أنْ): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿تَخَافُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق؛ و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بـ: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، التقدير: قائلين بألا تخافوا. هذا؛ وأجيز اعتبار (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لا) ناهية، والفعل مجزوم بها، وتؤول (أن) المخففة من الثقيلة مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، مثل الأول. كما أجيز اعتبار (أن) مفسرة، و(لا) ناهية، والفعل مجزوم بها، والجملة الفعلية مفسرة لمعنى التنزيل لا محل لها. ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿وَأَبْشِرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿بِٱلْجَنَّةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: (الجنة). ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: التي كنتم توعدونها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: تقول لهم الملائكة الذين يتنزلون عليهم بالبشارة. قال مجاهد: أي: نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا. فإذا كان يوم

القيامة؛ قالوا: لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة. وقال السدي: أي: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا، وأولياؤكم في الآخرة. انتهى. قرطبي. وقال البيضاوي: نلهمكم الحق في الدنيا، ونحملكم على الخير بدل ما كان الشيطان يفعل بالكفرة الفجرة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ أي: من الملاذ، والكرامات، والدرجات، والنعيم المقيم، والخير العميم. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: ما تطلبون، وتتمنون، وانظر إعلال ﴿تَدَّعُونَ﴾ في سورة (يسٓ) رقم [٥٧] فإنه جيد. وشرح ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ في سورة (الزمر) رقم [٢٦]. ﴿نُزُلًا﴾: هو ما يعد للنازل؛ أي: للضيف، ونحوه من طعام، وشراب، وإكرام. قال أبو السعد الضبي: [الطويل]

وَكُنَّا إِذَا الجبارُ بالجيْشِ ضَافَنَا ... جَعَلْنَا الْقَنَا والمرهفاتِ لهُ نُزْلَا

هذا؛ وذكر أبو البقاء: أنه يجوز أن يكون جمع: نازل، كما قال الأعشى في معلقته رقم [٦٧]. [البسيط]

إنْ تَرْكَبُوا فركوبُ الخيل عَادَتُنَا ... أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

الإعراب: ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾: خبره، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهي من كلام الملائكة. ﴿وَلَكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿تَشْتَهِيٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿أَنفُسُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: ولكم فيها الذي تشتهيه أنفسكم، والجملة الاسمية ﴿وَلَكُمْ فِيهَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وإعراب: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ مثلها بلا فارق، وهي معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿نُزُلًا﴾: حال من قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾، وقيل: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: أنزلناه نزلاً. وقال الجلال: منصوب بـ «جعل» مقدراً، والمعتمد الأول. ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نُزُلًا﴾، وأجيز تعليقهما بالفعل ﴿تَدَّعُونَ﴾، التقدير: تطلبونه من جهة غفور رحيم، كما أجيز تعليقهما بما تعلق به الظرف في (لكم) من الاستقرار؛ أي: استقر لكم من جهة غفور رحيم. قال أبو البقاء: فيكون حالاً من ﴿مَا﴾. انتهى. جمل. ﴿رَّحِيمٍ﴾: بدل من سابقه.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: دعا إلى توحيد الله، وطاعته، بقوله، وفعله، وحاله، وعمل الصالحات، وجعل الإسلام دينه، ومذهبه. قال ابن كثير: وهذه الآية عامة في كل مَنْ دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتدٍ. وقال الزمخشري: والآية عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث: أن يكون مؤمناً معتقداً لدين الإسلام، عاملاً بالخير، داعياً إليه، وما هم إلا طبقة العلماء العاملين. انتهى. صفوة التفاسير. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد، فنفعه لنفسه، ولغيره، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف، ولا يأتونه، بل يأتمر، ويترك الشر. وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتدٍ. وقيل: هو رسول الله ﷺ دعا الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه.

وقيل: إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق؛ فهو داخل في هذه الآية. وللدعوة إلى الله تعالى مراتب: الأولى: دعوة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى الله تعالى بالمعجزات، وبالحجج والبراهين، وبالسيف، وهذه المرتبة لم تتفق لغير الأنبياء. المرتبة الثانية: دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج، والبراهين فقط. والعلماء أقسام: علماء بالله، وعلماء بصفات الله، وعلماء بأحكام الله. المرتبة الثالثة: دعوة المجاهدين إلى الله تعالى بالسيف، فهم يجاهدون الكفار؛ حتى يدخلوا في دين الله، وطاعته. المرتبة الرابعة: دعوة المؤذنين إلى الصلاة، فهم أيضاً دعاة إلى الله تعالى، وإلى طاعته، وانظر سورة (النحل) رقم [١٢٥].

هذا؛ والعمل الصالح على قسمين: قسم يكون من أعمال القلوب، وهو معرفة الله تعالى. وقسم يكون بالجوارح، وهو سائر الطاعات. وقيل: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ صلى ركعتين بين الأذان، والإقامة. فعن عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَ كلِّ أذانَيْنِ صلاةٌ، بَيْنَ كلِّ أذانَيْنِ صلاةٌ، بَيْنَ كلِّ أذانَيْنِ صلاةٌ، وقال في الثالثة لِمَنْ شَاءَ**». متفق عليه. انتهى. من الخازن. ولا تنس: أن الاستفهام بمعنى: أي: لا أحد أحسن! فهو بمعنى: النفي.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿قَوْلًا﴾: تمييز. ﴿مِّمَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَحْسَنُ﴾. ﴿دَعَآ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل مستتر يعود إلى (مَنْ). ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَعَمِلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿صَٰلِحًا﴾: صفة لمفعول به محذوف، التقدير: عمل عملاً صالحاً. وقيل: لمفعول مطلق محذوف. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها

مثلها، واعتبرها أبو حيان في محل نصب حال من فاعل: ﴿دَعَآ﴾ المستتر، وعليه يكون الرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿إِنَّنِي﴾: حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ أي: في الجزاء؛ أي: إن الحسنة، والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها؛ إذا اعترضتك حسنتان، فادفع بها السيئة؛ التي ترد عليك من بعض أعدائك، كما لو أساء إليك رجل إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك، مثل أن يذمك، فتمدحه، أو يقتل ولدك، فتفتدي ولده من يد عدوِّه. انتهى. نسفي. وقال الخازن: يعني الصبر، والغضب، والحلم، والجهل، والعفو، والإساءة.

هذا؛ والحسنة: ما يحمد فاعلها شرعاً، وسميت حسنة؛ لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة. والمراد: بالحسنة المقبولة الأصلية المعمولة للعبد، أو ما في حكمها، كما لو تصدق عنه غيره. وأما السيئة؛ فهي ما يذم فاعلها شرعاً، صغيرةً كانت، أو كبيرةً، وسميت سيئة؛ لأن فاعلها يساء بها عند المجازاة عليها في الدنيا، أو في الآخرة، وأصلها: سيْوِئَة، فقل في إعلالها: اجتمعت الواو، والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أمره بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: صديق قريب. والمعنى: فإنك إذا فعلت ذلك؛ انقلب عدوك المشاق لك مثل الصديق القريب مصافاة لك. قال مقاتل: نزلت الآية في أبي سفيان بن حرب، كان مؤذياً للنبي ﷺ، فصار له ولياً بعد أن كان عدواً بالمصاهرة؛ التي وقعت بينه، وبين النبي ﷺ، ثم أسلم، فصار ولياً في الإسلام حميماً في القرابة، وانظر ما ذكرته في سورة (المؤمنون) رقم [٩٧].

تنبيه: روي: أن رجلاً شتم قَنْبَراً مولى علي بن أبي طالب، فناداه علي: يا قنبر! دع شاتمك، والْهُ عنه؛ ترض الرحمن، وتسخط الشيطان، وتعاقب شاتمك، فما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه. وأنشدوا: [الطويل]

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّماً أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

وقال آخر: [الوافر]

وَمَا شَيْءٌ أَحَبُّ إلى سفيهٍ إِذَا سَبَّ الكريمَ مِنَ الْجَوَابِ
مُتَارَكَةُ السَّفِيهِ بِلَا جَوَابٍ أَشَدُّ عَلَى السَّفِيهِ مِنَ السِّبَابِ

وقال محمود الوراق. وقيل: الخليل بن أحمد: [الطويل]

سأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كلِّ مُذْنِبٍ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ لَدَيَّ الْجَرَائِمُ
فَمَا النَّاسُ إلا واحدٌ مِنْ ثَلاثةٍ شَرِيفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاوِمُ
فأمَّا الَّذِي فوقي فأعرفُ قَدْرَهُ وَأَتْبَعُ فِيهِ الْحَقَّ والْحَقُّ لَازِمُ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فإنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ إجابتِهِ عِرْضِي وإنْ لَامَ لَائِمُ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي، فإنْ زَلَّ أَوْ هَفَا تَفَضَّلْتُ إن الفضلَ بالحلْمِ حَاكِمُ

هذا؛ وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الرعد) وانظر: ﴿يَسْتَوِي﴾ في الآية رقم [٥٨] من سورة (غافر). هذا؛ وبين ﴿الْحَسَنَةُ﴾ و﴿السَّيِّئَةُ﴾ مطابقة. انظر الآية المذكورة من سورة (غافر).

هذا؛ وقال لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ من معلقته رقم [٢١]: [الكامل]

وَاحْبُ الْمُجَامِلَ بِالْجَزِيلِ وَصُرْمُهُ بَاقٍ إذَا ضَلَعَتْ وَزَاغَ قَوَامُهَا

المعنى يقول: لا تعاجل صديقك بقطع الذي بينك وبينه، واخصصه بالمودة ما ثبت لك، فإن مال عن طريق الاستقامة؛ فأنت قادر على قطيعته كل وقت، كما قال النمر بن تولب الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [المتقارب]

فَأَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبّاً رُوَيْداً فَلَيْسَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرِمَا
وَأَبْغِضْ بغيضَكَ بغضاً رُوَيْداً إِذَا أَنتَ حاولْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وقد ذكروا: أنه مأخوذ من قول النبي ﷺ والأصح: أنه من قول علي ـ رضي الله عنه ـ: أَحببْ حبيبَك هوناً مَا؛ عَسَى أَنْ يَكونَ بغيضَك يوماً مَا، وأبغِضْ بغيضَكَ هوناً مَا، عَسَى أن يكونَ حبيبَكَ يوماً مَا.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَسْتَوِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿الْحَسَنَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية في الآية السابقة، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. قاله الفراء، وأنشد قول الشاعر: [البسيط]

مَا كَانَ يَرْضَى رسولُ الله فِعْلَهُمُ والطَّيِّبَانِ أبُو بَكْرٍ ولا عُمَرُ

﴿ٱلسَّيِّئَةُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ٱدْفَعْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿بِٱلَّتِي﴾: متعلقان بما قبلهما، و(التي) صفة لموصوف محذوف؛ أي: بالخصلة التي. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿ٱدْفَعْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإنما لم يقل: فادفع بالتي هي أحسن؛ أي: بقرن الجملة الفعلية بالفاء الفصيحة؛ لأنه على تقدير قائل قال: فكيف أصنع؟ فقال: ادفع بالتي هي أحسن. ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي﴾: (إذا) هي الفجائية. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. وانظر الآية رقم [٢٩] من سورة (يسٓ) ففيها الكفاية. ﴿بَيْنَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَدَٰوَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿كَأَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿وَلِيٌّ﴾: خبر: (كأن). ﴿حَمِيمٌ﴾: صفة: ﴿وَلِيٌّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿كَأَنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، وهو: ﴿ٱلَّذِي﴾.

هذا؛ وقال أبو البقاء: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فيه وجهان: أحدهما: هو أي: الجملة في محل نصب حال من ﴿ٱلَّذِي﴾ بصلته، و﴿ٱلَّذِي﴾ مبتدأ، و(إذا) للمفاجأة. وهي خبر المبتدأ؛ والفائدة تحصل من الحال. والثاني أن يكون ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ خبر المبتدأ، و(إذا) ظرف لمعنى التشبيه، والظرف يتقدم على العامل المعنوي. انتهى. ونقل الجمل عن الكرخي ما يشبهه، وهو يخالف ما نقلته من مغني اللبيب لابن هشام في إعراب مثل هذه الجملة في محاله.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: هذه الفعلة الكريمة، والخصلة الشريفة، والسجية العالية، وهي: مقابلة الإساءة بالإحسان. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: طبعهم، وسجيتهم، وشأنهم الصبر، وكظم الغيظ، واحتمال الأذى، وتحمل المكاره، وتجرع الشدائد. وفي سورة (القصص) رقم [٨٠]: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: صاحب حظ، والحظ: الجَدُّ، وهو البخت، والدولة. يقال: فلان ذو حظ، وحظيظ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظٍ، وجدودٌ، ورحم الله من يقول وهو أبو العلاء المعري: [الكامل]

لا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ حَظٍّ رتبةً قَلَمُ الأديبِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ
سكَنَ السِّمَاكَانِ السماءَ كِلاهُمَا هَذَا لَهُ رُمْحٌ وَهَذَا أَعْزَلُ

السماكان: كوكبان، يقال لأحدهما: الأعزل، وهو من منازل القمر، وهو الذي له النوْء، وسمي أعزل؛ لأنه لا شيء من الكواكب بين يديه، ويقال للآخر: الرامح، وسمي رامحاً بكوكب

يتقدمه. ومعنى البيتين: أنهما مع استوائهما في وجود كل منهما في السماء امتاز أحدهما عن الآخر، فلهذا حظ، ولا حظ لذاك، فالمدار على القضاء الأزلي، والسعد الأولي. اللهم اجعلنا من السعداء، ولا تجعلنا من الأشقياء! وما أحسن قول من قال في بيان حظوظ الرجال: [الرمل]

خَـلَـقَ الـحـظَّ جُـمـانـاً وَحَـصـى خـالِـقُ الإنـسـانِ مِـنْ مـاءٍ وطـيـن

فـولِـيـدٌ تـسـجـدُ الـدُّنْـيَـا لَـهُ وَوَلِـيـدٌ فـي زَوايـا الْـمُـهْـمَـلـيْـن

وقال المتنبي: [الطويل]

هـو الْـحَـظُّ حتى تـفضلَ الـعـينُ أختَـهَـا وحـتـى يـصـيـرَ الـيـومُ لـلـيـومِ سَـيِّـدَا

هذا؛ والحظ: النصيب. قال تعالى في سورة (النساء) في آية المواريث: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وقال في سورة (المائدة) في ذم اليهود اللؤماء: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ رقم [١٤] وقيل: الحظ العظيم: الجنة. ولا وجه له في جميع ما ذكرت من الآيات.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و(ها): مفعول به ثان. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، وهو المفعول الأول، وجملة: ﴿صَبَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الفعلية ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الخصلة التي رأيت تقديرها؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا﴾: مثل سابقه. ﴿ذُو﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة وهو المفعول الأول مثل سابقه، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿حَظٍّ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: ﴿حَظٍّ﴾، والجمل الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: ينخسك من الشيطان نخس. المعنى: وإن يوسوس لك الشيطان بترك مقابلة الإساءة بالإحسان، ويحملك على خلاف ما أمرت به، كغضب، وتفكير بشيء غير حسن؛ فاستعذ بالله من شره، ولا تطعه. هذا، والنخس، والنزغ، والنسغ، والنغز، والهمز، والوسوسة ألفاظ مترادفة، وأصل النزغ: الفساد، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ أي: أفسد. فقد شبه سبحانه وتعالى وسوسة الشيطان، وإغواءه للناس بنخس السائق الدابة بشيء لتسير. وفي الجمل: وعبر عن وسوسة الشيطان بالنزغ على سبيل المجاز

العقلي على حد: جدَّ جدُّه، ففي الكلام مجازان، والأصل: وإن يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به؛ فاستعذ بالله. انتهى.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ أي: استجر، وتحصن، واطلب النجاة من ذلك بالله. فأمر سبحانه العبد المؤمن أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه، والاستعاذة به. ولله المثل الأعلى، فلا يستعاذ من الكلاب إلا بصاحب الكلاب.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أي: لاستعاذتك، وأقوالك. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: بأحوالك، وأفعالك، وجميع تصرفاتك، فيجازيك عليها، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ. هذا؛ وفي الآية الكريمة استعارة تبعية؛ حيث شبه الإغراء على المعاصي بالنزغ، واستعير النزغ للإغراء، ثم اشتق منه: ينزغنك. هذا؛ والآية الكريمة مذكورة بحروفها في سورة (الأعراف) رقم [٢٠٠] بزيادة ﴿هُوَ﴾ و(أل) هنا؛ لأن ما هنا متصل بمؤكد بالتكرار، وبالحصر، فناسب التأكيد بما ذكر، وما في (الأعراف) خليٌّ عن ذلك، فجرى على القياس من كون المسند إليه معرفة، والمسند نكرة. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

الإعراب: ﴿وَإِمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (إما): هي (إن) الشرطية، مدغمة في: (ما) الزائدة، لتؤكد معنى الشرط؛ لأن معنى (إنْ) في الأصل الشك، فزال هذا المعنى بسبب (ما)، ولذا أكد الفعل بعدها بنون التوكيد الثقيلة. وذكر ابن هشام في المغني: أن توكيد الفعل بعدها قريب من الواجب، وذكر آيات كثيرة الفعل المضارع مؤكد فيها بنون التوكيد. وأضيف: أنه قرئ قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٢٦]: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ من غير توكيد الفعل بنون التوكيد. ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَزْغٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿نَزْغٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (استعذ): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير فصلاً، لا محل له، واعتباره توكيداً لاسم (إنَّ) على

المحل. وعليهما: فالاسمان العظيمان خبران لـ: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾ أي: ومن علاماته الدالة على قدرته، وتوحيده. ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي: إنه تعالى خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يفتران، وخلق الشمس، ونورها، وإشراقها، والقمر، وضياءه، وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه؛ ليعرف باختلاف سيره، وسير الشمس مقادير الليل، والنهار، والشهور، والأعوام، ويتبين بذلك حلول، أوقات العبادات، والمعاملات، ثم لما كان الشمس، والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي، والسفلي؛ نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، وهما تحت قهره، وتسخيره، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾. انتهى. مختصر ابن كثير.

﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ وصورهن، وسخرهن. هذا رد على من يعبد الشمس، والقمر، وإنما تعرض للأربعة مع أن الناس لم يعبدوا الليل، والنهار؛ للإيذان بكمال سقوط الشمس، والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعراض؛ التي لا قيام لها بذاتها، وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته، وإنما عبر عن الأربع بضمير الإناث مع أن فيها ثلاثة مذكرة، والعادة تغليب المذكر على المؤنث؛ لأنه لما قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾ فنظم الأربعة في سلك الآيات، صار كل واحد منها آية، فعبر عنها بضمير الإناث في قوله: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ انتهى. جمل نقلاً من السمين وغيره، وقال النسفي تبعاً للزمخشري: لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى، أو الإناث، تقول: الأقلام بريتها، وبريتهن. انتهى. وهذا لا غبار عليه.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: فاسجدوا له وحده. والسبب: أن ناساً كانوا يسجدون للشمس، والقمر، والكواكب، كالصابئين، ويزعمون: أن سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله عز وجل، فنهوا عن السجود لهذه الوسائط، وأمروا بالسجود لله الذي خلق هذه الأشياء كلها. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلَّيْلُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾: هذه الأسماء معطوفة على: ﴿ٱلَّيْلُ﴾. ﴿لَا تَسْجُدُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق.

﴿لِلشَّمْسِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإنما لم يقل: فلا تسجدوا... إلخ؛ أي: بقرن الجملة الفعلية بالفاء الفصيحة؛ لأنه على تقدير قائل قال: فكيف نصنع؟ فقال: لا تسجدوا.. إلخ. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿لِلْقَمَرِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَاسْجُدُوا﴾: الواو: حرف عطف. (اسجدوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: لـ: (الله)، أو هو بدل منه. ﴿خَلَقَهُنَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿الَّذِي﴾، وهو العائد، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف انظر تقديره في الشرح، والجملة الشرطية متعلقة بما قبلها، فهي مستأنفة مثله.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: الكفار، ومن على شاكلتهم من الملحدينَ، والفاسقين، والفاسدين، والمفسدين عن السجود لله تعالى. وامتثال أوامره. ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: المراد بهم الملائكة. ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: وهم لا يملون تسبيح الله، وعبادته. قال زهير في معلقته رقم [٥٨]: [الطويل]

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

ومعنى الآية الكريمة: فإن استكبروا، ولم يمتثلوا ما أمروا به، وأبوْا إلا الواسطة - مع أنهم أمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصاً - فدعهم، وشأنهم، فإن الله تعالى لا يعدم عابداً، وساجداً بالإخلاص، وله العباد المقربون؛ الذين ينزهونه بالليل، والنهار عن الأنداد. و﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة، فهي عندية تشريف، وتكريم، لا عندية مكان.

هذا؛ وفي الآيتين سجدة من عزائم السجود، يسن للقارئ، والسامع، والمستمع السجود عند تلاوتها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (السجدة) ففيها كبير فائدة. وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء، وهما وجهان لأصحاب الشافعي: أحدهما: أنه عند قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وهو قول ابن مسعود، والحسن، وحكاه الرافعي عن أبي حنيفة، وأحمد؛ لأن ذكر

السجدة قبله. والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي، وكذلك نقله الرافعي: أنه عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ وهو قول ابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة؛ لأن عنده تمام الكلام. انتهى. خازن بحروفه. والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿فَإِنِ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿ٱسْتَكْبَرُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية... إلخ، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فدعهم، وشأنهم، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف تعليل. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان به. ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل لجواب الشرط المحذوف، الذي رأيت تقديره. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ المنفية في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ أي: ومن العلامات الدالة على قدرة الله، وعظمته، والباعثة على توحيده، وعبادته. ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾: يابسة متطامنة. مستعار من الخشوع بمعنى: التذلل لحال الأرض؛ إذا كانت قحطة، لا نبات فيها. وفي القرطبي: الخطاب لكل عاقل؛ أي: ومن آياته الدالة على أنه يحيي الموتى: ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ أي: يابسة جدبة. هذا وصف الأرض بالخشوع، قال النابغة: [الطويل]

رمادٌ ككُحْلِ العَيْنِ لأياً أُبَيْنُهُ ... وَنُؤْيٌ كَجِذْمِ الحَوْضِ أَثْلَمُ خاشِعُ

والأرض الخاشعة: الغبراء؛ التي لا تنبت، وبلدة خاشعة مغبرة لا ينزل بها مطر. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: بالنبات. قاله مجاهد. يقال: اهتز الإنسان؛ أي: تحرك. ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: انتفخت، وعلت قبل أن تنبت. قاله مجاهد. أي: تصدعت عن النبات بعد موتها، وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم، وتأخير، وتقديره: ربت، واهتزت. والاهتزاز، والربو قد يكونان

قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض، فربوها: ارتفاعها، ويقال للموضع المرتفع: ربوة، ورابية، فالنبات يتحرك للبروز، ثم يزداد في جسمه بالكبر، طولاً، وعرضاً. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ استعارة مكنية، فقد استعير الخشوع، وهو التذلُّل، والتقاصر لحال الأرض عند قحطها، وجفافها، كما استعير الهمود في آية (الحج) وكذلك يقال في الاهتزاز، والربو.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ أي: أحيا الأرض بعد موتها بنزول المطر عليها. ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ أي: لقادر على إحياء الأموات، وإخراجهم من قبورهم للبعث، والحساب والجزاء. ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لا يعجزه ـ جل وعلا ـ شيء، فكما أخرج النبات من زروع، وثمار من الأرض المجدبة؛ فإنه قادر على إحياء الموتى.

قال الصابوني نقلاً من «مناهل العرفان» للزرقاني: ومن خصائص أسلوب القرآن العظيم: أنه يخاطب العقل، والقلب معاً، ويجمع الحق، والجمال معاً. انظر إليه، وهو في معمعان إقامة الدليل العقلي على البعث، والنشور في مواجهة المنكرين المكذبين كيف يسوق استدلاله سَوْقاً يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة إمتاعاً بما جاء في طيّ هذه الأدلة المسكتة المقنعة؟! إذ قال سبحانه في سورة (فصلت): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ...﴾ إلخ، تأمل هذا الأسلوب البارع؛ الذي أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آنٍ واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل؛ إذ قال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ يا لَلْجمال الساحر! ويا للإِعْجاز الباهر؛ الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً بأنصع الأدلة، وأجمل البيان في هذه الكلمات المعدودات. انتهى.

الإعراب: (من آياته): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿خَٰشِعَةً﴾: حال من: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾؛ لأن الفعل بصري، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (إذا): انظر رقم [٢٠]. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْمَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾، والتاء للتأنيث، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. ﴿وَرَبَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء

التأنيث التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها مثله.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسمها. ﴿أَحْيَاهَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، و(ها): مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَمُحْيِ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مُحْي): خبر: ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي للتعليل لا محل لها على الاعتبارين. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مؤكدة لما قبلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: يميلون عن الحق في أدلتنا بالطعن. يقال: ألحد الحافر في الأرض، ولحد: إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق. والإلحاد: الميل، والعدول، ومنه: اللحد في القبر؛ لأنه أميل إلى ناحية منه، فاستعير لحال الأرض إذا كانت ملحودة، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة، والاستقامة. هذا؛ والمراد: بـ: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن. والإلحاد فيه: قولهم: شعر، أو كهانة، أو سحر. وقيل: باللغو عند تلاوة القرآن بالمكاء، والتصدية، واللغو، والغناء. وقيل: المراد بـ: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ المعجزات. وهو يرجع إلى الأول، فإن القرآن معجز. هذا؛ ومن الإلحاد في القرآن ما يدعيه الباطنيون الملحدون، فإنهم يقولون: القرآن فيه ظاهر، وباطن، وإن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن. وقصدهم من وراء هذا الكلام نفي الشريعة، وإبطال الأحكام. وهذا بلا شك إلحاد في الدين، فمثلاً يقولون في قوله تعالى في سورة (الرحمٰن) رقم [١٩]: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ البحران علي وفاطمة. ويقولون في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ هما الحسن، والحسين، والحاجز بينهما محمد ﷺ. ويتأولون قوله تعالى في سورة (الحديد): ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ بأن الدين فيه باطن، وظاهر، ويفسرونه تفسيرات باطلة. لا يقرها لغة، ولا عقل، ولا دين! ولا حول، ولا قوة إلا بالله!.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾: فنجازيهم على إلحادهم، وهو وعيد، وتهديد لهم. ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾: على وجهه، وهو أبو جهل في قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. ﴿خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: قيل: هو الحمزة. وقيل: عثمان. وقيل: عمار بن ياسر. والأولى التعميم بحق كل كافر، والتعميم في حق كل مؤمن يعمل صالحاً، فالذي يلقى في النار الكافر، والذي يأتي آمناً يوم القيامة المؤمن. ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾: تهديد شديد، فالأمر ليس على حقيقته، وذلك كقوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٢٩]: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ إلخ.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله بالكفر، وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا، وهو ناهٍ عنه، ومتوعدٌ عليه؟! قلت: هو مجاز عن الخذلان، والتخلية، وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية. ومثاله: أن ترى الرجل قد عزم على أمر، وعندك: أن ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم، فتبالغ في نصحه، واستنزاله عن رأيه، فإذا لم تر منه إلا الإباء، والتصميم؛ حردت عليه، وقلت: أنت؛ وشأنك، وافعل ما شئت! فلا تريد بهذا حقيقة الأمر، وكيف والآمر بالشيء مريد له؟! وأنت شديد الكراهة متحسر، ولكن كأنك تقول له: فإذْ قد أبيت النصيحة؛ فأنت أهل لأن يقال لك: افعل ما شئت، وتبعث عليه؛ ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح، وفساد رأيك. انتهى. بحروفه من سورة (العنكبوت) الآية رقم [٦٦].
﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: وعيد بتهديد وتوعد بالمجازاة.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يُلْحِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخْفَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَلَيْنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. وقيل: وتقرير. الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُلْقَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَم﴾: حرف عطف معادل لهمزة الاستفهام. ﴿مَّن﴾: مبتدأ. ﴿يَأْتِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى: ﴿مَّن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ءَامِنًا﴾: حال من فاعل: ﴿يَأْتِىٓ﴾ المستتر. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو بـ: ﴿ءَامِنًا﴾، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه، وخبر المبتدأ محذوف، لدلالة ما قبله عليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿شِئْتُمْ﴾: فعل،

وفاعل، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو: شيئاً شئتموه. وإن اعتبرتها مصدرية؛ تؤول مع ما بعدها بمصدر، فيكون التقدير: اعملوا مشيئتكم. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء تعملونه. وعلى الثالث تؤول (ما) مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، وجملة: ﴿ٱعْمَلُوا۟...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: كفار قريش. ﴿بِٱلذِّكْرِ﴾ أي: بالقرآن في قول الجميع. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: جاءهم به محمد ﷺ من عند الله. وانظر الإعراب يظهر لك المعنى أكثر. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ أي: عزيز على الله. أو: كريم على الله تعالى. وقيل: العزيز: العديم النظير، وذلك: أن الخلق عجزوا عن معارضته. وقيل: أعزه الله بمعنى: منعه، فلا يجد الباطل إليه سبيلاً، وهو ما في الآية التالية.

الإعراب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والموصول اسمه، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بما قبله. ﴿جَآءَهُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (الذكر)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها، وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، التقدير: معاندون، أو هالكون، أو هو جملة: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ...﴾ إلخ في الآية رقم [٤٤] وما بينهما اعتراض. وهناك أقوال ضعيفة ذكرها ابن هشام في المغني، والجمل أيضاً ذكرها. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَكِتَـٰبٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿عَزِيزٌ﴾: صفة (كتاب)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وأجاز الزمخشري، والبيضاوي اعتبارها بدلاً من: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ...﴾ إلخ.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: لا يكذبه شيء مما أنزل الله من قبل، ولا ينزل من بعده كتاب يبطله، وينسخه. قاله الكلبي. وقيل: معناه: أن الباطل لا يتطرق

إليه، ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات؛ حتى يصل إليه. وقيل: لا يأتيه الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان، ولا فيما تأخر. وقال السدي، وقتادة: الباطل: الشيطان، لا يستطيع أن يغير فيه، ولا يزيد، ولا ينقص منه. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾: في أقواله، وأفعاله. ﴿حَمِيدٍ﴾: بمعنى: محمود؛ أي: في جميع ما يأمر به، وينهى عنه. أو: يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: أما طعن فيه الطاعنون، وتأوله المبطلون؟ قلت: بلى، ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به، بأن قيض قوماً عارضوهم بإبطال تأويلهم، وإفساد أقاويلهم، فلم يخلُّوا طعن طاعن إلا ممحوقاً، ولا قول مبطل إلا مضمحلاً. ونحوه قوله تعالى في سورة (الحجر): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ولا يبعد أن يريد بكلامه هذا مذهبه الاعتزالي، وما قاله بشأن القرآن هو، ومن على شاكلته. ومبحث ذلك في كتب علم الكلام، والعقيدة.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَأْتِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (كتاب) بعد وصفه بما تقدم، أو هي في محل رفع صفة ثانية لـ: (كتاب). وقيل: في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مِنۢ بَيْنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَيْنِ﴾ مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء لأن لفظه مثنى، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. وقيل: صلة للتوكيد. ﴿مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿تَنزِيلٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو تنزيل. والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿تَنزِيلٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقول لك كفار قومك من الأذى، والتكذيب. ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم، أو ما يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم، وأمرهم به من التوحيد، والإخلاص له؛ لأنه لا خلاف بين الشرائع فيما يتعلق بالتوحيد، وإخلاص العبادة له، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ رقم [٦٥] من سورة (الزمر). ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: ورحمة لمن تاب، وأناب، وآمن به. ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: لمن أصر على التكذيب، ومعاداتك يا محمد. ويكون كقوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٦]: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. هذا؛ وقيل: إن قوله: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ...﴾ إلخ استفهام؛ أي: أي: شيء يقال لك؟ والله أعلم.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿يُقَالُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع نائب فاعل. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، يقرب الماضي من الحال. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾، وهو العائد، أو الرابط. ﴿لِلرُّسُلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: (الرسل)، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها. هذا؛ وعلى الاستفهام ف: ﴿مَا﴾ مبتدأ، ونائب الفاعل يعود إليها، والجملة الفعلية في محل رفع خبرها، و﴿مَا﴾ الثانية في محل رفع بدل من الأولى، ولكن المعنى ركيك على الاستفهام، والجملة سواء أكانت فعلية، أم اسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾ في الآية السابقة. وهو ضعيف.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَذُو﴾: اللام: المزحلقة. (ذو): خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذو) مضاف، و﴿مَغْفِرَةٍ﴾ مضاف إليه، و(ذو عقاب): معطوف على ما قبله. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة: ﴿عِقَابٍ﴾. هذا؛ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ بدل من: ﴿مَا﴾ وصلتها، وجاز إسناد ﴿يُقَالُ﴾ إلى الجملة، كما جاز في: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ رقم [٣٢] من سورة (الجاثية). هذا كله إن كان المعنى: ما يقول الله لك إلا ما قد قيل، فأما إن كان المعنى: ما يقول لك كفار قومك من الكلمات المؤذية إلا مثل ما قد قال الكفار الماضون لأنبيائهم ـ وهو الوجه الذي بدأ به الزمخشري ـ فالجملة استئناف. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي: ولو جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه يا محمد على الناس، وعلى قومك أعجمياً بغير لغة العرب. ويظهر: أن هذا جواب لقولهم: هلا نزل القرآن بلغة العجم؟! ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: بينت بلغتنا، فإننا عرب، لا نفهم الأعجمية! فبين: أنه أنزله بلسانهم؛ ليتقرر به معنى الإعجاز؛ إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً، ونثراً، وإذا عجزوا عن معارضته؛ كان من أدل الدليل على أنه من عند الله. ولو كان بلسان العجم؛ لقالوا: لا علم لنا بهذا اللسان. وإذا ثبت هذا؛ ففيه دليل على أن القرآن عربي، وأنه نزل بلغة العرب، وأنه ليس أعجمياً، وأنه إذا نقل عنها إلى غيرها لم يكن قرآناً. انتهى. قرطبي.

﴿ءَا۬عۡجَمِيٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾ أي: لقالوا: أقرآن أعجمي، ونبي عربي؟! هذا؛ والأعجمي: هو الذي لا يفصح في كلامه، والعرب تسمي كل من لا يعرف لغتهم، ولا يتكلم بكلامهم: أعجمياً. وقال الفراء: الأعجم: هو الذي في لسانه عجمة؛ وإن كان عربياً، ومنه سمي زياد الأعجم؛ لأنه كان في لسانه عجمة؛ أي: لكنة مع كونه من العرب. والأعجمي، والعجمي: الذي أصله من العجم، فهو منسوب إليه. هذا؛ والأعرابي: هو الذي يسكن في البادية، والعربي: هو الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب، وهو منسوب إلى العرب، وجمع الأول: الأعراب، كما في الآية رقم [٩٠] من سورة (التوبة)، وجمع الثاني: العرب، والعَرْبُ والعُرْبُ واحد، كالْعَجَم، والْعُجْم، فبينهما طباق التضاد. هذا؛ وقال أبو حيان: الياء في أعجمي للمبالغة في الوصف، وليس النسب فيه حقيقاً، وقال الرازي في لوامحه: فهي ك: (ياء) كرسي.

هذا؛ وروى سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ قال: قالت قريش: لولا أنزل القرآن عربياً، وعجمياً، فيكون بعض آياته عجمياً يفهمها العجم، وبعض آياته عربياً، يفهمها العرب، فنزلت الآية. وأنزل في القرآن من كل لغة، فمنه: «السجِّيل» وهي فارسية، وأصلها: سنك كيل، أي: طين، وحجر، ومنه: «الفردوس» رومية، وكذلك «القسطاس». انتهى. قرطبي، وأيضاً: «السندس»، و«الإستبرق». وانظره في محاله.

﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ﴾ أي: يا محمد! قل: إن هذا القرآن هدى للمؤمنين من الضلالة، وشفاء لهم من الجهل، والشك، والريب. ففيه من التشبيه البليغ ما لا يخفى. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: بالله، وبما أنزل على محمد ﷺ. ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾ أي: صمم عن سماع آياته، وتفهم معانيه. ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ أي: كما أن هذا القرآن رحمة للمؤمنين، وشفاء لما في صدورهم، هو شقاء، وتعاسة على الكافرين، كما قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٨٢]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

قال «زاده» في حاشيته على «البيضاوي»: إن القرآن لوضوح آياته، وسطوع براهينه هادٍ إلى الحق، ومزيل للريب، والشك، وشفاء من داء الجهل، والكفر، والارتياب. ومن ارتاب فيه، ولم يؤمن به؛ فارتيابه إنما نشأ عن توغله في اتباع الشهوات، وتقاعده عن تفقده ما يسعده، وينجيه. انتهى. صفوة التفاسير. وانظر ما ذكرته في سورة (السجدة) رقم [٢] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وانظر شرح آية الإسراء المذكورة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ أي: أولئك الكافرون بالقرآن هم شبيهون بمن ينادىٰ من مكان بعيد، فإنه لا يسمع، ولا يفهم ما ينادى به. وهذا على سبيل التمثيل. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد مثل البهيمة؛ التي لا تفهم إلا دعاءً، ونداءً. انتهى. صفوة التفاسير. وقد عده بعضهم من الاستعارة التمثيلية. وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من

مكان بعيد، فيكون ذلك أشدَّ لتوبيخهم، وفضيحتهم. هذا؛ وإعلال: ﴿عَمًى﴾ مثل إعلال ﴿هُدًى﴾ في الآية رقم [٥٤] من سورة (غافر).

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿قُرْءَانًا﴾: مفعول به ثان. ﴿أَعْجَمِيًّا﴾: صفة له، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّقَالُوا۟﴾: اللام: واقعة في جواب لو. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿فُصِّلَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَّقَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له.

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (أعجمي): فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: أأعجمي، وعربي يستويان؟! وساغ الابتداء بالنكرة لاعتماده على الاستفهام. والثاني: أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: أهو أعجمي، والمرسل به عربي؟! والثالث: أنه فاعل بفعل محذوف، التقدير: أيستوي أعجمي وعربي؟! وهذا ضعيف؛ إذ لا يحذف الفعل إلا في مواضع معروفة. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ والجملة مستأنفة، لا محل لها، على الوجوه الثلاثة.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، أو هما متعلقان بـ: (شفاء)؛ لأنه مصدر، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿هُدًى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿وَقْرٌ﴾: فاعل بمتعلق الجار، والمجرور؛ أي: وجد، أو استقر في آذانهم وقر. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿وَقْرٌ﴾ مبتدأ مؤخراً، وتكون الجملة الاسمية، في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي في محل نصب مقول القول. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): مبتدأ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿عَمًى﴾ على مثال ما تقدم. ﴿عَمًى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، مثل ﴿هُدًى﴾ والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُنَادَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مِن مَّكَانٍۭ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة: ﴿مَّكَانٍۭ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وأجيز اعتبارها خبراً لـ: ﴿إِنَّ﴾ في الآية رقم [٤١] وهو أحد الأوجه الضعيفة التي قيلت في خبرها هناك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة. ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: فآمن به قوم، وعملوا بتعاليمه، وكفر به قوم؛ حيث حرفوا، وبدلوا، وغيروا فيه، ولم يعملوا بتعاليمه، كما اختلف قومك يا محمد في هذا القرآن بين مصدق ومكذب. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: وهي كلمة الإنظار، والإمهال بتأخير العذاب للمجرمين إلى يوم القيامة، فإنه يوم الفصل، والجزاء. ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بإنزال ما يستحقه المجرم، والمكذب من العذاب؛ ليتميز به عن المحق. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: وإن قومك لفي شك من القرآن موقع في الريبة؛ لتبلد عقولهم، وعمى أبصارهم. هذا؛ وقيل: الكلمة التي سبقت هي قوله تعالى في الحديث القدسي: «**سبقت رحمتي غضبي**». وانظر (الريب) في سورة (غافر) رقم [٥٩]، وانظر ما ذكره الرسول ﷺ من وقوع أنواع العذاب في هذه الأمة في آخر الزمان في الآية رقم [١٨].

هذا؛ وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهو تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. وأضيف: أن الآية مذكورة بحروفها في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام برقم [١١٠].

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله. والجار، والمجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مُوسَى﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، وانظر الآية رقم [٦٢] من سورة (يسٓ) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿فَٱخْتُلِفَ﴾: الفاء: حرف عطف. (اختلف): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل رفع نائب فاعله. وقيل: نائب الفاعل مستتر فيه، ولا وجه له ألبتة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. والجملة القسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَوْلَا﴾: الواو:

حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ. ﴿سَبَقَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى: ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿كَلِمَةٌ﴾، وخبر المبتدأ محذوف، التقدير: موجودة. ﴿لَقُضِيَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (قضي): ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وهو نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويجوز أن يكون نائب الفاعل ضميراً مستتراً تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، التقدير: وقضي هو؛ أي: القضاء. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] من سورة (سبأ) فبين الآيتين شبه قوي. وجملة: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ جواب (لولا) لا محل لها، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. وقيل: معطوف على ما قبله، والأول أولى. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَفِي﴾: اللام: هي المزحلقة. (في شك): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مِّنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿شَكٍّ﴾؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له. ﴿مُرِيبٍ﴾: صفة: ﴿شَكٍّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، والاستئناف ممكن. تأمل، وتدبر.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾: فصلاحه لنفسه؛ لأنه يعود عليها بالثواب، وجزيل الأجر. ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: أساء العمل، فإساءته عائدة على نفسه بالضرر. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بذي ظلم؛ أي: فظلام صيغة نسب كتمَّار، وخبَّاز، وبقَّال، لا صيغة مبالغة، فالمراد نفي نسبة الظلم، لا نفي المبالغة؛ لأن نفيها يثبت بعض الظلم، والله منزه عنه قطعاً، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ ومثل الآية الكريمة ما رواه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يكون المُؤمنُ لَعَّاناً**». أخرجه الترمذي، ومن هذا الباب قول امرئ القيس، وهو الشاهد رقم [١٧٥] من كتابنا: فتح القريب المجيب: [الطويل]

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعَنُنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ

الإعراب: ﴿مَّنْ﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون، في محل رفع مبتدأ. ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿مَّنْ﴾. ﴿صَٰلِحًا﴾: صفة لمفعول به محذوف، أو لمفعول مطلق محذوف. ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لنفسه): جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: فَعَمِلَ لنفسه، أو هما متعلقان بمحذوف

خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فعمله لنفسه، وهو قول ابن هشام في المغني، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة سواء أكانت فعلية أم اسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، والمعتمد أنه جملتا الشرط والجواب. هذا؛ وإن اعتبرت (من) اسماً موصولاً فجملة: ﴿عَمِلَ صَٰلِحًا﴾: صلته، والجملة الثانية خبره، ودخلت الفاء في الخبر لشبه الموصول بالشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق، وهذه الآية مذكورة في سورة (الجاثية) برقم [١٤] هذا؛ ولا تنسَ المطابقة بين الجملتين المتعاطفتين.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما) نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿رَبُّكَ﴾: اسم (ما)، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ظلّام) خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. وفاعله مستتر فيه. ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: متعلقان بظلام، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل في محل نصب حال وضعفه ظاهر.

الجزء ٢٥ ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله تعالى. ﴿يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: علم قيامها، ووقوعها؛ بمعنى: إذا سأل عنها سائل؛ قيل له: لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله تعالى، ولا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك، كما قال سيد البشر ﷺ لجبريل عليه السلام حين سأله عن الساعة: «**ما المسؤولُ عَنْها بأعلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» وكما قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ سورة (النازعات)، وكما قال في آخر سورة (لقمان): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ إلخ.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي: من أوعيتها، فالأكمام: أوعية الثمرة، واحدها: كمة، وهي كل ظرف لمال، أو غيره. وضبطه الزمخشري بكسر الكاف، وهو ما يغطي الثمرة من الزهر، وقال الراغب: الكم ما يغطي اليد من القميص، وما يغطي الثمرة، وجمعه: أكمام، فهذا يدلُّ على أنَّه مضموم الكاف؛ إذ جعله مشتركاً بين كمّ القميص، وكمّ الثمرة، ولا خلاف في كمّ القميص أنّه بالضم، فيجوز أن يكون في وعاء الثمرة لغتان دون كمّ القميص جمعاً بين قوليهما. انتهى. جمل.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: إلّا مقروناً بعلمه، واقعاً حسب تعلّقه به. انتهى. بيضاوي. وفي الخازن: أي: يعلم قدر أيام الحمل، وساعاته، ومتى يكون الوضع، وذَكَرٌ الحَمْلُ هو أم أنثى، ولونه. ومعنى الآية: كما يرد إليه علم الساعة؛ فكذلك يرد إليه علم ما يحدث من شيء، كالثمار، والنتاج. وخذ قوله تعالى من سورة (الرعد) رقم [٨]: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا

تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ وقوله تعالى في سورة (الأنعام) [٥٩]: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ...﴾ إلخ انظر شرحها هناك تجد ما يسرُّك.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي﴾ أي: ينادي الله المشركين يوم القيامة: أين شركائي الذين زعمتموهم؟ هذا؛ وأطلق على الأصنام اسم الشركاء لأحد أمرين: أحدهما: أن المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس. وثانيهما: أنَّهم يشركونها في الأموال، والأنعام، والزروع. انظر الآية رقم [١٣٨] من سورة (الأنعام) وما بعدها. ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الأصنام المعبودة من دون الله تعالى. وقيل: المشركون، ويحتمل أن يريدهم جميعاً العابد، والمعبود. ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾: أعلمناك؟ وأخبرناك الآن بالحقيقة. ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ أي: من يشهد اليوم بأن لك شريكاً. قال المفسرون: لما عاينوا القيامة؛ تبرؤوا من الأصنام. وتبرأت الأصنام منهم، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقت لا ينفع فيه إيمان، وتوحيد.

تنبيه: جاء في الظلال ما يلي: ويذهب القلب يتتبع الثمرات في أكمامها، والأجنة في أرحامها، ويطوف في جنبات الأرض يرقب الأكمام التي لا تحصى، ويتصور الأجنة التي لا يحصرها خيال، وترتسم في الضمير صورة رائعة لعلم الله، بقدر ما يطيق القلب البشري أن يتصور من الحقيقة التي ليس لها حدود.

تنبيه: جاء في الخازن مايلي: فإن قلت: قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولاً فيصيب فيه، وكذلك الكهان، والمنجمون! قلت: أما أصحاب الكشف إذا قالوا قولاً؛ فهو من إلهام الله تعالى، وإطلاعه إياهم عليه، فكان من علمه الذي يُردُّ إليه. وأمَّا الكهان، والمنجّمون فلا يمكنهم القطع، والجزم بشيء مما يقولونه ألبتة، وإنَّما غايته ادّعاء ظنّ ضعيف قد لا يصيب، وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به، الذي لا يشركه فيه أحد.

هذا؛ وأقول: وما اخترع من أشياء، وما اكتشف من أمور في هذا العصر، وما يتحدّثون عنه من مغيّبات مثل نزول المطر، وعن وصف الجنين في الرحم، وغير ذلك، إنما هو قائم على التجربة، والحدس، والتخمين، وكثيراً ما يخطئ، وقد يصيب، فيبقى من علم الله تعالى.

الإعراب: ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يُرَدُّ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿عِلۡمُ﴾: نائب فاعله، و﴿عِلۡمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلّ لها، وقدّم الجار والمجرور للاختصاص. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما) نافية. ﴿تَخۡرُجُ﴾: فعل مضارع. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿ثَمَرَٰتٖ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنۡ أَكۡمَامِهَا﴾: جار ومجرور متعلّقان بمحذوف صفة: ﴿ثَمَرَٰتٖ﴾. وقيل: متعلقان بالفعل: ﴿تَخۡرُجُ﴾، والمعنى على الأول أقوى، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما

قبلها، لا محلّ لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (إلى) فلا بأس به، ويكون الرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً بالإضافة بقوله: ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾ لأنَّ الجمل المتعاطفة كالجملة الواحدة. هذا؛ وقيل: (ما) موصولة في محل جر عطف على: ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ التقدير: علم الساعة، وعلم التي تخرج. والمعنى: لا يؤيده.

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿تَحۡمِلُ﴾: فعل مضارع. ﴿مِنۡ﴾ حرف جر صلة. ﴿أُنثَىٰ﴾: فاعله مجرور لفظاً منصوب محلاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَضَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿أُنثَىٰ﴾، ومفعوله محذوف، التقدير: ولا تضعه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِعِلۡمِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال؛ أي: إلَّا مقروناً بعلمه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. (يوم): ظرف زمان: مفعول به، أو هو متعلّق بفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم، أو هو ظرف لمضمر قد ترك إيذاناً بقصور البيان عنه، أو هو متعلّق بما بعده. ﴿يُنَادِيهِمۡ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّكَ﴾ في الآية السابقة، والهاء مفعول به. ﴿أَيۡنَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية متعلّق بمحذوف خبر مقدّم. ﴿شُرَكَآءِي﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلّم في محلّ جر بالإضافة، من إضافة جمع اسم الفاعل لفاعله، أو لمفعوله، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (ينادي)، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها، وجملة: (اذكر يوم يناديهم. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعول به أول، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿مِنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. (من): حرف جر صلة. ﴿شَهِيدٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني، والثالث لـ: (آذن) لأنَّه يتعدّى لثلاثة كـ: «أعلم»، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨﴾

الشرح: ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ أي: غاب عن الكافرين. والتعبير بالماضي عن المستقبل في هذه الآيات إنّما هو لتحقق الوقوع يوم القيامة. وانظر شرح ﴿ضَلَّ﴾ في سورة (الصافات) رقم [٧١]. ﴿مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ أي: يعبدون من دون الله، والمراد: الأصنام التي كانوا يعبدونها في

الدنيا. ﴿وَظَنُّواْ﴾ أي: وأيقنوا، وعلموا. ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: مهرب، وملجأ يلجؤون إليه، من: حاص، يحيص حيصاً: إذا هرب.

الإعراب: ﴿وَضَلَّ﴾: الواو: حرف عطف. (ضَلَّ): فعل ماض. ﴿عَنْهُم﴾: جار ومجرور متعلّقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محلّ رفع فاعل. ﴿كَانُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَدْعُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، وهو العائد، والجملة الفعلية في محلّ نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلّ لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلّقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً، وجملة: ﴿وَضَلَّ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ لا محلّ لها مثلها. (ظنوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: نافية معلقة للفعل (ظنوا) عن العمل. ﴿لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب ﴿مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ بلا فارق، وهي في محلّ نصب سدّت مسدّ مفعولي (ظنّ)، وجملة: ﴿وَظَنُّواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لا يمل، وانظر الآية رقم [٣٨]. ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: من سؤاله، وطلبه الخير؛ الذي هو: المال، والصحة، والعز، والجاه، والسلطان. والمراد بالإنسان هنا: الكافر، بدليل قوله الآتي: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: أصابه ما يكره في نفسه، أو ماله، أو ولده. ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ أي: شديد اليأس من روح الله تعالى، شديد القنوط من رحمة الله تعالى، وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام الآية رقم [٨٧]: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

هذا؛ واليأس من صفات القلب، وهو: قطع الرجاء من رحمة الله تعالى. والقنوط تبدو آثاره على ظاهر البدن. وفي البيضاوي: وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير، وما في القنوط من ظهور أثر اليأس. انتهى. والمراد: بالبنية الصيغة لأن فعولاً من صيغ المبالغة، والتكرير لأن اليأس والقنوط كالمترادفين. وفي المختار: اليأس: القنوط، وقد يئس من باب: فهم. وفيه لغة أخرى: يَئِس، يَيْئِس بالكسر فيهما، وهي شاذة، ورجل يئوس، ويئيس أيضاً، وبمعنى: «علم» في لغة النخع، ومنه قوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٣١]: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾. وآيسه من كذا، فاستيأس منه، بمعنى: أيس. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ ومن مجيء ييأس بمعنى: يعلم قول سحيم بن وثيل اليربوعي، وقال القرطبي: هو لمالك بن عوف النصري: [الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرونني ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

زهدم: اسم فرس والد سحيم. وقال رباح بن عدي: [الطويل]

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ ... وإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيا؟

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْـَٔمُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِن دُعَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿دُعَآءِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْخَيْرِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله. وفاعله محذوف؛ إذ التقدير: من دعائه الخير. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿مَّسَّهُ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط، والهاء مفعول به. ﴿ٱلشَّرُّ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (يئوس): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو يئوس. ﴿قَنُوطٌ﴾: خبرٌ ثانٍ للمحذوف، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور. والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد. و(إن) ومدخولها معطوف على ما قبله لا محلَّ له مثله.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ أي: أذقنا الإنسان. ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: عافية، وراحة بال، وغنىً، وأولاداً، ومنصباً، وجاهاً. ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ أي: بعد شدة وبلاء أصابه. ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعملي، فيرى النعمة حتماً واجباً على الله تعالى، ولم يعلم: أنَّ الله ابتلاه بالنعمة، والمحنة ليتبين شكره، أو كفره. ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: فهو ينكر الساعة؛ أي: يوم القيامة وما فيه من جزاء، وحساب، وإثابة، وعقاب. ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: على سبيل الفرض، والتقدير. ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة، أو الحالة الحسنة من الكرامة، والنعمة. قايساً أمر الدنيا على أمر الآخرة، فهو يتمنى على الله الأماني الكاذبة. وقوله هنا كقول صاحب الجنتين في سورة (الكهف) رقم [٣٦]: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ وكما حكى الله عن العاص بن وائل قوله في سورة (مريم) رقم [٧٧]: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ أي: فلنخبرنهم يوم القيامة بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب، ولنرينهم عكس ما اعتقدوا فيها من النفع، والنجاة من غضب الله، وسخطه،

وأنَّها لا تفيد شيئاً، ولا تغني فتيلاً، كما قال تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٢٣]: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد، لا يفتر عنهم. فالله يتهدد من كان هذا عمله، واعتقاده بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم. هذا؛ والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة، والمراد: الشدة، والثقل على المعذب، وانظر استعارة (الذوق) في الآية رقم [٣٨] من سورة (الصافات).

الإعراب: ﴿وَلَئِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَذَقْنَـٰهُ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): فاعله، والهاء مفعول به أول. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعوله الثاني. ﴿مِّنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿رَحْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلِّقان بمحذوف صفة: ﴿رَحْمَةً﴾، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿ضَرَّآءَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علّتين من موانع الصرف. ﴿مَسَّتْهُ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ضَرَّآءَ﴾، تقديره: «هي»، والتاء للتأنيث حرف لا محلّ له، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿ضَرَّآءَ﴾.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يقولن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محلَّ له، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾. ﴿هَـٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلِّقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ جواب القسم، المدلول عليه باللام الموطئة، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم، فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحذِف لدى اجتماع شرطٍ وقَسَمْ جَوابَ مَا أخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

هذا؛ والكلام: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ...﴾ إلخ كله مستأنف لا محلّ له. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو، الحال. (ما): نافية. ﴿أَظُنُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: مفعول به أول. ﴿قَآئِمَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ﴾: إعرابه مثل سابقه مع ملاحظة بناء الفعل للبناء للمجهول، والتاء نائب فاعله. ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبّه بالفعل. ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر:

﴿إِنَّ﴾، تقدّم على اسمها. ﴿عِندَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلّق بالخبر المحذوف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَلۡحُسۡنَىٰ﴾: اللام: لام الابتداء. (الحسنى): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المقصورة. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ لِى...﴾ إلخ جواب القسم، لا محلّ لها، وانظر ما ذكرته سابقاً.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلّقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (ننبئن): فعل مضارع مبني على الفتح، والنون للتوكيد حرف لا محلّ له. والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلّقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء عملوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم، والجملة الفعلية: (لننبئن...) إلخ جواب القسم المقدر، لا محلّ لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه. ﴿مِّنۡ عَذَابٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني. ﴿غَلِيظٍ﴾: صفة (عذاب).

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ أي: الكافر؛ أي: الجنس من حيث هو. ﴿أَعۡرَضَ﴾ أي: عن الإيمان، والتوحيد. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي: ترفع، وتباعد عن الانقياد إلى الحق، وتكبر على أنبياء الله، والداعين إلى الهدى والصلاح في كل زمان ومكان. وهذا شأن المتكبرين أينما وجدوا. والجانب: مجاز عن النفس، كالجنب في قوله تعالى حكاية عن قول الفاجر يوم القيامة: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ رقم [٥٦] من سورة (الزمر). ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: أصابه بلاء في جسمه، أو في ولده، أو في ماله، أو ما يغمّه ويحزنه. ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير، والعرب تستعمل الطول، والعرض في الكثرة. يقال: أطال فلان الكلام، وأعرض في الدعاء: إذا أكثر، فهو مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته، فإن العريض يكون ذا أجزاء كثيرة. والاستعارة تخييلية، شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد، ثم أثبت له العرض، فإن قلت: كيف يدعو دعاءً طويلاً عريضاً، ينافي وصفه قبل هذا بأنه يؤوسٌ قنوط؛ لأنَّ الدعاء فرع الطمع والرجاء، وقد اعتبر في القنوط ظهور أثر اليأس، فظهور ما يدلُّ على الرجاء يأباه؟! قلت: يمكن

دفع المنافاة بحمله على عدم اتحاد الأوقات، والأهوال. انتهى. جمل نقلاً من الشهاب. بعد هذا خذ قوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٨٣]: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ وقوله تعالى في سورة (هود) رقم [٩]: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ انظر شرح هذه الآيات في محالها؛ تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَإِذَآ﴾: الواو استئنافية، (إذا): انظر الآية رقم [٢٠]. ﴿أَنْعَمْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿أَعْرَضَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَنَـَٔا﴾: الواو: حرف عطف. (نأى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلّ لها مثلها. ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: إعرابه مثل سابقه بلا فارق. ﴿فَذُو﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (ذو): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو ذو، مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و(ذو) مضاف، و﴿دُعَآءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَرِيضٍ﴾: صفة: ﴿دُعَآءٍ﴾، والجملة الاسمية جواب (إذا)، لا محلّ لها، و(إذا) ومدخولها معطوف على ما قبله، لا محلّ له مثله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد لقومك. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، وأعلموني. ﴿إِن كَانَ﴾ أي: القرآن الكريم. ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: حقاً كما أخبر النبي ﷺ. ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أي: أنكرتموه، وجحدتموه. ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ...﴾ إلخ أي: فأي الناس أضل؟! أي: لا أحد أضل منكم لفرط شقاوتكم، وعداوتكم. ﴿فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: في خلاف، وعصيان، ومشاقة لله عزَّ وجل، ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ومعنى: ﴿بَعِيدٍ﴾: شديد. وانظر شرح: ﴿شِقَاقٍ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (صٓ).

هذا؛ وقال الجمل: واستعمال: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بمعنى: الإخبار مجاز، ووجه المجاز: أنَّه لما كان العلم بالشيء سبباً للإخبار عنه، أو إبصاره به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الإخبار عنه؛ استعملت الصيغة التي لطلب العلم، أو لطلب الإبصار في طلب الخبر، لاشتراكهما في الطلب، ففيه مجازان: استعمال «رأى» التي بمعنى: «علم» أو «أبصر» في الإخبار، واستعمال الهمزة؛ التي هي لطلب الرؤية في طلب الإخبار. انتهى. جمل نقلاً من الشهاب.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (رأيتم): فعل، وفاعل، ومفعوله الأول محذوف، التقدير: أرأيتم أنفسكم، والثاني: الجملة الاستفهامية الآتية. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى القرآن. ﴿مِنْ عِندِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿عِندِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنَّها ابتدائية... إلخ. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿كَفَرْتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فلا أحد أضلَّ منكم! ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَضَلُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان. وعليه: فالجملة الشرطية معترضة بين المفعولين. ﴿مِمَّنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَضَلُّ﴾. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿فِى شِقَاقٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة: ﴿شِقَاقٍ﴾.

هذا؛ وقد ارتأيت في سورة (الأنعام) رقم [٤٠] أنَّ الجملة الاستفهامية سدَّت مسدّ مفعولي الفعل على اعتباره معلقاً عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وعليه فالجملة الشرطية معترضة بين الفعل وبين ما سدَّ مسدَّ مفعوليه. وجملة: ﴿أَرَءَيْتُمْ...﴾ إلخ في محلّ نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: يعني ما أخبرهم به النبي ﷺ به من الحوادث الآتية، وآثار النوازل الماضية، وما يسر الله له، ولخلفائه من الفتوح، والظهور على ممالك الشرق، والغرب على وجه خارق للعادة. انتهى. بيضاوي. هذا؛ والآيات: العلامات الدالة على قدرة الله، وعظمته، وهي تبعث على عبادته، وتوحيده. هذا؛ والآفاق: النواحي، والجهات، واحده: أُفُق، وأُفْق، مثل: عُسُر وعُسْر، ورجل أَفَقي بفتح الهمزة والفاء إذا كان من آفاق الأرض، وبعضهم يقول: أُفقي بضمهما، وهو القياس، وأنشد غير الجوهري قول الفرزدق، وهو الشاهد رقم [١١٦٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

أَخَذْنا بآفَاقِ السَّمَاءِ عليكُمُ لَنا قمراهَا والنجومُ الطوالِعُ

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة؛ حتى سبيل البول، والغائط، فإن الإنسان يأكل، ويشرب في مكان واحد، ويتميز ذلك من مكانين. وبديع صنعته، وحكمته في

عينيه؛ اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمئة عام. وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة. وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه. وقيل: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من كونهم نطفاً إلى غير ذلك من انتقال أحوالهم، كما تقدَّم بيانه في سورة (المؤمنون). انتهى. قرطبي. لذا فقد قال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾: الضمير للقرآن، أو للرسول ﷺ، أو للتوحيد، أو لله. هذا؛ ويقال: تبين الشيء، وبان، وأبان، واستبان كله بمعنى واحد، وهو لازم، وقد يستعمل بعضها متعدياً.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ﴾ أي: أولم يحصل الكفاية بربك. ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ المعنى: أولم يكفك: أنَّه تعالى على كل شيء شهيد محقق له، فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة، كما حقق سائر الأشياء. أو المعنى: مطلع، فيعلم حالك، وحالهم، ويستوي عنده تعالى الغيب، والشهادة، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض. هذا؛ والفعل: «كفى» في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ ونحوه بمعنى: اكتف، فالباء زائدة في الفاعل عند الجمهور، وهو لازم، لا ينصب المفعول به، ومضارعه مثله، كما في هذه الآية التي نحن بصدد شرحها، وأمَّا إذا كان بمعنى: جزى، وأغنى، فيكون متعدياً لواحد، وإذا كان بمعنى: وقى، فإنَّه يكون متعدياً لمفعولين. كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ رقم [٢٥] من سورة (الأحزاب).

هذا؛ واعتبر بعض العلماء في الآية الكريمة إشارة دقيقة إلى بعض العلوم الكونية؛ التي سبق إليها القرآن قبل أن يكتشفها العلم الحديث، ثم عدم تعارضه مع ما يكتشفه العلم من نظريات علمية حديثة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الناحية من نواحي الإعجاز بقوله جلَّ شأنه: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا...﴾ إلخ. قال محمد علي الصابوني: ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة، أو هندسة، أو فيزياء، وإنما هو كتاب هداية، وإرشاد، وكتاب تشريع، وإصلاح، ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة، والحقائق الخفية إلى بعض المسائل الطبيعية والطبية، والجغرافية مما يدل على إعجاز القرآن، وكونه وحياً من عند الله، فمن المقطوع به: أن محمداً ﷺ كان أمياً، لا يقرأ، ولا يكتب، وأنه نشأ في بيئة بعيدة عن مظاهر الحياة؛ حيث لم تكن علوم، ولا معارف، ولا مدارس تقرأ فيها العلوم الكونية؛ لأنَّ قومه، وعشيرته كانوا أميين، ومع ذلك فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره، ولم يكتشف العلم أسرارها، إلا منذ زمن قريب، وذلك من أصدق البراهين على أنَّ هذا القرآن ليس من تأليف محمد ﷺ كما يزعم بعض المستشرقين، إنما هو وحي من الله أنزله على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين. انتهى.

الإعراب: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾: السين: حرف تسويف، واستقبال. (نريهم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء في محل نصب مفعول به أول. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿فِي ٱلْآفَاقِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ءَايَٰتِنَا﴾. ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يَتَبَيَّنَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» المضمرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبرها، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل: ﴿يَتَبَيَّنَ﴾. و«أنْ» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (نريهم) وهما مفعوله الثالث. ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: عاطفة على محذوف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَكْفِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿بِرَبِّكَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ربك): فاعل: ﴿يَكْفِ﴾ مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: ألم يغنهم، ولم يكفهم ربك. والباء مزيدة للتوكيد، ولا تكاد تزاد بالفاعل إلا مع كفى. والكلام كله مستأنف لا محلَّ له. ﴿أَنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدٌ﴾: بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَهِيدٌ﴾: خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر. وفيه وجهان: أحدهما: أنَّه بدل من: (ربك)، بدل كل من كل. وفي الشهاب: إنه بدل اشتمال، فيكون مرفوع المحل مجرور اللفظ كمتبوعه. والثاني: أن الأصل: بأنه، ثم حذف الجار، فجرى الخلاف. هذا؛ وأجيز أن يكون هذا المصدر هو الفاعل، وأن ﴿بِرَبِّكَ﴾ هو المفعول. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. أقول: وهذا الأخير ضعيف، وغير مشهور. هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إنه) على إضمار قول قبلها، أو على الاستئناف. وهذا أرجح، وأقوى.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ﴾ أي: كفار قريش. ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك. ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: يوم القيامة؛ أي: أنهم يشكون في يوم القيامة الذي يلاقون فيه ربهم، ويجازيهم فيه على أعمالهم؛ التي اقترفوها في الدنيا، ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، وهو كائن لا محالة، وواقع لا

ريب فيه. ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾: عالم بمجمل الأشياء، وتفاصيلها، مقتدر عليها، لا يفوته شيء منها. وقال الخطابي: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. وهذا الاسم أكثر ما يجيء في معرض الوعيد، وحقيقته: الإحاطة بكل شيء، واستئصال المحاط به، وأصله: (مُحْيِط)، نقلت حركة الياء إلى الحاء قبلها؛ لأنَّ الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة. هذا؛ وإذا كان يائياً فسكنت الياء؛ يقال: أحاط، يحيط إحاطة، وحيطة، ومن ذلك حائط الدار، وأحاطت الخيل بفلان: إذا أخذ مأخذاً حاصراً من كل جهة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾. والله أعلم بصواب ذلك. انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبرها، والجملة الاسمية ابتدائية لا محلَّ لها من الإعراب. ﴿مِّن لِّقَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مِرْيَةٍ﴾، و﴿لِّقَآءِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَلَآ﴾: مثل سابقتها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّحِيطُۢ﴾ بعدهما، و(كل): مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مُّحِيطُۢ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية ابتدائية، لا محلَّ لها مثل سابقتها. تأمَّل، وتدبَّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (فصلت السجدة) بحمد الله وتوفيقه، تفسيراً وإعراباً.

والحمد لله ربّ العالمين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الشورى

سورة (الشورى) وتسمى سورة (عسق) وسورة (حم عسق) وهي مكية في قول ابن عباس، والجمهور، وحكي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إلَّا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ...﴾ وهي ثلاث وخمسون آية، وثمانمئة وستون كلمةً، وثلاثة آلاف وخمسمئة، وثمانية وثمانون حرفاً. والله أعلم. انتهى. خازن بحروفه.

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾

الشرح: قال عبد المؤمن: سألت الحسين بن الفضل: لم قطع حروف ﴿حمٓ﴾ من: ﴿عٓسٓقٓ﴾ ولم تقطع ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿الٓمٓرٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾؟ فقال: لأنَّها بين سُوَرٍ أوائلها ﴿حمٓ﴾ فجرت مجرى نظائرها، قبلها، وبعدها، فكأنَّ ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، و﴿عٓسٓقٓ﴾ خبره، ولأنها عدت آيتين، وعدت أخواتها التي لم تقطع آية واحدة. وقيل: لأنَّ أهل التأويل لم يختلفوا في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وأخواتها: أنَّها حروف التهجي. وقيل: كتبت ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ منفصلاً، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ متصلاً؛ لأنَّه قيل: معنى ﴿حمٓ﴾ فعل؛ أي: حُمَّ ما هو كائن، ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل، وبين ما لا يقدر، ثم لو فُصل هذا، ووصل ذا؛ لجاز.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ح: حلمه، م: مجده، ع: علمه، س: سَنَاه، ق: قدرته؛ أقسم الله عزَّ وجل بها. وقيل: هذا في شأن محمد ﷺ، فالحاء: حوضه المورود، والميم: ملكه الممدود، والعين: عزه الموجود، والسين: سناه المشهود، والقاف: قيامه في المقام المحمود، وقربه في الكرامة من الملك المعبود. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ فلذلك قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ...﴾ إلخ.

هذا؛ وذكر القشيري ـ واللفظ للثعلبي ـ: أنَّ النبي ﷺ، لما نزلت هذه الآية عُرفت الكآبة في وجهه، فقيل له: يا رسول الله! ما أحزنك؟ قال: «**أخبرت ببلايا تنزل بأمتي من خسف، وقذف، ونار تحشرهم، وريح تقذفهم في البحر، وآياتٍ متتابعات متصلات بنزول عيسى، وخروج الدجال**». والله أعلم. انتهى. ما تقدم من الخازن، والقرطبي. هذا؛ وانظر ما ذكرته في أول سورة (غافر) بشأن الحواميم. هذا؛ ومن الضلال المبين ما قيل في تفسير ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾

حيث قيل: الحاء: حرب عليٍّ، ومعاوية، والميم: ولاية بني مروان، والعين: ولاية العباسيين، والسين: ولاية السفيانيين، والقاف: القدوة بالمهدي إلى غير ذلك من الضلال.

الإعراب: ﴿حمٓ﴾: مبتدأ. ﴿عٓسٓقٓ﴾: خبره، وإن اعتبرتهما اسماً مركباً، فقل في إعرابه ما رأيته في أول سورة (غافر) والله ولي التوفيق.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾

الشرح: أي: كما أنزل إليك هذا القرآن؛ كذلك أنزل على الأنبياء قبلك مثله. ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: وإلى الرسل الذين كانوا قبلك. وقيل: معناه: كذلك نوحي إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى الذين من قبلك. ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه، القوي في سلطانه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في صنعه.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف أيضاً، عامله ما بعده، التقدير: يوحي إليك، وإلى الذين من قبلك إيحاءً كائناً مثل ذلك الإيحاء.

هذا؛ وقيل: إن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، خبره الجملة الفعلية بعده، وهذا يعني: أنَّ الكاف اسماً بمعنى: مثل، فهو مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وهو مضاف، و(ذا) في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلّ له. ﴿يُوحِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما.

﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والكاف في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل: ﴿يُوحِىٓ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلّ لها، أو في محل رفع خبر المبتدأ على نحو ما رأيت سابقاً. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: بدل من لفظ الجلالة. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: بدل ثان. وقيل: هما صفتان للفظ الجلالة، والأول أقوى.

هذا؛ ويقرأ: (يوحَىٰ) بفتح الحاء، وعليه فالجار والمجرور: ﴿إِلَيْكَ﴾ في محل رفع نائب فاعله، ويجوز أن يكون نائب الفاعل ضميراً مستتراً التقدير: يوحى إليك القرآن، الذي تضمنته هذه السورة، ويكون لفظ الجلالة مرفوعاً بفعل محذوف، التقدير: يوحيه الله إليك، على مثال ما رأيت في سورة (النور) رقم [٣٦]. وأنشد سيبويه قول الحارث بن ضرار النهشلي، وهو الشاهد رقم [١٠٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ

فقال: ليبك يزيدُ، ثم بين من ينبغي أن يبكيه، فالمعنى يبكيه ضارع. ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبر محذوفاً، كأنَّه قال: الله يوحيه. وضعفه ابن هشام في المغني. أو على تقدير إضمار

مبتدأ؛ أي: الموحي الله. وقواه ابن هشام في المغني. أو يكون مبتدأ، والخبر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. انتهى. قرطبي. وجوّز مكي اعتبار الاسمين الكريمين صفتين للفظ الجلالة، والخبر الجملة الاسمية في الآية التالية. وهذا كلّه على تقدير سؤال سائل. تأمّل.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾

الشرح أي: إنَّ جميع الموجودات في السموات، والأرض من أفلاك، وكواكب في السموات، وما على الأرض من جبال، وأنهار، وبحار؛ فكل ذلك ملك لله تعالى، وفي تصرفه، وعنه نشأ، ومنه بدأ، لا يشركه فيه أحد. وما يملكه العبد في هذه الدنيا الفانية؛ فإنَّما هو ملك له في الظاهر، قد منحه الله له؛ ليتمتع به على سبيل الوكالة، والأمانة، فويل لمن قصّر في الوكالة، وخان في الأمانة. وقيل: معناه: إنَّ خزائنه المطر، والرزق بيد الله، ولا يملكها أحد سواه. ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾: هو كقوله تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

الإعراب: ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): معطوفة على ما قبلها عطف مفرد على مفرد، وإن اعتبرتها مبتدأ، والخبر محذوفاً، لدلالة ما قبله عليه؛ فالعطف يكون عطف جملة على جملة. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾: خبران للضمير، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور باللام؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: تكاد كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ رقم [١١٦] من سورة (البقرة)، وسورة (مريم) [٩٠ و٩١]: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾. وقال الضحاك، والسُّدي: أي: يتشققن من عظمة الله، وجلاله فوقهن. وقيل: ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ فوق الأرضين من خشية الله؛ لو كنَّ مما يعقل. هذا؛ وقرئ:

﴿تَكَادُ﴾ بالتاء، والياء، و﴿يَنفَطِرْنَ﴾ بالنون من الانفطار، وهو التشقق، كقوله تعالى في سورة (الانفطار) الآية رقم [١]: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ سورة (المزمل) الآية رقم [١٨].

هذا؛ ومعنى: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية، وكان القياس أن يقال: يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر؛ لأنَّها جاءت من الذين تحت السموات، ولكنه بولغ في ذلك، فجعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن؛ دع الجهة التي تحتهن. وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ من فوق الأرض، فالكناية راجعة إلى الأرض؛ لأنَّه بمعنى: الأرضين. وقيل: يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَطَّتِ السماءُ أَطّاً، وَحُقَّ لها أن تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِع قَدَمٍ؛ إِلَّا وعلَيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أو راكِعٌ، أوْ ساجدٌ**». انتهى. نسفي. وقال الجمل نقلاً عن السمين: في هذا الضمير ثلاثة أوجه: أحدها: أنَّه عائد على السموات؛ أي: يبتدأ انفطارهن من هذه الجهة. والثاني: أنَّه عائد على الأرضين؛ لتقدم ذكر الأرض قبل ذلك. الثالث: أنَّه عائد على فرق الكفار، والجماعات الملحدين. قاله الأخفش الصغير. انتهى.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ينزهونه عمَّا لا يليق بجلاله، ويذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال، والإكرام، وجعل التسبيح أصلاً، والحمد حالاً؛ لأنَّ الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح، والتحميد: هو الاعتراف بأنَّه هو المنعم على الإطلاق.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من المؤمنين دون الكافرين بدليل قوله تعالى في سورة (غافر) رقم [٧]: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ إذاً فالآية هنا عموم يراد به الخصوص؛ لأنَّ الكافر لا يستحق أن تستغفر له الملائكة. وقيل: يحتمل أن يكون لجميع من في الأرض، أما في حق الكافرين، فبواسطة طلب الإيمان لهم، ويحتمل أن يكون المراد من الاستغفار ألَّا يعاجلهم بالعقاب، وأمَّا في حق المؤمنين؛ فبالتجاوز عن سيئاتهم. وقيل: استغفارهم لمن في الأرض هو سؤال الرزق لهم، فيدخل فيه المؤمن، والكافر. وقال مطرف بن عبد الله: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: يعني: أنَّه تعالى يعطي المغفرة؛ التي سألوها، ويضم إليها بمنّه، وكرمه الرحمة العامة الشاملة. وانظر شرح الملائكة في الآية رقم [٤٣] من سورة (الأحزاب).

الإعراب: ﴿تَكَادُ﴾: فعل مضارع ناقص يرفع الاسم، وينصب الخبر. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: اسم ﴿تَكَادُ﴾. ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، ونون النسوة فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿تَكَادُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جرّ بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

الواو: حرف استئناف. (الملائكة): مبتدأ. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿بِحَمْدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة؛ أي: ملتبسين بحمد. قال الثعلبي: والعرب تدخل الباء أحياناً على التسبيح، وتحذفها أحياناً، قال تعالى في سورة (الواقعة): ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقال في سورة (الأعلى): ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و(حمد): مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلّ لها.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، التقدير: يستغفرون للذي يوجد في الأرض، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو مبتدأ. ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾ على اعتبار الضمير فصلاً، وخبران للضمير على اعتباره مبتدأ، وتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، أو مستأنفة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: جعلوا لله شركاء، وأنداداً في العبادة، وهي الأصنام؛ التي اتخذوها آلهة، وعبدوها. ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: رقيب على أحوالهم، وأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وهو محاسبهم، ومجازيهم عليها، لا رقيب عليهم إلَّا هو وحده. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: يا محمد بموكل بهم، ولا مفوض إليك أمرهم، ولا قسرهم على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ رقم [٧] من سورة (الرعد). وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ رقم [٤٠] منها.

و﴿ٱللَّهُ﴾ علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به؛ أجاب، وإذا سئل به؛ أعطى، وإنَّما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به؛ لتخلّف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال. ولم يسمّ به أحد سواه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل أحد تسمى الله غير الله؟! وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق،

والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلّ لها. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان، والأول محذوف، التقدير: اتخذوا الأصنام أولياء من دونه. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿حَفِيظٌ﴾: خبره. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿حَفِيظٌ﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلّ لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسمها. ﴿عَلَيۡهِم﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِوَكِيلٖ﴾: الباء: حرف جر صلة. (وكيل): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ أي: وكما أوحينا إليك، وإلى من قبلك هذه المعاني، كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً بيناه بلغة العرب. وقيل: أي: أنزلنا عليك قرآناً عربياً بلسان قومك، كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه، والمعنى واحد. انتهى. القرطبي. وانظر سورة (الزمر) رقم [٢٨] ففيها بحث جيد. ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: أهل مكة. فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، و﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾: أصل القرى، وهي مكة. وسميت بهذا الاسم إجلالاً لها؛ لأنَّ فيها البيت، ومقام إبراهيم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، والعرب تسمي أصل كل شيء: أمه، حتى يقال: هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان. انتهى. صفوة التفاسير نقلاً من الفخر.

وفي مختصر ابن كثير: وسميت مكة: أم القرى؛ لأنَّها أشرف من سائر البلاد، لأدلة كثيرة، منها: قول رسول الله ﷺ: «**والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله، وأحبُّ أرضِ الله إلى الله، ولولَا أنّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجْتُ**». أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. انتهى.

﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي: جميع القرى التي هي متفرعة من مكة، والمراد: جميع الأمصار، والقرى الموجودة في الدنيا.

﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي: تخوف الناس يوم القيامة؛ الذي يجمع الله فيه الأولين، والآخرين للحساب، والجزاء، أو يجمع فيه الأرواح، والأشباح، أو الأعمال، والعمال. ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾:

لا شك في يوم الجمع بل هو متحقق الوقوع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ رقم [٩] من سورة (التغابن). ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: بعد جمعهم في الموقف للحساب، والجزاء يفرقون، فمنهم فريق يدخل الجنة، ومنهم فريق يدخل النار، كما قال تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ رقم [١٠٥] وما بعدها. وانظر سورة (الدخان) رقم [٤٠].

هذا؛ وقرئ: (فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير) والفريق: الطائفة من الناس. والفريق: أكثر من الفرقة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، كقوم، ومعشر، ونفر. . .إلخ. هذا؛ والسعير: النار الشديدة الاستعار؛ أي: الاحتراق، وهي وادٍ من أودية جهنم، أو دركة من دركاتها، وطبقاتها. والسعير كزبير بصيغة المصغر: اسم صنم لبني عنزة، قال رشيد بن رميض العنزي: [الوافر]

حَلَفْتُ بِمَائِرَاتٍ حَوْلَ عَوْضٍ وَأَنْصَابٍ تُرِكْنَ لَدَى السُّعَيْرِ

فعوْضُ عندهم صنم صغير، والسُّعيْر صنم كبير، وخرج ابن أبي حلاس الكلبي على ناقته، فمرت به على ذلك الصنم، وقد ذبحت عنده قبيلة عنيزة، فنفرت ناقته من الصنم فأنشأ يقول: [الكامل]

نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ عَتَائِرَ صُرِّعَتْ حَوْلَ السُّعَيْرِ يَزورُهُ ابنا يَقْدُمِ

وجُموعُ يَذْكُرَ مهطعينَ جنابَهُ ما إنْ يحيرُ إليهمُ بِتَكَلُّمِ

قال أبو المنذر: يقدمُ، ويذكر ابنا عَنَزَةَ، فرأى هؤلاء يطوفون حول السُّعَيْرِ. انتهى. بغدادي. هذا؛ وأصل الوحي: الإشارة السريعة، والوحي أيضاً: الكتاب المنزل على الرسول المرسل لقومه، مثل: موسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، والوحي أيضاً: الكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، وتسخير الطير لما خلق له إلهام، والوحي إلى أم موسى إلهام، والوحي إلى النحل، وتسخيرها لما خلقها الله له إلهام أيضاً، وانظر ما ذكرته في سورة (النحل) رقم [٦٨] تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك، وخذ ما يلي:

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! كيف يأتيك الوحيُ؟ فقال: «**أحياناً يأتيني مِثلَ صلصلةِ الجرسِ ـ وهو أشدُّهُ عَلَيَّ ـ فيفصِمُ عني؛ وقدْ وعَيْتُ ما قال، وأحياناً يأتيني الملَكُ رَجُلاً، فيُكلِّمني، فأَعِي ما يقولُ**» قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ﷺ ليتفصَّد عرقاً. أخرجه البخاري، ومسلم. وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! هل تحِسُّ بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أسمعُ صلاصِلَ، ثم أسكتُ عندَ ذلكَ، فما مِنْ مرةٍ يُوحى إليَّ إلَّا ظننتُ أنَّ نفسي تُقْبَضُ**». أخرجه الإمام أحمد. وخذ ما يلي:

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفه، ومعه كتابان، فقال: «**أتدرونَ مَا هَذَانِ الكتابان؟**» قُلْنَا: لا يا رسولَ الله! فقال للَّذي في يدِهِ اليمين: «**هذا كتابٌ مِنْ رَبِّ العالمين بأسماء أهلِ الجنةِ، وأسماء آبائهم، وعشائِرِهم، وعدتهم، قبل أن يَسْتقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام؛ إذ هم في الطينةِ منجدلون، فليس بزائد فيهم، ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة**». ثم قال للذي في يساره: «**هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وعشائرهم، وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام؛ إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم، ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة**». فقال عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: ففيم العمل إذاً؟ قال: «**اعملوا، وسَدِّدوا، وقاربوا، فإنَّ صاحِبَ الجنةِ يُختمُ لهُ بعملِ أهلِ الجنة، وإنْ عمل أيَّ عملٍ**» ثُمَّ قال: «**فَرِيقٌ في الجنةِ، وفرِيقٌ في السَّعِير، عدلٌ منَ الله تعالى**». أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. انتهى. خازن بحروفه.

وفي مختصر ابن كثير زيادة: «**وإنَّ صاحب النار يختم له بعمل أهل النار؛ وإن عمل أي عمل**». ثم قال ﷺ بيده، فقبضها، ثم قال: «**فرغ ربكم من العباد**» ثم قال باليمنى، فنبذ بها فقال: «**فريقٌ في الجنةِ**» ونبذ باليسرى، وقال: «**فريقٌ في السعير**» أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي. هذا؛ وأقول: انظر قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٣٠]: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. الكاف: اسم بمعنى: مثل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدّم للفعل بعد، وهذا على اعتبار الإشارة عائدة إلى معنى الآية المتقدمة، أو الكاف في محل نصب مفعول مطلق للفعل بعده على اعتبار الإشارة عائدة إلى مصدر: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾، والكاف مضاف، واسم الإشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قُرْءَانًا﴾: حال من المفعول به؛ أي: أوحيناه إليك، وهو قرآن عربي، وهذا على اعتبار الكاف مفعولاً، وأمَّا على اعتبارها مفعولاً مطلقاً، فـ: ﴿قُرْءَانًا﴾ مفعول به. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة: ﴿قُرْءَانًا﴾. ﴿لِّتُنذِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أُمَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، وانظر تقدير المضاف في الشرح. ﴿حَوْلَهَا﴾: ظرف مكان متعلّق بمحذوف صلة الموصول. و(ها): في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر

باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين بالواو. ﴿وَتُنذِرَ﴾: الواو: حرف عطف. (تنذر): معطوف على سابقه منصوب مثله، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَوْمَ﴾: هذا هو المفعول الثاني، والأول محذوف، التقدير: وتنذر الناس عذاب يوم الجمع، فحذف المفعول الأول من الإنذار الثاني، كما حذف المفعول الثاني من الإنذار الأول، تقديره: لتنذر أهل أم القرى العذاب. انتهى. جمل نقلاً من السمين. و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْجَمْعِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿رَيْبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ وأجيز اعتبارها مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَرِيقٌ﴾: مبتدأ، جوز الابتداء به التفصيل، والتقسيم. ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. هذا؛ وأجيز اعتبار الخبر محذوفاً، التقدير: منهم فريق، كما أجيز اعتبار: ﴿فَرِيقٌ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هم ـ أي: المجموعون ـ فريق، وعلى هذين الوجهين يكون الجار والمجرور: ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ متعلقين بمحذوف صفة: ﴿فَرِيقٌ﴾. هذا؛ وعلى قراءته بالنصب فهو حال. هذا؛ وعلى قراءة النصب، فالكسائي قال: التقدير: لتنذر فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير. وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي: منصوب على الحال من: «هم» أي: وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى: مشارفين للتفرق، أو متفرقين في داري الثواب، والعقاب. انتهى. بيضاوي. وقول الكسائي أحق بالاعتبار، وهو قول الفراء أيضاً، وعلى قراءة الرفع فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: أهل دين واحد، إما على الهداية، أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من يشاء إلى الحق، وأضلَّ من يشاء عنه، وله الحكمة البالغة، والحجة الواضحة، لا يسأل عمَّا يفعل، وهم يسألون. هذا؛ وقال تعالى في سورة (هود) رقم [١١٨ و١١٩]: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ وهو فحوى قوله تعالى هنا: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ أي: بالهداية للإيمان، والتوفيق للطاعة. ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: يدعهم بغير ولي يتولى أمورهم، وشؤونهم، وليس لهم نصير ينصرهم من عذاب الله تعالى، بل يكلهم إلى شياطينهم يتلاعبون بهم.

هذا؛ و﴿شَآءَ﴾ مضارعه: يشاء، لم يرد له أمر، ولا لـ: «أراد» فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل شاء: شَيِءَ على وزن فَعِلَ بكسر العين، بدليل شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً

لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول: «أراد» حتى لا يكاد ينطق به إلَّا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخزيمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أبكِي دَماً لبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أوسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد: «لو» وليس كذلك. أما ﴿أُمَّةً﴾ فهي بمعنى: الجماعة، ولا واحد لها من لفظها، وتكون واحداً إذا كان ممن يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ والأمة: الطريقة، والملة في الدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ الآية رقم [٢٢] من سورة (الزخرف) وبها فسرت الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنبياء): ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ وقال النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها النعمان بن المنذر، ويعتذر له مما وشى به الواشون: [الطويل]

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهوَ طَائِعُ؟

وكل جنس من الحيوان أمة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ والأمة: الحين والوقت، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقت، وحين.

هذا؛ والولي: من يتولى شؤون غيره. والنصير: المعين، والمساعد. والفرق بينهما: أنَّ الولي قد يضعف عن النصرة، والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم، وخصوص من وجه. هذا؛ والولي لله: العارف بالله تعالى على حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المعرض عن الانهماك في اللذات، والشهوات. وفيه وجهان: أحدهما: أنَّه فعيل بمعنى: مفعول، كقتيل بمعنى: مقتول، وجريح بمعنى: مجروح، فعلى هذا هو: من يتولى الله رعايته، وحفظه، فلا يكله إلى غيره، ونفسه لحظة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. والوجه الثاني: أنَّه فعيل مبالغة من فاعل، كرحيم، وعليم، بمعنى: راحم، وعالم، فعلى هذا هو: من يتولى عبادة الله تعالى من غير أن يتخللها عصيان، أو فتور، وكلا المعنيين شرط في الولاية، فمن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أنَّ من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولي، بل هو مغرور مخادع. ذكره الإمام أبو القاسم القشيري، وغيره من أئمة الطريقة، رحمهم الله تعالى. انتهى. من شرح ألفاظ: «الزبد» للشيخ أحمد بن حجازي الفشني، - رحمه الله تعالى - هذا؛ وربنا يقول في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لي ولياً؛ فقد آذنْتُهُ بالحرب**».

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف عطف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعوله الأول. ﴿أُمَّةً﴾: مفعول به ثان. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة: ﴿أُمَّةً﴾،

والجملة الفعلية جواب (لو) لا محلَّ لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿يُدْخِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: يدخل الذي يشاؤه. ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يُدْخِلُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لو) لا محلَّ لها مثله. وقيل: في محل نصب حال. ولا وجه له. ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الظالمون): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِىٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿نَصِيرٍ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: بل اتخذ الكفار من دون الله أعواناً، وأنصاراً، هي الحجارة؛ التي يعبدونها، ويقدسونها، ويعظمونها. ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ أي: وليك يا محمد، وولي من اتبعك، واهتدى بهديك، لا ولي سواه، وكفى بالله ولياً، وناصراً، ومعيناً. ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: يوم القيامة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: وغيره من الأولياء لا يقدر على شيء. فهو كالتقرير لكونه حقيقاً بالولاية.

هذا؛ و(دون) بمعنى: «غير» و«سوى» هنا، وأصله من الدنو، وهو القرب، ومنه تدوين الكتب؛ لأنَّه إدناء؛ أي: تقريب البعض من البعض، ثم استعير للرتب، فيقال: زيد دون عمرو؛ أي: في الشرف، والسيادة، وعلو المنزلة، ثم اتسع فيه، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد. هذا؛ ويأتي «دون» بمعنى: «قُدَّام» قال الشاعر: [الطويل]

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دونِها وهْيَ دُونَهُ ... إذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

هذا؛ ومثله: «أدنى» وألفه منقلبة عن واو؛ لأنَّه من: دنا، يدنو: إذا قرب. وله معنيان: أحدهما: أنَّ المعنى ما تقرب قيمته بخساسته، ويسهل تحصيله. والثاني أن يكون بمعنى: القريب منكم، لكونه في الدنيا، والذي هو خير ما كان من امتثال أوامر الله تعالى؛ لأنَّ نفعه

متأخر إلى الآخرة، خذ قوله تعالى لليهود اللؤماء حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ رقم [٦١] من سورة (البقرة). وقيل: الألف مبدلة من: همزة؛ لأنَّه مأخوذ من: دنؤ، يدنؤ، فهو دنيء، والمصدر: الدناءة، وهو من الشيء الخسيس، فأبدلت الهمزة ألفاً. وقيل: أصله: أدْوَن من الشيء الدون، فأخرت الواو، فانقلبت ألفاً، فوزنه الآن: أفلع. انتهى. عكبري في غير هذا الموضع.

الإعراب: ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» الانتقالية. ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، كان صفة له، فلما قُدِّم عليه صار حالاً. انظر الآية رقم [٦]. وقيل: الجار والمجرور في محلّ المفعول الثاني. وهو ضعيف. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَٱللَّهُ﴾: الفاء: حرف عطف. (الله): مبتدأ. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿ٱلْوَلِىُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الضمير فصلاً، فالولي خبر لفظ الجلالة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. نقله الجمل عن كرخي. هذا؛ واعتبر الزمخشري الفاء الفصيحة؛ لأنَّها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إن أرادوا أولياء بحق؛ فالله هو الولي، وهو قول ابن هشام في المغني. قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): مبتدأ. ﴿يُحْىِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى الضمير. ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ﴾: قال القرطبي: هذا حكاية قول الرسول ﷺ للمؤمنين؛ أي: وما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب، والمشركين من أمر الدين؛ فقولوا لهم: حكمه إلى الله لا إليكم، وقد حكم: أن الدين هو الإسلام لا غيره. وأمور الشرائع إنَّما تُتَلَقَّى من بيان الله، وبيان الرسول ﷺ. فهو كقوله جلَّ وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ أي: الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده يحيي الموتى، ويحكم بين

المختلفين في أمور الدين، فيثيب المطيع يوم القيامة، ويعاقب المسيء. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت عليه في جميع أموري، وأحوالي. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع في أموري كلها إلى الله.

هذا؛ والتوكل: تفويض الإنسان الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره. وقالوا: المتوكل: من إن دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى. فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه منها، لم يخرج عن حدّ التوكل؛ لأنَّه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصيته اللهَ تعالى، وإنَّما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱخْتَلَفْتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان به. ﴿مِن شَيْءٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور بـ: (في) والعائد على (ما)، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿فَحُكْمُهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (حكمه): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) اسماً موصولاً مبتدأ؛ فالجملة الفعلية: ﴿ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خبرها، واقترن الخبر بالفاء؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿ٱللَّهُ﴾: عطف بيان، أو بدل من اسم الإشارة. ﴿رَبِّي﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ ويجوز أن يكون ﴿ٱللَّهُ﴾ الخبر، و﴿رَبِّي﴾: خبر ثان، أو بدل، أو يكون صفة لله تعالى، و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الخبر. انتهى. عكبري. هذا، وقال الجمل: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر أول. ﴿رَبِّي﴾: خبر ثان. ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: ثالث. ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: رابع. ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خامس. ﴿جَعَلَ لَكُم﴾: سادس. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾: سابع. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: ثامن. ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ...﴾ إلخ: تاسع. ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ...﴾ إلخ: عاشر. ﴿شَرَعَ لَكُم...﴾ إلخ: حادي عشر. انتهى. نقلاً عن شيخه، وهذا يتناقض مع حرف العطف في بعض الجمل لفظاً، وإن سلم معنىً. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿أُنِيبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: خالقهما، ومبتدعهما على غير مثال سبق. هذا؛ والفطر: الشق عن الشيء، يقال: فطرته، فانفطر، قال تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ﴾ ومنه فطر ناب البعير: طلع، فهو بعير فاطر. وتفطر الشيء: تشقق، وسيف فُطارٌ؛ أي: فيه تشقق. قال عنترة: [الوافر]

وَسَيْفي كَالْعَقيقَةِ فَهْوَ كِمْعي ... سلاحي لا أَفَلَّ وَلاَ فُطَارَا

وكِمعي: ضجيعي. العقيقة: شعاع البرق الذي يبدو كالسيف. والفطر: الاختراع، والابتداع، والابتداء. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي: أنا ابتدأتها. والفطر: حلب الناقة بالسبابة والإبهام، وانظر الآية رقم [٣] من سورة (الملك). والمراد بذكر السموات والأرض: العالم كله، ويستدل بهذا على أنَّ من قدر على الابتداء؛ قدر على الإعادة. وقرئ ﴿فَاطِرُ﴾ بالرفع، والجر، ويجوز نصبه في العربية. وانظر الإعراب.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: قال القرطبي: قيل معناه: إناثاً، وإنَّما قال: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنَّه خلق حواء من ضلع آدم. وقال مجاهد: نسلاً بعد نسل. انتهى. وقال الجمل: روي عن جعفر الصادق ـ رحمه الله تعالى ـ: أنَّه قال: كان أول من سجد لآدم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقربون. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان السجود يوم الجمعة من الزوال إلى العصر، ثم خلق له حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، وهو نائم، وسميت حواء؛ لأنَّها خلقت من حي، فلما استيقظ، ورآها؛ سكن، ومال إليها، ومدَّ يده لها، فقالت الملائكة: مَهْ يا آدم! قال: ولِمَ؛ وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: حتى تصلي على محمد ثلاث مرات. وذكر ابن الجوزي: أنَّه لما رام آدم القرب منها؛ طلبت منه المهر، فقال: يا رب! وماذا أعطيها؟ فقال: يا آدم! صلِّ على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة. ففعل. انتهى. مواهب. فلما فعل آدم ما أمر به خطب الله خطبة النكاح، ثم قال: اشهدوا يا ملائكتي، وحملة عرشي: أنِّي زوجت أمتي حواء من عبدي آدم، انتهى. شارحها. وانظر ما ذكرته في سورة (الزمر) رقم [٦] ففيها فضل زيادة.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ﴾ أي: وخلق للأنعام من جنسها أزواجاً، أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً، أو: ذكوراً، وإناثاً، والمراد: الثمانية؛ التي ذكرها الله في سورة (الأنعام) رقم [١٤٣] و[١٤٤] أي: ذكور الإبل، والبقر، والضأن، والمعز، وإناثها. وأزواج: جمع: زوج، وهو يطلق

على الرجل، والمرأة. والقرينة تبين الذكر، والأنثى. ويقال لها أيضاً: زوجة، وحذف التاء منها أفصح إلَّا في الفرائض، فإنَّها بالتاء أفصح؛ لتوضيح الوارث. هذا؛ والزوج: القرين. قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أي: وقرناءهم، الآية رقم [٢٢] من سورة (الصافات) والزوج: ضد الفرد، وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً، يقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج، كما يقال: هما سيان، وهما سواء، وقال تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: من كل نوع ذكراً وأنثى، الآية رقم [٤٠] من سورة (هود)، وقال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ...﴾ إلخ الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأنعام). والمعنى: ثمانية أفراد، والزوج الصنف والنوع، قال تعالى في سورة (لقمان) رقم [١٠]: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: صنف من النبات. وقال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾. هذا؛ والأنعام: جمع: نعم، وهو يشمل المأكول من الإبل، والبقر، والغنم، والماعز.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يخلقكم وينشئكم في الرحم، ولم يتقدم له ذكر، وقال البيضاوي: أي: في هذا التدبير، وهو جعل الناس، والأنعام أزواجاً، يكون بينهم التوالد، وقال أيضاً: ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يكثركم، من: الذرء، وهو البث، وفي معناه الذر، وضمير الخطاب للناس، والأنعام على تغليب المخاطبين العقلاء، وهو قول ابن هشام في المغني. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: قيل: إن الكاف زائدة للتوكيد؛ أي: ليس مثله شيء، ومثله قول خطام المجاشعي وهو الشاهد رقم [٣٢٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

وغَيْرُ وُدٍّ جَاذِلٍ أو وُدَّيْنِ وصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنِ

فأدخل على الكاف كافاً تأكيداً للتشبيه. وقيل: المثل: زائدة للتوكيد. وهو قول ثعلب: أي: ليس كهو شيء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ رقم [١٣٧] من سورة (البقرة) قال أوس بن حجر: [المتقارب]

وقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيـ ـلِ يَغْشَاهُمُ مَطَرٌ مُنْهَمِرْ

أي: كجذوع. والذي يُعتقد في هذا الباب: أنَّ الله جلَّ اسمه في عظمته، وكبريائه، وملكوته، وحسنى أسمائه، وعليِّ صفاته لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبَّه به، وإنَّما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم جلَّ وعزَّ بخلاف صفات المخلوق؛ إذ صفاتهم لا تنفكُّ عن الأغراض، والأعراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، بل لم يزل بأسمائه، وبصفاته. وقد قال بعض العلماء المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات. وزاد الواسطي ـ رحمه الله تعالى ـ بياناً، فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلَّا من جهة موافقة

اللفظ، وجلَّت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة، وهذا كله مذهب أهل الحق، والسنة، والجماعة ـ رضي الله عنهم. انتهى. قرطبي.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد. ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: بأعمالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وانظر شرح (مثل) في الآية رقم [١٥] من سورة (يسٓ).

الإعراب: ﴿فَاطِرُ﴾: بالرفع: خبر آخر لاسم الإشارة: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾، أو مبتدأ خبره ما بعده. وقال مكي: هو نعت لله جلَّ ذكره، أو على إضمار مبتدأ؛ أي: هو فاطر. ويقرأ بالجر على أنَّه بدل من الضمير المجرور بـ: (إلى) و(على). وقال مكي: وأجاز الكسائي: (فاطر السموات) بالنصب على النداء. وقال غيره: على المدح. انتهى. أي: هو منصوب بفعل محذوف، تقديره: أمدح فاطر، و﴿فَاطِرُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر فيه، تقديره: «هو» يعود إلى الله، وهو متعدٍّ لواحد فقط؛ لأنَّه بمعنى: خلق. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَزْوَٰجًا﴾، كان صفة له، على مثال ما رأيت في الآية رقم [٦]، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر سادس لـ: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ على وجه مرَّ ذكره، أو في محلّ رفع خبر ﴿فَاطِرُ﴾ على اعتباره مبتدأ، أو هي مستأنفة على نصب: ﴿فَاطِرُ﴾ وجره.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والكاف مفعول به. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل (جعل) المستتر، والرابط: الضمير فقط. وقيل: الجملة في محل نصب صفة: ﴿أَزْوَٰجًا﴾ وضعفه ظاهر. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَيْسَ﴾ مقدم، وانظر الشرح، وما قيل في الكاف، و(مثل): مضاف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَىْءٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية، يقال فيها ما قيل بجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال، ﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: خبران له، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها: مقلاد، مثل: مفتاح. وقيل: جمع: إقليد على غير قياس. وقيل: هو فارسي معرب، قال الراجز: [الرجز]

لـم يُـؤْذِهـا الـدّيـكُ بـصـوتِ تـغْـريـد ... وَلَـمْ يُـعـالِـجْ غَـلْـقَـهـا بـإقْـلـيـد

أو هو جمع: مقليد، مثل: منديل، ومناديل. وعلى جميع الاعتبارات في الكلام استعارة بديعة، نحو قولك: بيد فلان مفتاح الأمر، وليس ثَمَّ مفتاح، وإنَّما هو عبارة عن شدّة تمكّنه من ذلك الشيء. والمعنى: أنَّ الله تعالى مالك أمر السموات، والأرض، وحافظها، ومدبِّر أمرها. وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: «**يا عثمانُ! ما سألني عنها أحَدٌ قبلكَ، تفسِيرهَا: لا إلهَ إلَّا الله، والله أكبرُ، وسبحانَ الله وبحمدِهِ، وأستغفرُ الله، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، هو الأولُ والآخِرُ، والظاهرُ والباطِنُ، بيدِهِ الخيرُ يحيي ويميتُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ**». والمعنى على هذا: أنَّ لله هذه الكلمات يوحَّد بها، ويمجَّد، وهي مفاتيح خير السموات والأرض، من تكلّم بها؛ فقد أصابه، هذا؛ وقيل: مقاليد السموات: خزائن الرحمة، والرزق، والمطر، ومقاليد الأرض: ما يخرج منها من نبات.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يغني، ويوسع الرزق، ويعطي المال من يشاء التوسيع عليه. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق الرزق، ويقلّله على من يشاء من عباده، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة القاطعة الدامغة، ولذا قال جلَّ ذكره في سورة (الإسراء) رقم [٣٠]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ أي: ذو خبرة بعباده، وبمن يصلحه التوسيع في الرزق، ومن يفسده ذلك، وبمن يصلحه الضيق والإقتار في الرزق، ومن يهلكه ذلك، وهو ذو بصر ومعرفة بتدبير عباده، وسياستهم، فمن العباد من لا يصلح له إلَّا الغنى، ولو أفقره؛ لفسد، ومنهم من لا يصلح له إلَّا الفقر، ولو أغناه؛ لفسد.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**إن من عبادي من لا يصلحه إلَّا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلَّا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه**». كذا ذكره ابن كثير عن أنس مرفوعاً. هذا؛ وبين: ﴿يَبْسُطُ﴾ و(يَقْدِرُ) مقابلة، ومطابقة، وهي من المحسنات البديعية، وانظر الآية [٢٧].

وينبغي لكل عاقل أن يعلم: أنَّ سعة الرزق قد تكون مكراً، واستدراجاً، وتقتيره رفعة، وإعظاماً، ويوقن: أنَّ المال هو إعطاء الله للعبد، لا علاقة له بقوة الأجسام، ولا بشدة الفهم، وحدة الذكاء، ورحم الله الإمام الشافعي؛ إذ يقول: [الوافر]

تَـمـوتُ الأُسْـدُ فـي الـغـابـاتِ جُـوعـاً ... وَلَـحـمُ الـضَّـأنِ تـأكُـلُـه الـكِـلابُ

وقال: [البسيط]

كـم مِـنْ قـويٍّ قـويّ فـي تـقـلُّـبِـهِ ... مُـهَـذَّبِ الـرأي: عَـنْـهُ الـرزقُ مُـنْـحـرِفُ

كـم مِـنْ ضـعـيـفٍ ضـعـيـفٍ فـي تـقـلـبـهِ ... كـأنَّـهُ مِـنْ خـلـيـجِ الـبَـحْـرِ يَـغْـتَـرِفُ

هَـذَا دلـيـلٌ عـلـى أنَّ الإلـهَ لـهُ ... فـي الـخـلـقِ سِـرٌّ خـفـيٌّ لـيـسَ يـنـكَـشِـفُ

وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: تلقى ضعيف القوة، قليل الحيلة، عيي اللسان؛ وهو موسع عليه في الرزق، وتلقى شديد الحيلة، بسيط اللسان، وهو مقتر عليه في الرزق، ورحم الله الشافعي إذ يقول: [الكامل]

وَمِنَ الدليلِ على القضاء وكونِهِ بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: علمه تعالى محيط بكل شيء، فهو واسع العلم، يعلم إذا كان الغنى خيراً للعبد، أو الفقر خيراً له، سبحانه لا يعزب عن علمه شيء في السموات والأرض.

الإعراب: ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم. ﴿مَقَالِيدُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية يجوز فيها ما جاز بجملة: ﴿جَعَلَ لَكُم...﴾ إلخ. ﴿يَبْسُطُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ . ﴿ٱلرِّزْقَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الضمير فقط، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من اعتبارها خبراً لـ: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو: لشخص يشاء التوسيع عليه. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَبْسُطُ...﴾ إلخ. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾، و(كل): مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للبسط، والتقتير.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾: بيّن، وأظهر لكم الذي له مقاليد السموات والأرض. ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾: إنَّما خصَّ هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر؛ لأنَّهم أكابر الأنبياء، وأصحاب الشرائع المعظمة، والأتباع الكثيرة، وأولو العزم. ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الأعلام، من رسله بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾. والمراد: بإقامة الدين: هو توحيد الله، والإيمان به، وبكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وطاعة الله في أوامره، ونواهيه، وسائر ما يكون به الرجل مسلماً، ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنَّها مختلفة متفاوتة. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ رقم [٤٨] من سورة (المائدة). وقيل: أراد تحليل الحلال، وتحريم الحرام.

وقيل: تحريم الأمهات، والبنات، والأخوات، فإنَّه مجمع على تحريمهن. وقيل: لم يبعث الله نبياً إلَّا وصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار لله تعالى بالوحدانية، والطاعة.

فكان المعنى: ، أوصيناك يا محمد بما أوصينا به نوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى في الأصول التي لا تختلف فيها الشرائع، وهي: التوحيد، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والتقرب إلى الله بصالح الأعمال، والطاعات التي تهذب القلب، والجوارح، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وتحريم الكفر، والقتل، والزنى، والإذاية للخلق، فهذا كله مشروع ديناً واحداً، وملةً واحدةً، لم تختلف على ألسنة الأنبياء، وإن اختلفت أعدادهم، وأزمانهم، وأماكنهم.

واختلفت الشرائع وراء هذا في معان حسبما أراده الله مما اقتضت المصلحة، وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم. والمراد: فروع الشرائع، وهو فحوى قول الرسول ﷺ: **«الأنبياءُ بنو عَلَّاتٍ»** وفي رواية أخرى: **«نحن معشرَ الأنبياء، أَوْلادُ عَلَّاتٍ دِينُنَا واحِدٌ»**. وفحوى هذا: أنَّ الأصل، وهو الأب واحد، واختلاف الأمهات يعني: اختلاف فروع الشرائع. وفي الحديث استعارة ظاهرة لا خفاء فيها. وانظر الإعراب يظهر المعنى، أوضح.

فائدة: الرسل الخمسة المذكورون في هذه الآية هم أصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة، فكل واحد منهم له شرع جديد، ومن عداهم من الرسل إنَّما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله، فشيث، وإدريس بُعِثَا بتبليغ شرع آدم. ومن بين نوح وإبراهيم، وهما هود وصالح بُعِثَا بتبليغ شرع نوح، ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم. ومن بين موسى، وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى.

وأمَّا آدم فكان شرعه تنبيهاً على بعض الأمور، واقتصاراً على ضرورات المعاش، وأخذاً بوظائف الحياة، والبقاء، واستمرَّ ذلك إلى نوح، فبعثه الله بتحريم الأمهات، والبنات، والأخوات، ووظّف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب، والديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء ـ صلوات الله، وسلامه عليهم ـ واحداً بعد واحد، وشريعةً إثر شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا، على لسان أكرم الرسل نبينا محمد ﷺ. انتهى. جمل. والرسل المذكورون في هذه الآية هم أولو العزم، وسموا بذلك؛ لأنَّهم تحمّلوا المشاق أكثر من غيرهم، وصبروا على ما نالهم من إيذاء قومهم بعد أن تصدَّوْا لهدايتهم. وقد جمعهم بعضهم بقوله: [الطويل]

مُحَمَّدُ إبراهيمُ موسى كليمُهُ فعيسى فنوحُ هم أولُو العزْمِ والعلمِ

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: عظم، وشقَّ عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد، وعبادة الله تعالى، ورفض عبادة الأوثان. ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يصطفي، ويختار لدينه، وتوحيده وعبادته من يشاء من عباده. ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أي: يوفق لما ذكر من

رجع إلى الله بالتوبة والإنابة، وأقبل عليه بالعبادة والطاعة. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلدِّينِ﴾ في سورة (الصافات) رقم [٢٠]، وانظر التعبير بـ: (أوصينا) ونحوه في سورة (يسٓ) رقم [٥٠]. وفي الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى التكلم. انظر الالتفات في سورة (الصافات) رقم [١٣٧] فإنَّه جيد. وانظر (الوحي) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿شَرَعَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، تقديره: «هو». ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلّ لها. وقد رأيت فيما سبق جواز اعتبارها خبراً عاشراً لقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. هذا؛ وإن علقت: ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ بمحذوف مفعول به؛ التقدير: بين الله لكم، وسنَّ طريقاً واضحاً من الدين؛ فتكون ﴿مَا﴾ مفسرة للمفعول المحذوف، و(مِنْ) بيان للمفسَّر، والمفسِّر جميعاً. ﴿وَصَّىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى الله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿نُوحًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها. ﴿وَٱلَّذِيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على: ﴿مَا﴾. ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذي أوحيناه إليك. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب أيضاً، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء.

﴿أَنۡ﴾: حرف تفسير؛ لأنَّها سبقت بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وأجيز اعتبارها مصدرية. ﴿أَقِيمُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على اعتبار: ﴿أَنۡ﴾ تفسيرية، وتؤول مع: ﴿أَنۡ﴾ بمصدر على اعتبارها مصدرية، وهذا المصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو إقامة الدين، وتكون هذه الجملة مفسرة لجملة: ﴿وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ...﴾ إلخ. وأجيز اعتبار المصدر المؤول بدلاً من الموصول، فيكون في محل نصب، أو بدلاً من: ﴿ٱلدِّينَ﴾ فيكون في محل جر. وفي أبي السعود: ومحل: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ﴾ إمَّا النصب على أنَّه بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾، والمعطوفين عليه، أو الرفع على أنَّه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع، كأنَّه قيل: وما ذاك؟ فقيل: هو إقامة الدين. وقيل: هو بدل من ضمير: ﴿بِهِۦٓ﴾ وليس بذاك؛ لأنَّه مع إفضائه إلى خروجه من حيِّز الإيحاء إلى النبي ﷺ، مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ للأنبياء المذكورين، عليهم الصلاة، والسلام، وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل ظاهر، مع أنَّ الظاهر: أنَّه متوجه إلى أمته ﷺ، وأنهم المتفرقون، كما ستحيط به خبراً. انتهى. جمل. ﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَتَفَرَّقُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)

الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها.

﴿كَبُرَ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع فاعل: ﴿كَبُرَ﴾. ﴿تَدْعُوهُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (إلى).

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَجْتَبِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبره. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف. التقدير: يجتبي إليه الذي، أو شخصاً يشاء اجتباءه. ﴿وَيَهْدِىٓ﴾: الواو: حرف عطف. (يهدي): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان به. ﴿مَن﴾: مفعول به. ﴿يُنِيبُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة له، أو صفة له، وجملة: ﴿وَيَهْدِىٓ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ...﴾ إلخ: هذا شروع في بيان حال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك، وقال القرطبي: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني قريشاً. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: محمد ﷺ، وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبي. دليله: قوله تعالى في سورة (فاطر) رقم [٤٢]: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ...﴾ إلخ يريد نبياً. وقيل: أمم الأنبياء المتقدمين، فإنَّهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى، فآمن قوم، وكفر قوم. وقال ابن عباس أيضاً: يعني: أهل الكتاب، دليله في سورة (البينة) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ فالمشركون قالوا: لم خُصّ بالنبوة؟! واليهود حسدوه لما بُعث، وكذا النصارى.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بغياً من بعضهم على بعض طلباً للرياسة، فليس تفرقهم لقصور في البيان، والحجج، ولكن للبغي، والظلم، والاشتغال بالدنيا. انتهى. قرطبي. وأيضاً: البغي: الظلم، والعدوان، والحسد، والعناد، والطغيان.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: في تأخير عذاب الاستئصال عن هؤلاء، وهي كلمة الإنظار، والإمهال بتأخير تعذيب المجرمين إلى يوم القيامة، فإنَّه يوم الفصل والجزاء. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة، أو آخر أعمارهم المقدرة لهم في الدنيا. ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بإنزال ما يستحقه المجرم والمكذب من العذاب ليتميز به عن المحق. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: وإن قومك يا محمد لفي شك من القرآن موقع في الريبة، لتبلد عقولهم، وعمى أبصارهم.

هذا؛ وقيل: إن الكلمة التي سبقت هي قوله تعالى في الحديث القدسي: «**سَبَقَتْ رَحْمتي غَضَبي**». ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة، والإنجيل، وهم اليهود، والنصارى؛ أي: الذين كانوا في عهد النبي ﷺ. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد المختلفين الأولين في الحق، أو المراد: كفار قريش الذين أورثوا القرآن من بعد اليهود، والنصارى. ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: من محمد ﷺ، أو من القرآن، وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من اعتدال النقيضين، وتساويهما في الذهن، بل المراد به ما هو أعم؛ أي: مطلق التردد. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

أمَّا الريب فهو: الشك، تقول: رابني هذا الأمر، أي: أوقعني في شك، وحقيقة الريبة قلق النفس، واضطرابها، قال الرسول ﷺ: «**دَعْ ما يَرِيبُك إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**».

تنبيه: في (كلمة) ثلاث لغات: الأولى: كَلِمة على وزن: نَبِقة، وهي الفصحى، ولغة أهل الحجاز، وبه نطق القرآن الكريم في آيات كثيرة، وجمعها: كَلِم، كَنَبِق. والثانية: كِلْمَة على وزن: سِدرة، وجمعها: كِلْمْ كسدْر. والثالثة: كَلْمة على وزن: تَمْرَة، وجمعها: كَلْم، كَتَمْر. وهما لغتا تميم. وكذلك كل ما كان على وزن فَعِل، نحو كبِد، وكَتِف، فإنَّه يجوز فيه اللغات الثلاث، فإن كان الوسط حرف حلق جاز فيه لغة رابعة، وهي إتباع الأول للثاني في الكسر، نحو فِخِذ وشِهِد، وهي في الأصل: قول مفرد، مثل: محمد، ومحمود، وقام، وقعد، وفي ولنْ. وقد تطلق على الجمل المفيدة، كما في قوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٥]: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «**أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمة لبيد**»: [الطويل]

ألا كُلُّ شَيءٍ ما خَلاَ اللهَ باطِلُ وكُلُّ نَعيمٍ لا محالَةَ زَائِلُ

المراد بـ: «كلمة» الشطر الأول بكامله. وتقول: قال فلانٌ كلمة، والمراد: بها: كلام كثير، وهو شائع، ومستعمل عربيةً في القديم، والحديث، وانظر شرح (قضي) في سورة (فصلت) [١٢].

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَفَرَّقُوٓا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في المعنى في محل نصب على الاستثناء في أعم الأحوال. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿جَآءَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْعِلْمُ﴾: فاعله.

﴿بَغْيَا﴾: مفعول لأجله، وقيل: حال بمعنى: باغين. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلّق بالمصدر بغياً، والهاء في محل جر بالإضافة، و﴿مَا﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿بَعْدِ﴾ إليه، التقدير: إلّا من بعد مجيء العلم إليهم.

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ. ﴿سَبَقَتْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿كَلِمَةٌ﴾، والتاء للتأنيث، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿سَبَقَتْ﴾؛ أي: ممتدة إلى أجل. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، وخبر المبتدأ محذوف، التقدير: موجودة، والجملة الاسمية: «كلمة... موجودة» لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية. ﴿لَّقُضِىَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (قضي): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، على أنَّه نائب فاعله. وقيل: نائب الفاعل يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، التقدير: قضي القضاء، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] من سورة (سبأ)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، والشبه بينهما شديد وقوي، وجملة: ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ جواب (لولا)، لا محلَّ لها، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له.

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿أُورِثُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَفِى﴾: اللام: هي المزحلقة. (في شك): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَكٍّ﴾ لأنَّه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف صفته. ﴿مُرِيبٍ﴾: صفة: ﴿شَكٍّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: فلأجل ذلك التفرق، أو لأجل ذلك الكتاب، أو لأجل ذلك العلم، الذي أوتيته يا محمد! ﴿فَٱدْعُ﴾ أي: إلى الاتفاق على الملة الحنيفية؛ التي بعثك الله بها،

وأيّدك، ونصرك من أجلها، أو الاتباع لما أوتيته. وعلى هذا يجوز أن تكون اللام في موضع «إلى» لإفادة الصلة، والتعليل. انتهى. بيضاوي بتصرف.

﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾: لما بيَّن الله أمر المختلفين في التوحيد، والنبوة، وأطنب في شرح الوعد، والوعيد؛ أمر رسوله ﷺ بالاستقامة مثل ما أمر بها، بلا إفراط، ولا تفريط، وهي تشمل العقائد، والأعمال، والأخلاق، فإنَّها في العقائد: اجتناب التشبيه، والتعطيل. وفي الأعمال: الاحتراز عن الزيادة، والنقصان، والتغيير، والتبديل. وفي الأخلاق: التباعد عن طرفي الإفراط، والتفريط. وهذا في غاية العسر، ولذلك قال الرسول ﷺ: «**شيَّبَتْني سورةُ هودٍ**». لأنَّ هذه الجملة مذكورة فيها برقم [١١٢]. وانظر (الاستقامة) في سورة (فصلت) رقم [٣٠].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: الباطلة المختلفة، وما اختلقوه، وكذبوه، وافتروه من عبادة الأوثان. وقل يا محمد: ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ أي: بجميع الكتب السماوية؛ التي أنزلها الله على رسله، لا كالكافرين الذين آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، كما حكى الله عنهم قولهم في سورة (النساء) رقم [١٥٠]: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أي: أمرني ربي بأن أعدل بينكم في الحكم؛ إذا تحاكمتم إليَّ، وتخاصمتم في شيء من الأشياء، فأنا مأمور بأن أحكم بينكم في العدل في جميع الأحوال، والأعمال، والشؤون، ولا أحيف على أحد منكم بأكثر مما يستحق. ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: خالقنا، وخالقكم، ورازقنا، ورازقكم، ويتولى جميع أمورنا، وأموركم، فيجب أن نخصه بالعبادة، والطاعة، والإنابة. ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أي: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم من خير، وشر، لا نستفيد من حسناتكم، ولا نتضرر من سيئاتكم. قال ابن كثير: هذا تبرؤ منهم؛ أي: نحن براءٌ منكم، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ رقم [٤١] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقوله تعالى في سورة (الكافرون): ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: لا حجاج بمعنى: لا خصومة بيننا، وبينكم؛ إذا الحق ظهر، ولم يبقَ للمحاجة مجال، ولا للخلاف مبدأ سوى العناد. ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: يوم القيامة، فيفصل بيننا، وينتقم لنا منكم، وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق، وقيام الحجة، والإلزام، قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف حوجزوا؟ وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل، وتخريب البيوت، وقطع النخيل، والإجلاء؟! قلت: المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة، لا المقاتلة. انتهى. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع والمآب، فيجازي كلاً بعمله، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌّ.

الإعراب: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لذلك) جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿فَٱدۡعُ﴾: الفاء: زائدة، وقيل: تأكيد للأولى. وليس بشيء. (ادع): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. هذا؛ وإن اعتبرت الفاء الفصيحة، والجملة لا محلَّ لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الشك واقعاً منهم، وجزاء كل من الفريقين: المؤمن، والصالح لا بد منه؛ فادع إلى الاتفاق على الملة الحنيفية... إلخ؛ فلست مفنداً. ﴿كَمَآ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أُمِرۡتَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، و(ما) والفعل في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، والتقدير: استقم استقامة كائنة مثل أمر الله لك بها، أو التقدير: مثل التي أمرت بها. فتكون (ما) موصولة اسمية. وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنَّما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال، من المصدر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنَّما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأنَّ حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلَّا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. وجملة: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَتَّبِعۡ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَقُلۡ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿ءَامَنتُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء أنزله الله. ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في: (ما)، وجملة: ﴿وَقُلۡ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿وَأُمِرۡتُ﴾: الواو: واو الحال. (أمرت): ماض ونائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من تاء الفاعل بـ: ﴿ءَامَنتُ﴾، والرابط: الضمير، والواو معاً. ﴿لِأَعۡدِلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. هذا؛ وإن اعتبرت اللام صلة بدلاً من: «أن» فحينئذ تؤول مع الفعل بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: أمرت أن أعدل. ﴿بَيۡنَكُمُ﴾: ظرف مكان متعلّق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿رَبُّنَا﴾: خبره. ﴿وَرَبُّكُمۡ﴾: معطوف عليه. و(نا) والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله. وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا

محلَّ لها. ﴿لَنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَعۡمَٰلُنَا﴾: مبتدأ مؤخر، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلّ لها. ﴿وَلَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿حُجَّةَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿بَيۡنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر: ﴿لَا﴾. ﴿وَبَيۡنَكُمُۖ﴾: معطوف على ما قبله، و(نا)، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿لَا حُجَّةَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَجۡمَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بَيۡنَنَاۖ﴾: ظرف مكان متعلّق بما قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِلَيۡهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَجۡمَعُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

تنبيه: جاء في مختصر ابن كثير ما يلي: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسها. قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي فإنَّها أيضاً عشرة فصول كهذه. انظرها برقم [٢٥٥] من سورة (البقرة).

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾: المراد بهم: المشركون. ﴿بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾: قال مجاهد: من بعد ما أسلم الناس. قال: وهؤلاء قد توهموا: أنَّ الجاهلية تعود. وقال قتادة: الذين يحاجون في الله هم اليهود، والنصارى. ومحاجتهم قولهم: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، وكانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب، وأنهم أولاد الأنبياء. هذا؛ والضمير راجع إلى الرسول ﷺ المعلوم من السياق الدال عليه الفعل. وفي البيضاوي: من بعدما استجاب له الناس، ودخلوا في دين الله، أو من بعدما استجاب الله لنبيه، فأظهر دينه، وأيده بنصره في غزوة بدر. انتهى. بتصرف.

﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: لا ثبات لها كالشيء الذي يزلّ عن موضعه، يقال: دحضت حجته دحوضاً: بطلت، وأدحضها الله. والإدحاض: الإزلاق. ومكان دَحْض ودَحَض: أي: زَلِق، ودَحَضت رجله، تَدْحَض دحضاً: زلقت، ودحضت الشمس عن كبد السماء: زالت. هذا؛ وسماها الله حجة، وإن كانت شبهة؛ لزعمهم أنَّها حجة، وفيها استعارة واضحة. ﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾: شديد من ربهم. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ أي: موجع في الآخرة.

عن أبي أسماء: أنَّه دخل على أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ وهو بالربذة، وعنده امرأة سوداء مُسْغِبَةٌ ليس عليها أثر المحاسن، ولا الخَلُوق، فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السويداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا عليَّ بدنياهم، وإن خليلي ﷺ عهد إليَّ أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دَحْض، ومَزِلَّة، وإنا إن نأتِ عليه، وفي أحمالنا اقتدار، واضطهار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه؛ ونحن مواقير؛ أي: مثقلون خائفون. أخرجه الإمام أحمد.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿اسْتُجِيبَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعله، و﴿مَا﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿بَعْدِ﴾ إليه، التقدير: من بعد استجابة الله له، واعتبار ﴿مَا﴾ موصولة ضعيف. ﴿حُجَّتُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿دَاحِضَةٌ﴾: خبره. وأغرب مكي، فقال: ﴿حُجَّتُهُمْ﴾ بدل من الذين، وهو بدل اشتمال، و﴿دَاحِضَةٌ﴾ الخبر. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿دَاحِضَةٌ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿حُجَّتُهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَعَلَيْهِمْ﴾: الواو: حرف عطف. (عليهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿غَضَبٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة؛ فلست مفنداً ويكون الرابط: الواو، والضمير، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ معطوفة عليها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن، وسائر الكتب المنزلة من عنده على رسله؛ حيث فيها التشريع، وتبيين الحلال، والحرام، وتفصيل الأحكام. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: ملتبساً بالحق بعيداً عن الباطل، والعبث. ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: العدل، والإنصاف، سمي العدل ميزاناً؛ لأنَّ الميزان آلة العدل، والتسوية، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ سورة (الحديد) رقم [٢٥]. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: لعلَّ إتيانها قريب منك، وأنت لا تدري، لذا فاعمل بالشرع، واتبع الكتاب، وواظب على العدل قبل أن يفجأك اليوم الذي توزن فيه أعمالك، وتوفى جزاءك، وقال في سورة (الأحزاب) رقم [٦٣]: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

وسبب نزول الآية: أنَّ النبي ﷺ ذكر الساعة، وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيباً، واستبعاداً، وكفراً، وعناداً: متى تكون الساعة؟! ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب، والميزان: أنَّ الساعة يوم الحساب، ووضع الموازين بالقسط، فكأنه قيل: أمركم بالعدل، والتسوية، والعمل الصالح، فاعملوا بالكتاب، والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم، ووزن أعمالكم. هذا؛ وقد قال النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتيْنِ**». وأشار إلى السبابة، والوسطى. خرجه أصحاب السنن. هذا؛ ولم يؤنث ﴿قَرِيبٌ﴾ مع كونه راجعاً إلى الساعة، وذلك على تأويلها باليوم، أو بالبعث، كما قيل في قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٥٦]: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ذكَّر ﴿قَرِيبٌ﴾ على تأويل الرحمة بالعفو. وذكر الفراء: أنَّهم التزموا التذكير في: ﴿قَرِيبٌ﴾ إذا لم يرد قرب النسب قصداً للفرق؛ أي: بين المراد بها قرب النسب، والمراد بها غيره.

وقال الكسائي: ﴿قَرِيبٌ﴾ نعت يُنعت به المذكر، والمؤنث، والجمع بمعنى، ولفظ واحد. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال الشاعر: [الطويل]

وكنَّا قريباً والديارُ بعيدةٌ فلمَّا وصَلْنا نُصْبَ أعيُنِهِمْ غِبْنَا

أقول: وهذا يخضع لقاعدة، وهي أنَّ «فعيلاً» يستوي فيه المذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع، كما في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ومثله قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٣٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

فَلَوْ أنكِ في يَوْمِ الرَّخاء سَألْتِني طَلاقَكِ لَمْ أبْخَلْ وأنْتِ صديقُ

فإن قيل: كيف قال في كثير من المواضع: إن الآخرة من الدنيا قريبة، وسمى الساعة قريبة، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ...﴾ إلخ، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وقال هنا: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فالجواب: أنَّ الماضي كالأمس الدابر، وهو أبعد ما يكون؛ إذ لا وصول إليه، والمستقبل وإن كان بينه، وبين الحاضر سنين؛ فإنَّه آت، فيوم القيامة الدنيا بعيدة منه لمضيها، ويوم القيامة في الدنيا قريب لإتيانه. انتهى. نقلاً عن كرخي.

هذا؛ و(ميزان) أصلها: موزان، قلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها. ومثله: ميعاد، وميثاق، وميراث، وميقات. هذا؛ و﴿يُدْرِيكَ﴾ ماضيه: درى بمعنى: علم، فهو من أفعال اليقين، فينصب مفعولين، كقول الشاعر وهو الشاهد رقم [٦] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

دُرِيتَ الوفيَّ العهْدِ يا عمرُو فاغتَبِطْ فإنَّ اغتباطاً بالوفاء حميدُ

وهو قليل؛ إذ الكثير المستعمل فيه أن يتعدَّى إلى واحد بالباء، نحو: دَريتَ بكذا، فإن دخلت همزة النقل عليه؛ تعدَّى إلى واحد بنفسه، وإلى واحد بالباء، نحو قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾. قال شيخ الإسلام: ومحلّ ذلك إذا لم يدخل على الفعل استفهام، وإلَّا تعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل، نحو قوله تعالى في سورة (القارعة): ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ

مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فالكاف مفعول به أول، والجملة الاسمية بعده سدّت مسدّ المفعولين. انتهى. والذي في الهمع، والمغني، قيل: وهو الأوجه: أن الجملة الاسمية سدّت مسدّ المفعول الثاني المتعدى إليه بالحرف، فتكون في محلّ نصب بإسقاط الجار، كما في: فكرت: أهذا صحيح أم لا؟ أي: فكرت بما ذكره. انتهى. جرجاوي.

وينبغي أن تعلم: أنَّ الفعل «أدرى» هنا معلق عن العمل لفظاً بوقوع ﴿لَعَلَّ﴾ بعده. والكوفيون يجرون الترجي مجرى الاستفهام في التعليق، إلَّا أن النحويين لم يعدوا لَعَلَّ من المعلقات، والحق مع الكوفيين، وهو ظاهر في هذه الآية، وكقوله تعالى في سورة (عبس): ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾، وقوله تعالى في سورة (الأحزاب): ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

فإن كان (درى) بمعنى: ختل؛ أي: خدع كان متعدياً إلى واحد بنفسه، مثل دريت الصيد؛ أي: ختلته وخدعته، قال الأخطل التغلبي: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَقْصَدْتَني إذ رميتني ... بسهمك فالرَّامي يصيدُ ولا يَدْري

أي: يصيد، ولا يختل. ومثله قول الآخر: [الطويل]

فَإِنْ كُنتُ لا أدري الظباء فإنني ... أدُسُّ لها تحتَ التُّرابِ الدَّواهِيَا

أي: لا أختل، وإن كانت بمعنى: حَكَّ، مثل: درى رأسه بالمدرى؛ أي: حَكَّ رأسه بالمشط، فهي كذلك. هذا؛ و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: القيامة سميت بذلك؛ لأنَّها تفجأ الإنسان بغتة في ساعة، لا يعلمها إلَّا الله تبارك وتعالى. وقيل: سميت ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأنَّ حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة، أو أقل من ذلك، قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (الزخرف).

تنبيه: قال المحققون من العلماء: سبب إخفاء الساعة، ووقت قيامها عن العباد؛ ليكونوا دائماً على خوف، وحذر منها؛ لأنَّهم إذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت؛ كانوا على وجل، وخوف منها فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة، والمسارعة إلى التوبة، وأزجر لهم عن المعصية، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتقومنَّ الساعةُ وقدْ نشرَ الرجلان ثوبهما بينَهُما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانِهِ، ولتقومنَّ الساعةُ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته، فلا يطعمهُ، ولتقومنَّ الساعة، وهو يليط حوضه، فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة، وقدْ رفع أكلته إلى فيه فلا يَطْعمُها**». متفق عليه. هذا؛ وقد أخفى الله أموراً أخرى، مثل: ليلة القدر في شهر رمضان، وساعة الإجابة في يوم الجمعة؛ ليجتهد المؤمن، والمؤمنة في ليالي شهر رمضان في العبادة، وليكونوا مجتهدين في الدعاء كل يوم الجمعة، وليلته، كما أخفى رضاه في الطاعة، وغضبه في المعصية، ليعمل العبد جميع الطاعات، ويكف عن جميع المعاصي. وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (الزخرف) فهو جيد.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وهو العائد. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ معطوف على: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُدْرِيكَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (ما)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿لَعَلَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: اسمها. ﴿قَرِيبٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل نصب سدَّت مسدّ المفعول الثاني للفعل يدريك.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: بالساعة، يستعجلونها؛ أي: يطلبون وقوعها عاجلاً على طريق الاستهزاء، ظنَّاً منهم: أنَّها غير آتية، أو إيهاماً للضعفة: أنَّها لا تكون. وما أكثر ما حكى القرآن عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

هذا؛ وقال الجمل: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: فلا يشفقون منها. وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي: فلا يستعجلونها، ففي الآية احتباك؛ حيث ذكر الاستعجال أولاً، وحذف الإشفاق، وذكر الإشفاق ثانياً، وحذف الاستعجال. انتهى. نقلاً من كرخي.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي: خائفون وجلون من وقوعها لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد في الطاعة، كما قال تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [٦٠]: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ أي: ويعتقدون: أنَّها كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها، عاملون من أجلها؛ لذا كانوا يسألون عنها خوفاً من مفاجأتها؛ فعن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: «**وما أعددْتَ لها؟**». قال: لا شيء؛ إلَّا أني أحبُّ الله، ورَسُولَه. قال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس: فما فرِحْنا بشيءٍ فرحَنا بقَوْل النبي ﷺ «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قال أنس رضي الله عنه: (فأنا أحبُّ النبيّ ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إيَّاهم). رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يشكون، ويخاصمون في قيام الساعة، ويجادلون في وجودها. ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: عن الحق، وطريق الاعتبار. و(الضلال) مصدر: «ضل» الثلاثي، والإضلال مصدر الرباعي، والأول مستعار من ضلال من أبْعَدَ في التيه ضَلَالاً، أو هو مجاز

عقلي، على حدِّ: جَدَّ جدُّه؛ لأنَّ البعيد في الحقيقة إنَّما هو الضال؛ لأنَّه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله، وانظر (الأحقاف) [٢٨]. هذا؛ و﴿يُمَارُونَ﴾ من المماراة، وهي المجادلة، والمخاصمة. وهي مذمومة إلَّا عند الضرورة القصوى، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَىً كانوا عليْهِ إلَّا أُوتُوا الجدل**». ثم قرأ قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾. رواه الترمذي، وابن ماجه.

الإعراب: ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾: مضارع. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول، مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد: واو الجماعة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: واو الحال. ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة له. ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان به، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالباء، والرابط: الواو، والضمير، ومن يجيز عطف الجملة الاسمية على الفعلية يعطفها على ما قبلها. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يعلمون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿أَنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(ها): اسمها. ﴿الْحَقُّ﴾: خبرها، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي (يعلمون)، والجملة الفعلية معطوفة على: ﴿مُشْفِقُونَ﴾ فهي في محل رفع مثله.

﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها من الإعراب. ﴿لَفِي﴾: اللام: المزحلقة. (في ضلال): متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَالٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أَلَا إِنَّ...﴾ إلخ، لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، أو مستأنفة.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: في إيصال المنافع، وصرف البلاء من وجه يلطف إدراكه، أو: هو بر بليغ البر بهم، وقد توصل بره إلى جميعهم. وقيل: هو من لطف بالغوامض علمه، وعظم عن الجرائم حلمه. أو هو من ينشر المناقب، ويستر المثالب. أو يعفو عمَّن يهفو. أو يعطي العبد فوق الكفاية، ويكلّفه الطاعة دون الطاقة، وعن الجنيد: لطف بأوليائه فعرفوه، ولو لطف بأعدائه ما جحدوه. وقيل: لطيف بالبر والفاجر؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: إن الإحسان، والبر إنعام في حق كل العباد، وهو إعطاء ما لا بُدَّ منه. فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن، وكافر، وذي روح، فهو ممن يشاء الله أن يرزقه.

وفي القرطبي: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: ويَحْرِم من يشاء. وفي تفضيل قوم بالمال حكمةٌ؛ ليحتاج البعض إلى البعض، كما قال تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٣٢]: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ وكان هذا لطفاً بالعباد، وأيضاً ليمتحن الغني بالفقير، والفقير بالغني، كما قال تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٢٠]: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾. انتهى. انظر شرحها هناك فإنَّه جيد. ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾: الباهر القدرة، الغالب على كل شيء. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغلب، القاهر فوق عباده.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿لَطِيفٌۢ﴾: خبره. ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بـ: ﴿لَطِيفٌۢ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَرْزُقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يرزق الذي، أو شخصاً يشاء رزقه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، وفيها معنى التفسير لـ: ﴿لَطِيفٌۢ﴾. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ، وما بعده خبران عنه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَرْزُقُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: كسب الآخرة، والمعنى: من كان يريد بعمله الآخرة، فأدّى حقوق الله، وأنفق في سبيل الله. ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ أي: فإنَّما نعطيه ثواب ذلك مضاعفاً، للواحد عشراً إلى سبعمئة فأكثر، قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٠]: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وقيل: المعنى: نوفقه للعبادة، ونسهلها عليه. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: المال، والسيادة، ورياسة الدنيا، والتمتع بالمستلذات، والشهوات المباحة، والمحظورة. ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: فإنَّا لا نحرمه منها. ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ أي: لا حظَّ له في الآخرة؛ أي: لا ثواب له، ولا يدخل الجنة، قال تعالى في سورة (هود) رقم [١٥]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾.

فأنت ترى: أنَّ ما هنا، وما في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، قد أطلق هذا الوعد بينما هو مقيد بمشيئة الله في الآية رقم [١٨] من سورة (الإسراء): ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ...﴾ إلخ. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: والصحيح: أنَّه من باب الإطلاق، والتقييد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ

ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائماً على كل حال، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾.

وقال قتادة: إن الله تعالى يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلّا الدنيا، وقال أيضاً: يقول الله تعالى: «**من عمل لآخرته؛ زدناه في عمله، وأعطيناه من الدنيا ما كتبناه له، ومن آثر دنياه على آخرته؛ لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلّا النار، ولم يصب من الدنيا إلّا رزقاً قد قسمناه له، لا بُدَّ أن كان يؤتاه مع إيثار، أو غير إيثار**». قرطبي.

تنبيه: (الحرث) في الأصل: إلقاء البذر في الأرض، ويطلق على الزرع الحاصل منه، ويستعمل في ثمرات الأعمال، ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة، من البذور، المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور. انتهى. نقلاً من أبي السعود.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الآية تبطل مذهب أبي حنيفة في قوله: إنَّه من توضأ تبرداً: أنَّه يجزيه عن فريضة الوضوء الموظف عليه، فإن فريضة الوضوء من حرث الآخرة، والتبرد من حرث الدنيا، فلا يدخل أحدهما على الآخر، ولا تجزي نيته عنه بظاهر هذه الآية. قاله ابن العربي.

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾ أيضاً. ﴿حَرۡثَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾. ﴿نَزِدۡ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾: متعلقان به أيضاً، والهاء في محل جر بالإضافة، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠]. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾ إعرابه مثل سابقه. ﴿نُؤۡتِهِۦ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، وخبر المبتدأ مثل سابقه بلا فارق. ﴿مِنۡهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والكلام كلّه مستأنف لا محلّ له. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وبعضهم يجيز تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿نَّصِيبٍ﴾ على مثال ما رأيت في الآية رقم [٦]. ﴿مِن﴾ : حرف جر صلة. ﴿نَّصِيبٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟﴾ المراد بالشركاء: الشياطين؛ الذين زينوا لهم الكفر وإنكار البعث، والمعاصي، والمعاندة. أو المراد الأصنام، وأطلق عليها اسم الشركاء لأحد أمرين: أحدهما: أنَّ المشركين يشركونها مع الله في العبادة، والتعظيم، والتقديس. وثانيهما: أنَّهم يشركونها في الأموال، والأنعام، والزروع، كما رأيت في سورة (الأنعام) رقم [١٣٨] وما بعدها. وجمع الضمير العائد عليهم بواو الجماعة؛ لأنهم كانوا يخاطبون الأصنام كما يخاطبون الذكور العقلاء، وهذا كثير ومستعمل في القرآن الكريم. وإضافتها إليهم؛ لأنَّهم اتخذوها شركاء. وإسناد الشرع إليها؛ لأنَّها سبب ضلالتهم، وافتتانهم بما تدينوا به. وقال الشيخ زاده: وإسناد الشرع إلى الأوثان، وهي جمادات إسناد مجازي: من إسناد الفعل إلى السبب، وسماه ديناً للمشاكلة، والتهكم.

وعلى القول الأول؛ فالشياطين هم الذين شرعوا لهم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة، والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات، والجهالات الباطلة. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لولا أن الله حكم، وقضى في سابق أزله: أنَّ الثواب، والعقاب إنَّما يكونان يوم القيامة؛ لحكَمَ بين الكفار، والمؤمنين بتعجيل العقوبة للظالم، وإثابة المؤمن المطيع. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وارتكاب المعاصي، وجرهم ذلك على ظلم غيرهم. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع في الآخرة، دائم غير منقطع.

هذا؛ و﴿عَذَابٌ﴾ اسم مصدر لا مصدر؛ لأنَّ المصدر: تعذيب؛ لأنَّه مِنْ: عذَّب، يُعذِّب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، ومثله: عطاء، وسلام، ونبات لـ: أعطى، وسلم، وأنبت.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» الانتقالية. وقيل: التقدير: ألهم، فالهمزة للتقرير، والتقريع. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿شَرَعُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْذَنۢ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، وجملة: ﴿شَرَعُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع صفة: ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط. ﴿كَلِمَةُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و(الفصل) مضاف إليه، والخبر محذوف، التقدير: موجودة. ﴿لَقُضِيَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (قضي): ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل على أنَّه نائب فاعله. وقيل: نائب الفاعل يعود إلى المصدر المفهوم، من الفعل السابق، التقدير: قضي القضاء بينهم. وانظر ما ذكرته في سورة (سبأ) رقم [٥٤]، والجملة الفعلية جواب (لولا) لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبّه بالفعل. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسم (إن) منصوب... إلخ. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل بمتعلق الجار والمجرور. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم، واعتبار: ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخراً، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية ﴿وَإِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾. هذا؛ وقرئ بفتح همزة (أن) على اعتبار المصدر المؤول منها ومن اسمها وخبرها معطوفاً على: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ...﴾ إلخ والفصل بين المعطوف، والمعطوف عليه بجواب (لولا) جائز، ويجوز أن يكون المصدر المؤول في محل رفع على تقدير: (وجب أن الظالمين...) إلخ، فيكون منقطعاً عمَّا قبله، كقراءة الكسر، فاعلمه. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هذا خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية، وهذه الرؤية إنَّما تكون في يوم القيامة. ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين. ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾: في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها. ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أي: الجزاء واقع بهم لا محالة؛ أشفقوا، أو لم يشفقوا. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٤٩]: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾: لأنَّ هذه الروضات أطيب بقاع الجنة، فلذلك خصَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها. وفيه تنبيه على أنَّ في الجنة منازل غير الروضات هي لمن دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة. هذا؛ والروضة: كل أرض ذات نبات، وماء، ورونق، ونضارة. وقال أبو عبيد: الروضة: ما كان في سفْلٍ من الأرض، فإذا كانت مرتفعة فهي ترْعة. وقال غيره: أحسن ما تكون الروضة إذا كانت في موضع مرتفع غليظ، كما قال الأعشى في معلقته رقم [١٢] وما بعده: [البسيط]

مـا روضَـةٌ مِـنْ ريـاضِ الْـحَـزْنِ مُـعْـشِـبَـةٌ خـضْـراءُ جـادَ عـلـيْـهَـا مُـسْـبـلٌ هَـطِـلُ
يـضـاحِـكُ الـشـمـسَ مـنـهـا كـوكـبٌ شـرِقٌ مُـؤَزَّرٌ بـعـمـيـمِ الـنَّـبْـتِ مـكـتَـهِـلُ
يـوْمـاً بـأطـيـبَ مِـنْـهـا نـشـرَ رائِـحـةٍ ولا بـأحـسَـنَ مـنـهـا إذ دَنَـا الأُصُـلُ

انظر شرح هذه الأبيات، وإعرابها في كتابنا: «إعراب المعلقات العشر» تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. وقال القشيري: والروضة عند العرب: ما ينبت حول الغدير من البقول، ولم يكن عند العرب شيء أحسن منه. هذا؛ وجمع روضة: رَوْض، ورياض، وروضات، كما هنا، وأصل رياض: رواض، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، مثل حوض، وحياض، وثوب، وثياب. ونحو ذلك.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ أي: ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم. والعندية مجاز عن الكرامة التي أعدها الله لهم عنده في الآخرة. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (الروم). ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما أعده الله للمؤمنين. ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: لا يوصف، ولا تهتدي العقول إلى كنه صفته؛ لأنَّ العلي القدير إذا قال: (كبير) فمن ذا الذي يقدر قدره؟!

هذا؛ و﴿تَرَى﴾ ماضيه: رَأَى، وقياس المضارع: تَرْأَيُ، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه، فهمزته، كما في قول سراقة بن مرداس البارقي، وهو الشاهد رقم [٥٠٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

أُرِي عـيْـنـيَّ مـا لـمْ تَـرأَيَـاهُ كِـلانَـا عـالِـمٌ بـالـتُّـرّهـاتِ

وربما جاء ماضيه بغير همز، وبه قرأ نافع في: ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ و﴿أَرَءَيۡتَ﴾ (أَرايْتكُمْ) (أَرايْتَ) بدون همز وقال الشاعر: [الخفيف]

صـاحِ هـلْ ريْـتَ أو سـمـعـتَ بـراعٍ رَدَّ فـي الـضـرْعِ مـا قـرَى فـي الـحِـلابِ؟

وإذا أمرت منه على الأصل قلت: ارْءَ. وعلى الحذف رَه بهاء السكت، وقل في إعلال ترى: أصله ترأيُ قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وحذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الراء للتخفيف.

الإعراب: ﴿تَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: مفعول به. ﴿مُشۡفِقِينَ﴾: حال من: ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ منصوب مثله، وعلامة النصب الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّهما جمعا مذكر سالمان، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُشۡفِقِينَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: مشفقين من

الذي، أو من شيء كسبوه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: مشفقين من جزاء، أو: من عقوبة كسبهم. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وهو العائد على المضاف المحذوف؛ الذي رأيت تقديره. ﴿وَاقِعُۢ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه، وهو على حذف مضاف، التقدير: وعقابه واقع بهم. ﴿بِهِمۡۗ﴾: متعلقان بـ: ﴿وَاقِعُۢ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من المضاف المحذوف، والرابط: الواو، والضمير. والجملة: ﴿تَرَى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم. ﴿فِي رَوۡضَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿رَوۡضَاتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لهم الذي، أو: شيء يشاؤونه. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِمۡۚ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿لَهُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، أو هي في محل رفع خبر ثان، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: صفة: ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ، و﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾: خبره، والجملة الاسمية حينئذ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ...﴾ إلخ: ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به، فحذف الجار ثم حذف العائد، أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده حاصل لهم كائن لا محالة؛ لأنَّه ببشارة الله تعالى لهم. ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ، والنصح مالاً، وإنَّما أطلب أن تذروني أبلغ رسالات ربي، فلا تؤذوني بما بيني، وبينكم من القرابة. روى البخاري عن ابن عباس ـ رضي

الله عنهما ـ أنَّه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت! إنَّ النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلَّا كان له فيهم قرابة، فقال: إلَّا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، أخرجه البخاري. وبقول ابن عباس قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي. وروى الحافظ الطبراني عن ابن عباس قال: قال لهم رسول الله ﷺ: «**لا أسألكمْ عَلَيْهِ أجراً إلَّا أنْ تَوَدُّوني في نَفْسِي لِقَرابتي مِنْكُمْ، وتحفظُوا القرابةَ بيْني وبَيْنكُمْ**». وروى الإمام أحمد عن مجاهد، عن ابن عباس: «**لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجراً، إلَّا أن تَوَدُّوا الله تعالى، وأن تقرَّبُوا إليه بطاعَتِهِ**».

وهذا كأنه تفسير بقول ثان، كأنَّه يقول: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: إلا أن تعملوا بالطاعة؛ التي تقربكم عند الله زلفى. وقول ثالث، وهو ما حكاه البخاري عن سعيد بن جبير: أنه قال: معنى ذلك أن تودوني في قرابتي؛ أي: تحسنوا إليهم، وتبروهم. والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما رواه عنه البخاري، ولا ننكر الوصية بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً، وحسباً، ونسباً. انتهى. مختصر ابن كثير.

وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خُمٍّ: «**إنِّي تارِكٌ فيكمُ الثقلينِ: كِتابَ الله، وعِتْرتي، وإنَّهمَا لَن يَفْتَرِقَا حتّى يَرِدَا عليَّ الحوْضَ**». وفي الصحيح: أنَّ الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: «**واللهِ لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أنْ أصلَ منْ قرابتي**». وقال عمر بن الخطاب للعباس ـ رضي الله عنهما ـ: «**والله لإسلامُكَ يوم أسلمتَ أحَبُّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ الله ﷺ من إسلامِ الخطابِ**». وروى الإمام أحمد عن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا، والحصين بن ميسرة، وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ، فلما جلسنا إليه قال حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال: يا بن أخي، لقد كبر سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم؛ فاقبلوه، ومالا؛ فلا تكلفونيه، ثم قال ـ رضي الله عنه ـ: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكة، والمدينة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال ﷺ: «**أمَّا بَعْدُ أيُّها الناسُ! إنما أنا بشرٌ يُوشِكُ أنْ يأتيني رسولُ ربي فأجيبَ، وإني تاركٌ فيكمُ الثقلين: أولهما كتابُ الله تعالى، فيه الهدى، والنورُ، فخذوا بكتابِ الله، واستمسِكُوا به**».

فحثَّ على كتاب الله ورغب فيه، وقال ﷺ: «**وأهلُ بيْتي أُذَكِّركمُ الله في أهلِ بَيْتي! أذكِّركُمُ الله في أهلِ بيْتي!**». فقال له حصين: ومن أهلُ بيته يا زيد؟! أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه لسْن من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَنْ حرم عليهم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم

آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس ـ رضي الله عنهم ـ. قال: كل هؤلاء حرم الله عليهم الصدقة؟ قال: نعم. أخرجه أحمد ومسلم والنسائي.

وروى الترمذي عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي تارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أحدُهُما أعْظَمُ مِنَ الآخر، كِتَابُ الله حَبْلٌ ممدودٌ مِنَ السماء إلى الأرضِ، والآخَرُ عتْرَتي أَهْلُ بَيْتي، وَلَنْ يَفْتَرِقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظُرُوا كَيْفَ تخْلُفُوني فِيهِما**». وروى الترمذي أيضاً عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: «**يا أَيُّها النَّاسُ إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ الله، وعِتْرتي أهلَ بَيْتي**». انتهى. مختصر ابن كثير.

والمشهور: أنَّ النبيَّ ﷺ، أوصى بالتمسك في القرآن وسنته، وخذ ما يلي: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ خطب بالناس في حجة الوداع، فقال: «**إنَّ الشيطانَ قَدْ يَئِسَ أن يُعْبَدَ بأرْضِكُم، ولكنْ رَضِيَ أنْ يُطاعَ فيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحاقرون مِنْ أعمالِكُمْ فاحذَرُوا! إني قَدْ تَرَكْتُ فِيكمْ ما إن اعْتصمْتُمْ بِهِ، فَلَنْ تَضِلُّوا أبداً، كتاب الله، وسنةَ نَبيِّه**». رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وعن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَقَدْ تَركتُكمْ على مِثل البيضاء ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ عَنْها إلَّا هَالِكٌ**». رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة»، والأحاديث التي تحث على التمسك بالسنة كثيرة مشهورة، وانظر فائدة في آخر سورة (الفتح) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مجاز مرسل، علاقته المحلية، فقد جعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها، كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوى شديد، تريد: أحبهم، وهم مكان حبي، ومحله. ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ أي: يكتسب، وأصل القرف: الكسب، يقال: فلان يقرف لعياله؛ أي: يكسب. والاقتراف: الاكتساب، وهو يشمل عمل الخير، وعمل الشر، قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١١٣]: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾. ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: تضاعف له الحسنة بعشر فصاعداً، قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٠]: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: يغفر الكثير من السيئات. ﴿شَكُورٌ﴾: يكثر القليل من الحسنات، فيستر، ويغفر، ويضاعف فيشكر. هذا؛ وغفور، وشكور صيغتا مبالغة. هذا؛ والشكور معناه: هو الذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نِعماً في الآخرة غير محدودة.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب؛ لا محلَّ له. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يُبَشِّرُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عِبَادَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، والعائد محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح. هذا؛ وقال ابن هشام في المغني: فأما وقوع ﴿ٱلَّذِى﴾ مصدرية، فقال به يونس،

والفراء، والفارسي، وارتضاه ابن خروف، وابن مالك، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾، وقوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٦٩]: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾، وأورد قول جميل بثينة، وهو الشاهد رقم [٩٥١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

أَتَـقْـرَحُ أكـبـادُ الـمـحـبِّـيـنَ كـالَّـذي أرَى كَـبِـدي مِـنْ حُـبِّ مَـيَّـةَ يَـقْـرَحُ؟

وقد ذكرت لك في سورة (التوبة) أنَّ هذا مذهب ضعيف لبعض النحاة لا يعتدُّ به. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة: ﴿عِبَادَهُ﴾، أو هو بدل منه، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَعَمِلُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (عملوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَسْـَٔلُكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به ثان. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾: مستثنىً، قيل: متصل. وقيل: منقطع. ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾ التقدير: ثابتة في القربى، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَقْتَرِفْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿حَسَنَةً﴾: مفعول به. ﴿نَّزِدْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَهُۥ فِيهَا﴾: كلاهما متعلقان بالفعل ﴿نَّزِدْ﴾. ﴿حُسْنًا﴾: مفعول به، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠]، والجملة الاسمية (من...) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو تعليلية، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: يقول كفار قريش: اختلق محمد القرآن، ونسبه إلى الله كذباً وافتراء. قال الخازن: فيه توبيخ لهم، معناه: أيقع في قلوبهم، ويجري على ألسنتهم أن ينسبوا مثله إلى الكذب، وأنه افترى على الله كذباً، وهو أقبح أنواع الكذب؟. انتهى.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ أي: لو افتريت على الله الكذب كما يزعم هؤلاء المجرمون؛ لختم الله على قلبك، فأنساك هذا القرآن، وسلبه من صدرك، ولكنك لم تفترِ على الله كذباً، ولهذا أيدك، وسدّد خطاك. قال ابن كثير: وهذا كقوله جل وعلا في سورة (الحاقة): ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾. وقال أبو السعود: والآية استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان: أنَّه عليه السلام لو افترى على الله تعالى؛ لمنعه من ذلك قطعاً بالختم على قلبه؛ بحيث لا يخطر بباله معنىً من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه. انتهى. صفوة التفاسير. هذا؛ وقال مجاهد، ومقاتل: إن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم؛ حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم.

﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ أي: لو كان ما أتى به محمد ﷺ باطلاً؛ لمحاه الله، كما جرت سنته في المغترين. فهو كلام مستأنف غير داخل في جزاء الشرط؛ لأنَّه تعالى يمحو الباطل مطلقاً، وسقطت الواو منه لفظاً لالتقاء الساكنين، وخطاً حملاً له على اللفظ، كما كتبوا: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ انتهى. سمين. ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ أي: ويثبت اللهُ الحق، ويوضحه بكلامه المنزل، وقضائه المبرم. وقال الخازن: أي: يحق الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله تعالى ذلك، فمحا باطلهم، وأعلى كلمة الإسلام. ولا تنسَ المقابلة بين: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ و﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: عالم بما في القلوب، يعلم ما تكنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما نزلت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾. وقع في قلوب قوم منها شيء. وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام، فأخبره: أنهم اتهموه، وأنزل الله هذه الآية، فقال القوم: يا رسول الله! فإنا نشهد أنك صادق! فنزلت الآية التالية، وانظر شرح (ذات) في سورة (الزمر) رقم [٧].

الإعراب: ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» الانتقالية. وقيل: التقدير: أيقولون. فالهمزة للتقرير، والتقريع. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى الرسول ﷺ. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كَذِبٗاۖ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على كلام سابق، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَشَإِ﴾: مضارع فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَخۡتِمۡ﴾: جواب الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، تقديره: «هو». ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف

لا محلَّ له. ﴿وَيَمْحُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يمحو): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَيُحِقُّ﴾: الواو: حرف عطف. (يحق): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به. ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿عَلِيمٌۢ﴾: خبره. ﴿بِذَاتِ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌۢ﴾، و(ذات): مضاف، و﴿ٱلصُّدُورِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية تعليل لما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: أولياءه، وأهل طاعته. قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين الله تعالى وبين العبد، لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها. والثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً. فإذا حصلت هذه الشروط؛ صحَّت التوبة، وإن فقد أحد الثلاثة؛ لم تصحّ توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي؛ فشروطها أربعة، هذه الثلاثة، والشرط الرابع: أن يبرأ من حق صاحبها. فهذه شروط التوبة، وهذه هي التوبة النصوح التي ذكرها الله في سورة (التحريم). وقيل: التوبة الانتقال عن المعاصي نيةً، وفعلاً، والإقبال على الطاعات نيةً، وفعلاً. وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة: الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة.

وقد رغَّب الرسول ﷺ في التوبة، وذكر تعليماً لأمته، وتشجيعاً لهم وترغيباً في التوبة: أنَّه يتوب، ويستغفر في اليوم مئة مرة، وخذ ما يلي: عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لله أفرحُ بتوبةِ عبدِهِ المؤمنِ مِنْ رجلٍ نزلَ في أرضٍ دَوِيَّةٍ مهلكةٍ، معه راحلتُهُ، عليْها طعامُهُ، وشرابُهُ، فوضع رأسَهُ، فنامَ نومَةً، فاستيقظ، وقد ذهبت راحلته، فطلبها؛ حتى إذا اشتد عليه الحر، والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه، فأنام؛ حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ، فإذا راحلته عنده، عليها طعامُهُ، وشرابُهُ. فالله أشدُّ فرحاً بتوبةِ العبدِ المؤمنِ مِنْ هذَا براحلتِهِ وزادِهِ!**». متفق عليه. انتهى. خازن.

هذا؛ و﴿عَنْ﴾ بمعنى: «من» وقال البيضاوي: والقبول يعدى إلى مفعول ثان بـ: «مِنْ»، أو «عن» لتضمنه معنى الأخذ، والإبانة، وقد عرفت حقيقة التوبة، فلتضمنه معنى الأخذ يُعَدَّىٰ بمن، يقال: قبلته منه؛ أي: أخذته، ولتضمنه معنى الإبانة والتفريق يُعَدَّى بعن، يقال: قبلته عنه؛ أي: أزلته، وأبنته عنه.

روى جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله ﷺ، وقال: اللهم إنّي أستغْفِركَ، وأتوبُ إليْكَ، وكبَّر، فلما فرغ من صلاته، قال له علي ـ كرَّم الله وجهه، ورضي الله عنه ـ: يا هذا! إنَّ سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلى التوبة، فقالَ: يا أميرَ المؤمنين، وما التوبةُ؟ قال: التوبة: اسم يقع على ستة معان: الندم على الماضي من الذنوب، واستدراك ما ضيع، وأهمل من الفروض بقضائه، وردّ المظالم، وإذابة النفس في الطاعة، كما ربيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة، كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. انتهى. كشاف بتصرف.

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: صغيرها، وكبيرها، دقّها، وجلّها، هزلها وجدها لمن شاء، هذا إذا تيب عن الكبائر، وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة؛ أي: يجازي التائب، ويتجاوز عن غير التائب، وصدورهما عنه عزَّ وجل عن إتقان منه وحكمة، وإن لم ندرك ذلك بعقولنا، فلا اعتراض لأحد عليه. انتهى. جمل. هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاء، وعليه يكون في الكلام التفات، ويقرأ بالياء، وعليه فلا التفات. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: الواو: حرف استئناف. (هو الذي): مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿يَقْبَلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿ٱلتَّوْبَةَ﴾: مفعول به. ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَيَعْفُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (يعفو): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، (يعلم): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يعلم الذي، أو: شيئاً تفعلونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم فعلكم. تأمَّل وتدبَّر، وربك أعلم، وأجلُّ، وأكرم.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ أي: يستجيب الله لهم، فحذف اللام، كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ والمراد: إجابة الدعاء، والإثابة على الطاعة، فإنها كدعاء. وطلب لما يترتب عليه، ومنه قول النبي ﷺ: «**أفضل الدعاء الحمدُ لله**»، أو المعنى: يستجيبون

لله بالطاعة؛ إذا دعاهم إليها. هذا؛ وأجاب، واستجاب بمعنى واحد. هذا؛ ولا تنسَ الاحتراس بعطف العمل الصالح على الإيمان، وقد ذكرته مراراً فيما مضى.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: على ما استحقوا، واستوجبوا له بالاستجابة. أو المعنى: يزيدهم ثواباً سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يشفعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله بأن يشفعهم في إخوان إخوانهم. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: بدل ما للمؤمنين من الثواب، والتفضل. وفيه من المقابلة بين إثابة المؤمنين، وعقاب الكافرين ما لا يخفى.

الإعراب: ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾: الواو: حرف عطف. (يستجيب): فعل مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، أو الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به، أو هو في محل نصب على نزع الخافض، كما رأيت في الشرح، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَيَزِيدُهُم﴾: الواو حرف عطف. (يزيدهم): فعل مضارع، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الكافرون): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنَّه جمع مذكر سالم. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل بمتعلق الجار والمجرور. ﴿شَدِيدٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿لَهُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخراً، فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: (الكافرون...) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي: لو وسّع الله عليهم في الرزق ورغد العيش؛ ﴿لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لتكبروا، وأفسدوا فيها بطراً، أو: لبغى بعضهم على بعض استيلاءً، واستعلاءً. وهذا على الغالب. وأصل البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى كمية، أو كيفية. انتهى. بيضاوي.

هذا؛ وذكروا في كون بسط الرزق موجباً للطغيان وجوهاً: الأول: أنَّ الله لو سوى في الرزق بين الكل، امتنع كون البعض محتاجاً إلى البعض، وذلك يوجب خراب العالم، وتعطيل المصالح. ثانيها: أنَّ هذه الآية مختصة بالعرب، فإنَّهم كلّما اتسع رزقهم، ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم، ومن العشب والكلأ ما يشبعهم؛ قدموا على النهب والغارة. ثالثها: أنَّ الإنسان متكبر بالطبع، فإذا وجد الغنى، والقدرة؛ عاد إلى مقتضى خلقته الأصلية، وهو التكبر. وإذا وقع في شدة وبلية

ومكروه انكسر، وعاد إلى التواضع والطاعة. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بغيهم طلبهم منزلةً بعد منزلة، ومركباً بعد مركب، وملبساً بعد ملبس. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم. ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾: لو أغناهم جميعاً؛ لبغوا، ولو أفقرهم؛ لهلكوا. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢].

هذا؛ والإضافة بقوله (عباده) إضافة تشريف، وتكريم بالنسبة للمؤمنين، وإضافة قهر، وإذلال بالنسبة للكافرين، والملحدين، والفاسدين المفسدين. وعباد جمع: عبد، وهو الإنسان من بني آدم حراً كان، أو عبداً رقيقاً، ويقال للمملوك: قن، وله جموع كثيرة، وأشهرها: عبيد، وعباد. قيل: نزلت الآية الكريمة في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق، وقال خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ: فينا نزلت، نظرنا إلى أموال بني النضير، وقريظة، وبني قينقاع، فتمنيناها، فنزلت.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَبَغَوْا۟﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (بغوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محلَّ لها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿يُنَزِّلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله . ﴿بِقَدَرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلهما، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ينزل بقدر الذي، أو: شيئاً يشاء تنزيله. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾: خبران لـ: (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل لما قبلها، ولا محلَّ لها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أي: يئس الناس منه، وذلك أدعى لهم إلى الشكر. قيل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر، فذكرهم بنعمته؛ لأنَّ الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم. وهو قول مقاتل. وقيل: نزلت في الأعرابي سأل رسول الله ﷺ عن المطر يوم الجمعة في خبر الاستسقاء. ذكره القشيري.

هذا؛ ويقرأ: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد والتخفيف، و: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: المطر في وقته المقدر له، والمكان المعين له، لا يتجاوزه، ومن غير تقديم، ولا تأخير. وسمي المطر غيثاً؛ لأنَّه يغيث الناس، فيزيل همّهم، ويفرّج كربهم. ويطلق مجازاً على الجواد الكريم، قال ذو الرمَّة في مدح بلال بن أبي بردة الأشعري: [الوافر]

سمعْتُ النَّاسَ يَنتجعونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بلالا

فقد جعله أجود من الغيث، وأنفع و: صَيْدح: اسم ناقته، وللزمخشري قوله: [البسيط]

لا تحْسبوا أنَّ في سربالِهِ رَجُلاً ففيهِ غيثٌ ولَيْثٌ مسبلٌ مُشْبِل

هذا؛ والقنوط من صفات الكافر، وأمَّا المؤمنُ فإنه يشكر ربه عند النعمة، ويصبر، ويرجوه عند الشدة. والفعل: قنط، يقنط يأتي من الباب الرابع، والثاني، وبهما قرئ في هذه الآية. وقرأ الأعمش أيضاً: قنِط يقنِط من الباب السادس. ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: المطر في كل شيء من السهل، والجبل، والنبات، والحيوان. ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾: الذي يتولى عباده بإحسانه، ونشر رحمته. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمود بكل لسان على ما أسدى لعباده من النعماء.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو الذي): مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿قَنَطُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿مَا﴾ والفعل ﴿قَنَطُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿بَعْدِ﴾ إليه. التقدير: من بعد قنوطهم. ﴿وَيَنشُرُ﴾: الواو: حرف عطف. (ينشر): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿رَحْمَتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ومن دلائل قدرته، وعجائب حكمته الدالة على وحدانيته خلق السموات، والأرض بهذا الشكل البديع، فإنَّها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم. ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: وما نشر، وفرق في السموات، والأرض من مخلوقات. قال ابن كثير: وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن، وسائر الحيوانات على

اختلاف أشكالهم، وألوانهم، وأجناسهم وأنواعهم، وأطلق على الملائكة لفظ الدابة؛ لأنَّ الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الأرض، فيحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران، فيوصفون بالدبيب، كما يوصف الإنسان.

هذا؛ وقال بعض العلماء: لا يستبعد أن يكون في الكواكب السيارة، والعوالم العلوية مخلوقات غير الملائكة تشبه مخلوقات الأرض، وأن يكون فيها حيوانات تشبه الحيوانات؛ التي على أرضنا، كما تدل الدلائل الفلكية على وجود حياة في المريخ، واستدلوا بهذه الآية. أقول: يحتمل أن يوجد في هذا الفضاء الواسع مخلوقات حية غير الإنسان، أمّا الإنسان فإننا نقطع بأنه لا يوجد إلَّا فوق سطح هذا الكوكب الأرضي، لقوله تعالى في سورة (الأعراف): ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ الأعراف [٢٤]. انتهى. صفوة التفاسير للصابوني بتصرف.

هذا؛ ولم يقل: وما بثَّ فيهن؛ لأنَّه أراد ما بين الصنفين، أو النوعين، أو الشيئين، كقول القطامي: [الوافر]

أَلَــمْ يَــحْــزُنْــكَ أنَّ حِــبَــالَ قَــيْــسٍ وَتَــغْــلِــبَ قَــدْ تَــبـايَـنَـت انـقِـطَـاعـا

أراد: وحبال تغلب، فثنى، والحبال جمع فثناهما؛ لأنَّه أراد الشيئين، أو النوعين، أو لأنَّه ثناهما على تأويلهما بالجماعة، وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين. قال الشاعر يذم عاملاً على الصدقات: [البسيط]

سعـى عـقـالاً فَـلَـمْ يَـتْـرُكْ لَـنَـا سَـبَـداً فَـكَـيْـفَ لَـوْ قَـدْ سَـعـى عـمـروٌ عِـقـالَـيْـنِ؟

لأَصْـبَـحَ الـنَّـاسُ، أوبـاداً ولـم يـجـدوا عـنـد الـتـفـرُّقِ فـي الـهـيـجَـا جِـمَـالَـيْـنِ

فقد ثنى: «جمال» الذي هو جمع: جمل، والعقال: صدقة عام، والسبد: المال القليل، واللبد: المال الكثير، وأوباداً هلكى جمع وبْد، فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الصدقات في سنة واحدة، فظلم، وأخذ أموال الناس بغير حق؛ حتى لم يبقَ لنا إلَّا شيء قليل من المال، فكيف تكون حالنا، أو كيف يبقى لأحد شيء لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟ ثم يقسم، فقال: والله لو صار عاملاً سنتين لصارت القبيلة هلكى، فلا يكون لهم عند التفرق في الحرب جمالان، فيختل أمر الغزوات.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ أي: وهو تعالى قادر على جمع الخلائق للحشر، والحساب، والجزاء في أي وقت شاء. هذا؛ وفي الضمير تغليب العاقل على غيره، ولولا التغليب لكان يقال: على جمعها؛ لأنَّ الضمير عائد على: ﴿دَآبَّةٍ﴾، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِنْ﴾: الواو: حرف عطف. (من آياته): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿خَلْقُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة

المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: خلقه السموات. وقال الجمل: من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: السموات المخلوقة، والأرض المخلوقة. ولا أراه قوياً. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على: ﴿خَلْقُ﴾، أو في محل جر معطوف على لفظ: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿بَثَّ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿فِيهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذي بثه فيهما. ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، العائد على (ما): و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالمصدر، وجملة: ﴿يَشَآءُ﴾ مع الفاعل المستتر، والمفعول المحذوف في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل (بثَّ) المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: المراد بهذه المصائب: الأحوال المكروهة، نحو الأوجاع، والأسقام، والقحط، والغلاء، والغرق، والصواعق، وغير ذلك من المصائب. وقيل: المصيبة هنا: الحدود على المعاصي. ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبتم من الذنوب والمعاصي. وعبر بالأيدي؛ لأنَّ أكثر الأفعال تزاول بها. ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: إنَّ الذنوب قسمان: قسم يعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسم يعفو عنه، فلا يعاقب عليها، وما يعفو عنه أكثر. وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عزَّ وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب، ويعفو عن كثير، فما يبقى بعد كفارته وعفوه شيء.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**والَّذِي نفسي بيدِه ما مِنْ خدشِ عودٍ، ولا عثرةِ قدمٍ، ولا اختِلاجِ عِرْقٍ إلا بذنب، وما يعفو الله عنْه أكْثَرُ**».
وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سخيلة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ألا أخبركمْ بأفضل آيةٍ في كتاب الله حدَّثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم...﴾ إلخ وسأفسرها لكم، فقال: «**يا عليُّ! (ما أصابكم من مصيبة) أي: من مرض، أو عقوبة، أو بلاء في الدنيا،** ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ **والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا، فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه**».

وقال عكرمة ـ رحمه الله تعالى ـ: ما من نكبةٍ أصابت عبداً فما فوقها إلَّا بذنب؛ لم يكن الله ليغفره له إلَّا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلَّا بها. وروي: أنَّ رجلاً قال لموسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: يا موسى! سل الله لي في حاجة يقضيها لي، هو أعلم بها، ففعل موسى، فلما نزل إذ هو بالرجل، قد مزق السبع لحمه، وقتله، فقال موسى: ما بال هذا يا رب؟ فقال الله تبارك وتعالى له: يا موسى إنَّه سألني درجة علمت أنَّه لم يبلغها بعمله، فأصبته بما ترى؛ لأجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة. فكان أبو سليمان الداراني إذا ذكر هذا الحديث يقول: سبحان مَن كان قادراً على أن ينيله تلك الدرجة بلا بلوى، ولكنه يفعل ما يشاء.

هذا؛ وروي: أنَّ الله عزَّ وجل ابتلى يعقوب ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ بفقد ولديه: يوسف، وبنيامين، الثاني تلو الأول؛ ليصبر فيلحقه بدرجة أبيه إسحاق وجده إبراهيم، وخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجلَ ليكونُ لهُ عندَ الله المنزلةُ، فما يبْلُغُها بعملٍ، فما يَزالُ يبْتليهِ بما يكرهُ حتى يُبَلِّغَهُ إيَّاهَا**». رواه أبو يعلى، وابن حبان. وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده ـ وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ العَبدَ إذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ الله منزلةٌ، فلمْ يبْلُغْها بعملٍ؛ ابْتَلاهُ الله في جَسَدِهِ، أو مالِهِ، أو وَلدِه، ثمَّ صَبَر على ذلك حتى يُبَلِّغَهُ المنزلةَ التي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ**». رواه أحمد، وأبو داود، وأبو يعلى، والطبراني، والمرأة مثل الرجل في ذلك، والحمد لله.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: دخلنا على عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ فقال رجل له: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران ـ رضي الله عنه ـ: يا أخي لا تفعل، فوالله إني لأحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم...﴾ إلخ فهذا مما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر. والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة، وأكتفي بما يلي: عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيبُ المؤمنَ من نصبٍ، ولا وصبٍ، ولا همٍّ، ولا حزنٍ، ولا أذىً، ولا غمٍّ؛ حتى الشوكة يشاكها إلَّا كفَّر الله بها مِنْ خطاياه**». رواه البخاري، ومسلم. ولا تنس: أن هذا في حق المؤمنين، وأمَّا الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة، ومهما أصابه بلاء في الدنيا، فإن ذلك لا يخفف عقوبة الآخرة، والخلود في جهنم، وأما من لا جرم له كالأنبياء؛ فما أصابهم من بلاء، فإنه لرفع درجاتهم، وعلوّ مقامهم. ومن لا ذنب له كالأطفال، والمجانين فما أصابهم من بلاء فإنه يكون سبباً لتطهير آبائهم، وأمهاتهم من ذنوبهم، وسيئاتهم. هذا؛ ولا تنس قوله تعالى في سورة (فاطر) رقم [٤٥]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وقوله جلَّ ذكره في سورة (النحل) رقم [٦١]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَصَٰبَكُم﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (ما)، تقديره: «هو»، والكاف مفعول به. ﴿مِّن مُّصِيبَةٖ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم في (ما)، وعود الفاعل إلى الله لم يقل به أحد. ﴿فَبِمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (بما): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو بسبب الذي. ﴿كَسَبَتۡ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيۡدِيكُمۡ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، والجملة الاسمية المقدرة: «هو بسبب. . .إلخ» في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، وخبر المبتدأ الذي هو (ما) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠]. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) اسماً موصولاً، فهي مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿أَصَٰبَكُم...﴾ إلخ صلتها، والجار والمجرور (بما . . .) إلخ متعلقان بمحذوف خبره، ودخلت الفاء في الخبر لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، علماً بأنه قرئ بإسقاط الفاء. ﴿وَيَعۡفُواْ﴾: الواو: واو الحال. (يعفو): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: والله يعفو، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿أَيۡدِيكُمۡ﴾، والرابط: الواو فقط. ﴿عَن كَثِيرٖ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم...﴾ إلخ مستأنفة.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: لا تعجزون ربكم عن إدراككم. بمعنى: لا تفوتونه؛ إن هربتم من حكمه، وقضائه. هذا؛ واقتصر هنا على ذكر الأرض، وقال في سورة (العنكبوت) رقم [٢٢]: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ لأنَّ الخطاب هنا لأهل مكة، ولغيرهم من الناس، وهم يعيشون على وجه الأرض بخلاف الخطاب في سورة (العنكبوت)، فإنَّه لقوم فيهم النمرود، الذي حاول الصعود إلى السماء؛ بينما حذفا معاً للاختصار في الآية رقم [٥١] من سورة (الزمر). ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾: ليس لكم من دون الله ولي يتولى أموركم، وشؤونكم، وليس لكم نصير ينصركم من عذاب الله تعالى؛ إن أراد تعذيبكم. وانظر الآيتين رقم [٨] و[٩].

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معجزين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: متعلقان به، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. والجملة الاسمية معطوفة

على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَكُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: (معجزين) فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿نَصِيرٍ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ومن علامات قدرته الدالة على توحيده، وتعظيمه، وتقديسه: السفن؛ التي تسير في البحر، كأنَّها الجبال الراسيات، أو القصور الشامخات. وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم، قالت الخنساء، ـ رضي الله عنها ـ ترثي أخاها صخراً: [البسيط]

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نَارُ

هذا؛ وواحد الجواري: جارية، قال تعالى في سورة (الحاقة) رقم [١١]: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ سميت جارية؛ لأنَّها تجري في الماء، والجارية: المرأة الشابة، سميت بذلك؛ لأنَّها يجري فيها ماء الشباب. هذا؛ والجوار بحذف الياء في الخط؛ لأنَّها من ياءات الزوائد، وبإثباتها، وحذفها في اللفظ في كلٍّ من الوصل، والوقف قراءات سبعية. هذا؛ وكثيراً ما أطلق لفظ الفلك على السفينة مفرداً، وجمعاً، وانظر سورة (الرحمٰن) رقم [٢٤].

قال محمد علي الصابوني: لما ذكر الله تعالى بعض الدلائل على وحدانيته في خلق السموات والأرض، وما بث فيها من مخلوقات لا تحصى؛ أتبعه بذكر آية أخرى تدل على وجود الإله القادر الحكيم، وهي السفن الضخمة؛ التي تشبه الجبال تسير بقدرته تعالى فوق سطح البحر، محملة بالأقوات، والأرزاق. وختم السورة الكريمة ببيان إثبات الوحي، وصدق القرآن.

الإعراب: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. و﴿ٱلْجَوَارِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء الثابتة، أو المحذوفة للتخفيف، وهو نعت لمحذوف، التقدير: السفن الجواري. هذا؛ وأجيز اعتبار الجواري فاعلاً بالجار والمجرور؛ أي: بالاستقرار؛ الذي يتعلقان به، التقدير: ثبت من آياته الجواري. وعلى هذا فالجار والمجرور ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ متعلقان بمحذوف حال (من الجواري) وعلى الأول متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال ثانية، والجملة الاسمية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ أي: لو شاء الله لأسكن الرياح، وأوقفها، فتبقى السفن سواكن، وثوابت على ظهر البحر لا تجري. ومن المعلوم: أنَّ هذا كان في الأيام الخالية يوم كانت السفن تعتمد على الهواء في سيرها، وجريها، أما في أيامنا هذه، فإن السفن تعتمد على البخار في جميع حركاتها. هذا؛ وركد الماء ركوداً: سكن، وكذلك الريح، والسفينة، والشمس إذا قام قائم الظهيرة، وكل ثابت في مكان فهو راكد. هذا؛ والمراد: بـ: (يظللن) الاستمرار، كما في قوله تعالى في سورة (الشعراء) حكاية عن قول قوم إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾. هذا؛ وقد تحذف إحدى اللامين؛ إذا اتصل الفعل بضمير رفع متحرك، مثل قوله تعالى حكاية عن قول موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام للسامري: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ وانظر سورة (الحجر) رقم [١٤].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في تسيير السفن بواسطة الريح. ﴿لَآيَاتٍ﴾: لدلالات على قدرة الله تعالى، وتوحيده. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: كثير الصبر على البلاء، وعلى الطاعات، وعن المعاصي، والمنكرات. ﴿شَكُورٍ﴾: كثير الشكر لله على نعمه، وآلائه. قال قطرب: نعم العبد الصبار الشكور؛ الذي إذا أُعطي؛ شكر وإذا ابتلي؛ صبر. قال عون بن عبد الله: فكم من مُنْعَم عليه غير شاكر، وكم من مُبْتَلًى غير صابر.

وقال أبو حيان: وإنَّما ذكر السفن الجارية في البحر، لما فيها من عظيم دلائل القدرة، من جهة: أنَّ الماء جسم لطيف شفاف، يغوص فيه الثقيل، والسفن تحمل الأجسام الثقيلة الكثيفة، ومع ذلك جعل الله تعالى في الماء قوة يحملها بها، ويمنعها من الغوص، ثم جعل الرياح سبباً لسيرها، فإذا أراد أن ترسو؛ أسكن الرياح، فلا تبرح عن مكانها. انتهى. صفوة التفاسير.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَشَأْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى الله، والمفعول محذوف: تقديره: إن يشأ الله إيقاف السفن. والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُسْكِنِ﴾: فعل مضارع والفاعل يعود إلى الله. ﴿الرِّيحَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾: الفاء: حرف عطف، وسبب. (يظللن): فعل مضارع ناقص مبني على السكون، ونون النسوة اسمه. ﴿رَوَاكِدَ﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثله. ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿رَوَاكِدَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم: ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (آيات)، و(كل): مضاف، و﴿صَبَّارٍ﴾: مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف؛ إذ التقدير: لكل إنسان صبار. ﴿شَكُورٍ﴾: صفة ثانية، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يغرقهن بعصف الريح بأهلهن. ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: من الذنوب. والمعنى: إن يشأ يسكن الريح، فيركدن، أو يعصفها، فيغرقن بعصفها. ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾: من أهلها فلا يغرقهم معها. حكاه الماوردي. وقيل: المعنى: ويتجاوز عن كثير من الذنوب، فينجيهم الله من الهلاك. و﴿وَيَعْفُ﴾: معطوف على جواب الشرط، واستشكله القشيري، وقال: لأنَّ المعنى: إن يشأ يسكن الريح، فتبقى تلك السفن رواكد، أو يهلكها بذنوب أهلها. فلا يحسن عطف ﴿وَيَعْفُ﴾ على هذا؛ لأنَّ المعنى يصير: إن يشأ يعف، وليس المعنى على ذلك، بل المعنى الإخبار عنْ العفو من غير شرط المشيئة، فهو عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى. وقد قرأ قوم: (ويعفو) بالرفع، وهي جيدة في المعنى، كما قرئ بالنصب بإضمار أنَّ بعد الواو كما قرئ: (يعلم) الآتي بالأوجه الثلاثة. ويكون قد عطف هذا المصدر المؤول من: «أن» المضمرة والفعل المضارع على مصدر متوهم من الفعل قبله، تقديره: أو يقع إيباق، وعفو عن كثير. فقراءة النصب كقراءة الجزم في المعنى؛ إلَّا أنَّ في هذه عطف مصدر مؤول على مصدر متوهم، وفي تيك عطف فعل على مثله. انتهى. جمل نقلاً من السمين.

هذا؛ ويعفو: يصفح، ويتجاوز، وهو كثير في القرآن بهذا المعنى كما يأتي: «عفا» بمعنى: الكثرة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ سورة (الأعراف) رقم [٩٥] أي: حتى كثروا ونموا في أنفسهم، وأموالهم، من قولهم: عفا النبات، وعفا الشحم، والوبر: إذا كثر، قال الحطيئة: [الطويل]

بِـمُـسْـتَـأْسِـدِ الـغِـرْبـانِ عَـافٍ نَـبَـاتُـهُ ... بِـأَسْـوُقِ عَـافِـيَـاتِ الـشَّـحْـمِ كُـومِ

وعفا المنزل، يعفو عفاءً؛ إذا انمحت آثاره، وذهبت معالمه. قال الشاعر ـ وهذا هو الشاهد رقم [٤٩٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [البسيط]

وبِـالـصَّـرِيـمَـةِ مِـنـهـم مَـنـزِلٌ خَـلَـقٌ ... عَـافٍ تَـغَـيَّـرَ إلَّا الـنُّـؤيُ والـوَتِـدُ

وعفو المال: ما يفضل عن النفقة، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: الفاضل عن الحاجة، والعافي: طالب المعروف، والإحسان. قال عروة بن الورد: [الطويل]

وإنـي امـرؤٌ عـافـي إنـائـيَ شِـرْكـةٌ ... وأنـتَ امـرؤٌ عـافـي إنـائِـكَ واحِـدُ

وجمع العافي: عفاة. قال الأعشى: [المتقارب]

تـطـوفُ الْـعُـفـاةُ بـأبـوابِـهِ ... كَـطَـوْفِ الـنَّـصـارى بـبـيـتِ الْـوَثَـنْ

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾: مضارع معطوف على جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية، تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَيَعْفُ﴾: الواو: حرف عطف. (يعف): معطوف على ما قبله، فهو مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، وعلى قراءته: (يعفو) فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، وانظر قراءة النصب في الشرح. ﴿عَن كَثِيرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٠] فالكلام يشبه بعضه بعضاً.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ...﴾ إلخ: أي: يعلم الكفار الذين يجادلون في آيات القرآن، ويقولون: هو سحر، أو كهانة... إلخ إذا توسطوا البحر، وغشيتهم الرياح من كل مكان، أو بقيت السفن رواكد؛ علموا: أنَّه لا ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم؛ إن أراد الله إهلاكهم، فيخلصون له العبادة. ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾: من ملجأ، وهو مأخوذ من قولهم: حاص به البعير حيصة: إذا رمى به، ومنه قولهم: فلان يحيص عن الحق؛ أي: يميل عنه. انتهى. قرطبي. وقال الخازن وغيره: يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه. انتهى.

الإعراب: ﴿وَيَعْلَمَ﴾: الواو: حرف عطف. (يعلم): هذا الفعل يقرأ بالنصب، والجزم، والرفع، فالنصب على إضمار: «أن» بعد الواو، والجزم بالعطف على جواب الشرط، والرفع على الاستئناف؛ أي: على اعتبار الجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وهو يعلم، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محلَّ لها من الإعراب، وما ذكرته في هذه الآية من وجوه الإعراب مقرّر في القواعد النحوية كما يلي: «إذا عطف مضارع بالواو، أو بالفاء على فعل الشرط، يجوز جزمه ونصبه، وإذا عطف على الجواب مضارع بالواو، أو بالفاء يجوز نصبه، وجزمه، ورفعه». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

والـفـعـلُ مِـنْ بَـعْـدِ الـجـزا إنْ يـقـتـرنْ بـالـفـا أو الـواوِ بـتـثـلـيـث قـمِـنْ

وجـزمٌ أوْ نـصـبٌ لِـفِـعْـلٍ إثْـر فـا أوْ واوٍ أنْ بـالـجـمـلـتـيـن اكْـتُـنـفـا

وانظر آية البقرة رقم [٢٨٣]. وعلى قراءة النصب تؤول «أن» المضمرة مع الفعل المضارع بمصدر معطوف على مصدر متوهم من الفعل السابق، التقدير: أو يقع إيباق، وعفو، وعلم. وعلى رفع (يعلمُ) فالفاعل يعود إلى المبتدأ المقدر، والموصول مفعول به. وعلى النصب، والجزم فالموصول فاعل به. وجملة: ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿مَّحِيصٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة على قراءة الرفع، واعتبار الفاعل عائداً على المبتدأ، وفي محل نصب مفعول به على اعتبار الموصول فاعلاً، ويكون الفعل معلقاً على العمل بسبب (ما) النافية، وعلى الاعتبارين فالفعل من المعرفة، لا من العلم.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾

الشرح: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ أي: من منافع الدنيا، كالمأكل، والمشرب، والملبس، والمنكح، والمسكن، والمركب. ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: فإنما هو متاعٌ في أيام قليلة تنقضي، وتذهب، فلا ينبغي أن يتفاخر به؛ لأنَّه ظل زائل، وعرض حائل، وعارية مستردة. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ أي: وما عند الله من الثواب، والنعيم خير من الدنيا وما فيها؛ لأنَّ نعيم الآخرة دائم مستمر، فلا تقدموا الفاني على الباقي. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: للذين صدقوا الله ورسوله، وصبروا على ترك الملاذ في الدنيا. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: توكلوا، واعتمدوا على الله وحده في جميع أمورهم، وهو كقوله تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [٥٧]: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾. هذا؛ وقال القرطبي وغيره: نزلت الآية الكريمة في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين أنفق جميع ماله في طاعة الله تعالى، فلامه الناس على ذلك، وجاء في الحديث: أنَّه أنفق ثمانين ألفاً.

الإعراب: ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، تقدم على الفعل ومفعوله الأول؛ لأنَّ الشرط له صدر الكلام. ﴿أُوتِيتُم﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾:

متعلقان بمحذوف حال من (ما)، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿فَمَتَٰعُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (متاع): خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو متاع، و(متاع) مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية المقدرة: «فهو متاع . . . إلخ». في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) اسماً موصولاً؛ فهو مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: فالذي أوتيتموه، والخبر: (متاع الحياة)، والجملة: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها على جميع الاعتبارات. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾، والرابط: الواو فقط، وهو أقوى من اعتبارها معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة. ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بأحد الاسمين السابقين على التنازع، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ يعني: كل ذنب تعظم عقوبته، كالقتل، ونحوه. قال الرسول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قيل: يا رسول الله! ما هنَّ؟ قال: «**الشركُ بالله، والسحرُ، وقَتْلُ النفسِ التي حرَّمَ الله إلّا بِالْحَقِّ، وأكْلُ مالِ اليَتيم، وأكلُ الرِّبا، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المُؤْمِنَاتِ**». أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: جمع: فاحشة، وهي الزنى. وقال الخازن: ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال. وقيل: الفواحش، والكبائر بمعنى واحد، فكرر لتعدد اللفظ؛ أي: يجتنبون المعاصي؛ لأنها كبائر وفواحش.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يتجاوزون، ويحلمون عمن ظلمهم. وهذا من محاسن الأخلاق، فهم يشفقون على ظالمهم، ويصفحون عمن جهل عليهم، يطلبون بذلك ثواب الله تعالى، وعفوه، لقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٣٤]: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: اجتمع لأبي بكر مال مرة، فتصدق به كله في سبيل الخير، فلامه المسلمون، وخطأه الكافرون، فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم

﴿مِّن شَيْءٍ...﴾ إلى ﴿...وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شتم رجل من المشركين أبا بكر، فلم يرد عليه شيئاً. فنزلت الآية. وأنشد بعضهم: [الكامل]

إنـي عَـفَـوْتُ لِـظَـالِـمـي ظُـلْـمـي وَوَهَـبْـتُ ذاك لـه عـلـى عـلـمـي

مَـا زَالَ يَـظْـلِـمُـنِـي وَأَرْحَـمُـهُ حـتـى بـكـيـتُ لـهُ مِـنَ الـظُّـلـم

فعن معاذ بن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيْظاً، وهو قادرٌ على أنْ يُنَفِّذه؛ دعاهُ الله سبحانه على رؤوس الخلائقِ؛ حَتَّى يخيِّرَهُ من الحورِ الْعِينِ مَا شَاء**». رواه أبو داود والترمذي. وفي رواية لأحمد وأبي داود: «**مَنْ كظمَ غَيظاً، وهو يقدر على إنفاذِهِ؛ مَلأ الله قلْبهُ أمناً، وإيماناً**». وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشديدُ الَّذِي يملكُ نفسَهُ عندَ الغَضَبِ**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على ما قبله. وتوهم أبو البقاء: أنَّ التلاوة بغير واو. ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿كَبَائِرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿الإِثْمِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف، (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَا﴾: صلة. ﴿غَضِبُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: (إذا) إليها. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. وجملة: ﴿يَغْفِرُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية جواب (إذا) لا محلّ لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على جملة الصلة، لا محلَّ له مثلها، ويكون قد حذف الفاء من جواب: (إذا) والواجب اقترانه بها في مثل ذلك، انتهى. أبو البقاء. ولم يرتضه الجمل، بل قال: (إذا) هذه منصوبة بـ: ﴿يَغْفِرُونَ﴾، و﴿يَغْفِرُونَ﴾ خبر لـ: ﴿هُمْ﴾ والجملة بأسرها عطف على الصلة، وهي: ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾ فيكون قد عطف جملة اسمية على فعلية. ويجوز أن يكون ﴿هُمْ﴾ توكيداً للفاعل في قوله: ﴿غَضِبُواْ﴾، وعلى هذا فـ: ﴿يَغْفِرُونَ﴾ جواب الشرط. وقيل: ﴿هُمْ﴾ مرفوع بفعل مقدر يفسره: ﴿يَغْفِرُونَ﴾ بعده، ولما حذف الفعل؛ انفصل الضمير.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾: قال عبد الرحمن بن زيد: هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالله، ورسوله حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة. ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ﴾:

أدوها في أوقاتها مع المحافظة على شروطها، وأركانها، وسننها، وآدابها. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يتشاورون في جميع أمورهم الدينية، والدنيوية، والشورى مصدر شاورته مثل: البشرى، والذكرى، ونحوهن، فكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمراً؛ تشاوروا فيه، ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به، وأعظم ما تشاوروا فيه حين اجتمعوا لإنهاء حرب بعاث، واتفق رأيهم على تنصيب عبد الله بن أبي عليهم ملكاً، ولولا نور الإسلام الذي بزغ في المدينة؛ لتم له ذلك، وهذا هو السبب في نفاقه، وكيده للإسلام والمسلمين في الخفاء، ولا تنسَ تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ﷺ، ومجيء النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به، والنصرة له. انظر (استجاب) في سورة (فاطر) رقم [١٤]. وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم قط؛ إلَّا هدوا لأرشد أمورهم. قال بشار بن برد: [الطويل]

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاسْتعِنْ ... بِرأيِ لبيبٍ أوْ مشورةِ حازِمِ
ولا تَجعَلِ الشورى عليكَ غضاضةً ... فإن الخوافي قوةٌ للقوادمِ

الخوافي: ريشات إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت. والقوادم: عشر ريشات في مقدم جناح الطائر، وهي كبار الريش، وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الأمور المتعلقة بمصالح الحروب، كالذي كان منه في غزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وقد قال الله له في سورة (آل عمران) رقم [١٥٩]: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فأمره الله عز وجل باستشارة أصحابه، وهو أرجحهم عقلاً، وأقومُهم رأياً، وأنضجهم فكراً، ليلفت نظر الأمة إلى ما في المشورة من آثار طيبة، ونتائج حميدة، وليكون لهم فيه أسوة حسنة، فكان ﷺ لا يكاد يبرم أمراً من الأمور الدنيوية، أو التي لم ينزل عليه فيها وحي إلَّا بعد أن يعرضه على ذوي العقول الراجحة، والأفئدة النيرة من أصحابه، حتى إذا محصته المشورة، وأقرته الجمهرة، نزل الجميع على ما رأته الأغلبية بحيث لا يخرجون عنه، ولا يخالفونه، احتراماً للجماعة، وتقديراً لذوي الرأي، والمكانة، وجمعاً للكلمة، وتوحيداً للصف.

وليس أدل على ما للشورى من أهمية كبرى في الإسلام من أنَّ الله تعالى قد قرنها بهذه الآية الكريمة بركنين عظيمين من أركانه، وهما إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فالآية الكريمة هادية إلى أنَّ الشورى يجب أن تكون بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم، وهيئاتهم، بين المسلمين عامة، وبين أبناء القطر الواحد، وبين أبناء البلد الواحد، وبين أبناء القرية الواحدة، وهي من أسس الإسلام القويمة، ومبادئه الحقة، ورحم الله من يقول: [البسيط]

عقلُ الفتى ليس يغني عَنْ مشاورةٍ ... كعفَّةِ الخودِ لاَ تُغني عن الرجُلِ
إن المشاوِرَ إما صائبٌ غرضاً ... أو مخطئ غيرُ منسوبٍ إلى الخطل

لا تحقرِ الرأي: قد يأتي الحقيرُ به فالنحلُ وهو ذبابٌ طيبُ العسلِ

ولقد سار النبي ﷺ بالمسلمين هذه السيرة؛ التي أوجبها عليه القرآن الكريم؛ تطييباً لنفوسهم، ورفعاً لأقدارهم، وتألفاً على دينهم، وتركيزاً لمبادئ الشورى بينهم، حتى يسير على ضوئها من يأتي بعده من الرؤساء، والزعماء، وذوي الرأي: من أهل الحل، والعقد. ورحم الله من يقول: [الكامل]

شاوِرْ صديقكَ في الخفيِّ المشكل واقْبَلْ نصيحةَ ناصِح متفضِّلِ

فاللهُ قدْ أوصى بذاك نبيَّه في قوله: شاورْهُم وتوكَّل

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أمراؤُكمْ خيارَكم، وأغنياؤكم سمحاءَكم، وأمورُكم شورى بينكم، فظهرُ الأرضِ خيرٌ لكم مِنْ بطنِها. وإذا كان أمراؤكم شرارَكم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمورُكم إلى نسائِكمْ، فبطنُ الأرضِ خيرٌ لكم مِنْ ظهْرِها**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية بعده صلته. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿شُورَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿شُورَىٰ﴾، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿وَمِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يُنفِقُونَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول، والجملة الفعلية صلة: (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ينفقون من الذي، أو من شيء رزقناهم إياه، أو رزقناهموه، والجملة: ﴿يُنفِقُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: قال ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عمّن ظلمهم، فبدأ بذكرهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. وصنف ينتصرون من ظالمهم، وهو الذي ذكر في هذه الآية. وقال ابن العربي: ذكر الله الانتصار في البغي في معرض

المدح، وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح، فاحتمل أن يكون أحدهما رافعاً للآخر، واحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى حالتين: إحداهما أن يكون الباغي معلناً بالفجور، وقحاً في الجمهور، مؤذياً للصغير، والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل. وفي مثله قال إبراهيم النخعي ـ رحمه الله تعالى ـ: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم، فتجترئ عليهم الفساق. الثانية: أن تكون الفلتة، أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة، ويسأل المغفرة، فالعفو ها هنا أفضل، وفي مثله نزلت: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ سورة (البقرة) رقم [٢٣٧]. ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وقال أبو السعود: وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر الفضائل، وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران، فإن كلاً في موضعه محمود.

هذا؛ وقيل العفو، والتسامح إغراء للسفيه. وقال الصاوي: من مكارم الأخلاق التجاوز، والحلم عند حصول الغضب، ولكن يشترط أن يكون الحلم غير مُخلٍّ بالمروءة، ولا واجباً، كما إذا انتهكت حرمات الله؛ فالواجب حينئذ الغضب لا الحلم، وعليه قول الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «مَنِ اسْتُغضِبَ، ولم يغضبْ؛ فهو حمارٌ». وقال الشاعر: [الطويل]

مِنَ الحلمِ أَنْ تستعملَ الجهلَ دُونَهُ ... إذَا اتَّسَعَتْ في الْحِلْمِ طرْقُ المظَالِمِ

وقال آخر: [الطويل]

وحلم الفتى في غير موضعه جهلٌ

وقال عنترة بن شداد العبسي: [الكامل]

وإذَا بُلِيتَ بظَالِمٍ كُنْ ظالِماً ... وإذا رأيتَ ذوِي الجهالةِ فاجْهَلِ

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي: [الوافر]

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علَيْنَا ... فنجهلَ فوقَ جَهلِ الجاهِلينَا

وصفوة القول: إن للحلم، والعفو، والصفح محالَّ، وللجهل، والانتقام من المسيء محالَّ، فقد انتقم الرسول ﷺ من أبي عزَّة الجمحي، ومن النضر بن الحارث؛ حيث أمر بقتلهما، وعفا ﷺ عن غوْرثِ بن الحارث، الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه، وهو نائم، وعفا ﷺ عن لبيد بن الأعصم، الذي سحره، وعفا عن المرأة التي وضعت له السم في ذراع الشاة على الأصح. وينبغي أن تتفهم ما يلي: وفد النابغة الجعدي ـ رضي الله عنه ـ على النبي ﷺ، ومدحه بقصيدة طويلة، وفيها حكم، ومواعظ، ومن أبياتها ما يلي: [الطويل]

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لمْ يكنْ لهُ ... بَوَادِرُ تحمِي صفوَهُ أنْ يُكَدَّرَا

ولا خَيْرَ في جَهلٍ إذَا لَمْ يَكنْ لَهُ ... حليمٌ إذا ما أُوردَ الأمرُ أُصْدِرَا

فأعجب النبي المعظم ﷺ بهذين البيتين كل الإعجاب، وقال له: «لا يفضض الله فاك»، فعاش مئة وعشرين سنة، لم تسقط له سن ببركة دعاء النبي ﷺ.

هذا؛ والبغي: هو الظلم، والاعتداء على حق غيرك. وعواقبه ذميمة، ومآل الباغي وخيمٌ، وعقباه أليمة؛ ولو أنَّ له جنوداً بعدد الحصى، والرمل، والتراب. ورحم الله من يقول: [البسيط]

لا يأمَنِ الدَّهْرَ ذو بغيٍ ولوْ ملِكاً جُنُودُهُ ضَاقَ عنْهَا السَّهْلُ والْجَبَلُ

وعن النبي ﷺ: أنَّه قال: «**لا تَمْكُر، ولا تعِنْ ماكراً، ولا تبغِ، ولا تعِنْ باغياً، ولا تنكثْ، ولا تعِنْ ناكثاً**». وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾. وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيهِ**». وتلا الآيات الثلاث، وعن النبي ﷺ: أنَّه قال: «**أسرعُ الخيرِ صلةُ الرحمِ، وأعجلُ الشرِّ البغيُ، واليمينُ الفاجِرَةُ**». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: «**لو بغى جبلٌ على جبلٍ؛ لَدُكَّ الْبَاغي**». ورحم الله من يقول: [البسيط]

يا صاحِبَ البَغْيِ إنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ فَارْبعْ فخيرُ فعالِ المرءِ أعدلُهُ

فلَوْ بغى جبلٌ يوماً على جبلٍ لانْدَكَّ مِنْهُ أعالِيهِ وأسفَلُهُ

وكان المأمون العباسي يتمثل بهذين البيتين في أخيه الأمين، حين ابتدأ بالبغي عليه، قال الشاعر الحكيم: [مجزوء الكامل]

والبغْيُ يصرعُ أهلَهُ والظلمُ مرتعه وخِيمُ

هذا؛ وانظر أنواع الظلم في رسالة: «الحج والحجاج في هذا الزمن» وأقبح أنواع الظلم أن يظلم الإنسان نفسه بارتكاب المعاصي، والسيئات، فيسبب لها الخلود في نار جهنم.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): معطوف على ما قبله. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [٣٧]. ﴿أَصَابَهُمُ﴾: ماض، ومفعوله. ﴿ٱلْبَغْيُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَآ﴾ إليها، ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ انظر رقم [٣٧] فالإعراب لا يختلف. و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها صلة الموصول.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾: فهذا مثل قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٩٤]: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وقوله في سورة (النحل) رقم [١٢٦]: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ سمى الجزاء سيئة؛ وإن لم يكن سيئة؛ لتشابههما في

الصورة. وقيل: لأنَّ الجزاء يسوء من ينزل به. وما في الآيات الثلاث يسمى مشاكلة؛ أي: أطلق على المجازاة ما يشبه السيئة المبدوء بها، والاعتداء المبدوء به. هذا؛ والمراد: مقابلة القبيح بمثله؛ إذا قال: أخزاك الله؛ فقل له: أخزاك الله. وإذا شتمك؛ فاشتمه بمثلها، ولا تعتد. وقيل: هو في القصاص في الجراحات، والدماء يقتص بمثلها ما جُني عليه. وبالجملة فالانتقام من المعتدي، والظالم مشروع. هذا؛ وخذ قول ابن الرقعمق في المشاكلة: [الكامل]

أَصْحَابُنَا قَصَدُوا الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ ... وأتى رسولُهُم إليَّ خِصِيصَا
قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ: اطْبُخُوا لي جُبَّةً وقَمِيصَا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلّقته رقم [١١٤]: [الوافر]

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

فسمى جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام، وحسن تجانس اللفظ، فالجملة الثانية على مثل لفظ الأولى، وهي تخالفها في المعنى؛ لأنَّ ذلك أخف على اللسان، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «**فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا**». فمعناه: أنَّ الله تعالى لا يقطع عنكم فضله؛ حتى تملوا من مسألته، وتزهدوا فيها؛ لأنَّ الله لا يملّ في الحقيقة، وإنَّما نسب الملل إليه؛ لازدواج اللفظين.

وقال السدِّي: إنَّما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به؛ أي: كما كانت العرب تفعله. وتأول الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه الآية: أنَّ للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير علمه، واستشهد على ذلك بقول النبي ﷺ لهند زوج أبي سفيان: «**خُذي ما يكفيكِ، وبَنيكِ بالمعروف**». فأجازَ لَهَا أَخْذَ ذَلِكَ من غير علمه.

أقول: وقوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٣٣]: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ دليل واضح، وجلي على جواز الانتقام، والأخذ بالثأر بشرط عدم مجاوزة الحق.

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من ترك القصاص، وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو؛ ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إن الله يثيبه، ويأجره على عفوه، وتجاوزه عن حقه. قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة. هذا؛ وذكر أبو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين ـ رضي الله عنهم ـ قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أيكم أهلُ الفضلِ؟ فيقوم ناسٌ من الناس، فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: قبل الحساب؟ يقولون: نعم، يقولون: من أنتم؟ يقولون: نحن أهل الفضل، يقولون: وما كان فضلكم؟ يقولون: كنا إذا جُهِل علينا؛ حلُمنا، وإذا ظُلِمْنا؛ صبرْنا، وإذا أُسيء إلينا؛ عفوْنا، يقولون: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من بدأ بالظلم. قاله سعيد بن جبير. وقيل: لا يحب من يتعدى في الاقتصاص، ويجاوز الحد. قاله ابن عيسى. انتهى. قرطبي، ومعنى عدم حب الله الظالمين: سخطه عليهم، وطردهم من رحمته، وحرمانهم من جوده، وكرمه، وإحسانه. ومعنى حب الله المتقين من المؤمنين: رضاه عنهم، وتقريبهم من رحمته، وإغداق جوده وكرمه عليهم؛ لأنَّ الله منزّه عن الحب، والبغض المتعارفين بين الناس.

الإعراب: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ﴾: الواو: حرف استئناف. (جزاء): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿سَيِّئَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿سَيِّئَةٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِّثْلُهَا﴾: صفة: ﴿سَيِّئَةٌ﴾، و«ها»: في محل جر بالإضافة. ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَفَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿وَأَصْلَحَ﴾: معطوف على ما قبله، وفاعله يعود إلى (من). ﴿فَأَجْرُهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أجره): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٠]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فهو مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ خبره، واقترن الخبر بالفاء؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: المعنى: إنَّ المسلم إذا انتقم من الكافر، وأخذ بالثأر منه؛ فلا سبيل إلى لومه، بل يُحمد على ذلك مع الكافر، ولا لوم إن انتصر الظالم من المسلم، فالانتصار من الكافر حتم، ومن المسلم مباح، والعفو مندوب. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: ليس عليهم إثم، ومؤاخذة في الانتصار ممن ظلمهم، وخذ ما يلي:

فعن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ قال: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (ما علمتُ حتى دخلتْ عليَّ زينبُ بغير إذن، وهي غضبى، ثم قالت لرسول الله ﷺ: حسبك إذا قلبتْ لك ابنةُ أبي بكر درعها! ثم أقبلت عليَّ، فأعرضتُ عنها؛ حتى قال النبي ﷺ: «**دُونَكِ فانْتصري!**».

فأقبلتُ عليها؛ حتى رأيت ريقها قد يَبِس في فمها، ما ترد عليَّ شيئاً، فرأيت النبي ﷺ يتهلَّلُ وجهُه). أخرجه النسائي، وابن ماجه. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَعَا على مَنْ ظلمه، فقد انتصر**». أخرجه الترمذي، والبزار.

تنبيه: قال بعض العلماء: إن من ظُلِم، وأخذ له مال، فإن له ثواب ما احتبس عنه إلى موته، ثم يرجع الثواب إلى ورثته، ثم كذلك إلى آخرهم؛ لأنَّ المال يصير بعد الموت للوارث. قال أبو جعفر الداودي المالكي: وهذا صحيح في النظر، وعلى هذا القول: إذا مات الظالم قبل المظلوم، ولم يترك شيئاً، أو ترك مالاً لم يعلمه وارثه لم تنتقل تباعة المظلوم إلى ورثة الظالم؛ لأنَّه لم يبقَ للظالم ما يستوجبه ورثة المظلوم. انتهى. جمل. وأقول: ومن برّ الوالدين بعد موتهما أن يعمل أولادهما على تبرئة الوالدين من مظالم الناس وتبعاتهم، ولكن البعض يرثون مال مورثهم، ثم إن طالبهم أصحاب الحقوق؛ يقولون لهم: اذهبوا، وانبشوا قبره، وخذوا حقكم. وهذا هو العقوق، وأي: عقوق بعد هذا؟!

الإعراب: ﴿وَلَمَنِ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: لام الابتداء. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱنتَصَرَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، تقديره: «هو». ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ظُلْمِهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: ظلم الظالم إياه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سَبِيلٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿سَبِيلٍ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور؛ أي: بالاستقرار المحذوف، التقدير: ما يقع عليهم سبيل فلست مفنداً، وتكون الجملة فعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وبقية الكلام، كما في الآية السابقة، ولا تنس اعتبار (مَنْ) اسماً موصولاً كما في الآية السابقة.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أي: الإثم، والمؤاخذة. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: يعتدون على أعراضهم، وأموالهم، ويستبيحون حرماتهم، ويستحلون دماءهم... إلخ. ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: يتكبرون، ويتجبرون، ويفسدون في الأرض، والتقييد ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ لأنَّ البغي قد

يكون مصحوباً بحق كالانتصار المقترن بالتعدي فيه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: المعتدون بغير الحق. ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: في الآخرة.

هذا؛ والسبيل في الأصل: الطريق، يذكر، ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٤٦]: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾. ومن التأنيث قوله تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ رقم [١٠٨]. والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سبل بضمتين، وقد تسكن الباء، كما في: رسل، وعسر، ويسر. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: رحم، وحلم، وأسد... إلخ.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلسَّبِيلُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معترضة، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَيَبۡغُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِغَيۡرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(غير) مضاف، و﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ مضاف إليه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور ﴿لَهُمۡ﴾ متعلقين بمحذوف خبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ف: ﴿عَذَابٌ﴾ يكون فاعلاً بالاستقرار المحذوف. ﴿أَلِيمٞ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾

الشرح: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ أي: على الأذى. ﴿وَغَفَرَ﴾ أي: ترك الانتصار لوجه الله تعالى. وهذا فيمن ظلمه مسلم. ويحكى أن رجلاً سبَّ رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله، فكان المسبوب يكظم غيظه، ويعرق، فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها؛ والله! وفهمها؛ إذ ضيعها الجاهلون. وبالجملة: العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوباً إليه كما أوضحته فيما سبق، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤١] من قول النبي ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**دُونَكِ فانْتَصِرِي**».

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: لمن الأمور المشكورة عند الله، والأفعال الحميدة عند الناس؛ التي يثاب عليها فاعلها ثواباً جزيلاً. وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا

أتاك رجل يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى! فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني ربي عزَّ وجل، فقل له: إن كنت تقدر أن تنتصر؛ وإلَّا فارجع إلى باب العفو، فإنَّه باب واسع، فإنَّه ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور. انتهى. أقول: عند العجز على الانتصار لا يعد هذا من باب العفو، وإنَّما هو من باب المظلوم، الذي يكل أمره إلى الله آناء الليل، وأطراف النهار، وخذ ما يلي:

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّ رجلاً شتم أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ، والنبي ﷺ جالس، وجعل يعجب، ويبتسم، فلمَّا أكثر الرجل؛ ردَّ عليه الصديق بعض قوله، فغضب النبي ﷺ، وقام من مجلسه، فلحقه الصديق ـ رضي الله عنه ـ، فقال: يا رسول الله! إنَّه كان يشتمني؛ وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله؛ غضبت، وقمت! قال: «**إنَّه كان معك ملكٌ يردُّ عنكَ، فلما رددتَ عليه بعضَ قولِهِ حضرَ الشيطانُ (أي: وذهب الملك) فَلَمْ أكنْ لأقعُدَ معَ الشيطانِ**». ثم قال: «**يا أبا بكرٍ! ثلاثٌ كُلُّهُنَّ حقٌّ: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله؛ إلَّا أعزَّه الله تعالى بها، ونصرهُ. وما فتح رجلٌ باب عطيةٍ يريد بها صلةً؛ إلَّا زاده الله بها كثرةً. وما فتح رجل باب مسألةٍ يريدُ بها كثرةً؛ إلَّا زاده الله عزَّ وجل بها قلة**». وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى، وهو مناسب للصديق ـ رضي الله عنه ـ. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ والإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ راجعة إلى الصبر، والغفران. ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مما عزمه الله، وأمر به، وقطعه قطع إيجاب، وإلزام. ومنه قول النبي ﷺ: «**لا صِيامَ لِمَنْ لم يعزم الصيامَ من الليل**». أي: لم يقطعه، ويجزمَّ به بالنية. ومنه قول الرسول ﷺ: «**إنَّ الله يُحِبُّ أن يُؤخَذَ برخصِهِ كما يُحِبُّ أن يُؤخَذَ بعزائِمِهِ**». وقولهم: عزمة من عزمات ربنا. ومنه عزمات الملوك، وذلك أن يقول الملك لمن تحت يده: عزمت عليك إلَّا فعلت كذا! إذا قال ذلك؛ لم يكن للمعزوم عليه بدٌّ من فعله، ولا مندوحة في تركه، وحقيقته أنَّه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور؛ أي: مقطوعاتها، ومفروضاتها، ويجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل، أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ كقولك: جدَّ الأمرُ، وصدق القتالُ.

هذا؛ ودخلت لام الابتداء هنا، وهي للتوكيد، ولم تدخل في سورة (لقمان) رقم [١٧] ولا في (آل عمران) رقم [١٨٦] لأنَّ الصبر على مكروه حدث بظلم، كقتل أشد من الصبر على مكروه حدث بلا ظلم، كموت ولد. كما أن العزم على الأول آكد منه على الثاني، وما هنا من القبيل الأول، فكان أنسب بالتوكيد، وما في (لقمان) و(آل عمران) من القبيل الثاني، فكان أنسب بعدمه. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

الإعراب: ﴿وَلَمَن﴾: الواو: حرف عطف. اللام: لام الابتداء، (من صبر): انظر الآية رقم [٤١] فالإعراب واحد. ﴿وَغَفَرَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿لَمِنْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من عزم): متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾، و﴿عَزْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْأُمُورِ﴾: مضاف إليه. هذا؛ وعلى اعتبار (مَنْ) شرطية فالجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وكان الواجب اقترانها بالفاء، ولكنها حذفت، كما حذفت في قول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ـ وهو الشاهد رقم [٨٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [البسيط]

مَنْ يفعلِ الْحَسَناتِ اللهُ يشكرُها والشَّرُّ بالشرِّ عِنْدَ اللهِ مِثْلانِ

وإن كانت موصولة؛ فجملة: ﴿صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ صلتها، وجملة: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبرها، والرابط اسم الإشارة؛ لأنَّه عائد على الصبر، والغفران المفهومين من الفعلين السابقين، وهو أولى من اعتبار الرابط محذوفاً. والكثير اقترانها بالفاء لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم. واعتبار الحوفي وابن عطية اللام هنا، وفي الآية رقم [٤١] للقسم ليس بجيِّد، ولا وجه له.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي: يخذله، ويتخلى عنه. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: فما له من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه. ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وارتكاب المعاصي والسيئات. ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: عاينوا العذاب عند الموت، أو في يوم القيامة. والتعبير في الماضي؛ لتحقق وقوعه. ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: من رجوع إلى الدنيا! فيطلبون ذلك ليؤمنوا، ويعملوا بطاعة الله، فلا يجابون إلى ذلك. وهذا التمني منهم كثير في آيات القرآن الكريم. هذا؛ وإعلال ﴿رَأَوُا۟﴾ مثل إعلال (نادوْا) في الآية رقم [٣] من سورة (صٓ).

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هو في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿يُضْلِلِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، ومفعوله محذوف على اعتبار (من) مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿وَلِيٍّ﴾، والهاء في

محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿فَمَا لَهُۥ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠]، والجملة الاسمية على اعتبار (من) مبتدأ، أو الفعلية على اعتباره مفعولاً به مقدماً. (من يضلل. . .) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَتَرَى﴾: الواو: حرف استئناف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مفعول به. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿رَأَوُاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين. والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿سَبِيلٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. والرابط: الضمير فقط، وجملة: (ترى. . .) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها فيما يظهر.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار؛ لأنَّها عذابهم، فكنَّى عن العذاب المذكور في الآية السابقة بحرف التأنيث؛ لأنَّ ذلك العذاب هو النار، ولو راعى اللفظ؛ لقال: عليه. وقد اختلف في هذا العرض، هل هو في القبور؟ أو هل هو يوم القيامة؟ وانظر هذا العرض في سورة (الأحقاف) رقم [٢٠]. ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: متذللين، صاغرين، حقيرين، مما يلحقهم من الذل عند معاينة العذاب، والخشوع، والانكسار، والتذلل، والتواضع.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: لا يرفعون أبصارهم للنظر رفعاً تاماً؛ لأنَّهم ناكسو الرؤوس، والعرب تصف الذليل بغض الطرف، كما يستعملون في ضده: حديد النظر؛ إذا لم يتهم بريبة، فيكون عليه منها غضاضة. وقال الجلال: ضعيف النظر مسارقة؛ أي: يسارقون النظر إليها خوفاً منها، وذلاً في أنفسهم، كما ينظر المقتول إلى السيف، فلا يقدر أن يملأ عينه منه، ولا يفتحها فيه، وإنَّما ينظر ببعضها. انتهى. نقلاً من الخطيب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ...﴾ إلخ: أي: يقول المؤمنون في الجنة لما عاينوا ما حلَّ بالكفار: إنَّ الخسران في الحقيقة ما صار إليه هؤلاء، فإنَّهم خسروا أنفسهم؛ لأنَّهم في العذاب

المخلد، وخسروا أهليهم؛ لأنَّ الأهل إن كانوا في النار، فلا انتفاع بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم، وبينهم.

هذا؛ وقد قيل في تفسير الخسران: أنَّه جعل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة، وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار، فذلك هو الخسران، وأي: خسران أعظم من هذا الخسران؟! وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْكُمْ من أحدٍ إلَّا له منزلان: منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار، فإذا مات، فدخل النار، ورثَ أهلُ الجنةِ مَنْزِلَهُ**»، فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وارتكاب المعاصي. ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم لا ينقطع، وأصله: مُؤقوِم؛ لأنَّه من أقام، وهو أجوف واوي، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها بعد سلب سكونها، ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، فصار مقيم وقد حذفت الهمزة منه حملاً على المضارع المبدوء بالهمزة: أُؤقوم، وقد ذكرت ذلك مراراً.

وأما الطرف؛ فهو تحريك جفن العين إذا نظرت. فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في نحو قول الشاعر: [الطويل]

وكُنْتَ إذا أرسَلْتَ طَرْفَكَ رائداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أتْعبتْكَ المناظِرُ

رأيْتَ الَّذِي لاَ كُلُّهُ أنتَ قادِرٌ ... عَلَيْهِ ولا عنْ بعْضِهِ أنْتَ صابِرُ

وقد وصف آصف سليمان بردّ الطّرف، ووصف الطرف بالارتداد. بقوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (النمل) وقد يراد بالطرف: الجفن خاصة، كما في قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

أشارَتْ بطرفِ العَيْنِ خيفَةَ أهْلِهَا ... إشَارَةَ مَحْزُونٍ، ولَمْ تَتَكَلَّمِ

فأيقَنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قدْ قالَ مرْحباً ... وأهلاً وسَهْلاً بالحبيبِ المتيَّمِ

هذا؛ وفي المختار: الطرف: العين، ولا يجمع؛ لأنَّه في الأصل مصدر، فيكون واحداً جمعاً، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ وانظر سورة (صٓ) رقم [٥٢] تجد ما يسرُّك.

الإعراب: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (تراهم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿يُعْرَضُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير

المنصوب، والرابط: الضمير فقط. ﴿خَٰشِعِينَ﴾: حال من واو الجماعة ـ وهي حال متداخلة ـ منصوب. . .إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: متعلقان به. وقيل متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿يَنظُرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، فهي حال متداخلة. ﴿مِن طَرْفٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: ﴿مِن﴾ بمعنى: الباء. ﴿خَفِيٍّ﴾: صفة: ﴿طَرْفٍ﴾، وجملة: ﴿وَتَرَىٰهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (قال الذين): ماض، وفاعله، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب وعلامة نصبه الياء. . . إلخ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ صلة الموصول. ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أهليهم): معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ وعليه؛ فالقول في الدنيا، أو هو متعلق بـ: (قال) وعليه؛ فالقول يكون في القيامة، ويكون عبر عنه بالماضي للدلالة على تحقق وقوعه. و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال. . .) إلخ لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب وعلامة نصبه الياء. . .إلخ. ﴿فِى عَذَابٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّقِيمٍ﴾: صفة: ﴿عَذَابٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ إلخ يجوز أن تكون من قول المؤمنين، ويجوز أن تكون مبتدأة من الله تعالى لا محلَّ لها.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾ أي: الخاسرين الذين خسروا أنفسهم. ﴿مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾: من أعوان، وأنصار. ﴿يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله، وسخطه. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي: يخذله، ويتخلّى عنه. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: طريق يصل به إلى الحق في الدنيا، والنجاة في الآخرة؛ لأنَّه قد سدت عليه جميع طرق النجاة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) تقدم على اسمها. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، مجرور لفظاً، مرفوع محلاً. ﴿يَنصُرُونَهُم﴾: فعل مضارع

مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر على اللفظ، أو في محل رفع على المحل صفة: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿مِّن دُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ﴾ في الآية رقم [٤٤] بلا فارق.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ أي: أجيبوا داعي الله ـ يعني: محمداً ﷺ ـ إلى ما دعاكم إليه من الإيمان بالله، والطاعة له. واستجاب، وأجاب بمعنى واحد. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾: المراد به يوم القيامة. ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يرده الله بعدما حكم به. أو المعنى: من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده، ولا يقدر أحد على دفعه. ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾: من مخلص ومهرب ومفرّ يوم القيامة. ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: إنكار لما اقترفتموه؛ لأنَّه مدوّن في صحائفكم، وتشهد عليه ألسنتكم، وجوارحكم؛ إن أنكرتموه. وقيل: المعنى ليس لكم إنكار ما ينزل بكم من العذاب، وليس لكم حصن تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم، وتتنكرون فيه، فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى. قال تعالى في سورة (القيامة): ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾.

الإعراب: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِرَبِّكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِّن قَبْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَأْتِيَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿يَوْمٌ﴾: فاعله، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة قبل إليه. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿مَرَدَّ﴾: اسم ﴿لَّا﴾ مبنى على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَّا﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ في محل رفع صفة: ﴿يَوْمٌ﴾. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجيز تعليقهما بمرد لأنَّه مصدر ميمي، والجملة الفعلية: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿مَّلْجَإٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة:

﴿مَّلۡجَإٖ﴾، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وتنوينه ينوب عن جملة محذوفة دلّت عليها الغاية، التقدير: يوم إذ تحشرون، أو تعاقبون، ونحوه، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَكُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ٤٨﴾

الشرح: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾: عن الإيمان، ولم يقبلوا هداية الرحمن. ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾ أي: حافظاً لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها. وقيل: موكلاً بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا؛ أي: ليس لك إكراههم على الإيمان. ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾: أي: ليس عليك إلَّا البلاغ يا محمد وقد فعلت. قال أبو حيان: والآية تسلية للنبي ﷺ، وتأنيس له، وإزالة لهمّه، وهي منسوخة بآية القتال.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾: نعمة من صحة، وعافية، وغنى، وخصب، ورخاء، وراحة بال، وهناءة ضمير ﴿فَرِحَ بِهَاۖ﴾ أي: فرح بها فرح بطر، وكبر. ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾: شدة من مرض، وفقر، وقحط، وغير ذلك مما يسوءهم. ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: من الكفر، والظلم، وارتكاب المعاصي. ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي؛ نسبت الأعمال كلها إلى الأيدي، وإن كانت من أعمال القلوب والأرجل، والعيون، والآذان تغليباً للأكثر على الأقل.

﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾: بليغ الكفران؛ أي: الجحود ينسى النعمة رأساً، ويذكر البلية، ويعظمها، ولا يتأمل سببها، وهذا؛ وإن اختصَّ بالمجرمين؛ جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه، وتصدير الشرطية الأولى بـ: ﴿إِذَآ﴾ والثانية بـ: (إن) لأنَّ إذاقة النعمة محققة من حيث إنَّها مقضية بالذات، بخلاف إصابة البلية. وإقامة علة الجزاء مقامه، ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على أنَّ هذا الجنس موسوم بكفران النعمة. انتهى. بيضاوي.

وقال الإمام الفخر الرازي: نعم الله في الدنيا وإن كانت عظيمة إلَّا أنها بالنسبة لسعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلذلك سماها: ذوقاً، فبين الله تعالى: أنَّ الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير في الدنيا؛ فإنَّه يفرح بها، ويعظم غروره بسببها، ويقع في العجب، والكبر، ويظن: أنَّه فاز بكل المنى، وذلك لجهله بحال الدنيا وحال الآخرة. انتهى. صفوة التفاسير.

هذا؛ و(أل) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للجنس الذي يدخل تحته أفراد كثيرة، ولذا جمع الضمير الواقع بين اللفظين. وما ذكر في الآية الكريمة ليس حال المؤمن، وإنَّما حاله ما ذكره الرسول ﷺ

بقوله: «**عجباً لأمرِ المؤمِنِ! إنَّ أمرَهُ لَهُ كُلَّهُ خيرٌ، وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلّا للمؤمِنِ: إنْ أصابَتهُ سرَّاءُ؛ شكر، فكانَ خيراً لهُ، وإنْ أصابَتهُ ضَرَّاءُ؛ صَبَرَ، فكانَ خيراً لَهُ**». أخرجه مسلم عن صهيب الرومي ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ والفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب، وأكثر ما يستعمل في اللذات البدنية، وقد ذمَّ الله الفرح في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ سورة (القصص) رقم [٧٦]، وقوله جلّت قدرته: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾ رقم [١٠] من سورة (هود)، ولكنه مطلق، فإذا قيد الفرح لم يكن ذماً لقوله تعالى في حق الشهداء رقم [١٧٠] من سورة (آل عمران): ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ...﴾ إلخ، وقال سبحانه في سورة (يونس) رقم [٥٨]: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ أي: برحمته، وجوده، وإحسانه. وقال تعالى في سورة (الروم): رقم [٤]: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾.

الإعراب: ﴿فَإِنۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَعۡرَضُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿حَفِيظًاۖ﴾: مفعول به ثان. وقيل: حال. والمعتمد الأول. والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد. وقيل: جواب الشرط محذوف، التقدير: فلا تحزن، ولا تبتئس. وعليه فجملة: ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ...﴾ إلخ تعليل للجواب المحذوف. و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿عَلَيۡكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية تعليل للنفي، لا محلَّ لها.

﴿وَإِنَّآ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [٣٧]. ﴿أَذَقۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: مفعول به أول. ﴿مِنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿رَحۡمَةٗ﴾، أو بمحذوف حال منها، كان صفة لها، فلما قدم عليها؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة.. إلخ». ﴿رَحۡمَةٗ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿أَذَقۡنَا...﴾ إلخ في محل جر بإضافة: ﴿إِذَآ﴾ إليها على المشهور المرجوح، وجملة: ﴿فَرِحَ بِهَاۖ﴾ جواب: ﴿إِذَآ﴾ لا محلَّ لها، و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، واعتبارها حالاً ينافي الاستقبال؛ الذي تفيده: ﴿إِذَآ﴾. وإن اعتبرتها معترضة؛ فلا بأس به.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تُصِبۡهُمۡ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والهاء مفعول به. ﴿سَيِّئَةُۢ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها.. إلخ. ﴿بِمَا﴾: جار

ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما). تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء قدمته أيديهم. والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وأجيز اعتبار الجواب محذوفاً، وعليه فالجملة الاسمية تعليل لهذا المحذوف، وقدر أبو البقاء ضميراً محذوفاً. فقال: فإن الإنسان منهم كفور، و(إنْ) ومدخولها معطوف على (إنْ) السابقة ومدخولها، لا محلَّ له مثله.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وما فيها من عبيد، ومال، وخلق، وأفلاك، وكواكب في السماء، وما على ظهر الأرض من جبال، وأنهار وبحار... إلخ، فكل ذلك ملك لله تعالى، لا يشركه فيه أحد، وما يملكه الإنسان في هذه الدنيا الفانية؛ فإنَّما هو ملك له في الظاهر، قد منحه الله له؛ ليتمتع به على سبيل الوكالة، والأمانة، وويل لمن قصر في الوكالة، وخان في الأمانة! فاللام مفيدة للملك الحقيقي؛ الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: من الخلق من غير لزوم عليه، ولا مجال للاعتراض. هذا؛ والملك بالضم: الاستيلاء على الشيء، والتمكن من التصرف فيه. وفي المصباح: ومَلَك على الناس أمرهم ملكاً من باب ضرب: إذا تولى السلطنة، فهو مَلِك، والاسم: المُلك بضم الميم.

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾: فلا يولد له ذكر. ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾: فلا يولد له أنثى، وأدخل الألف واللام على ﴿ٱلذُّكُورَ﴾ دون الإناث؛ لأنهم أشرف منهن، فميزهم بسمة التعريف، وقال واثلة بن الأسقع الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: إن مِنْ يُمنِ المرأة تبكيرَها بالأنثى قبل الذكر، وذلك أنَّ الله تعالى قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا...﴾ إلخ فبدأ بالإناث. انتهى. قرطبي. وقال البيضاوي: ولعلَّ تقديم الإناث؛ لأنَّهنَّ أكثر لتكثير النسل، أو لأنَّ مساق الآية للدلالة على أنَّ الواقع ما يتعلّق به مشيئة الله، لا مشيئة الإنسان، والإناث كذلك، أو لأنَّ الكلام في البلاء، والعرب تعدهن بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهن، أو للمحافظة على الفواصل، ولذلك عرف الذكور، أو لجبر التأخير. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لِّلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. و﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿يَخْلُقُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يخلق الذي، أو شيئاً يشاء خلقه، والجملة الفعلية في

محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط. ﴿يَهَبُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يهب للذي، أو: لشخص يشاؤه. ﴿إِنَٰثًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَهَبُ...﴾ إلخ بدل من جملة: ﴿يَخْلُقُ...﴾ إلخ بدل البعض، والجملة بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس، وغيره: الآيتان نزلتا في الأنبياء خصوصاً، وإن عمّ الحكم في الواقع، وهب للوط، ولشعيب الإناث ليس معهن ذكر، ووهب لإبراهيم ثمانية ذكور، ليس معهم أنثى، ووهب لإسماعيل، وإسحاق الذكور، والإناث. ووهب لسيدنا وحبيبنا الذكور، والإناث، وجعل عيسى، ويحيى عقيمين. وقال بعضهم المراد بقوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ...﴾ إلخ أولاد آدم، كانت حواء تلد لآدم في كل بطن توأمين: ذكراً، وأنثى، وكان يزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر، حتى أحكم الله التشريع في شرع نوح عليه الصلاة والسلام.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾: لا ولد له، وهذا قد يكون في بعض الذكور، ويكون في بعض الإناث، يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم، يستوي فيه المذكر، والمؤنث، وعَقِمت المرأة تعقَم عقماً، مثل: حَمِد يحمد، وعقُمت تعقُم مثل: عظم يعظم، وأصله القطع، ومنه الملك العقيم؛ أي: تقطع فيه الأرحام بالقتل، والعقوق خوفاً على الملك. وريح عقيم؛ أي: لا تلقح سحاباً، ولا شجراً. ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنّه لا يوم بعده، ويقال: نساء عُقْم، وعُقُم، قال أبو دهبل يمدح عبد الله بن الأزرق المخزومي: [الكامل]

إنَّ النِّساءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ ... عقُم النساءُ، فما يَلِدْنَ شَبيهَهُ

وانظر ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ في سورة (الحج) رقم [٥٥]. ومما يتعلّق بذلك فخذ ما يلي: قال النبي ﷺ: «**إذا سبق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة أذكَرَا، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل آنثا**». وكذلك في الصحيح أيضاً: «**إذا علا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ أشبهَ الولدُ أعمامهُ، وإذا علا ماءُ المرأة ماء الرجل أشبه الولدُ أخوالَهُ**». وقد جاء في حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ خرجه مسلم أيضاً: أنَّ النبي ﷺ قال لليهودي: «**ماءُ الرجلِ أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذَا اجتمعا، فَعَلا منيُّ الرجلِ منيَّ المرأةِ أذْكَرَا بإذن الله، وإذ علا منيُّ المرأةِ منيَّ الرجل آنثا بإذن الله** ». انتهى. قرطبي. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾: فيفعل ما يفعل بحكمة، واختيار. هذا؛ وفي هذه الآية، وسابقتها فن التقسم، وهو من المحسنات البديعية.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُزَوِّجُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به. ﴿ذُكْرَانًا﴾: حال من الضمير. وقيل: مفعول ثان، ولا وجه له. ﴿وَإِنَاثًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَيَجْعَلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿مَن﴾: مفعول به أول، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يجعل الذي، أو شخصاً يشاؤه. ﴿عَقِيمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ تعليل للكلام السابق لا محلَّ لها.

﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: سبب نزول الآية: أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله، وتنظر إليه؛ إن كنت نبياً، كما كلّمه موسى عليه السلام، ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبي ﷺ: إنَّ موسى لم ينظر إليه، فنزل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ...﴾ إلخ ذكره النقاش، والواحدي والثعلبي.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما صح، وهذا التعبير و﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ ونحوهما معناه: الحظر، والمنع، فتجيء لحظر الشيء، والحكم بأنه لا يجوز، كما في هذه الآية، وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلاً، كقوله تعالى في سورة (النمل): ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ رقم [٦٠] وربما كان العلم بامتناعه شرعاً، كقوله تعالى في هذه السورة، ومثلها في (آل عمران) رقم [٧٩]: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ وربما كان في المندوبات، كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ونحو ذلك.

﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: قال مجاهد: نَفْثٌ يُنْفَثُ في قلبه، فيكون إلهاماً، ومنه قوله ﷺ: «**إنَّ روحَ القدسِ نفث في رُوعي: إن نفساً لَنْ تموتَ حتى تستكمل رزْقَهَا، وأجلَها، فاتقوا الله، وأجمِلُوا في الطلبِ خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**». وانظر شرح (الوحي) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الزمر). ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾: كما كلم موسى. ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: كإرساله جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ وإلى غيره من الرسل. ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾: وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً، ويرونه عياناً، وهكذا كانت حال جبريل عليه السلام إذا نزل بالوحي على النبي ﷺ.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزل جبريل ـ عليه السلام ـ على كل نبي، فلم يره منهم إلّا محمد، وعيسى، وموسى، وزكريا، عليهم السلام، فأما غيرهم فكان وحياً إلهاماً في المنام.

انتهى. قرطبي. هذا؛ وجاء في التسهيل: بين الله تعالى في الآية: أنَّ كلامه لعباده على ثلاثة أوجه: أحدها: الوحي بطريق الإلهام، أو المنام. والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب. والثالث: الوحي بواسطة الملك. وهذا خاص بالأنبياء، والثاني خاص بموسى، وبمحمد؛ إذْ كلّمه الله ليلة الإسراء. وأمَّا الأول فيكون للأنبياء، والأولياء. وقال الصاوي: وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء، كالأولياء، غير أنَّ إلهام الأولياء قد يختلط به الشيطان؛ لأنَّهم غير معصومين، بخلاف الأنبياء، فإلهامهم محفوظ منه. انتهى. صفوة التفاسير. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ أي: متعال عن صفات المخلوقين. ﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما تقتضيه حكمته، فيكلم تارة بواسطة، وتارة بغير واسطة، إما عياناً، أو من وراء حجاب.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: قال ابن هشام في المغني: تحتمل الأوجه الثلاثة؛ أي: النقصان، والتمام، والزيادة، فعلى اعتبارها ناقصة: الخبر إما: ﴿لِبَشَرٍ﴾، و﴿وَحْيًا﴾ استثناء مفرغ من الأحوال، فمعناه: موحياً، أو موحىً، أو ﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ بتقدير، أو موصّلاً ذلك من وراء حجاب، أو ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ بتقدير: أو إرسالاً، أي: أو ذا إرسال. وإما ﴿وَحْيًا﴾ والتفريغ في الأخبار؛ أي: ما كان تكليمهم إلَّا إيحاءً، أو إيصالاً من وراء حجاب، أو إرسالاً. وجُعل ذلك تكليماً على حذف مضاف، و﴿لِبَشَرٍ﴾ على هذا تبيين. وعلى التمام والزيادة فالتفريغ في الأحوال المقدرة في الضمير المستتر في لبشر. انتهى. مغني. ومثل هذا يقال في آية غافر رقم [٧٨]: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وفي آية (الأحزاب) رقم [٣٦]: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾ إلخ.

﴿لِبَشَرٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾ مقدم على نقصانها، ومتعلقان بها على تمامها، ومتعلقان بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ المؤخر على زيادتها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ أو هو فاعلها، أو هو مبتدأ مؤخر. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَحْيًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: إلا أن يوحي وحياً، والفعل المقدر مع: ﴿أَن﴾ في تأويل مصدر في محل نصب حال، وهذا يعود إلى قول مكي، والزمخشري: وحياً مصدر في موضع الحال، وقال أبو البقاء: استثناء منقطع؛ لأنَّ الوحي ليس بتكليم. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مِن وَرَآيِ﴾: متعلقان بمحذوف معطوف على المقدر العامل في ﴿وَحْيًا﴾، أي: أو إلَّا أن يكلمه من وراء حجاب، وقال الزمخشري: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ ظرف واقع موقع الحال أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ والتقدير: وما صحّ أن يكلّم أحداً إلَّا موحياً، أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلاً، و﴿وَرَآيِ﴾: مضاف، و﴿حِجَابٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُرْسِلَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة جوازاً بعد الواو المسبوقة باسم خالص من التقدير بالفعل، والفاعل يعود إلى الله. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر

معطوف على: ﴿وَحۡيًا﴾، كما رأيت تقديره. هذا؛ ومثل هذه الآية قول ميسون بنت بحدل الكلبية: [الوافر]

ولُبْسُ عباءةٍ وتقرَّ عيْني أحبُّ إليَّ منْ لُبْسِ الشُّفوفِ

وهذا هو الشاهد رقم [٤٧٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وأيضاً قول الآخر، وهو الشاهد رقم [١٣٩] من كتابنا: «فتح رب البرية» إعراب شواهد جامع الدروس العربية: [البسيط]

لَوْلاَ تَوَقُّعُ مُعْتَرٍّ فأرْضِيَهُ ما كُنْتُ أُوثِرُ أتراباً على تِرْبِ

وأيضاً قول أنس بن مدركة الخثعمي، وهو الشاهد رقم [١٤٠] من الكتاب المذكور: [البسيط]

إني وقَتْلي سُلَيْكاً ثُمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضْربُ لمَّا عافَتِ البَقَرُ

انظر إعراب هذه الأبيات في محالها تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. هذا؛ ويقرأ الفعل ﴿يُرۡسِلَ﴾ بالرفع، على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: أو هو يرسل، والجملة الاسمية هذه معطوفة على ﴿وَحۡيًا﴾ أي: فتكون في محل نصب حال مثله، أو الفعل ﴿يُرۡسِلَ﴾ ينزل منزلة المصدر، كما في المثل العربي: «تسمعُ بالمعيديِّ خيرٌ مِنْ أنْ تراهُ» فهو إذاً معطوف على: ﴿وَحۡيًا﴾. انظر تقدير الكلام سابقاً. (يوحي): معطوف على: ﴿يُرۡسِلَ﴾ على جميع الوجوه المعتبرة فيه قراءة، وإعراباً. ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فيوحي بإذنه الذي، أو شيئاً يشاؤه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾: خبران له، والجملة الاسمية تعليل للكلام السابق، لا محلَّ لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي: وكالذي أوحينا إلى الأنبياء من قبلك، أوحينا إليك، والخطاب للنبي ﷺ. ﴿رُوحٗا﴾ أي: نبوة. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقال الربيع: هو جبريل. وقال الضحاك: هو القرآن، وهو قول مالك بن دينار، وسماه روحاً؛ لأنَّ فيه حياةً من موت الجهل، وجعله من أمره، بمعنى: أنزله كما شاء على من يشاء من النظم المعجز، والتأليف المعجب، وكان مالك بن دينار يقول: يا أهل القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع القلوب، كما أنَّ الغيث ربيع الأرض. ويمكن أن يحمل قوله تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ...﴾ إلخ على القرآن أيضاً ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي: يسألونك من أين لك هذا القرآن؟ قل: إنه من أمر الله أنزله عليَّ معجزاً. ذكره القشيري.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ المراد بالكتاب: القرآن، والمراد: بالإيمان: شرائعه، ومعالمه، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والختان، وإيقاع الطلاق، والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة، والصهر. وهذا هو الحق، وبه اندفع ما يقال: كيف قال: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ والأنبياء كلهم كانوا مؤمنين قبل الوحي إليهم بأدلة عقولهم، وكان نبينا ﷺ يتعبّد على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويحج، ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم على ما مرّت الإشارة إليه؟

وقال الكواشي: ويجوز أن يراد بالإيمان نفس الكتاب، وهو القرآن، وعطف عليه لاختلاف لفظيهما؛ أي: ما كنت تعرف القرآن، وما فيه من الأحكام. ويدلُّ على هذا التأويل توحيد الضمير في: ﴿جَعَلْنَـٰهُ﴾. وقيل: المراد بالإيمان: الكلمة التي بها دعوة الإيمان، والتوحيد، وهي: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. والإيمان بهذا التفسير، إنَّما علمه بالوحي، لا بالعقل. انتهى. نقلاً من كرخي.

﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: الإيمان، أو القرآن، أو الوحي. ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي: من نختاره للنبوة، كقوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ أي: لتدعو الناس. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى دين الإسلام. هذا؛ وانظر شرح ﴿يُدْرِيكَ﴾ في الآية رقم [١٧]. وإعلال ﴿مُّقِيمٍ﴾ في الآية رقم [٤٥] فإعلال ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ مثله.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: أوحينا إليك إيحاءً كائناً مثل إيحائنا لمن كان قبلك من المرسلين. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿أَوْحَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رُوحًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رُوحًا﴾. وقال الجمل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له؛ لأنَّ ﴿رُوحًا﴾ نكرة. و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَدْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب خبر «كان»، وجملة: ﴿مَا كُنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الضمير فقط.

﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْكِتَـٰبُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب سدّت مسدّ مفعولي الفعل ﴿تَدْرِى﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿ٱلْإِيمَـٰنُ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْكِتَـٰبُ﴾. ﴿وَلَـٰكِن﴾: الواو: حرف عطف.

(لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿نُورًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿مَا كُنتَ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿نَّهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نهدي به الذي، أو: شخصاً نشاؤه. ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في الموصول، و(نا): في محل جر بالإضافة.

﴿وَإِنَّكَ﴾: الواو: واو الحال. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَتَهْدِىٓ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تهدي): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، التقدير: لتهدي الناس، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة: ﴿صِرَٰطٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل: ﴿تَدْرِى﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة فلست مفنداً.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾: هو الإسلام، رواه النواس بن سمعان عن النبي ﷺ. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً. ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: المراد بهذا المضارع الديمومة كقولك: زيد يعطي، ويمنع؛ أي: من شأنه ذلك، وليس المراد به حقيقة المستقبل؛ لأنَّ الأمور منوطة به تعالى كل وقت، وهذا؛ وعد للمطيعين، ووعيد للمجرمين، فيجازي كلاً منهم بما يستحقه من ثواب، وعقاب. انتهى. خطيب. وعبارة البيضاوي: ﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ ترجع بارتفاع الوسائط، والتعلقات. وفيه وعد ووعيد للمطيعين، والمجرمين. انتهى. وفي الخازن: ﴿تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: أمور الخلائق في الآخرة، فيثاب المحسن، ويعاقب المسيء. انتهى. وعلى هذا يكون المضارع على ظاهره.

فائدة: قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف، ولم يبقَ منه إلَّا قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ وغرق مصحف، فانمحى كله إلَّا قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ والله أعلم. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿صِرَٰطِ﴾: بدل مما قبله بدل المعرفة من النكرة. وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لفظ الجلالة. ﴿لَهُۥ﴾: جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة: ﴿الَّذِى﴾ لا محلَّ لها. ﴿فِى السَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا فِى الْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿تَصِيرُ﴾: مضارع. ﴿الْأُمُورُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. تأمَّل وتدبَّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بعون الله وتوفيقه انتهت سورة (الشورى) شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الزخرف)، وهي مكية بإجماع. وقال مقاتل: إلا قوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ...﴾ إلخ رقم [٤٥] وهي تسع وثمانون آيةً، وألف وثلاث وثلاثون كلمةً، وثلاثة آلاف وأربعمئة حرف. انتهى. خازن، وسميت سورة (الزخرف) لما فيها من التمثيل الرائع لمتاع الدنيا الزائل، وبريقها الخادع بالزخرف اللامع، الذي ينخدع به الكثيرون، مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولهذا يعطيها الله للأبرار والفجار، وينالها الأخيار، والأشرار. أمَّا الآخرة فلا يمنحها الله إلَّا لعباده المتقين، فالدنيا دار الفناء، والآخرة دار البقاء. انتهى. صفوة التفاسير. هذا؛ وقال الرسول ﷺ: «**وإنَّ الله عزَّ وجل يعطي الدنيا مَن يحبُّ ومنْ لا يحب، ولا يعطي الدين إلَّا لمنْ أحبَّ، فمَنْ أعْطَاهُ الدِّينَ؛ فقدْ أَحَبَّهُ**». من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

الشرح: ﴿حمٓ﴾: انظر أول سورة (غافر). ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: المبيّن الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والنافع من الضار، فأقسم الله بالكتاب، وهو القرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلال، وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة. وقيل: معنى ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ الواضح للمتدبرين.

الإعراب: ﴿حمٓ﴾: انظر سورة (غافر) لإعرابه، وأضيف هنا: أنَّه قيل: ﴿حمٓ﴾: قسم. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: قسم ثان، ولله أن يقسم بما شاء، والجواب: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾. وقال ابن الأنباري: من جعل جواب ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿حمٓ﴾ ـ كما تقول: نزل والله، وجب والله ـ وقف على: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾. ومن جعل جواب القسم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ لم يقف على: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾. انتهى. قرطبي.

وقال البيضاوي: أقسم بالقرآن على أنَّه جعله قرآناً عربياً، وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم، والمقسم عليه، ولعلَّ إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، وبالقرآن من حيث إنَّه معجز عظيم، مُبيِّنٌ طرق الهدى، وما يحتاج إليه في الديانة، أو بيِّنٌ للعرب يدلُّ على أنَّه تعالى صبَّره كذلك. انتهى. بتصرف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾

الشرح: هذه الآية مذكورة في سورة (يوسف) رقم [٢] بحروفها مع إبدال ﴿جَعَلْنَهُ﴾ هنا بأنزلناه هناك. هذا؛ و(قرآن) مشتق من: قريت الماء في الحوض: إذا جمعته، فكأنه قد جمع فيه الحكم، والمواعظ، والآداب، والقصص، والفروض، وجميع الأحكام، وكملت فيه جميع الفوائد الهادية إلى طرق الرشاد. وهو في اللغة مصدر بمعنى: الجمع، يقال: قرأت الشيء قرآناً: إذا جمعته. وبمعنى: القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءة، وقرآناً، ثم نقل إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرسول ﷺ، المنقول عنه بالتواتر فيما بين الدفتين، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة (الناس). وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء، والأصوليين، أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستوراً للأمة، وهدايةً للخلق، وليكون آيةً على صدق الرسول، وبرهاناً ساطعاً على نبوته، ورسالته، وحجةً قائمة إلى يوم الدين، تشهد بأنه تنزيل الحكيم الحميد، بل هو المعجزة الخالدة؛ التي تتحدى الأجيال والأمم على كرّ الأزمان، ومرّ الدهور، ولله درّ شوقي إذ يقول: [البسيط]

جاءَ النبيون بالآيات فانصرمَتْ ... وجِئْتَنَا بكتابٍ غير مُنْصرِمِ

آياتُه كلما طال المدى جُدُدٌ ... يَزِينُهُنَّ جمالُ العِتْقِ والقِدَمِ

وللقرآن أسماء عديدة كلها تدل على رفعة شأنه، وعلو مكانته، وعلى أنه أشرف كتاب سماوي على الإطلاق، فيسمى: القرآن، والفرقان، والتنزيل، والذكر، والكتاب. . .إلخ. كما وصفه الله تبارك وتعالى بأوصاف جليلة عديدة، منها: نور، وهدى، ورحمة، وشفاء، وموعظة، وعزيز، ومبارك، وبشير، ونذير إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشعر بعظمته، وقدسيته. ويحرم على المُحْدِث حدثاً أكبر قراءته وحملهُ، ومسه، وعلى المحدث حدثاً أصغر حمله، ومسه، ولا يمنع من قراءته عن ظهر قلب. قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

هذا؛ وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ .. لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: بلغتكم يا معشر قريش لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه، فعلى هذا يكون خاصاً للعرب دون العجم. قاله ابن عيسى. وقال ابن زيد: المعنى: لعلكم تتفكرون، فعلى هذا يكون خطاباً عاماً للعرب، والعجم. ويؤخذ من هذه الآية أنَّه يجوز إطلاق اسم القرآن على بعضه؛ لأنَّ سورة (الزخرف) وسورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام بعض القرآن، ولأنه اسم جنس يقع على الكل، والبعض. واختلف: هل يمكن أن يقال: في القرآن شيء بغير العربية، فأنكر أبو عبيدة على من يقول ذلك أشد النكير، وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة ـ رضي الله عنهم ـ أنَّ فيه من

غير العربية، مثل: (سجِّيل، والمِشْكاة، واليمّ، وإسْتَبْرق، وسُنْدُس) ونحو ذلك. وهذا هو الصحيح المختار؛ لأنَّ هؤلاء أعلم من أبي عبيدة بلغة العرب، ولسانهم، وكلا القولين صواب، إن شاء الله تعالى، ووجه الجمع بينهما: أنَّ هذه الألفاظ لما تكلّمت بها العرب، ودارت على ألسنتهم بسهولة صارت عربية فصيحة، وإن كانت غير عربية في الأصل.

هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها إنَّما هو بحسب عقول البشر؛ لأنَّ الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ، ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿قُرْءَٰنًا﴾: مفعول به ثان. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية جواب القسم، لا محلَّ لها. ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبّه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية تعليل للجعل، لا محل لها.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: مسجل في اللوح المحفوظ قديم الأزل. ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا. ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ أي: رفيع محكم، لا يوجد فيه اختلاف، ولا تناقض. قال تعالى في سورة (البروج): ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، وقال تعالى في سورة (فصلت) رقم [٤٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. وقال ابن جريج: المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: أعمال الخلق من إيمان، وكفر، وطاعة، ومعصية. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ إلخ انتهى. قرطبي. هذا؛ وفي لفظ ﴿أُمِّ﴾ استعارة تصريحية، فقد استعير لفظ الأم للأصل.

هذا؛ و﴿لَدَيْنَا﴾ ظرف مكان بمعنى: «عند» وهي معربة مثلها، وقد تستعملان في الزمان، وإذا أضيف لدى إلى مضمر كما هنا قلبت ألفه ياءً عند جميع العرب، إلَّا بني الحارث بن كعب، وبني خناعة، فلا يقلبونها تسوية بين الظاهر، والمضمر، كما لا يقلبون ألف على، وإلى، ونحوهما، وعلى لغتهم جاء قول الشاعر: [الوافر]

إلاكُمْ يا خناعةُ لاَ إلانا ... عَزا النَّاسُ الضراعة والهوَانَا

فلَوْ بَرأتْ عقولُكمُ بصرْتمْ ... بأنَّ دَوَاء دائِكمُ لَدَانا

وذلكُمُ إذَا واثقْتمُونا ... عَلَى قَصْرِ اعتمادِكمُ عَلانَا

ثم اعلم: أنَّ «عند» أمكن من: «لَدى» من وجهين: أحدهما: أنها تكون ظرفاً للأعيان، والمعاني، تقول: هذا القول عندي صواب، وعند فلان علم به، ويمتنع ذلك في لدى، ذكره ابن الشجري في أماليه، ومبرمان في حواشيه. والثاني: أنك تقول: عندي مال، وإن كان غائباً، ولا تقول: لديَّ مال إلَّا إذا كان حاضراً. قاله جماعة، منهم: الحريري، وأبو هلال العسكري، وابن الشجري، وزعم المعري: أنَّه لا فرق بينهما، وقول غيره أصح. انتهى. «فتح القريب المجيب».

الإعراب: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿فِىٓ أُمِّ﴾: متعلقان بـ: (عليٌّ) بعدهما، واللام لا تمنع ذلك، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها، صار حالاً». و﴿أُمِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَدَيْنَا﴾: ظرف مكان بدل من ﴿فِىٓ أُمِّ﴾، أو هو متعلق بمحذوف حال من: ﴿ٱلْكِتَـٰبِ﴾، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياءً، لاتصاله بـ: (نا)؛ التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَعَلِىٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (علي حكيم): خبران لـ: (إنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الواقعة جواباً للقسم، لا محلَّ لها مثلها. هذا؛ وأجيز اعتبار الجار والمجرور: ﴿فِىٓ أُمِّ﴾ خبراً لـ: (إنَّ) وعليه فيكون قوله: ﴿لَعَلِىٌّ﴾ خبراً ثانياً، وهو معترض من حيث ما يلزم عليه من تقديم الخبر الغير مقرون باللام على المقرون بها، وهو ممتنع عند بعضهم. انتهى. جمل نقلاً عن شيخه.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾: الخطاب لأهل مكة، والمعنى: أفنترك عنكم الوحي، ونمسك عن إنزال القرآن، فلا نأمركم، ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم، وتركتم الإيمان، فنعتبركم كالبهائم، فلا نعظكم ولا نذكركم بالقرآن؟! ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ أي: لأجل أنكم مسرفون في التكذيب، والعصيان. لا، بل نذكركم، ونعظكم به إلى أن ترجعوا إلى طريق الحق. وقيل: المعنى أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين؟! أي: معرضين عنكم. وقيل: معناه: أفنطوي الذكر عنكم طياً، فلا تدعون، ولا توعظون؟! وقيل: أفنترككم، فلا نعاقبكم على كفركم؟!.

وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة؛ لهلكوا، ولكن الله عزَّ وجل عاد بعائدته، وكرمه، ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنةً، أو ما شاء الله. قال ابن كثير: وقول قتادة لطيف المعنى جداً، وحاصله: أنَّه تعالى من لطفه، ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير، وإلى الذكر الحكيم، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، بل أمر به ليهتدي به من قدّر هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته. انتهى.

الإعراب: ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: عاطفة على محذوف، التقدير: أنهملكم، فنضرب. (نضرب) فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن». ﴿عَنكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والكلام كله مستأنف، لا محلَّ له. ﴿صَفۡحًا﴾: فيه أوجه: أحدها: أنَّه مفعول مطلق، عامله من معناه، وهو نضرب؛ لأنَّه بمعنى: نصفح. الثاني: أنَّه حال بمعنى: صافحين. الثالث: أنَّه مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة، فيكون عامله محذوفاً، نحو قوله تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ قاله ابن عطية. الرابع: أن يكون مفعولاً من أجله. انتهى. جمل نقلاً من السمين. وقيل: منصوب على الظرف أيضاً. ولا وجه له. ﴿أَن﴾: حرف مصدري. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿قَوۡمًا﴾: خبره. ﴿مُّسۡرِفِينَ﴾: صفة: ﴿قَوۡمًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، و﴿أَن﴾ والفعل: ﴿كُنتُمۡ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأن كنتم... إلخ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (نضرب) التقدير: لكونكم قوماً مسرفين. هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إن) على اعتبارها شرطية، وعليه ف: ﴿كُنتُمۡ...﴾ إلخ فعل شرطها، وجوابها محذوف، دلَّ عليه ما قبلها، التقدير: إن كنتم فنحن نضرب. تأمَّل، وتدبّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم.

﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿وَكَمۡ﴾: خبرية بمعنى: كثير هنا، وتأتي استفهامية، ويستعمل الأولى من يريد الافتخار، والتكثير، والثانية بمعنى: أي عدد، ويستعملها من يسأل عن كمية الشيء ومقداره، ويشتركان في خمسة أمور: الاسمية، والإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير، ويفترقان في خمسة أمور.

أحدها: أنَّ الكلام مع الخبرية محتمل للتصديق والتكذيب، بخلافه مع الاستفهامية.

الثاني: أن المتكلم بالخبرية لا يستدعي من مخاطبه جواباً؛ لأنه مخبر، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه، لأنه مستخبر.

الثالث: أنَّ الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة، بخلاف المبدل من الاستفهامية، يقال في الخبرية: كم عبيد لي، خمسون بل ستون! وفي الاستفهامية يقال: كم مالك أعشرون أم ثلاثون؟

الرابع: أنَّ تمييز الخبرية مفرد، أو مجموع، ولا يكون تمييز الاستفهامية إلَّا مفرداً خلافاً للكوفيين.

الخامس: أنَّ تمييز الخبرية واجب الخفض، وتمييز الاستفهامية منصوب، ولا يجوز جرّه مطلقاً، خلافاً للفراء، والزجاج، وابن السراج وآخرين، بل يشترط أن تجر «كم» بحرف جر، فحينئذ يجوز في التمييز وجهان: النصب، وهو الكثير، والجر خلافاً لبعضهم، وهو بـ: «مِنْ» مضمرة وجوباً، لا بالإضافة، خلافاً للزجاج.

وتلخص: أن في جر تمييزها أقوالاً، الجواز، والمنع، والتفصيل، فإن جرت هي بحرف جر، نحو (بكمْ درْهمٍ اشتريْتَ؟) جاز وإلَّا فلا. انتهى. «فتح القريب المجيب».

الإعراب: ﴿وَكَمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): خبرية مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدّم. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّبِيٍّ﴾: تمييز منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نَّبِيٍّ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ أي: ما أتاهم، فالمضارع بمعنى: الماضي، والمعنى: ما أتى الأمم السابقة نبي ولا رسول إلَّا استهزؤوا به، كاستهزاء قومك بك. ففي الآية الكريمة تعزية، وتسلية للنبي ﷺ من استهزاء قومه به، والآية مذكورة بحروفها في سورة (الحجر) رقم [١١] وفي سورة (يسٓ) رقم [٣٠]، مع إبدال ﴿نَّبِيٍّ﴾ هنا بـ: ﴿رَّسُولٍ﴾ فيهما.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَأْتِيهِم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّبِيٍّ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية: ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ في محل نصب خبر: ﴿كَانُوا۟﴾، والجملة الفعلية: ﴿كَانُوا۟...﴾ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال.

﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي: أشد بطشاً من القوم المسرفين؛ أي: قومك، فكنى عنهم بعد أن خاطبهم في الآية رقم [٥] والبطش: الأخذ بشدة، وقسوة، وغلظة. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: وسبق في كثير من السور أحاديث إهلاكهم، مثل قوم صالح، وهود، ونوح،

وغيرهم؛ ليكونوا عظة، وعبرة لمن بعدهم من المكذبين. قال الإمام الفخر الرازي: إن كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم، فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، فقد ضربنا لهم مثلهم. انتهى. صفوة التفاسير. وفي الآية وعد للرسول ﷺ بالنصر، والظفر بأولئك المشركين، ووعيد، وتهديد لأولئك المعاندين.

الإعراب: ﴿فَأَهْلَكْنَآ﴾: الفاء: حرف عطف. (أهلكنا): فعل، وفاعل. ﴿أَشَدَّ﴾: مفعول به. ﴿مِنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَشَدَّ﴾. ﴿بَطْشًا﴾: تمييز. وقيل: حال. ولا وجه له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿وَمَضَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (مضى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿مَثَلُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمسؤول منهم أهل مكة. ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ذكر الله من آثار قدرته، ودلائل عظمته خلق السموات والأرض، وخصهما بالذكر هنا، وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأنَّ طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار، والحركات. وقدمها؛ لشرفها، وعلوّ مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض، وأيضاً: لأنَّها كالذكر، فنزول المطر من السماء على الأرض، كنزول المنيّ من الذكر في رحم المرأة؛ لأنَّ الأرض تنبت، وتخضر بالمطر.

﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: ليقولن: خلقهن الله وحده، العزيز في ملكه، العليم بخلقه. قال القرطبي: أقروا له بالخلق والإيجاد، ثم عبدوا معه غيره جهلاً منهم، وسفهاً. انتهى. وإنَّما اعترفوا بذلك لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود. هذا؛ وأصل: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ (يقول) فاتصلت به واو الجماعة، فصار (يقولون) فاتصلت به نون التوكيد الثقيلة، فصار: (ليقولُونَنّ) فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فصار: (ليقولُونّ) فالتقى ساكنان: واو الجماعة والنون الأولى الساكنة من نون التوكيد، فحذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على اللام لتدلّ عليها.

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتَهُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله الأول، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة

شرط غير ظرفي. ﴿مَّنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَّنْ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه ملحق بجمع المؤنث. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿مَّنْ...﴾ إلخ في محل نصب سدّت مسدّ المفعول الثاني. لـ: (سأل) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يقولنَّ): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون حرف لا محلَّ له. ﴿خَلَقَهُنَّ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بدل منه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿لَيَقُولُنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرطٌ وقسم؛ فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

واحْـذفْ لَـدَى اجـتـمـاعِ شَـرْطٍ وَقَـسَـمْ ... جَـوَابَ مَـا أَخَّـرْتَ، فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والكلام: ﴿وَلَئِن...﴾ إلخ مستأنف لا محلَّ له.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: هذا؛ ويقرأ: (مهاداً) مثل قوله تعالى في سورة (النبأ): ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ فقيل: هما لغتان لما يبسط، ويفرش. وقيل: ﴿مَهْدًا﴾ مصدر و﴿مِهَٰدًا﴾ جمع له، والمعنى: جعلها فراشاً، وقراراً تستقرون عليها، ولو شاء لجعلها مزلة، لا يثبت فيها شيء، كما ترون من بعض الجبال، ولو شاء لجعلها متحركة، فلا يمكن الانتفاع بها في الزراعة، والأبنية، فالانتفاع بها إنَّما حصل لكونها مسطحة قارة ساكنة. وهذا ابتداء كلام من الله جلّت قدرته وصف نفسه بكمال القدرة، ولو كان هذا إخباراً عن قول الكفار؛ لقال: الذي جعل لنا.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طرقاً بين الجبال، والأودية، والبراري، تسلكونها من أرض إلى أرض؛ لتبلغوا منافعها. وفي سورة (طه) رقم [٥٣]: ﴿وَسَلَكَ﴾ بدل ﴿وَجَعَلَ﴾. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم، أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك، فتستدلون بمقدوراته على قدرته. وقيل: لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم. قاله سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ. وانظر الترجي برقم [٣].

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وما سرد من الأوصاف عقيبه، إن كان من قولهم، فما تصنع بقوله: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ وإن كان من قول الله؛ فما وجهه؟ قلت: هو من قول الله، لا من قولهم، ومعنى قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾: الذي من صفته كيت وكيت؛ لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه، وليسندنه إليه. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بدلاً من الاسم الكريم قبله، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني، أو أمدح، ونحوهما. وعليهما يوقف على: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾. وعلى الأول لا يوقف. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به أول. ﴿مَهْدًا﴾: مفعول به ثان على اعتبار الفعل من أفعال التصيير، وحال على اعتباره بمعنى: «خلق». والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿سُبُلًا﴾: كان صفة له على مثال ما رأيت في الآية رقم [٤]. ﴿سُبُلًا﴾: مفعول به. ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: الجملة الاسمية تعليل للجعل، وانظر إعراب مثلها في الآية رقم [٣].

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بمقدار ينفع، ولا يضر. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: لا كالذي أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم، بل هو بقدر، لا طوفان مغرق، ولا قاصر عن الحاجة حتى يكون معاشاً لكم، ولأنعامكم. قال تعالى في سورة (الحجر) رقم [٢١]: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي: أحيينا بالماء أرضاً ميتة لا نبات فيها، كما قال تعالى في سورة (الحج): ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ رقم [٥]. ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: من قبوركم بعد دفنكم فيها. والمعنى: أنَّ هذا الكلام كما دلَّ على قدرة الله، وحكمته، ووحدانيته فكذلك يدلّ على قدرته على الحشر، والنشر للحساب، والجزاء يوم القيامة، ووجه التشبيه: أن جعلهم أحياءً بعد الإماتة، كهذه الأرض التي انتشرت بعدما كانت ميتة. وكذلك شبه الأرض قبل نزول المطر بالإنسان الميت، ثم أنشرها الله؛ أي: أحياها بالمطر. ففيه استعارة تبعية.

هذا؛ وفي الآية التفات من الغيبة إلى التكلم، وهو ظاهر، وواضح، وللالتفات فوائد كثيرة: منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضَّجر، والملال. لما جعلت عليه النفوس من

حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد. هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محله، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه حث السامع، وبعثه على الاستماع؛ حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة.

هذا؛ ووصف ﴿بَلْدَةً﴾ بـ: ﴿مَّيْتًا﴾ وهو مذكر؛ لأنَّ البلدة بمعنى: البلد، والمكان. وقال الليث: البلد كل موضع من الأرض عامر، أو غير عامر، خال، أو مسكون. والطائفة منه: بلدة، والجمع بلاد. زاد غيره: والمفازة تسمى بلدة؛ لكونها مسكن الوحش، والجن. قال الأعشى في معلقته: [البسيط]

وَبَلْدةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرسِ مُوحِشَةٍ ... لِلْجِنّ في اللَّيْلِ في حافاتِهَا زَجَلُ

وقال جران العود: وهو الشاهد رقم [٤١٨] من كتابنا: «فتح رب البرية». [الرجز]

وبَلْدةٍ لَيْسَ بِهَا أنِيسُ ... إلّا اليعافِيرُ، وإلَّا العِيسُ

وتذكَّر البلدة، قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ وقال رؤبة بن العجاج، وهو الشاهد رقم [١٧٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

بَلْ بَلَدٍ مِثْلُ الْفَجاجِ قَتَمُهْ ... لاَ يُشْتَرى كَتَّانُه وَجَهْرَمُهْ

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِى﴾: الواو: حرف عطف. (الذي): معطوف على ما قبله. ﴿نَزَّلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الذي)، وهو العائد. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَآءً﴾، كان صفة له على مثال ما رأيت في الآية رقم [٤]. ﴿مَآءً﴾: مفعول به. ﴿بِقَدَرٍ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿نَزَّلَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فَأَنشَرْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بَلْدَةً﴾: مفعول به. ﴿مَّيْتًا﴾: صفة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر، و«ذا»: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: تخرجون من قبوركم خروجاً مثل خروج النبات من البلدة الميتة. ﴿تُخْرَجُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، ويقرأ: (يخرجون) بالبناء للمعلوم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: أصناف المخلوقات من الإنسان، والحيوان، والنبات. وقيل: ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضر، وفقر وغنى،

وصحة وسقم. وقال بعض المحققين: كل ما سوى الله تعالى، فهو زوج، كالفوق، والتحت، واليمين، واليسار، والقدام، والخلف، والماضي، والمستقبل، والذوات، والصفات، والصيف، والشتاء، والربيع، والخريف، وكونها أزواجاً يدلُّ على أنَّها ممكنة الوجود، محدثة مسبوقة بالعدم، فأمَّا الحق تعالى، فهو الفرد المنزّه عن الضد، والند، والمقابل، والمعاضد. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن التي تمخر عباب البحار. ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: الإبل التي تجوب الصحراء. والمعنى: سخر لكم السفن، والإبل، وذللها لكم؛ لتستفيدوا من النقل، والحمل، والركوب في البر والبحر. هذا؛ ومن المعلوم: أنَّه لا يركب من الأنعام إلَّا الإبل؛ إذ الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، فحينئذ في (الأنعام) هنا تغليب، فأريد بها ما يركب من الحيوان، وهو: الإبل، والخيل، والبغال، والحمير. وقرينة هذا قوله في سورة (النحل) رقم [٨]: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِى﴾: معطوف على ما قبله. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (الذي) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: مفعول به. ﴿كُلَّهَا﴾: توكيد، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿وَجَعَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (جعل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الذي). ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَرْكَبُونَ﴾، أو في محل نصب حال. و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾. ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: وجعل لكم الذي تركبونه من الفلك والأنعام.

﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: على ظهور الفلك، والأنعام. ذكَّر الضمير، وأفرده نظراً للفظ (ما). وجمع (الظهر) وهو المضاف، نظراً لمعناها. وقال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد؛ لأنَّ المراد به الجنس، فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش، والجند، فلذلك ذكَّر، وجمع الظهور؛ أي: على ظهور هذا الجنس، والمراد: ظهور الإبل؛ لأنَّ الفلك إنَّما تركب بطونها، ولكنه ذكَّرهما جميعاً في أول الآية، وعطف آخرها على أحدهما، ويحتمل أن يجعل ظاهرهما باطنهما؛ لأنَّ الماء غمره وستره، وباطنهما ظاهرهما؛ لأنَّه انكشف للظاهرين، وظهر للمبصرين. انتهى. قرطبي بتصرف.

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: إذا ركبتم عليه، وذِكْرُ النعمة هو الحمد لله على تسخير ذلك لنا في البر، والبحر. ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: ذلّل لنا هذا المركب. وفي قراءة: (سبحان مَنْ سخَّر لنا هذا). والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ والإشارة فيهما مراعاة للفظ (ما) أيضاً. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين في قول ابن عباس، والكلبي. وقال الأخفش، وأبو عبيدة: ضابطين. وقيل: مماثلين في الأيد، والقوة؛ من قولهم: هو قِرن فلان: إذا كان مثله في القوة. ويقال: فلان مقرن لفلان؛ أي: ضابط له، ومن مجيئه بمعنى: مطيقين ما أنشده قطرب من قول عمرو بن معديكرب الزبيدي ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مَا عُقَيلٌ ... لَنَا في النائباتِ بمقرنينَا

وقال آخر: [الوافر]

ركبتمْ صَعْبَتي أشَراً وَحَيْفاً ... ولَسْتمْ للصعابِ بمقرِنينا

هذا؛ ويقال: أقرن الشيء: إذا أطاقه. قال ابن هرمة: [الطويل]

وأقْرَنْتُ ما حملتني وَلَقَلَّمَا ... يُطاقُ احتمالُ الصَّدِّ يادَعْدُ والْهَجْرُ

هذا؛ و﴿مُقَرِّنِينَ﴾ بتشديد الراء بمعنى: مقيدين بالسلاسل، والأغلال.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: علمنا الله ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ما نقول إذا ركبنا السفن، وهي قوله تعالى في سورة (هود): ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فكم من راكب دابة عثرت به، أو شمست، أو تقحمت، أو طاح من ظهرها فهلك، وكم من راكبين سفينة انكسرت بهم، فغرقوا، فلما كان الركوب مباشرة أمر محظور، واتصالاً بأسباب من أسباب التلف أمر ألَّا ينسى عند اتصاله به موته، وأنَّه هالك لا محالة، فمنقلب إلى الله عزّ وجل، غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه، ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله، وهو غافل عنه.

قال ابن العربي: وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا، وليس بواجب ذكره باللسان، فيقول متى ركب ـ وخاصة في السفر ـ إذا تذكر: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ اللهم أنتَ الصاحبُ في السفرِ، والخليفةُ في الأهل والمالِ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلَب، والحَوْر بعد الكَوْر، وسوء المنظر في الأهل، والمال. يعني بالحَوْر بعد الكَوْر: تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه.

وذكر الثعلبي عن علي ـ رضي الله عنه ـ «**أنَّ النبيّ ﷺ كان إذا وضع رجله في الركاب قال:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ **فإذا استوى قال: الحمدُ لله على كلِّ حالٍ.** ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى﴾ **إلى قوله** ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ وإذا نزلتم من الفلك والأنعام، فقولوا: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾».

الإعراب: ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (جعل). وجوز ابن عطية اعتبار اللام للأمر، وفيه بعد؛ لقلة دخولها على أمر المخاطب. ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَذْكُرُوا﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والواو فاعله. ﴿نِعْمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿رَبِّكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وهو مجرد عن الشرطية، على المعتمد. وقيل: شرطية، والجواب محذوف، وهو ضعيف. ﴿ٱسْتَوَيْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَتَقُولُوا﴾: معطوف على ما قبلها، منصوب مثله، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله ، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر، والمصدر جملة فعلية في محل نصب مقول القول. ﴿سَخَّرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والهاء حرف تنبيه لا محلّ له. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُقْرِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَمَا كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من: (نا)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: هذه الآية من تتمة الكلام، الذي يسن أن يقوله المسلم عند ركوبه الفلك، والأنعام. ومعنى ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾: لراجعون إلى الله تعالى، والمنصرفون من هذه الدنيا، ومراكبها إلى دار الاستقرار، والبقاء، ويتذكر المسلم بالحمل على السفينة، والدابة الحمل على الجنازة. وهذا الرجوع، وهذا الانصراف لا رجوع بعده إلى هذه الدار الفانية، فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الأخروي. وفيه إشارة إلى الرد على المشركين في إنكارهم البعث، والحساب، والجزاء بعد الموت. انتهى. بتصرف كبير.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً للسفر حمد الله تعالى، وسبَّح، وكبر ثلاثاً، ثم قال: «﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا...﴾ إلخ **اللهمَّ إنا نسألك في**

سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى! اللهمَّ هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنَّا بُعْدَه! اللهمَّ أنت الصاحبُ في السفرِ، والخليفةُ في الأهلِ! اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ مِنْ وَعثاء السفرِ، وكآبَةِ الْمَنْظرِ، وسوء المنقلب في الأهل، والمال، والولد!» وإذا رجع قالهنَّ، وزاد فيهن: «**آيبون، تائِبونَ عابِدونَ لِربّنا حامدون**». أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، والإمام أحمد.

وعن علي بن ربيعة: قال: شهدت علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وقد أُتِيَ بدابةٍ ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب؛ قال: بسمِ الله. فلما استوى على ظهرها؛ قال: الحمد لله، سبحان الذي سخر. . .) إلخ ثم قال: الحمد لله (ثلاث مرَّاتٍ) ثم قالَ: الله أكبرُ (ثلاثَ مراتٍ) ثم قال: سبحانَكَ إنّي ظلمْتُ نفسِي فاغفِرْ لي، فإنه لا يغفِرُ الذنوبَ إلَّا أنتَ، ثم ضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين! ممَّ ضحكك؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعلَ كما فعلتُ فقلت: يا رسول الله! من أيِّ شيء ضحكت؟ قال: «**إنَّ رَبَّكَ يعجبُ منْ عبدِهِ إذَا قال: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذنوبي، إنه لا يغفرُ الذنوبَ غَيْرُكَ**». أخرَجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

الإعراب: ﴿وَإِنَّآ﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: متعلقان بما بعدهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (منقلبون): خبر «إن» مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ﴾: هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي: ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض؛ ليعترفنّ به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً، فوصفوه بصفات المخلوقين. ومعنى: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ﴾ أن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً له، وبعضاً منه، كما يكون الولد بضعة من والده، وجزءاً له. انتهى. كشاف.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: عجَّبَ الله المؤمنين من جهلهم؛ إذ أقروا بأن خالق السموات والأرض هو الله، ثم جعلوا له شريكاً، أو ولداً، ولم يعلموا: أن من قدر على خلق السموات والأرض، لا يحتاج إلى شيء يعتضد به، أو يستأنس به؛ لأنَّ هذا من صفات النقص. انتهى.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الكافر، والملحد. ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾: لجحود للنعم بيِّن ظاهر الجحود. هذا؛ و﴿مُّبِينٌ﴾ اسم فاعل من: أبان الرباعي، أصله: مُبْيِن بسكون الباء وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأنَّ الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة. ولا تنسَ: أنَّ اسم الفاعل من بان الثلاثي: بائن، أصله: باين، وإعلاله مثل إعلال: قائل.

الإعراب: ﴿وَجَعَلُوا۟﴾: الواو: واو الحال. (جعلوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة بقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ في الآية رقم [٩]، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير «قد» قبلها. وقيل: مستأنفة. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول ثان تقدم على الأول. ﴿جُزْءًا﴾: مفعول به أول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَكَفُورٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كفور): خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ...﴾ إلخ تعليل لجعلهم لله جزءاً.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ...﴾ إلخ: أي: بل اتخذ، والهمزة للإنكار تجهيلاً لهم، وتعجباً من شأنهم حيث ادعوا: أنَّه اختار لنفسه المنزلة الأدنى، ولهم الأعلى. ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ أي: اختصكم بالذكور، وأخلصكم بهم. يقال: أصفيته بكذا؛ أي: آثرته به. وأصفيته الود: أخلصته له، وصافيته وتصافينا: تخالصنا. عجب من إضافتهم إلى الله اختيار البنات مع اختيارهم لأنفسهم البنين، وهو مقدس عن أن يكون له ولد؛ إن توهم جاهل أنَّه اتخذ لنفسه ولداً؛ فهلَّا أضاف إليه أرفع الجنسين؟! ولم جعل هؤلاء لأنفسهم أشرف الجنسين، وله الأخس؟! وهذا كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (النحل) رقم [٥٧]: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ وقال فيها أيضاً رقم [٦٢]: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، وقال في سورة (الإسراء) رقم [٤٠] موبخاً لهم: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، وقال جلَّ ذكره في سورة (الصافات) رقم [١٥٣]: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾، وقال تعالت حكمته في سورة (الطور) رقم [٣٩]: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ انظر شرح هذه الآيات في محالها. هذا؛ وتقديم البنات على البنين، وتنكيرهن وتعريف البنين في هذه الآية انظر مثله في الآية رقم [٤٩] من سورة (الشورى).

الإعراب: ﴿أَمِ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» التي للإضراب. ﴿ٱتَّخَذَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما). اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿يَخْلُقُ﴾: فعل مضارع والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: أم اتخذ من الذي، أو من شيء يخلقه. ﴿بَنَاتٍ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنَّه ملحق بجمع المؤنث السالم، والمفعول الثاني الجار والمجرور تقدّم عليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، وقال الجلال: ﴿أَمِ﴾ بمعنى: همزة الإنكار،

والتقريع، والتوبيخ، والقول مقدر؛ أي: أتقولون: اتخذ. . . إلخ. ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي: بالجنس الذي جعله له مثلاً؛ أي: شبهاً؛ لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضاً منه، فقد جعله من جنسه، ومماثلاً له؛ لأنَّ الولد لا يكون إلَّا من جنس الوالد، والمعنى: أنهم نسبوا إليه هذا الجنس، ومن حالهم: أن أحدهم إذا قيل له: قد ولدت لك بنت؛ اغتم واربدَّ وجهه غيظاً، وتأسفاً، وهو مملوء من الكرب. وعن بعض العرب: أن امرأته وضعت أنثى، فهجر البيت الذي فيه المرأة، فقالت: [الرجز]

مَا لأبي حمزةَ لا يأتينا؟ ... يَظَلُّ في البيتِ الذي يَلينَا

غضبانَ أنْ لا نَلِدَ البنينَا ... ليس لنَا من أمرِنا ماشِينَا

وإنما نأخذُ ما أُعْطِينا ... حكمةُ ربٍّ ذِي اقتدارٍ فينَا

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: صار وجهه أسود في الغاية؛ لما يعتريه من الكآبة. هذا؛ وقرئ (مسودٌّ) و(مسوادٌّ) برفعهما. ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: ممتلئ غيظاً، وغماً من سوء ما بشر به. قال الإمام الفخر الرازي: والمقصود من الآية التنبيه على قلة عقولهم، وسخافة تفكيرهم، فإن الذي بلغ حاله في النقص إلى هذا الحد، كيف يجوز للعاقل إثباته لله تعالى. هذا؛ وانظر الآيتين [٥٨] و[٥٩] من سورة (النحل) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

هذا؛ و(أحد) أصله: وَحَد؛ لأنَّه من الوحدة، فأبدلت الواو همزة، وهذا قليل في المفتوحة، إنما يحسن في المضمومة والمكسورة، مثل قولهم: وجوه، وأجوه، ووسادة، وإسادة، وهو مرادف للواحد في موضعين: أحدهما: وصف الباري جلَّ علاه، فيقال: هو الواحد، وهو الأحد. والثاني: أسماء العدد، فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون. وفي غير هذين الموضعين يفرق بينهما في الاستعمال، فلا يستعمل أحد إلَّا في النفي، وهو كثير في الكلام، أو في الإثبات مضافاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بخلاف الواحد. وقولهم: ما في الدار أحد هو اسم لمن يعقل، ويستوي فيه المفرد والمثنى والجمع، والمذكر، والمؤنث، قال تعالى في سورة (الأحزاب): ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقال جلَّ ذكره في سورة (الحاقة): ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

هذا؛ و(أحد) أكمل من الواحد، ألا ترى أنَّك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان، فأكثر. بخلاف قولك: لا يقوم له أحد. وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد، تقول: ليس في الدار أحد، فيجوز أن يكون فيها من الدواب، والطير، والوحش والإنس، فيعمّ الناس، وغيرهم، بخلاف ليس في الدار واحد، فإنَّه مخصوص بالآدميين.

ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى: الواحد، فيستعمل في النفي، والإثبات، نحو قوله تعالى في سورة (الإخلاص): ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد، وقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ أي: واحداً منكم، وبغير معنى الواحد فلا يستعمل إلَّا في النفي، تقول: ما جاءني من أحد، ومنه قوله تعالى في سورة (البلد): ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ وواحد يستعمل فيهما مطلقاً، وأحد يستعمل في المذكر، والمؤنث، والمفرد، والجمع، كما رأيته، بخلاف الواحد، فلا يقال: كواحد من النساء بل كواحدة. والأحد له جمع من لفظه، وهو: الأحدون، والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال: واحدون، بل يقال: اثنان، وثلاثة. والأحد ممتنع من الدخول في شيء من الحساب، بخلاف الواحد، فتلخص من ذلك سبعة فروق. ولا تنسَ الالتفات في الآيات.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿بُشِّرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿أَحَدُهُم﴾: نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ضَرَبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿أَحَدُهُم﴾. وهو بمعنى: «جعل» ينصب مفعولين، الأول محذوف، وهو عائد الصلة؛ إذ التقدير: بالذي ضربه. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿ضَرَبَ﴾. ﴿مَثَلًا﴾: مفعول به ثان. ﴿ظَلَّ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿وَجْهُهُۥ﴾: اسم: ﴿ظَلَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُسْوَدًّا﴾: خبر: ﴿ظَلَّ﴾. هذا؛ وأجاز أبو البقاء، ومكي اعتبار اسم: ﴿ظَلَّ﴾ مستتراً فيه. ﴿وَجْهُهُۥ﴾: بدلاً من الضمير المستتر. وعلى قراءة (مسودٌّ) بالرفع؛ فاسم ﴿ظَلَّ﴾ مستتر فيه، و﴿وَجْهُهُۥ﴾: مبتدأ، و(مسودٌّ) خبره، والجملة الاسمية في محل نصب خبر: ﴿ظَلَّ﴾، وجملة: ﴿ظَلَّ...﴾ إلخ جواب (إذا)، لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَظِيمٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وأجاز مجيء الحال من المضاف إليه لأنَّ المضاف جزؤه، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَلاَ تُجِزْ حالاً مِنَ المُضَافِ لَهْ ... إلَّا إذَا اقْتَضَى المضافُ عَمَلَهْ

أو كانَ جُزْءَ ما لهُ أُضِيفَا ... أوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فَلاَ تَحِيفَا

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ﴾ أي: يُربَّى، ويشِب. والنشوء: التربية؛ يقال: نشأت في بني فلان نشْئاً، ونشوءاً: إذا شببت فيهم. ﴿فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ أي: في الزينة. ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي: وهو في الجدال، والمخاصمة غير مظهر لضعف رأيه، وسقم تفكيره، والمعنى: أنَّ الأنثى إذا خاصمت، أو تكلّمت؛ لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها، وقلّما تجد امرأة إلا تفسد الكلام، وتخلط المعاني، فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص. وقال ابن كثير: فالأنثى ناقصة الظاهر، والباطن في الصورة، والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها بلبس الحلي؛ ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض الشُّعراء: [الطويل]

وَمَا الحَلْيُ إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ ... يُتَمِّمُ مِن حُسْنٍ إِذَا الحُسْنُ قَصَّرا

وأمَّا إِذَا كَانَ الجَمَالُ مُوَفَّراً ... كَحُسْنِكِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرا

وأمَّا نقص معناها؛ فإنَّها ضعيفة عاجزة عن الانتصار، كما قال بعض العرب، وقد بشر ببنت: «**والله ما هِيَ بنعمَ الولدُ، نصْرها بكاءٌ، وبِرُّها سَرِقةٌ**». قال مقاتل: لا تتكلّم المرأة إلَّا وتأتي الحجة عليها، وفيه: أنَّه جعل النشأة في الزينة، والنعومة من المعايب، والمذام، وأنَّه من صفات ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش كما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: اخشوشنوا، واخشوشبوا، وتمعددوا. وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى. هذا؛ وقد جمع كفرة العرب في كفرهم ثلاث كفرات، وذلك: أنهم نسبوا إلى الله الولد، ونسبوا إليه أخس النوعين، وجعلوه من الملائكة المكرمين، فاستخفوا بهم. انتهى. كشاف، ونسفي، وغيرهما.

وقيل: المنشأ في الحلية: أصنامهم؛ التي صاغوها من ذهب، وفضة، وحلوها. قاله ابن زيد، والضحاك، ويكون معنى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي: ساكت عن الجواب. انتهى. قرطبي. أقول: هذا قول ضعيف لا يعوَّل عليه.

فائدة: قال الرسول ﷺ: «**كَملَ من الرجال كثيرٌ، ولمْ يكْمُلْ من النساء إلَّا ثلاثٌ: خديجةُ بنتُ خويلد، ومريمُ، وآسية امرأةُ فرعون**». وللشعراء في وصف النساء بقلة العقل الشيء الكثير.

الإعراب: ﴿أَوَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. الواو: حرف عطف. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون وفيه وجهان: أحدهما: أنَّه في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وجعلوا، أو ويجعلون له من ينشأ في الحلية ولداً. والثاني: أنَّه في محل رفع مبتدأ خبره محذوف. التقدير: أو الذي ينشأ في الحلية ولدٌ لله؟! تعالى عن ذلك علواً

كبيراً. ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكلام كله مستأنف، أو معطوف على مقدر، لا محلَّ له مثله، التقدير: أيجترئون، ويجعلون لله من ينشأ...؟! ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿فِى ٱلْخِصَامِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُبِينٍ﴾ بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف يدلُّ عليه ﴿مُبِينٍ﴾، التقدير: هو لا يبين في الخصام، وهذا يعني: أنَّ الجملة خبر أول للمبتدأ. ﴿غَيْرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿مُبِينٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من نائب الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

تنبيه: تعليق الجار والمجرور: ﴿فِى ٱلْخِصَامِ﴾ بـ: ﴿مُبِينٍ﴾ على الوجه الأول، وهو معمول للمضاف إليه، وتقدم على المضاف. استدلَّ ابن هشام في هذه الآية على جواز هذه المسألة، وجعل منه قوله تعالى في سورة (المدثر): ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وقول الشاعر: وهو الشاهد رقم [١١٤٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

فـتـىً هُـوَ حـقـاً غـيـرُ مُـلْـغٍ تَـوَلَّـهُ ... وَلاَ تـتـخِـذْ يَـوْمـاً سِـواهُ بَـدِيـلا

وأيضاً قول أبي زيد الطائي، وهو الشاهد رقم [١١٤١] من الكتاب المذكور: [البسيط]

إنَّ امْـرأً خـصَّـنِـي يَـوْمـاً مَـوَدَّتَـهُ ... عَـلَى الـتـنـائي لَـعِـنـدِي غـيـرُ مـكـفُـورِ

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾: هذا كفر آخر، تضمنه مقالهم، شنع به عليهم، وهو جعلهم أكمل العباد، وأكرمهم على الله أنقصهم رأياً، وأخسّهم صنفاً. ومعنى (جعلوا): حكموا، وأثبتوا. قال الكلبي، ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ، فقال: «**ما يدريكم أنهم إناث؟**». قالوا: سمعنا من آبائنا، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فقال تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ أي: عنها في الآخرة. وهذا وعيد، وتهديد؛ إذ ستأمر الملائكة بكتابة شهادتهم الكاذبة في ديوان أعمالهم.

قال البقاعي ـ رحمه الله تعالى ـ: يجوز أن يكون في السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوا، ولا علم لهم به، فإنه قد روى أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «**كاتبُ الحسناتِ على يمينِ الرَّجُلِ، وكاتبُ السيئاتِ على يسارِ الرجل، وكاتبُ الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السيئات، فإذا عمِل حسنةً كتبَها صاحبُ اليَمينِ عشراً، وإذا عمل سيئة، قال صاحب اليمين لصاحب اليسار: دعْهُ سِتَّ ساعاتٍ، لعلَّه يُسَبِّح الله، أو يستغفر**». انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿وَجَعَلُوا﴾: الواو: حرف استئناف. (جعلوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾: مفعول به أول. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة: ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿عِبَادُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿الرَّحْمَنِ﴾ مضاف إليه. والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿إِنَاثًا﴾: مفعول به ثان، وجملة: ﴿وَجَعَلُوا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿أَشَهِدُوا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. (شهدوا): ماض، وفاعله. ﴿خَلْقَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿سَتُكْتَبُ﴾: السين: حرف استقبال. (تكتب): فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿شَهَادَتُهُمْ﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يسألون): فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ...﴾ إلخ: يعني: قال المشركون على طريق الاستهزاء، والسخرية: لو شاء الرحمن على زعمكم ما عبدنا هؤلاء الملائكة. وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل، وكل شيء بإرادة الله، وإرادته تجب، وكذا علمه، فلا يمكن الاحتجاج بها.

﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾: هذا رد من الله على الكافرين في قولهم. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يكذبون بقولهم. تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في أنَّ الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافرين، وإنما شاء الإيمان منهم، فإن الكفار ادعوا: أنَّ الله شاء منهم الكفر، وماشاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: لو شاء منا ترك عبادة الأصنام؛ لمنعنا من عبادتها، ولكن شاء منا عبادة الأصنام، والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ...﴾ إلخ. انتهى. نسفي.

هذا؛ وخذ ما قاله محشي الكشاف أحمد جزاه الله خيراً؛ حيث قال: نحن معاشر أهل السنة نقول: إن كل شيء بمشيئة الله تعالى، حتى الضلالة، والهدى اتباعاً لدليل العقل، وتصديقاً لنص النقل في أمثال قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وآية (الزخرف) هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح إلَّا تمهيداً، ولا تفيده إلَّا تصويباً، وتسديداً، فنقول: إذا قال الكافر: لو شاء الله ما كفرت، فهذه كلمة حق أراد بها باطلاً، أما كونها كلمة حق، فلما مهدناه، وأما كونه أراد بها باطلاً، فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله، توهماً أنَّه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من ضلَّ ألَّا يعاقبه على ذلك؛ لأنَّه إنَّما فعل مقتضى مشيئته. كما توهم القدرية إخوان

الوثنية ذلك، فأشركوا بربهم، واعتقدوا: أنَّ الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق، فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجةً؛ لأنَّ هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية في ملك ربهم المتوحد بالربانية، جلَّ، وعلا، فإذا وضح ما قلناه، فإنَّما رد الله عليهم مقالتهم هذه؛ لأنَّهم توهموا: أنها حجة على الله، فدحض الله حجتهم، وأكذب أمنيتهم، وبين: أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب، وتخرص محض، فقال: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ و﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا التقدير، وذلك قوله في سورة (الأنعام): ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ رقم [١٤٨].

فبين الله تعالى: أنَّ الحامل لهؤلاء على التكذيب بالرسل، والإشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ فشبه تعالى حالهم في الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم، ثم بين: أنَّه معتقد نشأ عن ظن خلب، وخيال مكذب، فقال: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾. ثم لما أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله، أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ رقم [١٤٩] من سورة (الأنعام)، ثم أوضح: أنَّ الردّ عليهم ليس إلَّا في احتجاجهم على الله بذلك، لا لأن المقالة في نفسها كذب، فقال: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تتمة الآية، وهو معنى قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ من حيث أن ﴿لَوْ﴾ مقتضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة، فدلّت الآية الأخيرة على أنَّ الله تعالى لم يشأ هدايتهم، بل شاء ضلالتهم، ولو شاء هدايتهم؛ لما ضلُّوا.

فهذا هو الدين القويم، والصراط المستقيم، والنور اللائح، والمنهج الواضح، والذي يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد: أنَّ الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم، هو أنه تعالى جعل للعبد تأتياً، وتيسراً للهداية، وغيرها من الأفعال الكسبية، حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف؛ لأنَّها اختيارية، يفرق بالضرورة بينهما وبين العوارض القسرية. فهذه الآية أقامت الحجة، ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحجة، ولما كانت تفرقة دقيقة، لم تنتظم في سلك الأفهام الكثيفة، فلا جرم أنَّ أفهامهم تبددت، وأفكارهم تبدلت، فغلت طائفة القدرية، واعتقدت: أنَّ العبد فعّال لما يريد على خلاف مشيئة ربه.

وحارت الجبرية، فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة، ولا اختيار، وأنَّ جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار. أما أهل الحق، فمنحهم الله من هدايته قسطاً، وأرشدهم إلى الطريق الوسطى، فانتهجوا سبل السلام، وساروا، ورائد التوفيق لهم إمام، مستضيئين بأنوار العقول

المرشدة إلى أنَّ جميع الكائنات بقدرة الله تعالى، ومشيئته، ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقدورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية، والقسرية بالضرورة، لكنها قدرة تقارن بلا تأثير، وتميز بين الضروري، والاختياري في التصوير، فهذا هو التحقيق، والله ولي التوفيق. انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: ماض. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: لو شاء الرحمن عدم عبادتنا للأصنام. والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿عَبَدْنَٰهُم﴾: فعل ماض، وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. وقيل: مستأنفة. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بِذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عِلْمٍ﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر. وقيل: في محل نصب حال منه، والأول أقوى، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عِلْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿يَخْرُصُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: هذا رد آخر على المشركين، والمعنى: أم آتيناهم كتاباً من قبل القرآن، فهم بذلك الكتاب متمسكون يعملون بتوجيهاته؟! قال الإمام الفخر: والمعنى: هل وجدوا ذلك الباطل في كتاب منزل قبل القرآن حتى يعولوا عليه، ويتمسكوا به؟ انتهى. صفوة التفاسير. وقيل: الضمير عائد على النبي ﷺ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. وهي بمعنى: همزة الاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿كِتَٰبًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿كِتَٰبًا﴾. ﴿فَهُم﴾: الفاء: حرف تعليل. (هم): مبتدأ. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية تعليل لإتيانهم الكتاب.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا...﴾ إلخ: أي: لم يأتوا بحجة عقلية، ولا نقلية، بل اعترفوا بأنهم لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود. وانظر شرح ﴿أُمَّةٍ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الشورى). ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾، وفي الآية التالية: ﴿مُّقْتَدُونَ﴾ والمعنى واحد؛ أي: نهتدي بهديهم، ونسير على طريقهم. ثم بيّن الله في الآية التالية: أنَّ مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم، ونظراؤهم من الأمم السابقة المكذبة للرسل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالتهم.

هذا، وحكى الله عنهم قولهم: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾ وحكى عنهم في الآية التالية قولهم: ﴿مُّقْتَدُونَ﴾ لأنَّ الأول وقع في محاجتهم النبي ﷺ، وادعائهم: أن آباءهم كانوا مهتدين، وأنهم مهتدون كآبائهم، فناسبه مهتدون. والثاني وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء، فناسبه مقتدون. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿قَالُوٓا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿وَجَدْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَابَآءَنَا﴾: مفعول به أول، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: متعلقان بمحذوف مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿وَإِنَّآ﴾: الواو: واو الحال. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر أول لـ: (إنَّ)، أو هما متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّهْتَدُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذه الآية تسلية لرسول الله ﷺ، ودلالة على أنَّ التقليد في نحو ذلك ضلال قديم، وأن مقدميهم أيضاً لم يكن لهم سند منظور إليه. وتخصيص المترفين بالذكر إشعار بأن التنعم وحب البطالة، صرفهم عن النظر إلى التقليد. والمترفون جمع مترف، وهم الذين أترفتهم النعمة؛ أي: أبطرتهم، فلا يحبون إلّا الشهوات والملاهي، والملذات، ويعافون مشاق الدين، وتكاليفه، ويعرضون عن الحق. هذا؛ ومقالتهم

هذه شبيهة بمقالة من سبقهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالتهم، قال تعالى في سورة (فصلت) رقم [٤٣]: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ وقد قال تعالى في سورة (الذاريات) رقم [٥٢] ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: إلا قال مترفوها قولاً مشابهاً لقول قومك. هذا؛ وقدر الجمل الكلام: والأمر كما ذكر من عجزهم. وهذا يعني: أنَّ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما مفعوله الثاني، تقدم على الأول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نَّذِيرٍ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً، كما رأيت في الآية رقم [٤]، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِى قَرْيَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ متعلقان بما قبلهما، و﴿فِى قَرْيَةٍ﴾ متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نَّذِيرٍ﴾. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّذِيرٍ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة: ﴿مَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وإعرابها كما في الآية السابقة، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنىً من عموم الأحوال، وهي على تقدير: «قد» قبلها.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَٰلَ﴾ أي: قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم. ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾: التقدير: أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أهدى، وأرشد، وأحق مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة؛ التي ليست من الهداية في شيء؟! وإنما عبر عنها بذلك مجاراة لهم على مسلك الإنصاف. هذا؛ وقرئ: (قُلْ) و﴿قَٰلَ﴾ و﴿جِئْتُكُم﴾ و(جئنَاكُمْ). ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم...﴾ إلخ: أي: إنا ثابتون على دين آبائنا، لا ننفك عنه، وإن جئتنا بما هو أهدى، وأصوب، فهذا منهم إقناط للنذير من أن ينظروا، ويتفكروا فيما جاءهم به.

هذا؛ و(جاء) يستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، فمن الأول قوله تعالى في سورة (النَّصر): ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ومن الثاني ما في هذه الآية، و«أتى» مثله يستعمل لازماً، ومتعدياً فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾. ومن الثاني قوله تعالى في سورة (الغاشية): ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَٰلَ﴾: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (النذير). وعلى قراءة: (قل) ففاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿أَوَلَوۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي، داخلة على فعل محذوف، كما رأيت في الشرح. الواو: واو الحال. (لو): وصلية. ﴿جِئۡتُكُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل الفعل المحذوف، والرابط: الواو، والضمير، واعتبار (لو) شرطية ضعيف معنى، وهو يحوج إلى تقدير جواب لها. ﴿بِأَهۡدَىٰ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بـ: (أهدى) و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿وَجَدتُّمۡ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿ءَابَآءَكُمۡۖ﴾: مفعول به أول، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ: (على)، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَٰلَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جرٍّ بالباء. ﴿أُرۡسِلۡتُم﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾

الشرح: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾: فعاقبناهم بما استحقوه على إصرارهم، وذلك باستئصالهم. وأصل الانتقام في اللغة: سلب النعمة بالعذاب. ﴿فَٱنظُرۡ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتى منه النظر، نظر تبصر واعتبار، فيعتبر العاقل، وينزجر بذلك الاعتبار عن الأفعال القبيحة، والأعمال الخبيثة. ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: عاقبة كل شيء: آخره، ونتيجته، ولم يؤنث

الفعل ﴿كَانَ﴾ لأنَّ ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث. أو لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه.

الإعراب: ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (انتقمنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي: من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنَّها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان الانتقام حاصلاً منهم؛ فانظر. (انظر): أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ كَانَ﴾: أجاز ابن هشام في المغني في: ﴿كَانَ﴾ ثلاثة أوجه: نقصانها وتمامها وزيادتها، وقال: إلّا أن الناقصة لا تكون شأنية لأجل الاستفهام، ولتقدم الخبر، و(كيف) حال على التمام، وخبر لـ: ﴿كَانَ﴾ على النقصان، وللمبتدأ على الزيادة. و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب سدّت مسدّ مفعول (انظر)، وجملة: (انظر...) إلخ لا محلَّ لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾: ما أحراك أن تنظر قصته مع أبيه، وقومه في سورة (الأنبياء) وفي سورة (الأنعام) وفي سورة (الشعراء) وغير ذلك. ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: بريء من عبادتكم، أو من معبودكم، فهو مصدر يستعمل للواحد فما فوقه، فلا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، ولا يقال: البراءان، والبراؤون؛ لأنَّ المعنى ذو البراء، وذوو البراء. قال الجوهري: وتبرأت من كذا، وأنا منه براء، وخلاء منه، لا يثنى، ولا يجمع؛ لأنَّه مصدر في الأصل، مثل: سمع سماعاً. انتهى. قرطبي. هذا؛ وقرئ: (بريْ) و(براء) ككريم، وكرام. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الممتحنة) حكاية عن قول إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته رقم [٤٧]: [الخفيف]

أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَمَنْ يَغْـ ... ـدُرْ فَإِنَّا مِنْ حَرْبِهِمْ بُرَآءُ

والمعنى: واذكر يا محمد لقومك؛ إذ قال إبراهيم؛ الذي هو أعظم آبائهم ومحطّ فخرهم، والجمع على محبّته، وحقية دينه منهم، ومن غيرهم، قال لأبيه؛ أي: من غير أن يقلده، كما قلدتم أنتم آباءكم، وقومه الذين كانوا هم القوم بالحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الأرض، قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، فتبرأ مما هم عليه، وتمسك بالبرهان، ليسلكوا مسلكه في الاستدلال. انتهى. جمل. وبينه وبين ما تقدم من المقارنة بين الهدى، والضلال، وبين منطق العقل السديد، ومنطق الهوى والتقليد ما لا يخفى.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر وقت... إلخ، أو هو متعلق بهذا المقدر؛ إن اعتبرته باقياً على ظرفيته، وجملة: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لِأَبِيهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّنِى﴾: حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿بَرَآءٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَرَآءٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: براء من الذي، أو من شيء تعبدونه. وإن اعتبرت (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ): التقدير: براء من عبادتكم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: خلقني، وأنشأني من العدم. وانظر ﴿فَاطِرُ﴾ في الآية رقم [١١] من سورة (الشورى). ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: فإنه سيرشدني إلى الدين الحق، ويهديني إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة. أو سيثبتني على الهداية. قال ذلك ثقةً بالله، وتنبيهاً لقومه على أنَّ الهداية من الله تعالى، والأوجه: أنَّ السين للتأكيد دون التسويف، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع بناء على أنهم كانوا يعبدون الأصنام فقط، أو هو متصل بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله الأصنام. وأجيز اعتباره بدلاً من (ما) كما أجيز اعتبار: ﴿إِلَّا﴾ صفة لِـ: (ما) بمعنى: «غير» على اعتبار (ما) نكرة موصوفة ظهر إعرابها على ما بعدها بطريق العارية لكونها على صورة الحرف. و﴿إِلَّا﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ مضاف إليه. ﴿فَطَرَنِى﴾: ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: حرف تعليل لبراءته مما تعبدون. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿سَيَهْدِينِ﴾: السين: حرف استقبال. (يهدين): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة المدلول عليها بالكسرة في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنَّها تعليلية.

تنبيه: وقوع ﴿إِلَّا﴾ اسماً بمعنى: «غير» مستعمل في العربية، من ذلك قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٢٢]: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ولهذه المسألة نظائر في الشعر العربي مثل قول ذي الرمة: [الطويل]

أُنِـيـخَـتْ فـأَلْـقَـتْ بَـلْـدَةً فـوقَ بَـلْـدَةٍ قَـلِـيـلٌ بِـهَـا الأَصْـوَاتُ إِلَّا بُـغَـامُـهَـا

وقول لبيد بن ربيعة العامري الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

لـو كـانَ غـيـرِي ـ سُـلَـيْـمـى ـ الـدهـر غـيَّـرَهُ وَقْـعُ الـحـوادِثِ إِلَّا الـصَّـارِمُ الـذَّكَـرُ

وهذان هما الشاهدان رقم [١١٣] و[١١٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ف: «إِلَّا» فيهما اسم بمعنى: «غير» صفة لما قبلها، ظهر إعرابها على ما بعدها بطريق العارية؛ لكونها على صورة الحرف وهو مضاف، وبغامها، والصارم مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المنقولة إليه من: «إلا».

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ أي: وجعل إبراهيم هذه الكلمة كلمة التوحيد باقية في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله. هذا؛ والمراد: بكلمة هي: (لا إله إلَّا الله). وقيل: هي ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ والأول أولى، كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ رقم [١٣٢] من سورة (البقرة). هذا؛ والعقب: الذرية من الأولاد، والأحفاد ذكوراً، وإناثاً، والعقب مؤخر الرجل، والجمع فيهما: أعقاب، قال الرسول ﷺ في وعيد الذين لا يغسلون أعقابهم في الوضوء: «**ويلٌ للأعْقابِ مِنَ النَّارِ**». هذا؛ والعقب في اللغة: عبارة عن شيء بعد شيء، كان من جنسه، أو من غير جنسه، يقال: أعقب الله بخير؛ أي: جاء بعد الشدة بالرخاء، وأعقب الشيب السواد. وقيل: الضمير يعود إلى الله تعالى، والضمير المجرور محلاً بالإضافة يعود إلى إبراهيم بلا شك. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٣] وانظر شرح ﴿كَلِمَةً﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الشورى).

الإعراب: ﴿وَجَعَلَهَا﴾: الواو: واو الحال. (جعلها): فعل ماض، والفاعل يعود إلى إبراهيم، والهاء مفعول به أول. ﴿كَلِمَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿بَاقِيَةً﴾: صفة: ﴿كَلِمَةً﴾. ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَاقِيَةً﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَجَعَلَهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ على اعتبار الفاعل عائداً عليه، أو من فاعل: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ على اعتبار الفاعل عائداً إلى الله، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير. و«قد» قبلها مقدرة لتقرب الماضي من الحال. وقيل: الجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، والجملة الاسمية تعليل للأمر المقدر؛ لذا فهي من مقول الله تعالى، وليست من مقول إبراهيم. وقيل: هي تعليل لـ: «الجعل» فتكون من مقول إبراهيم على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَآءِ﴾: عبارة البيضاوي: هؤلاء المعاصرين للرسول ﷺ من قريش، وآباءهم بالمد في العمر، والنعمة، فاغتروا بذلك، وانهمكوا في الشهوات. انتهى. وقال الإمام الفخر: وجه نظم الآية: أنهم لما عولوا على تقليد الآباء، ولم يتفكروا في الحجة؛ اغتروا بطول الإمهال، وإمتاع الله إياهم بنعيم الدنيا، فأعرضوا عن الحق. انتهى. صفوة التفاسير.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: القرآن، أو الإسلام. و﴿وَرَسُولٌ﴾: هو محمد ﷺ. ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: يبين لهم الأحكام. وقيل: بين الرسالة، وأوضحها بما معه من الآيات، والمعجزات، وكان من حق الإنعام أن يطيعوه، فلم يفعلوا بل كذَّبوا، وعصوْا، وسمَّوْه ساحراً. وفي هذه الغاية خفاء بيّنه صاحب الكشاف بقوله: وهو أنَّ ما ذكر ليس غاية للتمتيع؛ إذ لا مناسبة بينهما، مع أنَّ مخالفة ما بعدها لما قبلها غير مرعي فيها. والجواب: أنَّ المراد بالتمتيع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم، فكأنه قال: اشتغلوا به؛ حتى جاءهم الحق، وهو غاية له في نفس الأمر؛ لأنَّه مما ينبههم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا، فهو كقوله تعالى في سورة (البينة): ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾. انتهى. جمل.

هذا؛ والتمتع: التلذذ بالشيء، والانتفاع به، ومثله: الاستمتاع، وأمتعه الله، ومتَّعه بمعنى: واحد، والمتعة: الانتفاع، والتلذذ بالشيء. فهنيئاً لمن تمتع واستمتع بالمباح الحلال، وويل، ثم ويل لمن تمتع، واستمتع بالحرام. هذا؛ والمتعة بكسر الميم وضمها: اسم للتمتيع، والزاد القليل، وما يتمتع به من الصيد، والطعام، ومتعة المرأة: ما وصلت به بعد الطلاق من نحو إزار، وقميص، وملحفة. قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. هذا؛ وأمره سبحانه وتعالى للكفار في كثير من الآيات بأن يتمتعوا بدنياهم قليلاً، أو بعبادتهم الأوثان، أو باتباعهم الأهواء، فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها، وفي التهديد لهم بصيغة الأمر إيذان بأن المهدَّد عليه كالمطلوب لإفضائه إلى المهدَّد به.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب عن الكلام السابق. ﴿مَتَّعْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿هَٰؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، وجر، وبعدها «أن» مضمرة. ﴿جَآءَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: فاعله، و«أن» المضمرة والفعل (جاء) في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَرَسُولٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ﴾ أي: ولما جاءهم القرآن لينبههم من غفلتهم، ويرشدهم إلى الهدى والتوحيد؛ ازدادوا عتواً، وضلالاً، فقالوا عن القرآن: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: ونحن له جاحدون، لا نصدق: أنَّه كلام الله. قال أبو السعود: سَمَّوْا القرآن سحراً، وكفروا به، واستحقروا الرسول ﷺ، فضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق، والاستهانة به.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف زمان بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. وجملة: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محلَّ لها على اعتبارها حرفاً؛ لأنَّها حينئذ ابتدائية. ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: المعنى: أنهم قالوا: منصب النبوة منصب عظيم شريف، لا يليق إلَّا برجل شريف عظيم، كثير المال والجاه من إحدى القريتين، وهما: مكة، والطائف، واختلفوا في هذا الرجل العظيم، قيل: الوليد بن المغيرة بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف. وقيل: عتبة بن ربيعة بمكة، وكنانة بن عبد يا ليل من الطائف. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الوليد بن المغيرة من مكة، وحبيب بن عمير الثقفي من الطائف. انتهى. خازن. وانظر الآية رقم [١١] من سورة (الأحقاف).

وقال الصابوني: استبعدت قريش نزول القرآن على محمد، وهو فقير يتيم، واقترحوا أن ينزل على أحد الرؤساء، والعظماء، ظناً منهم: أنَّ العظيم هو الذي يكون له مال، وجاه، وفاتهم: أنَّ العظيم هو الذي يكون عند الله عظيماً، وهم يعتبرون مقياس العظمة، الجاه والمال، وهذا رأي الجاهلين في كل زمان، ومكان. أما مقياس العظمة عند الله تعالى، وعند العقلاء؛ فإنما هو عظمة النفس، وسمو الروح؛ ومن أعظم نفساً، وأسمى روحاً من محمد ﷺ، الذي رعاه الله، ورباه، وأدبه، وكمله؟!. انتهى.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل ﴿نُزِّلَ﴾ المبني للمجهول. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَجُلٍ﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ثانية لـ﴿رَجُلٍ﴾، والجملة الفعلية: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لمَّا)، لا محل لها مثلها.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: الآية رد لما تمنّاه الجاهلون في الآية السابقة. ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: أهم يمنحون النبوة، ويخصون بها من شاؤوا من العباد، حتى يقترحوا أن تكون لفلان الغني، أو لفلان العظيم من الناس. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نحن بحكمتنا، وتدبيرنا جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وفاوتنا بينهم في الأموال، والأرزاق، وإذا كان أمر المعيشة، وهو تافه حقير لم نتركه لهم، بل تولينا قسمته بأنفسنا؛ فكيف نترك أمر النبوة ـ وهو عظيم خطير ـ لأهوائهم، وشهواتهم، ومشتهياتهم؟! قال في التسهيل: كما قسمنا المعايش في الدنيا؛ كذلك قسمنا المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية؛ فأولى وأحرى ألَّا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية. انتهى. صفوة التفاسير، وبالجملة: فالمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا. كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا. هذا؛ وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها، وحرامها من الله تعالى، وهذا مذهب أهل السنة، قال اللقاني ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

والرزقُ عندَ القومِ ما بهِ انْتُفِعْ ... وقِيلَ لا بَلْ ما مُلِكْ ومَا اتُّبِعْ
فيرزقُ اللهُ الحلالَ فاعْلَمَا ... ويرْزُقُ المكروهَ والْمُحَرَّمَا

هذا؛ وقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ وهو معتزلي ـ: الله تعالى قسم لكل عبد معيشته، وهي مطاعمه، ومشاربه، وما يصلحهم من المنافع، وأذن لهم في تناولها، ولكن شرط عليه، وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها، فإذا سلكها؛ فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً، وسماها رزق الله، وإذا لم يسلكها؛ تناولها حراماً، وليس له أن يسميها رزق الله، فالله

تعالى قاسم المعايش والمنافع، ولكن العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بسوء تناولهم، وهو عدولهم فيه عمَّا شرعه الله إلى ما لم يشرعه. انتهى. كشاف.

أقول: رحم الله الزمخشري، فقد أصاب بقوله: «يكسونها صفة...» إلخ. وتجاوز الحد بقوله (وليس له أن يسميها...) إلخ قال أحمد محشي الكشاف: الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالاً، كان، أو حراماً، وهذه الآية معضدة، والزمخشري بنى على أصله.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي: فاضلنا بينهم، فمن فاضل، ومفضول، ورئيس، ومرؤوس، وخادم، ومخدوم، وضعيف، وقوي، وغني، وفقير... إلخ. ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أي: ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم، فيحصل بينهم تأليف، وتضام، ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسَّع عليه، ولا لنقص في المقتَّر عليه، ثم إنهم لا اعتراض لهم علينا في ذلك، ولا تصرف، فكيف يكون فيما هو أعلى منه. انتهى. بيضاوي. وفي الخازن: يعني: لو سوينا بينهم في كل الأحوال، لم يخدم أحد أحداً، ولم يصر أحد منهم مسخراً لغيره، وحينئذ يفضي إلى خراب العالم، وفساد حال الدنيا، ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضاً، فسخَّر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض، هذا بماله، وهذا بعمله، فيلتئم قوام العالم. انتهى.

هذا؛ والياء في ﴿سُخْرِيًّا﴾ للنسب؛ أي: نسبته للسخرة؛ التي هي العمل بلا أجرة، كما في كتب اللغة، وبهذا الاعتبار لا يصح التعليل في قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ﴾ فإنه ليس القصد من تفاوت الناس في الرزق، أن يقهر الغني الفقير على العمل له. والحاصل: أنَّه إذا نظر لصحة التعليل، واستقامته استقام التقييد المذكور، وإن نظر للأمر اللغوي في السخرة لم تستقم النسبة إليها، ولا يصح الكلام معها، ولا التقييد بالأجرة.

وقرئ بكسر السين شاذاً، بخلافه في سورة (صٓ) رقم [٦٣]: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ وسورة (المؤمنون) رقم [١١٠]: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فالقراءة بكسر السين فيهما سبعية. انظر ما ذكرته فيهما هناك. وفي القرطبي: وقيل: هو هنا من السخرية التي هي بمعنى: الاستهزاء؛ أي: ليستهزئ الغني بالفقير. قال الأخفش: سخرت به، وسخرت منه، وضحكت به، وضحكت منه، وهزئت به، وهزئت منه. انتهى. وعلى هذا القول، تكون اللام للصيرورة والعاقبة، لا للعلة، والسببية. أقول: والمعتمد الأول، وفي سورة (المؤمنون) وسورة (صٓ) من الاستهزاء.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: أفضل مما يجمعون من الدنيا، ثم قيل: الرحمة: النبوة، وقيل: الجنة، والعظيم من أعطيها، وحازها، وهو النبي ﷺ، لا من حاز الكثير مما يجمعون، كعروة بن مسعود، ونحوه. وللصابوني قوله: وإذا كانت النبوة أعظم شأناً من المال،

والجاه، والسلطان، وكانت حكمة الله العلية قد حددت لكل إنسان رزقه، ولكل مخلوق حظّه من الرزق، والمال، والمال بالنسبة للنبوة أمر حقير، فكيف يترك الأمر الجليل العظيم، وهو (الرسالة والنبوة) إلى أهواء الناس ورغباتهم؟! فإذا لم يشأ الله تعالى أن يترك أمر الرزق لأهل الأرض، بل قسم، ووزع، وحدد لكل نصيبه، فكيف يترك أمر النبوة إلى أهواء الناس؟ وهذا هو السر الدقيق في التعبير بقوله جلَّ وعلا: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فالذي وهب الرزق هو الذي وهب النبوة. انتهى.

الإعراب: ﴿أَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَقْسِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿رَحْمَتَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أَهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿قَسَمْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّعِيشَتَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَّعِيشَتَهُمْ﴾. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿الْحَيَاةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَرَفَعْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَسَمْنَا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿بَعْضَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من: ﴿بَعْضَهُمْ﴾، و﴿فَوْقَ﴾: مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾ مضاف إليه. ﴿دَرَجَاتٍ﴾: مفعول به ثان. وقيل: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّيَتَّخِذَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، أو لام الصيرورة. ﴿بَعْضُهُم﴾: فاعله. ﴿بَعْضًا﴾: مفعول به. ﴿سُخْرِيًّا﴾: مفعول به ثان، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿وَرَفَعْنَا﴾. ﴿وَرَحْمَتُ﴾: الواو: واو الحال. (رحمة): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه... إلخ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، و(ما). تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: خير من الذي، أو من شيء يجمعونه، والجملة الاسمية: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿بَعْضُهُم﴾. والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ولولا أن يصيروا كلهم كفاراً، فيجتمعون على الكفر، ويرغبون فيه إذا رأوا الكفار في سعة من الخير أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال. ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي: مصاعد، ودرجات من فضة، ومعارج جمع معرج، وقرئ معاريج على أنه جمع معراج، وهو الدرج إلى الطوابق العليا، كما نرى في هذا الزمن. ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: يصعدون، ويرتقون. يقال: ظهرت على البيت؛ أي: علوت على سطحه، وهذا لأنَّ مَنْ علا شيئاً، وارتفع عليه ظهر للناظرين. ويقال: ظهرت على الشيء؛ أي: علمته. وظهرت على العدو؛ أي: غلبته، وأنشد النابغة الجعدي ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ قصيدة منها قوله: [الطويل]

علوْنا السماءَ عزةً ومهابةً وإنا لَنرجو فوقَ ذَلِكَ مظْهَرَا

أي: مصعداً، فغضب النبي ﷺ، وقال: «إلى أين؟» قال: إلى الجنة، قال: «أجل إن شاء الله». ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾ أيضاً من فضة. ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾: الاتكاء، والتوكؤ: التحامل على الشيء. ومنه قوله تعالى حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في سورة (طه): ﴿هِىَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ والمتكأ: ما يتوكأ عليه، قال تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام في حق زليخا: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ هذا؛ وسميت المصاعد من الدرج، والسلم: معارج؛ لأنَّ المشي عليها مثل مشي الأعرج.

الإعراب: ﴿وَلَوْلَآ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: اسم ﴿يَكُونَ﴾. ﴿أُمَّةً﴾: خبر: ﴿يَكُونَ﴾. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة: ﴿أُمَّةً﴾. و﴿أَن يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، وهو على تقدير مضاف محذوف؛ أي: كراهة كون الناس... إلخ، أو التقدير: لولا صيرورتهم أمة واحدة. وخبر المبتدأ محذوف، دلَّ عليه جواب (لولا). ﴿لَّجَعَلْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما وهما في محل المفعول الثاني. وجملة: ﴿يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾: الجار والمجرور بدل من قوله ﴿لِمَن﴾ بدل اشتمال بإعادة الجار، التقدير: لبيوت من كفر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿سُقُفًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿سُقُفًا﴾. ﴿وَمَعَارِجَ﴾: معطوف على: ﴿سُقُفًا﴾. ﴿عَلَيْهَا﴾:

جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ في محل نصب صفة: (معارج) هذا هو المتبادر، وعند التأمل يتبين لك: أنَّها حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، وقد راعى لفظ (مَنْ) بقوله: ﴿يَكْفُرُ﴾ حيث عاد الضمير عليها مفرداً، وراعى معناها فيما بعده حيث أعاد الضمير عليها جمعاً. وجملة: ﴿لَّجَعَلْنَا...﴾ إلخ جواب «لولا»، لا محلَّ لها، و«لولا». ومدخولها كلام لا محلَّ له على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿أَبْوَابًا﴾: معطوف على ﴿سُقُفًا﴾ و(معارج). و﴿وَسُرُرًا﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وجعلنا لهم سرراً، وليس معطوفاً على: ﴿أَبْوَابًا﴾ لاقتضاء العطف أن السرر للبيوت مع أنها لا تضاف لها، ولا تختص بها. وقل في جملة: ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ ما رأيته في جملة: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

﴿وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ أي: وذهباً. قاله ابن عباس، وغيره، كما في قوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٩٣] حكاية عن قول الكافرين: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾. وقال ابن زيد: هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الأمتعة، والأثاث. وقال الحسن البصري: النقوش. وأصله الزينة، يقال: زخرفت الدار؛ أي: زينتها، وتزخرف فلان: أي: تزين. ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما تقدم ذكره. ﴿لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ما يتمتع به الكافر في هذه الحياة الدنيا، ثم يزول، ويفنى. هذا؛ وقرئ بتشديد ميم ﴿لَمَّا﴾ وتخفيفها، كما قرئ بفتح اللام، وكسرها؛ لكن مع تخفيف الميم.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: الجنة خاصة للمتقين، الذين زهدوا في الدنيا، وأعرضوا عن شهواتها. قال كعب الأحبار: إني لأجد في بعض كتب الله المنزلة: لولا أن يحزن عبدي المؤمن؛ لكلّلت رأس عبدي الكافر بالإكليل، ولا يتصدع، ولا ينبض منه عرق بوجع. وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا سِجْنُ المؤمِن وجنةُ الكافِر**». وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانتِ الدنيا تعْدِل عندَ اللهِ جناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقى منها كافراً شَرْبَةَ ماءٍ**». وأنشدوا: [الطويل]

فلوْ كانتِ الدنيا جزاءً لِمُحْسِنٍ ... إذاً لمْ يكنْ فيها معاشٌ لِظالِمِ
لقَدْ جاع فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقَدْ شَبِعَتْ فِيها بطونُ الْبَهَائِمِ

وقال آخر: [الطويل]

تمتَّعْ مِنَ الأيامِ إن كُنْتَ حازماً ... فإنكَ فيها بينَ ناهٍ وآمِرِ

إذَا بقِيتِ الدنيا على المرءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنها فَلَيْسَ بِضائِرِ
فلا تزِنُ الدنيَا جناحَ بَعُوضَةٍ ولا وزنَ رِقٍّ مِنْ جناحٍ لِطائِرِ
فلمْ يرضَ بالدنيَا ثَوَاباً لِمُحْسِنٍ وَلاَ رَضِيَ الدنيا عقاباً لِكافِرِ

فإن قيل: لما بيّن الله تعالى: أنّه لو فتح على الكافر أبوابَ النعم لصار ذلك سبباً لاجتماع الناس على الكفر، فلمَ لمْ يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك لاجتماع الناس على الإسلام؟ فالجواب: لأنَّ الناس على هذا التقرير كانوا يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهذا الإيمان إيمان المنافقين، فكان الأصوب أن يضيق الأمر على المسلمين؛ حتى إن كل من دخل في الإسلام، فإنَّما يدخل لمتابعة الدليل، ولطلب رضوان الله تعالى، فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب. وقال الزمخشري: فإن قلت: فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة؛ التي كان يؤدي إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا، وتهالكهم عليها، فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام، قلت: التوسعة عليهم مفسدة أيضاً؛ لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا، والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين، فكانت الحكمة فيما دبر؛ حيث جعل في الفريقين أغنياء، وفقراء، وغلب الفقر على الغنى. انتهى. جمل.

بعد هذا أقول: إن الله بيّن في كتابه العزيز: أنَّه قد يعطي بعض الكافرين، والظالمين، والفاجرين، والفاسدين، والمفسدين ما يحبون من حطام الدنيا، وملذاتها، وشهواتها على سبيل الاستدراج، ولكن أخذه لهم يكون شديداً بعد ذلك، وعقابه لهم يكون أليماً، قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٢]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ وقال في سورة (مريم) رقم [٧٥]: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ وقال في سورة (القلم) رقم [٤٤]: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾.

وبيّن الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة: «**إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلَّا لمن أحبّ**». وبيّن: أنَّ الله قد يحرم عبده المؤمن من ملذّات الدنيا، ومشتهياتها؛ وهو يحبه حماية له من الافتتان بها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عزَّ وجل لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمؤمِنَ من الدُّنيا؛ وهو يحبُّهُ كمَا تَحْمُونَ مَرِيضكُمْ الطعامَ، والشرابَ**». رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت على النبي ﷺ؛ وهو في غرفة كأنها بيت حمام، وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه، فبكيْتُ، فقال: «**ما يبكيكَ، يا عبدَ الله؟!**». قلتُ: يا رسولَ الله كسرى وقيصر يطؤون على الخز، والديباج، والحرير، وأنت نائم على حصير

قد أثّر في جنبك؟ قال: «**لا تبكِ يا عبدَ الله، فإنَّ لهُمُ الدنيا، ولنا الآخرةُ، وما أنا والدنيا (أو) ما مثلي ومثلُ الدنيا إلا كمثلِ راكبٍ نزل تحت شجرة ثم سار وتركها**». رواه الطبراني.

الإعراب: ﴿وَزُخْرُفًا﴾: معطوف على: ﴿وَسُرُرًا﴾ المعمول للمقدر؛ أي: وجعلنا لهم زخرفاً ليجعلوه في السقف، والمعارج، والأبواب، والسرر. وجوز الزمخشري عطفه على محل: ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾، وأجيز اعتباره منصوباً بنزع الخافض. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿لَمَّا﴾: حرف حصر بمعنى: «إلا». ﴿مَتَٰعُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة الحياة. هذا؛ وعلى قراءة: (لَمَا) بفتح اللام وتخفيف الميم، فـ: (إنْ) مخففة من الثقيلة. و(ما): صلة، و﴿مَتَٰعُ﴾ خبر ﴿كُلُّ﴾، وأجيز اعتبار (ما). موصولة خبر: ﴿كُلُّ﴾. وعلى الوجهين فاللام هي الفارقة بين النفي، والإثبات، وعلى اعتبار (ما). موصولة فـ: ﴿مَتَٰعُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: للذي هو متاع، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها. هذا؛ وعلى قراءة كسر اللام، فهي جارة (ما). على اعتبارها موصولة، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة: «هو متاع. . . إلخ» المقدرة. صلة الموصول، لا محلَّ لها، وعلى جميع الاعتبارات فالجملة الاسمية: ﴿وَإِن كُلُّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الأسماء المتعاطفة؛ فلا بأس به، والواو مجوزة للحالية، مانعة من الوصفية، كما رأيت في آية (البقرة) رقم [٢١٥] ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الآخرة): مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. وقيل: متعلقان بمحذوف حال ولا وجه له و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: يعرضْ، ويتعامَ عن ذكر الرحمن بفرط اشتغاله بحطام الدنيا، وانهماكه بشهواتها. والْعَشا في العين: ضعف بصرها، وهو من الرباعي. قالت عاتكة عمة النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

بِعُكاظَ يُعْشِي النَّاظِرِيـ نَ إذا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعَهْ

وقال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته رقم [٤١]: [الخفيف]

فاتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالتَّعَدِّي وإمَّا تَتَعاشَوْا فَفِي التَّعاشِي الدَّاءُ

وأما عشا، يعشو من الثلاثي، فهو من: عشا إلى النار: إذا رآها من بعيد، فقصدها مستضيئاً، أو راجياً: أنها نار قرى على حد قولِ الحطيئة، وهو الشاهد رقم [١٥١] من كتابنا: «فتح رب البرية». [الطويل]

مَتَى تأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ

والآية الكريمة بمعنى: يصدُّ، ويتعامى. ومثلها في المعنى قول حاتم الطائي: [السريع]

أعْشُو إذا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوارِي جَارتِي الْخِدْرُ

هذا؛ وقرئ: (ومَن يعشَ) بفتح الشين، ومعناه: يعمى. يقال: عشي، يعشى عشاً: إذا عمي، ورجل أعشى، وامرأة عشواء؛ إذا كانا لا يبصران، ومنه قول الأعشى في معلقته رقم [٢٠]. [البسيط]

أأنْ رأتْ رجلاً أعْشَى أضَرَّ بِهِ رَيْبُ المنونِ ودَهْرٌ مفنِدٌ خبِلُ

والمراد: بـ: ﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ القرآن. ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾: نهيئ له، ونسلط عليه شيطاناً يتلاعب به كيفما يشاء. ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: ملازم له، لا يفارقه، يزين له العمى، ويخيل إليه: أنَّه على الهدى. وفي الآية تحذير من سلوك طرق الشر. ومن سلك طريق الشر؛ فالله يكله إلى شيطانه، يتلاعب به كيف يشاء، بخلاف من اهتدى، وسلك طريق الخير؛ فإنه يجد توفيقاً من الله إلى الخير، وعوناً عليه، قال تعالى في سورة (محمد ﷺ) الآية رقم [١٧]: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ هذا؛ وانظر ما ذكرته في سورة (فصلت) رقم [٢٥]. وقال القرطبي، وغيره: هذه الآية متصلة بقوله أول السورة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أي: لا نضربه، بل نواصله لكم، فمن يعش عن ذلك الذكر بالإعراض عنه إلى تأويل المضلين، وأباطيلهم ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ أي: نسبب له شيطاناً جزاءً له على كفره ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ في الدنيا يمنعه عن الحلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية. وهو معنى قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى. هذا؛ وقال الزمخشري: وقرئ (يعشو) على أن (مَنْ) موصولة غير مضمنة معنى الشرط، وحق هذا القارئ أن يرفع (نُقَيِّضُ). انتهى. أقول: وهذه قراءة شاذة. ولا تنس استعارة العشا للضلال.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَعْشُ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، أو الواو، والفاعل مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى (مَنْ). ﴿عَن ذِكْرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿ذِكْرِ﴾ مضاف، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مضاف إليه. من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿نُقَيِّضْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿شَيْطَٰنًا﴾: مفعول به، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه،

فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وعلى اعتبار (مَنْ) موصولة، فجملة: ﴿يَعْشُ...﴾ إلخ صلة الموصول، وهي مبتدأ، وجملة: ﴿نُقَيِّضْ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وقلت لك: القراءة شاذة. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بما بعدهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له. ﴿قَرِينٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جواب الشرط، فهي في محل جزم مثله، أو هي معطوفة على خبر المبتدأ على اعتبار (مَنْ) موصولة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين. ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: ليصدون المعرضين عن ذكر الرحمن، وهم (العاشون). ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: ويحسب كفار بني آدم: أنهم على الهدى. وقيل: الضميران: الثاني، والثالث يعودان إلى (الشياطين)، والأول يعود إلى (العاشين). هذا؛ وإنما جمع الضمير العائد إلى (مَنْ) والضمير العائد إلى (الشيطان) لأنَّ (مَنْ) مبهم يطلق على المفرد، والمثنى، والجمع. وقد قيض له شيطان مبهم أيضاً من جنسه، فجاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعاً.

هذا؛ و«يصد» يأتي بمعنى: يمنع، ويصرف، وهو ما في هذه الآية، وهو بضم الصاد، ويأتي بمعنى: يعرض، ويميل، ومنه قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ وهو بهذا المعنى يأتي بضم الصاد، وكسرها، كما يأتي بمعنى: يضجون فرحاً، ومنه الآية رقم [٥٧] الآتية، ومصدر الأولين: صد، وصدود، ومصدر الأخير: صديد.

الإعراب: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يصدونهم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله. ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿شَيْطَٰنًا﴾، أو من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير على الاعتبارين، وقد عرفت أنَّ (مَنْ) و﴿شَيْطَٰنًا﴾ بمعنى: الجمع. ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: الواو: واو الحال. (يحسبون): فعل مضارع... إلخ، والواو فاعله. ﴿أَنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّهْتَدُونَ﴾: خبر (أنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنَّه جمع مذكر سالم، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدّ مفعولي: ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وهم يحسبون، والجملة الاسمية في

محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير، وإنما قدرت الضمير مبتدأ؛ لأنَّ الجملة المضارعية الواقعة حالاً لا تقترن بالواو. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَذَاتُ بَـدْءٍ بِـمُـضَـارِعٍ ثَـبَـتْ … حَـوَتْ ضَـمِـيـراً وَمِـنَ الْـوَاوِ خَـلَـتْ

وَذَاتُ وَاوٍ بَـعْـدَهَـا انْـوِ مُـبْـتَـدَا … لَـهُ الْـمُـضَـارِعَ اجْـعَـلَـنَّ مُـسْـنَـدَا

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ٣٨﴾

الشرح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾: يعني الكافر وحده، وقرئ: (جاءانا) على التثنية يعني: الكافر العاشي، وقرينه الشيطان، وقد جعلا في سلسلة واحدة. ﴿قَالَ﴾: أي: العاشي الكافر لقرينه الشيطان: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، كما قال تعالى في سورة (الرحمٰن) رقم [١٧]: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال مقاتل: يتمنى الكافر أن بينهما بُعْدَ مشرق أطول يوم في السنة إلى مشرق أقصر يوم في السنة، ولذلك قال: ﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ وقال الفراء: أراد المشرق، والمغرب، فغلب اسم أحدهما، كما يقال: القمران: للشمس، والقمر، والعُمَران: لأبي بكر، وعمر، والبصرتان: للكوفة، والبصرة، والعصران: للغداة، والعصر، والأبوان، والوالدان: للأب، والأم وهو كثير مستعمل في القرآن الكريم، والكلام العربي. وأنشد أبو عبيدة لجرير: [البسيط]

مَـا كَـانَ يَـرْضَـى رَسُـولُ الله فِـعْـلَـهُـمُ … وَالْـعُـمَـرَانِ: أَبُـو بَـكْـرٍ، وَلاَ عُـمَـرُ

وقال الفرزدق من قصيدة يهجو جريراً، ويفخر بها عليه: [الطويل]

أَخَـذْنَـا بِـآفَـاقِ الـسَّـمَـاءِ عَـلَـيْـكُـمُ … لَـنَـا قَـمَـرَاهَـا وَالـنُّـجُـومُ الـطَّـوَالِـعُ

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أي: فبئس الصاحب أنت؛ لأنَّه يورده إلى النار. قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: إذا بُعث الكافر زُوِّج بقرينه من الشياطين، فلا يفارقه؛ حتى يصير به إلى النار.

الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، وعند الأخفش حرف جر. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَنَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (العاشي) المفهوم من: «يعشو» وعلى قراءة التثنية، فألف الاثنين فاعله، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى العاشي أيضاً. ﴿يَٰلَيْتَ﴾: (يا): حرف تنبيه، وأجيز اعتبارها أداة نداء؛ والمنادى محذوف، تقديره: يا هذا مثلاً. (ليت): حرف مشبه بالفعل. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر: (ليت) تقدم على اسمها، فهو

منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بُعْدَ﴾: اسم: (ليت) مؤخر، وهو مضاف، و﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنىً لفظاً، والجملة الاسمية: ﴿يَٰلَيْتَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له على رأي الجمهور. قال الجمل: فإن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتماً أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مراراً. انتهى. أبو السعود. ﴿فَبِئْسَ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (بئس القرين): ماض، وفاعله، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: فبئس القرين أنت! والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً؛ فبئس القرين.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ...﴾ إلخ: أي: لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك في الدنيا، وارتكاب المعاصي اشتراككم في العذاب في الآخرة، ولا يخفف عنكم شيئاً، لكل واحد من الكفار، والشياطين الغاوين لهم له الحظ الأوفر، والنصيب الأوفى من العذاب. وقيل: المعنى: لن ينفعكم الاعتذار، والندم اليوم، فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب، كما كنتم مشتركين في الكفر. انتهى. خازن. وقال القرطبي: أعلم الله تعالى: أنه منع أهل النار التأسي، كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا، وذلك أنَّ التأسي يستروحه أهل الدنيا، فيقول أحدهم: لي في البلاء، والمصيبة أسوة، فيسكِّن ذلك من حزنه، كما قالت الخنساء: [الوافر]

فلولاَ كثرةُ الباكينَ حَوْلِي عَلَى إخْوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وما يَبْكونَ مِثْلَ أخِي ولكِنْ أُعَزِّي النفسَ عَنْهُ بِالتَّأسِّي

تنبيه: روعي في هذه الآيات معنى (مَنْ) ولفظها، فقد روعي معناها في مواضع ثلاثة: الهاء في قوله: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾، والثاني: الواو في قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾، والثالث: الهاء في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وروعي لفظها في ثلاثة مواضع أيضاً: الأول: الضمير المستتر في ﴿يَعْشُ﴾. والثاني، والثالث: المجروران باللام في ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ﴾ و﴿فَهُوَ لَهُۥ﴾ ثم روعي لفظها في موضعين: المستتر في: (جاء) والمستتر في ﴿قَالَ﴾ ثم روعي معناها في ثلاثة مواضع في ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ﴾ وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ فإنَّ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتماً أن تكون غاية لأمر ممتد كما مرَّ مراراً. انتهى. جمل نقلاً من أبي السعود وغيره.

الإعراب: ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف استئناف. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَنفَعَكُمُ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (لن)، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿إِذ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدلاً مما قبله. ﴿ظَّلَمْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذ﴾ إليها. ﴿أَنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾: خبر (أنَّ). مرفوع. . . إلخ، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل: ﴿يَنفَعَكُمُ﴾. انظر الشرح، وقال بعضهم: الفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى التمني المدلول عليه بقوله: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ التقدير: ولن ينفعكم تمنيكم البعد. وعليه فالمصدر المؤول في محل جر بلام تعليل محذوفة، ويؤيده: أنه قرئ بكسر همزة (إنَّ).

تنبيه: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف للحال، و﴿إِذ﴾ ظرف للماضي، وفيه إبدال الماضي من الحال، وفي تجويز ذلك أقوال كثيرة أصحّها: أنَّ الدنيا والآخرة متصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى، وعلمه. قال أبو الفتح بن جني في مساءلته أبا علي الفارسي: راجعته فيها مراراً، فآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وهما في حكم الله تعالى، وعلمه سواء.

هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول؛ إذ التقدير: ويقول الله للكافرين: (لن ينفعكم. . .) إلخ.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ...﴾ إلخ؛ استفهام نفي، وإنكار؛ أي: أتقدر يا محمد على إسماعهم، أو تقدر على هدايتهم، وهداية من كان في ضلال مبين؟! أي: ليس لك ذلك، فلا يَضِقْ صدرك؛ إن كفروا. ففيه تسلية للنبي ﷺ. وفيه رد على القدرية وغيرهم، وأن الهدى، والرشاد، والخذلان، والضلال في القلب خَلْق الله تعالى، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وهو العليم الخبير. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٠]. هذا؛ وفي الآية الكريمة استعارة، فقد شبه الكفار بالصم، والعمي بطريق الاستعارة التمثيلية، وهذا شيء يكثر في القرآن الكريم؛ الذي أسكت القرشيين، وأخرسهم ببلاغته، وفصاحته. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَأَنتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري مفيد للنفي. الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿تُسْمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلصُّمَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنَّها مستأنفة على المعتمد. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر

تقديره: «أنت». ﴿ٱلْعُمْىَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف عطف. (من): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على: ﴿ٱلْعُمْىَ﴾. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمه مستتر، تقديره: «هو»، يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم، أو: قبل أن نعذبهم، ونشفي صدرك، وصدور المؤمنين بتعذيبهم. وقال القرطبي: يريد: نخرجك من مكة، ونخلصك من أذى قريش. ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾: بعدك في الدنيا بالقتل، والأسر ، وفي الآخرة بعذاب النار.

قال الزمخشري: كان رسول الله ﷺ يجد، ويجتهد، ويكد روحه في دعاء قومه إلى الإيمان؛ وهم لا يزيدون على دعائه إلَّا تصميماً على الكفر، وتمادياً في الغي، فأنكر عليه بقوله: ﴿أَفَأَنتَ...﴾ إلخ. الآيات؛ التي نحن بصدد شرحها. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (غافر) رقم [٧٧]: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

تنبيه: (إما): أصلها: (إن ما) «إن» الشرطية و«ما» الزائدة، فأفادت التوكيد؛ لأنَّ معنى «إنْ» في الأصل الشك. فزال هذا المعنى بسبب «ما»؛ ولذا أكد الفعل بعدها بنون التوكيد الثقيلة. وذكر ابن هشام في المغني: أن توكيد الفعل بعدها قريب من الواجب، وذكر آيات كثيرة الفعل المضارع مؤكد فيها بنون التوكيد. وأضيف: أنه قرئ قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٢٦]: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ بدون تأكيد الفعل بنون التوكيد.

الإعراب: ﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إمَّا): (إنْ): حرف شرط جازم. و«**ما**»: صلة. ﴿نَذْهَبَنَّ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محلَّ له، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر وجوباً، تقديره: «نحن». ﴿بِكَ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مِنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: (إنا...) إلخ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: أو إن أردنا أن ننجز في حياتك، ونريك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم، وهو يوم بدر. ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: فإنهم تحت ملكنا، وقهرنا، وقدرتنا لا يفوتوننا. انتهى. كشاف.

هذا؛ وقال الحسن، وقتادة: هي في أهل الإسلام، يريد ما كان بعد النبي ﷺ من الفتن، و﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ على هذا بمعنى: نتوفينك. وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة، فأكرم الله نبيه ﷺ وذهب به، فلم يُرِهِ في أمته إلَّا ما تقرّ به عينه، وأبقى النقمة بعده، وليس من نبي إلَّا وقد أري النقمة في أُمته. وروي: أنَّ النبي ﷺ أُرِي (في المنام) ما لقيت أمته من بعده، فما زال منقبضاً، ما انبسط ضاحكاً؛ حتى لقي الله عزَّ وجل. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا أرادَ الله بأمةٍ خيراً؛ قَبَضَ نبيَّها قبلَهَا، فجعلهُ لها فرطاً، وسلفاً. وإذا أراد الله بأمةٍ عذاباً؛ عذَّبَها؛ ونبيُّها حيٌّ؛ لتقرَّ عينه لما كذبوه، وعصوا أمره**». انتهى. قرطبي.

أقول: جاء في حديث تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ حديث البعير حينما قال له النبي ﷺ: «**يا أيها البعيرُ انطلِقْ فأنتَ حرٌّ لوجهِ الله تعالى**». فرغا على هامةِ رسولِ الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**آمين**». ثم رغا، فقال: «**آمين**». ثُمَّ رغا، فقال: «**آمين**». ثم رغا الرابعة، فبكى عليه الصلاة والسلام، فقلنا: يا رسولَ الله! ما يقولُ هذا البعيرُ؟ قالَ: «**قال: جزاكَ الله أيُّها النبيُّ عن الإسلام، والقرآن خيراً! فقلتُ: آمين، ثم قال: سكَّن الله رعبَ أمَّتِكَ يومَ القيامةِ، كما سكَّنتَ رعبي، فقلتُ: آمين، ثم قال: حقن الله دماءَ أُمَّتِكَ من أعدائها كما حقنْتَ دمي، فقلتُ: آمين، ثم قال: لا جعل الله بأسَها بينها، فبكيْتُ، فإن هذه الخصال سألتُ ربي فأعطانيها، ومنعني هذِهِ، وأخبرني جبريلُ عن الله تعالى أنَّ فناءَ أمّتي بالسيفِ، جَرَى القلمُ بما هُوَ كَائِنٌ**». رواه ابن ماجه؛ أي: بالحرب، والشقاق، والنزاع، بين المسلمين. قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٦٥]: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾. انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: معطوف على: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ فهو مثله في إعرابه. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿وَعَدْنَٰهُمْ﴾: ماض، وفاعله ومفعوله الأول، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي وعدناهم إياه. ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم...﴾ إلخ مثل ما قبله في الآية السابقة.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: من الآيات القرآنية، والشريعة السماوية. وقال الزمخشري: والمعنى: وسواء عجلنا لك الظفر، والغلبة، أو أخرنا ذلك إلى اليوم الآخر، فكن

مستمسكاً بما أوحينا إليك، وبالعمل به، فإنَّه الصراط المستقيم؛ الذي لا يحيد عنه إلّا ضال شقي، وزد كل يوم صلابة في المحاماة، والدفاع عن دين الله، ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين، والرخاوة في أمرك، ولكن كما يفعل الثابت؛ الذي لا ينشطه تعجيل ظفر، ولا يثبطه تأخيره.

الإعراب: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنَّها تفصح عن شرط مقدر؛ أي: وإذا كان ما ذكر واقعاً بهم؛ فاستمسك. (استمسك): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِٱلَّذِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا». ﴿أُوحِيَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل، يعود إلى «الذي»، وهو العائد. هذا؛ وقرئ بالبناء للمعلوم على أنَّ الفاعل يعود إلى الله فيكون العائد محذوفاً، التقدير: بالذي أوحاه الله، والجملة الفعلية على القراءتين صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة: ﴿صِرَٰطٍ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: يعني القرآن شرفٌ لك، ولقومك من قريش؛ إذ نزل بلغتهم، وعلى رجل منهم، نظيره قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [١٠]: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم، وفخركم، فالقرآن نزل بلغة قريش، وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، كل من آمن بالله، ورسوله، فصاروا عيالاً عليهم؛ لأنَّ أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم؛ حتى يقفوا على المعنى الذي عني به من الأمر والنهي، وجميع ما فيه من الأحكام، والأنباء، والمواعظ، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سُمي عربياً.

هذا؛ والصحيح: أنه شرف لمن عمل به، ولو كان عبداً حبشياً، وسواء أكان من قريش، أو من غيرهم. انتهى. قرطبي. ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾: عنه يوم القيامة، وعن قيامكم بحقه، وعن تعظيمكم له، وشكركم على أن رزقتموه، وخصصتم به من بين العالمين. انتهى. كشاف.

الإعراب: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَذِكْرٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (ذكر): خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الموصول، والرابط: الواو، والضمير. ﴿لَّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (ذكر)، أو بمحذوف صفة له. (لقومك): معطوفان على: ﴿لَّكَ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَسَوْفَ﴾: الواو: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال معناه التحقيق، والتأكيد هنا. ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾: فعل

مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. وانظر تقدير المفعول الثاني في الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلف العلماء مَنْ هؤلاء المسؤولون؟ فروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية عنه لما أسري بالنبي ﷺ؛ بعث الله عزَّ وجل له آدم، وولده من المرسلين، فأذّن جبريل عليه السلام، ثم أقام الصلاة، وقال: يا محمد تقدم، فصلّ بهم. فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل عليه السلام: سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا. . .إلخ، فقال النبي ﷺ: «**لا أسأل قد اكتفيت!**». وهذا قول الزهري، وسعيد بن جبير، وابن زيد، قالوا: جمع له الرسل ليلة أسري به، وأمر أن يسألهم، فلم يشكّ، ولم يسأل، فعلى هذا القول قال بعضهم: هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسري بالنبي ﷺ.

وقال أكثر المفسرين: معناه: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء ـ عليهم الصلاة، والسلام ـ: هل جاءتهم الرسل إلَّا بالتوحيد. وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في أكثر الروايات عنه، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، والحسن، ومقاتل، ومعنى الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش أنَّه لم يأت رسول، ولا كتاب بعبادة غير الله عزَّ وجل. انتهى. بحروفه من الخازن، ومثله في الكشاف والقرطبي الذي صحح الرواية الأولى عن ابن عباس، ثم قال:

وسبب هذا الأمر بالسؤال: أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ: إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك من الرسل، فأمره الله بسؤال الأنبياء على جهة التوقيف والتقرير، لا لأنه كان في شك منه. واختلف في سؤال النبي ﷺ لهم على قولين: أحدهما: أنَّه سألهم، فقالت الرسل: بُعثنا بالتوحيد. قاله الواقدي. الثاني: أنَّه لم يسألهم ليقينه بالله عزَّ وجل، حتى حكى ابن زيد: أنَّ ميكائيل قال لجبريل: هل سألكَ محمد عن ذلك؟ فقال جبريل: هو أشد إيماناً، وأعظم يقيناً من أن يسأل عن ذلك. انتهى. وعلى ما تقدم هل الآية مكية، أو مدنية؟

الإعراب: ﴿وَسْئَلْ﴾: الواو: حرف عطف. (اسأل): فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، والعائد محذوف، التقدير: اسأل الذين أرسلناهم. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر

بالإضافة. ﴿مِن رُّسُلِنَآ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف المنصوب، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أَجَعَلْنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و﴿دُونِ﴾: مضاف. و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به. ﴿يُعْبَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿ءَالِهَةً﴾، والجملة: ﴿أَجَعَلْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان للفعل (اسأل). وجملة: ﴿وَسْـَٔلْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (استمسك...) إلخ لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: لما أعلم الله النبي ﷺ أنه منتقم له من عدوه، وأقام الحجة باستشهاد الأنبياء، واتفاق الكل على التوحيد، أكَّد ذلك بقصة موسى: أنه ابتعثه إلى فرعون، وشيعته من الأمراء، والوزراء، والقادة، والأتباع من القبط، وبني إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه بعث معه آياتٍ عظاماً، كيدِه، وعصاه، وما أيده الله به من المعجزات كالطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، ومن نقص الزروع، والأنفس والثمرات كما رأيت تفصيله في سورة (الأعراف) رقم [١٣٢].

هذا؛ وموسى أصله: (موشى) مركباً من اسمين: الماء، والشجر. فالماء يقال له في العبرانية (مو) والشجر يقال له: (شا) فعربته العرب، وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء والشجر لما ألقته أمه فيه، كما رأيت في سورة (طه) وفي سورة (القصص).

﴿فِرْعَوْنَ﴾: قال المسعودي: ولا يعرف لفرعون تفسير في العربية، وظاهر كلام الجوهري: أنه مشتق من معنى العتو، فإنه قال: والفراعنة: العتاة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة؛ أي: دهاء، ومكر، وفرعون: لقب لمن ملك العمالقة في مصر، كقيصر، وكسرى لملكي الروم والفرس. وكان فرعون موسى مصعب بن الريان. وقيل: ابنه الوليد من بقايا قوم عاد. وفرعون يوسف ـ على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام ـ ريان بن الوليد، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة، وكان ملك فرعون موسى أربعمئة سنة، وعاش ستمئة سنة وعشرين، ولم ير مكروهاً قطُّ، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو وجع يوم، أو حمى يوم؛ لما ادعى الربوبية، ولا تنسَ أن فرعون هذه الأمة هو أبو جهل الخبيث.

(الملأ): الأشراف، والسادة، والعظماء، ولا يقال لغيرهم؛ لأنَّهم يملؤون العيون بكبريائهم، وعظمتهم، وزينتهم، وما يحاطون به من هيبة، وعظمة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه. مثل: معشر، ورهط، ونحوهما. هذا؛ و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ جمع: عالَم بفتح اللام، وجمع لاختلاف أنواعه، وهو جواب عما يقال: إنه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله، والجمع لا بُدَّ أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر. وجمع بالياء والنون تغليباً للعقلاء على غيرهم، وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدلُّ له قول موسى ـ على نبينا، وعليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم ـ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ (الشعراء) هذا؛ والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البر والبحر؛ إذ كل جنس من المخلوقات، يقال له: عالم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبرون الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف. ولا أسلمه أبداً؛ لأنَّه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو أقسم والله. واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: اللام موطئة للقسم، والموطئة معناها المؤذنة، وهذه اللام إنَّما تدخل على «إنْ» الشرطية، لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ الآية رقم [١٢] من سورة الحشر. افهم هذا؛ واحفظه فإنه جيد، إن شاء الله تعالى.

فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم! فالجواب: أنَّه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ فإن التقدير: وربِّ الضحى، وربِّ السماء... إلخ، الدليل على ذلك التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، الآية رقم[٢٣] من سورة (الذاريات) وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم) وأظهر منه في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة)، فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محلَّ لها. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مُوسَىٰ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة

نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: معطوف على: ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. فقال: الفاء: حرف عطف. (قال): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿رَسُولُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿رَبِّ﴾ مضاف إليه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على جواب القسم، لا محل لها مثلها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ أي: موسى. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: المعجزات؛ التي ذكرتها في الآية السابقة. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: يستهزئون، ويسخرون، يوهمون أتباعهم: أن تلك الآيات سحر، وتخييل، وأنهم قادرون على مقاومتها، ودحضها، وذلك بدعوة السحرة، كما رأيت في سورة (الأعراف) وسورة (طه) و(الشعراء).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على اعتبار (لما) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِذَا﴾: كلمة دالة على المفاجأة سادة مسد جواب (لما) هنا، وهي تختص بالدخول على الجمل، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب. وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، ويرجحه: (خرجت فإذا إن زيداً بالباب) لأنَّ «إنَّ» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وظرف مكان عند المبرد وابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج والزمخشري، وزعم هذا الأخير: أنَّ عاملها فعل مشتق من لفظ المفاجأة، ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو: (خرجت فإذا زيد جالس)، أو المقدر في نحو: فإذا الأسد؛ أي: حاضر، وإذا قدرت أنها الخبر؛ فعاملها: مستقر، أو استقر، ولم يقع الخبر في القرآن معها إلَّا مصرحاً به. انتهى. ملخصاً من المغني.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز أن يجاب (لَمَّا) بإذا الفجائية؟ قلت: لأنَّ فعل المفاجأة معها مقدر، وهو عامل النصب في محلها، كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا، فاجؤوا وقت ضحكهم. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور

متعلقان بما بعدهما. ﴿يَضْحَكُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية لا محلَّ لها على اعتبار: ﴿إِذَا﴾ حرفاً، وفي محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً.

تنبيه: قال الجمل: ولا نعلم نحوياً ذهب إلى ما ذهب إليه الزمخشري من أن (إذا) الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر، تقديره: فاجأ، بل المذاهب فيها ثلاثة: إما حرف فلا تحتاج إلى عامل، أو ظرف مكان، أو ظرف زمان، فإن ذكر بعد الاسم الواقع بعدها خبر (كانت) منصوبة على الظرف، والعامل فيها ذلك الخبر، نحو خرجت فإذا زيد قائم، وإن لم يذكر بعد الاسم خبر، أو ذكر اسم منصوب على الحال، فإن كان الاسم جثة، وقلنا: إنها ظرف مكان؛ كان الأمر واضحاً، نحو خرجت فإذا الأسد؛ أي: ففي الحضرة الأسد، أو فإذا الأسد رابضاً، وإن قلنا: إنها زمان؛ كان على حذف مضاف، لئلا يخبر بالزمان عن الجثة، نحو خرجت فإذا الأسد؛ أي: ففي الزمان حضور الأسد، وإن كان الاسم حدثاً جاز أن تكون مكاناً، أو زماناً، ولا حاجة إلى تقدير مضاف، نحو خرجت؛ فإذا القتال، إن شئت قدرت فبالحضرة القتال، أو ففي الزمان القتال، وفيه تلخيص، وزيادة كثيرة في الأمثلة رأيت تركها مخلاً. انتهى. سمين.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا نُرِيهِم﴾ أي: فرعون وأتباعه. ﴿مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أي: وما نريهم آية من آيات العذاب، كالطوفان، والجراد، والقمل... إلخ. إلَّا وهي بالغة أقصى درجات الإعجاز؛ بحيث يظن الناظر إليها: أنَّها أكبر مما يقاس إليها من الآيات. والمراد: وصف الكل بالكبر، والعظم، كقولك: رأيت رجالاً أفضل من بعض، وكقول عبيد بن العرندس، وهو من أبيات الحماسة: [البسيط]

مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ: لاقيْتُ سَيِّدهُمْ ... مثلَ النجومِ التي يَسْري بها السَّاري

وهذا كما فاضلت فاطمة بنت الخرشب الأنمارية بين الكملة من بنيها، ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانيةً قليلة التفاوت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل! هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها؟ وعلى العكس من هذا قول الآخر: [الطويل]

ولَمْ أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتاً ... لدى الفضْلِ حَتَّى عُدَّ ألفٌ بواحِدِ

﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: عاقبناهم بأنواع العذاب الشديد، قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٣٠]: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقال أيضاً في الآية [١٣٣] منها:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ...﴾ إلخ، وكانت هذه الآيات الأخيرة عذاباً لهم، ومعجزات لموسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عما هم عليه من الكفر، والتكذيب. وانظر مثل هذه الترجي في الآية رقم [٣]. وقال الزمخشري: إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان. فإن قلت: لو أراد رجوعهم؛ لكان، قلت: إرادته فعل غيره ليس أن يأمره به، ويطلب منه إيجاده، فإن كان ذلك على سبيل القسر؛ وجد، وإلَّا دار بين أن يوجد، وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف، وإنما لم يكن الرجوع؛ لأنَّ الإرادة لم تكن قسراً، ولم يختاروه. انتهى. كشاف.

قال أحمد المحشي على الكشاف: تقدم في غير موضع: أنَّ لعلَّ حيثما وردت في سياق كلام الله تعالى، فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين؛ أي: ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك. هذا هو الحق، وعليه تأول سيبويه ما ورد. وأما الزمخشري، فيحمل لعل على الإرادة؛ لأنَّه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئاً، ويريد العبد خلافه، فيقع مراد العبد، ولا يقع مراد الرب. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فما أشنعها زلة، وأبشعها خلة، ولقد أساء الأدب في هذا الموضع حتى أنه لولا تعين الرد عليه، لما جرى القلم بنقل ما هذى به، وما اهتدى، وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة، وأضاف إلى ذلك اعتقاد: أنَّ العبد يوجد فعله، ويخلقه، وأن مراد العبد يقع، ومراد الرب لا يقع، فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض، نعوذ بالله من هذه الغواية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾. انتهى.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿نُرِيهِم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿ءَايَةٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هِيَ أَكْبَرُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية صفة: ﴿ءَايَةٍ﴾ على اللفظ، أو على المحل. ﴿مِنْ أُخْتِهَا﴾: متعلقان بأكبر، و(ها): في محل جر بالإضافة، وقدر ابن هشام في المغني صفة محذوفة؛ أي: أختها السابقة، وجملة: ﴿وَمَا نُرِيهِم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. وقيل: معطوفة، وهو ضعيف، ولو قيل: حال من واو الجماعة؛ لا بأس به. ﴿وَأَخَذْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير: «قد» قبلها. وقيل: معطوفة على ما قبلها وهو ضعيف. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية تعليل لما يريهم الله من آيات.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ...﴾ إلخ: لما وقع العذاب بهم وعاينوه؛ قالوا: يا أيها الساحر ادع لنا ربك؛ ليكشف عنَّا هذا البلاء، والعذاب. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بالعهد الذي أعطاك إياه من استجابة دعائك، أو بعهده عندك من النبوة. ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: لنؤمنن بك، إن كشفت عنَّا العذاب بدعائك. قال المفسّرون: ليس قولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ على سبيل الانتقاص، وإنَّما هو تعظيم في زعمهم؛ لأنَّ السحر كان علم زمانهم، ولم يكن مذموماً، فنادوه بذلك على سبيل التعظيم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه يا أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيماً يوقرونه.

تنبيه: قرأ الجمهور: (أيُّهَ) بفتح الهاء، وبدون ألف، وقرأ ابن عامر بضمها، ووجهه: أن تجعل الهاء من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها، وضعف أبو علي الفارسي ذلك جداً، وقال: آخر الاسم هو الياء الثانية من أي، فالمضموم ينبغي أن يكون آخر الاسم، ولو جاز ضمّ الهاء ها هنا لاقترانها بالكلمة؛ لجاز ضم الميم في (اللهم) لاقترانها بالكلمة في كلام طويل. والصحيح: أنَّه إذا ثبت عن النبي ﷺ قراءة، فليس إلَّا اعتقاد الصحة في اللغة، فإن القرآن هو الحجة، وأنشد الفراء: [الرجز]

يا أيُّهُ القلبُ اللجوجُ النفْسِ أفِقْ عنِ البيضِ الحِسَانِ اللّعْسِ

وبعضهم يقف (أيهْ) وبعضهم يقف (أيها) بالألف؛ لأنَّ علة حذفها في الوصل، إنما هو سكونها، وسكون اللام، فإذا كان الوقف ذهبت العلة، فرجعت الألف، وهذا الاختلاف الذي ذكرناه كذلك هو في الآية رقم [٣١] من سورة (النور)، وأيضاً في الآية رقم [٣١] من سورة (الرحمٰن) في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ وقد رسمت الهاء في هذه المواضع الثلاثة بدون ألف، وثبتت في غير هذه المواضع حملاً لها على الأصل، كما تراه في جميع آيات القرآن، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو، أو أنادي. (أيه): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء. والهاء: حرف تنبيه، لا محلَّ له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلسَّاحِرُ﴾: نعت لـ: (أيُّ). ﴿ٱدْعُ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبَّكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان

بالفعل ﴿ٱدۡعُ﴾، و(ما). تحتمل الموصولة والمصدرية. ﴿عَهِدَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبَّكَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: بالذي عهده، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعهده. ﴿عِندَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. ﴿إِنَّنَا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): في محل نصب اسمها. ﴿لَمُهۡتَدُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مهتدون): خبر (إنَّ) مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ مرتبة على مقدر؛ أي: إن كشفت عنّا العذاب فإنّا مؤمنون، يدلّ عليه قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٣٣]: ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ﴾ هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الفاء.

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ٥٠﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: الذي طلبوا من موسى أن يسأل الله أن يرفعه عنهم، وكانوا ينقضون عهدهم، ويخلفون وعدهم في كل مرة من مرات العذاب المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ...﴾ إلخ رقم [١٣٣] من سورة (الأعراف) فكانوا في كل مرة يَعِدُونَ موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به، ويرسلوا معه بني إسرائيل، فإذا انكشف عنهم رجعوا إلى خبثهم ومكرهم، كما قال تعالى عنهم في سورة (الأعراف) رقم [١٣٣]: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ وأصل النكث من: نكث الصوف، ونحوه؛ ليغزله ثانياً، فاستعير لنقض العهد بعد إحكامه، وإبرامه وانظر ما ذكرته في سورة (الفتح) رقم [١٠].

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، وقبلها كلام مقدر، التقدير: فدعا موسى ربه، فلما كشفنا. (لمَّا): انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿كَشَفۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَنۡهُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾: انظر الآية رقم [٤٧].

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١﴾

الشرح: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ﴾: نادى بنفسه عظماء القبط، أو أمر منادياً فنادى. ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾: لا ينازعني فيه أحد. ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أنهار النيل، وأعظمها

أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تِنّيس. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾: تحت قصري، أو تحت أمري، أو بين يدي في جناتي. وقيل: أراد بالأنهار: الأموال، وعبّر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ترون عظمتي، وكبريائي.

قال الزمخشري: وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر، وعجب الناس من مدى عظمته، وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها، لئلا تخفى تلك الأبهة، والجلالة على صغير، ولا كبير، وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزّته، وملكوته، وعن الرشيد: أنه لما قرأها؛ قال: لأولينَّها أخسّ عبيدي، فولاها الخصيب، وكان على وضوئه. وعن عبد الله بن طاهر: أنَّه وليها، فخرج إليها، فلما شارفها، ووقع بصره عليها، قال: أهي القرية التي افتخر بها فرعون، حتى قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ والله لهي أقلّ عندي من أن أدخلها، فثنى عنانه؟. انتهى. ومثله في القرطبي.

تنبيه: الهمزة في كلمة ﴿أَفَلَا﴾ ومثلها: أوَلَمْ وأوَلا، ونحوهما للإنكار، وهي في نية التأخير عن الفاء، والواو؛ لأنهما حرفا عطف، وكذا تقدم على ثم تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ، وقوله جلَّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ، وقوله تعالت حكمته: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ...﴾ إلخ، وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس أجزاء الجملة المعطوفة نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وخالف جماعة أولهم الزمخشري، فزعموا: أنَّ الهمزة في الآيات المتقدمة في محلّها الأصلي، وأنَّ العطف على جملة مقدرة بينها، وبين العاطف، فيقولون: التقدير في ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ...﴾ إلخ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ...﴾ إلخ ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ...﴾ إلخ: أمكثُوا فلمْ يسيرُوا في الأرض؟ أنهملكم فنضرب عنكم... إلخ؟ أتؤمنون في حياته، فإن مات... إلخ؟ ويضعفه ما فيه من التكلف، وأنَّه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى. مغني بتصرف.

الإعراب: ﴿وَنَادَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (نادى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: فاعله. ﴿فِى قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على (لمَّا) ومدخولها، لا محل لها مثله. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنُ﴾. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنّه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: (يا قومي) ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: (يا قومِيَ)، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: (يا قومَا) ومنهم من يحذف الياء بعد

قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: (يا قومَ). قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واجْعَلْ منَادىً صَحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا كعَبْدِ عَبْدِي عبدَ عبْدَا عبدِيَا

ويزاد سادسة، وهي لغة القطع: «يا قومُ» بضم الميم، ففي الحديث الشريف، يقول: «يا ربُّ يا رَبُّ» وقرئ في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾ إلخ. ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (ليس) تقدم على اسمها. ﴿مُلْكُ﴾: اسم (ليس) مؤخر، وهو مضاف، و﴿مِصْرَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة.

﴿وَهَٰذِهِ﴾: الواو: واو الحال. (هذه): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: بدل من اسم الإشارة. ﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير المجرور محلاً بالإضافة. هذا؛ وأجيز اعتبار: ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ خبراً للمبتدأ، فتكون الجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وهي حال متداخلة، والرابط: رجوع الفاعل على: ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، كما أجيز اعتبار اسم الإشارة معطوفاً على: ﴿مُلْكُ﴾. وتبقى الجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، و﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بدل من اسم الإشارة. ﴿مِن تَحْتِيٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف، أو استئناف. (لا): نافية. ﴿تُبْصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والمفعول محذوف. هذا؛ والكلام: ﴿يَٰقَوْمِ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ تفسير لقوله: ﴿وَنَادَىٰ...﴾ إلخ.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾

الشرح: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ...﴾ إلخ: قال النسفي: ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى: بل، والهمزة، كأنه قال: أثبت عندكم، واستقر: أني أنا خير، وهذه حالي؟ وقال البيضاوي: و﴿أَمْ﴾ إما منقطعة، والهمزة فيها للتقرير لما تقدم من أسباب فضله. أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب. والمعنى: أفلا تبصرون، أم تبصرون، فتعلمون أني خير منه؟ وقال القرطبي، والخازن: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل» على قول أكثر المفسرين، والمعنى: قال فرعون لقومه: بل أنا خير. ويريد

بـ: ﴿مَهِينٌ﴾ موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، يريد: حقير ضعيف لا عِزَّ لَهُ، فهو يمتهن نفسه في حاجاته؛ لحقارته وضعفه.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي: يفصح بكلامه لِلُّثْغَةِ؛ التي كانت في لسانه. وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولاً، واللثغة التي كانت في لسانه حصلت من الجمرة التي التقمها، وذلك: أن موسى رُبِّي في حجر فرعون، فكان يلاعبه ذات يوم، فلطم موسى فرعون لطمةً على وجهه، وأخذ بلحيته، فقال فرعون لامرأته آسية بنت مزاحم ـ وهي بنت عم موسى ـ: إن هذا عدوي. وأراد قتله، فقالت له آسية ـ عليها السلام ـ: إنه صبي لا يعقل، جربه؛ إن شئت، فجاءت بطستين، في أحدهما جمرة، وفي الآخر جوهرة. وقيل: تمر، فوضعتهما بين يَدَيْ موسى؛ وفرعون ينظر، فأراد أن يأخذ الجوهرة، فأخذ جبريل عليه السلام يد موسى، فوضعها على الجمر، فأخذ جمرة، فوضعها في فمه، فاحترق لسانه، وصارت فيه عقدة، وقد سأل الله تعالى أن يحل هذه العقدة؛ حيث قال في سورة (طه): ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ انظر الآية رقم [٢٨] هناك تجد ما يسرُّك.

تنبيه: كاد، يكاد: فعل يدل على وقوع مقاربة الفعل بعدها، ولذا لم تدخل عليه «أن» لأنها تخلص الفعل للاستقبال، وإذا دخل عليه حرف النفي؛ دلَّ على أن الفعل بعده وقع، كما في قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٧١]: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ وإذا لم يدخل عليه حرف نفي لم يكن الفعل بعده واقعاً، ولكنه قارب الوقوع. وفعله واوي العين، فيكاد وزنه: يكْوَد، كيعلم، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها؛ لأنَّ الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم يقال: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً، فصار: يكاد، بوزن: يخاف. و«كاد» أصله: كَوِد بكسر الواو، كخوف، ومصدره الكوْد، كالخوْف، وهذا في كاد يكاد الناقصة وأما «كاد» التامة، فهي يائية العين المفتوحة في الماضي كباع، ومصدره: الكيْد، كالبيع، ولذا جاء المضارع في القرآن مختلفاً، فمن الأول قوله تعالى في سورة (النور): ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ...﴾ إلخ، والآية التي نحن بصدد شرحها، ومن الثاني قوله تعالى في سورة (يوسف): ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ وقوله جلَّ ذكره في سورة الطارق: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ومعنى الأول المقاربة، ومعنى الثاني المكر، والأول ناقص التصرف، ويحتاج إلى مرفوع، ومنصوب، والثاني تام التصرف، ويكتفي بالفاعل، وينصب المفعول به.

فائدة: قد تأتي «كاد» بمعنى: أراد، قاله محب الدين الخطيب، شارح شواهد الكشاف، وجعل منه قول الراقدة الأودي: [البسيط]

والبيتُ لا يُبْتَنى إلَّا بأعمدَةٍ ... ولا عِمَادَ إذا لَمْ تُرْسَ أوْتَادُ

فإن تَجَمَّعَ أسبابٌ وأعمدةٌ ... وساكنٌ بلغوا الأمْرَ الَّذِي كَادُوا

أي: الذي أرادوا، ومنه قول الآخر: [الكامل]

كِـدْنَـا وكِـدْتِ وتـلـك خَـيْـرُ إرادةٍ لـوْ عـادَ مِـنْ زَمَـنِ الـصَّـبَـابَـةِ مَـا مَـضَـى

أي: أردنا وأردتِ، دليله: «خيرُ إرادة»

تنبيه: شَاع على الألسن أن نفي «**كاد**». إثبات، وإثباتها نفي، ولذا ألغز المعري بقوله: [الطويل]

أنـحْـوِيَّ هَـذَا الـعـصـرِ مـا هـيَ لـفـظَـةٌ؟ جـرَتْ فـي لِـسـانـي جُـرْهـم وثَـمـودِ

إذا استُعْمِلَتْ في صورةِ الجحد أثْبتَتْ وإنْ أثْـبَـتَـتْ قـامَـتْ مـقـامَ جُـحـودِ

فأجابه الشيخ جمال الدين بن مالك، صاحب الألفية بقوله: [الطويل]

نـعـمْ هِـيَ كـادَ الـمـرءُ أن يَـرِدَ الـحـمـى فـتـأتـي لإثـبـاتٍ بـنـفـي وُرُودِ

وفـي عـكـسِـهـا مـا كـادَ أن يَـرِدَ الـحـمـى فـخـذ نـظـمَـهَـا فـالـعـلـمُ غـيـرُ بـعـيـدِ

وقد اتفقت كلمة النحاة على أنَّ (كادَ، يكادُ) كسائر الأفعال، وكلامهم متقارب المعنى في هذا الشأن، ومتشابه. انظر الشاهد [١١٢٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والأشموني وغيرهما، وها أنذا أسوق لك ما ذكره السيوطي رحمه تعالى في كتابه (همع الهوامع) لتكون على بصيرة من أمرك. قال ـ رحمه الله تعالى ـ: والتحقيق: أنَّها كسائر الأفعال، نفيها نفي، وإثباتها إثبات، إلَّا أنَّ معناها المقاربة، لا وقوع الفعل، فنفيها نفي لمقاربة الفعل، ويلزم منه نفي الفعل ضرورة أنَّ من لم يقارب الفعل، لم يقع منه الفعل، وإثباتها إثبات لمقاربة الفعل، ولا يلزم من مقاربته وقوعه، فقولك: (كادَ زيدٌ يقومُ) معناه: قارب القيام، ولم يقم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ أي: يقارب الإضاءة، إلَّا أنه لم يضيء، وقولك: (لم يكدْ زيد يقومُ) معناه: لم يقارب القيام، فضلاً عن أن يصدر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي: لم يقارب أن يراها، فضلاً عن أن يرى، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: لا يقارب إساغته، فضلاً عن أن يسيغه، وعلى هذا الزجاجي وغيره، وذهب قوم منهم ابن جني إلى أنَّ نفيها يدلُّ على وقوع الفعل ببطء لآية: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ فإنهم فعلوا بعد بطء. والجواب: أنَّها محمولة على وقتين؛ أي: فذبحوها بعد تكرار الأمر عليهم بذبحها، وما كادوا يذبحونها قبل ذلك، ولا قاربوا الذبح، بل أنكروا أشد الإنكار بدليل قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾. انتهى.

وقال ابن هشام في مغنيه: فالجواب: أنَّه إخبار عن حالهم في أول الأمر، فإنهم كانوا بُعداء عن ذبحها، بدليل ما يتلى علينا من تعنتهم، وتكرار سؤالهم. انتهى.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف إضراب. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾ والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بدلاً من

اسم الإشارة، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَكَادُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿الَّذِى﴾. ﴿يُبِينُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿الَّذِى﴾ أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿يَكَادُ﴾. والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الموصول؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وأجيز اعتبارها مستأنفة. ولا تنس: أنَّ الآية بكاملها من مقول فرعون.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَوْلَآ﴾: هلا. ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾: إنما قال ذلك؛ لأنه كان عادة الوقت وزي أهل الشرف. قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: كانوا إذا سووا رجلاً؛ سوروه بسوارين، وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسيادته. فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان صادقاً؟! ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ...﴾ إلخ؛ متتابعين، يعاونونه على من خالفه؟! والمعنى: هلا ضمَّ إليه الملائكة التي يزعم أنها من عند ربه، حتى يتكثر بهم، ويصرفهم على أمره ونهيه، فيكون ذلك أهيب في القلوب؟! فأوهم قومه: أنَّ رسل الله ينبغي أن يكونوا كرسل الملوك في الشاهد، ولم يعلم أنَّ رسل الله إنما أيدوا بالجنود السماوية، وكل عاقل يعلم: أنَّ حفظ الله موسى مع تفرده، ووحدته من فرعون مع كثرة أتباعه، وإمداد موسى بالعصا واليد البيضاء أبلغ من أن يكون له أسورة، أو ملائكة يكونون معه أعواناً. وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى؛ لأنَّه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم. انتهى. قرطبي بتصرف. هذا؛ وأسورة: جمع: سوار، كخمار، وأخمرة، وقرأ أبي: (أساور) جمع: إسوار، وابن مسعود: (أساوير) وقرأ الباقون (أساورة) جمع: أسورة، فهو جمع الجمع.

الإعراب: ﴿فَلَوْلَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف تحضيض. ﴿أُلْقِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَسْوِرَةٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذَهَبٍ﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل: ﴿جَآءَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾: حال من: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء. والآية بكاملها من مقول فرعون.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾: فاستجهل قومه. ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾: انقادوا له لخفة أحلامهم، وقلة عقولهم، يقال: استخفه الفرح؛ أي: أزعجه، واستخفه: أي: حمله على الجهل، ومنه قوله

تعالى في سورة (الروم) رقم [٦٠]: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: كافرين، خارجين عن طاعة الله.

هذا؛ وأصل الفسق: الخروج عن القصد، والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات: الأولى: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إياها. والثانية: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبالٍ بها. والثالثة: الجحود، وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها. فإذا شارف هذا المقام، وتخطى خطه خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، وما دام في درجة التغابي، أو الانهماك، فلا يسلب عنه اسم المؤمن؛ لاتصافه بالتصديق، الذي هو مسمى الإيمان.

هذا؛ وقال الزمخشري: الفسوق: الخروج من الشيء، والانسلاخ منه. يقال: فسقت الرطبة عن قشرها. ومن مقلوبه: فقست البيضة إذا كسرتها، وأخرجت ما فيها. ومن مقلوبه أيضاً: فقست الشيء: إذا أخرجته عن يد مالكه مغتصباً له عليه، ثم استعمل في الخروج عن القصد، والانسلاخ من الحق. قال رؤبة: [الرجز]

فَواسِقاً عن قَصْدِها جَوائِرَا

الإعراب: ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (استخف)؛ فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنُ﴾، تقديره: «هو». ﴿قَوْمَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿فَٰسِقِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّهُمْ﴾، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنَّها تعليلية.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: أسخطونا، وأغضبونا بالإفراط في العناد، والعصيان، منقول من: أسف: إذا اشتد. والمراد: بغضب الله، وأسفه: إرادة الانتقام، وهو قوله: ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. وقال عمر بن ذر: يا أهل المعاصي لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه، فإنه قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: وكان ذلك في البحر الأحمر حين لحقوا ببني إسرائيل، كما رأيت في سورة (الشعراء).

قال المفسرون: اغترَّ فرعون بالعظمة، والسلطان، والأنهار التي تجري من تحته، فأهلكه الله بجنس ما تكبر به هو، وقومه، وذلك بالغرق بماء البحر. وفيه إشارة إلى أنَّ من تعزز بشيء

أهلكه الله به. وقد رأينا من تعزز بأولاده فكانوا وبالاً عليه بعقوقهم له، ومن تعزز بما له كان هلاكه بسببه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿ءَاسَفُونَا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لما) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محلَّ لها على اعتبار (لما) حرفاً. ﴿ٱنتَقَمْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها جواب (لما)، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة: ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ ومفسرة لها. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المنصوب مع الميم، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ يعني: جعلنا المتقدمين الماضين من فرعون، وقومه عبرة، وموعظة لمن يجيء بعدهم، ومثلاً يضرب بهم الأمثال، ويقال: مثلكم مثل قوم فرعون.

الإعراب: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله الأول. ﴿سَلَفًا﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَمَثَلًا﴾: معطوف على: ﴿سَلَفًا﴾. ﴿لِّلْءَاخِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لـ: (مثلاً) وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة لأنّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٩٨]: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ امتعضوا امتعاضاً شديداً، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: يا محمد! أخاصة لنا، ولآلهتنا، أم لجميع الأمم، فقال النبي ﷺ: **«هو لكم، ولآلهتكم، ولجميع الأمم»**. فقال: خصمتك ورب الكعبة! ألست تزعم: أنَّ عيسى ابن مريم نبي، وتثني عليه خيراً، وعلى أمه، وقد علمت: أن النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد، والملائكة يعبدون؛ فإن كان هؤلاء في النار ، فقد رضينا أن نكون نحن، وآلهتنا معهم! ففرحوا، وضحكوا، وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى في سورة (الأنبياء) الآية رقم [١٠١]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ والمعنى: ولما ضرب عبد الله بن الزِّبَعْرى عيسى ابن مريم مثلاً، وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريش من هذا المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ ترتفع لهم جلبة، وضجيج فرحاً، وجذلاً، وضحكاً بما سمعوا منه من إسكات

رسول الله ﷺ بجدله، كما يرتفع لغط القوم ولجبهم إذا تعيُّوا بحجة، ثم فتحت عليهم. وأما من قرأ: (يصُدون) بالضم، فمن الصدود؛ أي: من أجل هذا المثل يصدون عن الحق، ويعرضون عنه. وقيل: من الصديد، وهو الجلبة، وأنهما لغتان، نحو: يعكِف، ويعكُف، ولهما نظائر. انتهى. كشاف بتصرف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧]. هذا؛ ولو عقل ابن الزبعرى آية الأنبياء السابقة لما فرح؛ لأن (ما) لغير العاقل. وروي: أنَّ النبي ﷺ قال له: «**ما أجهلك بلغة قومك أما تعلم: أن «من» للعاقل و«ما» لغيره**».

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿ضُرِبَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱبۡنُ﴾: نائب فاعله، وهو المفعول الأول، و﴿ٱبۡنُ﴾ مضاف، و﴿مَرۡيَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. ﴿مَثَلًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة «لما» إليها، على اعتبارها ظرفاً، ولا محلَّ لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً؛ لأنها ابتدائية. ﴿إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ انظر: ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾ في الآية رقم [٤٧] فالإعراب لا يتغير.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: كفار قريش. ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ يعنون: محمداً ﷺ، فنعبده، ونطيعه، ونترك آلهتنا. وقيل: معنى ﴿أَمۡ هُوَۚ﴾ يعني: عيسى، فهم يعنون: أنَّ آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى، وإذا كان عيسى من حصب النار؛ كان أمر آلهتنا هيناً. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ أي: إلَّا لأجل الجدل، والغلبة في القول، لا لطلب التمييز بين الحق، والباطل. ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾: لُدٌّ شُدَّاد الخصومة، دأبهم اللجاج، والجدال بالباطل، كقوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٩٧]: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا﴾. فعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضَلَّ قوْمٌ بَعْدَ هدىً كَانُوا عليهِ، إلَّا أوتُوا الجدلَ**». ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾. أخرجه الترمذي.

الإعراب: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. (آلهتنا): مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿خَيۡرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف معادل للهمزة. ﴿هُوَۚ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: أم هو خير، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. وقيل: الضمير معطوف على: (آلهتنا) عطف مفرد على مفرد، وجملة: ﴿وَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على (لما)، ومدخولها لا محلَّ لها مثله.

(ما): نافية. ﴿ضَرَبُوهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿جَدَلًا﴾: مفعول لأجله. وقيل: هو مصدر في موضع الحال؛ أي: مجادلين. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿خَصِمُونَ﴾: صفة: ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح أي: ما عيسى إلَّا عبد أنعم الله عليه بالنبوة، وجعله مثلاً لبني إسرائيل؛ أي: آية، وعبرة يُستدل بها على قدرة الله تعالى، فإن عيسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ خلق من غير أب، ثم أيده الله بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، والأسقام كلها ما لم يُجعل لغيره في زمانه، مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق، وأحبهم إلى الله عزَّ وجل، والناس دونهم، ليس أحد عند الله عزّ وجل مثلهم. وقد برع الناس في الطب في عهده، ولكنهم لم يقدروا على مثل ما أيده الله به.

هذا؛ وخذ حياة عيسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ فإنه لما بلغ من العمر ثمانية أيام حملته أمه إلى الهيكل فختن، وسمته: يسوع ـ يعني عيسى ـ كما أمرها جبريل حين بشّرها به. والختان من سنن الأنبياء، وهو من الفطرة، وهو شريعة سائر الأنبياء والمرسلين من عهد إبراهيم، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقد جاء في إنجيل برنابا ما يدلّ على ختان عيسى، فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب، كما هو مكتوب في كتاب موسى؛ أخذا الطفل، واحتملاه إلى الهيكل؛ ليختناه، فختنا الطفل، وسمياه: يسوع، كما تسمَّى من الملاك قبل أن حبل به في الرحم.

ونشأ عيسى عليه السلام في كنف أمه بعيدين عن بيت لحم في ربوة مرتفعة، ذات استقرار، وأمن، وماء معين، كما قال تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [٥٠]: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. انتهى. «النبوة والأنبياء» للصابوني. هذا؛ والضمير في: «أخذا» وما بعده أرى أنه يعود إلى مريم، ويوسف النجار، الذي لزمها منذ ظهر حملها كما ذكر ذلك الصابوني نفسه.

هذا؛ و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو نبي الله يعقوب، ومعناه بالعبرانية: صفوة الله، أو عبد الله، فـ: «إسرا» هو العبد، أو الصفوة، و«إيل» هو الله، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وقد ولد يعقوب في حياة جده إبراهيم، وهو النافلة؛ التي امتنَّ الله بها على إبراهيم بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ رقم [٧٢] من سورة

(الأنبياء)، ولقد وجدت في كثير من المراجع الموجودة عندي: أن يعقوب كان توأماً مع أخ له، اسمه: عيصو في بطن واحد، فعند خروجهما من بطن أمهما تزاحما، وأراد كل منهما أن يخرج قبل صاحبه، فقال عيصو ليعقوب: إن لم تدعني أخرجْ قبلك، وإلَّا خرجت من جنبها، فتأخر يعقوب شفقةً منه على أمه، فلذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين، والله أعلم بحقيقة ذلك.

الإعراب: ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿عَبْدٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿أَنْعَمْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿عَبْدٌ﴾. ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿مَثَلًا﴾: مفعول به ثان. ﴿لِّبَنِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مَثَلًا﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني) مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾: خطاب لقريش؛ أي: فنحن أغنياء عنكم، وعن عبادتكم، بل لو نشاء؛ لأهلكناكم، وجعلنا بدلكم في الأرض ملائكة مكرمين يعمرونها، ويعبدوننا. فهذا تهديد، وتخويف لقريش. هذا؛ وفي (مِنْ) أقوال: أحدها: أنها بمعنى: بدل؛ أي: لجعلنا بدلكم، ومنه قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٣٨]: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ والثاني: وهو المشهور: أنها تبعيضية. قال أبو البقاء: وقيل: المعنى: لحولنا بعضكم ملائكة. وقال ابن عطية: لجعلنا بدلاً منكم.

وقيل المعنى: لو نشاء لجعلنا من الإنس ملائكة، وإن لم تجرِ العادة بذلك، وجملة القول: لو نشاء لأسكنا الأرض الملائكة، وليس في إسكاننا إياهم السماء شرف حتى يعبدوا، أو يقال لهم: بنات الله، ومعنى ﴿يَخْلُفُونَ﴾ يخلف بعضهم بعضاً. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَجَعَلْنَا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، على أنهما مفعوله الأول، وقد رأيت: أن (مِنْ) بمعنى: بدل، أو بعض. ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾: مفعوله الثاني، والجملة

الفعلية جواب (لو)، لا محلَّ لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿يَخْلُفُونَ﴾ في محل نصب صفة: ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: قال الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير: يريد: القرآن؛ لأنّه يدل على قرب مجيء الساعة، أو به تعلم الساعة، وأهوالها، وأحوالها. وقال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي، وقتادة في قول له آخر: إنه خروج عيسى عليه السلام، وذلك من أعلام الساعة؛ لأنَّ الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أنَّ خروج الدجال من أعلام الساعة. هذا؛ وقرئ: (لَعَلَمٌ للساعة) بفتح اللام، والعين؛ أي: أمارة، وعلامة. ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: فلا تشكن فيها، وإعلاله مثل إعلال: (ليقولن) في الآية رقم [٩]. ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ أي: واتبعوا هداي، أو شرعي، أو رسولي. وقيل: هو قول الرسول ﷺ أمر أن يقوله. ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طريق. ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: قويم إلى الله لا اعوجاج فيه، لا يضل سالكه، وإعلاله مثل إعلال (مقيم) في الآية رقم [٤٥] من سورة (الشورى).

تنبيه: (الساعة): القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلّا الله تبارك وتعالى. وقيل: سميت: ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأنَّ حساب الخلائق يوم القيامة، يكون في ساعة، أو أقل من ذلك، قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. ولا تنس: أن ساعة كل إنسان، وقيامته وقت مقدمات موته، وما فيه من أهوال، ولذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ ماتَ فقدْ قامتْ قيامَتُهُ**». وقيل: سميت الساعة بذلك؛ لأنّها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، وقد ثبت أن لقيام الساعة علامات، وهي صغرى وكبرى، فالصغرى قد ظهر جميعها، كقبض العلم الشرعي، وتقارب الزمان، وفيض المال، وكثرة الزلازل، وكثرة القتل، وتطاول البدو في البنيان، وكثرة الفجور، والفسوق، وغير ذلك ما هو واقع، ومشاهد الآن.

أمَّا العلامات الكبرى فخذها بما يلي: فعن حذيفة بن أسيد الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: طلع علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نتذاكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى تروْا قبلها عشر آيات: فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**». أخرجه مسلم.

أقول: ما ذكر في الحديث الشريف، بعضه من علاماتها، وبعضه من مبادئها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك يغلق باب التوبة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن

آمنت من قبل. انظر الآية رقم [١٥٨] من سورة (الأنعام). وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧ و١٨] من سورة (الشورى) فإنه جيد.

تنبيه: وردت أحاديث كثيرة بشأن عيسى عليه السلام، أكتفي منها بما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَينزلنَّ عيسى ابن مريمَ حكماً عادلاً، فليكسرنَّ الصليبَ، وليقتلنَّ الخنزيرَ، وليضعنَّ الجزيةَ، ولَتُتْركنَّ القلاصُ، فلا يسعى عليها أحَدٌ، ولتذهبنَّ الشحناءُ، والتباغضُ، والتحاسدُ، ولَيدْعُوَنَّ إلى المالِ، فلا يقبلهُ أحدٌ**». أخرجه مسلم، وابن ماجه.

وذكر الثعلبي، والزمخشري، وغيرهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ، قال: «**ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلامُ من السماء على ثنية من الأرض المقدسة، يقال لها: أفِيق بين ممصَّرتين، وشعرُ رأسِهِ دَهينٌ، وبيده حربةٌ، يقتلُ بها الدجالَ، فيأتي بيتَ المقدس، والناسُ في صلاةِ العصرِ، والإمام يؤمُّ بهم، فيتأخر الإمامُ، فيقدمُهُ عيسى، ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتلُ الخنازيرَ، ويكسِرُ الصليبَ، ويخربُ البِيَعَ، والكنائسَ، ويقتلُ النصارى؛ إلَّا مَنْ آمَن به**».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حكماً عادلاً، فيكسِرُ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبلهُ أحَدٌ**». متفقٌ عليه، وفي رواية لأبي داود: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليْسَ بيني وبينَ عيسى نبيٌّ، وإنه نازلٌ فيكمْ، فإذا رأيتمُوهُ؛ فاعرفوه، فإنه رجلٌ مربوعٌ إلى الحمرةِ، والبياضِ، ينزل بين ممصَّرَتين، كأنَّ رأسَه يقطر، وإن لم يصبْه بللٌ، فيقاتلُ النَّاس على الإسلام، فيدقُّ الصليب، ويقتُل الخنزيرَ، ويضعُ الجزية، ويهلِكُ الله تعالى في زمانِهِ الملل كُلَّهَا إلَّا الإسلامَ، ويهلكُ الدجالَ، ثم يمكثُ في الأرض أربعين سنةً، ثم يُتوفَّى، ويصلِّي عليه المسلمون**». وروي أنَّه يتزوج ويولد له ولدان، يسمي أحدهما: موسى، والآخر: محمداً.

وفي صحيح مسلم: «**فبينما هو ـ يعني المسيح الدجال ـ إذ بعث الله عيسى ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق بين مهْرُودَتَيْنِ ـ شقتين، أو حلتين ـ واضعاً كفيه على أجنحة ملكين؛ إذا طأطأ رأسه؛ قطر، وإذا رفعه؛ تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلَّا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ، فيقتله**». وروى خالد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء إخوةٌ لِعَلَّات، أمهاتُهم شتَّى، ودينُهُمْ واحِدٌ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريمَ، إنهُ ليْس بيني وبينه نبي، وإنه أولُ نازِلٍ، فيكسر الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويقاتِلُ الناس على الإسلام**».

أما الدجَّالُ؛ فهوَ بشر من بني آدم، يَخرجُ في آخِرِ الزمان عندَ غلاءِ الأسعارِ، وكثرة الفجور، وسفكِ الدماء، يبتلي الله به عباده، ويقدره على أشياء تدهش العقول، وتحيّر الألباب،

يعثر بها بعض العباد، ويثبت الله من سبقت له السعادة، كإحياء الميت الذي يقتله، ومعه جبل من خبز، وجبل من أنواع الفواكه، وأرباب الملاهي يضربون بين يديه بالطبول، والعيدان، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ومعه جنة، ونار، فناره جنة، وجنته نار، ويظهر الخصب على يديه، فيقول للسماء: أمطري، فتمطر، وللأرض أنبتي، فتنبت، ويقود وراءه نهرين من ماء، فيطعم، ويسقي من آمن به، وإلَّا قتله، وقال: أنا ربكم. وهو مطموس العين كأن عينه عنبة طافية، مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن، فيخرج على حمار، ويتناول السماء بيده، ويخوض البحر إلى كعْبيه، ويستظل بإذن حماره خلق كثير.

ويمكث في الأرض أربعين يوماً، كما ورد في حديث شريف عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، ولبثَه في الأرض أربعين يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، فيتبعه اليهود، ويصدقونه، فهم ينتظرون الدجال، كما ينتظر المؤمنون المهدي، فإذا أراد الله هلاكه، وهلاك من معه؛ دفع به إلى ناحية دمشق، فيلتقي به المهدي بعسكره، فيقتل من أصحابه ثلاثين ألفاً، فينهزم الدجال، ثم يهبط عيسى عليه السلام إلى الأرض، وهو متعمم بعمامة خضراء، متقلّد بسيف، راكب على فرس، وبيده حربة، فيأتي إليه، فيطعنه بها، فيقتله، وينهزم اليهود الذين معه، ويُقتلون قتلاً عظيماً. ويروى: أن المسلم يطلب اليهودي، فيستتر بحجر، أو شجرة، فيناديه الحجر، والشجرة: يا ولي الله! هلُمَّ هذا عدوُّ الله مستتر بي تعال، فاقتله! وهذا يشير إلى أنَّ القتال يكون في السيف يومئذ.

الإعراب: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿لَعِلْمٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (علم): خبر (إنَّ). ﴿لِّلسَّاعَةِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (عِلم)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب بقوله (جعلناه) والرابط: الواو، والضمير، وعليه فالآية: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ...﴾ إلخ معترضة بين الحال، وصاحبها. هذا؛ والحالية أقوى من الاستئناف. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (لا): ناهية. ﴿تَمْتَرُنَّ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة المحذوفة، المدلول عليها بالضمة فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، أو واقعاً؛ فلا تمترن. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه، لا محلَّ له. ﴿صِرَٰطٌ﴾: خبره. ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية تعليلية، لا محلَّ لها. هذا؛ وجملة: ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقل لهم: اتبعون، وهذا على الوجه الثاني في الشرح.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: ولا يصرفنكم الشيطان عن توحيد الله، وعبادته بأن تغتروا بوساوسه، وزخارفه. والخطاب في هذه الآية وسابقتها يشمل الكافرين، والمؤمنين، بل هو بالمؤمنين أليق؛ لأنهم يعلمون عداوة الشيطان لهم أكثر من الكافرين. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: عداوته لكم ثابتة من قديم الأزل؛ حيث أخرجكم من الجنة، وعرّضكم للبلية؛ بسبب إخراجه أباكم من الجنة.

هذا؛ و﴿عَدُوٌّ﴾ ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى: فاعل، مثل: صبور، وشكور، وما كان على هذا الوزن في سورة (الشعراء) يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، إلّا لفظاً واحداً جاء نادراً، قالوا: هذه عدوة الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فقد عبّر به عن مفرد، وقال تعالى في سورة (الشعراء) حكاية عن قول إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقد عبّر به عن جمع، كما هو واضح، ومثل ذلك صديق، كما في قوله تعالى في سورة (النور) رقم [٦١]: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وأيضاً ﴿ظَهِيرٌ﴾ في الآية رقم [٤] من سورة (التحريم): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾. وجمع عدو: أعداء وأعادٍ، وعُدات وَعِدَىً. وقيل: أعادٍ جمع: أعداء، فيكون جمع الجمع. وفي القاموس المحيط: والعدا بالضم، والكسر: اسم الجمع. هذا؛ وسمي العدو عدواً لعدوه عليك عند أول فرصة تسنح له للإيقاع بك، والقضاء عليك، كما سمي الصديق صديقاً لصدقه فيما يدعيه لك من الألفة، والمودة، والمحبة.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف ـ (لا): ناهية. ﴿يَصُدَّنَّكُمُ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محلَّ له، وهو في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والكاف مفعوله. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبّه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾ أو بـ: ﴿مُّبِينٌ﴾ بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر: (إن). ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محلَّ لها.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، وخلق الطير، والمائدة، وغيرها، والإخبار بكثير من الغيوب. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: بالنبوة، أو بالإنجيل، أو بالشريعة. والحكمة علم ما يؤدي إلى الجميل، ويكف

عن القبيح، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٦٩]: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وقال في سورة (لقمان) رقم [١٢]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: قال مقاتل: هو كقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٥٠]: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما أحلَّ في الإنجيل مما كان محرماً في التوراة، كلحم الإبل، والشحم من كل حيوان، وصيد السمك يوم السبت. وقال البيضاوي تبعاً للزمخشري: هو ما يكون من أمر الدين، لا ما يتعلق بأمر الدنيا، فإن الأنبياء، لم تبعث لبيانه، ولذلك قال النبي ﷺ: **«أنتم أعلمُ بأمورِ دنياكم»**. انتهى. والمراد: ما يتعلق بالزراعة، والحرف، والصناعات. أما ما يتعلق بالسياسة، وتنظيم الجيوش، وإعداد القوة التي ترهب أعداء الله، وأعداءنا؛ فإن هذا من الأمور الدينية الأخروية بلا شك.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: اتقوا الشرك، واعبدوا الله وحده، مخلصين له الدين، وإذا كان هذا قول عيسى، فكيف يكون إلهاً، أو ابن إله، ألا ساء ما يأفكون. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أدعوكم إليه من التوحيد، وعبادة الله. هذا؛ وعيسى بالعبرية: يسوع، وقال أبو البقاء: مأخوذ من العَيس، وهو بياض يخالطه شقرة، ومنه قيل للإبل البيض: عيس، واحدها: بعير أعْيَسُ، وناقة عَيْسَاءُ. قال امرؤ القيس: [الطويل]

يَـرُعْـنَ إلـى صَـوْتـي إذَا مـا سـمِـعْـنَـهُ ... كَـمَـا تَـرْعَـوِي عِـيطٌ إلَـى صَـوْتِ أعْـيَـسَـا

العيط: جمع عَيْطاء، وهي الناقة الفتية؛ التي لم تحمل.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿عِيسَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿عِيسَىٰ﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿جِئْتُكُم﴾: فعل ماض، وفاعله ومفعوله. ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محلَّ لها. ﴿وَلِأُبَيِّنَ﴾: الواو: حرف عطف. (لأبين): فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على ما قبلهما، وإن شئت قدر: وجئتكم للتبيين. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بَعْضَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان به. ﴿فَٱتَّقُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير:

وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً فاتقوا. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، والجملة الشرطية المقدرة مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾: خالقي، وخالقكم، ورازقي، ورازقكم، المستحق للعبادة، والطاعة. ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحده، بل وأفردوه في العبادة، لا تشركوا معه أحداً. ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: طريق لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، وما سواه معوج لا يؤدي سالكه إلى الحق. قال البيضاوي: الإشارة إلى مجموع الأمرين، وهو تتمة كلام عيسى، صلى الله على نبينا، وعليه وسلم، أو استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة، والعبادة. هذا؛ والآية مذكورة في سورة (آل عمران) برقم [٥١]، وفي سورة (مريم) برقم [٣٦].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿رَبِّى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَرَبُّكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول؛ إن كانت من تتمة كلام عيسى، ومستأنفة على اعتبارها مبتدأة من كلام الله تعالى، والأول هو الأرجح عندي بدلالة الكلام السابق، وبقرينة الآيتين اللتين ذكرتهما في (آل عمران) وسورة (مريم). ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (اعبدوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً؛ فاعبدوه. ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ. ﴿صِرَٰطٌ﴾: خبره. ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: صفة: ﴿صِرَٰطٌ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، أو مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فاليهود قالوا: هو ساحر وابن زنى، والنصارى ثلاث فرق: قالت النسطورية منهم: هو ابن الله. وقالت الملكانية: ثالث ثلاثة. وقالت

اليعقوبية: هو الله. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٠] من سورة (التوبة) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. فأفرطت النصارى، وغلت، وفرطت اليهود، وقصَّرت، أما المسلمون؛ فقد قالوا الحق: إنما هو عبد الله، وكلمته.

هذا؛ و﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ جمع: حزب، وهو في اللغة: أصحاب الرجل الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون لأمرٍ حَزَبهم، يعني: أهمهم، وكل قوم تشاكلت قلوبهم، وأعمالهم أحزاب، وإن لم يلق بعضهم بعضاً. وحزب الشيطان: هم المتبعون وساوسه، وزخارفه، ودعوته إلى الشر والفساد. وحزب الله: هم المتبعون أوامره، المنتهون عن مناهيه. قال تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [٥٣]، وفي سورة (الروم) رقم [٣٢]: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: كفروا، وظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي. ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أليم عذابه، ومثله: ليل نائم؛ أي: ينام فيه. هذا؛ و(ويل) كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، وأصلها في اللغة: العذاب، والهلاك. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الويل: شدَّة العذاب. يقال: وَيْلَهُ، ووَيْلَكَ، ووَيْلي. وفي الندبة: وَيلاه. وتقول: ويلٌ لزيد، وويلاً لعمرو، فالرفع على الابتداء، والنصب على إضمار الفعل، هذا إذا لم تضفْهُ، وأمَّا إذا أضفته؛ فليس إلَّا النصب؛ لأنَّك لو رفعته؛ لم يكن له خبر بخلافه في قول الأعشى، وهو البيت رقم [٢١] من معلقته: [البسيط]

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... وَيْلي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ

وقال واصل بن عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ: الويل: واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال؛ لماعت من شدة حره. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الويلُ وادٍ في جهنَّمَ يَهْوي فيهِ الكَافِرُ أربعين خريفاً قبلَ أنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ»**. أخرجه الترمذي. هذا؛ والويل مصدر لم يستعمل منه فعل؛ لأنَّ فاءه، وعينه معتلتان، ومثله: وَيْح، ووَيْس، ووَيْب، وهو لا يثنى، ولا يجمع. وقيل: يجمع على: ويلات بدليل قول امرئ القيس في معلّقته رقم [١٨]: [الطويل]

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدرَ خِدْرَ عُنَيْزةٍ ... فَقَالَتْ لَكَ الويلاتُ إنَّكَ مُرْجِلي

وإذا أضيفت هذه الأسماء؛ فالأحسن النصب على المفعولية المطلقة، وإذا لم تضف؛ فالأحسن فيها الرفع على الابتداء، وهي نكرات، وساغ ذلك لتضمنها معنىً خاصاً.

هذا؛ وويل نقيض: وأل، وهو النجاة. وقد ينادى الويل إذا أضيف لياء المتكلم، أو نا، وسبقته أداة النداء مثل قوله تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ رقم [٧٢]، وقوله تعالى في سورة (الكهف) حكاية عن قول الكافرين يوم القيامة: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ رقم [٤٩]. ولا تنسَ: أنه

قد أنّث الويل في الآيتين المذكورتين، وأيضاً في الآية رقم [٣١] سورة (المائدة) ورقم [٢٨] من سورة (الفرقان)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَٱخۡتَلَفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اختلف): فعل ماض. ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِنۢ﴾: حرف جر صلة. ﴿بَيۡنِهِمۡۖ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من: ﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَوَيۡلٞ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ويل): مبتدأ سوغ الابتداء به، وهو نكرة الدعاء؛ لأنَّه من المسوغات، سواء أكان له، أو عليه... إلخ. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِنۡ عَذَابِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (ويل) بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز أن يتعلقا بـ: (ويل) لأجل الفصل. انتهى. عكبري. وقال أبو السعود: متعلقان به على معنى: يولولون، ويضجون منه. والأول أولى. انتهى. من سورة (مريم). وقال الجمل هنا: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو حال؛ أي: حال كونه كائناً من عذاب يوم القيامة، لا من عذاب الدنيا. و﴿عَذَابِ﴾: مضاف، و﴿يَوۡمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة: ﴿عَذَابِ﴾، والجملة الاسمية: (ويل...) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦﴾

الشرح: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: ما ينتظرون، يعني: أهل مكة، أو ما ينتظر الأحزاب إلَّا إتيان الساعة، وهم ما كانوا منتظرين لذلك، ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر؛ شبهوا بالمنتظرين. ﴿بَغۡتَةٗ﴾: فجأة. ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: وهم غافلون؛ لاشتغالهم بأمر دنياهم، كقوله تعالى في سورة (يسٓ): ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ هذا؛ والشعور: إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته.

الإعراب: ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: مفعول به. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَأۡتِيَهُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب بدل من: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ بدل اشتمال. ﴿بَغۡتَةٗ﴾: حال بمعنى: باغتة. هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وذهب الأخفش، والمبرد إلى أنه منصوب على المصدرية، والعامل فيه محذوف، والتقدير: تبغتهم بغتة، فالجملة الفعلية عندهما هي الحال من فاعل: ﴿تَأۡتِيَهُم﴾، لا ﴿بَغۡتَةٗ﴾ وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب

على المصدرية، كما ذهبا إليه، لكن الناصب له عندهم الفعل المذكور، وهو: ﴿تَأْتِيَهُم﴾ لتأوله بفعل من لفظ المصدر، والتقدير: تأتيهم آتيةً. انتهى. شرح ابن عقيل. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

ومصدرٌ مُنَكَّرٌ حَالاً يَقَعْ بِكَثْرَةٍ كَبَغْتَةً زَيْدٌ طَلَعْ

وهو تعبير عن مذهب سيبويه، والجمهور. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: مضارع، وفاعله، ومتعلقه محذوف، التقدير: لا يشعرون بإتيانها. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة، و﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾: جمع خليل، وهو الصديق الذي صفت مودته، فتجد من خلاله مثل ما يجد من خلالك، ويسعى لمصلحتك كما يسعى لمصلحته، بل قد يؤثرك على نفسه، ويبذل روحه من أجلك، كما قال ربيعة بن مقروم الضبي: [الوافر]

أخوكَ أخوكَ مَنْ يدنُو وتَرْجُو مَوَدَّتَهُ وإنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا

إذا حاربْتَ حاربَ مَنْ تُعادي وزاد سلاحَهُ منكَ اقْتِرابَا

وهو معدوم في هذا الزمن، الذي فسد أهله، وصاروا خلّاً ودوداً، كما قال القائل: [الوافر]

سألتُ الناسَ عَنْ خِلٍّ وَدودِ فقالُوا الناسُ مِنْ خَلٍّ وَدُودِ

فقلتُ أليْسَ فِيهِمْ ذُو وفَاءٍ؟ فقالُوا كَانَ ذَلِكَ في الْجُدُودِ

احفظ البيتين، ولا تنس ما فيهما من الجناس التام، لذا فإنه لا وجود للصديق بالمعنى الحقيقي، بل صار وجوده مستحيلاً، كما قال القائل، وهو صفي الدين الحلِّي: [الكامل]

قد قِيلَ إن المستحيلَ ثلاثةٌ الغولُ والعنقاءُ والخِلُّ الوفي

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء، يعادي بعضهم بعضاً، ويلعن بعضُهم بعضاً، وذلك لانقطاع العلق الدنيوية التي كانت بينهم على معصية الله، ومحاربة الله ورسوله؛ لأنَّ كل صداقة ومحبة مبنية على ذلك نتيجتها العداوة، والبغضاء في الدنيا، وفي الآخرة، وكل صداقة مبنية على طاعة اللهِ وطاعة رسوله، فإنها تدوم، وتصفو، كما قال علي ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

وكُلُّ محبةٍ لله تصفو ولا يَصْفُو علَى الْفِسْقِ الإخاءُ

هذا؛ وقد قال الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**المرْءُ علَى دِينِ خليلِه، فلْيَنْظُرْ أحدُكُم مَنْ يُخالِلُ**». وقال: «**الأرْواحُ جنودٌ مجندةٌ، فما تعارفَ منها ائتلَفَ، ومَا تَناكَرَ مِنْهَا اخْتلَفَ**». ورحم الله من يقول في ذلك: [البسيط]

إن القلوبَ لأجنادٌ مجندةٌ ... قولُ الرسولِ فمَنْ ذَا فِيهِ يختلفُ؟

فما تعارفَ منها، فهْوَ مؤتلفٌ ... ومَا تَنَاكَرَ مِنها، فهوَ مختلِفُ

وفي معنى الحديث الأول يقول طرفة بن العبد في معلقته رقم [١١٥]: [الطويل]

عن المرءِ لا تسأل، وَسَلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يَقْتَدِي

إذا كُنْتَ في قومٍ فصاحِبْ خيارَهمْ ... ولا تصحبِ الأردى فتردَى مع الرَّدِي

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: فإن خلتهم، وصداقتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآبدين. هذا؛ وذكر الإمام علي ـ رضي الله عنه، وكرّم الله وجهه ـ في هذه الآية، فقال: كان خليلانِ مؤمنانِ، وخليلانِ كافرانِ، فمات أحد المؤمِنَيْنِ، فقال: يا رب! إنَّ فلاناً كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، وكان يأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني: أنِّي مُلاَقيك، يا رب! فلاَ تُضِلهُ بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما، فيقول الله تعالى: ليثنِ كل واحد منكما على صاحبه، فيقول: يا رب! إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني: أني ملاقيك، فيقول الله تعالى: نِعْم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب كان!.

ويموت أحد الكافرَيْن، فيقول: يا رب! إنَّ فلاناً كان ينهاني عن طاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني: أني غيرُ ملاقيك، فأسألك: يا رب أن لا تهديه بعدي، وأن تضله كما أضللتني، وأن تهينه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر؛ قال الله تعالى لهما: ليثنِ كل واحد منكما على صاحبه، فيقول: يا رب! إنه كان يأمرني بمعصيتك، ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرِّ، وينهاني عن الخير، ويخبرني: أني غير ملاقيك، فأسألك أن تضاعف له العذاب، فيقول الله تعالى: بئس الصاحب، والأخ، والخليل كنت! فيلعن كل واحد منهما صاحبه. انتهى. قرطبي، وخازن. أقول: وهو كقوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٥] حكاية عن قول إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] وما بعدها من سورة (الفرقان) فهناك بحث جيد يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والتنوين عوض من جملة محذوفة؛

إذ التقدير: يوم إذ تأتيهم الساعة... إلخ. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعْضٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَدُوٌّ﴾ أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال منه، والأول أقوى، وأولى. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مستثنى بإلا منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ.

﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال مقاتل، ورواه المعتمر بن سليمان عن أبيه: ينادي مناد في العَرَصات ـ أي: عَرَصات يوم القيامة حين يبعث الناس ويفزعون ـ: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، فيرفع أهل الْعَرْصة ـ أهل الموقف ـ رؤوسهم، فيقول المنادي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين. وذكر المحاسبي في الرعاية، وقد روي في هذا الحديث: أنَّ المنادي ينادي يوم القيامة: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ...﴾ إلخ فيرفع الخلائق رؤوسهم، يقولون: نحن عباد الله. ثم ينادي الثانية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا...﴾ إلخ فينكس الكفار رؤوسهم، ويبقى الموحدون رافعي رؤوسهم. ثم ينادي الثالثة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ فينكس أهل الكبائر رؤوسهم، ويبقى أهل التقوى رافعي رؤوسهم، قد أزال عنهم الخوف والحزن، كما وعدهم؛ لأنَّه أكرم الأكرمين، لا يخذل وليه، ولا يسلمه عند الهلكة. انتهى. وخذ ما يلي:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى يقولُ يومَ القيامَةِ: أيْنَ المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلّهم في ظِلّي، يوم لا ظِلَّ إلّا ظِلّي**». رواه مسلم. وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يأثر عن ربه تبارك وتعالى يقول: «**حقتْ محبّتي للمتحابّين فيَّ، وحقَّتْ محبّتي لِلْمُتَواصِلين فيَّ، وحقتْ محبّتي للمتزاورين فيَّ، وحقتْ محبّتي للمتباذلين فيَّ**». رواه الإمام أحمد.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من عبادِ الله لأناساً ما هم بأنبياء، ولا شهداء، يغبطهم الأنبياءُ، والشهداءُ يومَ القيامَةِ بمكانِهمْ مِنَ الله**». قالُوا: يا رسول الله! فخبرنا من هم؟ قال: «**هم قومٌ تحابُّوا بروح الله على غيرِ أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية**: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾». رواه أبو داود. هذا؛ والفعل: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ في هذه الآية من باب: فرح، وطرب، فهو لازم. ويأتي من باب: دخل، وقتل، فيكون متعدياً، كما يكون متعدياً إذا أتى من الرباعي.

الإعراب: ﴿يَٰعِبَادِ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (عِبادِ): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقرئ بإثبات الياء: (يا عبادي). ﴿لَا﴾: نافية مهملة، ولا يجوز إعمالها إعمال «ليس»؛ لأنها تكررت. ﴿خَوْفٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَوْفٌ﴾ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ. هذا؛ وقيل: ﴿عَلَيْكُمُ﴾ متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾: متعلق بمحذوف حال. ولا وجه له؛ لأنَّ صاحب الحال لا يكون الكاف؛ إذ المعنى لا يؤيده. وأيضاً: فالخبر ما تتمّ به الفائدة، والفائدة لا تتم بالجار والمجرور كما هو واضح. هذا؛ وقراءة الجمهور برفع ﴿خَوْفٌ﴾ وتنوينه، وقرأ ابن مُحَيْصِن بالرفع دون تنوين على حذف مضاف، وانتظاره، تقديره: لا خوف شيء، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق بالفتح على اعتبار: ﴿لَا﴾ نافية للجنس، عاملة عمل «إنَّ» وهي عندهم أبلغ. انتهى. سمين. أقول: والمعتمد الأول، وهي قراءة سبعية. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول لقول محذوف.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: أي: هم الذين صدقوا بالقرآن، وآمنوا بمحمد ﷺ، واستسلموا لحكم الله وأمره، وانقادوا لطاعته، وآمنت ألسنتهم، وجوارحهم، وظواهرهم وبواطنهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم، وظواهرهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة: (عبادي) أو بدل منه، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: الذين آمنوا، يقال لهم: ادخلوا. . . إلخ، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني، أو أمدح الذين. . . إلخ. ﴿ءَامَنُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَكَانُواْ﴾: الواو: واو الحال. (كانوا): ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة، وإن عطفتها على جملة الصلة؛ فلست مفنداً، ولكن الحال آكد، وأبلغ، فإن كلمة: (كان) تدلُّ على الاستمرار.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)﴾

الشرح: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي: يقال لهم: ادخلوا الجنة. ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾: نساؤكم المؤمنات. وقيل: قرناؤكم من المؤمنين. وقيل: زوجاتكم من الحور العين، والأول أصحُّ، وأقوى. ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تكرمون، وتنعمون. وقيل: تسرون سروراً تهلل له وجوهكم. والحبر، والحبور هو السرور. وقيل: هو من التحبير، وهو التحسين، يقال: هو حسن الحبر، والسبر بكسر الحاء والسين، وفتحهما. وفي الحديث: «**يخرُجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ ذَهبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ**». فالمفتوح مصدر، والمكسور اسم.

روي: أنَّ في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً. وقال الأوزاعي: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم، وتسبيحهم. زاد غير الأوزاعي، ولم تبقَ شجرة في الجنة، إلَّا وردَّت، ولم يبق ستر، ولا باب إلَّا أُرْتِج، وَانْفَتَحَ، ولم تبقَ حلقة إلَّا وطنَّت بألوان طنينها، ولم تبقَ أجمة من آجام الذهب إلَّا وقع أهبوب الصوت في مقاصبها، فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر، ولم تبقَ جارية من جواري الحور العين إلَّا غنَّت بأغانيها، والطير بألحانها.

ويوحي الله إلى الملائكة أن جاوبوهم، وأسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانيين، فتختلط هذه الأصوات، فتصير رجة واحدة، ثم يقول الله عزَّ وجل: يا داود قم عند ساق عرشي، فمجدني! فيندفع داود ـ عليه السلام ـ بتمجيد ربه بصوت يغمر الأصوات، ويحليها، وتتضاعف اللذة، فذلك قوله تعالى في سورة (الروم) رقم [١٥]: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾. ذكره الترمذي الحكيم ـ رحمه الله تعالى ـ. انتهى. قرطبي. ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا كلّه من النعيم، والسرور الدائم، والإكرام السرمدي، فلا تعارض بين هذه الأقوال. وأين هذا من قوله الحق: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ على ما يأتي؛ أي: في سورة (السجدة)، وقول النبي ﷺ: «**فِيها مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ**». انتهى. قرطبي في سورة (الروم).

هذا؛ ومن الملح الطريفة ما حكي: أنَّ أحد القراء، كان يقرأ في المصحف، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ وضع المصحف على كرسيه، وقال: اللهم لا تفعل! وجعل يكررها بصوت عال؛ لأن زوجته كانت نكداً عليه في دنياه. فقالت له زوجته: ما الذي دهاك يا رجل؟! ولماذا تقسم على الله هذا القسم، فقال: وكيف لا أقسم، والله تعالى يقول: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ وأنا صابر على إيذائك في هذه العاجلة، فكيف تكون دار

الخلود، فقالت: بحق الله لا تدع عليَّ، وقد تبت إلى الله، ومن الآن أنا في طاعتك، فادع الله أن أكون معك في الجنة! فقال الرجل: اللهم آمين؛ إن كانت صادقة! وخذ ما يلي: [الطويل]

أرى صاحبَ النسوانِ يحسبُ أنَّها ... سواءٌ وبَوْنٌ بينَهُنَّ بعيدُ

فمنهنَّ جناتٌ يَفِيء ظلالُهَا ... ومنهنَّ نيرانٌ لهن وَقودُ

وأنشد أبو العيناء عن أبي زيد: [البسيط]

إنَّ النساء كأشجارٍ نبتْنَ مَعاً ... منهن مرٌّ وبعضُ المرِّ مأكولُ

إنَّ النِّساءَ وَلَوْ صُوِّرْنَ مِنْ ذَهبٍ ... فيهن من هفواتِ الجهل تخييلُ

إنَّ النساءَ متى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ ... فإنه واجبٌ لا بُدَّ مَفعولُ

وما وعدْنَكَ مِنْ شَرٍّ وَفَيْنَ بِهِ ... وما وعدْنَكَ مِنْ خَيْرٍ فممطولُ

الإعراب: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة، بإجراء اللازم مجرى المتعدي، وقل مثل ذلك في: (دخلتُ المدينةَ، ونزلْتُ البلدَ، وسكنْتُ الشامَ) وحكى الفراء في معاني القرآن: أنَّ الحرف يحذف أيضاً مع: انطلق، وخرج، تقول: انطلقت الشام، وخرجت السوق. ﴿أَنتُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾: معطوف على الضمير، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تُحۡبَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا إعراب الجلال ـ رحمه الله تعالى ـ. هذا؛ وأرى اعتبار الضمير توكيداً لواو الجماعة، واعتبار: ﴿وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ معطوفاً على واو الجماعة أولى، وعليه فجملة: ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، وإلَّا فماذا نقول في الجملة الاسمية على رأي الجلال، ولعلّه يرى اعتبارها حالاً من واو الجماعة، والمعنى: لا يؤيده. والآية الكريمة بكاملها في محل نصب مقول القول لقول محذوف.

﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾

الشرح: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ﴾ أي: لهم في الجنة أطعمة، وأشربة، يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب، وأكواب. ولم يذكر الأطعمة، والأشربة؛ لأنه يعلم: أنَّه

لا معنى للإطافة بالصحاف والأكواب عليهم من غير أن يكون فيها شيء. وذكر الذهب في الصحاف واستغنى به عن الإعادة في الأكواب، كقوله تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٣٥]: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وفي الصحيحين عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة**». عاد الضمير على الفضة مفرداً، ويلزم حكم الذهب بطريق الأولى على حدِّ قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٣٥]: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أهلَ الجنةِ يأكلونَ فيها، ويشربونَ، ولا يتْفِلونَ، ولا يبُولُون، ولا يَتَغَوَّطُونَ، ولا يمتخِطُون**». قالُوا: فمَا بَالُ الطَّعام؟ قال: «**جُشَاءٌ، ورشحٌ كرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التسبيحَ، والتحمِيدَ، والتكبيرَ، كَمَا يُلْهَمونَ النَّفَسَ**». وروى الأئمة من حديث أم سلمة عن النبي ﷺ، قال: «**لا تَشْرَبُوا في آنيةِ الذهبِ والفضةِ، ولا تأكلُوا في صحافِهَا**». وهذا يقتضي التحريم، ولا خلاف في ذلك، ويقاس على الأكل، والشرب سائر الاستعمال، وأيضاً الاقتناء، لقوله ﷺ في الذهب، والحرير: «**هَذَانِ حرامٌ لذكُورِ أمتي، حِلٌّ لإناثِهَا**».

هذا؛ و(الصحاف) جمع: صحفة، كالقصعة، قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة، ثم القصعة تليها تُشبع العشرة، ثم الصحفة تشبع الخمسة، ثم المئكلة تشبع الرجلين، والثلاثة، ثم الصحيفة تشبع الرجل. والصحيفة: الكتاب، والجمع: صحف، وصحائف. ﴿وَأَكْوَابٍ﴾: جمع: كوب، وهو وعاء مدور، لا أذن له، ولا عروة بخلاف الإبريق فإن له ذلك. هذا؛ وأتى بالأكواب جمع قلة، وبالصحاف جمع كثرة؛ لأنَّ المعهود قلة أواني الشرب بالنسبة إلى أواني الأكل.

﴿وَفِيهَا﴾ أي: الجنة. ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾: من الأشياء المعقولة، والمسموعة، والملموسة جزاء لهم بما منعوا أنفسهم عنه من الشهوات في الدنيا. ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾: من الأشياء المبصرة؛ التي أعلاها النظر إلى وجهه الكريم جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق. وروى الترمذي عن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رجلاً قال: يا رسول الله! هل في الجنة من خيل، فإني أحب الخيل، قال: «**إنِ اللهُ أدخلكَ الجنةَ فَلاَ تشاءُ أنْ تُحْمَلَ على فرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ يطيرُ بكَ في الجنةِ حيْثُ شِئْتَ**». قال: وسأله رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله! هلْ في الجَنةِ من إبلٍ؟ قال: فلم يقلْ لَهُ مثل ما قال لصاحبه، فقال: «**إنْ يدخلْك اللهُ الجنة؛ يَكنْ لكَ فيها ما اشتهتْ نَفسُكَ، ولذَّتْ عيْنُكَ**». انتهى. قرطبي، وخازن. ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون لا تبرحون منها؛ لأنها لو انقطعت لتبغضت. وينبغي أن تعلم أنَّ اللذة المذكورة شهوة لذة، لا شهوة جوع، أو عطش.

تنبيه: قال الصابوني في معرض كلامه على إعجاز القرآن: ثم انظر إلى الجزالة، والإيجاز في أسلوب القرآن، وقارنها بأروع أسلوب نطق به عربي، وهو أسلوب أفصح من نطق بالضاد،

سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، الذي شهد ببلاغته، وفصاحته أعداؤه قبل أنصاره، قارن بين القرآن والسُّنَّة؛ تجد الفرق شاسعاً، والبون بعيداً، كطرق ما بين السماء والأرض. فبلاغة القرآن ونضارته، وإشراقته في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز، والبيان. تأمَّل قوله ﷺ في صفة الجنة، وما فيها من نعيم، وخلود: «**فيها مَا لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ**». وقارن بين هذه الألفاظ على روعتها وبين قوله تعالى في وصف نعيم أهل الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ وقوله تعالى في سورة (السجدة): ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ فهذا أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأجزل عبارة، وأقلُّ حروفاً، ووازن بين قوله ﷺ: «**كُلُّكُمْ راعٍ وكلُّكُم مسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، الرَّجُلُ رَاعٍ...**» إلخ الحديث، وبين قوله تعالى في سورة (الحجر): ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقوله في سورة (الأعراف): ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تجد أن كلام الرسول ﷺ على بلاغته لا يخرج عن كونه كلام بشر في الذروة العليا من الكلام، أمَّا كلام الله تعالى فلا يشبهه كلام؛ لأنه كلام خالق البشر.

الإعراب: ﴿يُطَافُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل رفع نائب فاعله. ﴿بِصِحَافٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (صحاف). ﴿وَأَكْوَابٍ﴾: معطوف على: (صحاف)، ومتعلقه محذوف، وجملة: ﴿يُطَافُ...﴾ إلخ قبلها كلام محذوف، التقدير: فإذا دخلوها؛ يطاف عليهم فيها... إلخ. ﴿وَفِيهَا﴾: الواو: واو الحال، أو هي حرف عطف. (فيها): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿تَشْتَهِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْأَنفُسُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المنصوب، وجملة: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ معطوفة عليها، وإن اعتبرتها معطوفة على جملة: ﴿يُطَافُ...﴾ إلخ فلست مفنداً، والاستئناف أيضاً ممكن، ولكن الحالية أقوى. ﴿وَأَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح أي: يقال لهم: هذه تلك الجنة التي كانت توصف لكم في الدنيا. وقال ابن خالوَيْهِ: أشار تعالى إلى الجنة بتلك، وإلى جهنم بهذه، ليخوف بجهنم، ويؤكد التحذير منها،

وجعلها بالإشارة القريبة كالحاضرة التي ينظر إليها. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٤٢]: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

فعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذَا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنةَ نادَى منادٍ: إنَّ لكم أن تحْيَوا فلا تموتُوا أبداً، وإنَّ لكمْ أن تصِحُّوا، فلا تسقُموا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تشِبُّوا، فلا تهرمُوا أبداً، وإنَّ لكمْ أن تنْعَمُوا، فلا تيْأسُوا أبَداً**». فذلك قوله عزَّ وجل: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن...﴾ إلخ. وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ أحدٍ إلا وله منزلٌ في الجنة، ومنزلٌ في النَّارِ، فأمَّا الكافرُ؛ فإنَّهُ يَرِثُ المؤمنَ منزلَهُ من النارِ، والمؤمنُ يرثُ الكافرَ منزلَهُ من الجنةِ، فذلك قوله تعالى: أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**». انتهى. ولا تنسَ قوله تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٠ و١١]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (السجدة) رقم [١٩]: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بسبب أعمالهم، وليس المراد السبب الحقيقي حتى يخالف نص الحديث الشريف، وفحوى هذا: أنَّ نص الآيات يفيد أنَّ دخول الجنة مسبب عن الأعمال الصالحة، والرسول ﷺ يقول: «**لن يُدْخلَ أحداً عملُهُ الجنةَ! قالُوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله! قَالَ: ولا أنا إلَّا أنْ يتغمدني اللهُ بفضلِهِ، ورحمتِهِ، فسدِّدُوا، وقَارِبُوا**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

والجمع بين هذه الآيات والحديث الشريف بأن محمل الآيات على أنَّ منازل الجنة إنَّما تنال بالأعمال؛ لأنَّ درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، وأن محمل الحديث الشريف على أصل دخول الجنة، فإن قيل: آية السجدة صريحة في أنَّ دخول الجنة أيضاً بالأعمال، أجيب بأنه لفظ مجمل بيَّنَهُ الحديث الشريف، والتقدير: ادخلوا منازلَ الجنةِ وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد أصل الدخول، أو المراد ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله، وتفضله عليكم؛ لأنَّ اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخولها حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته، وفضله، لا إله إلَّا هو، له الملك، وله الحمد. انتهى. حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة. بعدما تقدم لا تنس الالتفات من الغيبة في الآية السابقة إلى الخطاب في هذه الآية. انظر الالتفات في الآية رقم [١١]. هذا؛ وفي الآية استعارة؛ حيث شبه الجنة بالمال الموروث، ثم استعار له الإرث على طريق الاستعارة المكنية.

الإعراب: ﴿وَتِلۡكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلَّتِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة: ﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾. ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والميم علامة جمع الذكور، وحركت

بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، و(ها): مفعوله الثاني، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء كنتم تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: أورثتموها بعملكم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبرها. هذا؛ وأجيز اعتبار الجنة صفة: (تلك)، أو بدلاً منها، واعتبار ﴿ٱلَّتِيٓ﴾ خبر المبتدأ، كما أجيز اعتبار ﴿ٱلَّتِيٓ﴾ صفة لـ: ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾، واعتبار ﴿بِمَا...﴾ إلخ متعلقين بمحذوف خبر المبتدأ، وعلى جميع الاعتبارات فالجملة الاسمية: ﴿وَتِلْكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: الفاكهة المعروفة، وأجناسها الفواكه، والفاكهاني هو الذي يبيعها. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هي الثمار كلها، رطبها، ويابسها. أي: لكم في الجنة سوى الطعام، والشراب فاكهة كثيرة تأكلون منها. هذا؛ و(من) تفيد التبعيض. قال المفسرون: يأكل أهل الجنة من بعض الثمار، وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام، لا ترى في الجنة شجرة تخلو من ثمرها لحظة، فهي مزينة بالثمار أبداً؛ لأنَّ ما يؤكل يخلف بدله، وقد قال الرسول ﷺ: «**لا ينزعُ أحدٌ في الجنة من ثمرها ثمرةً إلَّا نبت مكانها مِثْلاهَا**». وذلك؛ لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منه شيء إلَّا خلف مكانه مثله في الحال. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وأجيز تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿فَٰكِهَةٌ﴾، كان نعتاً له، كما رأيت في الآية رقم [٤] وكثير من النحاة لا يجيزون مجيء الحال من المبتدأ؛ لأنَّ الحال هيئة فاعل، أو مفعول. ﴿فَٰكِهَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿كَثِيرَةٌ﴾: صفة له. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿فَٰكِهَةٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿لَكُمْ فِيهَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله عزَّ وجل أحوال أهل الجنة؛ ذكر أحوال أهل النار، وذلك من باب المقابلة، وتلك سنة اقتضتها حكمة العليم الخبير ورحمته في كتابه بأن لا يذكر التكذيب من

الكافرين، والمنافقين؛ إلَّا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان؛ إلَّا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة ونعيمها؛ إلَّا ويذكر النار وجحيمها، ولا يذكر الرحمة؛ إلَّا ويذكر الغضب، والسخط؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، خائفاً راجياً. هذا؛ والمراد: بالمجرمين في هذه الآية: الكافرون، وكثيراً ما يعبر القرآن الكريم عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين، والكاذبين، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإنا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، لا سيما من قرأ القرآن منهم، واطّلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكَّل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلَّا أولو الألباب.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: اسم (إنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِى عَذَابِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بعدهما، و﴿عَذَابِ﴾: مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر «إن». مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: لا يخفف عنهم العذاب، من: فترت الحمى: إذا سكنت قليلاً. ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير، لا يدرون ماذا يصنعون؟ هذا؛ وقد قال الفراء: المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، وذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته، ولا يكون له جواب: أبلس. أقول: وسمي إبليس من هذا؛ لأنه أفلس من رحمة الله، وانقطع رجاؤه من سعة فضل الله. وعن الضحاك: يجعل المجرم في تابوت من نار، ثم يردم عليه، فيبقى فيه خالداً، لا يَرى، ولا يُرى.

ولا يشكل على هذا قوله تعالى في الآية التالية: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ...﴾ إلخ الدال على طلبهم الفرج بالموت، فالجواب: أن تلك أزمنة متطاولة، وأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال، فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم، وعلمهم: أنَّه لا فرج، ويشتد عليهم العذاب تارة، فيستغيثون. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفَتَّرُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى «**العذاب**»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو في محل نصب حال من ﴿عَذَابِ جَهَنَّمَ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُبْلِسُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من نائب الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: بالعذاب الأليم، والعقاب الشديد. ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لأنفسهم بالشرك، وارتكاب المعاصي، والمنكرات. وهذه الآية قد ذكرت مرات فيما مضى، والقراءة السبعية: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالياء. وقرأ عبد الله، وأبو زيد النحويان: (الظالمون).

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (عن) فلست مفنداً، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محلَّ له، أو هو توكيد لواو الجماعة. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، وعلى قراءته بالواو فالضمير مبتدأ، و(الظالمون) خبره، والجملة الاسمية في محل نصب خبر: (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾: يستغيثون بمالك عليه السلام، وهو خازن النار، خلقه الله لغضبه؛ إذا زجر النار زجرة؛ أكل بعضها بعضاً، ومجلسه في وسط النار، وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها. ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: ليمتنا ربك، من: قضى عليه: إذا أماته. ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: مقيمون لا تبرحون. قال الأعمش: نبئت: أن بين دعائهم، وبين إجابة مالك إياهم ألف عام. وقيل: مئة سنة. وقيل: أربعون سنة.

قال الزمخشري في كشافه: وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إنَّ لهم ست دعوات إذا دخلوا النار، قالوا ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فيجابون بما يلي: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ سورة (السجدة)، فينادون ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فيجابون: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ سورة (غافر)، فينادون ألف سنة: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيجابون: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ فينادون ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فيجابون: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ فينادون ألف سنة:

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجابون: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ سورة (فاطر)، فينادون ألف سنة: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ فيجابون: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ سورة (المؤمنون). ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب، وتخفيفه، فإني لا أرفعه عنكم، فعند ذلك ييأس المساكين من الفرج. قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعد ذلك، ما هو إلا الزفير والشهيق، وعواء كعواء الكلاب، لا يَفْهَمُون، ولا يُفْهِمُون. وينبغي أن تعلم: أنَّه لا يوجد في الآخرة ليل، ولا نهار، ولا شهور، ولا أعوام، وإن ما ذكر من الآلاف إنما هو بالتقدير، وقد يعترض بعض الناس، فيقول: هذا العذاب الشديد، والمكث الطويل في جهنم، هذا كله من أجل كفر الكافر في أيام معدودة في الدنيا، وكثير من الكفار لا يعيشون في الدنيا عشرين عاماً، ومنهم من يعيش أكثر، أو أقل، ولماذا استحقوا هذا العذاب الشديد، الذي لا انتهاء له، ولا انقطاع؟ والجواب عن ذلك أنهم استحقوا العذاب لإصرارهم على الكفر، ونيتهم البقاء عليه، ولو عاشوا آلاف السنين في الدنيا، فمن أجل هذا جوزوا بالخلود في نار الجحيم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقرئ: (يا مال): بحذف الكاف على الترخيم، والترخيم: حذف، أواخر الكلم في النداء خاصة. وقيل لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قرأ: (ونَادَوْا يا مَالِ) فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم، وعن بعضهم: حسَّن الترخيم: أنهم يقتطعون بعض الاسم؛ لضعفهم، وعظم ما هم فيه. وقد قرئ: (يا مالُ) بضم اللام على لغة من لا ينتظر، وقرئ بكسر اللام على لغة من ينتظر.

هذا؛ والمكث في الأصل مصدر: مكث، يمكث، بمعنى: أقام، يقيم. قال الكميت يذم ولاة السوء في عهد بني أمية، وهو الشاهد رقم [٥٥٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

فَتِلْكَ وُلاَةُ السوءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ ... فَحَتَّامَ حَتَّامَ العَنَاءُ المُطَوَّلُ؟!

والمكث: بضم الميم وتكسر، وهذا على أنه اسم، وأمَّا المصدر؛ فإن كان فعله من باب: نصر فهو بضم الميم أيضاً، وإن كان من باب: كرم فهو بفتح الميم. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المضارع إنما هو لتحقق الوقوع.

الإعراب: ﴿وَنَادَوْا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (نادوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (مالك): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا). ﴿لِيَقْضِ﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الدعاء وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والكلام: ﴿يَٰمَٰلِكُ

﴿لِيَقۡضِ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به، وهو مفسر لمعنى: (نادوا). ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله . ﴿إِنَّكُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿مَّٰكِثُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بإنزال الكتب، وإرسال الرسل. يحتمل أن يكون هذا من تتمة كلام مالك، عليه السلام؛ الذي أجابهم به. ويحتمل أن يكون من كلام الله مقرراً لجواب مالك، ومبيناً لسبب مكثهم. وهذا الخطاب للتوبيخ، والتقريع على الاحتمالين. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: لا تتقبلونه، وتنفرون، وتشمئزون منه؛ لأنَّ مع الباطل الدعة، والراحة، ومع الحق التعب، والجهد في عبادة الله، وطاعته، والمراد بالأكثر: الكل. وقيل: أراد بالكثرة الرؤساء، والقادة منهم، وأما الأتباع فما كان لهم أثر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَقَدۡ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله . (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئۡنَٰكُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في اللام. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (نا) أي: ملتبسين بالحق، والكلام في محل نصب مقول القول لقول محذوف، إن كان من قول الله تعالى، أو من مقول مالك حسبما رأيت في الشرح. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف، أو هي واو حال. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكۡثَرَكُمۡ﴾: اسم (لكنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِلۡحَقِّ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَٰرِهُونَ﴾: خبر (لكنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الكاف، والرابط: الواو، والضمير، وإن عطفتها على ما قبلها؛ فحكمها حكم سابقتها.

﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت في تدبيرهم المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة، حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل الخبيث عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل؛ ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه، فنزلت هذه الآية، وقتل الله جميعهم يوم بدر. انتهى. قرطبي.

أقول: انظر تفصيل ذلك في الآية رقم [٣٠] من سورة (الأنفال) والمعنى: أم أحكموا كيداً؛ فإنا محكمون لهم كيداً. قاله ابن زيد، ومجاهد، فهو كقوله تعالى في سورة (الطور) رقم [٤٢]: ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾. هذا؛ واستعمال العقاب، والجزاء بلفظ الإبرام والكيد من قبل الله تعالى للكافرين إنما هو من باب المشاكلة، وقد مرَّ معنا كثير من هذا. هذا؛ والإبرام:

الإحكام، يقال: أبرمت الشيء؛ أي: أحكمته، وأبرم الفتَّال الخيط ونحوه إذا أحكم فتله، وهو الفتل الثاني، والأول يسمى: سحيلاً، قال زهير بن أبي سلمى في معلقته رقم [١٩]: [الطويل]

يَميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحيلٍ وَمُبْرَمِ

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف بمعنى: «بل» التي للإضراب. ﴿أَبْرَمُوٓاْ﴾: فعل ماضٍ مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة. وقيل: معطوفة على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ رقم [٤٥]. ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: هي الفصيحة فيما يظهر. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مُبْرِمُونَ﴾: خبر «إن» مرفوع، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا حصل ذلك منهم فإنا مبرمون.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ﴾ أي: أيظن الكافرون: أنا لا نسمع ما حدثوا به أنفسهم، وما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بلى نسمع سرهم، وعلانيتهم. ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: وملائكتنا الحفظة الموكلون بهم يكتبون أعمالهم سرها، وجهرها. روي: أنَّ هذا نزل في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة، وأستارها، فقال أحدهم: أترون أنَّ الله يسمع كلامنا؟ فقال الثاني: إذا جهرتم؛ سمع، وإذا أسررتم؛ لم يسمع. وقال الثالث: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فهو يسمع إذا أسررتم. قاله محمد بن كعب القرظي. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وحسب، يحسب من باب: تعب في لغة جميع العرب إلَّا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس، وقد قرئ المضارع بفتح السين، وكسرها، والمصدر: الحسبان بكسر الحاء. وحسبت المال حسباً من باب: قتل، بمعنى: أحصيته عدداً. وانظر شرح (لدينا) في الآية رقم [٤].

هذا؛ و﴿بَلَىٰ﴾ حرف إثبات لما نفوْه من سماع الله ما يقولونه في السرِّ، والنجوى، و(بلى). حرف جواب، كنَعَمْ، وجيْرِ، وأجَلْ، وإي، إلَّا أنَّ بلى جواب لنفي متقدم؛ أي: إبطال، ونقض، وإيجاب له، سواء دخله الاستفهام أم لا؟ فتكون إيجاباً له، نحو قول القائل: ما قام زيد، فتقول: بلى؛ أي: قد قام. وقوله: أليس زيد قائماً؟ فتقول: بلى؛ أي: هو قائم. قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو قالوا: نعم؛ لكفروا.

أما النجوى فهو حديث السر بين اثنين، أو أكثر، قال تعالى في سورة (المجادلة): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ﴾. وقال الرسول ﷺ: **«إذا كنتمْ ثلاثةً فلا يتناجَ اثْنَانِ دُونَ الثالثِ، فإنَّ ذلك يُحزِنُهُ»**. هذا؛ وقيل: إن النجوى

القوم الذين يتناجون. وبه قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (الإسراء).

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف انتقال بمعنى: بل. ﴿يَحْسَبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿أَنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نَسْمَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿سِرَّهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ). ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسد مفعولي: ﴿يَحْسَبُونَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لا محلَّ له، وبعدها جملة مقدّرة كما رأيت في الشرح تقديرها. ﴿وَرُسُلُنَا﴾: الواو: واو الحال. (رسلنا): مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَدَيْهِمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياءً؛ لاتصاله بالضمير، الذي هو في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَرُسُلُنَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل الفعل المقدر بعد ﴿بَلَىٰ﴾، والرابط: الواو، والضمير، والكلام المقدر: «بلى نسمع...» إلخ. مستأنف لا محلَّ له.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: معنى الآية: إن كان للرحمن ولد في قولكم، وعلى زعمكم؛ فأنا أول من عَبَد الرحمن، فإنه لا شريك له، ولا ولد له. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين؛ أي: الشاهدين له بذلك، أو الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولد له. وقيل: معناه: لو كان للرحمن ولد؛ فأنا أول من عبده بذلك، ولكن لا ولد له! وقيل: العابدين بمعنى: الآنفين، أي: أنا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم، وأنا أول من غضب للرحمن أن يقال له: ولد، قال الفرزدق: [الطويل]

أولئكَ ناسٌ إنْ هَجوني هَجَوْتُهُمْ وأَعْبُدُ أنْ يُهْجى كُلَيْبٌ بدارِمِ

«أعبد»: بمعنى: آنف، وقال الزمخشري في معنى الآية: إن كان للرحمن ولد، وصحَّ، وثبت ببرهان صحيح توردونه، وحجة واضحة تدلون بها، فأنا أول من يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه. وهذا كلام وارد على سبيل الفرض، والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفي الولد، والإطناب فيه، مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد، وذلك: أنه علَّق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلَّق عليها محالاً مثلها. انتهى. خازن بحروفه.

هذا؛ وقد شنع أحمد محشي الكشاف على الزمخشري حيث قال: لقد اجترأ عظيماً واقتحم مهلكةً في تمثيله ذلك، ثم قال أحمد: وإذا ثبتت هذه المقدمة عقلاً، ونقلاً؛ لزمه فرك أذنه، وغلّ عنقه؛ إذ يلحد في الله إلحاداً لم يسبقه إليه أحد من عباده الكفرة، ولا تجرَّأ عليه مارد من مردة الفجرة، ومن خالف في كفر القدرية؛ فقد وافق على كفر من تجرَّأ. فقال: هذه المقالة، واقتحم هذه الضلالة بلا محالة، فإنَّه قد صرَّح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها، وأشنع أنحائها. أقول: وهذا تجنٍّ ظاهر على الزمخشري، والله المسؤول أن يعصمنا من الزلل، وهو حسبنا ونعم الوكيل. نعم المولى ونعم النصير. هذا؛ وأذكر: أن الجمل قد نقل من حاشية زاده على البيضاوي ما يشبه كلام الزمخشري، وهذا يعني: أنه لا غضاضة على الزمخشري.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِن﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان) تقدّم على اسمها. ﴿وَلَدٌ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وعليه ف: ﴿ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ من العبادة. هذا؛ وقيل: (إنَّ) شرطية، و﴿كَانَ﴾ مبني على الفتح في محل جزم فعل شرطها، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَأَنَا۠﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوَّلُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَٰبِدِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد، ويكون معنى: ﴿ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ الجاحدين لقولكم: إن له ولداً. والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: نزَّه الله نفسه عن كل ما يقتضي الحدوث من نسبة الولد إليه تنزيهاً لائقاً بجلاله وعظمته، وكبريائه. وانظر شرح: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ في آخر سورة (الصافات)، وشرح﴿ٱلْعَرْشِ﴾ في سورة (السجدة) رقم [٤].

الإعراب: ﴿سُبْحَٰنَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: يسبح سبحان، وهو مضاف، و﴿رَبِّ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً. و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على: ﴿رَبِّ﴾. ﴿رَبِّ﴾ بدل من سابقه، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَرْشِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان ب: ﴿سُبْحَٰنَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر ب: (عن) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن

الذي، أو عن شيء يصفونه به، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن)، التقدير: تنزه، وتقدّس عن وصفهم، والكلام مستأنف كلّه لا محلَّ له.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اتركهم، وأعرض عنهم. وهذا الفعل ناقص التصرف، لا يأتي منه غير المضارع، والأمر. انظر ما ذكرته في سورة (الأحزاب) رقم [٤٨]، أو سورة (الطور) رقم [٤٥] تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. ﴿يَخُوضُوا﴾: في باطلهم. ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ أي: في دنياهم، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أهل مكة. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: يوعدون يوم القيامة، وهو دليل واضح على أنَّ قولهم محض جهل، واتباع هوىً، وأنهم مطبوع على قلوبهم، معذبون في الآخرة، فما لهم من شفيع، ولا ناصر ينصرهم. قيل: هذا منسوخ بآية السيف، وقيل: هو محكم، وإنما أخرج مخرج التهديد. هذه والآية مذكورة بحروفها في سورة (المعارج) برقم [٤٢] وما يشبهها في سورة (الطور) رقم [٤٥].

الإعراب: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: الفاء: حرف استئناف واعتبارها فصيحة لا بأس به. (ذرهم): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿يَخُوضُوا﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية، لا محلَّ لها. ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يُلَٰقُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله. ﴿يَوْمَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿يَوْمَهُمُ﴾. ﴿يُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، وهو العائد؛ إذ التقدير: الذي يوعدونه، و«أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: «حتى» والجار والمجرور متعلقان بأحد الأفعال المتقدمة على التنازع؛ لأنَّ كل واحد يصلح للتعليق به.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: في هذه الآية تكذيب للمشركين في أنَّ الله اتخذ شريكاً، أو ولداً؛ أي: هو المستحق للعبادة في السماء، والأرض. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بمصالحهم، والآية كقوله تعالى في سورة الأنعام الآية رقم [٣]: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: خبره. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بـ: ﴿إِلَٰهٌ﴾ بعدهما، على تأويله بـ: «معبود» وهذا مستعمل لغة، كما تقول: هو حاتم في طيء على تضمين الجواد الذي شهر به، قال الشاعر، وهو الشاهد رقم [٤٩٦] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وإنَّ لِسَانِي شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بِها ... وهُوَّ عَلَى مَنْ صَبَّهُ اللهُ عَلْقَمُ

﴿إِلَٰهٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو إله في السماء، والجملة الاسمية هذه صلة الموصول، لا محلَّ لها. هذا؛ ولا يجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿إِلَٰهٌ﴾ مبتدأ مؤخر، لخلو الجملة حينئذ من العائد. هذا؛ وحذف العائد على الوجه الأول لطول الصلة. ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ مثل سابقه، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تحتمل العطف على ما قبلها، والاستئناف، والحالية من الموصول، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾: تكاثر خيره، من: البركة، وهي كثرة الخير، وزيادته، ومعنى تبارك الله: تزايد خيره، وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في صفاته، وأفعاله، وهي كلمة تقديس، وتعظيم، لم تستعمل إلَّا لله وحده، وهو ملازم للماضي، لا يأتي منه مضارع، ولا أمر. قال الطرماح: [الطويل]

تباركتَ لا مُعطٍ لِشَيْءٍ مَنَعْتَهُ ... وليسَ لَما أعطيْتَ يا رَبُّ مانِعُ

وقال آخر: [الطويل]

تباركتَ ما تقدِرْ يقَعْ، ولكَ الشكْرُ

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو خالقهما، ومالكهما، والمتصرف فيهما بلا مدافعة، ولا ممانعة، فتنزَّه تعالى عن الولد، والشريك. فاللام مفيدة للملك الحقيقي، الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور. ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: القيامة، لقد اختصَّ الله بعلمها، ولم يطلع أحداً من الناس، كما قال تعالى في آخر سورة (لقمان): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: بعد الموت، فيجازي كلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرٌّ. وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب، والفعل يقرأ بالبناء للمجهول، وبالبناء للمعلوم، و«رجع» يستعمل لازماً، ومتعدياً، فعلى قراءته بالبناء للمجهول يكون من المتعدي، وعلى قراءته بالبناء للمعلوم يكون من اللازم.

الإعراب: ﴿وَتَبَارَكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (تبارك): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿وَعِندَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (عنده): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِلْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: الواو: حرف عطف. (إليه): متعلقان بما بعدهما. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، أو نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ...﴾ إلخ: المراد: عيسى، وعزير، والملائكة؛ الذين عُبِدوا من دون الله. وعليه فـ: ﴿مَن﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، والمعنى عليه: ولا يملك هؤلاء الشفاعة إلَّا للذي شهد بالحق، وآمن على علم وبصيرة، قاله سعيد بن جبير وغيره. قال: وشهادة الحق: لا إله إلَّا الله. وقيل: المعنى: إنَّ عزيراً، وعيسى، والملائكة هم الذين يشفعون؛ لأنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله، وأما الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله، فإنها لا تشفع لعابديها.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حقيقة ما شهدوا به. وقيل: إنها نزلت بسبب: أنَّ النضر بن الحارث، ونفراً من قريش قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً؛ فنحن نتولَّى الملائكة، وهم أحقُّ بالشفاعة لنا منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ؛ أي: اعتقدوا: أنَّ الملائكة، أو الأصنام، أو الجن، أو الشياطين تشفع لهم، ولا شفاعة لأحد يوم القيامة. هذا؛ وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يدلُّ على معنيين:

أحدهما: أنَّ الشفاعة بالحق غير نافعة إلَّا مع العلم، وأنَّ التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة. الثاني: أنَّ مِنْ شرط سائر الشهادات في الحقوق، وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها، ونحوه ما روي عن النبي ﷺ: «**إذَا رَأَيْتَ مِثلَ الشمْسِ فَاشهَدْ وإلَّا فَدَعْ**». انتهى. قرطبي وانظر الشفاعة في سورة (الزمر) رقم [٤٤].

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف، (لا): نافية. ﴿يَمْلِكُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذين يدعونهم. ﴿مِن دُونِهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: مفعول به لـ: ﴿يَمْلِكُ﴾ والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لمن، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنىً من عموم الأحوال، أو الموصول في محل رفع بدلاً من: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ انظر الشرح. ﴿شَهِدَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في محلّ رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال مِنْ ﴿مَن﴾ لأنها بمعنى: الجمع، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمسؤول منهم أهل مكة. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد، واجب الوجود. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف يصرفون عن توحيد الله وعبادته، مع إقرارهم بذلك، واعترافهم: أنه هو الصانع الحكيم.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يصرف عنه من صرف، فهو من باب ضرب، ومصدره أفكاً كضرباً. هذا؛ وهو من الباب الرابع بمعنى: كذب، ومصدره إفْكاً كعِلماً، ويغلب مجيء الأول بالبناء للمجهول، وقد يجيء بالبناء للمعلوم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ سورة (الأحقاف) رقم [٢٢]، ومن مجيئه بمعنى: الكذب قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ رقم [٤٥] من سورة (الشعراء). انظر شرحها هناك تجد ما يسرك. والأفاك كثير الكذب، كما في سورة (الجاثية) رقم [٧].

الإعراب: ﴿وَلَئِن﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتَهُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والهاء مفعوله الأول، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقَهُمْ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل يعود إلى ﴿مَّنْ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب سدَّت مسدّ المفعول الثاني. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: اللام: واقعة في

جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة. (يقولن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة المدلول عليها بالضمة: فاعل، والنون حرف لا محلَّ له. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: الله خلقهن، أو هو فاعل لفعل محذوف، التقدير: خلقهم الله، ويرجحه التصريح به في الآية رقم [٩] من هذه السورة. والجملة على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَيَقُولُنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المقدر، المدلول عليه باللام الموطئة، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما» قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحذِفْ لدى اجْتماعِ شرْطٍ وقسَمْ جَوَابَ ما أخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والكلام: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم...﴾ إلخ كله مستأنف لا محلَّ له. ﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدّر، التقدير: وإذا كانوا يعترفون بأن الله خلقهم، فكيف يصرفون عن توحيده، وعبادته؟! (أنى): اسم استفهام، وتعجب، وتوبيخ مبني على السكون في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون.. إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر «إذا»، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي: وقول الرسول ﷺ. وقيل: التقدير: وقول عيسى عليه السلام. والأول أصح لقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ وقرئ: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالنصب، والجر، والرفع، وهو مصدر، ومثله: القوْل، والقال، والمقالة، والآية معناها: الشكوى إلى الله. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: شكا رسول الله ﷺ إلى الله تعالى تخلف قومه عن الإيمان. وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه. هذا؛ وفحوى الآية مثل قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٣٠]: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

الإعراب: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾: بالجر على معنى: وعنده علم الساعة، وعلم قيله. وبالنصب على معنى: وعنده علم الساعة، ويعلم قيله. وهذا اختيار الزجاج. وقال الفراء والأخفش: يجوز أن يكون ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ عطفاً على قوله: ﴿أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾. وأجاز الفراء، والأخفش أيضاً أن يكون مفعولاً مطلقاً، كأنه قال: وقال قيله، وشكا شكواه إلى الله عزَّ وجل، كما قال كعب بن زهير من قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ: [البسيط]

تَمْشِي الوشاةُ جنابَيْهَا وقِيلهُم إنك يابن أبي سُلْمَىٰ لمقتول

أراد: ويقولون قيلهم. وبالرفع على تقدير: وعنده قيله، أو قيله مسموع. والذي قالوه ليس بقوي

في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً ومع تنافر النظم. وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم، وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، وأمانة الله، ويمين الله، ولعمرك، ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم. انتهى. قرطبي. بتصرف كبير. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (رب): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة. وانظر ما ذكرته من أوجه في ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٥١] فهو مثله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل نصب اسم (إنَّ)، والهاء للتنبيه حرف لا محلَّ له. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر «**إن**». ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿قَوْمٌ﴾، والكلام: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول للمصدر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، أو هي جواب له على اعتبار الواو حرف قسم، وجر، و(قيله) مقسم به.

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عن دعوتهم إلى الإيمان آيساً من إيمانهم، واتركهم وشأنهم. ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾: هذا سلام متاركة، وتوديع، لا سلام تحيَّة. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفرهم، وعنادهم. وفيه تهديد، ووعيد لهم. وقيل: معناه: فسوف يعلمون: أنك صادق. قال مقاتل، وغيره: نسختها آية السيف. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَٱصْفَحْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اصفح): فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَقُلْ﴾: الواو: حرف عطف. (قل): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿سَلَٰمٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: أمري سلام. وقال الفراء: التقدير: سلام عليكم. وهذا مردود؛ لأنَّ النهي قد أتى ألَّا يبدؤوا بالسلام، وأيضاً فـ: ﴿سَلَٰمٌ﴾ نكرة، ولا يبدأ به هنا؛ لأنه لم يرد به الدعاء. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء حرف استئناف. (سوف): حرف تسويف واستقبال، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف تعليلية، أو مستأنفة، لا محلَّ لها. تأمَّل، وتدبَّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

بعون الله وتوفيقه انتهت سورة (الزخرف) شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الدخان)، وهي مكية بالإجماع إلّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ وهي سبع. وقيل: تسع وخمسون آية، وثلاثمئة وست وأربعون كلمة، وألف وأربعمئة وواحد وثلاثون حرفاً. انتهى. خازن. وسميت سورة (الدخان) لأنَّ الله تعالى جعله آيةً لتخويف الكفار؛ حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم لرسول الله، وبعث الله عليهم الدخان؛ حتى كادوا يهلكون، ثم نجاهم الله ببركة دعاء النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

هذا؛ وقد ورد في فضلها، والحثّ على قراءتها، ولا سيما في ليلة الجمعة أحاديث كثيرة، منها ما يلي: عن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: «**من قرأ الدخانَ في ليلةِ الجمعةِ أصبح مغفوراً له، وزُوِّجَ من الحور العين**»، رواه الدارمي، ورفعه الثعلبي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ قرأ الدخانَ في ليلةِ الجمعةِ أصبحَ مغفوراً لهُ**». وفي لفظ له آخر عن أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ قرأ الدخانَ في ليلةٍ أصبحَ يَسْتَغْفِرُ لهُ سبعونَ ألفَ ملكٍ**». وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ حم الدخانَ ليلةَ الجمعة، أو يومَ الجمعةِ بنَى الله لهُ بيْتاً في الجنةِ**». انتهى. قرطبي.

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

لا أرى حاجة إلى المزيد على ما ذكرته في أول سورة (الزخرف) شرحاً، وإعراباً. والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: أنزلنا القرآن. ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: في ليلة القدر، ابتدئ فيها إنزال القرآن، وأنزل فيها من اللوح المحفوظ جملة إلى سماء الدنيا، ووضع في مكان اسمه بيت العزة، ثم أنزله الله على نبيه ﷺ في الليالي، والأيام في ثلاث وعشرين سنة، وبركتها لذلك، فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية، والدنيوية، ولما فيها من نزول الملائكة، والرحمة، وإجابة الدعوة، وقسم النعمة، وفصل الأقضية. ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا: أنَّ

جبريل عليه السلام أملاه منه على ملائكة السماء الدنيا، فكتبوه في صحف، وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة، ثم نجَّمته الملائكة المذكورون على جبريل في ثلاث وعشرين سنة، ينزل بها على النبي ﷺ بحسب الوقائع، والأحداث، ومقتضيات الأحوال.

هذا؛ وقيل: إن المراد بالليلة المباركة: ليلة النصف من شعبان، والقول الأول هو الأكثر، بل والمعتمد، لقوله تعالى في سورة (القدر): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ولمطابقة قوله هنا: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ولقوله تعالى في سورة (القدر) أيضاً: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وليلة القدر في شهر رمضان على أصح الأقوال، وأقواها. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوفين، والمعنى: لتنذر به الخلق؛ لأنَّ من شأننا، وعادتنا ألا نترك الناس دون إنذار، وتخويف وتحذير من العقاب؛ لتقوم الحجة عليهم.

هذا؛ و(نا): في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ونحو ذلك فقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح»: وقوله تعالى: (جعلْنا) (وهبْنا). (نحنُ) و(إنا) لفظ يقع في جميع اللغات على من له شركاء، وأمثال، وعلى الواحد العظيم المطاع، الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: فعلنا، وإنا، ونحن. . .إلخ، ولا يريدون: أنهم ثلاثة ملوك. فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء، ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، ونحن، وإنا. . .إلخ، مع أنه ليس له تعالى شريك، ولا مثل، بل له جنود السموات، والأرض. انتهى.

أقول: و(نا): هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الملحدون والكافرون، فالله لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم به العبد، ذكراً كان، أم أنثى، فيقول: أخذنا، وأعطينا. . .إلخ، وليس معه أحد، والغاية من هذا الكلام الرد على النصارى الذين يدخلون الشبهة على السذج من المسلمين بأن الإله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، ويدعمون شبهتهم هذه بالألفاظ الموجودة في القرآن، والتي ظاهرها يفيد الجمع. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿فِى لَيْلَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾: صفة: ﴿لَيْلَةٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ...﴾ إلخ جواب القسم. وقيل: الجملة الثانية جواب القسم، وهذه معترضة. وقيل: الثانية خبر ثان. وقيل: هي مستأنفة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿مُنذِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن

الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا كُنَّا...﴾ إلخ قد رأيت الأقوال السابقة فيها. وقيل: مستأنفة، وتفسيرية.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يُحْكم الله أمر الدنيا إلى قابل في ليلة القدر، ما كان من حياة، أو موت، أو رزق. وروى حماد بن سلمة، قال: أخبرنا ربيعة بن كلثوم، قال: سأل رجل الحسن، وأنا عنده، فقال: يا أبا سعيد! أرأيت ليلة القدر، أفي كل رمضان هي؟ قال: إي والذي لا إله إلَّا هو، إنها في كل رمضان، إنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كل خلق، وأجل، ورزق وعمل إلى مثلها. وقال ابن عباس أيضاً: يكتب من أمِّ الكتاب في ليلةالقدر ما يكون في السنة من موت، وحياة، ورزق، ومطر؛ حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان. وقال في هذه الآية: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق؛ وقد وقع اسمه في الموتى. وهذه الإبانة لأحكام السنة إنما هي للملائكة الموكلين بأسباب الخلق، ولم يزد ذلك في علم الله عزَّ وجل. انتهى. قرطبي بتصرف كبير. ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان، وقد بينت ضعفه في الآية السابقة.

وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة النصف من شعبان، ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل، والصواعق، والخسف. ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم. ونسخة المصائب إلى ملك الموت. وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله، فيلقى على ألسنة الخلق مدحه، وعلى قلوبهم هيبته. انتهى. قرطبي وزمخشري.

الإعراب: ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يُفْرَقُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿كُلُّ﴾: نائب فاعل، وهو مضاف، و﴿أَمْرٍ﴾ مضاف إليه. ﴿حَكِيمٍ﴾: صفة: ﴿أَمْرٍ﴾. والجملة الفعلية يجوز أن تكون مستأنفة، وأن تكون صفة لـ: ﴿لَيْلَةٍ﴾ وما بينهما اعتراض. وقال الزمخشري: فإن قلت: ما موقع هاتين الجملتين: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ و﴿فِيهَا يُفْرَقُ...﴾ إلخ؟ قلت: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم، الذي هو: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾

الشرح أي: جميع ما نقدره في تلك الليلة، وما نوحي به إلى الملائكة من شؤون العباد هو أمر حاصل من جهتنا بعلمنا، وتقديرنا، وإنا نرسل الأنبياء إلى الخلق بالشرائع، والأحكام

الإلهية؛ لهدايتهم، وإرشادهم. وقال النقاش: الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده. والأول أقوى، وأصح.

الإعراب: ﴿أَمۡرٗا﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا، وسماه الزمخشري منصوباً على الاختصاص، أو هو حال من كل أمر؛ أي بمعنى: آمرين، أو من آمر لتخصيصه بالصفة، أو من ضميره المستتر في ﴿حَكِيمٍ﴾. وقيل: هو مفعول مطلق، والتقدير: أنزلناه إنزالاً. وأجيز اعتباره مفعولاً لأجله، وناصبه إما: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾، وإما: ﴿مُنذِرِينَ﴾، وإما: ﴿يُفۡرَقُ﴾، وهذا أضعف الأقوال، وأضعف منه تجويز أبي البقاء اعتباره بدلاً من الهاء من: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾. ﴿مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَمۡرٗا﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وهي هنا مستأنفة، أو للتعليل، فلا محلَّ لها على الاعتبارين. وقال النسفي: هي بدل من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾. هذا؛ وقرئ برفع (أمر) على تقدير: هو أمر.

﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في معنى الآية: رأفة مني بخلقي، ونعمة عليهم بعثت إليهم من الرسل. هذا؛ أو المراد إنزال القرآن في ليلة مباركة كان فيه رحمة للعباد. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد جميعها سرها، وجهرها. ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: بأفعالهم صغيرها، وكبيرها، وظاهرها، وخافيها. ولا تنس الالتفات من التكلم إلى الغيبة، ولو جرى الكلام على منوال ما تقدم؛ لقال: رحمة منا.

الإعراب: ﴿رَحۡمَةٗ﴾: فيه خمسة أوجه: مفعول لأجله، والعامل فيه، إما: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾، وإما: ﴿أَمۡرٗا﴾، وإما: ﴿يُفۡرَقُ﴾، وإما: ﴿مُنذِرِينَ﴾. الثاني: أنه مفعول مطلق، عامله محذوف، التقدير: رحمنا رحمة. الثالث: أنه مفعول به لمرسلين. الرابع: أنه حال من ضمير: ﴿مُرۡسِلِينَ﴾؛ أي: ذوي رحمة. الخامس: أنه بدل من: ﴿أَمۡرٗا﴾. انتهى. جمل نقلاً من السمين. ﴿مِّن رَّبِّكَۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿رَحۡمَةٗ﴾، أو بمحذوف صفة لها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محلَّ له، أو هو توكيد لاسم (إنَّ) على المحل. ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ خبران لـ: (إنَّ). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ، و﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ خبران عنه، وعليه فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل لما قبلها.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧﴾

الشرح: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾: مالك السموات، والأرض، وما بينهما، ومتصرف فيها تصرف الملاك، فإن وجودهما، وانتظامهما على هذا النمط البديع الصنع، من

أوضح الدلائل على وجود الله، ووحدانيته واستقلاله بملكهما، وتصرفهما. هذا؛ ولم يقل: وما بينهن؛ لأنَّ المراد بين الصنفين، أو النوعين، أو الشيئين. وانظر ما ذكرته في (الشورى) رقم [٢٩].

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كنتم موقنين بأن الله رب السموات والأرض، والمتصرف فيهما وحده؛ فآمنوا به، ووحّدوه، واعلموا: أنه يرسل الرسل، وينزل الكتب السماوية لهداية الناس أجمعين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

الإعراب: ﴿رَبِّ﴾: بالجر هو بدل من: ﴿رَّبِّكَ﴾، والجملة الاسمية معترضة بين البدل، والمبدل منه، ويقرأ بالرفع على أنه خبر ثالث لـ: (إنَّ)، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو رب، أو هو مبتدأ خبره الجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. وعليه فالجملة الشرطية معترضة بين المبتدأ، وخبره، و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. «ما»: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُّوقِنِينَ﴾: خبره منصوب... إلخ، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف. انظر تقديره في الشرح.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا رب غيره، ولا معبود سواه؛ لأنه المتصف بصفات الجلال، والكمال، ومتصف بالقدرة، والانتقام، قادر على الإماتة، والإحياء، فهو تقرير لوحدانيته تعالى. ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مالككم، ومالك من تقدّم منكم، فأنتم مربوبون له تعالى، ومقهورون. هذا؛ وبين ﴿يُحْيِۦ﴾ و(يميت) طباق.

الإعراب: ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، التقدير: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: يجوز فيه ثلاثة أوجه: أحدها: اعتباره بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع بالابتداء. والثاني: اعتباره بدلاً من ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: اعتباره بدلاً من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. وهو الأولى، والأقوى، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ في الآية رقم [٦]، أو هي خبر: ﴿رَبِّ﴾ في الآية السابقة على رفعه. ﴿يُحْيِۦ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنفصل، أو من الضمير المستتر في الخبر المحذوف،

وكلاهما عائد على ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والرابط في الجملة الحالية: الضمير فقط. وجملة: ﴿وَيُمِيتُ﴾ معطوفة عليها. ﴿رَبُّكُمْ﴾: بدل، أو بيان، أو صفة لـ: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على قراءتي: الجر، والرفع. وقال أبو البقاء: أي: هو ربكم. أي: أنه خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون خبراً آخر، وأن يكون فاعل: ﴿وَيُمِيتُ﴾، وفي ﴿يُحْيِۦ﴾ ضمير يرجع إلى ما قبله، أو على شريطة التفسير، وفي اعتباره فاعلاً ضعف ظاهر. ﴿وَرَبُّ﴾: معطوف على ما قبله، و(ربُّ) مضاف، و﴿ءَابَآئِكُمُ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفة: ﴿ءَابَآئِكُمُ﴾ مجرور... إلخ.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾

الشرح: المعنى ليسوا موقنين فيما يظهرونه من الإيمان في قولهم: الله خالقنا، وخالق السموات والأرض، بل هم في شك كبير من أمر البعث بعد الموت، فهم يلعبون، ويسخرون. قال شيخ زاده: التفات من الخطاب إلى الغيبة، فقال: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ تحقيراً لشأنهم، وإبعاداً لهم عن موقف الخطاب، لكونهم من أهل الشك، والامتراء، وكون أفعالهم الهزء واللعب لعدم التفاتهم إلى البراهين القاطعة، وعدم تمييزهم بين الحق، والباطل، والضار، والنافع. ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب، وهو كالصبي الذي يلعب، فيفعل ما لا يدري عاقبته.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى شَكٍّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ في محل رفع خبر ثان، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾

الشرح: المعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان ظاهر حاله، لا يشك أحد في أنه دخان. وفي هذا الدخان أقوال ثلاثة: الأول: أنه من أشراط الساعة لم يجيء بعد، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، يملأ ما بين السماء والأرض، فأمَّا المؤمن فيصيبه منه مثل الزكام، وأما الكافر، والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم، وهو من آثار جهنم يوم القيامة. وممن قال: إن الدخان لم يأتِ بعد: علي، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وزيد بن علي، والحسن، وابن أبي مليكة، وغيرهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وفي صحيح مسلم عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا، ونحن نتذاكرُ الساعة، فقال: «**ما تذاكرون؟**». قالوا: نتذاكر الساعة. قال: «**إنَّها لَنْ تقومَ**

حتى تَرَوْا قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر الدخان، والدجّالَ، والدابّةَ، وطلوعَ الشمس من مغْرِبها، ونزولَ عيسى ابن مريم، وخروجَ يأجُوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردُ الناس إلى محشرِهِمْ». وانظر ما ذكرتُه في الآية رقم [٦١] من سورة (الزخرف).

القول الثاني: أن الدخان هو ما أصاب قريشاً من الجوع بدعاء النبي ﷺ؛ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخاناً. قاله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال: وقد كشفه الله عنهم، ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم، فقال: إنما كان هذا؛ لأنَّ قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، عليه السلام، فأصابهم قحط، وجهد؛ حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: فأتي رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله استسقِ لمضرَ؛ فإنَّها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء!» فاستسقى، فسُقُوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية؛ عادوا إلى حالهم من العصيان، والطغيان، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر. قال أبو عبيدة: والدخان: الجدب. قال القتبي: سمي دخاناً لِيُبس الأرض منه حين يرتفع منها كالدخان، والذي أتى رسول الله ﷺ، وطلب منه أن يدعو الله هو: أبو سفيان، وهو ما في السيرة الحلبية، وزيني دحلان.

القول الثالث: إنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة. قاله عبد الرحمن الأعرج. انتهى. قرطبي بتصرف، واختصار مني، والقول الثالث ضعيف جداً، والقول الأول اعتمده ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

هذا؛ وعد ما ذكر الله في هذه الآيات من الإخبار عن المغيبات التي تقع في المستقبل، قال الزرقاني ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي هذه الآيات عند التأمل خمسة تنبؤات: أولها: الإخبار بما يغشاهم من القحط وشدة الجوع، حتى يرى الرجل بينه وبين السماء كهيئة الدخان. الثاني: الإخبار بأنهم سيضرعون إلى الله حين تحلّ بهم هذه الأزمة. الثالث: الإخبار بأنَّ الله سيكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً. الرابع: الإخبار بأنهم سيعودون إلى كفرهم، وعتوهم. الخامس: الإخبار بأنَّ الله سينتقم منهم يوم البطشة، وهو يوم بدر. ثم قال: ولقد حقق الله ذلك كله، ما انخرم منه ولا نبوءة واحدة، فأصيبوا بالقحط حتى أكلوا العظام، وجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من شدة جوعه، وجهده، ثم قالوا متضرعين: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ثم كشف الله عنهم العذاب قليلاً، ثم عادوا إلى كفرهم، وعتوهم، فانتقم الله منهم يوم بدر، فبطش الله بهم البطشة الكبرى؛ حيث قتل منهم سبعون، وأسر سبعون، وأديل للمسلمين منهم. أرأيت ذلك كله؛ هل يمكن أن يصدر مثله من مخلوق؟! كلا بل هو الله العزيز الحكيم. انتهى. علوم القرآن للصابوني.

الإعراب: ﴿فَارْتَقِبْ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة. (ارتقب): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿تَأْتِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿السَّمَاءُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿بِدُخَانٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُبِينٍ﴾: صفة: (دخان)، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الشك حاصلاً منهم، وواقعاً فارتقب...إلخ، والكلام كله مستأنف لا محلَّ له.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: يحيط بهم، ويشملهم، ويلبسهم. ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: يقول الله لهم. وقيل: هم يقولون: هذا عذاب أليم. فمن قال: إنَّ الدخان قد مضى؛ فهو حكاية حال ماضية، ومن جعله مستقبلاً؛ فهو حكاية حال آتية.

الإعراب: ﴿يَغْشَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى (دخان). ﴿النَّاسَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة: (دخان)، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿عَذَابٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف. انظر الشرح.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح أي: يقولون: ربنا اكشف عنَّا العذاب؛ أي: فهم يستغيثون بالله عزَّ وجل أن يرفع عنهم العذاب. ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: قال البيضاوي: وهذا؛ وعد بالإيمان إن كشف عنهم العذاب، وقد رأيت القولين في هذا العذاب، وهو الدخان، هل وقع لقريش، أو يكون من أمارات الساعة؟ قال ابن كثير: أي: يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وانتقامه، سائلين رفعه وكشفه عنهم، كقوله جلَّت عظمته: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رقم [٢٧] من سورة (الأنعام)، وكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ رقم [٤٤] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿اكْشِفْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر، تقديره: أنت. ﴿عَنَّا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿الْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبّه بالفعل. و(نا): اسمها.

﴿مُؤْمِنُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب شرط محذوف، التقدير: إن تكشف عنا العذاب؛ فإنا مؤمنون. والآية بكاملها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقولون: ربنا... إلخ، والجملة على هذا التقدير في محل نصب حال من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ والرابط: الضمير فقط، وعليه فالجملة الفعلية المقدرة في الآية السابقة يقول الله لهم: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معترضة بين الحال، وعاملها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: المعنى: كيف يتذكرون، ويتعظون بهذه الحالة التي هم فيها؛ وقد جاءهم ما هو أعظم، وأدخل في وجوب الطاعة، وهو ما ظهر على يد رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرات، والآيات البينات الباهرات، ومع ذلك لم يؤمنوا به، ولم يتبعوه؟!

الإعراب: ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم. وقيل: بمعنى: «كيف» في محل نصب على الظرفية في محل رفع خبر مقدم. ولا وجه له، ولو قيل: هو بمعنى: «من أين» لكان أوجه. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان. ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول لقول محذوف، التقدير: يقول الله: أنى لهم الذكرى. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَهُمْ﴾: ماض، ومفعوله. ﴿رَسُولٌ﴾: فاعله. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾: أعرضوا عن الرسول ﷺ. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: متى يتعظون، والله أبعدهم من الاتعاظ والتذكر بعد توليهم عن محمد ﷺ، وتكذيبهم إياه؟! ﴿وَقَالُوا۟﴾: أي: كفار قريش. ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي: يعلمه بشر هو عدَّاس غلام أعجمي لبعض ثقيف، قال تعالى في سورة (النحل) رقم [١٠٣]: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾. ﴿مَّجْنُونٌ﴾ أي: تلقي إليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشى.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَوَلَّوْا۟﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿عَنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَقَالُوا۟﴾:

فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مُعَلَّمٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو معلم. ﴿مَّجْنُونٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ﴾ أي: وقتاً قليلاً، وعد أن يكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً؛ أي: في زمان قليل؛ ليعلم: أنهم لا يفون بقولهم، بل يعودون إلى الكفر بعد كشفه عنهم. قاله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي ﷺ عادوا إلى تكذيبه. ومن قال: إن الدخان منتظر؛ قال: أشار بهذا إلى ما يكون من الفرجة بين آية، وآية من آيات قيام الساعة. انتهى. قرطبي.

وقال البيضاوي: ومن فسَّر الدخان بما هو من أشراط الساعة؛ قال: إذا جاء الدخان غوَّث الكفار بالدعاء، فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوماً، فريثما يكشفه عنهم يرتدون، ولا يتمهلون. ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾: فعلى قول ابن مسعود: المعنى: إنكم مبعوثون بعد الموت، وعلى قول ابن عباس: إنكم عائدون إلى نار جهنم بعد هذا الدخان.

وقال ابن كثير: يحتمل معنيين: أحدهما: أنَّ المعنى: ولو كشفنا عنكم العذاب، ورجعناكم إلى الدار الدنيا؛ لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر، والتكذيب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾. والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً، بعد انفقاد أسبابه ووصوله إليكم؛ وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان، والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون قد باشرهم. كقوله تعالى في سورة (يونس) [٩٨]: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم، ثم عادوا إليه. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبَّه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كَاشِفُواْ﴾: خبر «إن» مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾ مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿قَلِيلًاۚ﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: كشفاً قليلاً، أو صفة زمان محذوف، التقدير: زماناً قليلاً، فهو متعلق بـ: ﴿كَاشِفُواْ﴾، والجملة الاسمية جواب من جهته تعالى عن قولهم: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ بطريق الالتفات لمزيد التهديد، والتوبيخ، وما بينهما اعتراض. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبَّه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿عَآئِدُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، والجملة الاسمية مستأنفة مبينةٌ أنهم مطبوعون على الكفر والعناد، ومخالفة رب العباد.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ...﴾ إلخ: البطش الأخذ بقوة، وعنف. وبطشت اليد: إذا عملت، فهي باطشة، قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته رقم [١٠٧]: [الوافر]

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أضحى عليهَا ونَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

والبطشة الكبرى المراد بها: يوم بدر في قول ابن مسعود، وهو قول ابن عباس، وأبي بن كعب، ومجاهد، والضحاك. وقيل: عذاب جهنم يوم القيامة، قاله الحسن، وعكرمة، وابن عباس أيضاً. وقال الرازي: القول الثاني أصح؛ لأنَّ يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ، الذي يوصف به هذا الوصف العظيم، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة، ولما وصف بكونها كبرى؛ وجب أن تكون أعظم أنواع البطش على الإطلاق، وذلك إنما يكون في القيامة. انتهى. صفوة التفاسير.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو ظرف لهذا المقدر، أو هو مفعول به لفعل محذوف دلَّ عليه: ﴿مُنتَقِمُونَ﴾. وقيل: هو بدل من ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾، والأول أقوى. ﴿نَبْطِشُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿ٱلْبَطْشَةَ﴾: مفعول به. وقيل: مفعول مطلق. ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: صفة: ﴿ٱلْبَطْشَةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: تقدَّم مثلها، والجملة مستأنفة، ومبينة لقدرة الله تعالى على الانتقام.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: امتحناهم، واختبرناهم بإرسال موسى، وأخيه هارون إليهم. قال الجمل: أي: فعلنا بهم فعل الممتحن، وهو المختبر الذي يريد أن يعلم بحقيقة الشيء، وذلك الامتحان كان بزيادة الرزق، والتمكين في الأرض، وإرسال الرسل، فقوله: ﴿وَجَآءَهُمْ...﴾ إلخ من جملة ما امتحنوا به. انتهى. نقلاً من الخطيب. وقوله: قبلهم؛ أي: قبل هؤلاء؛ ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم، و﴿كَرِيمٌ﴾ أي: على الله تعالى، أو على المؤمنين، أو في نفسه لشرف نسبه، وفضل حسبه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: انظر الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف) ففيها الإعراب وافٍ كافٍ. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَجَآءَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف.

(جاءهم): فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿رَسُولٌ﴾: فاعل. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير: «قد» قبلها.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: جاءهم، فقال: اتبعوني. فـ: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ منادى، وعليه ابن هشام في المغني. وقال مجاهد: المعنى أرسلوا معي عباد الله، وأطلقوهم من العذاب. فـ: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ على هذا: مفعول. وقيل: المعنى: أدوا إليَّ سمعكم؛ حتى أبلغكم رسالة ربي. وعلى القول الثاني ففي الكلام استعارة، بمعنى: إطلاقهم وإرسالهم معه، وإليه الإشارة بقوله تعالى في سورة (الشعراء): ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: غير متهم؛ لدلالة المعجزات على صدقي، أو لائتمان الله إياي على وحيه.

الإعراب: ﴿أَنْ﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: «أنه». ﴿أَدُّوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، التقدير: أدوهم، أو أدوا حق الله، وعليه فـ: ﴿عِبَادَ﴾ منادى، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنْ﴾، ويضعفه: أنَّ الجملة الطلبية لا تقع خبراً للحرف المشبه بالفعل. وأجيز اعتبار (أنْ) مصدرية، وعلى الوجهين فـ: ﴿أَنْ﴾ ومدخولها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأداء حق الله. هذا؛ وأجيز اعتبار (أنْ) حرف تفسير؛ لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وهي جملة: (جاءهم)، وعليه فالجملة مفسرة لا محلَّ لها. ﴿عِبَادَ﴾: منادى، أو هو مفعول به حسب ما رأيت في الشرح، و﴿عِبَادَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رَسُولٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿رَسُولٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿أَمِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محلَّ لها.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه، ورسوله، ولا ترتفعوا عن عبادته، وطاعته. وقال قتادة: لا تبغوا على الله. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لا تفتروا على الله. والفرق بين البغي، والافتراء: أنَّ البغي بالفعل، والافتراء بالقول، وقال ابن جريج: لا تَعْظُموا على الله. وقال يحيى بن سلام: لا تستكبروا على عبادة الله. والفرق بين

التعظيم، والاستكبار: أنَّ التعظيم تطاول المقتدر، والاستكبار ترفع المحتقر. ذكره الماوردي انتهى. قرطبي. ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسلني به الله من الآيات البينات، والأدلة القاطعات. وانظر سورة (القصص) [٣٢] شرح البرهان والسلطان.

الإعراب: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أنْ): معطوفة على ما قبلها، ويجوز في هذه ما جاز في تلك من أوجه، فعلى اعتبارها ناصبة؛ فالفعل منصوب بها، و(لا): نافية، وعلى اعتبارها مفسرة، أو مخففة؛ ف (لا) ناهية، والفعل مجزوم بها، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية يقال فيها ما قيل بقوله ب: ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾. ﴿عَلَى ٱللَّهِۖ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿ءَاتِيكُم﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وإن اعتبرته فعلاً مضارعاً؛ فهو مرفوع أيضاً، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محلّ لها. هذا؛ وقرئ بفتح همزة (أنَّ)، وعليه ف: (أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لكوني آتيكم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِسُلۡطَٰنٖ﴾: متعلقان ب: ﴿ءَاتِيكُم﴾ على الاعتبارين. ﴿مُّبِينٖ﴾: صفة (سلطان).

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠﴾

الشرح: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ﴾: التجأت إليه، وتوكّلت عليه. ﴿أَن تَرۡجُمُونِ﴾: أن تؤذوني ضرباً، أو شتماً، أو قتلاً، ومعناه: أنه مستجير، ومستعين بربه، متكل عليه أن يعصمه منهم، ومن كيدهم، فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من القتل، أو الرجم. صلى الله على سيدنا محمد، وعلى موسى، وعلى جميع الأنبياء، والمرسلين، وسلم تسليماً كثيراً.

الإعراب: ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: واو الحال. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿عُذۡتُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: ﴿ءَاتِيكُم﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً. ﴿بِرَبِّي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَرَبِّكُمۡ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَرۡجُمُونِ﴾: فعل مضارع منصوب ب: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء

المتكلم المحذوفة مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من رجمكم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿عُذْتُ﴾.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: المعنى إن لم تصدقوني، ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، ودليلي؛ فابتعدوا عني، ودعوني كفافاً، لا لي، ولا عليَّ، وكفُّوا عن أذاي، وخلُّوا سبيلي. فلمَّا طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك، وما زادهم إلَّا كفراً، وعناداً، وطغياناً، واستكباراً؛ دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ رقم [٨٨ و٨٩] من سورة (يونس) على نبينا وحبيبنا، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ألف صلاة، وألف سلام.

فائدة: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ في مثل هذا التركيب: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى﴾: دخلت (إنْ) على: ﴿لَّمْ﴾ ليرتدَّ الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأنَّ ﴿لَّمْ﴾ ترد الفعل المستقبل إلى معنى المضي، و(إنْ) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، فلما صارت ﴿لَّمْ﴾ ولفظ المستقبل بعدها بمعنى: الماضي ردتها (إنْ) إلى الاستقبال؛ لأنَّ (إنْ) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اعتزلون): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، أو مستأنف لا محلَّ له.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ أي: بعد أن كذّبوه دعا الله تعالى، وشكا إليه طغيانهم، وعنادهم، وتكبرهم. ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: هذا تعريض بالدعاء، فكأنه قال: هؤلاء قوم مجرمون، فافعل بهم ما يليق بهم من العذاب، والانتقام.

الإعراب: ﴿فَدَعَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (دعا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، وهو موسى عليه السلام. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فكفروا، ولم يتركوه. والكلام كله مستأنف لا محل له. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محلَّ له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسرة في محل نصب اسم (أنَّ). ﴿قَوْمٌ﴾: خبر (أنَّ). ﴿مُّجْرِمُونَ﴾: صفة: ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بكونهم قوماً مجرمين. والجار والمجرور متعلقان بالفعل (دعا). هذا؛ وقرئ بكسر همزة (إنَّ). على إضمار القول عند البصريين. التقدير: قال: إن هؤلاء. . .إلخ، وهذه الجملة مفسرة لجملة (دعا. . .) إلخ لا محلَّ لها مثلها. والكوفيون يُجْرُون (دعا) مجرى القول؛ أي: فإنها في محل نصب مفعول به لـ: (دعا).

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: هذا الأمر بالسير كان بعد ثلاثين سنة أقامها موسى بينهم يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، فلم يزدادوا إلَّا عتواً، وعناداً على كثرة المعجزات التي رأوها على يد موسى على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقد فصل ذلك في سورة (البقرة) و(الأعراف) و(طه) و(الشعراء) و(يونس) كما تقدم خروج فرعون وراء موسى في هذه السُّوَر. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون، وجنوده، والمعنى: أسر بهم؛ حتى إذا اتبعكم فرعون بجنوده مصبحين؛ كان لكم تقدم عليهم؛ بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم، فأغرقهم، وتنجون أنتم.

هذا؛ وأسرى فيه لغتان: سرى، وأسرى، وقرئ هنا وفي (الشعراء) بقطع الهمزة، ووصلها، فالأول من الرباعي، والثاني من الثلاثي، وقد جمع حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بين اللغتين في بيت واحد؛ حيث قال: [الكامل]

حَيِّ النَّضِيرَةَ رَبَّةَ الخِدْرِ أَسَرَتْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

وسرى، وأسرى بمعنى واحد. وهو قول أبي عبيد. والثانية لغة أهل الحجاز، وبها جاء القرآن الكريم هنا، وهما بمعنى: سار الليل عامته. وقيل: سرى لأول الليل، وأسرى لآخره، وهو قول الليث، وأما سار فهو مختص بالنهار، وليس مقلوباً من سرى، فهو بمعنى: مشى. هذا؛ والسرى، والإسراء: السير في الليل، يقال؛ سرى، يسري سرىً، ومسرىً، وسريةً، وسرايةً، وأسرى إسراءً. هذا؛ والسرى يذكر، ويؤنث، ولم يحك اللحياني فيه إلَّا التأنيث،

وكأنهم جعلوه جمع: سرية. ﴿بِعِبَادِى﴾: الإضافة إضافة تشريف، وتكريم، وتبجيل، وتعظيم، وذكر العبودية مقام عظيم، وكثيراً ما ذكر الله حبيبه محمداً ﷺ بلفظ عبده. هذا؛ والعبد: الإنسان حراً كان، أو رقيقاً، ويجمع على: عبيد، وعباد، وأعبد، وعبدان، وعبدة، وغير ذلك.

هذا؛ وأمر الله إلى موسى عليه السلام بالخروج ليلاً، وسير الليل في الغالب إنَّما يكون عن خوف، والخوف يكون بوجهين: إما من العدو، فيتخذ الليل ستراً مسدلاً، فهو من أستار الله تعالى. وإما من خوف المشقة على الأبدان، والدواب بحرٍّ، أو جدب، فيتخذ السُّرى مصلحة من ذلك، وكان النبي ﷺ يسري، ويدلج، ويترفق، ويستعجل بحسب الحاجة، وما تقتضيه المصلحة، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: **«إذا سافرْتم في الخِصْب؛ فأعطُوا الإبلَ حَظَّها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنة؛ فبادروا بها نِقْيها»**. انتهى. قرطبي. المراد بالسَّنة: القحط، وانعدام نبات الأرض من يبسها. والنقي: بكسر النون وسكون القاف: هو المخ، ومعناه أسرعوا في السير الإبلَ لتصلوا إلى المقصد؛ وفيها بقية من قوتها.

الإعراب: ﴿فَأَسْرِ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة، والتقدير: فقال: أسر، أو قال: إن كان الأمر كذلك؛ فأسر. (أسر): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة في محل نصب مقول القول، أو هي في محل جزم جواب الشرط، والكلام في محل نصب مقول القول لقول محذوف، كما رأيت تقديره، والكلام كله مستأنف، لا محلَّ له. هذا؛ وقدر القرطبي الكلام كما يلي: فأجبنا دعاءه، وأوحينا إليه: أن أسرِ بعبادي. ولا بأس به! دليله قوله تعالى في سورة (الشعراء) رقم [٥٣]: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾. ﴿بِعِبَادِى﴾: متعلقان بما قبلهما، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لَيْلًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿إِنَّكُم﴾: حرف مشبّه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿مُّتَّبَعُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محلَّ لها.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكناً. قال القطامي في قصيدة يمدح فيها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان: [البسيط]

يمشين رهْواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصُّدورُ على الأعجازِ تتَّكِلُ

أي: يمشين مشياً ساكناً على هينة. أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه، فينطبق كما ضربه، فانفلق، فأمر أن يتركه على هيئته قاراً على حاله من انتصاب الماء،

وكون الطريق يبساً لا يضربه بعصاه، ولا يغير منه شيئاً، ليدخله القبط، فإذا حصلوا فيه؛ أطبقه الله عليهم. هذا؛ والرهو: الفجوة الواسعة، وعن بعض العرب: أنَّه رأى جملاً فالجاً، فقال: سبحان الله رهو بين سنامين، فيكون المعنى: اترك البحر مفتوحاً على حاله منفرجاً ليدخله القبط. هذا؛ والرهو والرهوة: المكان المرتفع، والمنخفض أيضاً، يجتمع فيه الماء، فهو من الأضداد، والرهو: المرأة الواسعة الهَن. حكاه النضر بن شميل، والرهو: ضرب من الطير، ويطلق على غير ذلك. انظر القاموس المحيط.

والمعنى: إذا سرت يا موسى بقومك ليلاً، وتبعك العدو، ووصلت إلى البحر، وأمرناك بضربه، وانفتح، ودخلت أنت، وقومك فيه، ونجوتم منه؛ فاتركه بحاله، ولا تضربه بعصاك ليلتئم، بل أبقه على حاله؛ ليدخله فرعون، وقومه، فينطبق عليهم. ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾: هذا إخبار من الله تعالى لموسى بإغراقهم؛ ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو، وبأنهم لن يدركوا من قِبَل بني إسرائيل وقد صرحت: آية سورة (طه) رقم [٧٧] بذلك: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

الإعراب: ﴿وَٱتْرُكِ﴾: الواو: حرف عطف. (اترك): فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: مفعول به أول. ﴿رَهْوًا﴾: مفعول به ثان، أو هو حال من البحر، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى...﴾ إلخ. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبَّه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿جُندٌ﴾: خبرها. ﴿مُّغْرَقُونَ﴾: صفة: ﴿جُندٌ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر. هذا؛ ويقرأ بفتح همزة (أنَّ) في هذه الآية وسابقتها، وعليه فتؤول مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل جر بلام تعليل مقدرة، التقدير: لكونهم جنداً مغرقين.

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾ أي: تركوا أموراً كثيرةً، والمراد: فرعون، وقومه. ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: قيل: كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل، فيها عيون، وأنهار جارية. ﴿وَزُرُوعٍ﴾ أي: أنواع الزروع، وفي سورة (الشعراء) رقم [٥٨] زيادة: ﴿وَكُنُوزٍ﴾. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي: حسن، وجميل، وهو ما كان لهم من المجالس، والمنازل الحسنة. قيل: المراد: مجالس الأمراء، والرؤساء؛ التي كانت لهم. وقيل: إن فرعون كان إذ قعد على سريره، وضع بين يديه ثلاثمئة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه، والأمراء، وعليهم أقبية الذهب، مخوصة بالذهب. والمعنى: تركوا بساتينهم الغنَّاء؛ التي فيها العيون الجارية، وأموالهم، ومجالسهم الحسنة.

هذا؛ والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله، وهو صفة لكل ما يرضي في بابه، يقال: وجه كريم؛ أي: مرضي بحسنه، وجماله. وكتاب كريم: مرضي في معانيه، وفوائده. ونبات كريم: مرضي فيما يتعلق به من المنافع، قال تعالى: ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ رقم [٧] من سورة (الشعراء) وقس على ذلك الإنسان، والحيوان، والمكان، ومثله لفظ: عبقري المذكور في سورة (الرحمٰن) في الآية [٧٦].

﴿وَنَعْمَةٍ﴾: بفتح النون من التنعُّم، وهو الترفه. يقال: نعَّمهُ الله، وناعمَه، فتَنَعَّم، وامرأة مُنَعَّمَة، ومناعمة بمعنى: مرفهة، والنعمة بالكسر: اليد، والصنيعة، والمنة، وما أُنعم به عليك، وهي من عطف العام على الخاص. والنعمة بضم النون: المسرة، وقد تقصر، فيقال: نُعمى. ﴿فَٰكِهِينَ﴾: متنعمين، ناعمين، لاهين، مازحين. يقال: إنه لفاكِهٌ؛ أي: مزَّاح، وفيه فكاهة؛ أي: مُزَاح، وقرئ: (فكهين) بمعنى: بطرين أشرين.

هذا؛ و(مَقَام) اسم مكان ميمي، وأصله (مَقْوَم) فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها، ثم قل: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً. وانظر الآية رقم [٥١]. وانظر شرح (كم) برقم [٦] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى: كثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿تَرَكُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿كَمْ﴾، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ﴾: هذه الأسماء معطوفة على: ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة: (مقام). ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿فَٰكِهِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: (نعمة).

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨﴾

الشرح: المراد بـ: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ بنو إسرائيل، ملّكهم الله تعالى أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين، لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ رقم [١٣٧] من سورة (الأعراف) ومعنى ﴿ءَاخَرِينَ﴾: ليسوا منهم في شيء من قرابة، ولا دين، ولا ولاء.

هذا؛ وآخرين: مفرده آخر بفتح الخاء، ومؤنثه: أخرى، وكلاهما بمعنى: غير، وأخرى: تجمع على: أُخر، وأخريات، والآخر بفتح الخاء، يكون ما قبله، وما بعده من جنسه. هذا؛ والآخر بكسر الخاء، لا يكون بعده شيء غيره، ومؤنثه: أخرى، وآخرة أيضاً، وجمع الأولى:

أخريات، وجمع الثانية: أواخر. هذا؛ والأخرى: دار البقاء، والنسبة إليها أخروي، وكلامٌ آخرُ وأخِر: ضد الأول.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: نفعل فعلاً مثل ذلك بمن نريد إهلاكه، وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فالمحل لها، وهي مضاف، واسم الإشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. وعلى هذا: فالوقف على: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، والجملة معترضة بين الجملة اللاحقة، والسابقة المتعاطفتين. وقال الزمخشري: الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها. ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ ليسوا منهم، فعلى هذا يكون: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ معطوفاً على تلك الجملة الناصبة للكاف، فلا يجوز الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ حينئذ. انتهى. جمل. ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به ثان. ﴿ءَاخَرِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾: مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم، والاعتداد بوجودهم، كقولهم: بكت عليهم السماء، وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك، ومنه ما روي في الأخبار: أنَّ المؤمن ليبكي عليه مصلاه، ومحل عبادته، ومصعد عمله، ومهبط رزقه. فقد روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مُؤمنٍ إلَّا ولهُ في السماء بابان: بابٌ ينزل منه رزقُهُ، وبابٌ يدخلُ منه كلامُهُ، وعملُهُ، فإذا مات؛ فقداه، فبكيا عليه، ثم تلا قوله تعالى**: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾».

وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: إن السماء، والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحاً. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه، وتكبيره فيها دوي كدوي النحل! وقال شريح الحضرمي: قال النبي ﷺ: «**إنَّ الإسلامَ بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدَأ، فطوبى للغرباء يوم القيامة!**» قيل: مَنْ هُمْ يا رسول الله؟! قال: «**هم الذين إذا فَسَدَ النَّاسُ؛ صَلَحُوا**». ثم قال: «**ألا لا غربةَ على مؤمنٍ، وما ماتَ مؤمنٌ في غربةٍ غائباً عنه بواكيه؛ إلَّا بكَتْ عليه السماءُ والأرضُ**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثم قال: «**ألا إنَّهما لا يَبْكِيانِ على الكافر**».

قال السدي: لما قتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها. وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد؛ قال: لما قتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: احمرَّ له آفاق السماء أربعة أشهر. وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء

والأرض؛ أي: عمت مصيبته الأشياء حتى بكته السماء، والأرض، والريح، والبرق، وبكته الليالي الشاتيات. قال جرير يبكي عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

تَنعِي النُّعَاةُ أمِيرَ المؤمنين لَنَا ... يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ الله واعْتَمَرا
حُمِّلْتَ أمْراً عَظِيماً فاصْطَبَرْتَ لَهُ ... وقمتَ فيهِ بأمْرِ الله يا عُمَرَا
فالشَّمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسِفَةٍ ... تبكي عليكَ نجُومَ اللَّيْلِ والقَمَرَا

وهذا هو الشاهد رقم [٧٠١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وقالت ليلى بنت طريف الشيباني ترثي أخاها الوليد، وهو الشاهد، رقم [٦٥] من «فتح القريب المجيب» أيضاً: [الطويل]

أيَا شَجَرَ الخابُورِ مَالَكَ مورقاً ... كأنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ على ابْنِ طَرِيفِ

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ أي: مهملين إلى وقت آخر، بل أخذوا فجأة. هذا؛ وفي قوله: ﴿بَكَتْ﴾ استعارة مكنية تخييلية حيث شبه السماء والأرض بمن يصح منه الاكتراث، ثم حذف المشبه به، وهو من يصح منه الاكتراث، واستعار له شيئاً من لوازمه، وهو البكاء. وجعله بعضهم مجازاً مرسلاً عن الاكتراث بهلاك الهالك، والعلاقة السببية، ذكر المسبب، وأراد السبب، فإن الاكتراث المذكور سبب يؤدي إلى البقاء عادة. قال أبو حيان: في: ﴿بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، استعارة لتحقير أمرهم، وأنَّه لم يتغير عن هلاكهم شيء.

الإعراب: ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿بَكَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث؛ التي هي حرف لا محلَّ له. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمها، والألف للتفريق. ﴿مُنظَرِينَ﴾: خبر (كان). والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: المعنى: نجينا بني إسرائيل مما كانت القبط تفعله بهم بأمر فرعون، من قتل الأبناء، واستخدام النساء، واستعبادهم إياهم، وتكليفهم الأعمال الشاقة. وفيه تذكير، وامتنان على اليهود؛ الذين كانوا في عصر النبي ﷺ بما أنعم الله على آبائهم الأولين.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا﴾ انظر الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف) ففيها الكفاية. ﴿بَنِىٓ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الفتحة

نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمُهِينِ﴾: صفة: ﴿ٱلْعَذَابِ﴾، والكلام: ﴿وَلَقَدْ...﴾ إلخ مستأنف لا محلَّ له.

﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: جباراً من المشركين، وليس هذا علو مدح، بل هو علوّ في الإسراف، كقوله تعالى في سورة (القصص) رقم [٤]: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾: بدل مما قبلهما؛ أي: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ كأنه في نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه في تعذيبهم، وإهانتهم. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ أي: واقعاً من جهة فرعون. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبّه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿عَالِيًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر بـ: ﴿عَالِيًا﴾ وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل لنجاة بني إسرائيل من العذاب المهين.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي: اصطفينا بني إسرائيل وفضلناهم. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علم منا بهم لكثرة الأنبياء منهم. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم، فهو كقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٣٣]: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وكقوله تعالى في (آل عمران) أيضاً رقم [٤٢]: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: نساء زمنها، فإن خديجة أفضل منها، أو مساوية لها في الفضل، وكذا آسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وانظر شرح الآيتين في سورة (آل عمران)، تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلَقَدِ﴾: انظر الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف). ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب القسم. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (نا) التقدير: عالمين بمكان الخيرة، وبأنهم أحقاء أن يختاروا. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: من المعجزات الباهرات من فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وغير ذلك من الآيات العظام؛ التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها. وقيل: إنها العصا، واليد، فيكون الكلام مقصوداً به فرعون، وقومه. وليس بشيء؛ لأنَّ الكلام مع بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون. ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ﴾: فيه أربعة أوجه: أحدها: نعمة ظاهرة، كما قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [١٧]: ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ وقال زهير: [الطويل]

رأى اللهُ بالإحسان ما فعلا بكُمْ فأبلاهُمَا خيْرَ البلاءِ الَّذِي يَبْلُو

وهذا قاله الحسن، وقتادة. الثاني: عذاب شديد. قاله الفراء. الثالث: اختبار يتميز به المؤمن من الكافر؛ لينظر كيف تعلمون كقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٤٩]: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قاله عبد الرحمن بن زيد، وقال: ابتلاهم بالرخاء، والشدة. وقرأ قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٣٥]: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.

الإعراب: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾: الواو: حرف عطف. (آتيناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿بَلَٰٓؤٌاْ﴾: فاعل بمتعلق الجار والمجرور. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة: ﴿بَلَٰٓؤٌاْ﴾. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿بَلَٰٓؤٌاْ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كفار قريش؛ لأنَّ الكلام فيهم، وقصة فرعون، وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة، والإنذار عن مثل ما حلَّ بهم. ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: في هذا الكلام إشكال، وهو: أنَّ الكلام وقع في الحياة الثانية، لا في الموت، فهلا قيل: (إنْ هِيَ إلَّا حياتُنَا الدنيَا الأولى، وما نحنُ بمنشرينَ)، كما قيل: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ رقم [٢٩] من سورة (الأنعام)، وما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا موتة أخرى، حتى جحدوها، وأثبتوا الأولى، والجواب: أنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة تعقبتها حياة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ رقم [٢٨] من سورة (البقرة) فقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يريدون ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلَّا الموتة الأولى، وهي كونهم نطفاً ميتة في الأصلاب، أو الأرحام، فلا فرق إذاً بين هذه الآية، وبين آية الأنعام في المعنى. انتهى. الكشاف بتصرف.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: مبعوثين بعد موتتنا هذه. ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أي: الذين ماتوا قبل؛ أي: ردوهم إلى الحياة الدنيا بعد موتهم، ليكون ذلك شاهداً على صدقكم، والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين على وجه التعجيز. قال القرطبي: قائل هذا أبو جهل، قال: يا محمد! إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا، أحدهما قصي بن كلاب، فإنه كان رجلاً صادقاً، لنسأله عما يكون بعد الموت.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسم «**إن**». والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَيَقُولُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يقولون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر «**إن**»، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «**ما**». ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَوْتَتُنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة: ﴿مَوْتَتُنَا﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، أو هي حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُنشَرِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (منشرين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها معطوفة على (ما) قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿فَأْتُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: إذا كنتم صادقين فيما تقولون؛ فأتوا. . .إلخ. (ائتوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب شرط غير جازم، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿بِـَٔابَآئِنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم صادقين فائتوا، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تبع الحميري، الذي سار بالجيوش، وبنى الحيرة، وبنى سمرقند. وقيل: هدمها، وكان مؤمناً، وكان قومه كافرين؛ ولذلك ذمهم الله دونه، وقال ﷺ: «**ما أدري أكان تبعٌ نبياً، أو غير نبي؟**». وأسلم، وآمن بالنبي ﷺ قبل ولادته بتسعمئة سنة لما أخبرته اليهود بخبره على حسب ما هو في كتابهم، وهذا هو تبع الأكبر أبو كرب، واسمه: أسعد، وإليه تنسب الأنصار، ولحفظهم وصيته عن آبائهم بادروا إلى الإسلام، وهو أول من كسا الكعبة، بعد ما أراد غزو مكة، وبعدما غزا المدينة المنورة، وأراد خرابها، ثم انصرف عنها لما أخبر أنها مهاجر نبي اسمه أحمد، وقال شعراً أودعه عند أهلها، وكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ، فدفعوه إليه، ويقال: كان الشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وفيه: [المتقارب]

شَهِدْتُ عَلَى أحْمَدٍ أنَّهُ ... رسُولٌ مِنَ الله بَارِي النَّسَمْ

فَلَوْ مُدَّ عَمْرِي إلى عَمْرِهِ ... لَكُنْتُ وزيراً لَه وابنَ عَمْ

وروى ابن إسحاق، وغيره: أنه كان في الكتاب الذي كتبه: أما بعد: فإني آمنت بك، وبكتابك الذي ينزل عليك، وأنا على دينك، وعلى سنتك، وآمنت بربك، ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك؛ فبها ونعمت، وإن لم أدركك؛ فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك، وملة أبيك إبراهيم عليه السلام. ثم ختم الكتاب، ونقش عليه: لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب على عنوانه: إلى محمد بن عبد الله، نبي الله، ورسوله، خاتم النبيين، ورسول رب العالمين ﷺ من تُبَّع الأول.

وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة، لا يزيد ولا ينقص. واختلف هل كان نبياً، أو مَلِكاً صالحاً، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان تبع نبياً. وقال كعب: كان تبع ملكاً من الملوك، وكان قومه كهاناً، وكان معهم قوم من اليهود، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً، ففعلوا، فتقبلَ قربان أهل الكتاب، فأسلم. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لا تسبُّوا تبعاً، فإنه كان رجلاً صالحاً. وقال كعب: ذم الله قومه، ولم يذمه، وضرب لقريش بهم مثلاً لقربهم من دارهم، وعظمهم في نفوسهم. فلما أهلكهم الله تعالى ومن قبلهم؛ لأنهم كانوا مجرمين؛ كان مَنْ أجرم مع ضعف اليد، وقلة العدد أحرى بالهلاك. وافتخر أهل اليمن بهذه الآية؛ إذ جعل قوم تبع خيراً من قريش. وقيل: سمي أولهم تبعاً؛ لأنه اتبع قرن الشمس، وسافر في المشرق مع العساكر.

هذا؛ وتبع ليس رجلاً واحداً، بل المراد به ملوك اليمن، فكانوا يسمون ملوكهم التبابعة، فـ: «تبع» لقب للملك منهم كالخليفة للمسلمين، وكسرى للفرس، وقيصر للروم. وقال أبو عبيدة: سمي كل واحد منهم تبعاً؛ لأنه يتبع صاحبه. انتهى. من هنا، وهناك.

هذا؛ وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ...﴾ إلخ، ولا خير في الفريقين؟ قلت: معناه أهم خير في القوة، والمنعة، كقوله تعالى في سورة (القمر) رقم [٤٣]: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ بعد ذكر آل فرعون. وفي تفسير ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أهم أشد أم قوم تبع؟. انتهى.

وهذا يعني: أن ﴿خَيْرٌ﴾ جاء بمعنى: قوة، كما جاء بمعنى: الطعام في قوله تعالى في سورة (القصص) رقم [٢٤] حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وجاء بمعنى: المال، كما في سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾. وجاء بمعنى: العبادة في سورة (الأنبياء) رقم [٧٣]: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبل قوم تبع، كقوم هود، وصالح، ونوح، وغيرهم من الأمم الكافرة. ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أي: جميعاً مع ما كانوا عليه من غاية الشدة والقوة، فإهلاك كفار قريش أولى. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ أي: كافرين. وانظر التعبير بالمجرمين، ونحوه عن الكافرين في الآية رقم [٧٤] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿أَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل للهمزة. ﴿قَوْمُ﴾: معطوف على الضمير، وهو مضاف، و﴿تُبَّعٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع معطوف على: ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾، وأجيز عطفه على: ﴿تُبَّعٍ﴾، فيكون في محل جر. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من المعطوف والمعطوف عليه، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير «قد» قبلها، ويجوز أن تكون مستأنفة، لا محلَّ لها.

وفي السمين: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يجوز فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون معطوفاً على: ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾. الثاني: أن يكون مبتدأ، خبره ما بعده من: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾. وأما على الأول فـ: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ إما مستأنف، وإما حال من الضمير الذي استكن في الصلة. الثالث: أن يكون منصوباً بفعل مقدر يفسره: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، ولا محل لـ: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ حينئذ. انتهى. جمل. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مُجْرِمِينَ﴾: خبر: ﴿كَانُوا۟﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للإهلاك، لا محل لها.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: هذه الآية مذكورة بحروفها في سورة (الأنبياء) برقم [١٦]. وقال البيضاوي في شرحها هناك: وإنما خلقناها مشحونةً بضروب البدائع، تبصرة للنظار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبيباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش، والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغترُّوا بزخارفها، فإنَّها سريعة الزوال. وقال الخازن: معناها ما سوينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع، وما بينهما للهو واللَّعب، وإنما سويناهما لفوائد، منها: التفكر في خلقهما، وما فيهما من العجائب، والمنافع؛ التي لا تعدُّ، ولا تحصى.

وقال الجمل نقلاً من زاده: الآية دليل على صحة الحشر، ووقوعه، ووجه الدلالة: أنه لو لم يحصل البعث، والجزاء؛ لكان هذا الخلق عبثاً؛ لأنه تعالى خلق نوع الإنسان، وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم من السقف المرفوع، والمهاد المفروش، وما بينهما من عجائب المصنوعات، وبدائع الأحوال، ثم كلفهم بالإيمان، والطاعة، فاقتضى ذلك أن يتميز المطيع من العاصي بأن يكون المطيع متعلق فضله، وإحسانه، والعاصي متعلق عدله وعقابه، وذلك لا يكون في الدنيا لقصر زمانها، وعدم الاعتداد بمنافعها؛ لكونها مشوبة بأنواع الآفات، والمحن، فلا بُدَّ من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت. فظهر بهذا وجه اتصال الآية بما قبلها، وهو أنَّه لما حكى مقالة منكري البعث والجزاء، وهدَّدهم ببيان مآل المجرمين؛ الذين مضوا؛ ذكر الدليل القاطع على صحة البعث، والجزاء، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ انتهى. وانظر سورة (ص) رقم [٢٧].

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿لَٰعِبِينَ﴾: حال من (نا) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، وجملة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا بالعدل، والحق المبين؛ الذي اقتضاه الدليل من الإيمان، والطاعة، والبعث، والجزاء. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحق. وذكر الأكثر، إما لأن بعضهم لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في

النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حدّ التكليف، أو لأنه يقوم مقام الكل، وخذ قول الشاعر: [البسيط]

لم يَبقَ مِنْ جُلِّ هذا الناسِ باقيةٌ ينالُها الوهْمُ إلَّا هذه الصورُ

لا يدهمنَّكَ مِن دهمائِهم عددٌ فإنَّ جُلَّهُمُ بَلْ كلُّهمْ بقرُ

دهمه: غشيه. يقول: لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء، أو نصرة، فإن كلهم كالأنعام، والبهائم. ولله درُّ القائل: [المنسرح]

لا يدهمنْكَ اللحاءُ والصُّورُ تسعةُ أعشارِ مَنْ تَرَى بَقَرُ

في شجرِ السَّروِ منهمُ شبهٌ لهُ رِواءٌ، ومالهُ ثَمَرُ

ورضي الله عن حسان بن ثابت إذ يقول: [البسيط]

لا بأسَ بالقومِ مِنْ طولٍ ومن عِظَمٍ جِسْمُ البغالِ، وأحْلامُ العَصَافيرِ

وخذ قوله تعالى في سورة الروم الآية رقم [٦]: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿خَلَقْنَٰهُمَآ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (نا)، أي: إلّا ملتبسين بالحق. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. وقيل: مفسرة لما قبلها، وهو وجه ضعيف. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكنَّ)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الحق، والرابط: الواو، وإعادة (الحق) بلفظه لو ذُكِر.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: هو يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأنَّ الله تعالى يفصل فيه بين خلقه، وبين الحق، والباطل، وبين المحق، والمبطل، وبين المظلوم، والظالم، دليله قوله تعالى في سورة الممتحنة رقم [٣]: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ ونظيره قوله تعالى في سورة (الروم) رقم [١٤]: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ ويوم الفصل ميقات الناس أجمعين، كما قال تعالى في سورة (النبأ) رقم [١٧]: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ أي: الوقت المجعول لتمييز المسيء من المحسن، والفصل بينهما ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ رقم [٧] من سورة (الشورى) وهذا غاية في التحذير، والوعيد، والتهديد.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿يَوْمَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلْفَصْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد للضمير المجرور محلاً بالإضافة مجرور مثله، وعلامة جره الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم. هذا؛ وأجاز الكسائي والفراء نصب: ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾ على أنه اسم ﴿إِنَّ﴾، والظرف: ﴿يَوْمَ﴾ يكون متعلقاً بمحذوف خبر مقدم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾: لا ينفع، ولا يدفع. ﴿مَوْلًى﴾: يطلق في الأصل على الإله المعبود بحق، ومن أسماء الله الحسنى: المولى، ويطلق على العبد، والسيد، والأمير، وابن العم، والحليف، والناصر، والمعين، وهو المراد في هذه الآية، وفي آخر سورة (الحج): ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾، وأيضاً الآية رقم [١١] من سورة محمد ﷺ. انظر شرحهما في محلهما. كما يطلق على مولى العتاقة، والمحالفة، وكلٌّ منهما لا يكون متصل النسب في القبيلة، ولكنه لصيق بها، والموالي في نظر العرب من الخسة، والضعة بحيث لا يرونهم في مصافهم. والمعنى: لا ينفع ابن عم ابن عمه، ولا قريب قريبه، ولا صديق صديقه. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينصر المؤمن الكافر لقرابته، بل ولا ينفع المؤمن أخاه المؤمن. خذ قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٤٨]: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾، وقوله تعالى في سورة (عبس): ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ في الآية السابقة. وقيل: صفة لـ: ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾ أو هو ظرف متعلق لما دلَّ عليه الفصل، ولا يتعلق بالفصل نفسه للفاصل بينهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُغْنِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿مَوْلًى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿عَن مَّوْلًى﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف المحذوفة... إلخ. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، أو هو نائب مفعول مطلق. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يُنصَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ أي: بالعفو عنه، وقبول الشفاعة فيه؛ أي: فيأذن الله لبعض المؤمنين أن يشفعوا لأقربائهم، وأحبائهم. قال تعالى في سورة (طه) رقم [١٠٩]: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ

﴿ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: القوي الغالب، المنتقم من أعدائه، اللطيف، الرؤوف، الرحيم بأوليائه، كما قال تعالى في أول سورة (غافر) رقم [٣]: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ فقرن الوعد بالوعيد، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء المتصل من ﴿مَّوْلًى﴾. وقال الكسائي: في محل نصب على الاستثناء المنقطع، التقدير: لكن من... إلخ، أو هو في محل رفع على البدلية من واو الجماعة، أو هو في محل رفع على الابتداء، والخبر محذوف، التقدير: إلَّا من رحم الله فمغفور له، وعليه: فالجملة الاسمية في محل نصب حال مستثنىً من عموم الأحوال. ﴿رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: إلا الذي، أو شخصاً رحمه الله. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٦]، والجملة الاسمية، تعليل لما قبلها، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾: مشتقة من التزقم، وهو البلع على جهد لكراهتها، ونتنها، وهي تحيا بلهب النار، كما تحيا الشجرة في الدنيا بالماء البارد، واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا. ومن قال بهذا اختلفوا فيها، فقال قطرب: إنها شجرة مُرَّة، تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: بل هو كل نبات قاتل. القول الثاني: إنها لا تعرف في شجر الدنيا، فلما نزلت هذه الآية، قالت قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقدم عليهم رجل من أفريقية، فسألوه، فقال: هو عندنا الزُّبْد، والتمر، فقال ابن الزِّبَعرَى: أكثر الله في بيوتنا الزقوم، فقال أبو جهل الخبيث لجاريته: هاتي زقمينا، فأتته بزُبْدٍ، وتمر، ثم قال لأصحابه: تزقموا، هذا الذي يخوفنا به محمد، يزعم: أنَّ النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر. هذا؛ وانظر الآيات وشرحها في سورة (الصافات) رقم [٦٢] إلى [٦٨] تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾: الكثير الآثام، وهو أبو جهل، ومن لف لفه من الكفار، والفجار المعاندين. هذا؛ و﴿طَعَامُ﴾ اسم مصدر مثل: سلام، وعذاب، وعطاء. ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ﴾: الشجرة التي خلقها الله في جهنم، وسماها الشجرة الملعونة، وذلك في سورة (الإسراء) رقم [٦٠] فإذا جاع أهل النار؛ التجؤوا إليها، فأكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار، وشبه ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل، وهو النحاس المذاب، والمهل له معانٍ

غير هذا تليق بالمقام أكثر من هذا، منها الصديد، والقيح، وعكر الزيت المغلي، وعكر القطران المغلي أيضاً وغير ذلك. ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: كما يغلي الماء الحار الشديد الحرارة.

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «**كعكر الزيت، فإذا قرب إلى وجهه؛ سقطت فروةُ وجهه فيه**». أخرجه الترمذي. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] من سورة (آل عمران)، ثم قال رسول الله ﷺ: «**لو أنَّ قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا، لأفسدت على الناس معايشهم، فكيف بمن تكون طعامَهُ؟!**». أخرجه الترمذي.

خاتمة: وفي القاموس المحيط: الزَّقْم: اللَّقْم، والتَّزَقُّم: التَّلَقُّم، وأَزْقمه، فازْدَقَمه: أَبْلَعه، فابْتَلَعَه، والزَّقُّوم كتَنُّور، الزُّبْد بالتمر، وشجرة بجهنم، ونبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل، وطعام أهل النار، وشجرة بأريحاء من الغوْرِ، لها ثمر كالتمر، حُلْوٌ عَفِص، ولنواهُ دُهْن عظيم المنافع، عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة، وأمراض البلغم، وأوجاع المفاصل، والنِّقرس، وعرقِ النِّسا، والريح اللاحِجَة في حُقِّ الوَرِك، يشرب منه زنة سبعة دراهم، ثلاثة أيام، أو خمسة أيام، وربما أقام الزَّمْنَى، والمقعدين، ويقال: أصله الإهلِيلَجُ الكابُلِيُّ، نقلته بنو أمية، وزرعته بأريحاء، ولما تمادى الزمن غيرته أريحاء عن طبع الإهلِيلَج والزَّقْمَة، والطاعون. انتهى. بحروفه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿شَجَرَتَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلزَّقُّومِ﴾: مضاف إليه. ﴿طَعَامُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: مضاف إليه. ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو كالمهل، وتعود الجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فالمحل لها على الاعتبارين، وتكون مضافة، و(المهل): مضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الحالية من: ﴿طَعَامُ﴾ لأنه لا عامل فيها إذ ذاك. ﴿يَغْلِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: (الطعام)، أو ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾، لا (المهل)؛ إذ الأظهر: أنَّ الجملة حال من أحدهما، ويؤيد رجوع الفاعل إلى: ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾، قراءة الفعل بالتاء. ﴿فِى ٱلْبُطُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَغَلْيِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: يغلي غلياً مثل غلي الحميم، و(غَلْي) مضاف، و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿خُذُوهُ﴾: يقال للزبانية: خذوا الأثيم. ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ أي: جروه وسوقوه. والعتل: أن تأخذ بتلابيب الرجل، فتعتله؛ أي: تجره إليك لتذهب به إلى حبس، أو بلية. يقال: عتلت

الرجل، أعتُله، واعتِله عتلاً: إذا جذبته جذباً عنيفاً. ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: إلى وسط الجحيم، قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ الصافات رقم [٥٥]. هذا وقال تعالى في سورة (الحاقة): ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿خُذُوهُ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف. انظر تقديره في الشرح، وجملة: ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ معطوفة عليها فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَوَآءِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مضاف إليه.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ﴾ أي: ليكون المصبوب محيطاً بكل جسده. ﴿مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾: فإذا صب عليه الحميم، فقد صب عليه عذابه، وشدته، فهو أبلغ مما في قوله تعالى في سورة (الحج) رقم [١٩]: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ فإن صب العذاب طريقه الاستعارة، كقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٥٠]: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقد شبه العذاب بالمائع، ثم خيل له بالصب. قال الزمخشري: فذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له، ليكون أهول، وأهيب، ومن الاستعارة أيضاً قول فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ ترثي أباها المصطفى ﷺ بعد وفاته: [الكامل]

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تربةَ أحمدٍ ... أنْ لا يَشمَّ مَدى الزَّمانِ غَواليا

صُبَّتْ عَليَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّتْ على الأيامِ عُدْنَ ليالِيَا

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿صُبُّوا۟﴾: فعل أمر، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. و﴿فَوْقَ﴾ مضاف، و﴿رَأْسِهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْ عَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. و(من) معناها بعض، وإن اعتبرتها صلة؛ ف: ﴿عَذَابِ﴾ مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، و﴿عَذَابِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْحَمِيمِ﴾ مضاف إليه.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: يضرب مالك خازن النار ضربة على رأس أبي جهل لعنه الله بمقمع من حديد، فيتفتت رأسه عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يصب الملك فيه ماءً حميماً، قد انتهى حره، فيقع في بطنه، فيقول الملك له: ذُق العذاب. . .إلخ.

وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت في أبي جهل الخبيث، وكان يقول: ما فيها أعزّ مني، ولا أكرم! فلذلك يقال له يوم القيامة: ﴿ذُقْ إِنَّكَ...﴾ إلخ. وقال عكرمة ـ رحمه الله ـ: الْتَقَى النبي ﷺ وأبو جهل، فقال النبي ﷺ: «**إن الله أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى!**». فقال: بأي: شيء تهددني؟! والله ما تستطيع أنت، ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً! إني لمن أعز هذا الوادي، وأكرمه على قومه! فقتله الله يوم بدر، وأذله، ونزلت الآية الكريمة تخبر بما يقال له يوم القيامة.

هذا؛ والذوق يكون محسوساً، ومعنىً، وقد يوضع موضع الابتلاء، والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس، فذقه؛ أي: اختبره. وانظر فلاناً، فذق ما عنده، قال الشماخ يصف قوساً: [الطويل]

فذاقَ، فأعْطَتْهُ مِنَ اللينِ جانباً كَفَى ولَهَا أنْ يُغرِق السهمَ حاجِزُ

وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس؛ وإن لم يكن مطعوماً؛ لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم. قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

فذُقْ هجرَها إن كنْتَ تزعمُ أنها فسادٌ ألا يا رُبَّما كَذَبَ الزَّعْمُ

وتقول: ذقت ما عند فلان. أي: خبرته، وذقت القوس: إذا جذبت، وترها لتنظر ما شدتها؟ وأذاقه الله وبال أمره؛ أي: عقوبة كفره، ومعاصيه، قال طفيل بن سعد الغنوي: [الطويل]

فذوقُوا كما ذُقْنَا غداة مُحَجَّر مِنَ الغيظِ في أكبادنا والتَّحَوُّبِ

وتذوقته. أي: ذقته شيئاً بعد شيء، وأمر مستذاق؛ أي: مجرب معلوم، قال الشاعر: [الوافر]

وعهدُ الغانياتِ كعهد قَيْنٍ وَنَتْ عندَ الجعائِلِ مُستنذاقِ

وأصله من الذوق بالفم. و﴿ذُوقُواْ﴾ في كثير من الآيات للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلية، وذكر العذاب في بعض الآيات استعارة مكنية؛ حيث شبه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت للذوق تخييلاً.

الإعراب: ﴿ذُقْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، تقديره: ذق العذاب. والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف. انظر الشرح. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٦]، والآية تعليل للأمر، ويقرأ بفتح الهمزة، وعليه فالمصدر المؤول في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير: لأنك، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿ذُقْ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ۝٥٠﴾

الشرح: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: العذاب. ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تشكون في وقوعه، يوم كنتم في الدنيا، فذوقوه اليوم. والجمع في الآية باعتبار المعنى؛ لأنَّ المراد جنس الأثيم. هذا؛

و﴿كُنتُم﴾ أصله: «كَوَنْتُمْ» فقل في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «كانْتُمْ» فالتقى ساكنان: الألف، وسكون النون، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار «كَنْتُمْ» بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار: «كُنْتُمْ». وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل (كَوَنَ) فلما اتصل بضمير رفع متحرك، نقل إلى باب فَعُل، فصار (كَوُنْتُمْ) ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار: «كُونْتُ» فالتقى ساكنان: العين المعتلة ولام الفعل، فحذفت العين، وهي الواو لالتقائها ساكنة مع النون، فصار: «كُنْتُ» وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي مسنداً إلى ضمير رفع متحرك، مثل: قلْتُ، وقمْنَا، وقَعَدْنَ... إلخ.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسمها. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تَمْتَرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول للقول المقدر.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: لما ذكر مستقر الكافرين، وعذابهم ذكر نُزُلَ المؤمنين، ونعيمهم. وهذا من المقابلة التي ذكرتها في الآية رقم [٧٤] من سورة (الزخرف)، و﴿مَقَامٍ﴾ بفتح الميم وضمها، وقال الكسائي: المَقَامَ: المكان، والمُقَام: الإقامة. وقال الجوهري: وأما المَقام، والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى: الإقامة، وقد يكون بمعنى: موضع القيام؛ لأنك إن جعلته من الثلاثي؛ فمفتوح، وإن جعلته من الرباعي؛ فمضموم، ويمكن أن يكون مصدراً ميمياً، ويقدر فيه المضاف؛ أي: في موضع إقامة. وانظر إعلاله في الآية رقم [٢٦]. ﴿أَمِينٍ﴾: يؤمن فيه من الآفات على جميع أنواعها، فالإسناد مجاز عقلي، وأصل الأمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف، والأمن، والأمان، والأمانة في الأصل مصادر. ويستعمل الأمان تارة اسماً للحالة التي عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤتمن عليه الإنسان، كقوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ أي: ما ائتمنتم عليه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: اسمها منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿فِى مَقَامٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَمِينٍ﴾: صفة: ﴿مَقَامٍ﴾. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: بدل مما قبلهما. ﴿وَعُيُونٍ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣)﴾

الشرح: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾: هو ما رَقَّ من الحرير، والديباج. ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: هو ما غلظ منه، وهو فارسي اللفظ، أصله: استبره. واللفظ إذا عرب خرج من أن يكون عربياً أعجمياً؛ لأنَّ معنى التعريب: أن يجعل عربياً بالتصرف فيه، وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على أوجه الإعراب، فساغ أن يقع في القرآن العربي. ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾: لا يرى بعضهم قفا بعض، متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا.

فإن قيل: كيف وعد الله أهل الجنة بلبس الإستبرق، وهو غليظ الديباج كما قرره في كثير من السور، مع أنه عند أغنياء الدنيا عيب، ونقص؟ والجواب أن غليظ الديباج في الجنة، لا يساويه غليظ ديباج الدنيا حتى يعاب، كما أن سندس الجنة، وهو رقيق الديباج، لا يساويه سندس الدنيا.

الإعراب: ﴿يَلْبَسُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والمفعول محذوف. ﴿مِن سُندُسٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة المفعول المحذوف، دليله قوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٣١]: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾. ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾: حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿يَلْبَسُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو في محل نصب حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم﴾: وَقَرنَّاهم؛ أي: وقرنَّا بينهم وبين الحور كالقرن بين الزوجين في الدنيا، وليس هو من عقد التزويج، كما في الدنيا. قال يونس بن حبيب: تقول العرب: زوجته امرأة، وتزوجت امرأة، وليس من كلام العرب تزوجت بامرأة. و(حور): بيض جمع: حوراء، وهي التي يرى ساقها من وراء ثيابها، ويرى الناظر وجهه في كفيها كالمرآة من دقة الجلد، وبضاضة البشرة، وصفاء اللون. وفي القاموس: الحور بالتحريك: أن يشتد بياض العين، ويشتد سوادها، وتستدير حدقتها، وترق جفونها، وتبيضُّ ما حواليها. ﴿عِينٍ﴾: عظام العيون، شديدات بياضها، شديدات سوادها، ومنه قيل لبقر الوحش: عين، والثور أعين، والبقرة عيناء، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مهور الحور العين قَبَضَات التمر وفِلَق الخبز**». أي: التصدق بذلك على الفقراء والمساكين. وعن أبي قرصافة (جندرة بن خيشنة الكناني) ـ رضي الله عنه ـ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إخراجُ القُمامةِ من المسجد**

مهورُ الحورِ العين». وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كنْسُ المساجدِ مهورُ الحورِ العين**». ذكره الثعلبي ـ رحمه الله تعالى ـ.

واختلف أيُّما أفضل في الجنة، نساء الآدميات، أم الحور العين؟ فقيل: إن نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فُضِّلْنَ على الحور العين بما عملن في الدنيا. وقيل: إن الحور العين أفضل؛ لقوله ﷺ: «**وأبْدِلْهُ زوجاً خيراً مِنْ زَوْجِهِ**». انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك، وعليه فالجملة الاسمية معترضة بين الجملتين المتعاطفتين. أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: كما أدخلناهم الجنة، وفعلنا بهم ما تقدم ذكره؛ كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم حوراً عيناً. ومثلها الآية رقم [٢٨]. ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَلْبَسُونَ...﴾ إلخ (بحور): متعلقان بما قبلهما. ﴿عِينٍ﴾: صفة: (حور).

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة؛ أي: يطلبون الخدم بأن يحضروا لهم أنواع الفواكه، وأنواع المشارب؛ وهم متكئون على الأسرة كعادة الملوك في الدنيا. خذ قوله تعالى في سورة (صۤ) رقم [٥١]: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾. قال ابن كثير: أي: مهما طلبوا؛ وجدوا، ومن أي أنواعه شاؤوا؛ أتتهم به الخدام. قال الصاوي: والاقتصار على طلب الفاكهة للإيذان بأنَّ مطاعمهم لمحض التفكه، والتلذذ، دون التغذي؛ لأنه لا جوع في الجنة. ﴿ءَامِنِينَ﴾: من الضرر، والخوف، والهم، والحزن، والتعب، والكدر، والشيطان... إلخ.

الإعراب: ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط. ﴿فِيهَا بِكُلِّ﴾: كلاهما متعلق بالفعل قبلهما، و(كل) مضاف، و﴿فَٰكِهَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَامِنِينَ﴾: حال من واو الجماعة، وهي حال متداخلة.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾: في الجنة. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: لا يذوقونه فيها ألبتة؛ لأنهم خالدون فيها. ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ على الاستثناء المنقطع؛ أي: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: بعد، كقولك: ما كلمت رجلاً اليوم إلَّا رجلاً

عندك؛ أي: بعد رجل عندك. وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: سوى؛ أي: سوى الموتة التي ماتوها في الدنيا، ولم يذكر ابن هشام في مغنيه هذين المعنيين لـ: «إلا» وذكر ابن هشام، والمرادي في جناه أن (إلّا) تأتي بمعنى: «غير»، وغير، وسوى بمعنى واحد، وقال المرادي: ومن أغرب ما قيل في «إلا» أنها قد تكون بمعنى: بعد، وجعل هذا القائل من ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ سورة (النساء) رقم [٢٢]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ سورة (الدخان) رقم [٥٦].

وقال القتبي: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ معناه: أن المؤمن إذا أشرف على الموت؛ استقبلته ملائكة الرحمة، ويلقى الروح، والريحان، وكان موته في الجنة لاتصافه بأسبابها، فهو استثناء صحيح، والموت عرض لا يذاق، ولكن جعل كالطعام الذي يكره ذوقه، فاستعير فيه لفظ الذوق.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها، قلت: أريد أن يقال: لا يذوقون فيها الموت ألبتة. فوضع قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك؛ لأنَّ الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل؛ فإنهم يذوقونها.

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: حفظهم الله من عذاب جهنم، وفي سورة (الطور) رقم [١٨]: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾. هذا؛ والفعل: (وقى) من اللفيف المفروق، فتحذف فاؤه من المضارع مثل كل فعل مثال، مثل: وعد، يعد، ووزن، يزن... إلخ. وتحذف لامه في الأمر مع فائه لبنائه على حذف حرف العلة، مثل كل فعل ناقص معتل الآخر، مثل: اسعَ، ارمِ، ادعُ، فيبقى فعل الأمر حرفاً واحداً (قِ) ومثله: وعى، يعي، عِ، ووفى، يفي، فِ، وولي، يلي، لِ، وَوطي، يطي، طِ، وإذا لم يتصل به ضمير تلحقه هاء السكت، فتقول: قِهْ، لِهْ، فِهْ، عِهْ... إلخ.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَذُوقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من الضمير المستتر في: ﴿ءَامِنِينَ﴾، فهي حال متداخلة على الوجهين. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، أو حرف حصر. ﴿ٱلْمَوْتَةَ﴾: منصوب على الاستثناء المتصل، أو المنقطع حسبما رأيت في الشرح، وعلى اعتبار (إلا) بمعنى: (سوى) فهي صفة: ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ ظهر إعرابها على ما بعدها بطريق العارية، وتكون مضافة، و﴿ٱلْمَوْتَةَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة ﴿إِلَّا﴾؛ التي هي على صورة الحرف. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة: ﴿ٱلْمَوْتَةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، ويشبه هذه الآية الآية رقم [٥٩] من سورة (الصافات) فانظرها هناك. ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (وقاهم): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به أول،

والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى غير مذكور، وهو الله لفهمه من المقام، مثل قوله تعالى في سورة (صۤ) رقم [٣٢]: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾، وقوله تعالى في سورة (هود): ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾، وقوله تعالى في سورة (القيامة): ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ وفي سورة (الواقعة): ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ انظر إعراب هذه الآيات في محالها. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير: «قد» قبلها.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: إن كل ما وصل إليه المتقون من الخلاص من عذاب النار، والفوز بالجنة، إنما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى، وفعل ذلك بهم تفضلاً منه. وانظر الآية رقم [٧٢] من سورة (الزخرف). ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: لأنَّ ما ذكر خلاص من المكاره، وظفر بالمطالب، ولا فوز بعده، ووراءه.

الإعراب: ﴿فَضْلًا﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف: تفضل فضلاً. وقيل: مفعول لأجله، عامله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾، وقيل: العامل: ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾، وقيل: العامل﴿ءَامِنِينَ﴾. وعليه مكي. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿فَضْلًا﴾، أو بمحذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً لا محل له، فـ: ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ خبر المبتدأ، وكذلك إن اعتبرته بدلاً من اسم الإشارة.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي: بينا القرآن بلسانك؛ أي: بلغتك العربية، وجعلناه سهلاً على من تدبره، وتأمله. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أن يتفهموا، ويعملوا. ثم لما كان مع هذا الوضوح، والبيان من الناس من كفر، وخالف، وعاند. قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلياً له، وواعداً له بالنصر، ومتوعداً لمن كذبه بالهلاك، والوبال، فقال له: ﴿فَٱرْتَقِبْ...﴾ إلخ. هذا؛ وقد قال في سورة (مريم) رقم [٩٧]: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ وقد كرر قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وقال جَلَّتْ قدرته، وتعالت حكمته في سورة (القدر): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وانظر شرح اللسان في الآية رقم [١٢] من سورة (الأحقاف).

الإعراب: ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة، ولا وجه له قطعاً. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِلِسَانِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والجملة الفعلية في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، لا محلّ لها.

﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَارْتَقِبْ﴾: فانتظر هلاكهم. ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: منتظرون هلاكك. وقيل: ارتقب ما وعدتك من الثواب، فإنهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب. ومعنى الآية تكرر في سورة (السجدة) رقم [٣٠]، وفي (الأنعام) رقم [١٥٨]، وفي الأعراف رقم [٧١]، وفي سورة (يونس) رقم [٢٠]، ورقم [١٠٢]، وفي سورة (هود) رقم [١٢٢]، وإن اختلف المقام من سورة إلى سورة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَارْتَقِبْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا بقوا مصرين على كفرهم، وعنادهم؛ فارتقب. (ارتقب): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب الشرط مقدر بـ: «إذا»، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُّرْتَقِبُونَ﴾: خبر «إن» مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، ومفعوله محذوف. انظر تقديره في الشرح، والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الدخان) شرحاً وإعراباً، بعون الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الجاثية) وتسمى سورة (الشريعة) كلها مكية في قول الحسن، وجابر، وعكرمة. وقال ابن عباس، وقتادة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: إلّا آية، هي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ رقم [١٤] نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. ذكره الماورديُّ. وقال المهدويُّ، والنحاس عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنها نزلت في عمر ـ رضي الله عنه ـ حين شتمه رجل من المشركين في مكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به، فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾ إلخ رقم [٥] من سورة (التوبة). فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف، وهي سبع وثلاثون آية. وقيل: ست وثلاثون آية، وأربعمئة، وثمانٌ وثمانون كلمةً، وألفان ومئة وواحد وتسعون حرفاً. انتهى. قرطبي، وخازن.

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

الشرح: لا أرى حاجة إلى المزيد عمَّا ذكرته في أول سورة (غافر) شرحاً، وإعراباً، والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خلق السموات، والأرض، وهما خلقان عظيمان يدلّان على قدرة القادر المختار لما فيهما من الصفات العجيبة، والأحوال الغريبة، والأمور البديعة. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لعلامات واضحة، ودلالات باهرة على كمال قدرة الله، وحكمته. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين يصدقون بوجود الله، ووحدانيته. وخصّهم بالذكر؛ لأنهم هم الذين يتفكرون في صنع الله، فيتعظون، ويتذكرون، ولذا وصفهم الله بالآيتين التاليتين بالإيقان، والتعقل، وآية البقرة رقم [١٦٤] قد جمعت ما في الآيات الثلاث من دلالات على وجود الله ووحدانيته، وكمال قدرته، وحكمته. هذا؛ والتأكيد بـ: ﴿إِنَّ﴾ واللام؛ لأنَّ المخاطبين منكرون لوحدانية الله عزَّ وجل.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. مقدم. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾. مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (آيات)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: أي: وفي خلقكم أيها الناس من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، متقلبة في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق، وفيما ينشره الله تعالى، ويفرقه من أنواع المخلوقات؛ التي تدب على وجه الأرض آيات باهرة، ودلالات واضحة أيضاً لقوم يصدقون عن إذعان، ويقين بقدرة رب العالمين. هذا؛ و﴿دَآبَّةٍ﴾ تشمل كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان، وحيوان، وطير، وهوام، وجمعها: دوابٌّ. هذا؛ وقال الجمل: وحاصل ما ذكر هنا من الدلائل ستة على ثلاث فواصل، الأولى: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، الثانية: ﴿يُوقِنُونَ﴾، الثالثة: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ووجه التغاير بينها: أن المنصف من نفسه إذا نظر في السموات، والأرض، وأنه لا بد لهما من صانع؛ آمن، وإذا نظر في خلق نفسه، ونحوها؛ ازداد إيماناً، فأيقن، وإذا نظر في سائر الحوادث؛ عقل، واستحكم علمه. وفي البيضاوي: ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة، والظهور. انتهى.

فأظهرها السموات، والأرض، والنظر الصحيح فيها يفيد العلم بأنها مصنوعة لا بُدَّ لها من صانع، فيؤدي إلى الإيمان بالله، وأدق منها خلق الإنسان، وانتقاله من حال إلى حال، وخلق ما على الأرض من صنوف الحيوانات، من حيث إن التفكر فيها، وأحوالها يستلزم ملاحظة السموات والأرض، لكونها من أسباب تكون الحيوانات، وانتظام أحوالهم، ولما كانت هذه الآية أدق بالنسبة إلى الأولى، كان التفكر فيها مؤدياً إلى مرتبة اليقين، وأدق منها سائر الحوادث المتجددة في كل وقت من نزول المطر، وحياة الأرض بعد موتها، وغير ذلك من حيث استقصاء النظر في أحوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات والأرض لكونها من أسباب هذه الحوادث ومحالها، وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الأرض من حيث إن تجدد هذه الحوادث إنما هو لانتظام أحوالها، وتحقق أسباب معاشها، ولما كانت هذه أدق بالنسبة إلى الأولين وكانت متجددة حيناً فحيناً بحيث تبعث على النظر والاعتبار كلما تجددت؛ كان النظر فيها مؤدياً إلى استحكام العلم، وقوة اليقين، وذلك لا يكون إلَّا بالعقل الكامل. فظهر بهذا التقرير: أنَّ المراد بالمؤمنين، والموقنين، والعاقلين من يؤول حالهم إلى هذه الأوصاف. انتهى. جمل نقلاً من زاده على البيضاوي.

الإعراب: ﴿وَفِى﴾: الواو: حرف عطف. (في خلقكم): معطوفان على: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: وفي خلقه إياكم. (ما): فيه وجهان: أظهرهما: أنه معطوف على: ﴿خَلْقِكُمْ﴾ المجرور بـ: (في) على تقدير: خلق ما. الثاني: أنه معطوف على الضمير المخفوض بالخلق، وهو الكاف على مذهب من يجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار. انتهى. من السمين، وعلى الوجهين فهي مبنية على السكون في محل جر. ﴿يَبُثُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما)، والعائد محذوف، التقدير: والذي يبثه. ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما). ﴿ءَايَٰتٌ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أنه مبتدأ مؤخر، و﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ فالمعطوف غير مؤكد، والمعطوف عليه مؤكد بـ: ﴿إِنَّ﴾ الثاني: أن يكون ﴿ءَايَٰتٌ﴾ معطوفاً على (آيات) الأولى باعتبار المحل قبل دخول الناسخ عند من يجوز ذلك. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَٰتٌ﴾، وجملة: ﴿يُوقِنُونَ﴾ صفة: (قوم). والجملة الاسمية: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: بالظلام، والضياء، والطول، والقصر، والاعتدال، وتعاقبهما دائبين لا يفتران. ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: من مطر فيه حياة البشر في معاشهم، وأرزاقهم، وسماه الله رزقاً؛ لأنَّه سبب الرزق. ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها، ولا حياة، كما قال تعالى في سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾. و﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: جنوباً، وشمالاً، وشرقاً، وغرباً، بريةً، وبحريةً، ليليةً، ونهاريةً، ومنها ما هو لتلقيح السحاب، ومنها ما هو لتلقيح النبات، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم، لا ينتج، ولا ينبت، ولا ينعش، ومنها الحارة، والباردة. لـ: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: لقوم لهم عقول نيرة، وبصائر مشرقة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾: مجرور بـ: «في» مقدرة؛ أي: وفي اختلاف، فحذفت «في» لتقدم ذكرها، وأنشد سيبويه في الحذف قول أبي دؤاد الإيادي ـ وهو الشاهد [٥٣٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [المتقارب]

أَكُلَّ امرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً ونَارٍ تَوَقَّدُ في اللَّيلِ نَارَا

وحسَّن حذف «في» تقدمها في قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ وهذا ما جرى عليه أبو حيانَ، وعلي. فالجار، والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّيْلِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: معطوفة على: ﴿ٱلَّيْلِ﴾. ﴿وَمَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: والذي أنزله الله. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في الموصول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رِّزْقٍ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» ﴿مِن رِّزْقٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، على الوجه الأول في تعليقهما، أو بمحذوف حال من الضمير المحذوف على الوجه الثاني في تعليق: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿فَأَحْيَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: (أحيا)، وهو مضاف، و﴿مَوْتِهَا﴾ مضاف إليه. و«ها» في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَتَصْرِيفِ﴾: معطوف على: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، أو لمفعوله، وهو أقوى، وفاعله محذوف، التقدير: وتصريفه الرياح. ﴿ءَايَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَٰتٌ﴾، وجملة: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ صفة (قوم).

تنبيه: قال النسفي تبعاً للزمخشري رحمهما الله تعالى: قرئ: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بالنصب، وبالرفع. وهذا من العطف على عاملين، سواء نصبت، أو رفعت، فالعاملان إذا نصبت: ﴿إِنَّ﴾ و﴿فِي﴾ أقيمت الواو مقامهما، فعملت الجر في ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والنصب في ﴿ءَايَٰتٌ﴾. وإذا رفعت فالعاملان: «الابتداء» وحرف: ﴿فِي﴾ عملت الواو الرفع في: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ والجر في ﴿وَٱخْتِلَٰفِ﴾ هذا مذهب الأخفش؛ لأنه يُجوِّز العطف على عاملين، وأما سيبويه فإنه لا يجيزه، وتخريج الآية عنده أن يكون على إضمار «في» والذي حسنه تقديم ذكر ﴿فِي﴾ في الآيتين قبل هذه الآية، ويؤيده قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (وفي اختلاف الليل والنهار) ويجوز أن ينتصب ﴿ءَايَٰتٌ﴾ على الاختصاص، بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله، أو على التكرير توكيداً لـ: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ في الأولى، كأنه قيل: آياتٍ آياتٍ، ورفعها بإضمار: «هي». انتهى.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى الآيات المتقدمة؛ أي: تلك الآيات آيات الله؛ أي: حججه وبراهينه الدالة على وحدانيته، وقدرته. ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: نقرؤها عليك يا محمد بالصدق، الذي لا باطل فيه، ولا كذب. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ أي: إذا لم يصدق كفار مكة بهذا

القرآن، ولم يؤمنوا بحججه وبراهينه، فبأي: كلام يؤمنون، ويصدقون؟ والغرض استعظام تكذيبهم للقرآن بعد وضوح بيانه، وإعجازه.

الإعراب: ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ لها. ﴿ءَايَٰتُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿نَتْلُوهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، والرابط: الضمير فقط، والعامل اسم الإشارة. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر؛ أي: ملتبسين بالحق، أو من المفعول به؛ أي: ملتبسة بالحق.

﴿فَبِأَيِّ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. انظر تقديره في الشرح. (بأي): متعلقان بالفعل بعدهما، و(أي). مضاف، و﴿حَدِيثٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة: ﴿حَدِيثٍ﴾، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: معطوف على لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا».

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيْلٌ﴾: انظر سورة (الزخرف) رقم [٦٥]. ﴿أَفَّاكٍ﴾: شديد الإفك، وهو الكذب. وانظر سورة (الزخرف) رقم [٨٧]. ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الآثام؛ أي: الذنوب، والمعاصي، والمراد: به النضر بن الحارث. وقيل: المراد به أبو جهل الخبيث كما في الآية رقم [٤٤] من سورة (الدخان). ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آيات القرآن. ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: يقرأها الرسول ﷺ. ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: يتمادى على كفره متعظماً في نفسه عن الانقياد. مأخوذ من: صَرَّ الصرة: إذا شدها. وفي القاموس: صرَّ الفرس والحمار بأذنه، وأصر بها: سوَّاها، ونصبها للاستماع. وفي سورة (لقمان) رقم [٧]: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ بمعنى: أعرض عن تدبرها متكبراً رافعاً نفسه عن الإصغاء لآيات القرآن. ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: يشبه حاله في ذلك من لم يسمعها، وهو سامع، وفي سورة (لقمان) زيادة: ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي: صَمَماً.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أعلمه: أنَّ العذاب يحيق به لا محالة. هذا؛ والبشارة: عبارة عن الخبر السار، الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولما كان ذلك الفرح والسرور يوجبان

تغير بشرة الوجه؛ كان كذلك الحزن، والغم يظهر أثرهما على الوجه، وهو الكمودة؛ التي تعلو الوجه عند حصول الغم، والحزن، فثبت بهذا: أنَّ البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار، والخبر المحزن، فصحَّ قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ولكن قد تستعمل البشارة بالشر، وبما يسوء على سبيل التهكم، والاستهزاء، كما في هذه الآية، وهو كثير في القرآن الكريم.

هذا؛ والفعل: «يسمع» من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات؛ تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا. وهذا اختيار الفارسي. واختار ابن مالك، ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال؛ إن كان المتقدم معرفة، وصفة؛ إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا.

الإعراب: ﴿وَيْلٌ﴾: مبتدأ. ﴿لِّكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، و(كل): مضاف، و﴿أَفَّاكٍ﴾ مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف، التقدير: لكل شخص أفاك. ﴿أَثِيمٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف. ﴿يَسْمَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: شخص أفاك، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية للموصوف المحذوف، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وهو أقوى. ﴿ءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿تُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُصِرُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: (كل أفَّاك) والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَسْمَعُ...﴾ إلخ. ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: حال من الفاعل المستتر. ﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل مُخَفَّف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: كأنه. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسْمَعْهَا﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ والفاعل يعود إلى: (كل أفاك)، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿كَأَن﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال ثانية من فاعل: ﴿يُصِرُّ﴾ المستتر، والرابط: ضمير الشأن المحذوف. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يرى جواز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منه فبشره. (بَشِّرْهُ): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿بِعَذَابٍ﴾: متعلقان به. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة: (عذاب)، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا».

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ أي: بلغه شيء من آياتنا، وعلم أنه منها، نحو قوله في الزقوم: إنه الزُّبد والتمر. وقوله في خزنة جهنم: إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدي. ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾: اتخذ الآيات، ولم يقل: اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى (شيء)؛ لأنه في معنى الآية، كقول أبي العتاهية الصوفي: [البسيط]

نفسي بشيءٍ مِنَ الدنيا معلقةٌ ... الله والقائمُ المهدي يَكْفِيها

حيث أراد عتبة جارية المهدي العباسي وكنّى عنها بشيء. ﴿هُزُوًا﴾: يقرأ بسكون الزاي والهمز، وبضم الزاي والهمز، وبضم الزاي بلا همز، وهو بجميع قراءاته مصدر: هزأ، يهزأ هزءاً من باب: فتح، ويأتي من باب: تعب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: شديد يهينهم لإهانتهم الحق باستئثارهم الباطل. هذا؛ وجمع اسم الإشارة العائد إلى: (كل أفاك) وهو مفرد لشموله كل الأفاكين.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿عَلِمَ﴾: فعل ماضٍ، والفاعل يعود إلى: ﴿أَفَّاكٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به. ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿أَفَّاكٍ﴾، و(ها): مفعول به أول. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُّهِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ لا محلّ لها؛ لأنها مستأنفة.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: من وراء ما هم فيه من التعزز في الدنيا، والتكبر عن الحق جهنم. هذا؛ و(الوراء) يأتي بمعنى: ما خلف الظهر، ويأتي بمعنى: قدام، وأمام، فهو من الأضداد، قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٧٩]: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي:

أمامهم وقال جلَّ شأنه في سورة (المؤمنون) رقم [١٠٠]: ﴿وَمِن وَرَآيِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقال عبيد بن الأبرص: [الطويل]

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتي أَدُبُّ مَعَ الوِلْدَانِ أَزْحَفُ كالنَّسْرِ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتي لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الأَصَابِعُ

أُخَبِّرُ أخْبَارَ القُرونِ التي مَضَتْ أَدُبُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ راكِعُ

المعنى: أليس أمامي، وقدامي. هذا؛ واللغة العربية غنية بالكلمات التي تعني الضدين، وتحتمل معنيين متقابلين منه ما رأيته من لفظ (وراء)، ومنها: الغابر في كثير من الآيات ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ فإنه يحتمل من الباقين ومن الهالكين، ومنها لفظ جلل للعظيم، والحقير، فمن الأول قول الحارث بن وعلة بن ذهل بن شيبان الذهلي ـ وهو الشاهد رقم [١٩٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الكامل]

فلَئِنْ عَفَوْتُ لأعفُوَنْ جَلَلاً وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأوهِنَنْ عظمي

ومن الثاني قول امرئ القيس لما قتل أبوه وهو الشاهد رقم [١٩٣] من كتابنا المذكور: [المتقارب]

بِقَتْلِ بَنِي أسدٍ رَبَّهُمْ ألا كُلُّ شيءٍ سِوَاهُ جَلَلْ

أي: هين، وحقير لا قيمة له. ومنه: الجوْن للأبيض، والأسود، والبيْن: للقرب والبعد، والصريم: لليل والنهار، وبهما فسر قوله تعالى في سورة (ن): ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ فمن قال: الصريم: الليل يكون المعنى: احترقت فاسودَّت. ومن قال النهار يكون المعنى: يبست، وذهبت خضرتها. والناصع: للأبيض، والأسود، والناهل: لِلرَّيَّان، والظمآن، والسليم: للديغ، والصحيح، وشعبت الشيء: أصلحته، وشققته، والصارخ: للمغيث، والمستغيث، والهاجد: للمصلي في الليل، والنائم، والوهدة: للانحدار، والارتفاع، والتعزيز: للإكرام، والإهانة، والتقريظ: للمدح، والذم، وتَرِب: للغني، والفقير، والإهماد: للسرعة في السير، والإقامة، وعسعس: إذا أقبل، وإذا أدبر، قال تعالى في سورة التكوير: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ والقرء: للحيض، والطهر.

ومنه قيل في قوله تعالى في سورة (طه) رقم [٦٢] وفي سورة (الأنبياء) رقم [٣]: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾: إن أسروا يحتمل أن يكون بمعنى: أظهروا، وأن يكون بمعنى: أَخْفَوْا، فهو من الأضداد، وأيضاً قوله تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ كما قيل به في قول امرئ القيس ـ وهو الشاهد رقم [٤٧٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وهو من معلقته رقم [٣٢] ـ: [الطويل]

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً عَلَيْهَا وَمَعْشَراً عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

﴿وَلَا يُغْنِي﴾: لا ينفع، ولا يدفع. ﴿عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أي: من الأموال، والأولاد. قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٠]: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾. ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لم تنفعهم الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله.

الإعراب: ﴿مِّن وَرَائِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَهَنَّمُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: واو الحال. (لا): نافية. ﴿يُغْنِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿عَنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ولا يغني عنهم الذي، أو شيء كسبوه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ولا يغني عنهم كسبهم. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول: ﴿يُغْنِي﴾. ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا﴾: معطوف على: ﴿مَّا كَسَبُوا﴾ فهو مثله إعراباً، وتأويلاً. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، وهو العائد، أو الرابط، والمفعول الأول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً»، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير، وهو أقوى وأولى من العطف على الجملة الاسمية. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب حال، وهو أقوى من الاستئناف.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ أي: القرآن، وكل ما جاء به النبي ﷺ هدى، ونور، وضياء للناس. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: جحدوا القرآن، وأنكروه، وقالوا: سحر، أو كهانة. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾: الرجز: هو العذاب الشديد، كما قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٥٩]: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿هُدًى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات): مضاف، و﴿رَبِّهِمۡ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر «**الذين**»، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿مِّن رِّجۡزٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَذَابٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾، ويقرأ بالجر على أنه صفة: ﴿رِّجۡزٍ﴾.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾: ذَلَّلَهُ لكم بأن جعله أملس السطح، يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب، ولا يمنع الغوص فيه على ضخامته، وعظمه. ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: لتسير السفن على سطحه بمشيئة الله، وإرادته، وقدرته. ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: ولتطلبوا من فضل الله تعالى بسبب التجارة والغوص في البحر على اللؤلؤ، والمرجان، وصيد الأسماك وغيرها. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: ولأجل أن تشكروا الله على ما أنعم به عليكم، وتفضل. قال القرطبي: ذكر الله كمال قدرته، وتمام نعمته على عباده، وبيّن: أنه خلق ما خلق لمنافعهم، وكل ذلك من فعله، وخلقه، وإحسان منه، وإنعام.

هذا؛ والفعل: شكر، يشكر يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له، والشكر: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله، ومن أسماء الله تعالى: الشكور، ومعناه هو الذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة، والشاكر يستحق المزيد من النعم، والجاحد يستوجب سلب النعم، والعقاب الشديد، قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [٧]: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾.

هذا؛ والفلك بضم الفاء، وسكون اللام، يطلق على المفرد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، فقد أفرد سبحانه وتعالى في هذه الآية، وذكَّر، وقال تعالى في سورة (البقرة) [١٦٤]: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأنَّث، ويحتمل الإفراد، والجمع، وقال جلَّ وعلا شأنه في سورة (يونس) رقم [٢٢]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ فجمع، وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى معنى المركب، فتذكر، وإلى معنى السفينة، فتؤنث، وقد ألغز فيها الشاعر؛ حيث قال: [الطويل]

مُكَسَّحَةٌ تَجْرِي ومكفوفَةٌ تَرى وفي بَطْنِها حمْلٌ عَلَى ظَهْرِها يَعْلُو
فإن عطِشَتْ عاشت وعاش جنينها وإن شَرِبَتْ مَاتَتْ وَفَارَقَها الحَمْلُ

ولا تنسَ أنَّ، أوَّل من اخترع السفينة ـ وهي الفلك ـ نوح، على نبينا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ومن تصميمها، وشكلها أخذت البشرية تصنع السفن، وتتطور جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في العصر الحاضر. هذا؛ وقد كانت السفن في الزمن الماضي تسير بواسطة الرياح، وأمَّا في أيامنا هذه، فإنها تسير بواسطة البخار، ففي الزمن الماضي كان البحارون يلقون العناء الشديد إذا اضطرب البحر، أو عاكست الرياح مسير السفينة، وقد عبَّر المتنبي عن ذلك بقوله ـ وهو جار مجرى المثل ـ: [البسيط]

مَا كُلُّ مَا يَتمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ تأتي الرياحُ بما لا تَشْتَهِي السُّفُنُ

هذا؛ والفلك بفتحتين: مدار النجوم الذي يضمها، وهو في كلام العرب كل شيء مستدير، وجمعه: أفلاك ويجمع على فلك أيضاً مثل: أسد، وأسد. وقيل: الفلك: السماء الذي فيه الكواكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر له أن يجري فيه. وقيل: الفلك: طاحونة كهيئة فلك المغزل، فهو الذي تجري فيه النجوم، وهو مستدير كاستدارة الرحى. وقيل غير ذلك. وقال أصحاب الهيئة: الأفلاك: أجرام صلبة، لا ثقيلة، ولا خفيفة، غير قابلة للخرق، والالتئام، والنمو، والذبول. والحق: أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلَّا بإخبار الصادق، فسبحان الخالق، المدبر لخلقه بالحكمة، والقدرة الباهرة غير المتناهية.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿سَخَّرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: مفعول به، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِتَجْرِىَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿ٱلْفُلْكُ﴾: فاعله، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْفُلْكُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾: معطوف على: ﴿لِتَجْرِىَ﴾، وهو مثله في الإعراب. ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ في محل رفع خبر: (لَعَلَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على التعليلين السابقين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾

الشرح: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم...﴾ إلخ: أي: وذلل لكم كل ما في هذا الكون من كواكب، وجبال، وبحار، وأنهار، ونبات، وأشجار، الجميع من فضله، وإحسانه، وامتنانه، من عنده وحده جلَّ وعلا، ولذا قال: ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ كقوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٥٣]: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾: الإشارة عائدة إلى ما ذكره الله في هاتين الآيتين، وسخره لبني آدم، وإذا تفكروا؛ اتعظوا، وإذا اتعظوا؛ آمنوا، وإذا آمنوا؛ عبدوا. والتفكر في صنع الله أعظم عبادة يقوم بها العبد. وقد ورد: لتفكر ساعة في صنع الله أفضل من عبادة ستين سنة. وورد: تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله، فإنه لا تحيط به الفكرة. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا عِبَادَةَ كالتفكر**»؛ لأنه المخصوص بالقلب، والمقصود من الخلق، وعنه ﷺ أنه قال: «**بينما رجلٌ مستلقٍ على فراشه؛ إذ رفع رأسَهُ، فنظر إلى السماءِ، والنجوم. فقال: أشهَدُ أنَّ لكِ رباً، وخالقاً، اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه، فغفر له**». هذا؛ والفكر: تصرف القلب في طلب الأشياء، وقال صاحب المفردات: الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلَّا فيما يمكن أن يكون له صورة في القلب. انتهى. والفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التآنس، والتجانس بين الأشياء كالزوجين. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

فائدة: يحكى: أنَّ طبيباً نصرانياً حاذقاً جاء للرشيد، فناظر علي بن الحسين الواقدي ذات يوم، فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أنَّ عيسى جزء من الله تعالى، وتلا قوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٤٥]: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ وقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١٧١]: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ فقرأ عليه الواقدي قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ وقال له: إذاً يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحانه! فانقطع النصراني، وأسلم. وفرح الرشيد فرحاً شديداً، وأعطى الواقدي صلة فاخرة.

الإعراب: ﴿وَسَخَّرَ﴾: الواو: حرف عطف. (سخر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِي﴾، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على سابقتها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فِي

﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من (ما)، أو توكيد له. قال الجلال: وهو ضعيف. ﴿مِّنۡهُۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿جَمِيعًا﴾، أو متعلقان بمحذوف حال من (ما)، التقدير: جميعاً كائناً منه تعالى، أو سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة. وقيل: متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي جميعاً منُّه، ويقرأ: (مِنَّةً) على أنه مفعول لأجله، وقرئ: (مَنُّهُ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ذلكَ منُّه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. (آيات): اسم: ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِّقَوۡمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (آيات)، وجملة: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم)، وجملة: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية لا محل لها.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾

الشرح: اختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلَت في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وذلك: أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر، يقال له: المُرَيْسيع، فأرسل عبد الله بن أُبي غلامه ليستقي الماء، فأبطأ عليه، فلما أتاه، قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر قعد على طرف البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ، وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه. فقال عبد الله الخبيث: ما مثلنا، ومثل هؤلاء، إلَّا كما قيل: سَمِّن كلبك يأكلك! فبلغ عمر ـ رضي الله عنه ـ قوله، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه ليقتله، فأنزل الله هذه الآية. فعلى هذا تكون الآية مدنية، كما ذكرته في مقدمة السورة الكريمة. وانظر ما أذكره في سورة (المنافقون) بشأن هذا الخبيث.

وقال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: إنَّ رجلاً من بني غفار ـ وفي القرطبي (من قريش) ـ شتم عمر بمكة، فَهَمَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ أن يبطش به، فنزلت بالغفر، والتجاوز، وعلى هذا تكون الآية مكية. قال ابن العربي: وهذا لم يصح.

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس أيضاً، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ رقم [٢٤٥] من سورة (البقرة) قال فنحاص اليهودي: احتاج رب محمد! فسمع ذلك عمر، فاشتمل سيفه، وخرج في طلبه، فبعث النبي ﷺ إليه فرده، ونزلت الآية الكريمة، فقرأها عليه، وعلى المؤمنين. وعلى ما تقدم ينبغي أن تعلم أنَّ الآية الكريمة إن كانت بمكة، فهي منسوخة بآية القتال، وإن كانت نزلت في المدينة، أو في غزوة بني المصطلق فليست منسوخة، بل هي محكمة. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

هذا؛ و﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾ وقائعه بأعدائه الكافرين من قولهم: أيام العرب وقائعهم، واستعمال الأيام بمعنى الوقائع مجاز مشهور، ومعنى: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: لا يرجون ثوابه. وقيل: المعنى: لا يخافون بأسه، ونقمه، وهو أولى هنا. ومثل الآية قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٢١]: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾ إلخ وهي لغة تهامة، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة عسَّال؛ أي: الذي يقطف عسل النحل: [الطويل]

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لم يَرْجُ لسعها وخالفها في بيتِ نوبٍ عواسِلُ

وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى: الخوف إلَّا مع الجحد؛ أي: النفي كقوله تعالى في سورة (نوح) على نبينا، وعليه ألف صلاة وسلام: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وقال بعضهم: بل يقع في كل موضع دلَّ عليه المعنى. وهو المعتمد. هذا؛ وأصل الرجاء: الأمل في الشيء، والطماعية فيه. قال الشاعر: [الوافر]

أترجو أُمَّةٌ قَتَلَتْ حُسَيْناً شفاعةَ جَدِّه يَوْمَ الحِسَابِ؟!

والرجاء يكون بمعنى: الأمل، قال خبيب بن عدي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

لعمرُكَ مَا أرْجُو إذَا كُنتُ مُسلِماً عَلَى أيِّ جَنْبٍ كانَ في الله مَصْرَعي

هذا؛ وقرئ (لنجزي) كما قرئ (ليجزى) بالبناء للمجهول، ونصب ﴿قَوْمًا﴾، ورفعه. وانظر الإعراب.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يَغْفِرُواْ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو جواب: ﴿قُل﴾، وتقدير الكلام: إن تقل لهم؛ يغفروا. قاله الأخفش، ورده قوم، قالوا: لأن قول الرسول لهم لا يوجب أن يغفروا، أو يتجاوزوا، أو يعفوا، وهذا عندي لا يبطل قول الأخفش؛ لأنه لم يرد أمر الكفار، بل المؤمنين الصادقين كما هو واضح، وإذا قال لهم الرسول ﷺ: اغفروا، وتجاوزوا؛ عن الكافرين غفروا وتجاوزوا؛ لأنهم مأمورون بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَنكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَنكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾.

والوجه الثاني: وحكي عن المبرد، وهو: أنَّ التقدير: قل لهم: اغفروا؛ يغفروا، فيغفروا المصرح به جواب اغفروا المحذوف. حكاه جماعة عنه، ولم يتعرضوا لإفساده، وهو فاسد لوجهين: أحدهما: أنَّ جواب الشرط يخالف الشرط، إما في الفعل، وإما في الفاعل، وإما فيهما، فأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطأ، كقولك: قم تقم، والتقدير على ما ذكر في هذا الوجه: إن يغفروا يغفروا. والوجه الثاني: أنَّ الأمر للمواجهة، ويغفروا على لفظ الغيبة، وهو خطأ؛ إذ كان الفاعل واحداً.

والوجه الثالث من الأوجه الأولى: أنه مجزوم بلام محذوفة، التقدير: ليغفروا، فهو أمر مستأنف، وجاز حذف اللام لدلالة ﴿قُل﴾ على الأمر. وهذه التوجيهات أخذتها من إعراب الآية رقم [٣١] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، بالمقايسة بين ما هنا وهناك فإن التعبير في الآيتين واحد، ولم يذكر أحد شيئاً في إعراب الآية هنا، وما هنا منقول عن أبي البقاء العكبري، ومكي بن أبي طالب القيسي مع الإشارة إلى ما ذكره ابن هشام في مغنيه، رحم الله الجميع رحمة واسعة، وشملنا معهم ببره وإحسانه، وفضله، وكرمه، وجوده!

هذا؛ و﴿يَغْفِرُواْ﴾ مجزوم على جميع الوجوه المذكورة، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، أو في محل نصب مقول القول على حسب الوجوه المعتبرة فيها، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَيَّامَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿لِيَجْزِىَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل تقديره: «هو»، أو نحن، وعلى قراءته بالبناء للمجهول ورفع (قوم) فهو نائب فاعله، وعلى قراءته بالنصب، فهو مفعول به، والجار والمجرور (بما) نائب فاعله، وهذا على مذهب الكوفيين الذين يجيزون إقامة غير المفعول مقام الفاعل مع وجود المفعول، واستدلوا بهذه القراءة وهي قراءة أبي جعفر، وهي ليست من السبعة. وقال الكسائي: معناه: ليجزي الجزاء قوماً، وهذا يعني: أنَّ نائب الفاعل مصدر الفعل المقدر. هذا؛ و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿قُل﴾. هذا؛ و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَكْسِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانُواْ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء كانوا يكسبونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم، والجار والمجرور متعلقان بالقول، أو بقول محذوف مقدّر دال عليه الأمر. هذا؛ والقوم هم المؤمنون، أو الكافرون، أو كلاهما فيكون التنكير للتعظيم، أو التحقير، أو التنويع. تأمل، وتدبر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: لما ذكر الله إجمالاً: أنَّ المرء يجزى بكسبه؛ بيَّن أن من كسب صالحاً، كالعفو عن المسيء؛ فإنه يثاب، وأنه هو المنتفع بكسبه، ومن كسب الإساءة؛ يعاقب، ويتضرر به. ثم بين: أنَّ ذلك النفع، والضرر إنما يكون يوم الرجوع إلى الله . انتهى. جمل نقلاً من زاده.

والجملة الشرطية مذكورة في سورة (فصلت) برقم [٤٦]. هذا؛ ولا تنسَ الطباق بين الجملتين الاسميتين المتعاطفتين.

الإعراب: ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾، تقديره: «هو». ﴿صَالِحًا﴾: صفة لمفعول به محذوف، أو لمفعول مطلق محذوف؛ إذ التقدير: عمل عملاً صالحاً. ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لنفسه): جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: فعمل لنفسه، أو هما متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فعمله لنفسه، وهو قول ابن هشام في المغني، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة سواء أكانت فعلية، أم اسمية: في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَنْ﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجَّح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَنْ﴾ اسماً موصولاً؛ فجملة: ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾ صلته، والجملة الثانية خبره، ودخلت الفاء في الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أعطيناهم، ومنحناهم. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة. ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الحكمة، وهي ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام والأخلاق. وقال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نَهَتْكَ عن قبيح فهي حكمة. وقيل: الحكم: الفهم في الكتاب. وقيل: الفصل في الحكومات؛ لأنهم كانوا ملوكاً. ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: الرسالة؛ إذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثر في غيرهم، والنبوة: ما يمنحه الله للأنبياء، والمرسلين من العلوم، والمعارف، والفيوضات الإلهية. مأخوذة من: النبأة، وهي الارتفاع، والظهور، أو من: النبأ، وهو الخبر؛ لأنَّ النبي يخبر عن ربه ما يوحي إليه من الشرائع، والأحكام. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: الحلالات من الأقوات والثمار والأطعمة؛ التي كانت في بلاد الشام. وقيل: يعني به: المنّ والسلوى في التيه. هذا؛ والطيبات: ما يستلذ من المباحات. وقيل: الحلال الصافي القوام، فالحلال: ما لا يعصى الله فيه، والصافي: ما لا ينسى الله فيه، والقوام: ما يمسك

النفس، ويحفظ العقل. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: على عالمي زمانهم كما رأيت في الآية رقم [٣٢] من سورة (الدخان).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾: انظر الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف). ﴿بَنِيٓ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: أمر النبي ﷺ، وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب، وينصره أهل يثرب. وقيل: بينات الأمر: شرائع واضحات في الحلال، والحرام، ومعجزات باهرات. ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ...﴾ إلخ: أي: اليهود، والنصارى، أو أرباب الكتب المتقدمة، اختلفوا في أمر الإسلام، فقال قوم: إنه حق، وقال قوم: إنه مخصوص بالعرب، ونفاه آخرون مطلقاً، أو اختلفوا في التوحيد، فثلثت النصارى، وقالت اليهود: عُزَيْرٌ ابن الله. وقيل: هم قوم موسى اختلفوا بعده. وقيل: هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: بعد ما علموا حقيقة الأمر، وتمكنوا من العلم بها؛ أي: بالحجج الدامغات، والآيات البينات.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً، وظلماً وطلباً للرياسة، وقتلوا الأنبياء، فكذا مشركو عصرك يا محمد قد جاءتهم البينات، ولكن أعرضوا عنها للمنافسة في الرياسة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ...﴾ إلخ: أي: يحكم، ويفصل بينهم، فيثيب الطائع، ويعاقب العاصي، فيدخل من آمن بمحمد ﷺ الجنة، ويدخل من كفر به، وجحد نبوته النار.

هذا؛ و(بين) ظرف مكان بمعنى: وسط بسكون السين، لا يدخل إلا بين متعدد لفظاً وحكماً، تقول: جلست بين القوم، كما تقول: جلست وسْط القوم. هذا؛ والبين: الفراق،

والبعاد، وهو أيضاً الوصل، فهو من الأضداد، كالجوْن يطلق على الأسود، والأبيض. ومن استعماله بمعنى: الوصل ما قرئ به في سورة (الأنعام) رقم [٩٤]: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ حيث قرئ برفعه. ومن استعماله بمعنى: الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ من قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ: ـ وهو الشاهد رقم [٨٠٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [البسيط]

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرفِ مَكْحُولُ

الإعراب: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾: الواو: حرف عطف. (آتيناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾؛ فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿جَآءَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعوله. ﴿ٱلْعِلْمُ﴾: فاعله و﴿مَا﴾ المصدرية والفعل الماضي في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿بَعْدِ﴾ إليه. ﴿بَغْيًۢا﴾: مفعول لأجله، وجوزت الحالية بمعنى: باغين، والأول أقوى. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿بَغْيًۢا﴾، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿يَقْضِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبَّكَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَقْضِى﴾ أيضاً، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في محل نصب خبر: ﴿كَانُوا۟﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (في).

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق. هذا؛ والشريعة في اللغة المذهب، والملة، ويقال لمشرعة الماء ـ وهي مورد

الشاربة ـ: شريعة، ومنه الشارع؛ لأنه طريق إلى المقصد، فالشريعة ما شرعه الله لعباده من الدين، والجمع: الشرائع. والشرائع في الدين: المذاهب؛ التي شرعها الله لخلقه. هذا؛ والشريعة في الأصل ما يرده الناس من المياه، والأنهار، فاستعير ذلك للدين، والعبادة؛ لأنَّ العباد يردون ما تحيا به نفوسهم من العلم، وأمور العبادة والدين. ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾: فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج الدامغة. ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: آراء الجهال التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش؛ حيث قالوا له: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

هذا؛ و﴿أَهۡوَآءَ﴾ جمع: هوىً يقصر، ويمد، والمراد: بالأول الحب، والعشق، والغرام، وهو أيضاً: محبة الإنسان للشيء، وغلبته على قلبه. قال تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٤٣]: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ...﴾ إلخ، وقد نهى الله عنه بقوله: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾، ومدح من يخافه ويخشاه بقوله: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ أي: نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله تعالى، ويراد بالممدود: ما بين السماء والأرض. وقد جاء الهوى بمعنى: العشق ممدوداً في الشعر، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وهَانَ عَلَى أسْمَاءَ إنْ شَطَّتِ النَّوى ... نَحِنُّ إلَيْهَا وَالهَوَاءُ يَتُوقُ

وإليك هذين البيتين فإنهما من النكت الحسان: [الكامل]

جُمِعَ الهوَاءُ مَعَ الهوى في مُهْجَتِي ... فَتَكَامَلَتْ في أَضْلُعِي نَارَانِ

فقصرْتُ بالممدود عَنْ نَيْلِ المنى ... وَمُددْتُ بالمَقْصُورِ في أكفَانِي

وقال أبو عبيدة ـ رحمه الله تعالى ـ: لم نجد الهوى يوضع إلَّا موضع الشر؛ لأنه لا يقال: فلان يهوى الخير، بل يقال: فلان يحب الخير، وجمعه: أهواء، وجمع الممدود: أهوية. وانظر الآية رقم [٢٣]. هذا؛ و﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ هنا من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عرفانٍ وظنٍّ تُهَمَهْ ... تَعْدِيَةٌ لواحدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ وخبر، وأيضاً فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأنَّ متعلقها الذوات، دون النسب، بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني، والنسب، وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً، فالمعنى: أنك عرفت ذاته، ولم ترد أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا؛ لم يتجاوز مفعولاً واحداً؛ لأنَّ المعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً، لم يكن المقصود: أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى: أنَّ العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. وقيل: حرف استئناف. ﴿جَعَلْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: متعلقان بشريعة. ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يرى جواز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (اتبعها): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، والتقدير على اعتبار الفاء الفصيحة، وإذا كان ما ذكر حاصلاً؛ فاتبعها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَتَّبِعْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَهْوَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعده صلته، والمفعول محذوف، التقدير: لا يعلمون الحق.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: إن اتبعت أهواءهم؛ لا يدفعون عنك من عذاب الله شيئاً. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: يعني: إنَّ الظالمين يتولى بعضهم بعضاً في الدنيا، ولا ولي لهم في الآخرة. ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ناصرهم في الدنيا، ووليهم في الآخرة، والمتقون: هم الذين اتقوا الشرك، والمعاصي. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يُغْنُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (لن) وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ). ﴿عَنكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ ابتدائية، أو تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسم (إنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف عطف. (الله): مبتدأ.

﴿وَلِيُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآن. ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: جمع بصيرة، وهي الدلالة الواضحة، فيهتدى بها، فأطلق على القرآن لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب، والبصيرة للنفس كالبصر للبدن، سميت بها الدلالة؛ لأنها تجلي لها الحق، وتبصرها به. وقال النسفي: جعل ما فيه من معالم الدين، والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعل روحاً، وحياةً. ﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: من العذاب. ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: لمن آمن، وأيقن بالبعث.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَصَٰٓئِرُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَصَٰٓئِرُ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَهُدًى﴾: معطوف على: ﴿بَصَٰٓئِرُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوفة على ما قبله. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بـ: (رحمةٌ)، أو بمحذوف صفة لها، وجملة: ﴿يُوقِنُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾: أم ظن وأمل. ﴿ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: اكتسبوا الكفر، والمعاصي. والاجتراح: الاكتساب، والجوارح من الطيور: الكواسب. وفلان جارحة أهله: أي: كاسبهم. ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾: أن نصيرهم. ﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ إلخ: المعنى: إنكار أن يستوي المسيئون، والمحسنون محياً، وأن يستووا مماتاً، لافتراق أحوالهم أحياء؛ حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة، وأولئك على اليأس من الرحمة، والندامة. وقيل: معناه: إنكار أن يستووا في الممات، كما استووا في الحياة في الرزق، والصحة.

وعن تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام، فبلغ هذه الآية، فجعل يبكي، ويرددها إلى الصباح. وعن الفضيل أنه بلغها، فجعل يرددها، ويبكي، ويقول: يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت؟ وعن الربيع بن خثيم: أنه قام يصلي ذات ليلة، فمرَّ بهذه الآية فمكث ليله حتى أصبح لم يعدها ببكاء شديد. وكانت هذه الآية تسمى مبكاة

العابدين؛ لأنها محكمة. هذا؛ ومثل هذه الآية في الإنكار على الكافرين الزاعمين التسوية بين الصالح والطالح، والنافع، والضار، قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [٢٨]: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾، وقوله تعالى في سورة (ن): ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل»، أو بمعنى: همزة الإنكار. وقيل: منقطعة بمعنى: الهمزة، وبل. ﴿حَسِبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿ٱجْتَرَحُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿نَّجْعَلَهُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره نحن، والهاء مفعول به أول. ﴿كَٱلَّذِينَ﴾: الكاف: في محل نصب مفعول به ثان، وهي مضاف، و(الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي حسب. (عملوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿سَوَآءً﴾: حال من مفعولي: (نجعل). ﴿مَّحْيَاهُمْ﴾: فاعل بـ: ﴿سَوَآءً﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾: معطوف على ما قبله. هذا؛ وقرئ برفع: (سواءٌ) على أنه خبر مقدم، و﴿مَّحْيَاهُمْ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب بدلاً من الكاف بدل اشتمال، أو بدل كل من كل. ﴿سَآءَ﴾: ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر فيه مفسر بما بعده. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز، وجملة: ﴿يَحْكُمُونَ﴾ في محل نصب صفة: ﴿مَا﴾، والتقدير: ساء الشيء شيئاً محكوماً به. ورابط هذه الصفة محذوف، التقدير: يحكمونه، والمخصوص بالذم محذوف أيضاً التقدير: هو حكمهم. هذا؛ وأجاز أبو البقاء اعتبار الفعل ﴿سَآءَ﴾ متصرفاً من الإساءة، وله مفعول محذوف، كما أجاز اعتبار ﴿مَا﴾ موصولة، وموصوفة، ومصدرية فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ساء الذي، أو شيء يحكمونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم حكمهم، والجملة الفعلية: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: قال البيضاوي: كأنه دليل على الحكم السابق من حيث إنَّ خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم، والتفاوت بين المحسن، والمسيء، وإذا لم يكن ذلك في المحيا؛ كان بعد الممات. ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: بنقص ثواب المحسن، وزيادة عقاب المسيء. وقال الخازن: ومعنى الآية: أنَّ المقصود من خلق هذا العالم إظهار العدل، والرحمة، وذلك لا يتم إلَّا في القيامة؛ ليحصل التفاوت بين المحقين، والمبطلين في الدرجات والدركات.

هذا؛ و(الحق) ضد الباطل. قال الراغب: أصل الحق المطابقة، والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حُقِّه لدورانه على الاستقامة. والحق يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحق. وللموجود بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك يقال: فعل الله كله حق، نحو الموت، والحساب... إلخ، وللاعتقاد في الشيء المطابق ما عليه ذلك الشيء في نفسه، نحو اعتقاد زيد في الجنة حق. وللفعل، والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب، نحو قولك حق، وفعلك حق. ويقال: أحققت ذا؛ أي: أثبته حقاً، أو حكمت بكونه حقاً. انتهى. بغدادي.

الإعراب: ﴿وَخَلَقَ﴾: الواو: حرف عطف. (خلق): فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو المفعول. ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (لتجزى): فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿كُلُّ﴾: نائب فاعل، وهو مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾ مضاف إليه، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على علة مقدرة؛ إذ التقدير: خلق السموات والأرض بالحق؛ ليدل على قدرته، ووحدانيته. ولتجزى... إلخ. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل: (تجزى)، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء كسبته، وعلى اعتبار «ما» مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء،

التقدير: بكسبها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، والرابط: الواو، والضمير. وجمع الضمير؛ لأن معنى ﴿كُلُّ﴾ الجمع، والتعميم.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه؛ رمى به، وعبد الآخر، وهذا ذكره السيوطي في أسباب النزول. وقيل: المعنى: أفرأيت من ينقاد لهواه، ومعبوده تعجيباً لذوي العقول من هذا الجهل. أو المعنى: أخبرني يا محمد عن حال من ترك عبادة الله، وعبد هواه.

وقال الشعبي: إنما سمي الهوى هوىً؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى النار. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما ذكر الله هوى في القرآن إلَّا ذمّه، وذكر آيات كثيرة. وقال عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكونَ هواهُ تبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**». وقال أبو أمامة ـ رضي الله عنه ـ: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما عُبِدَ تحتَ السماءِ إلهٌ أبْغَضُ إلى الله مِنَ الهَوَى**». وقال شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالفَاجِرُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وتمنَّى على الله**». وقال النبي ﷺ: «**إذا رَأَيْتَ شحّاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرةً، وإعجابَ كلِّ ذِي رأيٍ برأيهِ؛ فعلَيْكَ بِخاصَّةِ نَفْسِكَ، ودَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ**». من حديث طويل أخرجه ابن ماجه، والترمذي عن أبي أمية الشيباني، عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. وقال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ من حديث طويل عن النبي ﷺ: «**وَثلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شحٌّ مطاعٌ، وهوىً متَّبَعٌ، وإعجابُ المَرْءِ بِنفسِهِ**». رواه البيهقي، وغيره، وقال الأصمعي سمعت رجلاً يقول: [الكامل]

إنَّ الهوانَ هُوَ الهَوى قُلِبَ اسمُهُ ... فإذَا هَوِيتَ فقدْ لَقِيتَ هَوَانَا

وسئل ابن المقفع عن الهوى، فقال: هوان سرقت نونه، فأخذه شاعر فنظمه فقال: [الكامل]

نونُ الهوانِ مِنَ الهوى مسروقةٌ ... فإذا هَوِيتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا

ولابن دريد قوله: [الطويل]

إذَا طـالَـبَـتْـكَ الـنَّـفْـسُ يَـوْمَـاً بِـشَـهْـوَةٍ وكَـانَ إلَـيـهَـا لِـلْـخِـلافِ طَـرِيـقُ
فَـدَعْـهَـا وخَـالِـفْ مـا هَـوِيـتَ فـإنَّـمَـا هَـواكَ عَـدُوٌّ، والـخِـلافُ صَـدِيـقُ

ولأبي عبيد الطُّوسي قوله: [الرجز]

والـنَّـفْـسُ إنْ أعْـطَـيْـتَـهـا مُـنَـاهَـا فَـاغِـرَةٌ نَـحْـوَ هَـوَاهَـا فَـاهَـا

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ: هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك. وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى، ومخالفته كتب، وأبواب أشرنا إلى ما فيه كفاية منه، وحسبك بقوله تعالى في سورة (النازعات) الآيتان رقم [٤٠ و٤١]: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾. انتهى. قرطبي بتصرف. وانظر الآية رقم [١٨].

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علم قد علمه منه. وقيل: أضله عن الثواب على علم منه: أنه لا يستحقه. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: على علم قد سبق عنده تعالى أنه سيضل. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ أي: طبع على سمعه، حتى لا يسمع الوعظ، وطبع على قلبه، حتى لا يفقه الهدى. ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ أي: غطاء؛ حتى لا يبصر الرشد. ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يهديه أحد بعد أن أضله الله. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون، وتعرفون: أنه قادر على ما يشاء.

وهذه الآية ترد على القدرية، والمعتزلة، والإماميَّة، ومن لف لفهم، وسلك طريقتهم في الاعتقاد؛ إذ هي مصرحة بمنعهم من الهداية. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الكهف) رقم [١٧]: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾. قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت الآية في أبي جهل، وذلك: أنه طاف في البيت ذات ليلة، ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي ﷺ، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه لصادق! فقال له الوليد: مَهْ، وما دلك على ذلك؟ قال: يا أبا عبد شمس! كنا نسميه في صباه الصادق الأمين، فلما تمَّ عقله، وكمل رشده، نسميه الكذاب الخائن؟! والله إني لأعلم أنه لصادق! قال: فما يمنعك أن تصدقه، وتؤمن به؟! قال: تتحدث عني بنات قريش: أني قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة، واللات، والعزى إن اتبعته أبداً، فنزلت: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾. انتهى. قرطبي بتصرف. وقيل: نزلت في غير أبي جهل. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: أراها زائدة. (رأيت): فعل، وفاعل. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، يقدر بعد الجمل الأربع المتعاطفة: «أيهتدي». وقال الجمل: ودعوى الحذف غير لازمة؛ إذ لا مانع من جعل كلمة: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ هي المفعول الثاني. ﴿ٱتَّخَذَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَنِ﴾. ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾: مفعول به أول. ﴿هَوَىٰهُ﴾: مفعول به ثان منصوب،

وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾: ماض، ومفعول، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول. ﴿وَخَتَمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ معطوفة على جملة الصلة أيضاً لا محل لها مثلها. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف على اعتبار المفعول الثاني لـ: (رأيت) محذوفاً، وصلة على اعتبار الجملة الاسمية الآتية مفعولاً ثانياً. (مَنْ): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَهْدِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل نصب مفعول به ثان حسبما رأيت. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، وقرئ: (تتذكرون).

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كفار قريش، وهو قول الكفار، والملحدين في كل زمان، ومكان. ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: هذا إنكار منهم للآخرة، وتكذيب للبعث، وإبطال للجزاء والحساب. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نموت نحن، وتحيا أولادنا. أو المعنى: يموت بعضنا، ويحيا بعضنا. أو يصيبنا الموت، والحياة في الحياة الدنيا، وليس وراء ذلك حياة. أو أرادوا: أنكون أمواتاً نطفاً، وما قبلها، ونحيا بعد ذلك؟! ويحتمل أنهم أرادوا به تناسخ الأرواح، فإنه أكثر عقيدة الوثنيين، وفي مغني اللبيب: ليست الواو لمطلق الجمع، ولا للترتيب، بل هو عكس الترتيب في هذه الآية، ولو كانت للترتيب؛ لكان اعترافاً بالحياة بعد الموت، وهم لا يعترفون بالآخرة قطعاً. هذا؛ وقيل: فيه تقديم، وتأخير؛ أي: نحيا، ونموت. وهي قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. انتهى. قرطبي. هذا؛ ولا تنس الطباق بين ﴿نَمُوتُ﴾ و(نحيا).

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: مرور الزمان، وتوالي الأيام، وتقلب الليل، والنهار. ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: لم يقولوا ذلك عن علم علموه، وما يقولونه عن حق ويقين، ولكن عن ظنٍّ وتخمين. وانظر الآية رقم [٢٠] من سورة (الزخرف). هذا؛ وقال السيوطي في أسباب النزول: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله الآية الكريمة.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ـ عزَّ وجل ـ: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ**». وفي رواية: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، ويقولُ: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ! فَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِني أَنَا الدَّهْرُ بيدي الليلُ والنهارُ**». وهذه الأحاديث مروية في البخاري وغيره من كتب الأحاديث. ومعنى هذه الأحاديث: أنَّ العرب كان من شأنها ذم الدهر، وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إلى الدهر ما يصيبهم من المصائب، والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، كما أخبر الله ـ عزَّ وجل ـ عنهم بقوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، وسبوا فاعلها، كان مرجع سبهم إلى الدهر، فنُهُوا عن سب الدهر. وقيل لهم: لا تسبوا فاعل ذلك، فإنه هو الله عزَّ وجل، والدهر متصرَّف فيه، يقع به التأثير، كما يقع بكم، والله أعلم. انتهى. خازن.

هذا؛ وكثيراً ما نسمع في أيامنا هذه من يلعن، ويسب الساعة، واليوم الذي رأى فيه فلاناً، أو باع، أو اشترى كذا، أو عامل فيه فلاناً، أو الساعة التي جرى فيها قرانه بزوجته، وهي بزوجها ليبوؤوا بغضب الله، وسخطه، وقد يكونون من المصلين الصائمين، ولا حول، ولا قوة إلَّا بالله! ولقد أحسن أبو علي الثقفي ـ رحمه الله تعالى ـ إذ يقول: [السريع]

يا عَاتِبَ الدَّهْرِ إِذَا نَابَهُ ... لا تَلُمِ الدَّهْرَ عَلَى غَدْرِهِ
الدهرُ مأمورٌ، لَهُ آمرٌ ... وينْتَهِي الدهرُ إلى أمرِهِ
كَمْ كافرٍ أموالُهُ جَمَّةٌ ... تزدادُ أضعافاً على كفرِهِ
ومؤمِنٍ لَيْسَ لَهُ دِرْهَمٌ ... يزدادُ إيماناً على فقْرِهِ

وروي: أنَّ سالم بن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ كان كثيراً ما يذكر الدهر، فزجره أبوه، وقال: إياك يا بني وذكر الدهر، وأنشد: [الطويل]

فما الدهرُ بالجانِي لشيءٍ لحينِهِ ... ولا جالِبِ البَلْوَى فَلا تَشْتُمِ الدهْرا
ولكنْ مَتَى ما يَبْعَثِ اللهُ بَاعِثاً ... عَلَى مَعْشَرٍ يَجْعَلْ مياسيرَهُمْ عُسْرا

هذا؛ والدهر: هو الزمان قلَّ، أو كثر، ولكن قال بعضهم: إطلاقه على الزمن القليل مجاز، واتساع، ويطلق على الأبد، ويقع على مدة الدنيا كلها، وجمعه: دهور، ودهر الإنسان: الزمن الذي يعيش فيه، والدُّهريُّ بضم الدال: المسن، وبالفتح الملحد؛ الذي لا يعتقد بوجود الخالق، جلَّ وعلا.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: الواو: حرف استئناف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿حَيَاتُنَا﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في

محل نصب مقول القول. ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾: صفة: ﴿حَيَاتُنَا﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿نَمُوتُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الضمير فقط، وجملة: ﴿وَنَحۡيَا﴾: معطوفة عليها، وهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يُهۡلِكُنَآ﴾: فعل مضارع، و(نا): مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلدَّهۡرُۚ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محلّ نصب حال مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما) نافية. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بِذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عِلۡمٍۖ﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿مِنۡ﴾: حرف جر صلة. ﴿عِلۡمٍۖ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي. ﴿هُمۡ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، وجملة: ﴿يَظُنُّونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: آيات القرآن يقرؤها محمد ﷺ على كفار قريش. ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾: واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم من إنكار البعث، والحساب، والجزاء. ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ﴾ أي: ما كان لهم متشبثاً يعارضون، ويحتجون به. ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أي: أحيوهم، وأعيدوهم إلى هذه الدنيا ليشهدوا لنا بصحة البعث، والحساب، والجزاء بعد الموت. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إن هناك حساباً، وجزاءً بعد الموت، فائتوا بآبائنا.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: لِمَ سمي قولهم حجة، وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلَوْا به كما يُدلي المحتج بحجته، وساقوه مساقها، فسميت حجة على سبيل التهكم، أو لأنه في حسبانهم، وتقديرهم حجة، أو لأنه في أسلوب قول عمرو بن معدي كرب: [الوافر]

وخَيلٍ قدْ دلفْتُ لها بِخَيلٍ تَحِيَّةُ بَينِهِمْ ضَرْبٌ وجيعُ

يقول: إذا تلاقوا في الحرب جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿تُتۡلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان

بما قبلهما. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال من: ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿حُجَّتَهُمْ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والفعل: ﴿قَالُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. هذا؛ ويقرأ برفع: (حُجَّتُهُمْ) على أنه اسم ﴿كَانَ﴾، والمصدر المؤول في محل نصب خبرها. ﴿ٱئْتُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص، مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿مَّا كَانَ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: هذه الآية رد وجواب لقولهم: ﴿ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. قلت: لما أنكروا البعث، وكذبوا الرسل، وحسبوا: أن ما قالوه قول مُبكّت؛ ألزموا ما هم مقرّون به من أن الله عز وجل هو الذي يحييهم، ثم يميتهم، وضُمّ إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به؛ إن أنصفوا، وأصغوا إلى داعي الحق، وهو جمعهم إلى يوم القيامة، ومن كان قادراً على ذلك، كان قادراً على الإتيان بآبائهم، وكان أهون شيء عليه.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه. وانظر شرح (الريب) في الآية رقم [١٤] من سورة (الشورى) ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لقلة تفكرهم، وقصور نظرهم على ما يحسبونه. وانظر الآية رقم [٣٩] من سورة (الدخان)، فالبحث فيها جيد. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٨]: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولا تنس الطباق بين ﴿فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾، وبين ﴿يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾.

هذا؛ و﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في مغني اللبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق (رُبَّ) و(لا) العاملة عمل «ليس» فيقال؛ ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، ولاتَ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح، وثم

هذه غير (ثَمَّ) بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، كما في قوله تعالى في سورة (الشعراء): ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ.

الإعراب: ﴿قُلِ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يُحْيِيكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وجملتا ﴿يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ معطوفتان على ما قبلهما، فهما في محل رفع مثلها. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿رَيْبَ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . .إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها وقيل: في محل نصب حال، وهو ضعيف.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تعميم للقدرة بعد تخصيصها. واللام مفيدة للملك الحقيقي، الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: انظر الآية رقم [٦١] من سورة (الزخرف). ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: التنوين ينوب فيه عن جملة محذوفة، دلّت عليها الغاية؛ أي: يوم تقوم الساعة، و(إذ) مضافة لهذه الجملة، فحذفت الجملة الفعلية، وعوِّض عنها التنوين، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين، كما كسرت الهاء في: صهٍ، ومهٍ عند تنوينهما. ومثل ذلك قل في: حينئذٍ، وساعتئذٍ، ونحوهما. ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: الكافرون، والملحدون، والمجرمون في كل زمان، ومكان. وانظر هذا الخسران في الآية رقم [٤٥] من سورة (الشورى). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾؛ معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿يَخْسَرُ﴾ بعده، وعليه فـ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل منه، والتنوين عوض عن جملة مقدرة كما

رأيت في الشرح، وعليه فالبدل بدل توكيدي. هذا؛ ويجوز أن يعلق (يوم) بفعل محذوف، تقديره: اذكر. قالوا: لأنَّ يوم القيامة حالة ثالثة ليست بالسماء، والأرض؛ لأنهما يتبدلان، فكأنه قيل: ولله ملك السموات والأرض، وملك يوم تقوم الساعة، ويكون ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ متعلقاً بالفعل: ﴿يَخۡسَرُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة من حيث اللفظ، وإن كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى. انتهى. بتصرف كبير من الجمل نقلاً عن السمين. هذا؛ وجملة: ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ في محل جر بإضافة (يوم) إليها.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾

الشرح: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ﴾ أي: باركة على الرُّكَبِ، وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء. قال سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: إن في يوم القيامة ساعة، هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب؛ حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه: لا أسألك إلا نفسي. هذا؛ وفسر: ﴿جَاثِيَةٗۚ﴾ بخاضعة وذليلة ومجتمعة، ومتميزة، أقوال، وفي سورة (مريم) رقم [٧٢]: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ انظر شرحها هناك، فإنه جيد. هذا؛ والخطاب للنبي ﷺ، ويعمّ كل من تتأتى منه الرؤية. هذا؛ والجثو: الجلوس على الركب، يقال: جثا على ركبتيه، يجثو، ويجثى جثواً، وجثياً على وزن فعول فيهما. ومن قول النبي ﷺ: «**أنَا أولُ مَنْ يجثو للخصومة بين يدي الله تعالى يوم القيامة**». و«صار فلان جثوة من تراب». أي: كومة من تراب، قال طرفة بن العبد في معلقته رقم [٧٠]. [الطويل]

تَرى جُثْوتينِ مِنْ ترابٍ عَلَيْهِما صفَائِحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنَضَّدِ

﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: قال يحيى بن سلام: إلى حسابها. وقيل: إلى كتابها؛ الذي سجلت فيه الملائكة أعمالها من خير، أو شر. وقيل: كتابها المنزل عليها لينظر هل عملوا بما فيه؟ هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٧١]: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ...﴾ إلخ. ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: يقول الله لهم. أو هو من مقول الملائكة لهم. هذا؛ وانظر شرح: ﴿أُمَّةٖ﴾ في الآية رقم [٨] من سورة (الشورى)، وشرح ﴿تَرَى﴾ في الآية رقم [٢٢] منها.

الإعراب: ﴿وَتَرَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقدير أنت. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أُمَّةٖ﴾ مضاف إليه. ﴿جَاثِيَةٗۚ﴾: مفعول به ثان، أو حال من: ﴿كُلَّ أُمَّةٖ﴾ لتخصيصه بالإضافة. وقيل: صفة، وجملة: ﴿وَتَرَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿أُمَّةٖ﴾ مضاف إليه. ﴿تُدۡعَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿كُلُّ

﴿أُمَّةٍ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ ويقرأ بنصب: ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ على أنه بدل مما قبله، وعليه فجملة: ﴿تُدْعَىٰ﴾ يجوز فيها ما جاز بـ: ﴿جَاثِيَةً﴾. ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده. ﴿تُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع، مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، والجملة الفعلية في محل نصب خبره، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو مفعول ﴿تَعْمَلُونَ﴾، والجملة الفعلية: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقال لهم. . .إلخ، وهذه الجملة مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾: يشهد عليكم بما عملتم بالحق بلا زيادة، ولا نقصان. وهذا يحتمل أن يكون من قول الله تعالى للمبطلين يوم القيامة، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة لهم. والأول أقوى. ولفظ ﴿يَنطِقُ﴾ استعارة تصريحية بالفعل، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة؛ لأنَّ شهادة الكتاب ببيانه أقوى من شهادة الإنسان بلسانه. وفي سورة (المؤمنون) رقم [٦٢] قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. وقيل: إنهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا، فكأنه ينطق عليهم، دليله قوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [١٤]: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ لذا يقولون ما حكى الله عنهم في سورة (الكهف) رقم [٤٩]: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف أضيف الكتاب إليهم، وإلى الله عزَّ وجل؟ قلت: الإضافة تكون للملابسة، وقد لابسهم، ولابسه، أما ملابسته إياهم؛ فلأن أعمالهم مثبتة فيه، وأما ملابسته إياه؛ فلأنه مالكه، والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ...﴾ إلخ: أي: نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.

قال علي ـ كرّم الله وجهه ـ: إن لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن الله وكَّلَ ملائكة مطهرين، فينسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم، فيعارضون حفظة الله على العبَّاد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقاً لما في كتابهم الذي استنسخوه من ذلك الكتاب، لا زيادة فيه، ولا نقصان. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: وهل يكون النسخ إلَّا

من كتاب؟ وقال الحسن البصري: نستنسخ ما كتبته الحفظة على بني آدم؛ لأنَّ الحفظة ترفع إلى الخزنة صحائف الأعمال. انتهى. قرطبي بتصرف. ولا تنسَ: أنَّ معنى الفعل: نثبت، ونحفظ.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿كِتَٰبُنَا﴾: خبر المبتدأ. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿يَنطِقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿كِتَٰبُنَا﴾. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿يَنطِقُ﴾ المستتر، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿كِتَٰبُنَا﴾، والعامل في الحال اسم الإشارة؛ لما فيه من معنى الفعل. هذا؛ ويجوز أن تكون الجملة في محل رفع خبر ثان، وأن يكون ﴿كِتَٰبُنَا﴾ بدلاً من اسم الإشارة، وجملة: ﴿يَنطِقُ...﴾ إلخ خبراً وحده. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. أقول: والأول أقوى، دليله قوله تعالى حكاية عن قول سارة: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾.

﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿نَسْتَنسِخُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل نصب خبر «**كان**»، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل لما قبلها. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً كنتم تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: نستنسخ عملكم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبره.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ: هذا تفصيل للمجمل المفهوم من قوله تعالى: ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾. ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الأعمال الصالحات، وهو احتراس بأن الإيمان بدون عمل صالح قد لا يجدي، ولا يغني صاحبه شيئاً، وقد ذكرته مراراً. وانظر العكس في سورة (غافر) رقم [٤٠]. ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ﴾: انظر الآية [٧٠] من سورة (الزخرف). ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: التي من جملتها الجنة، وهو قول البيضاوي، وفسرها الزمخشري، والقرطبي بالجنة نفسها، وهذه الجملة مقولة لمحذوف. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الدخول في رحمة الله . ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: النجاح العظيم، والربح الكبير؛ لخلوصه من المتاعب، والأكدار، والهموم، والأحزان. هذا؛ وفي

قوله: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ مجاز مرسل، علاقته الحالية؛ أي: جنته؛ لأنَّ الرحمة لا يحل فيها الإنسان؛ لأنها معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانها، فاستعمال الرحمة مجاز أطلق فيه الحال، وأريد المحل.

الإعراب: ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (أما): أداة شرط، وتفصيل، وتوكيد. أما كونها أداة شرط؛ فلأنها قائمة مقام الشرط وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يك من شيء فأما الذين... إلخ، فأنيبت (أمَّا) مناب: «مهما يك من شيء» فصار: أما الذين آمنوا... إلخ، وأما كونها أداة تفصيل؛ فلأنها في الغالب مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله، ويعلم ذلك من تتبع مواقعها، وأما كونها أداة توكيد، فلأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة؛ لأنها علقته على أمر متيقن.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محلَّ لها. ﴿الصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿فَيُدْخِلُهُمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب (أما). (يدخلهم): مضارع، والهاء مفعول به. ﴿رَبُّهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِي رَحْمَتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (يدخلهم...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها مستأنفة، ومفرعة عما قبلها، لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿الْفَوْزُ﴾: خبره. ﴿الْمُبِينُ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً ف: ﴿الْفَوْزُ﴾ خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾، وعلى الوجهين فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: معطوف على ما قبله، فهو من باب المقابلة بين الفريقين: فريق الإيمان والمؤمنين، وفريق الكفر والكافرين. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٤] من سورة (الزخرف) وإنك لتجد مثل هذه المقابلة، وبنصها في سورة (آل عمران) رقم [٥٦] و[٥٧] وفي سورة (النساء) رقم [١٧٣]. ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى...﴾ إلخ: أي: فيقال لهم: ألم تأتكم رسلي، فلم تكن آياتي تتلى عليكم، فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاءً بالمقصود، واستغناءً بالقرينة. انتهى. بيضاوي وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥١] من سورة (الزخرف) في شرح: (أفلا). ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: عن الإيمان بالله، ورسوله، وآياته. ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كافرين، منكرين،

عادتكم الإجرام. وانظر التعبير عن الكافرين بالمجرمين في الآية رقم [٧٤] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: انظر الآية السابقة فالإعراب لا يتغير. ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. الفاء: حرف عطف على محذوف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُنْ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم). ﴿ءَايَٰتِى﴾: اسم ﴿تَكُنْ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿تُتْلَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿ءَايَٰتِى﴾، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿تَكُنْ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: (لم تكن...) إلخ معطوفة على جملة محذوفة مع القول المحذوف. انظر الشرح. وجملة: «يقال لهم...» إلخ المقدرة في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والجملة الاسمية هذه معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (استكبرتم): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها. ﴿وَكُنتُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (كنتم): فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾، وهي صفة موطئة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بالبعث، والحساب، والجزاء يوم القيامة. ﴿حَقٌّ﴾: ثابت وواقع لا محالة. ﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لا شك في وقوع الساعة؛ أي: يوم القيامة. ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: أي شيء الساعة؟! استغراباً لها. والمعنى: أنكرتم وجودها، ووقوعها، والخطاب لكفار قريش كما هو ظاهر. ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: لا نعلم ذلك إلَّا حدساً، وتوهماً. ومعناه: إثبات الظن فحسب، فأدخل حرف النفي، والاستثناء؛ ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزيد نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أي: بمتحققين، ومتأكدين؛ أي: من إمكانه، ووقوعه. ولعل ذلك قول بعضهم، تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم، وما تليت عليهم من الآيات في أمر الساعة، فكانوا في شك، وريب، وحيرة فما كانوا ليهتدوا سبيلاً. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و﴿قِيلَ﴾: أصله: قُوِل بضم القاف، وكسر الواو، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها، بعد سلب حركتها فصار: (قِوْل) بكسر القاف، وسكون الواو، ثم قلبت الواو ياءً؛ لوقوعها ساكنة بعد كسرة، فصار ﴿قِيلَ﴾.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل رفع نائب فاعل: ﴿قِيلَ﴾. أفاده ابن هشام في مغنيه، وهذا يكون جارياً على القاعدة العامة: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه، وقد ذكرت لك فيما مضى مراراً: أنَّ بعضهم يعتبر نائب الفاعل ضميراً مستتراً، تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف، يدلُّ عليه المقام؛ أي: وقيل قول، وبعضهم يعتبر الجار والمجرور (لهم) المقدر هنا، والمذكور في غير هذه الآية في محل رفع نائب فاعل، والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني حيث قال: إنَّ الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات؛ ولهذا تقع مبتدأ، نحو «**لا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله كنزٌ من كنوزِ الجنةِ**». ونحو: «زَعَمُوا مَطِيَّةُ الكذبِ»، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿وَالسَّاعَةُ﴾: الواو: حرف عطف. (الساعة): يقرأ بالنصب عطفاً على: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾، ويقرأ بالرفع، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: الابتداء، وما بعدها من الجملة المنفية خبرها. الثاني: العطف على محل اسم ﴿إِنَّ﴾؛ لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء. الثالث: أنه عطف على محل ﴿إِنَّ﴾ واسمها معاً؛ لأن بعضهم كالفارسي، والزمخشري يرون: أن لـ: ﴿إِنَّ﴾ واسمها موضعاً، وهو الرفع بالابتداء. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٢٦] وهي في محل رفع خبر (الساعة) على رفعها، ويكون العطف عطف جملة اسمية على مثلها، وهي معطوفة على كلمة: ﴿حَقٌّ﴾ على نصب «الساعة»، على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿قُلْتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له. وقيل: معطوف على ما قبله؛ لأنه من جملة ما يقال لهم، ولا بأس به. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿نَدْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو خبر مقدم. ﴿السَّاعَةُ﴾: خبر المبتدأ، أو مبتدأ مؤخر. والجملة الاسمية في محل نصب سدّت مسدّ مفعولي: ﴿نَدْرِي﴾، والجملة الفعلية هذه في محل نصب مقول القول.

﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿نَّظُنُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ظَنًّا﴾: مفعول مطلق، قال الفارسي، التقدير: إن نحن إلَّا نظن ظناً؛ لأن الاستثناء المفرغ لا يكون في المفعول المطلق التوكيدي، لعدم الفائدة فيه، قال ابن هشام في الرد عليه: وأجيب بأن المصدر في الآية نوعي، على حذف الصفة؛ أي: إلَّا ظناً ضعيفاً. انظر الشاهد رقم [٥٤٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا؛ وعلى تقدير الفارسي؛ فالجملة

الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، رأيت تقديره. وعلى كل فالجملة في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مستيقنين): خبر (ما)، مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿نَّظُنُّ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَدَا لَهُمْ...﴾ إلخ: أي: وظهر للكافرين، والمجرمين، والفاسدين المفسدين في ذلك اليوم العظيم شأنه، الطويل زمانه، القريب أوانه ـ وهو يوم القيامة ـ مساوئ أعمالهم من الشرك، والظلم، والطغيان، والإفساد، والفساد، والاعتداء على حقوق العباد، أو ظهر لهم عقاب ما ذكر، وجزاؤه؛ حيث عاينوه بأعينهم. ﴿وَحَاقَ بِهِم...﴾ إلخ: أي: أحاط بهم العذاب، ونزل بهم من كل الجهات جزاء ما كانوا به يستهزئون. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع، والمبالغة في التهديد، والوعيد. هذا؛ ومثل الآية في نصها ومغزاها رقم [٤٨] من سورة (الزمر).

الإعراب: ﴿وَبَدَا﴾: الواو: حرف استئناف. (بدا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّئَاتُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: سيئات الذي، أو شيء عملوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: وحاق بهم استهزاؤهم. هذا؛ والجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ متعلقان بالفعل بعدهما، وتفصيل الإعراب لا يخفى عليك بعد هذا، وجملة: ﴿وَحَاقَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أي: نترككم في العذاب، ونعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم. ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: كما تركتم عدته، ولم تبالوا به، فلم تعملوا له؛ لأنكم لم تصدقوا به. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: مقركم، وملجأكم النار. ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: يمنعونكم، ويخلصونكم من العذاب. وقد ثبت في الحديث الصحيح: أنَّ الله تبارك وتعالى يقول لبعض بني آدم يوم القيامة: **«ألَمْ أزوِّجكَ؟ ألَمْ أكرِمْكَ؟ ألم أسخِّرْ لَكَ الخيلَ، والإبلَ، وأذرْكَ ترأسُ،**

وتَرْبَعُ؟! فيقول: بلَى يا ربُّ، فيقولُ: أفَظَنَنْتَ أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا! فيقول الله تعالى: فاليَوْمَ أنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَني!».

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ معناه: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم. معناه: جازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه، ورحمته، فخرج على مزاوجة الكلام، فهو كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ رقم [٤٠] من سورة (الشورى)، وقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٩٤]: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، وقوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٣٠]: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ ومثل هذا يسمى في فن البديع: مشاكلة، وهو يخرج على الاستعارة أيضاً بتشبيههم بالأمر المنسي؛ حيث مثل تركهم في العذاب بمن حبس في مكان، ثم نسيه السجان من الطعام، والشراب؛ حتى هلك، وذلك بطريق الاستعارة التمثيلية.

الإعراب: ﴿وَقِيلَ﴾: الواو: حرف عطف. (قيل): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿نَنسَىٰكُمۡ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع نائب فاعل: (قيل). وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٢]. والجملة الفعلية: ﴿وَقِيلَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿نَسِيتُمۡ﴾: فعل ماض، وفاعله، و(ما) والفعل (نسي) في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، التقدير: ننساكم نسياناً كائناً مثل نسيانكم لقاء يومكم. وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأنَّ حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلَّا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿لِقَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿يَوۡمِكُمۡ﴾: مضاف إليه، فيه توسع في الظرف حيث أضيف إليه ما هو واقع فيه على حد قوله تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ رقم [٣٣] فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به، وإضافة (مكر) و﴿لِقَآءَ﴾ إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿يَوۡمِكُمۡ﴾، وبعضهم يعتبره بدلاً منه، والأول أقوى، والهاء حرف تنبيه لا محل له.

﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ﴾: الواو: واو الحال. (مأواكم): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والميم. والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة.

﴿نَّصِرِينَ﴾: مبتدأ مؤخر، مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ۝٣٥﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: العذاب، أو الجزاء الذي لقيتموه. ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ...﴾ إلخ: بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً، وسخرية، ولعباً. ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾: بزينتها، وزخرفها، وغرتكم أموالكم، وجاهكم، ومناصبكم في هذه الدنيا. ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا﴾ أي: من جهنم، فالفعل يقرأ بالبناء للمجهول من الرباعي المتعدي، ويقرأ بالبناء للمعلوم من الثلاثي اللازم. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: فالبناء للمعلوم لقوله تعالى في سورة (السجدة) رقم [٢٠]: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، والبناء للمجهول لقوله تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٠٧]: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾. ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم؛ أي: يرضوه بالعتبى لفوات أوانه، وقد دعوا إليه في الدنيا؛ حيث ندبهم الله في كثير من الآيات إلى التوبة، والطاعة، وحثّهم في كثير من الآيات على الإنابة، والاستغفار، والإيمان به. من قولهم: استعتبني فلان، فأعتبته؛ أي: استرضاني، فأرضيته. وجملة القول: لا يقال لهم يوم القيامة: ارضوا ربكم بتوبة، وطاعة. ومثله في سورة (فصلت) رقم [٢٤]: ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٨٤]: ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾، وقوله جلَّ ثناؤه في سورة (الروم) رقم [٥٧]: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾.

هذا؛ والاستعتاب: طلب العتاب. والمعتبة: هي الغلظة، والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره، والرجل إنما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة، والغضب، ويرجع إلى الرضا عنه، وإذا لم يطلب من خصمه العتاب؛ دلَّ ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه، قال النابغة الذبياني يعتذر إلى النعمان بن المنذر مما وشي إليه عنه: [الطويل]

فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُوماً فَعَبْداً ظَلَمْتَهُ ... وإنْ كُنْتَ ذا عُتْبى فمِثْلُكَ يُعْتِبُ

هذا؛ وقال جلَّ شأنه في سورة (المرسلات): ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ وفي «المصباح المنير»: عتب عليه عتباً من باب: ضرب، وقتل، ومعتباً أيضاً: لامه في سخط، فهو عاتب، وعتَّاب مبالغة، وبه سمِّي، ومنه: عتاب بن أُسَيْد الصحابي ـ رضي الله عنه ـ. وعاتبه معاتبةً، وعتاباً. قال الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال، ومذاكرة

الموجدة. وأعتبني الهمزة للسلب؛ أي: أزال الشكوى، والعتاب، واستعتب: طلب الإعتاب، والعتبى: الاسم من الإعتاب. انتهى. جمل من سورة (الروم). وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يَتَمَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ، إمَّا مُحسناً؛ فلعلَّهُ يزدَادُ، وإمَّا مُسِيئاً؛ فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**». رواه البخاري، ومسلم.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات، وغير معتبين في بعضها؟ قلت: أما كونهم غير مستعتبين؛ فهذا معناه. أي: ما تقدم. وأما كونهم غير معتبين؛ فمعناه: أنهم غير راضين بما هم فيه؛ أي: يسألونه إزالة ما هم فيه، فما هم من المجابين إلى إزالته. انتهى. هذا؛ وفي قوله: ﴿لَا يُخْرَجُونَ...﴾ إلخ التفات من الخطاب في أول الآية إلى الغيبة في آخرها. انظر الالتفات في الآية رقم [١١] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُم﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿بِأَنَّكُمُ﴾: الباء: حرف جر. (أنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿ٱتَّخَذْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَايَٰتِ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: فاعله. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: الفصيحة، ولا وجه له قطعاً. (اليوم): ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُخْرَجُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، أو نائب فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية لا محلَّ لها مثلها.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾: قال الزمخشري: فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء في السموات، والأرض، والعالمين؛ فإن مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد، والثناء على كل مربوب. انتهى.

هذا؛ والحمد في اللغة: الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل، والتعظيم، سواء أكان في مقابلة نعمة أم لا؟ فالأول كمن يحسن إليك، والثاني كمن يجيد صلاته. وهو في اصطلاح علماء التوحيد: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث منعماً على الحامد، أو غيره، سواء أكان ذلك قولاً باللسان، أو اعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان؛ التي هي الأعضاء، كما قال القائل: [الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاثَةً يَدِي ولِسَانِي والضَمِيرَ المُحَجَّبا

ومما هو جدير بالذكر: أنَّ معنى الشكر في اللغة هو معنى الحمد في الاصطلاح، وأما معنى الشكر في الاصطلاح؛ فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. هذا؛ وقد حثنا النبي ﷺ على حمد الله باللسان، والإكثار منه، ورغبنا فيه، وذكر لنا أحاديث ترغبنا فيه، وصيغاً مفضلةً على غيرها لما فيها من المعاني القوية، وخذ نبذة من ذلك، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ﷺ حَدَّثَهُمْ: «**أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِ اللهِ قالَ: يَا ربِّ لَكَ الحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغي لجلَالِ وَجْهِكَ، ولِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالمَلَكيْن، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِها؟ فصعدا إلى السماء، فقالا: يا رَبَّنا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قال مقَالَةً، لا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُها؟ قال الله ـ وهو أعلَمُ بما قالَ عَبْدُهُ ـ: ماذَا قالَ عَبْدِي؟ قالا: يا رَبِّ إنه قالَ: يا ربِّ لَكَ الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وَجْهِكَ، ولِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ. فقال الله لهما: اكْتُبَاهَا كما قالَ عَبْدِي؛ حَتَّى يَلقاني، فأجزيه بِهَا**». رواه أحمد، وابن ماجه.

وعن أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رجل عند رسول الله ﷺ: الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مُبَاركاً فيه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَاحِبُ الكلمة؟**». فسكتَ الرجلُ، وظنَّ: أنه قد هجمَ مِنْ رسول الله ﷺ على شيءٍ يكرهُهُ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ هُوَ؟ فإنه لَمْ يَقُلْ إلَّا صَوَاباً!**». فقال الرجل: أنا قُلْتُها يا رسولَ الله أرجُو بها الخيرَ! فقال: «**والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ لَقَدْ رأَيْتُ ثَلاثَةَ عَشَرَ مَلكاً يَبْتَدرون كلِمَتَكَ، أيّهُمْ يرفعُهَا إلى الله تعالى!**». رواه الطبراني، والبيهقي.

هذا؛ والرب يطلق ويراد به السيد، والمالك، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ...﴾ إلخ، وقوله أيضاً: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا...﴾ إلخ. وقال الأعشى: [الكامل]

رَبِّي كَرِيمٌ لا يُكَدِّرُ نِعْمَةً وإِذَا تُنُوشِدَ فِي المَهَارِقِ أَنْشَدَا

كما يقال: رب الدار، ورب الأسرة؛ أي: مالكها، ومتولي شؤونها، كما يراد به المربي، والمصلح. يقال: ربَّ فلانٌ الضيعة، يربُّها إذا أصلحها. والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً فشيئاً، بجعل النطفة علقةً، ثم بجعل العلقة مضغةً، ثم

بجعل المضغة عظماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يصوره، ويجعل فيه الروح، ثم يخرجه خلقاً آخر، وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه، وينشيه حتى يجعله رجلاً، أو امرأةً كاملين. هذا؛ ولا يطلق الرب على غير الله تعالى إلَّا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة، ونحو ذلك. والربُّ المعبود بحق، والمراد منه: الله تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى حكاية عن قول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هَنِيئاً لأَرْبَابِ البُيُوتِ بُيُوتُهُمْ ... ولِلآكِلِينَ التَّمْرَ مَخْمَسَ مَخْمَسَا

وهو اسم فاعل بجميع معانيه، أصله: رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر. وانظر شرح ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿رَبِّ﴾: بدل، أو عطف بيان، أو صفة لفظ الجلالة. انتهى. سمين. و﴿رَبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وما بعده معطوف عليه، وإعرابه مثله بلا فارق. هذا؛ وقال القرطبي: قرأ مجاهد، وحميد، وابن محيصن بالرفع فيها كلها على معنى: هو رب. انتهى. وهي قراءة شاذة فوق السبعة لم يقل بها غير القرطبي.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: العظمة، والجلال، والبقاء، والسلطان، والقدرة، والكمال. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي القاهر؛ الذي لا يغلب. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما قدر، وقضى، فاحمدوه، وكبروه، وأطيعوا له. وخذ ما يلي:

فعن أبي سعيد، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: **«العِزُّ إزارُهُ، والكبرياءُ رِدَاؤُهُ»**، قال الله تعالى: **«فَمَنْ يُنَازِعُني عَذَّبْتُهُ»**. أخرجه مسلم بهذا اللفظ، وأخرجه البرقاني وأبو مسعود ـ رضي الله عنهما ـ يقول الله عزَّ وجل: **«العِزُّ إزاري، والكِبْرِياءُ رِدائِي، فَمَنْ نَازعني شيئاً مِنْهما؛ عَذَّبْتُ»**. ولأبي داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: **«الكِبْرِياءُ رِدائي، والعظمةُ إزاري، فَمَنْ نازعني في واحدٍ منهما؛ قَذَفْتُهُ في النارِ»**.

شرح غريب ألفاظ الحديث: قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم، وذلك: أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب، يقولون: شعار فلان الزهد، ولباسه

التقوى، فضرب الله عزَّ وجل الإزار، والرداء؛ مثلاً له في انفراده سبحانه وتعالى بصفات الكبرياء، والعظمة، والمعنى: أنهما ليسا كسائر الصفات؛ التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازاً، كالرحمة، والكرم، وغيرهما، وشبههما بالإزار، والرداء؛ لأنَّ المتصف بهما يشملانه، كما يشمل الرداء الإنسان، ولأنه لا يشاركه في إزاره، وردائه أحد؛ فكذلك الله تعالى، لا ينبغي أن يشاركه أحد؛ لأنهما من صفاته اللازمة له، المختصة به؛ التي لا تليق لغيره، والله أعلم. انتهى. خازن بحروفه. وانظر تحريم الكبر على المخلوقين في الآية رقم [٦٠] من سورة (الزمر)، ورقم [٨٥] من سورة (صٓ).

الإعراب: ﴿وَلَهُ﴾: الواو: حرف عطف. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ والذين لا يجيزون مجيء الحال من المبتدأ يعتبرون الحال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. انظر الشاهد رقم [١٣٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. لا محل لها مثلها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: خبران للمبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها أيضاً. تأمل، وتدبّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الجاثية) شرحاً وإعراباً، والله الموفق والمعين.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس